

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

حلقة أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان



الرقم التسلسلي:.....
رقم التسجيل:.....

عنوان البحث:

الحوار الإسلامي المسيحي بين محمد حسين فضل الله وموريس
بومرمانس - دراسة مقارنة -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية تخصص حوار الأديان -

إشراف الأستاذ الدكتور:

طيات مير

إعداد الطالب:

إسماعيل عرف

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ. د. محمد بودبان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -	رئيسا
أ. د. طيات مير	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -	مشرفا ومقررا
د. شهنار سميتة بن الموفق	أستاذ محاضر - أ -	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -	عضوا مناقشا
أ. د. نعيمة إدريس	أستاذ التعليم العالي	المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار - قسنطينة -	عضوا مناقشا
أ. د. العربي بن الشيخ	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1 الحاج محضر - باتنة -	عضوا مناقشا
د. عبد الوهاب العمري	أستاذ محاضر - أ -	جامعة العمري بن مهدي - أم البواقي -	عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1441-1442 هـ / 2020-2021 م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -

كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان



الرقم التأسلي:.....
رقم التسجيل:.....

عنوان البحث:

الحوار الإسلامي المسيحي بين محمد حسين فضل الله وموريس بومرمانس
- دراسة مقارنة -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في العلوم في العلوم الإسلامية - تخصص مقارنة الأديان -

إشراف الأستاذ الدكتور:
طيبات لمير

إعداد الطالب:
إسماعيل عريف

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
			رئيسا
أ.د. طيبات لمير	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية - قسنطينة -	مشرفا ومقررا
			عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1439-1440هـ / 2018-2019م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١٤٣٨

جامعة الأمير

الإسلامية

قَالَ تَعَالَى:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ
أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ أَشْهَدُوا۟ بِأَنَّا

مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

(آل عمران: 64).

”من خلال ذلك تستطيعون أن تحلُّوا مشكلة الانتماء المسيحي والإسلامي فيكم، لتجعلوها قضية فكر وفكر لا قضية غريزة وغريزة، في ما هي قضية طائفة وطائفة، ناقشوا كلَّ شيء، لا مقدّسات في الحوار، الحقيقة هي بنت الحوار، ليست الحقيقة شيئاً يملكه واحداً منّا، إنّنا ننطلق جميعاً لنزحف حتّى نلتقط الحقيقة، وقد يلتقط بعضنا بعض الحقيقة ليلتقط الآخر بعضها الآخر، تعالوا لتتجاوز فلعلنا نكتشف أنّ البعض الذي عندنا يتكامل مع البعض الذي عندكم، وهذا ما تحاول الرّسالات أن تُطلق فكره، أن تؤمن بالكتاب كلّه، في القرآن الكريم كلمة تقول أن تؤمنوا بالكتاب كلّه وتقول أن تؤمنوا بالرّسل كلّهم“.

(فضل الله: حواراته في الفكر والسياسة والاجتماع، ص339).

”إنّ ظروف العالم الرّاهنة، سواء أكانت سياسيّة أم ثقافيّة، جعلت تلاقي المسلمين والمسيحيين يتمّ على قدم المساواة، فأخذت العقليّات تتغيّر وتتطهّر، واتّخذ تعاملهم في كثير من المجتمعات؛ صيغة التّآخي والتّكاتف والتّعاون... ولما كانت تحديّات العالم المعاصر تستهدف المؤمنين من كلّ الديانات، أصبح العمل المشترك بين المسيحيين والمسلمين، بمساهمة كلّ ذوي الإرادة الصّالحة، ضرورة ملّحة من أجل بناء عالم يكون الإنسان فيه أكثر إنسانيّة... كلّ هذه الظروف جعلت الحوار المسيحي – الإسلاميّ مسؤليّة جسيمة على عاتق المسلمين والمسيحيين معاً“.

(بورمانس: توجيهاته في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، ص168).

الإهداء

إلى روح أخي (محمد رحمه الله تعالى) الطاهرة في حياتها
البرنخية، أهدى هذا العمل المتواضع؛ إكراماً لأخٍ كان
هو المعين والسّاعد والسّاعي إلى الخيرات بشتى أنواعها، وبراساً
يُسترشد به في طلب العلم والنشاط والحياة.

شُكْرٌ وَعِرفَانٌ

بعد شكر الله تعالى وحمده حق الحمد على إتمام هذا البحث، أتقدمُ بأخلص وأجزل وأخصب عبارات الشُّكر والامتنان للأستاذ المشرف؛ الأستاذ الدكتور: طيبات مير، على مرحابة صدره وجميل صبره وحُسن معاملته، عرفاناً له على ما أجاد به عليّ بنفسه ووقته من إرشادات علمية كثيرة ونصائح منهجية جمة؛ بغية أن يكون هذا العمل بذِي الشُّكر، فلك منِّي يا سيدي وشيخي الموقر من الشُّكر والتقدير ما تعجز الكلمات عن وصفه واللسان عن نطقه إكراماً لك ولمعدتك الطيب وشخصك الكريم، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بأحرّ التُّشكرات وأرقاها للطالبات اللاتي ساعدني وقد من لي يد المساعدة في كل ما مرُّته من أمور في سبيل هذا العمل، وأخص بالذكر: هناء، حليلة، الصافية، مليكة...، وإلى كل من ساهم من قريب أو بعيد في هذا السبيل.

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الحمد لله الذي هدانا لهذا
الذي كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده
وبعد فقد أحسن الله وتيسر لنا
في هذا الكتاب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، والصلاة والسلام على النبي الأمي محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين، وآله وصحبه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

التعريف بالموضوع:

بحكم العلاقات الإنسانية السائدة بين البشر والمجتمعات، والكائنة لهم بسبب الطبيعة البني آدمية؛ كونهم جميعاً ينتمون إلى آدم عليه السلام؛ إذ هو أبوهم كلهم، الأمر الذي يجعل تقاربهم واتصالهم من السهولة بمكان؛ تقارباً واتصالاً يفتحان لهم باب التعاون والتكاتف وتضافر الجهود؛ لأجل بناء حياة كريمة تُهيئ لهم الظروف المناسبة للعيش في أمن وسلام وطُمأنينة، مما يُتيح لاندماجهم الاستمرارية ومواصلة المسيرة في هذا التاريخ الحافل بشتى أنواع الإيجابيات والسلبيات، إذ لا يمكن الاستقرار على حالٍ واحدة في الحياة بأسرها من بدايتها إلى نهايتها، وتلك هي سنة الخالق في الكون.

ولئن كان هذا الموصوف أعلاه؛ أمراً عاماً يشمل البشرية جمعاء والمجتمعات كلها مهما كان أصلها وفصلها أو جنسها ودينها أو مذهبها، فإنه يتجلى بصورة أوضح وأبين في الجماعات الإسلامية المسيحية؛ أتباع الديانتين الإسلام والمسيحية، باعتبار أن المسلمين والمسيحيين -وعلى مرّ التاريخ- كانت بينهم اتصالات وثيقة على نطاق واسع، سواء كان ذلك من الناحية السلبية أو من الناحية الإيجابية، وقد ظلّ هذا الوضع سائداً بين الطرفين ما بين مدّ وجزر منذ ظهور الإسلام في القرن السابع للميلاد إلى اليوم، في منحني يُمكن التعبير عنه بالصعود أحياناً والهبوط أحياناً أخرى، على حسب الأوضاع والحالات، وربما يعود ذلك كله إلى كون هاتان الأمتان تعتربان من أكثر الأمم انتشاراً في المعمورة، هذا أولاً، وثانياً كونهما عاشتا متجاورتين في كثير من المناطق والبلدان، وخاصة في الدول العربية.

إنّ هذه الصورة بشقيها -السلي والإيجابي- هي التشكيكة الأساسية للعلاقات الإسلامية المسيحية، وإنّها لذات مفهوم واسع وشامل ومتشعب يتقاطع فيه مجموعة كبيرة من الجوانب والمجالات التي تعبّر عن واقع الحياة وملاساتها، وإذا كان الشقّ السلي من هذه العلاقة، مثله ذلك الصراع المرير الذي دارت رحاه بين الفريقين ردحاً من الزمن، مُخلِّفاً من جرّاء حُرُوبه آلافاً من القتلى والمشرّدين والمينكل بهم، إضافة إلى الخسائر المادية في المنشآت والمعالم، وليس ذلك فحسب، بل إنّ الانهزام النفسي كان الشّعور الأكثر خطورة وحضوراً في نفوس المتضررين والمهزّمين من كلا الجانبين، فإنّ الشقّ الإيجابي منها مثله ذلك التعايش

والعيش المشترك الناتج عن تجاور المسلمين والمسيحيين، الذي غالبًا ما يؤدي إلى إحداث حوارٍ فيما بينهما؛
تعبيرًا

عن المودّة والألفة والتّسامح والتّعاون؛ لذلك أصبح هذا الحوار منسوبًا إليهما أكثر من غيرهما من الشّعوب والأُمم الأخرى، فتشكّل من جرّاء ذلك مصطلح "الحوار الإسلامي المسيحي"؛ هذا المصطلح الذي يعبر عن تلاقي أتباع الديانتين سلميًا على طاولة واحدة أو في واقع الحياة لتقاسمها بحلّوها ومُرها بما يُعرف بالحوار العفوي، ولتبادل الأفكار والخبرات، ومعالجة كثير من القضايا؛ جزئية كانت أو كلية، داخلية أو خارجية، إقليمية أو عالمية، وقد تبلور هذا المصطلح وصُنِع صناعة تدريجية على مدار أزيد من أربعة عشر قرنًا، إلى أن أصبح حركة مكتملة في الوقت الحالي، قائمة بذاتها من جميع التّواحي.

ولأنّ هذا التّوع من الحوار يشترك في تكوينه الفريقان؛ المسلمون والمسيحيون، فلا ريب أنّ الاهتمام به سواء على المستوى التّنظيري أو على المستوى التّطبيقي، سيكون كذلك ثنائي الاتجاه باعتباره كيانًا أو مفهومًا مُشتركا، وهذا ما يجعلنا نفرّق بين نظرتين أو رؤيتين له؛ رؤية إسلامية وأخرى مسيحية، ولكلّ منهما رأي خاصّ فيه، انطلاقًا من تكوينها الفكري أو تراثها الديني والتّقافي والحضاري والاجتماعي، إلّا أنّهما وبناء على تقاطعهما في هذا الشّأن -أي في الحوار- إذ أنّ كلًّا منهما تنجذب إليه بطريقة معيّنة، وكذلك نظرًا للمنبع أو الأصل الواحد لرسالتيهما، قد تشتركان في الرّأي نفسه والمنحى الفكري ذاته تجاه هذا الحوار، ولما كان كثيرٌ من العلماء والمفكرين والمثقفين من المسلمين والمسيحيين قد تطرّقوا لدراسة الحوار الإسلامي المسيحي وبحثوا فيه وخاضوا غماره حتّى بالممارسة في بعض الأحيان، ولعلّ تكون دراستي هذه حول هذا الموضوع عامّة ومفتوحة أو متشعبة، ارتأيتُ تخصيصها بعالمين ومفكرين كبيرين بارزين ألمعيين؛ أحدهما مسلم والآخر مسيحي، فهما يختلفان فكريًا ودينيًا وأيدولوجيًا وجغرافيًا؛ إنّهما محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس؛ اللذان كانت لهما تجربة مهمّة مع هذا الحوار؛ لذلك فإنّ هذا الموضوع الموسوم بـ: "الحوار الإسلامي المسيحي بين محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس -دراسة مقارنة-"، يبحث في نظرة كلّ من هذين الرّجلين إلى هذا الحوار من معظم جوانبه ومكوّناته ابتغاء المقارنة بينهما في هذا المجال، قصد اكتشاف مواطن التّوافق ومواطن الاختلاف الحاصلين بينهما إزاء هذه الظّاهرة، وذلك من خلال التّطرّق إلى حديث كلّ منهما عنها، وتحليله لها، وتفكيكه لغوامضها، وشرحه لمسائلها، واستقصائه لقضاياها، ثمّ إجراء مقارنة بينهما في كلّ ذلك.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تعالج قضية حساسة وحيوية، تجمع بين المسلمين والمسيحيين؛ الأمتين الأكثر انتشاراً في العالم، إنها قضية الحوار الإسلامي المسيحي التي باتت تشكل -مع تصاعد الأحداث والتطورات السياسية المحلية والدولية، وتفاقم المشكلات الاجتماعية- أهمية قصوى لدى أتباع الديانتين الإسلامية والمسيحية من جهة، وكذا لدى البقية الباقية سواء من أتباع الديانات الأخرى أو حتى الملحدين واللا دينيين من جهة أخرى، خاصة وأنه -حالياً- أصبح يلجأ إلى الدين بالاحتكام إلى قيمه ومبادئه، أملاً في القضاء على العضلات الكبرى التي ما فتئت تؤزق الإنسان وتفضّ مضجعه أينما كان وحيثما وُجد، وإزالتها من على الوجود؛ تحقيقاً للعيش الكريم القائم على الأمن والسلام؛ لأنّ البشرية اليوم أضحّت تُدرك وبيقين دور الدين والتعاليم السماوية الرّبانية في القضاء على جذور الفتنة وأصل الويلات.

وما يزيد من بروز هذه الأهمية وضرورتها، كون موضوع هذه الدراسة ذا نظرة ثنائية مزدوجة؛ لأنّها متعلّقة بالبحث في مسألة الحوار بين المسلمين والمسيحيين لدى رجلين أحدهما مسلم والآخر مسيحي، ممّا يضفي عليها طابع التكامل والتداخل والاحتواء والمنج بين الرؤية الإسلامية من خلال محمد حسين فضل الله للحوار الإسلامي المسيحي والرؤية المسيحية من خلال موريس بورمانس للموضوع ذاته، الأمر الذي يُنتج لنا في نهاية المطاف رؤية متكاملة قائمة على المنهج الموضوعي، خصوصاً لما نعلم تلك العلاقة الكامنة بين كلّ واحد من هذين المفكرين وهذه القضية؛ أي قضية الحوار الإسلامي المسيحي، حيث أنّ الاهتمام البالغ كتابة وممارسة هو الوجهة البارزة فيها، وذلك حتى لا تكون هذه الدراسة التي بين أيدينا قائمة على فكر واحد أو مستندة إلى أيديولوجية واحدة؛ كلاهما ينبع من ديانة واحدة، بل إنّ الجمع بين الفكرين والأيديولوجيتين المنتميين لديانتين مختلفتين عقائدياً ومذهبياً؛ هو الوصف الذي تمتاز به عن كثير من الدراسات الأخرى في الشأن نفسه.

ثمّ بعد ذلك، تتأكد أهمية دراستي هذه بأهمية طرفيها؛ أي فضل الله وبورمانس، إذ لا يخفى على المتتبع لهما والباحث في شؤون حياتيهما، مدى المعية كلّ واحد منهما في بيئته ومحيطه وجغرافيته، فالأول معروف لدى الشيعة بمكانته وعلمه ومعارفه وقيّمته، والثاني معروف لدى الآباء البيض وجمهور المسيحيين بنشاطه العلمي والفكري والديني، ومن هنا نستطيع القول: إنّ دراسة متعلّقة بهما في موضوع ما؛ لهي دراسة من الأهمية بمكان، فكيف إذا أُضيف إلى ذلك قضية تمثّل اليوم موضوع الساعة أو موضوع العصر، ونقصد بها طبعاً قضية الحوار بين المسلمين والمسيحيين، فلا ريب أنّ هذا كلّهُ أو الجمع بين هذه المحاور الثلاثة (الحوار الإسلامي المسيحي، محمد حسين فضل الله، موريس بورمانس) بالشكل الذي سأنتطرق له في الصّفحات

الآتيّة، يجعلها تحتلّ مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة معتبرة بين الدّراسات الأخرى التي هي من صنوها، خاصّة وأتّما ذات تجّاه مقارن، يقوم على مقارنة علميّة بين فكرين مختلفين في كثير من القضايا والمسائل والأفكار والمعلومات والمعارف، ممّا يجعلها جديرة بالقراءة والاهتمام، كونها ذات أبعاد جمّة دينيّة وسياسيّة وثقافيّة وحضاريّة... وغير ذلك، متشابكة أو مرتبطة ببعضها البعض.

إشكاليّة البحث:

لما كان الحوار بين المسلمين والمسيحيين بمفهومه ومنطلقاته وضوابطه ومعوّقاته وآفاقه المستقبلية عند محمّد حسين فضل الله، ليس ممثلاً تماماً للحوار ذاته بالحيثيات ذاتها عند موريس بورمانس، باعتبار أنّ كلّ واحد منهما ينظر إليه بنظرة خاصّة، انطلاقاً من موروثه الديني وتكوينه الثقافي، إذ من المعروف أنّ ثمة فارقاً كبيراً بين الديانتين الإسلاميّة والمسيحيّة في كلّ ما يتعلّق بهما، وبوتاً شاسعاً بين ثقافة أتباعهما، الأمر الذي ينطبق بشكل كبير على شخصيّتي الحوار هاتين خاصّة أنّ الموضوع يعرف حساسيّة كبيرة بين المسلمين والمسيحيين؛ نظراً لاختلاف المفاهيم والأهداف والمقاصد والأبعاد حوله.

والاختلاف الكائن هنا - في بحث قضية الحوار الإسلامي المسيحي أو طرقها - وإضافة إلى حصوله من عدم الاتّفاق حول الرّؤى والمفاهيم، يعود كذلك إلى الفرق في طريقة التناول والتّقصي، بحيث وبهذا الصّدّد، يتوجّب البحث في الجزئيّات وكذا في الكليّات الخاصّة بالحوار الإسلامي المسيحي عند الرّجلين، لمعرفة التّوافقات والفروقات بينهما فيه أو حوله، وبين هذا وذاك، ومهما يكن من أمر، وضبطاً لهذا الموضوع في إطار منهجي دقيق ومحدّد، كان لزاماً عليّ إحاطته بسياج من النّظر ذي رؤية شاملة تجمع بين الرّأيين في هذا الشّأن مع مراعاة أوجه الاتّفاق وأوجه الاختلاف بينهما، للخروج برؤية مكتملة وشاملة ما أمكن لي ذلك، وابتغاء تحقيق هذا كلّه تبغني هذه الدّراسة الإجابة عن إشكاليّة مفادها:

إلى أيّ حدّ يُمكن التّمييز بين رؤية كلّ من محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس للحوار الإسلامي المسيحي؟.

وبصياغة أخرى:

كيف يرى كلّ من الرّجلين قضية الحوار بين المسلمين والمسيحيين؟، وهل هما متّفقان حولها تماماً أم أنّ بينهما اختلافًا بخصوصها؟.

وتبسيطاً لهذا التّساؤل الرّئيس وإجابة عنه، اقتضى مّيّ الحال تجرّته إلى التّساؤلات الفرعيّة الآتيّة:

ما المقصود بالحوار الإسلامي المسيحي؟، وما هي مقتضياته؟، من هو محمد حسين فضل الله؟، ومن هو موريس بورمانس؟، وفيما تتمثل منطلقات هذا الحوار وضوابطه ومعوّقاته وآفاقه المستقبلية عندهما؟، وهل ثمة اتفاق بينهما حول هذه المسائل الجزئية أم هما مختلفان فيها؟، وأيهما الأكثر عمقًا تجاهها؟، ثم هل يمكن من خلال الجمع بين رؤيتيهما بخصوص هذه القضية؛ أي قضية الحوار الإسلامي المسيحي، الخروج بصيغة إيجابية لها؟.

أسباب اختيار الموضوع:

إنّ بحث موضوع الحوار الإسلامي المسيحي بين شخصيتين مرموقتين دفعتني لاصطفائه بغية بحثه ودراسته مجموعة من الدوافع الذاتية والموضوعية تصافرت جميعها على اختياري له دون سواه.

فأما الدوافع الذاتية، فإنّها لا تنفك عن:

- الرغبة العلميّة في طرق المواضيع التي تكون مشتركة، سواء بين ديانتين أو أكثر، أو بين علمين متممين لديانتين مختلفتين، أو ثلاثة أو أربعة... .
- التعرّف عن كثر على شخصيتين فاعلتين، لهما باعٌ كبير ومحاولات عديدة في مجال الحوار الإسلامي المسيحي.
- الميل لمعالجة مسألة الحوار، إيمانًا منّي بكونها الحلّ الأمثل لكثير من المشاكل والمعضلات، وباعتبارها الطّريق الأجدى للقضاء على الصّراعات والتّزايدات، وإحلال التّفاهم والسّلام، خصوصًا بعدما تبين لي ذلك في مذكرة الماجستير.

وأما الموضوعية، فإنّها لا تخرج عن:

- نقص المصادر والمراجع المناقشة لقضية الحوار بين المسلمين والمسيحيين عند رجال الدّين والمفكرين؛ ممّا يدفع بالباحث في هذا الشّأن للاستزادة من المعلومات، والتّنقيب عن موارد هذه القضية الحسّاسة في فكر هؤلاء العلماء والمفكرين؛ إغناءً للمكتبة العربيّة في هذا المجال.
- مواكبة موضوع الحوار الإسلامي المسيحي لروح العصر وتطوّراته ومستجدّاته؛ ممّا يجعل منه موضوعًا جديرًا بالبحث والتّحليل والمناقشة؛ لتتبع تطوّراته وأفكاره عند المسلمين والمسيحيين، واكتشاف مدى الدّور الفعّال لهذا الطّيف من الحوار في تحقيق ما أنشأ لأجله.

- حداثة الموضوع؛ أي موضوع الحوار، وخاصّة هذا النوع منه (الإسلامي المسيحي)؛ ممّا يجعل منه قبلة لكثير من الباحثين في مجال العلاقات الإنسانيّة، أو بالأحرى العلاقات بين أتباع الديانات، الرّاعين في اكتشاف الجديد والبحث عن المواضيع ذات الصّلة بواقع النّاس؛ لكي تُعالج المسائل والقضايا الاجتماعيّة انطلاقًا من مقرّراته وأحكامه.
- استكشاف نظرة كلّ من المسلمين والمسيحيين لهذه القضية من خلال أنموذجين بارزين، حملا على كاهليهما التّكفل بمقتضياتها وكلّ ما يتعلّق بها.

أهداف الدّراسة:

- من المعروف منهجيًّا وكذا علميًّا؛ أنّ كلّ دراسة إمّا تُنجز بغية تحقيق جملة من الأهداف والمقاصد، وبناء على ذلك تصبو دراستي هذه إلى إصابة مجموعة من الأغراض العلميّة والمعرفيّة، وأمّل من خلالها الوصول إليها، يمكن تلخيصها في النّقاط الآتيّة:
- وضع أسس وقواعد أو مبادئ من شأنها توجيه مسألة الحوار الدّيني الوجهة الصّحيحة، لجعلها متوافقة مع أنواع الحوار الأخرى أو متفوّقة عليها؛ بغية استجلاب المفكرين والمثقفين والباحثين والدّارسين إلى دائرتها.
- تبصير الباحثين في مجال العلاقات الإنسانيّة بواقع الحوار في المسيحيّة والإسلام، وأنّه بات في العصر الحديث والمعاصر مسألة ذات اهتمام كبير من قبل أتباع هاتين الديانتين، استثناسًا بما سُخر له من إمكانيات كبيرة مادّيّة ومعنويّة.
- تطوير العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة من خلال التّمهيد لها، وبنائها على قواعد وأسس صلبة ومتينة، بوضع الأطر الكفيلة بذلك، على اعتبار أنّ الحوار الدّيني هو مسألة مشتركة بين المسلمين والمسيحيين.
- إثراء المكتبة العربيّة بسفرٍ علميٍّ متخصصّ في هذه المسألة، والمساهمة ولو بقدر ضئيل في معالجة قضاياها المتنوّعة والكثيرة، انطلاقًا من رؤيتين؛ إحداهما إسلاميّة والأخرى مسيحيّة.
- الكشف عن جهود العلماء والمفكرين المتواصله بخصوص هذه المسألة، حتّى يكون ذلك نهجًا متبعًا في كلّ الميادين المتعلّقة بهذا الموضوع؛ قصد تطويره والبحث له عن سبل لجعله مسيرًا للمستجدّات الرّاهنة، ولا يتمّ ذلك إلّا باستحضار إستراتيجيّة معرفيّة ذات أبعاد مستقبليّة من شأنها الرّفيع من مستوى الحوار الإسلامي المسيحي لتحقيق جميع مآربه.

الدراسات السابقة:

لكلِّ بحثٍ علميٍّ - مهما كان تخصصه العلمي أو فرعه المعرفي - نواةٌ ينطلق منها ويؤسس عليها، وأفكارٌ سابقة يبني عليها تصوّراته وأهدافه، فتكون له بمثابة الدّعم التي تقوّي أركانه وتدعم بُنيانه، وانطلاقاً من هذا وتأسيساً عليه، وفي حدود اطلاعي بخصوص موضوع بحثي، لم أعثُر على أيّة دراساتٍ مطابقة له أو شبيهة به تماماً، ومعنى ذلك أنّ الدّراسات المبحوثة في شأن الحوار الإسلامي المسيحي، لم تتعرّض لهذه المسألة عند محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس؛ كلٌّ منهما على حدة، ولا بالشكل المقارن بينهما في المسألة ذاتها بذوي النمط المحدّد لماهيّة دراستي واتّجاهها.

لكنّ هذه لا يعني بأيّ حال من الأحوال؛ انطلاق هذه الدّراسة من فراغ، أو عدم اعتمادها على معارف ومعلومات قبليّة؛ لأنّها في الجزء الكبير منها تتناول البحث في الحوار الإسلامي المسيحي بشكلٍ عام، وهو موضوعٌ مبثوثٌ في بحوثٍ ومراجعٍ شتّى، أفكاره فيها متناثرة هنا وهناك، سواء كان ذلك على النهج الإسلامي أو على النهج المسيحي، إذ من المعلوم أنّه قد ألّفت كتبٌ وبحوثٌ كثيرةٌ فيه من طرف علماء ومفكرين مسلمين ومسيحيين، ويمكنني في هذا المقام الإشارة إلى بعض تلك البحوث ذات الصّلة بموضوع بحثي، على التّحو الآتي:

- الدّراسة الأولى؛ بعنوان: "حوار الأديان نشأته وأصوله وتطوّره"، للباحث عبد الحليم آيت أجموس، وهي عبارة عن رسالة دكتوراه مطبوعة، أورد فيها صاحبها مجموعة من النّقاط التي تشترك مع بحثي؛ ك: منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي وبعض ضوابطه وآفاقه المستقبلية، إلّا أنّه تناول جميع هذه القضايا وغيرها بطريقة عامّة أو من جانب واحد، وحتّى وإن كان في بعض الأحيان يورد نظرة المسلمين لهذا الحوار وما يوازئها عند المسيحيين، فإنّما يفعل ذلك من دون مقارنة بينهما في هذا الشّأن، ومن خلال عنوان هذه الدّراسة تتبيّن أنّها غير خاصّة فقط بالحوار بين المسلمين والمسيحيين، وإنّما تشمل حوار الأديان كظاهرة عامّة أوسع بكثير من الحوار الإسلامي المسيحي، وكذلك جاءت نتائجها عامّة في أغلبها تتحدّث عن حوار الأديان بشكل عام، وكلّ هذه الأمور تختلف فيها هذه الدّراسة عن دراستي، كما أشار صاحبها بصورة مقتضبة جدّاً لا تتعدّى خمسة أسطر إلى جهود فضل الله في هذا الحوار، غير أنّه ورغم حديثه عن المبادرات الكاثوليكية تجاه الحوار الإسلامي المسيحي لم يُشر إلى جهود بورمانس لا من قريب ولا من بعيد، ورغم ذلك تبقى هذه الدّراسة مفيدة جدّاً، باعتبارها فتحت لي الباب للخوض في موضوعي، حيث استلهمت منها الجهود الفرديّة الإسلاميّة والمسيحيّة في خدمة الحوار، كما كان لبعض نتائجها وخاصّة تلك التي تحدّثت عن آفاق الحوار الإسلامي المسيحي وعوائقه ومبادئه علاقة كبيرة بدراستي من خلال التّقاطع الموجود بينهما هاهنا.

- الدراسة الثانية؛ بعنوان: "الحوار الإسلامي المسيحي - المبادئ - التاريخ - الموضوعات - الأهداف -"، وهي عبارة عن رسالة ماجستير مطبوعة، للباحث بسام داود عجك، والتي كانت مخصصة بالكليّة للحوار الإسلامي المسيحي بخلاف الدراسة السابقة التي كانت شاملة، وهي أيضاً تتقاطع مع بحثي في كثير من النقاط؛ ك: مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي وتاريخه وموضوعاته ومنطلقاته وأهدافه ومقاصده، إلا أنّ صاحبها تناول هذه المسائل بما هو موجود عند أتباع الديانتين بشكلٍ انفراديٍّ من غير إجراء مقارنة مباشرة بينهما، كما أنّه لم يتطرّق فيها لهذا الموضوع؛ أي موضوع الحوار الإسلامي المسيحي، مرتبطاً بشخصيّة معيّنة أو شخصيّتين؛ بمعنى أنّه لم يخصّصه بعينة معيّنة أو نظرة فرديةً أحادية، بل تكلم عنه بنظرة كليّة إجمالية من خلال مجموعة من الآراء والأفكار، كما يظهر لنا ذلك جلياً من عنوان هذه الدراسة الذي لم يحمل تخصيصاً لأنموذج معيّن، ورغم أنّه أشار -أي المؤلف- فيها إلى المبادرات الإسلامية والمسيحية في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، فإنّه لم يُعرّج على جهود صاحبي بحثي في هذا المجال، حتّى إنّ قائمة المصادر والمراجع الخاصة بهذه الدراسة حلت من كتبهما وبحثهما بهذا الصدد، وكلّ ذلك يختلف عن ما هو موجود في دراستي، غير أنّها كانت هائلة بالنسبة لي، خصوصاً وأنها عرضت بعض الكتابات المهمّة في مجال الحوار، كما أنّ بعض نتائجها تتقاطع مع موضوع بحثي خاصّة تلك المتعلقة بإنشاء هيئة إسلامية عالمية تهتمّ بقضية الحوار الإسلامية المسيحي، وكذا الإشارة إلى بعض مقاصد هذا الحوار وخصوصاً دعوته إلى القضاء على المشكلات الإنسانيّة ومواجهة الاستكبار والمادّيّة.

- الدراسة الثالثة؛ بعنوان: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار"، وهي عبارة عن مؤتمر مطبوع انعقد عام 2013م حول هذه الشخصيّة، حيث تناولت المداخلات الواردة فيه الحديث عن محمد حسين فضل الله وعلاقته بالوحدة والانفتاح والحوار، محاولة تبيين جهوده الحوارية وتسليط الضوء عليها، ومدى اهتمامه بهذه المسألة الحيويّة التي كرّس لها معظم سنوات حياته، حيث إنّّه كان يرمي إلى تحقيق الوحدة الوطنيّة بين الأطياف اللبنيّة الإسلاميّة والمسيحيّة، ومما يلاحظ على هذه الدراسة أنّ أكثر محاورها كانت مصوّبة حول علاقة فضل الله بالحوار، والجدير بالتنويه -هاهنا- أنّ القسم الثاني منها كان متعلّقاً بقضية الحوار الإسلامي المسيحي في فكر فضل الله، ويظهر من عنوان هذا القسم أنّه ذو علاقة وطيدة ومباشرة بموضوع بحثي، غير أنّ الكلمات الواردة فيه -في أغلبها- كانت تتحدّث عن الحوار بشكل عام، وربما يعود ذلك لكون الرّجل حتّى بصدد حديثه عن الحوار الإسلامي المسيحي، كان يتحدّث عنه بشكل عام، ثمّ إنّ هذه الكلمات غلب عليها العموم والشمول وعدم التفصيل والتجزئة أو الفصل بين الموضوعات بعضها عن بعض، حيث كانت كلمات مختصرة، الأمر الذي تختلف فيه عن دراستي، إلا أنّه وعلى الرّغم من ذلك استفدت منها كثيراً في موضوع بحثي، خصوصاً في بعض الجزئيات المشتركة بين الدراستين.

– الدّراسة الرَّابِعة؛ بعنوان: " Le père Maurice Borrmans islamologue et chantre du dialogue islamo-chrétien s'est éteint؛ بمعنى: "لقد مات الأب موريس بورمانس، عالم الإسلام والمدافع عن الحوار الإسلامي المسيحي"، وهي عبارة عن مقال للباحث هو ترينه نغوين (Hue Trinh Nguyen)، تحدّث فيه صاحبه عن حياة موريس بورمانس، مبيّناً مدى شجاعته ومثابرته وجدّيته حتّى في آخر سنوات عمره، مُشيرًا في غضون ذلك إلى علاقة الرّجل الوطيّدة بالإسلام والمسلمين، مُستعرضًا بصفة أدقّ جهوده في الحوار الإسلامي المسيحي من خلال الإشارة إلى بعض كتبه ودراساته في هذا المجال بشكل عام، مُبرزًا في الآن نفسه أهمّ المحطّات البارزة في مراحل حياته والمتعلّقة بصلته بهذا الموضوع؛ كصلته ببعض باباوات الكنيسة الكاثوليكيّة المهتمّين بالحوار، وكذا بعض الشّخصيات الحواريّة الأخرى، غير أنّ كلّ ذلك تمّت مناقشته من خلال الخطوط العريضة من دون الخوض في التّفصيلات أو الجزئيات، غير أنّه مقال مهمّ في موضوع بحثي الموقوف للدّراسة والبحث.

وصف لأهمّ المصادر والمراجع المعتمدة:

للإجابة عن إشكاليّة الدّراسة وتساؤلاتها الفرعيّة المطروحة آنفًا، وإثراءً للبحث في هذا الموضوع، اعتمدتُ على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع، وهذا وصفٌ لأهمّها:

– كتاب "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي" لمحمّد حسين فضل الله؛ وهو كتاب مخصّصٌ لمسألة الحوار بين المسلمين والمسيحيين في شتّى أبعادها، وقد أفادني كثيرًا في توجيه موضوع بحثي، كما اعتمدتُ عليه بصفة كبيرة في عرض جلّ المسائل المتعلّقة بهذا الموضوع ومناقشتها في الشّق المتعلّق بفضله.

– كتاب "الإسلام والمسيحيّة بين ذهنيّة الصّراع وحركيّة اللّقاء" لذات المؤلّف، وهو كتاب يبحث في العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة خاصّة في المنطقة اللبنانيّة، حيث استفدتُ منه في معالجة بعض القضايا في فكر هذا الرّجل والمتّصلة بمسألة الحوار الإسلامي المسيحي خصوصًا في المنطلقات والصّوابط، وكذلك تحليل العلاقة بين الإسلام والمسيحيّة في أبعادها المختلفة.

– كتاب "الحوار في القرآن – قواعده – أساليبه – معطيّاته" للمؤلّف نفسه كذلك، وهو كتاب مهمّ في أبعاديات الحوار وضاوابطه وشروطه وتاريخه ونماذجه، حاولتُ من خلاله التّعرّف على أحكام الحوار ومسائله وقضاياها وأدبيّاته كما يراها فضل الله.

- كتاب "توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين" لموريس بورمانس، وهو الكتاب العمدة الذي اعتمدت عليه للكشف عن مقتضيات الحوار الإسلامي المسيحي والمسائل المتعلقة به لدى موريس بورمانس، على اعتبار أن هذا الكتاب قد ضمّ بين دفتيه جميع العناصر -تقريباً- التي أوردتها في بحثي، لذلك اقتبست منه بشكل كبير، إذا رجعت إليه في العديد من المرات.

- مقال بعنوان "هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟"، للمؤلف نفسه، وهو مقال موجود ضمن كتاب "مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي"، وقد أفادني كثيراً في بحث مسألة المعوّقات والآفاق المتعلقة بالحوار الإسلامي المسيحي كما هي عند بورمانس، لذلك اقتبسنا منه ورجعت إليه في العديد من المرات أيضاً.

- مقال بعنوان "Dialoguer, encore et toujours, avec les musulmans"؛ أي: "الحوار مع المسلمين مراراً وتكراراً" للمؤلف نفسه كذلك، وهو مقال منشور بالمجلة اللاهوتية (Théologiques) الصادرة عن كلية اللاهوت (Faculté de théologie) بجامعة مونتريال (Université de Montréal)، والذي أفادني كثيراً في عرض الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي كما يراها بورمانس، خاصة في مسألة العلاقات الإسلامية المسيحية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

- كتاب "البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من 1373/1954 إلى 1412/1992م -نصوص مختارة" لجوليت حدّاد، وهو كتاب مهمّ بدرجة كبيرة لبحثي، حيث حاولت من خلاله الاطلاع على كثير من المؤتمرات والتّدوات الحوارية الإسلامية المسيحية، إذ ساعدني في وصف أحداثها وبياناتها وقراراتها بما يخدم موضوعي.

- كتاب "الإسلام والمسيحية من التنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم" لأليكسي جورافسكي، وهو كتاب كذلك من الأهمية بمكان، خاصة في تحليل العلاقة بين المسلمين والمسيحيين ثقافياً وحضارياً، حيث كان رجوعي إليه في الاستشهاد على بعض المسائل المتعلقة بدراستي هذه، خاصة في بيان مضمون الحوار الإسلامي المسيحي من حيث موضوعاته ومعيقاته ومساعي الكنيسة الكاثوليكية الحثيثة تجاهه.

هذا بالإضافة إلى كثير من المصادر والمراجع الأخرى المهمة، التي استأنست بها في معالجة كلّ القضايا المدرجة تحت موضوعي، والتي لا يسعني المكان هنا لوصفها أو عرضها كاملة، وهي مثبتة في القائمة المخصّصة لها في آخر صفحات هذا البحث.

الصعوبات:

لا شك أن لكلِّ بحثٍ علميٍّ صعوباتٍ تعترض طريقه؛ فتعطلُّ مسيرته والتقدّم في إنجازهِ، وهي في الحقيقة تُلقَى على كاهل الباحث كونه هو الذي يقوم بعملية البحث، وإن كان لا بدّ من ذكرها هنا، فإنّه يمكنني الإشارة إليها فيما يلي:

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة في الحوار الديني بين المسلمين والمسيحيين، لاسيما تلك المتعلقة بإبراز جهود العلماء والمفكرين الحوارية، ومناهجهم في دراسة هذا الحوار، ويلحق بهذا عدم العثور على بعض مؤلفات موريس بورمانس المتعلقة بالحوار الإسلامي المسيحي.
- تشعب مكونات هذه الظاهرة - أي ظاهرة الحوار الإسلامي المسيحي - كونها ظاهرة أصبحت وليدة التيارات الفكرية المختلفة البعيدة عن الدين منهجًا وعقيدة.
- صعوبة تحرير عناصر بعض المواضيع، وهذا الأمر عائدٌ إلى عدم وضوح الفكرة أحيانًا لدى الشخصيتين، كما أنّ بعض المسائل أو القضايا الخاصة بهذا الحوار تكون مقتصرة على أحد الرجلين، ممّا تغيب معه المقارنة والموازنة، الأمر الذي يفقد الحظّة توازنها.
- نقص الخبرة في ترجمة بعض النصوص الأجنبية إلى اللغة العربية، كوني تعاملتُ مع بعض المصادر والمراجع المكتوبة باللغة الفرنسية خصوصًا.

المنهج المتبع:

اقتضت مّي طبيعة هذا الموضوع بغية معالجته معالجة علمية لائقة به، وإخراجه في صورته النهائية وقالبه الكلي؛ المزج بين عدّة مناهج، كون هذه الدراسة تتطلب صياغتها وفق مجموعة من الأطر المعرفية والمنهجية المتداخلة فيما بينها، ويمكن إحصاء هذه المناهج المتبعة في بحثنا في:

- المنهج الاستقرائي؛ الذي استعنتُ به في ملمة أجزاء هذا الموضوع المتناثرة هنا وهناك بين طيات المصادر والمراجع، حيث تتبعثها في مضامها؛ لتكوين هذا الكلّ المتكامل بأجزائه المختلفة تحقيقًا للوحدتين الموضوعية والعضوية، وذلك من أجل إبراز التّصوّر العام للرؤية العلمية للحوار الإسلامي المسيحي في فكر الرجلين، وقد تمّ تطبيق هذا المنهج على سائر فصول هذه الدراسة.

- المنهج الوصفي؛ وذلك من خلال وصفي لبعض المسائل والقضايا المتعلقة بموضوع بحثي؛ لشرحها وتبسيطها ونقلها إلى ذهن القارئ، وقد استخدمتُ هذا المنهج هو الآخر في سائر فصول هذه الدراسة.

- منهج التحليل النقدي؛ والذي حاولتُ من خلاله تحليل بعض المفردات والأفكار الغامضة وشرحها شرحًا وافيًا لبيان المقصود منها، ثم محاولة نقد بعضها نقدًا بناءً يُسهم في تقويمها وتصويبها، خاصة تلك الأفكار التي لا تتلاءم مع المعتقد الإسلامي، كما استخدمته في التعقيب على بعض الفقرات والنصوص؛ قصد الاستدراك عليها وإفقات النظر إليها، وذلك في كافة فصول دراستي.

- المنهج المقارن؛ ويعدّ هذا المنهج؛ المنهج العمدة في بحثي هذا، حيث وظفته تقريبًا في معظم فصول هذه الدراسة فيما عدا الفصل الأول منها، وقد استخدمته بطريقتين اثنتين؛ إحداهما مباشرة استعنتُ بها في كلِّ مبحث ثالث من الفصول الأربعة الأخيرة، إذ حاولتُ من خلالها إبراز أوجه الشبه وكذا أوجه الاختلاف في شتى المسائل والقضايا المتعلقة بالحوار الإسلامي المسيحي بين الرجلين؛ لمعرفة التوافقات والفروقات بينهما في هذا المجال، والأخرى غير مباشرة، وهي مستعملة أيضًا في الفصول ذاتها والمسائل والقضايا نفسها في المبحثين الأولين من كلِّ فصل من هذه الفصول، وذلك بعرض وجهة نظر كلِّ من الرجلين على حده؛ ممَّا يُحدث مقارنة ذهنية عفوية في فكر القارئ قبل إحالته على المقارنة المباشرة المشار إليها آنفًا.

وإجمالاً يمكن القول باختصار حول هذه المناهج وكيفية توظيفها في دراستي؛ أنني أتبع الجزئيات الخاصة بموضوعي من مصادرها ومراجعها وأضع كلِّ جزئية في مقامها سواء كان ذلك فصلًا أو مبحثًا أو مطلبًا، ثم أقوم بوصفها بالشرح والحديث عنها، ثم أحللها إن كانت محتاجة لتحليل أو بيان وقد يتبع ذلك نقدها أيضًا، وكلِّ ذلك يتم بطريقة ثنائية حيث أنّ هذا الموضوع مرتبط بشخصيتين اثنتين، وأخيرًا أقارن بينها وهي مرتبطة بصاحبي بحثي للوقوف على تشابهها أو اختلافها عندهما، وذلك قصد إعطاء هذا الموضوع صورة كلية ومتكاملة.

هيكل البحث:

اقتضاءً لطبيعة الدراسة، ومحاولة مّي لتقصّي معظم أفكارها والمعلومات والمعارف الخاصة بها، وانطلاقًا من ضرورة المقارنة بين شخصيّتي الحوار؛ محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس، وإجابة على الأسئلة المستفهمة سألًا في الإشكالية؛ قسّمتُ هذا البحث إلى خمسة فصول مع مقدّمة وخاتمة وملاحق وقائمة بيبوغرافية للمصادر والمراجع المستعملة فيه، وفهارس استكشافية توضيحية على النحو الآتي:

في المقدمة أتيتُ على ذكر كافة الإجراءات المنهجية المتعلقة بموضوع الدراسة، بدءاً بالتعريف به، ومروراً بالتعريف على أهميته وإشكاليته وأسباب اختياره وأهدافه والدراسات السابقة فيه وأهم مصادره ومراجعته وكذا صعوباته ومناهجه، وانتهاءً بخطته أو هيكله، كل ذلك قصد الإلمام بمسائله وسكبتها في قالب منهجي ومعرفي كواجهة له وإعطاء لمحة عنه.

وفي الفصل الأول المعنون بـ: "مدخل مفاهيمي تراجمي"، حاولتُ من خلاله التعريف بالمصطلحات الواردة في عنوان البحث أو الدراسة؛ تقريباً لمعانيها وأفكارها، وإلماماً بما بغية حضرها في موضع واحد، الأمر الذي تطلب منّي تقسيمه إلى مباحث ثلاثة، خصّصتُ الأول منها المعنون بـ: "ماهية الحوار الإسلامي المسيحي" لهذه القضية؛ أي قضية الحوار الإسلامي المسيحي، محاولاً التعريف بها والإشارة إلى بعض متعلقاتها، ممّا استدعاني إلى تقسيمه إلى مطالب أربعة، أبرزتُ من خلالها مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي بشكلٍ موسّع، سواء كمركبٍ إضافي أو لمفرداته وهي مفكّكة، ومنطلقاته من الناحيتين السياسية والدينية، ودوافعه سواء منها الخاصة بالمسلمين أو بالمسيحيين أو تلك المشتركة بينهما، وهي أمورٌ كثيرة كانت سبباً - حسب اعتقادي - في نشأة الحوار بين الطرفين وبدايته، ومسيرة هذا الحوار من حيث نشأته وتطوّره عبر مراحل عديدة منذ ظهور الإسلام وإلى اليوم مع إعطاء بعض النماذج في كلّ مرحلة من هذه المراحل وبيان مميّزاتها، ثمّ عرّجتُ على مواضيع وأهدافه التي هي مواضيع وأهداف شتى تشمل كثيراً من مجالات الحياة المختلفة، وبالنسبة للأهداف فصّلتُ فيها من خلال نسبة بعضها للطرف الإسلامي وبعضها للطرف المسيحي وبعضها لهما معاً، وخصّصتُ المبحث الثاني المعنون بـ: "ترجمة محمّد حسين فضل الله" للتعريف بهذه الشخصية وإعطاء لمحة موجزة عنها، وذلك من خلال بيان نسب هذا الرجل ومولده ونشأته ومساره العلمي والفكري ووفاته وآثاره وعلاقته بالحوار والوحدة والانفتاح والتسامح، كل ذلك في مطالب أربعة، وخصّصتُ المبحث الثالث المعنون بـ: "ترجمة موريس بورمانس" للتعريف بهذه الشخصية، من خلال الحديث عن مولد هذا الرجل ونشأته ومساره المهني والفكري ووفاته وآثاره ثمّ علاقته بالعالم الإسلامي والحوار الإسلامي المسيحي في مطالب أربعة كذلك، وقد تقدّم هذا الفصل الفصول الأخرى وكان من أكبرها حجماً؛ نظراً لكونه ممهداً لها وشارحاً للمصطلحات الأساسية التي عليها مدارها، وحاملاً للتراجم والمفاهيم الأولية.

أمّا الفصل الثاني المعنون بـ: "منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي أو المؤسسات القبلية للتحوار"، تكلمتُ فيه عن دواعي هذا الحوار أو مسبباته التي هي عبارة عن مسائل أو قضايا أو مشتركات بين الطرفين يمكن من خلالها البدء في عملية التحوار فيما بينهما، وقد قسّمته هو الآخر إلى مباحث ثلاثة،

كان الأوّل منها المعنون بـ: "المنطلقات عند محمد حسين فضل الله"، مخصّصًا لمنطلقات الحوار الإسلامي المسيحي عند هذا الرّجل، حيث تطرّقت فيه من خلال مطالبه الأربعة إلى التعرّيج على الاحتفال القرآني بالمسيح عليه السّلام؛ بتبجيله هو شخصيًا وتبجيل والدته وأسرته والشّناء على أصحابه المتّبعين له بالحسنى، والاعتراف بالآخر واحترام إنسانيّته، والقيم الروحيّة والأخلاقيّة المشتركة، والمواطنة والعيش المشترك في لبنان، أمّا الثّاني المعنون بـ: "المنطلقات عند موريس بورمانس"، فقد كان مخصّصًا لمنطلقات الحوار الإسلامي المسيحي عند هذا الرّجل، حيث تطرّقت فيه من خلال مطالبه الأربعة كذلك إلى التعرّيج على حقيقة الإسلام والقرآن، والأسوة النبويّة والتّكامل الرّسالي بالحديث عن أولي العزم من الرّسل بصفة خاصّة وخصوصًا المسيح عليه السّلام، والمسعى الرّهدي الصّوفي في الإسلام والمسيحيّة، والأسس المشتركة بين الدّيانتين ومواطن الالتقاء؛ كالحضرة الإلهيّة والعبادة والقيم الروحيّة والأخلاقيّة، أمّا الثّالث المعنون بـ: "المقارنة بين المنطلقات عند الرّجلين"، فقد كان مخصّصًا للمقارنة بين هذه المنطلقات في فكر الرّجلين؛ أي إبراز أوجه الشّبه وأوجه الاختلاف بينهما في هذا المجال، وذلك في النّقاط الآتيّة المخصّصة في مطالب ثلاثة، والتي تجمّعت لي بإجراء هذه المقارنة، والمتمّثلة في: تمجيد الأنبياء، والقيم المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة، والاعتراف المتبادل والإيمان بالتعدّديّة، وقد ارتأيت تقديم هذا الفصل عن لاحقه المخصّص للضّوابط؛ لكون أنّ هذا الحوار الكائن بين المسلمين والمسيحيين لا تقوم له قائمة وما كان ليحدث لولا وجود هذه المنطلقات أو الدّواعي؛ فهي متقدّمة عليه لكونه هو ينطلق منها ويؤسّس عليها.

وأما الفصل الثّالث المعنون بـ: "ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي"، فقد تحدّثت فيه عن أهمّ الضّوابط أو الشّروط المحدّدة والمقنّنة لبعض المسائل المتعلّقة بهذا الحوار؛ كمسألة المواضيع والأطراف المتحاورة والأزمنة والأمكنة وبعض الأمور الأخرى، وذلك في مباحث ثلاثة، تكلمت في المبحث الأوّل منها المعنون بـ: "الضّوابط عند محمد حسين فضل الله"، عن الشّروط والمحدّدات التي وضعها هذا الرّجل لضبط هذه المسألة، وذلك من خلال خمسة مطالب تناولت القضايا الآتيّة: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي، وأهليّة المتحاورين، واستنطاق كافّة المواضيع ومناقشتها، والفاعليّة في الحوار، والابتعاد عن الدّاتيّة وتجنّب الانفعاليّة، وفي المبحث الثّاني المعنون بـ: "الضّوابط عند موريس بورمانس"، تحدّثت عن الشّروط والقيود التي وضعها هذا الرّجل لضبط هذه المسألة كذلك، وذلك من خلال خمسة مطالب أيضًا تناولت القضايا الآتيّة: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي، وهويّة المتحاورين بوصف انتماءاتهم الدّينيّة والمذهبيّة؛ وهم بذلك طوائف شتى إسلاميّة ومسيحيّة، والمجالس الحواريّة وألويّة المكان والزّمان، واستدعاء الأبعاد الدّينيّة المشتركة؛ كالتّحاور في حضرة الله وكنفه والتّوبة إليه ومصالحة الآخر والسّعي إلى الشّهادة أو الاعتراف المتبادل والقيام بالمستحيل وتبني المخاطر، ثمّ استحضار المناهج والسّبل الفعّالة؛ كقبول الواحد للآخر

والتفاهم والعيش المشترك، وفي المبحث الثالث المعنون بـ: "المقارنة بين الضوابط عند الرجلين"، تحدّث عن أوجه الاتفاق وكذا أوجه الاختلاف بين الرجلين بخصوص هذه الضوابط، وذلك بالتطرّق إلى مجموعة من النقاط تجمّعت لديّ من خلال إجراء المقارنة بينهما في هذا المجال، وهي: المقارنة من حيث تحديد المفهوم، وطبيعة المتحاورين بين هويّة البنية وحتميّة الشروط، وثلاثيّة الحوار؛ الموضوع والزّمان والمكان، ومُعاشية الحوار بين الجدّيّة والتدبّن، والقيم الأدبيّة والحضاريّة، وتلك هي المطالب الخمسة التي احتواها هذا المبحث.

وفي الفصل الرابع المعنون بـ: "معوّقات الحوار الإسلامي المسيحي أو المبتنّطات الحوارية"، تحدّث عن أهمّ المشاكل والعقبات التي تعترض الحوار الإسلامي المسيحي وتُعرقل مسيرته بحيث لا تستقيم له أمور؛ إذ هو يتأثّر بها، سواء كان هذه العقبات من قبل المسلمين أو المسيحيين أو من طرفهما معاً مشتركين، وذلك من خلال مباحث ثلاثة، خصّصتُ أوّلها المعنون بـ: "المعوّقات عند محمّد حسين فضل الله"، للحدّث عن بعض المسائل والقضايا التي من شأنها الوقوف في طريق هذا الحوار في نظر هذا الرجل، من خلال مطالب خمسة تناولت: الانطباع التّكفيرى المتبادل أو التّراشق بالهرطقة بين أتباع الديانتين، وطبيعة المعتقدات والتشريعات والتي هي مختلفة بين الإسلام والمسيحيّة، والدّولة الإسلاميّة في لبنان، والانغلاق الفكري واستعمال الأساليب البدائيّة، والأطراف الخارجيّة أو العائق الأجنبي، وخصّصتُ ثانيها المعنون بـ: "المعوّقات عند موريس بورمانس"، للحدّث عن أهمّ المشاكل والعقبات التي تقف في طريق هذا الحوار في فكر هذا الرجل، من خلال أربعة مطالب تناولت: مظالم الماضي أو الصّدّامات القديمة خاصّة الحروب الصليبيّة والاستعمار الغربي للبلدان العربيّة والإسلاميّة وكذا التّصادم التّقافي الحضاري، والرّؤية المسيحيّة التّقليديّة للإسلام، والرّؤية التّقليديّة الإسلاميّة للمسيحيّة، وكلا هاتين الرّؤيتين تضمّان مجموعة من الصّور النمطيّة الكلاسيكيّة؛ كلّ فريق تجاه الآخر، والمعوّقات الحياتيّة المعاصرة؛ كالحزّبات الغذائيّة والشّرابيّة والرّيجات المختلطة والأفاليات الدّينيّة والصّدّام الحضاري الحالي بين الإسلام والغرب، وخصّصتُ ثالثها المعنون بـ: "المقارنة بين المعوّقات عند الرجلين"، للحدّث عن أوجه الشّبه وكذا أوجه الاختلاف بين الرجلين في هذه المسألة، وذلك في عدّة مسائل تكوّنت لديّ بفعل إجراء هذه المقارنة، من خلال مطالب أربعة تناولت: العوائق العقائديّة اللاهوتيّة، والعوائق الحضاريّة التّقافيّة، والعوائق التّاريخيّة السياسيّة، والعوائق الحياتيّة الواقعيّة.

وأما الفصل الخامس والأخير من هذا البحث المعنون بـ: "الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي"، فقد تحدّثتُ فيه عن آفاق الحوار الإسلامي المسيحي المستقبلية وأبعاده المختلفة التي يروم الوصول إليها ومعالجتها وتقديم حلول لها ومواكبتها، كونه السبيل المناسب لذلك، وكونه أيضاً حركة فكريّة متعدّدة المجالات والمقاصد، وقسمته إلى ثلاثة مباحث، عنونته الأوّل منها بـ: "الآفاق المستقبلية عند محمّد

حسين فضل الله"، وتطرقتُ فيه إلى تلك المسائل والقضايا التي يراها هذا الرجل متعلقة بهذا الحوار وكفيلة بتطويره من حيث صلته بها، وذلك من خلال مطالب أربعة تناولت: تطوير العلاقات الإسلامية المسيحية، ومواجهة الاستكبار العالمي والطغيان السياسي، وتحقيق الوحدة الوطنية في لبنان، ودعم القضية الفلسطينية ومواجهة الاحتلال الإسرائيلي، وعنوانُ ثانيها بـ: "الآفاق المستقبلية عند موريس بورمانس"، وتطرقتُ فيه إلى بعض المسائل والقضايا التي يعتبرها هذا الرجل أبعاداً حقيقية للحوار بين المسلمين والمسيحيين، إذ يجب على الطرفين التماسها أو ملامستها من خلال تحاورهما، وذلك في مطالب أربعة تناولت: إنماء التعاون المسيحي الإسلامي، وتحقيق التقارب المسيحي الإسلامي، وتطوير حركة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وتجديد العلاقات المسيحية الإسلامية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وعنوانُ ثالثها بـ: "المقارنة بين الآفاق المستقبلية عند الرجلين"، وأبرزتُ فيه أهم أوجه الاتفاق وأوجه الافتراق بينهما في هذه المسألة، وذلك من خلال عدّة قضايا تشكّلت لديّ من جرّاء المقارنة بين الرجلين في هذا المجال، حيث أدرجتُ تحته مطالب أربعة تناولت: بناء علاقة إسلامية مسيحية، والحوار الإسلامي المسيحي بين الضرورة والتطوير، وبين المكاسب السياسية والمقاصد الدينية، وبين الأغراض القومية والمقاصد العالمية، وقد ارتأيت تأخير هذا الفصل إلى هذا الموضوع، كونه يحمل إستراتيجية ومخططاً واقعياً للحوار الإسلامي المسيحي، الأمر الذي لا يتأتى إلا بعد المرور على محطات سابقة كثيرة؛ وهي التي تكلمتُ عنها في الفصول الثلاثة السابقة له.

وبالنسبة لكلّ هذه الفصول الخمسة المشروحة أعلاه، مهّدتُ لها بداية بتمهيدات مناسبة لها كمدخل لمباحثها أو تعريف لبعض المصطلحات والعناصر التي ستطرّق لها، كما ختمتها بخلاصات ملخّصة لها وحاملة أهمّ النتائج الجزئية المتوصّل إليها من خلالها.

ثمّ ختمتُ كلّ ذلك بخاتمة عامّة وشاملة، عرضتُ فيها أهمّ النتائج التي توصّلتُ إليها ببحثي في هذا الموضوع، مرّكزاً على إبراز أوجه الشبه وكذا أوجه الاختلاف بين الرجلين في مسألة الحوار الإسلامي المسيحي، سواء كان ذلك بالتفصيل أو بالعموم، وبعد ذلك ذيلتُ هذه الدراسة ببعض التّوابع والتّكميلات تمثّلت في بعض الملاحق ذات العلاقة الوثيقة بالموضوع إتماماً للفائدة، وقائمة المصادر والمراجع للإطّلاع عليها والرّجوع إليها عند مقتضى الحال للاستفادة أكثر، وعدّة فهرس؛ كفهرس الآيات القرآنية وفهرس فقرات الكتاب المقدّس وفهرس الملتقيات والتّدوات الحوارية وفهرس المحتويات، كلّ ذلك توفيراً لجهود القارئ واستثماراً لوقته، واحتكاماً للمنهجية العلمية.

❖ الفصل الأول: مدخل مفاهيمي تراجمي .

➤ تمهيد .

➤ المبحث الأول: ماهية الحوار الإسلامي المسيحي .

- المطلب الأول: الحوار الإسلامي المسيحي، الدلالات الاصطلاحية وأبعاد المفهوم.
- المطلب الثاني: منطلقات الحوار الإسلامي ودوافعه.
- المطلب الثالث: مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي، النشأة والتطور.
- المطلب الرابع: مواضيع الحوار الإسلامي المسيحي وأهدافه.

➤ المبحث الثاني: ترجمة محمد حسين فضل الله .

- المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته.
- المطلب الثاني: مساره العلمي والفكري.
- المطلب الثالث: وفاته وآثاره.
- المطلب الرابع: فضل الله وثقافة الحوار والانفتاح والوحدة.

➤ المبحث الثالث: ترجمة موريس بورمانس .

- المطلب الأول: مولده ونشأته.
- المطلب الثاني: المسار المهني والفكري.
- المطلب الثالث: وفاته وآثاره.
- المطلب الرابع: بورمانس وقضية الحوار الإسلامي المسيحي.

➤ خلاصة الفصل .

تمهيد:

"الحوار الإسلامي المسيحي بين محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس -دراسة مقارنة-"، يحمل هذا العنوان المتواضع بعض الجُمَل المحتاجة إلى توضيح معانيها أو دلالاتها الاصطلاحية، وبيان المراد منها؛ حتى يكون القارئ على دراية بما قبل الخوض في لجج موضوع البحث؛ لذلك فإنّ هذا الفصل هو بمثابة مفاتيح لِمَا أُغْلِقَ من محاور واردة بمباحثه، والمعلومات الواردة فيه هي عبارة عن معارف ممهّدة لِمَا هو آتٍ في بقية الفصول؛ ذلك أنّ بمثابة التمهيد الممهّد لما يأتي من بعده من أفكار، والذي لا يمكن الاستغناء عنه، إذ لا نستطيع الولوج في هذا الموضوع مباشرة ما لم نتبيّن معالمه الكبرى أو المحوريّة أو الأساسيّة، ولو بصورة مجملّة مختصرة.

بهذا الوصف، يُمكن حصر المغاليق التي يحويها عنوان هذه الدّراسة ويشتمل عليها في ثلاث نقاط كبرى مُتضمنة في الاستفهامات الآتية:

أولاً- ما المقصود بالحوار الإسلامي المسيحي؟، وما هي مُقتضياته؟. ثانياً- مَنْ هو محمد حسين فضل الله؟. ثالثاً- مَنْ هو موريس بورمانس؟.

وعليه قسّمْتُ هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث أساسيّة قصد الإجابة على التّساؤلات المطروحة آنفًا، وذلك ببحثها واستنطاقها، وفق النّقاط الآتية:

* ماهيّة الحوار الإسلامي المسيحي. * ترجمة محمد حسين فضل الله. * ترجمة موريس بورمانس.

ومن خلال بحث هذه النّقاط وتوضيحها، يكون من السّهل بعد ذلك استساغة الأفكار والمعلومات الواردة في الفصول الأخرى؛ إذ هي كلّها مبنية على معلومات وأفكار هذا الفصل الذي يأتي في مقدّمها كأساس لها، وإن كان لا يدخل ضمن تركيبها الأساسيّة، إلّا أنّه ضروريّ لمثل هكذا مواضيع، ولأنّه يحمل في ثناياه مفهومًا واسعًا وشاملاً وترجمتين اثنتين لعلمين إثنين، كان تعبيره عنه أو صياغته بـ: (مدخل مفاهيمي تراجمي).

المبحث الأول: ماهية الحوار الإسلامي المسيحي.

في هذا المبحث أُحاول استقراء الحوار الإسلامي المسيحي واستنطاقه، وذلك بُغية تقريبه للأفهام والمدارك، ولا يتم هذا المبتغى إلا بالحديث عن هذه القضية من مختلف جوانبها، مُتوخِّيًا -هاهنا- تبيين مفهومه ونشأته وتاريخه ومنطلقاته، ثم موضوعاته وأهدافه، كل ذلك إنطلاقًا من إشكالية تبحث عن حقيقة هذا الحوار وما يتعلّق به من مسائل وأمور.

المطلب الأول: الحوار الإسلامي المسيحي، الدلالات الاصطلاحية وأبعاد المفهوم.

قبل توضيح معنى مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي بصورة كلية متكاملة، ينبغي الوقوف على كل مصطلح من مصطلحاته مُنفردًا عن غيره، بالتّعريف والبيان؛ حتى تتضح معالم هذا المفهوم بصفة شاملة، ويُدرك إدراكًا تامًّا، وعند تفكيك عنوان هذا المطلب، تتّج المصطلحات الآتية: الحوار، الإسلام، المسيحية، وفيما يأتي تعريفٌ بكل واحد منها.

أولاً- تعريف الحوار:

1- **المعنى اللغوي:** لفظة الحوار -لغويًا- مشتقة من الفعل الرباعي؛ حَاوَرَ يُحَاوِرُ مُحَاوَرَةً أو حِوَارًا، ومردّد ذلك إلى كلمة (حور)؛ فالحاء والواو والراء أصلٌ في الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، يُقال: "رجع عن الشيء وإليه"، وحوار؛ إذا رجع، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ (الانشقاق: 14)، والعرب تقول: "الباطل في حور"؛ أي في رجوع ونقص، فكل نقص ورجوع حور، والحوار مصدر حار حورًا؛ أي رجع رجوعًا، ويُقال: "نعوذ بالله من الحور بعد الكور"؛ أي من النقصان بعد الزيادة، وتقول: "كلمته فما أحرار إلى جوابًا"؛ أي كلمته فلم يرجع إلى جوابًا، وفي المثل: "حور في محارة"؛ معناه نقصان في نقصان ورجوع في رجوع، وهذا المثل يُضرب للرجل إذا كان أمره يُدبر، والمحار؛ المرجع، قال الشاعر:

نحن بنو عامر بن ذبيان والنّا
س كهام محارهم للقبور

أي مرجعهم للقبور.¹

¹ - ينظر: أحمد ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر، 1399هـ/ 1997م، ج2، ص117، وجمال الدين بن منظور: لسان العرب، دط، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1431هـ/ 2010م، ج5، ص296-297.

والمحاورة؛ المجاوبة، والتحاور؛ التجاوب، تقول: "حاورته مُحاوراً؛ أي جابته مُحابوة".¹

وبعد هذا العرض للمعاني اللغوية لكلمة (الحوار)؛ نجد أنها تدور حول: الرجوع والمراجعة والتقصان والمجاوبة والمحادثة.

2- المعنى الاصطلاحي: الحوار كما غيره من المصطلحات الأخرى، عُرِّف بتعريفات عدة من قِبَل بعض الباحثين والدارسين، وهذه التعريفات وإن تباينت من حيث البنى الشكلية والعبارات الكلامية، إلا أنها تكاد تُجمع على معنى واحد أو مُتقارب لمفهوم الحوار، ولذلك سأستعرض أو أُورد -فيما يأتي- في هذا المقام جملة منها، قصد الإحاطة بمعظم المعاني الاصطلاحية لهذه الكلمة، فمن ذلك:

يُعرِّف الحوار بأنه: "مراجعة للكلام بين طرفين أو أكثر، دون وجود خصومة بينهم بالضرورة".²

أو أنه: "محادثة بين شخصين، يتحدث أحدهما ويُجيبه الآخر، أو يردُّ عليه ويُراجعُه؛ إمَّا على أساس المساءلة والإجابة، وإمَّا على أساس إبداء الرأي من جهة، ومراجعته من طرف الجهة الثانية".³

أو هو: "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما بالكلام دون الآخر، ويعُلب عليه الهدوء والبُعد عن الخصومة والغضب، ومثال ذلك: ما يكون بين صديقين في دراسة أو زميلين في عمل، أو مجموعة في نادٍ أو مجلسٍ أو سهرة".⁴

وإذا استقرنا هذه التعريفات السابقة الذكر، نجدُها في الغالب مُستقاة من المعنى اللغوي، أو هي موظفة له بطرائق مختلفة؛ إذ قَصرت وظيفة الحوار على المحادثة والمراجعة والكلام والمجاوبة في الحديث، دون التعرُّض لوظائفه الأخرى، وفي الجهة المقابلة، نجد من الباحثين مَنْ ينتقل بالحوار من المعنى التقليدي الشائع المستهلك، إلى معنى أخصّ وأعمق؛ مُرتبط بالجوانب السياسية والأيدولوجية والثقافية والحضارية المواكبة لروح العصر وتطوّراته، فيغدو بذلك -أي الحوار- مفهوماً من المفاهيم حديثة النشأة، ومُصطلحاً معاصراً ظهر في الأعوام الأخيرة.

¹ - محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ/ 1981م، ص161.

² - أحمد بن سيف الدين تركستاني: الحوار مع أصحاب الأديان -مشروعيته وشروطه وآدابه-، ورقة مقدّمة للجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، 1425هـ/ 2004م، ص05.

³ - محمد الكتاني: ثقافة الحوار في الإسلام من التأسيس إلى التأصيل، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1428هـ/ 2007م، ص12.

⁴ - موسى بن يحيى الفيضي: الحوار -أصوله وآدابه وكيف نرتي أبناءنا عليه؟-، دط، دار الخضير للنشر، المدينة المنورة، السعودية، 1427هـ، ص30.

وبهذا يأخذ الحوار معنىً جديداً وُبعداً حديثاً، يتمشى ومُستجَدات الوقت الرَّاهن، وفي هذا السِّياق يُؤكِّد التَّويجيري* على أنَّ "مفهوم الحوار في الفكر السِّياسي والثَّقافي المعاصر من المفاهيم الجديدة حديثة العهد التَّداول، ولعلَّ ما يدلُّ على جدَّة هذا المفهوم وحدانته؛ هو أنَّ جميع المواثيق والعهود الدَّوليَّة التي صدرت في الخمسين عامًا الأخيرة، تخلو من الإشارة إلى لفظ الحوار؛ فليس الحوار -إذن- من ألفاظ القانون الدَّولي، وعلى هذا الأساس فإنَّ الحوار مفهوم سياسيٌّ أيديولوجيٌّ ثقافيٌّ حضاريٌّ، وليس مفهومًا قانونيًا"¹.

إنَّما لهذا المعنى، يُضيف الكتَّاني**؛ أنَّ الحوار يَدعم قيم التَّعايش بين الأمم والشَّعوب، والتَّعارف فيما بينها لرفع تحدِّيات العصر، ومن أجل هذا فهو حتمية من حتميات التَّاريخ المعاصر،² ويُضيف قائلاً: "وإنَّ ممَّا زاد من الأخذ بالحوار كأسلوب مرغوب فيه للتَّعاطي مع الأزمات بكلِّ أشكالها؛ تطوُّر وسائل الإعلام والتَّواصل، وانفتاح الأبواب على مُصْراعيها أمام تدقِّق المعلومات، وتمازج الحضارات والثَّقافات"³، وبهذا لا يكون الحوار مُجرَّد آليَّة من آليات التَّعايش بين مُختلف الأجناس والأعراق، بل يكون كذلك عامل بناء وتشبيد وتواصل فكريٍّ وعمليٍّ، وأنموذج من نماذج التَّعاون والتَّآلف بين الجميع، في كافَّة المجالات على مرِّ الأزمان.

ومن هذا المنطلق يكون للحوار أنواعٌ عديدة، نذكر منها:⁴

أ- حوار الحياة (التَّعايش)؛ الذي يهتمُّ بالآخر، وتفهمُّ خلفياته، والاعتراف بتميَّزاته، ومن ثمَّ بناء عيش مُشترك معه على قاعدتيّ؛ التَّفاهم والاعتراف.

* عبد العزيز التَّويجيري (ت 1439هـ/ 2018م)، معلِّم شريعة وداعية سعودي، ولد في السَّعودية وفيها نشأ، وهو أحد منتسبي المعهد العلمي في الدَّرعية، عمل بمنصب إمام مسجد في مدينة الرياض، ثمَّ ترك وظيفة الإمامة وتفرَّغ للإرشاد والدَّعوة الإسلاميَّة خارج السَّعودية، والتي تنظَّم عبر مؤسسات دينيَّة خيريَّة، أُغتيل بإطلاق النَّار أثناء عمله الدَّعويِّ في غينيا بتاريخ: 2018/01/17م، من مؤلَّفاته: العالم الإسلامي في عصر العولمة، الحوار من أجل التَّعايش. (https://www. Aljazeera.net).

¹ - عبد العزيز بن عثمان التَّويجيري: الحوار من أجل التَّعايش، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1419هـ/ 1998م، ص11.

** محمَّد الكتَّاني (1940-1990م)، ولد بفاس بالمغرب، ودرس بجامعة القرويين، وهو إمام وباحث من رواد الفكر الإسلامي في المغرب الأقصى، وأحد مؤسسي الحركة الوطنيَّة المغربيَّة، تميَّز بالتوفيق بين الفكر الإصلاحي المشرقي والتَّصوص الشرعيَّة، كما هو مهتمُّ بالاجتهاد والإبداع، من مؤلَّفاته: الدَّعوة إلى استقلال الفكر في الإسلام، سلفيَّة الإمام مالك. (موقع اتحاد كتاب العرب: uemnet.free.fr).

² - محمَّد الكتَّاني: ثقافة الحوار في الإسلام من التَّأسيس إلى التَّأصيل، مرجع سابق، ص05.

³ - المرجع نفسه، ص06.

⁴ - محمَّد السَّمَّاك: مقدِّمة إلى الحوار الإسلامي-المسيحي، ط1، دار النَّفائس، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م، ص143.

ب- حوار العمل؛ والمقصد منه العمل معًا اجتماعيًا وإنسانيًا واقتصاديًا، ومن شأن ذلك أن يُحقق إنصهارًا مجتمعيًا وتداخلًا في العلاقات وتكاملاً في المصالح.

ج- حوار النقاش؛ ويتمحور هذا النوع حول النقاش الفكري وحتى العقائدي، وليست غايته توحيد الديانات، إنما تفاهمها، وليست الوسيلة إلى ذلك التوافق أمام التباينات، بل البحث عن المشترك فيما بينهما.

د- حوار التجارب؛ بما في ذلك التجارب الدينية، وهنا أيضًا، ليست الغاية ممارسة العبادة مثل الآخر، ولكن إدراك حقيقة بأن الآخر يُمكن أن يعبد الله بطريقة مختلفة يراها هو أنها مناسبة.

إن الحوار بهذا النمط يختلف تمامًا عن الجدل؛ إذ أنه يقوم على مبادئ وأسس سليمة من التعصب والتشنج، كما أنه يدور بين طرفين مُتفقين على فكرة مُعيّنة، يتخذان من الحوار وسيلة لبحثها ودراستها في جو يسوده الهدوء، بعيدًا عن مواطن الانفعال والهيجان والاضطراب، في حين يفتقد الجدل لمثل هذه المواصفات؛ لأنه في كثير من الأحيان أو في أغلبها يصحبه الانفعال أو الحماس الذي يصل في بعض المرات إلى السب والشتم والخصومة، وهذا هو الفرق بين هذين المصطلحين المتجاورين المتضادين، وتقريرًا لذلك يقول فضل الله:

"عاشت هاتان الكلمتان في حياة الإنسان ووعيه منذ أن بدأ يُواجه الحياة الاجتماعية، التي تختلف فيها الآراء وتتوَعع عندها الأفكار، لتجسد له المعنى الذي تنطلق فيه أفكاره في مجال العرض وفي ميادين الصراع، فقد يحدث له من أجل إعطاء فكرته صفة الوُضوح؛ التي تتمثل في النفاذ إلى كلِّ جانب من جوانبها، لئلا تبقى هناك حاجة للاستفهام أو المعارضة النَّابجة عن خفاء بعض القضايا الملحة... وهذا ما نلتقي معه في كلمة الحوار. وقد يحدث له -في حالة أخرى- أن يُخوض الصراع من أجل فكرته ضدَّ المعارضين له؛ فيتحوّل الموقف إلى صدام تتجاذبه حالة الكرّ والفرّ والهجوم والدفاع، وتُهيمن عليه أجواء التوتّر الفكري والتفسي والكلامي... وهذا ما تُوجيه لنا كلمة الجدل"¹ الذي يسعى من خلاله كلّ فريق إلى نُصرة رأيه، فيتعصب له ولو كان مُجانبًا للصواب؛ لأنّ المغزى من الجدل؛ الغلبة والانتصار على الخصم.

¹ - محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، مُعطياته-، ط5، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1996م، ص49.

إضافة إلى الجدل، تتصل بالحوار أو تتعلق به مصطلحات شبيهة به من حيث المبنى، مُختلفة عنه من حيث المعنى، وفي هذا الصدد يُفترق طه عبد الرّحمان* بين ثلاثة مستويات أو ثلاث مراتب من الحوار؛ هي أصولٌ للتخاطب بين الناس، تتمثل في: مرتبة الحوار، مرتبة المجاورة، مرتبة التّحاور.¹

أ- مرتبة الحوار أو النظريّة العرضيّة الحوارية: وفيها يتمّ اعتماد الآليّة الخطائيّة التي يُطلق عليها اسم "العرض"، وذلك بالاعتقاد في صدق الأمر المعروض إلزامًا به للمعروض عليه، وشُرط هذا العرض أنّ تصحبه الأدلّة كما يصحبه اليقين بصدق تلك الأدلّة وصحّة الاستدلال بها، ويستند هذا النوع إلى أنموذجين صوريين؛ أنموذج البلاغ وأنموذج الصدق، ولكلّ منهما ضوابط وشروط، كما أنّ النصوص الحوارية التي تعمل بها آليّة العرض يُمثلها نوعان من الحوار؛ حوار فلسفي يُدعى بالحوار الشبهي؛ لأنّ المجاور فيه يتظاهر بإشراك غيره في طلب المعرفة وإنشائها وتشقيقها، بينما هو في حقيقة الأمر مُستأثرٌ بالأمر بنفسه؛ إذ يُبلي بطريقة غير مباشرة على الطرف الآخر ما سبق تديره من مسائل بمناهج محدّدة من قبل، وأيضاً نتائج مقرّرة أو معلومة لديه من قبل، وحوار عملي يُدعى بالحوار الحقيقي؛ لأنّ المجاور فيه يُطلع نظيره أو مُحاوره على النتائج والمراحل والوسائل في المسألة الحوارية، مُستعيناً في ذلك بما اكتسب من معارف مضبوطة، وبما حصل من تقنيات بُهائيّة وتجارب علميّة مُتعلّقة بما استجدّ من إنشغالات البحث العلمي،² وهذا النوع قريبٌ من الجدل القائم على الانفراد بالحديث والاستئثار به وحُبّ الظهور على الخصم.

ب- مرتبة المجاورة أو النظريّة الاعتراضية الحوارية: وفيها يتمّ اعتماد آليّة خطائيّة تُدعى بـ "الاعتراض"، وحدّه أنّ يتعاون المعروض عليه مع العارض في إنشاء معرفة نظريّة مشتركة، مُلتزمًا في ذلك بأساليب معيّنة مُقنعة وكفيلة بتحقيق المقصود، وعليه فإنّ الاعتراض يتميّز بخصائص منها: الفعلية الاستجابية والإدبارية والاستشارية والتّقييمية والتّشكيكية والسّجاليّة، ولا يتمّ ذلك إلّا وفق شروطٍ معيّنة منها: كونه؛ أي الاعتراض - أو المسألة الاعتراضية - موافقة لعارضها من عدّة نواحي؛ كالموضوع والغرض والمنطوق والحجّية

* طه عبد الرّحمان باحث وفيلسوف مغربي ولد عام 1944م بالمغرب، مُتخصّص في المنطق وفلسفة اللّغة والأخلاق، ويُعدّ من أبرز الفلاسفة والمفكرين في مجال التّداول الإسلامي العربي منذ بداية السّبعينات من القرن العشرين، درس بجامعة محمّد الخامس بالرباط حتّى حصل على الإجازة في الفلسفة، واستكمل دراسته بجامعة السّوربون، وتحصّل منها على إجازة ثانية في الفلسفة ودكتوراه السّلك الثالث عام 1972م، عمل منصب أستاذ للمنطق والفلسفة بجامعة محمّد الخامس منذ 1970م حتّى تقاعده عام 2005م، وهو عضو في الجمعية العلميّة للدراسات الحجاجيّة وممثّلها في المغرب، وعضو في المركز الأوربيّ للحجاج، متحصّل على عدّة جوائز في مختلف المجالات، من مؤلّفاته: منطق الفلسفة، اللّغة والفلسفة، المنطق والتّحو الصّوري... (موقع فلاسفة العرب: www.arabphilosophers.com).

¹ - عبد الرّحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، 2000م، ص33.

² - المرجع نفسه، 38-41.

والاستدلال، ويستند هذا النوع إلى أنموذجين صوريين؛ هما الإبلاغ والقصد، كما أنه وتبعاً للكيفية التي يشتغل بها ينقسم إلى نوعين من المحاور؛ المحاور القريبة (المناظرة)؛ التي قوامها النظر من جانبيين في مسألة من المسائل قصد إظهار الصواب فيها، والمحاور البعيدة (التناص)؛ والمقصود به تعالق النصوص بعضها ببعض، سواء كان هذا التعالق بطريقة ظاهرة واضحة أو باطنة مستترة،¹ وهذه المرتبة هي أقرب إلى مفهوم الحوار الذي تتعاون فيه الأطراف المتحاور على النظر في أمرٍ معين، قصد توضيحه أو وضع أطر علمية ومعرفية له، لا تتخذ التدابير اللازمة فيما يخصه.

ج- مرتبة التماور أو النظرية التعارضية الحوارية: وفيها يتم اعتماد الآلية الخطابية التي تسمى "التعارض"، ومعناه أن يتقلب المتحاور بين العرض والاعتراض مُنشأً معرفة تناظرية معينة، من قواعدها عدم التنصيص على شيء من غير تخصيصه، وسُلوك طرق التقابل في الخطاب، وإستحضار الاعتراض على الأقوال المدعية، ومعنى ذلك؛ أن المتحاور ينشق إلى ذاتين أو شخصيتين؛ واحدة عارضة تُنبث منطوق القول، وأخرى مُعتزضة تصل المنطوق بالمفهوم المخالف، وعليه فإنّ التعارض يشتمل جميع المستويات الدلالية للخطاب سواء كانت منطوقات أو إقتضاعات أو مفهومات، ويتبع هذا أقساماً لغوية قائمة على مبدأ التعارض؛ كقسم الاشتراك اللفظي وقسم الأضداد، ويستند هذا النوع كسابقه إلى أنموذجين صوريين؛ أحدهما تبليغي والآخر تفاعلي، ويمثل التعارض إجتاهان؛ أحدهما التناظر الرأسي، وفيه ينقلب المتحاور في أحوال كثيرة في محلّ واحد ووقت واحد، والآخر التناظر الأفقي الذي يُعتمد فيه على مبدأ تعدد أفعال الخطاب في القول الواحد، واختلاف ذوات المخاطب وذوات المخاطب.² والنّاظر في هذه المرتبة يجد أنّها مرتبة ذاتية تداخلية متناقضة؛ لأنّ المتحاور هو نفسه العارض والمعترض، وكأنّه يقوم بحوار داخلي قوامه الأخذ والردّ.

ثانياً- تعريف الإسلام:

1- المعنى اللغوي: يُشتق الإسلام لغويًا من الفعل الرباعي؛ أسلم يسلم إسلامًا، والسلم؛ الاستسلام، والتسالم؛ التصالح، والمسالم؛ المصالحة، والاستسلام؛ الإذعان والانقياد، وهو مصدر يقع على الواحد والاثنتين والجمع، واستسلم؛ إنقاد، والإسلام؛ الانقياد، ومنه كان الإسلام من الشريعة؛ إظهار الخضوع وإظهار الشريعة والتزام ما جاء به النبيّ، وعليه يكون الإسلام باللسان والإيمان بالقلب، يُقال: "فلان مسلم" فيه قولان؛ أحدهما هو المستسلم لأمر الله، والثاني هو المخلص لله في العبادة، من قولهم: "سلم

¹ - طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص 42-47.

² - المرجع نفسه، ص 48-54.

الشيء لفلان"؛ أي خلّصه، وسلّم له الشيء؛ أي خلّص له، والمسلم التام الإسلام؛ مظهر للطاعة مؤمن به.¹

وجاء في مُختار الصّحاح: أنّ السّلام؛ الاستسلام، والسّلام الاسم من التّسليم، والسّلام؛ إسم من أسماء الله تعالى، والسّلام؛ البراءة من العيوب في قول أمية، وقرئ: ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا﴾ (الزّمر: 29)، وسلّم إليه الشيء فتسلّمه؛ أي أخذه، والتّسليم؛ بذل الرّضا بالحكم، وأسلم أمره لله أو إلى الله؛ أي سلّم له، وأسلم؛ دخل في السّلم بفتحين، وأسلم؛ من الإسلام، والتّسلم؛ التصالح، والمسالمة؛ المصالحة، واستسلم؛ إنقاد.² ومن خلال ما سبق سرّده من ضوابط لغويّة، يُمكننا استخلاص أنّ الإسلام في اللغة يدور حول معاني؛ الانقياد والخضوع والإقرار والمصالحة والخنوع والتّسليم والاستسلام.

2- المعنى الاصطلاحي: الإسلام في الاصطلاح له معنيان؛ معنى عام ومعنى خاصّ، فأما المعنى العام فإنّه يدور حول الاستسلام والانقياد للخالق جلّ وعلا؛ فهو بهذا -أي الإسلام- إسمٌ للدين الذي جاءت به جميع الأنبياء والمرسلين، فنوح عليه السّلام قال لقومه: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس: 72)، ويعقوب عليه السّلام أوصى أولاده قائلاً: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 132-133)، ﴿وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 132-133)، وموسى عليه السّلام قال لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (يونس: 84)،³ وفي هذا المعنى قال الله تعالى حاكياً عن إبراهيم عليه السّلام؛ مبيناً لعقيدته وطريقته في الإيمان: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: 67)، فعلى هذا المعنى، يكون كلّ من خضع لله واستسلم له وانقاد لإرادته ولم يُخالف أوامره؛ مسلماً بالإطلاق العام.

وأما الإسلام بالمعنى الخاص فهو يعني؛ تلك الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين إلى العالمين، والتي لا تقتصر على جنس أو قوم، ولكنها إلى الناس كافة، وهي بهذا شريعة عالميّة متكاملة، وبدل

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج15، ص181-192.

² - محمّد الرازي: مُختار الصّحاح، مصدر سابق، ص131.

³ - عبد الصّبور مرزوق: الإسلام، مقال ضمن: الموسوعة الإسلاميّة العامّة، إشراف: محمود حمدي زقزوق، دط، القاهرة، مصر، 1424هـ/2003م، ص139.

على هذا أنّ الرسول قبله ﷺ كان يُرسل إلى قومه خاصّة، كما حكّت آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وإلى عادِ أخاهم هودًا قال يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ (الأعراف: 65)، وقوله أيضا: ﴿وإلى ثمودَ أخاهم صالحًا قال يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ (الأعراف: 73)، وقوله كذلك: ﴿وإلى مدينَ أخاهم شعيبًا قال يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ﴾ (الأعراف: 85)...، أمّا رسول الإسلام فقد أرسل للناس كافّة، وخاطبه القرآن قائلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ (الأنبياء: 107) وأيضا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (سبأ: 28).¹

والإسلام نظامٌ متكاملٌ، من مقاصده حفظ النفس والدين والعقل والتسل والمال، وهو يضمن حرّية المعتقد، والمساواة بين المسلمين في جميع الحقوق والواجبات، والعدل بين المواطنين؛ مسلمين وغير مسلمين، وينهى عن الظلم من أيّة جهة أتى، ويأمر بالشورى، ويمنع توريث الحكم لظالم، ويجعل الولاية للأمة، والسّيادة للشّرع، ويحثّ على التعلّم ووحدة المجتمع وتكافله وتضامنه، ويطلب بالاعتدال في كلّ أمر من أمور الدّين والدنيا.²

والمسلمون هم المينتمون لهذا الدّين، المينبعون لأحكامه وتعاليمه، الخاضعون لسُلطانه، وهم أحد طرفي هذا الحوار القائم بينهم وبين المسيحيين.

ثالثاً- تعريف المسيحية:

1- **المعنى اللغوي:** تعود لفظة "المسيحية" إلى لفظة "المسيح"، ويشتق "المسيح" لغويًا من الفعل؛ مَسَحَ بِمَسْحٍ مَسْحًا؛ فهو مسيح، والمَسْحُ في اللغة؛ هو إمْرَازُ اليدِ على الشّيءِ السائلِ أو المِتَخَثِرِ لإِذْهَابِهِ كالتَّمْسِيحِ والتَّمْسِيحِ، والنَّعْتِ؛ أَمْسَحُ وَمَسَحَاءُ، والمسيح؛ جمعُ مَسْحَاءٍ وَمَسْحَى؛ أي الممسوح بالدهن، الحَسَنُ الوجه، الجميل، الكثير السّياحة، ذو البركة، والدِّجَالِ؛ مسيخٌ لكونه ممسوح العين أو ممسوح الوجه، والكذّاب؛ ماسح لأنّه يمسح الحقّ ويخفيه، ويُقال: "عليه مسحة من جمال"؛ أي شيء منه، والممسوح؛ الذّهاب في الأرض، وامتسح السّيف؛ استلّه، ومسحهُ بالسّيف؛ قطعه، ومسح عُنقه؛ قطعها، والماسح؛ القتال، "مَسَحَ القوم قتالًا"؛ أي أنحن فيهم، والماسحة؛ جمع مواسح وهي الماشطة، والممسح؛ جمع أمساح ومُسُوح وهو الكساء من الشّعر، الذي يلبس تقشّفًا وزُهْدًا وقهْرًا للجسد، والممسحة؛ المرّة من مَسَحَ وهي أثّر

¹ - عبد الصّبور مرزوق: الإسلام، مقال سابق، ص 139.

² - أسعد السّحمراني وآخرون: موسوعة الأديان (المبسّرة)، ط5، دار التفائس، بيروت، لبنان، 1432هـ/ 2011م، ص 82.

خفيف يبقى من المسح، والأمسح؛ مفرد مسحاء وجمع مسح وهو من كان به مسح، وهو من لا أخص له، والمسحاء؛ المرأة التي ما لثديها حجم، يُقال: "امرأة مسحاء الثدي"، والمساحي؛ الأرض المستوية ذات حصى صغير لا نبات فيها، والممسح والممسحة؛ ما يُمسح به، وتَمَسَحَ الرَّجُلَانِ؛ أي تَصَادَفَا أو تَبَايَعَا فتصافحا، يُقال: " تَمَسَّحُوا على كذا"؛ أي تحالفوا، و"التقوا فتَمَسَّحُوا"؛ أي تصافحوا، وَمَسَّحَ الأَرْضَ مَسَاحَةً؛ أي قاسها وقسمها، والمساح؛ الذي يمسح الأرض.¹

ومنه نستنتج أنّ لفظة المسيحية في اللغة تُوحى بمعاني عديدة ك: الإمرار بلطف والحسن والجمال والدجل والكذب والذهاب والقطع والقتل والاستلال والحلقة والاستواء والسياسة والاستواء والتحاليف والقياس... .

2- المعنى الاصطلاحي: قبل الخوض في تبيان المعنى الاصطلاحي للمسيحية، تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الديانة اشتهرت على مرّ التاريخ البشري بتسميتين بارزتين؛ هما: النصرانية والمسيحية، وهاتان التسميتان وبغض النظر عمّا بينهما من اختلاف أو توافق*، فإنهما تدلان على الديانة السماوية المنسوبة إلى المسيح عيسى عليه السلام، والتي ظهرت في التاريخ الزمني والإنساني قبل الإسلام بحوالي ستة قرون كاملة؛ فهي أسبق منه من حيث الظهور.

وعلى كلّ حال؛ فالمسيحية هي الرسالة التي أنزلها الله تعالى على عبده ورَسُوله عيسى ابن مريم عليه السلام إلى بني إسرائيل، بعد أن انحرفوا وزاغوا على شريعة موسى عليه السلام، وغلبت عليهم النزعة المادية،

¹ - ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1426هـ/ 2005م، ص241-242، ولويس معلوف: المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دت، ص760-761.

* أورد الباحثون في حقل الأديان المقارنة بعض الفروق حول النصرانية والمسيحية، أجمعت على أنّ الفرق الأساسي بينهما يتمثل في كون النصرانية؛ هي الديانة الأصلية التي جاء بها المسيح عليه السلام، والتي لم تحاول الانفصال عن الديانة اليهودية؛ لأنها كانت حركة دينية إصلاحية ضمنها، ولم يخرج نطاقها عن فلسطين، باعتبارها ديانة قومية محلية، أما المسيحية؛ فهي النصرانية في ثوبها المحرّف، وهي تُنسب إلى بولس الرسول الذي قلب نصرانية عيسى رأساً على عقب، وغيّر في كثير من معالمها، وحوّلها من رسالة محلية إلى رسالة عالمية تبشيرية خرجت عن التطاق الفلسطيني إلى حدود أوسع وأشمل، كما أنّها ناقضت معتقدات اليهودية بشكل سافر؛ فإنّ المؤسسة الدينية اليهودية لم تصم المسيحيين بالهرطقة، لأنها اعتبرت المسيحية ديانة جديدة لا علاقة لها باليهودية أصلاً ولا هي متفرعة عنها. (أنظر: محمد فاروق الزين: المسيحية والإسلام والاستشراق، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1422هـ/ 2002م، ص107-111، وجمال الدين شراوي: قضايا مثيرة في المسيحية والإسلام، ط1، مكتبة التآفة، الجزيرة، مصر، 2006م، ص215-220).

كتابها الإنجيل، أو العهد الجديد بصفة أشمل، وهي مُتَمِّمة لما جاء في التّوراة أو لليهوديّة، داعية إلى التّوحيد والفضيلة والتّسامح.¹

واستناداً إلى تسميتها بالنّصرانيّة، يُطلق على أتباعها النّصارى؛ جمع نصراني نسبة إلى النّاصرة؛ وهي القرية الفلسطينيّة التي وُلد فيها المسيح، أو إشارة إلى صفة من صفاتهم؛ وهي نُصرتهم لعيسى عليه السّلام، وتناصُرهم فيما بينهم، وكان هذا خاصّاً بالمؤمنين منهم أوّل الأمر، ثم أُطلق عليهم كلّهم على وجه التّغليب، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَنَّا طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾ (الصّف: 14)،² وقد أورد الله تعالى في القرآن شهادتهم على أنفسهم بأنهم نصارى، فقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوٓا أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ ﴿ (المائدة: 14)، وقال أيضاً: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّوٓا﴾ (المائدة: 82)، كما نعتهم الله بهذا الوصف في عدّة آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرِيُّوٓا عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرِيُّوٓا لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (البقرة: 113).

وقد أُطلق على أتباع الديانة النّصرانيّة في القرآن الكريم؛ نصارى*، وأهل الكتاب**، وأهل الإنجيل***، ولم ترد تسمية المسيحيّة فيه ولا في السنّة، وهي -أي النّصارى- تسمية لا توافق واقع المسيحيّين لتحريفهم دين المسيح عليه السّلام،³ وأوّل ما دُعي النّصارى بالمسيحيّين في أنطاكية**** حوالي سنة 42 أو 43م، وقد كان

¹ - أنظر: مكتب التّبيان بإشراف حسن عبد الحفيظ أبو الخير: الموسوعة المفضّلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1432هـ/ 2011م، ج2، ص369، والتّدوة العالميّة للشّباب الإسلامي بإشراف مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط5، دار التّدوة العالميّة، الرياض، السّعوديّة، 1424هـ/ 2003م، مج2، ص564.

² - محمّد بن عبد الكريم الشّهستاني: الملل والنحل، ضبط وتعليق: كسرى صالح العلي، ط1، مؤسسة الرّسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1432هـ/ 2011م، ص241.

* ينظر: (البقرة: 62، 113).

** ينظر: (آل عمران: 64، النساء: 171).

*** ينظر: (المائدة: 47).

³ - بسمة أحمد جستبيّه: تحريف رسالة المسيح عليه السّلام عبر التاريخ -أسبابه ونتائجه-، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، 1420هـ/ 2000م، ص19.

**** أنطاكية بلدة تركيّة، أوّل من بناها انطيوخس، طولها تسع وستون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة، وهي قسبة العواصم من التّغور الشّامية، كما أنّها تعتبر من أعيان البلاد وأمّهاتها، موصوفة بالنّزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/ 1977م، ص266-267).

ذلك أول الأمر من باب الشتم، لأنّ تابعي المسيح كانوا - في نظر أعدائهم - أناسًا سفلة عامّين،¹ ففي الإصحاح الحادي عشر من سفر أعمال الرّسل نجد أول استعمال لكلمة "مسيحيين"، حيث نقرأ: [ودُعِيَ التّلاميذُ مَسِيحِيِّينَ فِي أَنْطَاكِيَةِ أَوَّلًا...] (أعمال الرّسل: 26/11)؛ أي المنتمين للمسيح أو أتباع المسيح، وواضح أنّ هذا الاسم لم يصدر أساسًا عن المسيحيين أنفسهم، كما لم يُطلقه اليهود على أتباع المسيح حيث كانوا يكرهونه ويضطهدون أتباعه، فلا شكّ إذن أنّ هذه الكلمة صكّها الوثنيون من سكّان أنطاكيّة عندما انفصلت الكنيسة عن المجمع اليهودي، وحلّت محلّ المجمع جماعة كانت غالبيتها من الأمم الذين آمنوا بالمسيح، ويُعتبر إغناطيوس* هو أول مسيحي يُطلق على المؤمنين اسم "مسيحيين"، وقد كان ذلك في القرن الميلادي الثّاني، ومنذ ذلك الحين أصبح المؤمنون بالمسيح يشتهرون بهذا الاسم؛² الذي شاع حينها بمعنيين:³

أ- المُقرُّ بالديانة المسيحيّة. ب- المؤمن الحقيقي القلبي، وهذا في أحسن الأحوال.

ويمكن اعتبار بولس الرّسول** هو الذي أسّس المسيحيّة الموجودة اليوم أو الحاليّة؛ التي ابتكرها ابتكارًا بمُخالفته تعاليم ديانة المسيح عليه السّلام وما كان عليه الحواريون***؛ فهو مؤسس نظام جديد نسبه إلى

¹ بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدّس، ط10، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1995م، ص889.

* إغناطيوس الأنطاكي القديس (ت 110م)، أسقف أنطاكية، حُكم عليه بالموت فريسة للوحوش الضّارية، فاقْتيد إلى روما عبر آسيا الصغرى، وكتب خلال هذه الرّحلة سبع رسائل وجهها إلى مختلف الجاليات المسيحيّة التي مرّ بها، وقد شرح فيها مقومات العقيدة المسيحيّة، شاجبًا بعض البدع والهرطقات. (منير البعلبكي: معجم أعلام المورد - موسوعة تراجم أشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد - ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م، ص59).

² - وليم وهبه بباوي وآخرون: دائرة المعارف الكتابية، دط، دار الثقافة، دت، مج8، ص155-156.

³ - بطرس عبد الملك وآخرون: قاموس الكتاب المقدّس، المرجع السابق، ص889.

** بولس الرّسول اسمه شاؤول، عاش في القرن الميلادي الأول، كان يهوديًا من فرقة الفريسيين، وكان عدوًّا للمسيحيّة في حياة المسيح عليه السّلام، خرج في عام 31 للميلاد إلى نواحي دمشق ليُطارَد كلّ من اعتنق المسيحيّة، وعلى إثر ما حدث له أثناء هذه الرّحلة، اعتنق الدّين المسيحي وتحوّل إلى داعية بالمسيحيّة من الطّراز الأوّل، وبات اسمه "بولس الرّسول"، كتب 14 رسالة من العهد الجديد، وجهها إلى أقوام ومناطق عديدة، وكان يعتقد بأنّ الكنيسة كائن عضوي كالجسم البشري رأسها المسيح الذي دعا إلى كنيسته كلّ التّاس. (موسوعة الأديان الميسّرة، ص150).

*** الحواريون هم الذين خلصوا ونقّوا من كلّ عيب، وقيل في سبب تسمية أصحاب عيسى بالحواريين؛ لأنّهم كانوا قصارين يغسلون الثّياب ويبيضونها، أو لأنّهم كانوا خلصاءه وأنصاره، وقد تتلمذوا عليه وتعلّموا منه، وانتشروا في القرى يبشّرون بني إسرائيل بدعوته، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم على هذا المعنى، وعددهم اثنا عشر على حسب رواية الأناجيل، والمسيحيون يدعون أنّ هؤلاء رسل المسيح الذين اختارهم ليُعِينوا حياته على الأرض ويروه بعد قيامته ويشهدوا له أمام العالم بعد حلول روح القدس عليهم. (الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج2، ص1050). أمّا أسماءهم فهي: سمعان (بطرس)، أندراوس، يعقوب بن زبدي، يوحنا، فيلبيّس، برثولماوس، ثوما، متى العشار، يعقوب بن خلفي، لثاوس (تداوس)، سمعان القانوني، يهوذا الاسخريوطي. (متّى: 2/10-4).

المسيح؛ لأنّه أدخل في هذا الدّين ما لم يأذن به عيسى عليه السّلام، ولم يُقلّ به الّذي كان يدعو إلى السّلام والملكوت السّماوي، والّذي لم يُنادِ به الحواريون الّذين كانوا يدعون إلى عودة السيّد المسيح.¹

ذلك أنّّه -أي بولس- أدخل على ديانة المسيح الأصليّة كثيرا من التّغييرات الجذريّة، سواء كان ذلك من النّاحيّة العقائديّة أو من النّاحيّة التشريعيّة أو من النّاحيّة الأخلاقيّة، ويكفي أن يُشار في هذا الموضوع كمثال على الرّأي السّابق الذّكر، إلى إبتداعه لعقيدة التّضحّيّة والفداء أو تكفير الخطايا، وكذلك عقيدة الصّلب، وأيضا تأليه المسيح والقول ببنوّته لله، مُتأثّرًا في ذلك كلّه بالأفكار الوثنيّة والمهلّستينيّة اليونانيّة.²

وقد كان هذا الرّجل سبّاقًا إلى فكرة انفصال المسيحيّة عن اليهوديّة، حيث مهّد لهذا الانفصال بإنشاء العقيدة المناسبة، ولم يكن الإيمان المسيحيّ على أيّ حال يستطيع تجنّب تأثيرات البيئة الهلينيّة متى ما خرج من حدود فلسطين، فكانت هذه العقيدة الجديدة مخالفة تمامًا لعقيدة المسيحيّة اليهوديّة، ولم يقبل اليهود المسيحيون برضاء تامّ كلّ هذه التّبديلات والإضافات التي أريد فرضها على إيمان الحواريين الإثني عشر؛ لأنّهم كانوا يزعمون البقاء على يهوديتهم، حيث علموا علم اليقين أنّ أستاذهم كان يهوديًا، فعارضوا بولس معارضة قويّة،³ ممّا يُوحى بيقين يقطع الشكّ؛ أنّ مسيحيّة بولس هي غير نصرانيّة عيسى عليه السّلام.

وفي هذا البحث سأقتصر على تسميّة "المسيحيّة" وعلى وصف أتباعها بـ "المسيحيين" إلا ما كان نقلا حرفيًا؛ لأنّ هذه التّسميّة هي التي تطفو اليوم على واقع الحياة؛ إذ لا يُشار إلى هؤلاء الآن بالتّصاري إلّا نادرا، إنهم -حاليًا- "مسيحيون" وديانتهم "المسيحيّة"، وهي صفة أو تسميّة حديثة مقارنة بالنّصرايّة؛ التي هي تسميّة قديمة لم تُعد تُستعمل بشكل كبير، وهؤلاء المسيحيون هم الطّرف الآخر في الحوار الكائن بينهم وبين المسلمين.

إذن، هذه هي المصطلحات الثلاثة (الحوار، الإسلام، المسيحيّة) المكوّنة للمركّب اللفظي "الحوار الإسلاميّ المسيحي"، وقد ألممتُ -قدر الإمكان- بمفاهيمها ومعانيها اللغويّة والاصطلاحيّة، وقبل الحديث عن مفهوم الحوار الإسلاميّ المسيحي كمركب لفظي، فإنّه من المفيد الإشارة إلى نقطة مهمّة تتمحور حول التّقديم والتّأخير؛ أي تقديم المصطلحات وتأخيرها لتتموضع في الموضوع المناسب لها، ويحضر -ها هنا- مصطلحان إثنان؛ هما: "الإسلامي" و"المسيحي"، فهل يتقدّم المصطلح الأوّل عن الثّاني أم الثّاني عن الأوّل؟

¹ - رؤوف شليبي: المسيحيّة الرّابعة، دط، مكتبة الأزهر، 1980م، ص 36-37.

² - المرجع نفسه، ص 75-76.

³ شارل جنينبير: المسيحيّة نشأتها وتطوّرها، ترجمة: عبد الحليم محمود، دط، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، دت، ص 112-114.

في عنوان موضوعي هذا آثرتُ تقديم لفظ "الإسلامي" على "المسيحي"، مُلتجئاً في ذلك ومُستنداً إلى معيار السَّبق إلى الدَّعوة إلى الحوار، أي أنّ المسلمين من خلال تعاليم دينهم كانوا السَّباقين إلى ذلك، فالقارئ للقرآن الكريم يلقى فيه دعوة صريحة للحوار مع الآخر وخاصةً المنتمي إلى الديانة المسيحية، وله في ذلك أسبابه وأيضاً أهدافه الخاصة؛ فالإسلام هو الدَّاعي الأوَّل إلى الحوار عن طريق نُصوصه المقدَّسة التي تضمَّنت بصراحة دعوة الآخرين للتَّحاور في آيات متعدِّدة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (آل عمران: 64)، وقوله أيضاً: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٦٦﴾ (العنكبوت: 46).

كذلك فإنَّ المستقرى للتاريخ الإسلامي، يقف على صور بديعة من صور التَّسامح الذي عُرف به المسلمون على مرَّ العصور،¹ وهذه نقطة أوَّليَّة مُمهِّدة تدعو إلى الحوار والتَّعايش والتَّفاهم بين أتباع الأديان، ولا مناص من أنَّ ديننا هذه سمائته ومبادئه أوَّلى بالتَّقديم من غيره؛ إكراماً له ولصفاته التي يتحلَّى بها، وللمبادئ التي يدعو إليها.

ولستُ في هذا الأمر أُقرِّر بدعاً من الفكر والقول، بل إنَّ هناك الكثير من الكُتَّاب والباحثين العرب وغير العرب، قدّموا لفظ "الإسلامي" على لفظ "المسيحي" في عناوين كتبهم أو أبحاثهم الحوارية*، على أنَّ هناك -أيضاً- ثلَّة من الباحثين آثروا الطَّريقة العكسيَّة؛ أي تقديم لفظ "المسيحي" على لفظ "الإسلامي" في مؤلَّفاتهم المخصَّصة للحوار الإسلامي المسيحي**.

¹ - يُنظر: شوقي أبو خليل: التَّسامح في الإسلام (المبدأ والتَّطبيق)، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1419هـ/1998م، ص 11-51.

* من تلك الكتب والبحوث نذكر: - في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي/ محمد حسين فضل الله، - الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المِغامرة/- سعود المولى، - مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي/ احمدية التَّيفر وموريس بورمانس، - مقدِّمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي/ محمَّد السَّمَّاك، - الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتَّحدّيات/- يوسف الحسن، - الإسلام والمسيحية من التَّنافس والتَّصادم إلى الحوار والتَّفاهم/ جورافسكي أليكسي، - حوار الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي أمودجا/- مسعود حايفي، - الحوار الإسلامي المسيحي - المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف/- بسام داود عجك، - الأبعاد السِّياسية للحوار بين الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي نموذجاً/ سامر رضوان أبو رمان، - الإسلام والمسيحية في مواجهة الإرهاب والتَّطرف - الحوار لا المواجهة/- محمَّد أنور.

** من تلك المؤلَّفات نذكر: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين/ موريس بورمانس، - محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام/ سليم غسان، - البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة/ جوليت حدَّاد، - الحوار المسيحي الإسلامي بين المصادقية والتَّشكيك/ نعيمة إدريس، - أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك/ كيرلس سليم بسترس وجورج خضر.

رابعاً- المعنى الإجمالي للحوار الإسلامي المسيحي:

بالرغم من إثارة قضية تقدم لفظ "الإسلامي" على "المسيحي" أو تقدم لفظ "المسيحي" على "الإسلامي"، -فيما سبق- فإنها لا تُعبر من مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي الذي تعددت مفاهيمه من باحث لآخر، مع وجود فارقٍ طفيف بينهم؛ فهي وإن اختلفت في المباني فإنها تتقارب في المعاني؛ إذ كلّها تدور حول معنى اللقاءات التي تُعقد أو عُقدت بين مسلمين ومسيحيين، تتم فيها مناقشة بعض المسائل والقضايا والموضوعات التي تهم الطرفين بصفة خاصة، والعالم أجمع بصفة أعم.

وسأستعرض في هذا الموضوع نُتقاً من تلك التعريفات؛ التي قرّر بعضها أنّ الحوار الإسلامي المسيحي هو:

"أنّ يتبادل المتحاورون من أهل الديانتين الإسلام والمسيحية؛ الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات التي تزيد من معرفة كل طرف بالآخر بطريقة موضوعية، تُبين ما قد يكون بينهما من تلاقٍ أو اختلاف، مع احتفاظ كل طرفٍ بمعتقداته، في جوٍّ من الاحترام المتبادل، والمعاملة بالتي هي أحسن، بعيداً عن نوازع التشكيك ومقاصد التجريح، بل كلّ ما يُرجى منه هو إشاعة المودة وروح المسالمة، والتفاهم والوثام والتعاون فيما يقع التوافق فيه من أعمال النفع العام للبشرية"¹.

فهذا التعريف؛ يُرشد إلى كَوْنِ الحوار الإسلامي المسيحي لا يتم إلا في بحث القضايا التي تهم الطرفين المتحاورين؛ تلك القضايا البعيدة عن المسائل العقديّة؛ لأنّ هذه المسائل -في واقعها الآني- مختلفة فيما بينهما اختلافًا شديدًا، وعليه فإنّ القضايا المعروضة للحوار هي القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية... التي يُتجاوز حولها من أجل الخروج بقرار مُحكم تجاهها، على أن يتم ذلك بعيداً عن التعصّب والذاتية؛ التزاماً بالتفاهم والموضوعية، ولعلّها نظرة صائبة نظرًا لطرقها السليمة ونتائجها الإيجابية على المسلمين والمسيحيين على حدّ سواء.

غير أنّه لم يُحدّد فئات الحوار التي تتجاوز فيما بينها، ولا على أيّ مستوى يتم، ولا أشكاله المتباينة التي لا يخرج عن صورة منها، كما بيّنت ذلك بعضُ التعريفات التي قرّرت أنّ الحوار الإسلامي المسيحي يتم على مستوى الأفراد والجماعات، كما يُمكن أن تتبناه جمعيات أو مراكز أو مؤسسات أو حتى حكومات، وأنّه قد يكون عن طريق الرسائل المرسلة أو المتبادلة بين طرفين، أو عن طريق تلك اللقاءات التي تُعقد بحضور

¹ - يوسف الحسن: الحوار الإسلامي المسيحي -الفرص والتحديات-، ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1997م، ص13.

الجماهير، أو عن طريق المؤتمرات والتدوات، أو عن طريق تأليف الكتب والرسائل، على أن يكون ذلك كله بين الطرفين؛ الإسلامي والمسيحي.¹

وما يُؤخذ على هذا التعريف أنه لم يأت على ذكر الأساليب المتحاور بها، ولا المواضيع والقضايا المتحاور حولها، على الرغم من كونه لميح إلى بعض الأمور المهمة في هذا المجال، وإذا ما أردنا تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي - إجرائياً - فإنه تجدر الإشارة إلى التقاط الآتية:²

- 1- وجود طرفين أحدهما مسلم والآخر مسيحي، بغض النظر عن توجهاتهما الدينيّة والفكرية والسياسية.
- 2- وجود موضوع (مفهوم أو قضية) تشكّل مصدراً لالتقاء هذين الطرفين، يختلف زمانياً ومكانياً، حسب ما يراه الفريقان ويتفقان عليه.
- 3- وجود حوار فعليّ من خلال المداولات والمناقشات والتدوات والمؤتمرات واللقاءات التي تتمّ بينهما.
- 4- صدور هذا الحوار في أعمال يُمكن الحصول عليها؛ كالكتب والمؤلفات، والنشرات الصادرة عن المراكز والهيئات المهتمة بالحوار.

إنّ الجديد الذي حمله هذا التعريف الأخير للحوار الكائن بين المسلمين والمسيحيين؛ هو ضرورة توثيق مجريات تلك اللقاءات التي تُعقد بين الفريقين، سواء من حيث الحيثيات الزمانية والمكانية، أو من حيث الانشغالات والقرارات، وهذا أمرٌ مهمّ، يُمكن من خلاله الاطلاع على ما سبق عقده من مؤتمرات وندوات في هذا السبيل، وما قُرّر فيها من قوانين ومواد.

وتبعاً للمفاهيم السالفة الذكر والخاصة بالحوار الإسلامي المسيحي، أُنشئت عدّة مراكز وهيئات ومؤسسات ومعاهد ولجان وجمعيات وفرق مشتركة بين المسلمين والمسيحيين، تدعّمها لعملية الحوار؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:³

¹ - بسلام داود عحك: الحوار الإسلامي المسيحي - المبادئ، التاريخ، الموضوع، الأهداف -، ط1، دار فتيبة، سوريا، 1418هـ/ 1998م، ص28-29.

² - سامر رضوان أبو رمان: الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي نموذجاً -، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1426هـ/ 2005م، ص10.

³ - أحمد بن عبد الرحمن القاضي: دعوة التقريب بين الأديان - دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية -، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1422هـ، مج4، ص1716-1718.

- 1- معهد الدراسات الإسلامية، لبنان (1977م).
- 2- جمعية الحوار الإسلامي المسيحي، فرنسا (1987م).
- 3- اللجنة الوطنية الإسلامية المسيحية للحوار، لبنان (1993م).
- 4- مركز التفاهم الإسلامي المسيحي، الولايات المتحدة الأمريكية (1993م).
- 5- مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي، لبنان (1995م).
- 6- لجنة الحوار بين مطرانية لوس أنجلوس والمراكز الإسلامية، الولايات المتحدة الأمريكية (1997م).

كما عُقدت بين المسلمين والمسيحيين عدّة لقاءات وملتقيات وندوات حوارية في الشرق والغرب، تناولت الكثير من الموضوعات والمسائل المختلفة، في فترات زمنية مختلفة أيضا.¹

ولا يُمكن بأيّ حال من الأحوال قصر مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي على هذه الملتقيات والمؤتمرات والندوات؛ إذ هو ليس مجرد لقاءات تُعقد هنا وهناك، فتكون مقرراتها حبراً على ورق في معظم الأحيان، "ففي المعنى العريض للكلمة، يُمكن فهم الحوار الإسلامي المسيحي كتاريخ للعلاقات المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين على مدى أربعة عشر قرناً من وجود هاتين الديانتين؛ أي بمعنى آخر؛ علاقاتهم الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، وتاريخ -أيضا- للتصورات والمعارف المتبادلة عن بعضهم البعض، فالحوار الإسلامي المسيحي في ملامحه الكبرى ليس إلا عملية تفاعل ثقافي تاريخي بين الشرق والغرب"،² "وهو ليس مجرد حوار بين رجال الفكر، بل يهدف أول الأمر إلى تعزيز العيش معاً بين الطرفين في روح انفتاح ومشاركة لا بدّ منها؛ ليُتاح لكل واحد أن ينمو وهو يُدير دقّة حياته بحريّة بموجب الاختيارات التي يُملئها عليه ضميره المستقيم؛ ففي دولة مثل لبنان يتقاسمها المسلمون والمسيحيون مناصفة، يتوجب فيها على اللبنانيين أن يتعلّموا كيف يعرف بعضهم بعضاً، ويرضوا بالتعددية الدينية، وتكون لهم الشروط الضرورية للحوار الحقيقي ولا احترام الأشخاص والأسر والجماعات، وللمدارس ومختلف معاهد التنشئة؛ دوراً أساسياً

¹ - لرصد هذه الملتقيات والندوات وما يتعلّق بها يُنظر: جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من 1954م/ 1373هـ إلى 1992م/ 1412هـ، -نصوص مختارة-، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1995م، ص13 وما بعدها.

² - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة: خلف محمد الجراد، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1425هـ/ 2005م، ص21-23.

في هذا الميدان، إذ أن التدرّب منذ الصّغر على الحياة المشتركة يجعل الأطفال مُتنبّهين بعضهم لبعض، ويدعوهم إلى يُخلّوا بسبل سليمة النزاعات التي قد تعترض سبيلهم".¹

لبنان -أيضا- الذي يتألف من عدّة جماعات بشرية إسلامية ومسيحية؛ هو أرضٌ مثالية أو وطن مثالي، إذ يضمُّ أناسا يختلفون دينيا وثقافيا مُتعايشون كمواطنين ذوي نسق فكريّ وأيديولوجيّ واحد، من أجل بناء أمة متماسكة، وهذا ما يبعث الحيويّة في نفوس أبناء هذا الوطن للعمل أكثر على الوحدة والتآلف والتّفاهم والعيش المشترك، وهو تصرّف إيجابيّ بموجبه يُمكن إكتشاف ثروات ثقافية مشتركة ومتكاملة، تُوطّد العيش الوطني المشترك،² وهذا هو الحوار الحقيقيّ في بُعدهِ الواقعيّ.

إنّ كلّ هذا التآلف والانسجام لا يتأتّى بالحوار اللاهوتيّ الفكريّ، بل يُحقّق بحوار الحياة، ذلك أنّ المجتمعات المتنوّعة تُنتج دوماً حساسيات؛ فحيث التّنوع هناك الحساسيات، فيغدو الحوار الحياتي هو الوسيلة الحسنى والأسلوب الأمثل لتجاوز تلك الحساسيات والخلافات، وخلق جوٍّ من التآلف والتّعاوُد والتّراحم للعيش معاً في أمن وسلام، ويظهر هذا جلياً في المنطقة العربيّة التي تشهد علاقات إسلامية مسيحية في الحياة اليوميّة، والمنطقة المقصودة -هاهنا-؛ لبنان ومصر وسوريا وفلسطين والأردن والسّودان، وبعض دُول الخليج حيث تتشكّل المجتمعات من جماعات إثنية وثقافية ودينيّة مُختلفة.³

والحوار الإسلاميّ المسيحيّ وإضافة إلى كونه غير مُقتصرٍ على الحوار الفكريّ؛ إنّما هو في حقيقة الأمر لونٌ من ألوان الحوار بين الأديان أو حوار الأديان الذي هو بمفهومه الواسع "مُجمل العلاقات بين الأديان الإيجابية والبناءة، مع أفراد وجماعات العقائد المختلفة، بُغية مزيد من التّعاون والإثراء مع الطّاعة الكاملة للحقيقة، واحترام حرّيّة كلّ فرد"⁴ أو هو القالب الذي "يتبادل فيه المتحاورون من أهل الأديان المعلومات والأفكار والحقائق التي تزيد من معرفة كلّ فريق بدين الفريق الآخر، وتاريخه وحضارته، وسائر أمورهِ؛ توضيحاً لما قد يكون بينهما من مواطن التّلاقح أو الاختلاف بكلّ سُماعة وموضوعيّة، فيحتفظ كلّ طرف بمعتقداته والتزاماته ومواقفه، في جوٍّ من الودّ والاحترام المتبادلين، وبناءً على هذا التّصوّر قامت جُملة من الحوارات والمؤتمرات الدّوليّة والإقليميّة والقُطريّة، التي تبحث في مسائل الدّين في شتى صُوره ومجالاته العقديّة

¹ - كيرلس سليم بسترس: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، دط، المكتبة البولسيّة، جونبة، لبنان، 1999م، ج1، ص47.

² - المرجع نفسه، ج1، ص47-48.

³ - عبّاس الحلبي: حوار الأديان وبناء الدّولة، ط1، دار التّهار، بيروت، لبنان، 2009م، ص44-45.

⁴ - زينب عبد العزيز: الفاتيكان والإسلام، ط2، القدس للتّشريع والإعلان والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1421هـ/ 2001م، ص130.

والتشريعية والأخلاقية"،¹ ويبدو هذا التعريف مماثلاً بشكل كبير لتعريف الحوار الإسلامي المسيحي الذي أورده يوسف الحسن*، إلا أنه عام يشمل حوار جميع أتباع الأديان، والآخر خاصّ بحوار المسلمين مع المسيحيين فقط.

بل إنه -أي الحوار الإسلامي المسيحي- هو اللون الغالب أو الطاغية على حوار الأديان فكرياً وواقعياً، فعند إطلاق مصطلح "الحوار بين الأديان" ينصرف الذهن مباشرة إلى "الحوار الإسلامي المسيحي"، على الرغم من كون حوار الأديان ذا أطراف متعددة بتعدد الأديان الموجودة في العالم اليوم؛ فقد يكون بين المسلمين واليهود، أو بين اليهود والمسيحيين، أو بين البوذيين والهندوس، أو بين الزرادشتيين والكونفوشيوسيين...، وليس شرطاً أن تُمثله ديانتان فقط، بل قد تُمثله أو تقوم به ثلاث ديانات أو أربع أو خمس أو أكثر من ذلك.

ولعلّ غلبة الحوار الإسلامي المسيحي على هذه الأطراف جميعاً، له أسبابه الخاصة أو بعض العوامل المساعدة، ذلك أنّ ما جرى ماضياً ويجري حاضراً -على أرض الواقع- من مؤتمرات في هذا الشأن، إنما هو لقاءات مُكتنفة عُقدت وتُعقد بين المسلمين والمسيحيين في شتى بقاع العالم، وأيضاً نظراً للتقارب الحاصل بين الفريقين روحياً**، وكذلك تجاورهما في كثير من البلدان خاصة في الشرق الأوسط.

لذلك تعددت المؤلفات في هذا الطيف من الحوار الديني، وكثرت الأبحاث فيه مقارنة بغيره من الأطراف الأخرى، وحتى تلك المؤلفات التي أُلّفت في الحوار الديني بشكل عام مُعظمها خُصّص بالحوار الإسلامي المسيحي كأنموذج له (الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان -الحوار الإسلامي المسيحي نموذجاً-، حوار الأديان -الحوار الإسلامي المسيحي نموذجاً-...)، وهناك من الباحثين وعلى الرغم من كون بحثه مُعنوناً بـ:

¹ - محمد الفاضل بن علي الآلي: تأصيل الحوار الديني -تأصيل المصطلحات وتحديد الضوابط الشرعية مع مثال تطبيقي (السودان أنموذجاً)-، ط1، دار الكلمة، المنصورة، مصر، 1425هـ/2004م، ص295.

* يوسف الحسن باحث إماراتي متحصّل على شهادة دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة، متخصص في العلاقات الدولية وقضايا الصراع العربي-الصهيوني والحوار بين الحضارات وأمن الخليج العربي، ووزير مفوض في وزارة الخارجية في دولته الإمارات العربية المتحدة، إذ يعمل في السلك الدبلوماسي منذ عام 1972م كمدير عام لمعهد الإمارات الدبلوماسي، ممثّل دولته في العديد من المؤتمرات والندوات الإقليمية والدولية، وأشرف على تنظيم الندوة الدبلوماسية السنوية التي تنظمها وزارة الخارجية منذ عام 1986م، كما أنشأ معهد دبلوماسي عام 2001م للتأهيل، وهو أيضاً أحد مؤسسي جريدة "الخليج"؛ إذ شغل منصب أول رئيس تحريرها، كتب ونشر العديد من البحوث والمقالات في صحف ومجلات عربية وعالمية، من مؤلفاته: دراسات في الإدارة والحكم المحلي، التعاون العربي-الأفريقي، العلاقات الخاصة بين أمريكا وإسرائيل. (الحوار الإسلامي المسيحي -الفرص والتحديات-، صفحة الغلاف الأولى).

** قال تعالى: ﴿وَلْتَجِدْكَ أَقْرَبَهُمْ مَوْدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتَلْتَنِي وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٨٢).

"حوار الأديان"، إلا أنه راح يتحدث من خلال هذا البحث بصفة خاصة عن الحوار الإسلامي المسيحي وأظن في ذلك، أو أنه على الأقل خصّص جزء كبيراً من بحثه للحديث عن هذا النوع أو الشكل من الحوار*.

وذلك كلّه راجع إلى أهميّة الحوار الإسلامي المسيحي عالمياً وإقليمياً ومحلياً؛ هذا الحوار الذي شاع في كثير من أقطار العالم، وحتى نعرف أهميته وفوائده، يكون من المفيد تقديم أسئلة تقريرية مفادها:

هل من المجددي الحديث من جديد عن الحوار بين المسلمين والمسيحيين؟، وكيف يفسّر تعرّج تجارب الحوار الماضيّة وإخفاقاتها؟، وهل يمكن القول: إنّ الحوار ينبغي أن يشمل اليوم عدّة مجالات من بينها المجال العقدي والروحي، وكيف نعلّل هذا التوجّه؟. هل يُتيح الحوار فرصة للمسلم والمسيحي أن يعيد كلٌّ من جانبه النظر إلى ذاته وإلى تراثه العقدي، وما يتّصل به من تفاسير وتقنيات فقهية تتعلق بالآخر، وأن تؤدّي هذه المراجعة بالطرفين إلى اتّخاذ مواقف مختلفة من قضايا مصيرية مشتركة؟، هل يمكن بعبارة واحدة؛ السعي بالحوار وعبره إلى (إستراتيجية) دينية بين المسلمين والمسيحيين؟¹.

وإذا ما استطاع الحوار الإسلامي المسيحي تقديم أجوبة شافية لهذه التّساؤلات وغيرها من الاستفهامات العالقة، فحينئذ تتبيّن للمشتغلين عليه وكذا المهتمّين به معالمه الصّحيحة وفائدته البالغة وأهميته الكبرى، خاصّة في عالم اليوم وما تشهده السّاحة الدّولية والعالمية من ملقّات وقضايا ساخنة هنا وهناك، تعاني منها الشّعوب والأمم، والتي لا يمكن التّخلّص منها أو تجاوزها، إلا من خلال حوار جادّ يجمع بين أتباع الدّيانتين الإسلاميّة والمسيحيّة، الأمر الذي يتولّد عنه مساهمة هذا الحوار في التّوجّل إلى عمق المشاكل الإنسانيّة من أجل تقديم حلول أوليّة لها، كما أنه يعتبر بديلاً عن نظريّة صدام الحضارات خاصّة بين العالمين الغربي والإسلامي.

* كمثال على ذلك نذكر: حوار الأديان - نشأته وأصوله وتطوّره - ل: عبد الحليم آيت أمجوض، الحوار بين الأديان - أسرارته وإخفاياه - ل: عبد الودود شليبي... .

¹ - احمدية النيفر: الحوار الإسلامي - المسيحي من أجل خطاب ديني معاصر، ضمن كتاب: مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1426هـ/ 2005م، ص12.

المطلب الثاني: منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي ودوافعه.

لا شك أنّ الحوار الإسلامي المسيحي كغيره من القضايا المشتركة بين ديانتين أو أمتين أو شعبتين أو طرفين مختلفين عقائديًا وفكريًا وأيديولوجيًا، له منطلقات ودوافع ساعدت على ظهوره أو -على الأقل- مهّدت له الطريق للبروز في ظلّ المتغيّرات الحاصلة والتطوّرات الرّاهنة، فأصبح قضية ذات شأن لدى المسلمين وكذا المسيحيين سواء بسواء، وهذا ما ساهم في تبلّوره فيما مضى من سنوات واستمراره في الحاضر، ولربّما مواصلة المسيرة فيما هو آتٍ من أعوام، كلّ ذلك بفضل هذه المنطلقات والدوافع.

أولاً- المنطلقات:

لأنّ المسلمين والمسيحيين، كلّ أمة منهما تنتسب إلى ديانة سماوية عريقة؛ فالمسلمون ينتمون إلى الإسلام والمسيحيون إلى المسيحية، وكذلك فإنّ لكلّ من الأمتين تاريخ سياسي عميق عمق تاريخ ديانتيهما، فلا مناص من أن يكون مُنطلق الحوار بينهما مبنيّ على دعامتين أو قاعدتين مُتكاملتين متينتين؛ قاعدة دينية وأخرى سياسية.

1- القاعدة الدينيّة: وهي القاعدة الأساس والدّعامّة الأهمّ التي يستند إليها الحوار الإسلامي المسيحي؛ ذلك أنّ الدين القائم على المصدرية الرّبّانية ذات النظرة التّوحيديّة في أصلها، هو المشترك الأساسي بين المسلمين والمسيحيين، وتمثّل هذه القاعدة في كَوْن أنّ الأديان ذات أصل واحد مردها كلّها إلى الله سبحانه وتعالى؛ الموحى إلى الأنبياء عن طريق جبريل عليه السّلام، وتمثّل بوجه خاصّ في أنّ الإيمان بالمسيحية رسالة من عند الله يقع في أساس الإيمان الديني الإسلامي، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ (الشورى: 13)، وهذا يعني أنّ الدين واحد، والشّرائع مختلفة من لدن نوح وحسب محمد ﷺ؛ ففي هذه الآية الكريمة دعوة من الله عزّ وجلّ إلى عدم التّفرقة من أجل إقامة هذا الدين الواحد، وفي هذا السّياق يقول الله تعالى أيضًا: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ (المائدة: 48)، وهذا يعني أنّ تعدّد الشّرائع لا يعني التّفرقة؛ لأنّ الله هو مصدر التعدّدية في الشّرائع.¹

¹ - محمّد السّمّاك: مقدّمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، مرجع سابق، ص 144-145.

وإذا كان المسلمون والمسيحيون ينتمون إلى أصل واحد من حيث التدين في الأساس؛ بما أن الإسلام والمسيحية ديانتان سماويتان تعودان في النهاية إلى مصدر واحد، فما المانع -إذن- من إقامة حوار بينهما على مختلف الأصعدة، حوار تُعالج فيه القضايا المشتركة بين الفريقين؟، وما المانع أيضا من حُسن الحوار والعيش في سلام وأمن في كل بقعة من بقاع الأرض؟، وما المانع بعد ذلك من تطوير العلاقات الإسلامية المسيحية ما دامت في أصلها قائمة على أسس متينة؟.

2- القاعدة السياسية: إنَّ القاعدة السياسيّة التي ينطلق منها الحوار الإسلامي المسيحي؛ دعامة لا تقل أهمية عن سابقتها (القاعدة الدينيّة)، خاصّة وأنَّ العلاقات التاريخيّة الإسلاميّة المسيحيّة مُتشابكة فيما بينها، كما أنَّ لهما تاريخًا مُشتركا سادته الوثام في فترات والخصام فترات أخرى.

ففي هذه القاعدة يتوجّب على المعنيين بالعلاقات بين الطرفين، فكّ الارتباط في الثقافة العامّة بين الصّراع الإسلامي-الغربي، وكذا العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، فالمسيحيّة ليست ترسًا أماميًا للمعسكر الغربي، ولو أنّها وافقت أن تلعب هذا الدور؛ لما وُجد الغرب في الأساس حاجة إلى زرع الكيان الصّهيوني في قلب الوطن العربي، كذلك فإنَّ المسيحيين العرب ليسوا طابورًا خامسًا للاستعمار، ولو وافقوا على أن يكونوا كذلك؛ لما دفعوا أنفسهم أثناء الحروب الصّليبيّة ثمَّن وُقوفهم إلى جانب إخوانهم المسلمين العرب ضدّ حملات الغزو، ثمَّ إنَّ المسيحيّة ليست عقيدة مستوردة من الغرب، إنّها كإسلام واليهوديّة؛ تحلّيات السّماء على هذه الأرض، فمحاولات الاستغلال التي تعرّضت لها المسيحيّة العربيّة في الماضي، والتي تجري اليوم خاصّة في مصر ولبنان، تستهدف ضرب العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة لإحداث ثغرات في الجبهة العربيّة، يُسهّل أمام التّوايا الخبيثة؛ التّسلّل من خلالها، وردّ الفعل الإسلامي يجب أن يفيق من سُباته ويستوعب ما يجري حوله، وبالتالي يتخذ منحى توافقياّ أخويًا مع المسيحيّة العربيّة، وانفتاحًا مع المسيحيّة بصورة عامّة، وذلك للوقوف معها في وجه عاديّات الزّمن ومخاطره، وإنّ في القُدس لقاعدة مشتركة لتعميق التّلاقي وتأصيله في مواجهة مخطّط التّهويد الذي يستهدف المقدّسات الإسلاميّة والمسيحيّة على حدّ السّواء،¹ والتّاريخ الإنساني شاهد على ذلك بما يحمل في أزمانه وثناياه من انتهاكات لهذه الأماكن المقدّسة عبر مراحل عديدة.

وهذه القاعدة هي الأخرى بمثابة المنطلق السياسي لعمليّة الحوار بين أتباع الديانتين، وذلك لأنّ الوضع السياسي الرّاهن يفرض على الشّعوب التّكافل والتّعاون في جميع الميادين، وبشكل مستمرّ لرفع مُعضلات العصر وأزماته التي باتت تُهدّد أمن الشّعوب وسلامتها، خاصّة الضّعيفة منها، وبالتالي لا مهرب من

¹ - محمّد السّمّاك: مقدّمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، مرجع سابق، ص145.

التواصل الفعّال، ولا سبيل لهذا التواصل إلا بالحوار؛ الذي يُعتبر أسلوبًا سلميًّا لحلّ النزاعات والانشقاقات الدّوليّة والإقليميّة، وهذا ما يُحقّق تلاقي الحضارات وتلاقُحها، وتبادل الأفكار والخبرات فيما بينها، من أجل العيش في رخاء وسعادة وأمن وسلام لجميع الأمم والشّعوب.

ولعلّ الاقتصار على هاتين القاعدتين؛ الدّينيّة والسياسيّة، لا يمنع من وجود قواعد أخرى؛ اجتماعيّة وثقافيّة واقتصاديّة وفكريّة...، تُسهّم هي الأخرى في بلورة قضيّة الحوار الإسلامي المسيحي وتطويره، مادام هذا الأخير بات يبحث في عدّة قضايا تمسّ مختلف الجوانب،¹ إلا أنّه ونظرًا للعلاقة الوطيدة بين الدّين والسياسة منذ القديم وحتى اليوم،² - هذا الأمر - دعانا إلى الاقتصار على هاتين القاعدتين لكونهما كافيتان لأنّ تكونا منطلقًا وافيًّا للحوار بين المسلمين والمسيحيين، وأيضًا لأنّ القواعد الأخرى محتواة فيهما.

ثانيًا- الدّوافع:

إنّ هذا الحوار الذي يجمع بين مسلمين ومسيحيين على طاولة واحدة ويجري بينهما في مكان واحد حول موضوع أو قضيّة معيّنة، لا يُمكن له أن يتأتّى من فراغ، وليس له أن يُجسّد أو يتجسّد على أرض الواقع، إلا إذا كانت تسببُه أسبابٌ أو عواملٌ يقوم على إثرها أو بسببها ويتواجدُ بفعالها، وبما أنّ المسلمين والمسيحيين هما الطّرفان الفاعلان في هذا الحوار، فلا ريب - والحال هذه - أنّ لكلّ منهما دوافعٌ تُجبرُه أو تدفعه إلى مُحاوَرَة الطّرف الآخر، كما أنّهما يشتركان في بعض الدّوافع الأخرى، فيتكوّن من هذا التّصوّر أو المُعطى؛ دوافعٌ خاصّة بالطّرف الإسلامي، وأخرى خاصّة بالطّرف المسيحي، وثالثةٌ مشتركة فيما بينهما، وفيما يأتي من أسطر بيّناها:

1- دوافع المسلمين للحوار مع المسيحيين: إنّ محاوَرَة المسلمين للمسيحيين والالتقاء معهم في التّدوات والمؤتمرات إبتغاء التّحاور والمباحثة في بعض القضايا، لا تنطلق من فراغ أو بغير مسوّغ، بل إنهم - أي المسلمين - يحتكّمون في ذلك إلى عواملٍ أساسيّة تُملي عليهم ضرورة الحوار مع هؤلاء، ويتلخّص بعض هذه الدّوافع في:

¹ - ينظر: بسام داود عجك: الحوار الإسلامي المسيحي - المبادئ - التاريخ - الموضوعات - الأهداف -، مرجع سابق، ص 287-374، وعبد الحليم آيت أجوض: حوار الأديان - نشأته وأصوله وتطوّره -، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م، ص 381-525.

² - ينظر: يوسف القرضاوي: الدّين والسياسة - تأصيل وردّ شبهات -، دط، المجلس الأوربيّ للإفتاء والبحوث، دبلن، 2007م، ص 51-75، وعبد الغفّار عزيز: الدّين والسياسة في الأديان الثلاثة، دط، دار الحقيقة للإعلام الدّولي، القاهرة، مصر، 1409هـ/1989م، ص 17-54.

أ- مشروعية الحوار في الإسلام: يُعدُّ هذا العامل - وإن كان في حقيقة أمره عاملاً عاماً- من أهمِّ العوامل التي دفعت بالمسلمين -على اختلاف توجهاتهم الفكرية- إلى مُحاوَرَة الطَّرْف الآخر وخاصةً المسيحي، أُنِّي سنحت لهم الفرصة، فهم يترصّدون مؤتمرات الحوار وندواته ومعاقله في كلِّ قُطرٍ من أصقاع المعمورة، خصوصاً إذا دُعُوا من قِبَل جهات أو أطرافٍ أُخرى للتَّحاور، وليس هذا الحماس لخوض عمليّة الحوار منبُعه رغبة ذاتية فحسب، بل إنَّ المسلمين يجدون في ثرائهم الدِّيني والحضاري حافِزاً يُشجّعهم ويدفعهم إلى الإقبال على هذا الأمر (التَّحاور)، لاسيما مع الطَّرْف المخالِف، ويُعدُّ هذا الحافِز التُّراثي مسوِّغاً شرعيّاً للحوار مع الآخر.

ويأتي القرآن الكريم في مُقدِّمة هذا المحفَّرات الداعية للتَّحاور، فهو في نظر كثير من الباحثين* كتاب الحوار الأوَّل؛ لما يجويه من حوارات كثيرة، ولما فيه من آياتٍ جمّة تدعو -على الأقل- في ظاهرها المسلمين إلى مُحاوَرَة غيرهم وبخاصّة أهل الكتاب (اليهود والمسيحيين)، ففي مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَّأَهَّلُ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (آل عمران: 64)، خطاب موجّه إلى الرّسول ﷺ وأُمَّته من بعده لدعوة أهل الكتاب إلى التوحيد والإيمان بالله عزّ وجلّ عن طريق الحوار معهم، وتلك هي الكلمة السّواء المتّصفة بالعدل والإنصاف بين جميع الأطراف، وهذا الخطاب يُعمّم أهل الكتاب من اليهود والنّصارى ومن جرى مجراهم.¹

وقال تعالى مخاطباً المؤمنين من أهل الإسلام بخصوص مُجادلة أهل الكتاب: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ (العنكبوت: 46)، وفي هذه الآية نَهْيٌ عن مُجادلة أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، إلّا أن يكون ذلك بأسلوب حسن؛ لأنّ هذا هو الأسلوب الأنجع، ويُستثنى من المُجادلة المُحايدون عن طريق الحقّ والعمي عن واضح المحجّة؛ المعاندون والمكابرون، وكذلك أهل الحرب الممتنعون عن أداء الجزية، كما فيها

* كمحمد حسين فضل الله في كتابه: (الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-)؛ إذ أورد فيه كثيراً من نماذج الحوار الموجودة في القرآن على اختلاف أنواعها.

¹ - أبو الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السّلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتّوزيع، الرياض، السّعودية، 1420هـ/1999م، ج2، ص55.

دعوة إلى الإيمان بما أخبروا به مما لا يعلم صدقته ولا كذبه، شريطة أن يكون هذا الإيمان مُحملاً ومُعلّقاً على شرط كونه مُنزلاً من عند الله عزّ وجلّ لا مُبدلاً ولا مُؤوّلاً.¹

وشبيه بهذه الآية، قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالنِّسْبِ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (التحل: 125)، وفي جميع هذه الآيات؛ دعوة بطريقة أو بأخرى إلى الأخذ بأسلوب الحوار، واتخاذ منهجاً في التعامل مع المخالفين في الدين، وخاصة أهل الكتاب ومن حذا خذوهم وسلك سبيلهم.

وإذا كانت الآيات السّالفة الذكر، قد حثّت المسلمين على الحوار بدعوتهم إلى سُلوك طريقه واقتفاء سبيله، فإنّه ومن آياتٍ أُخرى إستلهموا مشروعية الحوار، من خلال ما دارَ فيها من حوارات عدّة في مجالات كثيرة وبين أطراف عديدة، فالقرآن كتاب هداية مليء بتلك المراجعات والمجاوبات الكلامية التي كانت تجري - أحياناً - بين الله عزّ وجلّ وملائكته المقربين*، أو بينه وبين إبليس اللعين**، أو بينه وبين أحد أنبيائه عليهم السلام***، أو بين هؤلاء الأنبياء وأقوامهم****، أو بين أفراد أو جماعات فيما بينهم*****، وغير ذلك كثير من تلك الحوارات التي عجّ بها هذا الكتاب²، والتي توحى بالدعوة الجادة لهذا المبدأ الإسلامي القائم على تبادل الأفكار والآراء.

وفي السيرة النبوية نماذج كثيرة أيضاً من الحوارات، جسّد من خلالها الرسول ﷺ الحوار الفعّال على أرض الواقع، بما كان يُجرّيه من مناقشاتٍ أو مُجادلاتٍ مع أهل الكتاب؛ سواء بينه وبين أفراد؛ كحواره مع ورقة بن نوفل وعُدي بن حاتم والجارود بن عمرو وعدّاس³، أو بينه وبين جماعات ووفود؛ كحواره مع وفد نصارى

¹ - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص283-284.
* (البقرة: 30-34).

** (الأعراف: 12-18، الحجر: 32-42، ص: 75-85).

*** (الأعراف: 143-144، المائدة: 116).

**** (هود: 25-93، الشعراء: 16-188).

***** (الكهف: 34-41، سبأ: 31-33).

² - يُنظر: محمّد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-، مصدر سابق، ص229 وما بعدها، ومعن محمود عثمان ضمرة: الحوار في القرآن الكريم (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005م، ص28 وما بعدها.

³ - عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م، ص111، 629-630، 627.

نجران ووفد بني حنيفة،¹ وكل ذلك تطبيقاً لمبدأ الحوار وأساسه وشروطه، فوجد المسلمون في هذا حافزاً آخر دفعهم إلى محاوره الآخرين، مُقتدين في هذا الشأن بنبيهم عليه الصلاة والسلام.

وقد سجّل التاريخ كثيراً من الحوارات التي جرّت في قُصور السلاطين من المسلمين وغيرهم،² وفي هذا مسوّغ للخلف بمشروعية الحوار إذ مارسه السلف، ثم إن نظرة مُستفيضة في تاريخ الحوار في الإسلام تُوجي بـ "أنّ الدّين الإسلامي الحنيف قد اهتمّ اهتماماً بالغاً بالحوار عموماً بين الناس، وخصّوصاً بين رجال الأديان لإيجاد علاقات طيبة بينهم، وإزالة التّفريقة من على وجه الأرض، ومنع الممحيّة الأخلاقيّة، والجور والظلم الذي يُهدّد البشريّة، وفي هذا الشأن يُعتبَر الحوار في الإسلام مبدأً له أهمّيته البالغة؛ إذ به يُؤسّس في المجتمعات المعاصرة ميداناً واسعاً من الرّقّي والأمن مبنيّ على أسس التّسامح بين أناسٍ ينتمون إلى أديان مختلفة وثقافات مُتعدّدة، كما يجعل لتلك الأطراف خلفيّة مناسبة يستطيعون من خلالها أن يتعارفوا ويتفاهموا".³

كما أسهمت الحضارة الإسلاميّة في ترسيخ قيم الحوار ومبادئه؛ لأنّها حضارة إنسانيّة تُخلّق بجناحي الرّوح والجسد، وتلتقي مع الآخرين في جوانب إنسانيّة كثيرة، فالمستقرى للتاريخ الإسلامي يجد صوراً رائعة من سيادة منطِق الحوار بين المسلمين وغيرهم، ومن يقرأ كتب المسلمين يجدّها تعجّب بتلك الحوارات مع اليهود والمسيحيين والصّابئة والمجوس، وفي هذا الحوار يسود منطِق العقل وإتباع الدليل، ونبذ التّعصب والهوى، وإقامة الحجّة والبُرهان،⁴ وإنّ هذه المشروعية التي يُضفيها الدّين الإسلامي على الحوار مع الآخر وإن عمّت جميع الأطياف الدّينيّة والكيانات العقائديّة المختلفة، إلا أنّه يُمكن اعتبارها سبباً وجيهاً -بصفة أخصّ- في إغراء المسلمين بالحوار مع المسيحيين العرب وغير العرب.

ب- الحضور المسيحي في القرآن بين التمجيد والتّنديد: لا يفتأ تالي القرآن الكريم وهو يتقل من سورة لأخرى، يقع نظره على جملة مُعتبرة من الآيات التي تتحدّث عن المسيحيّة وأتباعها في صور مختلفة وأشكالٍ

¹ - عبد الملك بن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق، ص 180، 628.

² - منقذ بن محمود السقار: الحوار مع أتباع الأديان (مشروعيته وآدابه)، ص 16.

³ - علي باردق أوغلو: الحوار والتسامح، ورقة مقدّمة لأعمال المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة (التسامح في الحضارة الإسلاميّة)، دط، القاهرة، مصر، 1425هـ/ 2004م، ج 5، ص 213.

⁴ - ناصر محمّد الشيباني: الإسلام وحوار الأديان، ورقة مقدّمة لأعمال المؤتمر التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة (مشكلات العالم الإسلامي وعلاجها في ظلّ العولمة - الأبعاد الاجتماعيّة والثقافيّة-)، دط، القاهرة، مصر، 1428هـ/ 2007م، ج 8، ص 459.

متعددة، ولهذا السبب فقد يكون من نافلة القول؛ التأكيد أو الإقرار بأن الحديث القرآني عن هذه الديانة وأصحابها كان له أثر بالغ في محاورة المسلمين للمسيحيين، وقد تمازج هذا الموقف بين المدح والذم؛ لأنه موقف قائم على الإنصاف والعدل والموضوعية.

ب- أ- الإقرار بوجود الكيان الديني النصراني (المسيحي): بين العموم والخصوص، راح النص القرآني يُترّ ويعترف بوجود الكيان الديني المسيحي؛ على أنه كيان عقائدي قائم بذاته، مُصنّف ضمن الكيانات الدينية الأخرى على أنه واحدٌ منها؛ فعلى وجه العموم والجمع عدّ القرآن؛ النصارى كأتباع لكيان عقائدي مستقل من ضمن ما تمّ تصنيفه من أتباع الأديان الأخرى، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰرِئَ وَالصَّبِيعِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 62)، وشبيهة بهذه الآية؛ آية سورة المائدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيعُونَ وَالصَّارِئَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (المائدة: 69)، ومن هذا القبيل كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّبِيعِينَ وَالصَّارِئَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنْ لَمْ يَفْصَلْ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: 17)، ففي الآيات الثلاث السابقة نجد الكيان النصراني (المسيحي) حاضرًا في كل آية منها على حسب السياق المتبعي من المعنى القرآني.

وعلى وجه الخصوص والإفراد، أشار النص القرآني إلى الكيان الديني النصراني (المسيحي) مرّات جمّة، فالقارئ لهذا النصّ يتردّد عليه لفظ "النصارى" وما أُشتقّ منه في عددٍ غير قليل من الآيات، وإن كان وُزوده يختلف من آيةٍ لأخرى بحسب السياق القرآني في التعبير، أو في الموضوع الذي يُشار فيه إلى هؤلاء، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ (البقرة: 113)، وقوله أيضا: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: 67)، وقوله أيضا: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ (المائدة: 14)، وقوله كذلك: ﴿يَتَّابِعُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف: 14)، وغير ذلك من الآيات الأخرى التي وردَ فيها لفظ "النصارى" بمشتقاته، وقد وردت هذه الكلمة باشتقاقها في القرآن الكريم في عشرين موضعا¹، كما وردت "كلمة المسيح فيه في أحد عشر موضعا"²، ولهذا يُعدّ القرآن الكريم

¹ - محمد فؤاد عبد الباقي: المُعْجَمُ المُفْهَرَسُ لِأَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، دط، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، 1324هـ، 704.

² - المرجع نفسه، ص 666.

مصدراً في تصوير المسيحية التي جاء بها عيسى، وعلى هذا فإن الاستناد إلى هذا الكتاب في عرضه لهذه الديانة لا يُعدُّ تعصباً في البحث ولكنه منهُجٌ نزيه، وهو عملٌ علميٌ جدير بالاحترام، خصوصاً وأنه هو المصدرُ الوحيد الذي صوّر لنا تاريخ الرسالات الإلهية من لدن دم عليه السلام وحتى محمد ﷺ،¹ وعرضُ القرآن للمسيحية وحديثه عنها هو اعترافٌ منه وإقرارٌ بوجودها هي لا بمعتقداتها ومقدساتها، والاعتراف والإقرار بالآخر هو مقدّمةٌ لمحاورته ومُعاشته والتّفاهم معه.

ب- ب- تبجيل المسيح عليه السلام وأسرته: وهذه القضية سوف أتطرق إليها عند حديثي عن منطلقات الحوار عند محمد حسين فضل الله في الفصل الموالي، وذلك تجنّباً للتكرار؛ نظراً للتقاطع حولها هنا وهناك.

ب- ج- المؤمنون المخلصون أو أتباع المسيح في القرآن: لقد أطلق القرآن الكريم على أتباع المسيح عليه السلام المؤمنين به ورسالاته؛ صفات حميدة لائقة بمقامهم؛ منها: نعّتهم بالقرّبي والمودّة للمسلمين، حيث قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنْ أَحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ (المائدة: 82-85)، فهذه الآيات نزلت في النفر الذين بعثهم النجاشي إلى النبي ﷺ ليسمعوا كلامه ويرَوْا صفاته، فلمَّا قرأ عليهم النبي ﷺ أسلموا وبكوا وخشعوا، ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه بذلك، فهاجر فمات في الطريق، وقد كان هذا الوفد مُتكوّن من قسّيسين ورهبان، وهؤلاء من أتباع المسيح وعلى منهاج إجميله؛ فيهم مودّة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم؛ إذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٧﴾ (الحديد: 27).²

ومن هذا القبيل، قدوم أولئك النفر من التصارى على رسول الله ﷺ وهو بمكة في المسجد، فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، فلمَّا تلا عليهم القرآن، فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدّقوه،

¹ - رعوف شلي: أضواء على المسيحية - دراسات في أصول المسيحية -، دط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1975م، ص17.

² - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج3، 166-167.

وعرفوا منهم ما كان يُوصَف لهم في كتابهم من أمره، ولما اعترضهم بعض صناديد قريش كأبي جهل وأصحابه وقرعوههم على تصديقهم للنبي ﷺ وإيمانهم به، أعرضوا عنهم، ورضوا بما آل إليه حالهم من الإيمان، وبما هم عليه من إسلام،¹ وهؤلاء أنزل الله فيهم: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا نُتِلَّ عَلَيْهِمْ الْقُلُوبُ أَمْنًا بِهٖ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا بُنَىٰ عَلَىٰ الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ (القصص: 52-55)، وهؤلاء المؤضوفون بهذه الصفات المذكورة آنفاً، أولى بالمسلمين محاورتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن.

ب- د- الإنجيل في القرآن:² ذكر الإنجيل في القرآن اثنتا عشرة مرة،³ وهذا نوعٌ من الاحتفاء به وتقديره قبل تحريفه، كما أتى الله عز وجل على هذا الكتاب الذي أنزل على عيسى عليه السلام في قوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (المائدة: 46)، فقد وصفه بأنه يهدي إلى الحق، وأنه نورٌ يُستضاء به في إزالة الشبهات وحلّ المشكلات، مُتَّبِعًا للتوراة غير مُخَالِفٍ لما فيها إلا في القليل؛ لأنه كان ناسخًا لبعض أحكامها، كما أنه يُهتدى به ويُرَجَرُ عن ارتكاب المحارم والمآثم لمن اتقى الله وخاف وعيده وعقابه واتبع أحكامه،⁴ وتبعًا لذلك كان المسيحيون يُسبِّون على أئمه أهلهم والأولى به، حيث قال تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (المائدة: 47).

ب- ه- نقد العقائد المسيحية: شنّ القرآن الكريم حربًا شعواءً على العقائد المسيحية، وانتقدتها انتقادًا لا ذعًا لا هوادة فيه ولا مُرونة؛ لأنها تُخالف المنهج الربّاني الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين، فلم يترك ركنًا من أركانها إلا وفنّده ودحضه بالحجج الدامغة ومنطق العقل السليم، وفي هذا الشأن كُفِّرَ القائلين بالتثليث من المسيحيين: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ (المائدة: 73)، وكذا القائلين بألوهية المسيح: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٤﴾﴾ (المائدة: 72)؛ ليُقرَّر

1 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج6، ص245.

2 - بسام داود عحك: الحوار الإسلامي المسيحي - المبادئ - التاريخ - الموضوعات - الأهداف -، مرجع سابق، ص84-85.

3 - محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص688.

4 - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المصدر السابق، ج3، ص126.

العقيدة الصحيحة فيه بأنه مجرد بشرٍ ورسولٍ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظَرَ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظَرَ أَنِّي يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة: 75)، وكذب اليهود الذين ادَّعوا أنهم صلبوه وقتلوه؛ فبيّن أن مصيره كان الرفع الذي به بُحِّي من كيدهم، وتبعاً لذلك أبهت عقيدة القيامة أيضاً: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (البقرة: 157-158)، وفي سياقٍ عامٍ وعند حديثه عن المسؤولية الفردية، دحض هذا الكتاب عقيدة الخلاص والفداء التي هي عماد الديانة المسيحية؛ فبيّن أن كل إنسان إنما يتحمّل عاقبة أفعاله بنفسه: ﴿أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُ وَزَرَأُخْرَى﴾ (٣٨) ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ (٣٩) (التّحيم: 38-39)، وبذلك رسم القرآن صورةً نقديةً واضحةً المعالم بيّنة الأركان، تُفصح عن موقفه تجاه عقائد المسيحيين المخالفة لعقيدة المسلمين الحقّة،¹ وكذا عقيدة التّوحيد؛ العقيدة الأساسية للمسلمين، الذين استلهموا من هذا النّقد منهجهم الجدلي الكلامي القائم على تفنيد عقائد المخالفين، ومن ثمّة الطّريق إلى الحوار مع مثل هؤلاء وخاصةً المسيحيين؛ بحكم أنّهم أكثر الأمم مخالفة للمسلمين في المنحى اللاهوتي العقائدي الذي هو أهمّ مكوّن من مكوّنات الدّين أو الديانة، على اعتبار أنّ عليه أو بالاستناد إليه تقوم جميع المكوّنات الأخرى، بما في ذلك الجانب التّشريعي.

2- دوافع المسيحيين للحوار مع المسلمين: المسيحيون كما المسلمون، إنّما يدعوهم إلى الحوار مع المسلمين، بعض الدوافع الفكرية والواقعية، التي يجدون فيها سبباً كافياً للتّحاور مع هؤلاء؛ لأنّها تحتّم بطريقة مباشرة - وأحياناً بطريقة غير مباشرة - على الحوار سواء كان ذلك مع المسلمين أو مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى، ومن تلك الدوافع:

أ- الإنجيل وقيم التّواصل والتّسامح: وردت في الإنجيل بعض قيم المودّة والتّفاهم مع الآخر، تدعو إلى مُعاملة الغير معاملة حسنة باعتباره من الجنس البشري، منها:

أ- ممارسة المسيح للحوار: تشهد الأناجيل الأربعة على ممارسة المسيح عليه السّلام للحوار؛ إذ كان كثير المحاوراة للأطراف المحيطة من حوله، سواء كانوا من تلاميذه وأتباعه، أو من أعدائه اليهود، أو أناس آخرين ينتمون إليه بطريقة أو بأخرى، وهذا الأمر يدلّ على أنّ هذا النّبيّ كان يؤمن بالحوار طريقاً إلى الدّعوة

¹ - إسماعيل عريف: التّقد القرآني للعقائد الدّينية المخالفة للإسلام "العقائد المسيحية نموذجاً"، مجلّة البحوث والدراسات، جامعة الشّهد حمّه لخضر الوادي، العدد 23، ربيع الثّاني 1438هـ/ جانفي 2017م، ص 119.

والتفاهم وإحلال الودّ والتسامح والوثام بين أطراف المجتمع مهما تنوّعت ثقافتها وأفكارها وعقائدها ومبادئها، وأنّه ما من سبيل آخر لإحداث هذه الألفة والالتحام بين أبناء الوطن الواحد أو الأمة الواحدة، غير تبادل الأفكار والآراء ووجهات النظر المختلفة سعيًا إلى القضاء على الفتنة والتفرقة.

ومن ذلك حوار مع الفريسيين*، ومع الرّجلين العمياوين**، ومع الرّجل الأبرص***، والمرأة الكنعانيّة****، ومع تلاميذه*****، وهذا كلّه غيظ من فيض من حوارات المسيح الواردة في الأناجيل، والمعزى من هذه الحوارات هو إعطاء العظات والتّوجيهات اللازمة للحياة، لأتباعه وأعدائه على حدّ السّواء، وفيها تحذير من

* [فسأله الفريسيون ومُعلّموا الشريعة: "لماذا لا يُراعي تلاميذك تقاليد القدماء، بل يتناولون الطّعام بأيدي نجسة؟"، فأجابهم: "يا مراؤون صدق إشعياء في نبوءته عنكم، كما جاء في الكتاب: هذا الشعب يُكرمني بشفتيه، وأما قلبه فبعيدٌ عني، وهو باطلا يعبدني بتعاليم وضعها البشر، أنتم تهملون وصية الله وتتمسكون بتقاليد البشر"، وقال لهم: "ما أبرعكم في نقض شريعة الله لتحافظوا على تقاليدكم! قال موسى: أكرم أباك وأمك ومن لعن أباه وأمّه فموتًا يموت. أما أنتم فتقولون: إذا كان عند أحد ما يساعد به أباه وأمّه ثمّ قال لهما: هذا قريبان، أي تقدّمة لله، يُعفّ من مساعدة أبيه أو أمّه، فتبطلون كلام الله بتقاليد من عندكم تتوارثونها. وهناك أمورٌ كثيرة مثل هذه تعملونها"] (مرقس: 7/ 5-13)، والفريسيون هم فرقة دينيّة يهوديّة، وحزب سياسي—والبعض يجعلهم حركة دينيّة اجتماعيّة متشدّدة رهبانيّة، ظهرت نتيجة الهبوط التدريجي لمكانة الكهنوت اليهودي بتأثير الحضارة الهلنيّة التي تُعَلّي من شأن الحكيم على حساب الكاهن، وترجع جذورهم إلى القرنين الرابع والثالث ق م، بل يُقال إنّهم خلفاء الحسيديين، ولكنّ الفريسيين ظهرُوا باسمهم الذي يُعرّفون به في عهد يوحنا هيركانوس الأول (135-104 ق م)، وكانوا يشكّلون أكبر حزب سياسي في ذلك الوقت، ويُقال إنّهم كانوا يشكّلون أغلبيّة داخل السنهدرين (جمع الكهنة)، كما يُعرف عنهم معاداتهم للمسيح عليه السّلام عند ظهوره ومُعارضة دعوته، ومن معتقداتهم: تطبيق العقل وتفسير التّوراة بعيدًا عن الحرفيّة، كما يؤمنون بالبعث والحساب، وهم من أنصار الشريعة الشّفويّة (التلمود). (الموسوعة المفضّلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ج2، 51-54).

** [وسار يسوع من هناك، فتبعه أعميان يصيحان: "ارحمنا يا ابن داود"، ولمّا دخل البيت دنا منه الأعميان، فقال لهما يسوع: "أنؤمنان بأني قادرٌ على ذلك"، فأجابا: "نعم يا سيّد"، فلمس يسوع أعينهما وقال: "فليكن لكما على قدر إيمانكما"، فأنتفتحت أعينهما، وأنذرهما يسوع فقال: "إياكما أن يعلم أحد"، ولكنهما خرجا ونشرا الخبر في تلك الأنحاء كلّها] (متّى: 9/ 27-31).

*** [ولمّا نزل يسوع من الجبل، تبعته جُموعٌ كبيرةٌ، ودنا منه أبرصٌ، فسجد له وقال: "يا سيّدي، إن أردت فأنت قادرٌ أن تُطهرني"، فمدّ يسوع يده ولمسه وقال: "أريد فاطهر"، فطهر من برصه في الحال، فقال له يسوع: "إياك أن تُخبر أحدًا ولكن اذهب إلى الكاهن وأره نفسك، ثمّ قدّم القرّبان الذي أمر به موسى شهادة عندهم"] (متّى: 8/ 1-4).

**** [وما إن سمعت به امرأة كان في ابنتها روح نجس، حتّى أسرعَتْ إليه وارتمت على قدميه، وسألته أن يُخرج الشيطان من ابنتها، وكانت المرأة غير يهوديّة، ومن أصل سوريّ فينيقيّ، فأجابها يسوع: "دعي البنون أولًا يشبعون، فلا يجوز أن يؤخذ خبز البنين ويُرْمى للكلاب"، فقالت المرأة: "يا سيّدي حتّى الكلاب تأكل تحت المائدة من فُتات البنين"، فقال لها: "أذهبي من أجل قولك هذا خرج الشيطان من ابنتك"، فرجعت المرأة إلى بيتها فوجدت ابنتها على السّرير والشيطان خرج منها] (مرقس: 7/ 25-30).

***** [وكان يسوع مرّةً يصلّي في عزلة والتّلاميذ معه، فسألهم: "من أنا في رأي النّاس؟"، فأجابوا: "يوحنا المعمدان"، وبعضهم يقول: "إيليا"، وآخرون: "نبيّ من القدماء قام"، فقال لهم يسوع: "ومن أنا في رأيكم أنتم؟"، فأجابته بطرس: "أنت مسيح الله"، فأمرهم بشدّة أن لا يقولوا ذلك لأحد] (لوقا: 9/ 18-21).

حياة الرِّياء والحياة العديمة الفائدة،¹ وكما اقتدى المسلمون بنبيهم في حوارهم مع أطرافٍ عديدة؛ إذ مارسوا هذه السُّنة مع غيرهم وخاصّة الآخر المخالف لهم في الدِّين، فكذلك حاوّر المسيحيون غيرهم اقتداءً بمحاورات المسيح التي استلهموها من الأناجيل.

أ- ب- بشارات الأناجيل بالنبوة المهدية: إنّ المتتبع لنصوص الأناجيل الحاليّة، يجد فيها صورة عن البشارة بمحمد ﷺ ونُبوءته، وإنّ كانت هذه البشارات تحتاج إلى تأمّل؛ لأنّ علماء أهل الكتاب لا زالوا يشوّهون وجه الدّلالة فيها بإلقاء الشُّبهات، ومّا زاد الأمر عُموماً نقلُ هذه الأسفار من لغة إلى أخرى، ومع ذلك فلم تخلُ الأناجيل من الإشارة إلى كثير من تلك النصوص الدّالة على نبوة الرّسول محمد ﷺ ولو على وجه العموم.²

ونظرًا لكثرة هذه البشارات، فسأكتفي في هذا الموضوع بذكر بشارتين ورَدتا في إنجيل يوحنا، أمّا الأولى فموجودة في قول المسيح لتلاميذه: [وإذا كنتم تحبّوني عملتم بوصاياي، وسأطلبُ من الآب أن يُعطيكم مُعزّيًا آخر يبقى معكم إلى الأبد، هو روح الحقّ الذي لا يقدر العالم أن يقبله، لأنّه لا يراه ولا يعرفه، أمّا أنتم فتعرفونه لأنّه يُقيم معكم ويكون فيكم] (يوحنا: 14 / 15-17). ففي هذه البشارة يُخبر المسيح تلاميذه بنبيّ يأتي بعده؛ لأنّ مهمّته على الأرض ستنتهي قريباً، فأراد أن يُحدّد لهم المرشد الأسمى للإنسانيّة والمرسل رحمة للعالمين،³ وهو النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم؛ لأنّه لم يكن نبيّ بعده إلّا هو؛ فهو خاتم الأنبياء والمرسلين.

وأما الثّانية فكامنة في قول المسيح لتلاميذه أيضاً: [صدّقوني من الخير لكم أن أذهب، فإن كنت لا أذهب لا يجيئكم، أمّا إذا ذهبتُ فأرسلهُ إليكم، ومتى جاء وبخ العالم على الخطيئة والبرّ والدينونة] (يوحنا: 16 / 7-8)، ولا شكّ أنّ المعزّي الوارد في البشارة السّابقة، والرّجل الذي تحدّث عنه المسيح في هذه البشارة هو محمد صلّى الله عليه وسلّم الذي لا ينطق عن الهوى إنّ هو إلّا وحيّ يوحى. وبإمكان هاتين البشارتين أن تُحدّدا بعض معالم الحوار الإسلامي المسيحي، بكونهما وغيرهما مُحفّزتين للمسيحيين على هذا الحوار، كما قد يكون موضوعهما موضوعاً من موضوعاته الحسّاسة.

¹ - نخبة من علماء اللاهوت: التفسير التطبيقي للكتاب المقدّس، دط، شركة ماستر ميديا، القاهرة، مصر، دت، ص 1861-1862.

² - عبد الوهاب عبد السلام طويلة: بشارات الأنبياء بمحمد صلّى الله عليه وسلّم، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1425هـ / 2005م، ص 35، 37.

³ - المرجع نفسه، ص 86.

أ-ج- السلام وحسن المعاملة: جاءت في الأناجيل بعض النصوص على لسان المسيح عليه السلام، تدعو إلى السلام وحسن معاملة الغير ولو كان مُسيئًا، والعمو على المعتدين وعدم الردّ عليهم بالمثل إذا تسلطوا أو ظلموا أو بغوا؛ فتحًا لباب الحوار مع الآخر، وفي هذا الشأن نقرأ في إنجيل متى: [سمعتم أنه قيل: أحبب قريبك، وأبغض عدوك، أما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم، وصلوا لأجل الذين يضطهدونكم] (متى: 5/44-43).

كما نقرأ في التطويبات* الإنجيلية من السفر ذاته: [طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناء الله يُدعون] (متى: 5/9)، وواضح من خلال هذه الفقرة الأخيرة أنّها تدعو للسلام مع الآخر وتحضّ عليه، باعتباره شيمة حسنة من الواجب على جميع المسيحيين التحلي والتمسك بها استجابة إلى ترغيب السيد المسيح ودعوته لهذا الأمر، وبناء على هذه النصوص عاجلت المسيحية مشكلة السلام، وجرت هذه المعالجة في حياة المسيح علاجًا روحيًا خُلقيًا؛ فدعت إلى الحبّ وزهدت في كل ما يؤدّي إلى إقتال الناس وخصامهم¹ والدعوة إلى السلام تجاه الآخرين والعمو عنهم ومحبتهم؛ بادرةً أساسية لا مناص منها للتعايش معهم، فاستثناسًا بالنصوص السالفة الذكر تحاور المسيحيون مع غيرهم قديمًا وحديثًا؛ تطبيقًا لما ورد في هذه النصوص ومجاراة لها في سلوك هذا السبيل.

ب- الجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م) والانفتاح على الديانات الأخرى: يُمثّل الجمع الفاتيكاني الثاني نقطة تحوّل مهمّة، ومُنعرجًا خطيرًا في تاريخ الديانة المسيحية؛ إذ أنه يُعتبر العامل الأساس الذي دفع بالمسيحيين إلى الاعتراف بالآخر ككيان موجود له مكانته في هذا العالم إلى جانب الوجود المسيحي، وذلك من خلال الدعوة إلى الحوار مع غير المسيحيين من مختلف الديانات والمذاهب الأخرى، والانفتاح على الجميع بالتواصل معهم ودمجهم في دائرة الخلاص الإلهي عن طريق أديانهم، وبالتالي إبطال فكرة ومُعتقد أنّ لا خلاص خارج الكنيسة، أو خارج المسيحية، كما كان سائدًا في العصور الماضية. وهو المجلس العالمي الحادي والعشرون للكنيسة الرومانية الكاثوليكية، دعا إلى عقده البابا يوحنا الثالث والعشرون** الذي أصدر وثيقة رسمية بتاريخ: 25 ديسمبر 1961م، يدعو فيها إلى عقد هذا الجمع (وهو من أهم

* التطويبات عبارة عن تسع عبارات قالها المسيح عليه السلام، وكلّ منها يبدأ بكلمة "طوبى"، وجميعها تدلّ على مكارم الأخلاق وتدعو إلى السلم والمصالحة مع الجميع، كما تثني على فاعلي الأعمال الطيبة والخيرة. (يُنظر: متى: 5/3-11).

¹ - محمود التبوي الشال: السلام رسالة السماء، ط1، دار الفكر العربي، 1978م، ص50.

** البابا يوحنا الثالث والعشرون؛ بابا روما الحادي والستون بعد المائتين (1958-1963م)، اسمه: انجيلو جيسي رونكولي (Angelo Giuseppe Roncalli)، عاش ما بين (1881 و1963م)، أصبح كاردينالاً سنة (1953م)، فاز بجائزة بالزان للسلام، لُقّب بـ: بابا السلام والوحدة، دعا إلى توحيد الطوائف المسيحية في العالم. (الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ج8، ص3747).

بجامع الكنيسة الكاثوليكية في العصر الحديث) في كنيسة الفاتيكان* عام 1962م، وأفتتح المجلس رسميًا يوم 11 أكتوبر 1962م في احتفال مهيب، بحضور 2540 عضواً يمثلون الكنيسة، وجمهور غفير من المدعوين الرسميين وجماهير الشعب، وهذا ما أضفى عليه صبغة العالمية؛ إذ كان للحضور من مختلف بقاع العالم على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم طعمًا خاصًا في تغذية أفكار ومقررات وجلسات المجمع.¹

وبعد وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرون في جوان 1963م، تابع أعمال المجلس البابا بولس السادس** الذي عقد أربع جلسات استمرت حتى 08 ديسمبر 1965م؛ إذ أعلن في هذا اليوم عن اختتام فعاليات هذا المجمع في حفل بهيج كذلك،² وأصدر المجتمعون بيانًا ضمّ عدّة مقررات كانت حوصلة أربع سنوات من البحث والنظر، هي:³

ب- أ- الدساتير العقائدية والرعاية: منها دستور عقائدي في الكنيسة، وآخر في الوحي الإلهي، وآخر راعوي في الليتورجيا***، وآخر عن الكنيسة في عالم اليوم.

* الفاتيكان أصغر دولة مستقلة، حيث يبلغ عدد سكانها ألف نسمة، وهي المركز الروحي الذي يقوم بتوجيه الكنيسة الرومانية الكاثوليكية؛ كبرى الكنائس المسيحية في العالم، وتُغطّي مدينة الفاتيكان مساحة قدرها أربعة وأربعين هكتارًا، ولكنّ نفوذها الروحي يشمل الملايين من المسيحيين في جميع أنحاء العالم، ويرأس البابا الكنيسة الكاثوليكية الواقعة في وسط روما بإيطاليا، غير أنّ أرضها تُعدُّ أرضًا أجنبية بالنسبة للرعاعيا الإيطاليين، كما أنّها دولة مستقلة ذات سيادة منذ توقيع معاهدة لاتيران في عام 1929م، والاسم الرسمي لمدينة الفاتيكان في اللغة الإيطالية هو: ستانو ديلا تشيات ديل فاتيكانو (دولة مدينة الفاتيكان)، ولفظة "الفاتيكان" هي الاسم الذي يُطلق على المدينة والدولة على حدّ سواء، وكثيرًا ما تُستخدم للإشارة إلى البابا أو حكومة الفاتيكان. (الموسوعة العربية العالمية، ج 17، ص 169).

¹ - ط. ب. مفرج وآخرون: **موسوعة عالم الأديان**، ط 2، NOBILIS، بيروت، لبنان، ج 19، ص 215-216.

** البابا بولس السادس (1897-1978)؛ بابا روما الثاني والستون بعد المائتين (1963-1978م)، اسمه جيوفاني باتيستا موتيني أونريكو (Giovanni Battista Enrico)، كان أسقف ميلانو، وشغل منصب وزير الخارجية بالفاتيكان، زار الأراضي المقدسة سنة (1962م)، دُعي باسم: "بابا الإصلاح" و"بابا الحوار"؛ لأنه أبدى انفتاحًا كبيرًا على غير الكاثوليك لاسيما الكنائس الأرثوذكسية الشرقية وغيرها من الكنائس والمذاهب والطوائف الأخرى، ونظرًا لاهتمامه بمثل هذه القضايا وخاصة مسألة الحوار بين الأديان؛ لأنه استحدث إدارات ومؤسسات في هذا الشأن (الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ج 2، ص 978).

² - **الموسوعة العربية العالمية**، دط، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ/ 1999م، ج 22، ص 295.

³ - **المجمع الفاتيكاني الثاني - دساتير، قرارات، بيانات -**، ط 1، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، 1992م، ص 5.

*** ليتورجيا (Leitourgia)؛ كلمة مركبة من كلمتين: "ليتو" وتعني الشعب أو الجماعة، و"إرجيا" وتعني عمل، ويُقصد بها الصلاة الكنسية الجماعية أو مجمل العبادات الجماعية، ومن أهم أقسامها: ليتورجيا الأفخارستيا، ليتورجيا المعمودية، ليتورجيا الزّوراج... (تأدرس يعقوب ملطي: قاموس المصطلحات الكنسية، ص 29).

ب- ب- القرارات المسكّية: منها قرار في وظيفة الأسقف في الكنيسة والجماعات الأسقفية، وآخر في الحياة الرهبانية والمؤسسات الجديدة المماثلة لها، وآخر في رسالة العلمانيين، وآخر في رسالة الكنيسة بين الأمم والشعوب، وآخر في حياة الكهنة وخدمتهم للكنيسة ورعاية النفوس، وآخر في التنشئة الكهنوتية، وآخر في الكنائس الشرقية الكاثوليكية، وآخر في الحركة المسكونية واتحاد الكنائس، وآخر في وسائل الإعلام.

ب- ج- التصريحات: منها تصريح في التربية المسيحية، وآخر في الحزبية الدينية، وآخر في علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية.

وهذا التصريح الأخير هو البند المهم في هذه القرارات؛ لأنّ فيه دعوة صريحة للحوار مع غير المسيحيين، وقد تضمّن خمسة محاور أو موضوعات، هي:¹

*مقدمة عامة عن العصر الحاضر. *مختلف الديانات غير المسيحية. *الديانة الإسلامية.

*الديانة اليهودية. *الأخوة الشاملة التي تنفي كل تمييز.

وبالنظر في هذا التصريح يتبيّن لنا بوضوح تامّ تغيير وجهة نظر الكنيسة تجاه الأديان الأخرى؛ تلك النظرة القاصرة على الحصار الخالص داخل الدين المسيحي، ممّا يُعدّ انفتاحاً على العالم الخارجي بصورة عامة.

أمّا فيما يتعلّق بالدين الإسلامي -وهو المقصود- فقد جاء بخصوصه من ضمن بيانات الجمع، ما نصّه:

"وتنظر الكنيسة أيضاً بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد، الحيّ القيوم، الرّحمان القدير، الذي خلق السّماء والأرض، وكلم الناس بالأنبياء، إنهم يسعون بكلّ نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإنّ حقيقت مقاصده، كما سلّم الله إبراهيم الذي يفخر الدين الإسلامي بالانتساب إليه، وإنهم على كونهم لا يعترفون بيسوع إلهاً، يُكرمونه نبياً، ويُكرمون أمّه العذراء، مريم مُبتهلين إليها أحياناً بإيمان، ثمّ إنهم ينتظرون يوم الدين الذي يُجازي الله فيه جميع الناس بعدما يُبعثون أحياء، من أجل هذا يُقدّرون الحياة الأبدية، ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم خصوصاً. ولئن كان قد وقّع في غضون الزمن، كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين، فإنّ الجمع يحرّضهم جميعاً على نسيان الماضي، والعمل باجتهادٍ

¹ - مسعود حايفي: حوار الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي أنموذجاً-، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1428هـ / 2007م، ص 107.

صَادِقٍ فِي سَبِيلِ التَّفَاهُمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَأَنْ يَحْمُوا وَيُعَزِّزُوا كُلَّهُمْ مَعًا، مِنْ أَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ؛ الْعَدَالَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ وَالْقِيَمُ الرُّوحِيَّةُ وَالسَّلَامُ وَالْحُرِّيَّةُ".¹

إِنَّ هَذَا النَّصَّ وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا فِيهِ مِنْ تَجَاوِزَاتٍ وَمُغَالَطَاتٍ، فَإِنَّهُ دَعَا إِلَى التَّسَامُحِ وَالتَّعَاوُنِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ حَيَاةٍ أَفْضَلَ لِكُلِّ النَّاسِ، "وَمَعَ أَنَّهُ مَقْتَضِبٌ، وَمَعَ أَنَّ الْعِلَاقَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ تُخْتَصِرُ بِنِصْفِ صَفْحَةٍ عَلَى الْأَكْثَرِ؛ فَإِنَّهُ يَتَنَاوَلُ الْمَوْضُوعَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْوُضُوحِ وَالشَّفَافِيَّةِ، خَاصَّةً وَأَنَّهُ يَعْتَبِرُ الْمُسْلِمِينَ أَتْبَاعَ دِينِ عِبَادَةِ اللَّهِ، فَهُوَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ لَا يَعْتَبِرُهُمْ مَارِقِينَ، وَلَا يَنْعَتُهُمْ بِالْمُهْرَاطِقَةِ، بَلْ يَعْتَبِرُهُمْ شُرَكَاءَ فِي الْمَصِيرِ الْوَاحِدِ"،² كَمَا أَنَّهُ أَعْطَى بَعْضَ الْإِشَارَاتِ الْوَاضِحَةِ فِي مَجَالِ تَأْسِيسِ الْخَوَارِجِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى ثَوَابِتِ صَلْبَةٍ، تَمْتَحُورُ فِي نِقَاطِ ثَلَاثٍ:³

- الدَّعْوَةُ إِلَى إِكْتِشَافِ نِقَاطِ التَّقَارُبِ، فَمَا يَجْمَعُ الْمَسِيحِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ هُوَ الْمِنْطَلَقُ إِلَى إِظْهَارِ مَا هُوَ مُخْتَلَفٌ فِيهِ بِوَجْهِهِ مُمْتَزِّزٌ، بَعِيدًا عَنِ التَّعَارُضِ وَالتَّبَاعُدِ.

- تُرَكِّزُ الْوَثِيقَةَ عَلَى أَنَّ الْخَوَارِجَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْمَسِيحِيَّةِ، لَيْسَ هُوَ خَوَارِجٌ بَيْنَ دِينٍ وَآخَرَ، بَلْ هُوَ لِقَاءٌ بَيْنَ مُؤْمِنِينَ يَسْعَوْنَ فِي حَيَاتِهِمْ إِلَى عَيْشِ مَعْتَقَدَاتِهِمْ؛ فَهِيَ لَا تُعْلِنُ حَكْمًا عَلَى الْمَعْتَقَدَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بَلْ إِنَّهَا تُسَلِّطُ الضُّوْءَ عَلَى مُؤْمِنِينَ يَلْتَقِي بِهَمِ الْمَسِيحِيِّينَ، فَالْخَوَارِجُ هُنَا لَيْسَ خَوَارِجًا فِكْرِيًّا لَاهُوتِيًّا، بَلْ إِنَّهُ خَوَارِجٌ الْوَاقِعِ وَالشُّهُودِ لَمَّا يَدْعُو كُلَّ دِينٍ إِلَى عَيْشِهِ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا تُخَاطَبُ الْمُسْلِمِينَ بِاعْتِبَارِ مُمَارَسَتِهِمْ لِلْإِسْلَامِ، لَا بِالْإِسْلَامِ فِي حَدِّ ذَاتِهِ.

- التَّحَاوُرُ مِنْ أَجْلِ الْإِنْسَانِ وَإِعْلَاءِ الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْقِيَمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالسَّلَامِ وَالْحُرِّيَّةِ، فَالْبُعْدُ الْبَشَرِيُّ هُوَ قَاعِدَةٌ لِكُلِّ خَوَارِجٍ، فَلَا بَدَّ مِنْ قَبُولِ الْآخَرِ شَرِيكًا فِي الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلَا خَوَارِجٌ مِنْ دُونِ أُنْسَانِ الْعِلَاقَاتِ بَيْنَ الْبَشَرِ.

وَقَدْ سَعَى الْمَسِيحِيُّونَ احْتِكَامًا لِبَنُودِ هَذَا النَّصِّ إِلَى فَتْحِ بَابِ جَدِيدٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ؛ مَبْدَأُ التَّحَاوُرِ وَالتَّلَاقِي وَالتَّعَاوُنِ لِلتَّصَدِّيِّ لِكُلِّ صُرُوفِ الدَّهْرِ وَنَوَائِبِهِ، فَكَانَ ذَلِكَ بِمِثَابَةِ تَعْيِيرِ جَذْرِيٍّ فِي مَوْقِفِ الْكَنِيسَةِ

¹ - المجمع الفاتيكاني الثاني - دساتير، قرارات، بيانات -، مرجع سابق، ص 629.

² - سليم دكاش اليسوعي: وثيقة عمرها من عمر الشباب، ضمن كتاب: واقع الحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 عاما على صدور بيان المجمع الفاتيكاني الثاني في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية، معهد الدراسات الإسلامية والمسيحية، جامعة القديس يوسف، بيروت، لبنان، 21 كانون الأول 2006م، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2007م، ص 7-8.

³ - المقال نفسه، ص 9-10.

من الإسلام، فمنذ انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني وتوثيق هذا التصريح إزداد عقد الملتقيات الحوارية بين المسلمين والمسيحيين وتسارعت وتيرتها بشكل ملحوظ.

فنشأت بخصوص ذلك لجاناً ومنظمات مكلفة بالحوار خاصة مع المسلمين، أهمها؛ "أمانة سر اللجنة الدائمة للعلاقات مع المسلمين"، التي أصدرت بشأن الحوار مع المسلمين بيانات أربعة تناولت؛ وجوب الحوار مع المسلمين، والموقف الديني الذي يجب أن يتبناه المسيحيون في ذلك الحوار، وإرشادات وتوجيهات من أجل هذا الحوار، ووضع خطوط عامة لحوار إسلامي مسيحي مُخلص.¹ كما أنشأ البابا بولس السادس "أمانة سر خاصة بشؤون الحوار مع الديانات غير المسيحية" في 1964م، الأمر الذي سوف نتحدث عنه في الفصل الأخير من هذا البحث، والمخصّص للآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي.

ومن خلال كل ما سبق ذكره، يتبين لنا أنّ الانطلاقة الفعلية للحوار الإسلامي المسيحي المنظم، كانت بعد انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو المجمع الذي يُعدُّ نقطة تحوّل كبيرة في الكنيسة الكاثوليكية؛ إذ أعطاهَا دفْعاً قوياً لانفتاحها على الآخرين، كما منَحَ نَفْساً جديداً لعملية الحوار الإسلامي المسيحي.

3- الدافع المشترك أو التجاور والتعايش والتقارب: إنّ المقصود بهذا الدافع المشترك بين المسلمين والمسيحيين إلى الحوار فيما بينهما؛ ما هو كائنٌ بين الطرفين أو بين أتباع الديانتين من عيش مشترك ماضياً وحاضراً في كثير من الأصقاع والبلدان، وإنّه لأمرٌ يُحَفِّزُ على الحوار العلمي، كما أنّه في صورته الحقيقية حوار عملي؛ لأنّ هذا التجاور أو التعايش ينتج عنه اندماج مجتمعي فيما بين الفريقين، يُفضي إلى إيجاد مسائل وقضايا مُشتركة على سبيل الوحدة الإنسانية والتآلف البشري، تُفضي بدورها إلى ضرورة الحوار فيما بينهما.

فقد عاش المسلمون والمسيحيون جنباً إلى جنب في شتى العصور، بداية من العصر النبويّ، مروراً بعصر الخلافة الراشدة والخلافة الأموية والخلافة العباسية والخلافة العثمانية، وكذلك في العصر الحالي، إذ أنّ التسامح والتآلف والتساوي في الحقوق والواجبات بين أبناء المجتمع الواحد بين مسلمين ومسيحيين، كان مبدأً إسلامياً هاماً في تاريخ الإسلام، كما سادت العلاقات الطيبة بين الفريقين عبر عصور من التعايش

¹ - بسام داود عحك: الحوار الإسلامي المسيحي - المبادئ، التاريخ، الموضوع، الأهداف -، مرجع سابق، 380-391.

والتفاعل والاندماج، مما أدى إلى عمليّة التأثير والتأثر في العادات والتقاليد والأعراف، ممّا يرسم صورة عن الأوضاع التي عايشها الطرفان في شتّى النواحي.¹

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق؛ تخصيص بلدان الشرق الأوسط وخاصة لبنان، إذا ما أردنا إعطاء صورة واقعيّة حقيقيّة حيّة عن تعايش المسلمين والمسيحيين في كيان سياسيّ وحيز جغرافيّ واحد.

فهناك تراكم تراث من الحياة المشتركة بين اللبنانيين مسيحيين ومسلمين، ممّا يجعلهم يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم، كما أنّ بناء الدولة يُعدّ الضامن الأساسي لهذه الصيغة، ولا يجب أن يقوم كلّ فريق بالانحياز إلى مبادئ أو قوانين تُناسب موقفه السياسي في لحظة سياسيّة معيّنة، ففكرة العيش المشترك وميثاقها لا يتحيزان؛ فهي كلّ، وهي ثقافة، وإيمان بهذا الوطن، والمشاركة في بناء الدولة، تُحافظ على هذه الصيغة بدلا من إقامة المرتعات الأمنيّة.²

إنّ حالة لبنان؛ والتي سأفصل القول فيها عند حديثي عن منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي عند محمد حسين فضل الله، هي فقط مجرد حالة تُمثّل بها أو نموذج نُوردّه للتدليل على حالات أخرى كثيرة متشابهة مع الحالة اللبنانيّة، ومُعبرة عن واقع العيش المشترك بين هؤلاء وهؤلاء، وعليه فيمكن الإشارة أيضا إلى مصر وسوريا وفلسطين والسودان وبعض دول أوربا التي تتواجد بها أقليات مسلمة، والولايات المتحدة الأمريكيّة وغيرها....

لذلك فإنّ قضية المواطنة في العالم المعاصر، يُعنى بها المؤمنون بالله؛ مسلمون ومسيحيون في لقاءاتهم وحواراتهم، فيتعاونون على حلّ مشكلاتهم؛ لأنّ في هذه القضية بُعدا دينيا يتعلّق بدائرة الانتماء الدينيّ أولا، ولأنّ إيمانهم بالله سبحانه يوجههم إلى قيم رويّة تحكّم تعاملهم معها ثانيًا،³ وبالإضافة إلى هذا التعايش والتّحاور، يحضّر بين المسلمين والمسيحيين التّفاهم والتّقارب واللقاء في بعض الأفكار العقائديّة والسلوكيّة.

فإذا عُدنا إلى روح الديانتين -الإسلام والمسيحيّة- وإلى منبعهما الإلهي وإلى ما يُبشّران به من قيم، لم نستغرب ضرورة هذا اللقاء والتّفاهم؛ لأنّ مبادئ كلّ منهما تقوم على الغفران والرّحمة والمحبة والتّعاطف والتسامح بين الخلق جميعا، كما يشتركان في الاعتقاد بوجود الله، مع الاحتراز بينهما حول ماهيته وطبيعته؛

¹ - حسن الرّين: أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي -أضواء على الأوضاع الاجتماعيّة والقانونيّة-، ط1، بيروت، لبنان، 1402هـ/1982م، ص5-6.

² - عباس الحلبي: حوار الأديان وبناء الدولة، مرجع سابق، ص136.

³ - أحمد صدقي الدجاني: المواطنة في المجتمع المعاصر، ورقة مقدّمة لأعمال اللقاء الإسلامي-المسيحي: "المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر -صورة الآخر ومعنى المواطنة-"، عمان، الأردن، 21-23 رجب 1419هـ/10-12 نوفمبر 1998م، ص56.

فهم جميعا يعتقدون أنّ الإله الواحد المنزه الأزلي خالق الكون، كما أنّ العبادات والأعمال مقصدها واحد عند الطرفين، إذ يحرصان على عبادة الله مُقرّين باللسان ومصدّقين بالقلب ومُخلصين بالعمل، والإنسان - في نظرهما - هو خليفة الله في الأرض والمنقذ لإرادته فيها، كما يؤمن كلاهما باليوم الآخر والحساب والعقاب، وبالجنة والنار، وبالخلود في الآخرة...¹

لكن يجب أن يُؤخذ بعين الاعتبار الاختلاف بين الفريقين في بعض المفاهيم والتفاصيل الجزئية في هذه الأمور والقضايا العقائدية والسلوكية، إلّا أنّ التشابه في الخطوط العامة والمحاور الكبرى فيها، وأيضاً التجاور في الوطن الواحد بين أتباع الديانتين؛ لهو محفّز على التّحاور فيما بينهما.

وإضافة إلى ذلك ولأنّ العالم يواجه مشكلات جمّة، نجد أنّ المناطق الثقافية المرتبطة بالمسيحية والإسلام مشتركة معاً في تراث مادّي حديث يربطهما معاً، وليس هذا فحسب، بل إنّ المسيحية والإسلام هما ورثة الثقافات المتمازجة للإمبراطورية الرومانية، ذلك أنّ المسيحية سيطرت على هذه الإمبراطورية وبات في العصور المتأخّرة تشكّل ديانتها الرسميّة، وأنّ الإسلام قد استعارت ثقافته كثيراً من المنطق اليوناني والميتافيزيقا والعلوم اليونانية، وبتوالي القرون أصبحت ثقافات الدولة المسيحية ودار الإسلام متجانسة إلى حدّ ما، بحكم وجود أصل مشترك لهما، وقد نشأ عن هذه الصّلة أو القرابة بين الديانتين قضايا معيّنة، فمن ناحية نجدتها عاملاً مُعيّناً على الفهم المتبادل، ولكن من ناحية أخرى نجد أنّ الصّلات بينهما خلال مرحلة التّكوين الباكّة قد هيأت لكلّ دين مجموعة دفاعات عقلية قويّة ضدّ الدّين الآخر، وقد أدّت هذه العلاقة المركّبة التي تحوي في طياتها الألفة والعداء، والتّآلف والصّراع إلى أن أصبح الحوار بين أتباعهما مسألة ضروريّة خاصّة، وإلحاح لا فكاك منه،² وكلّ ذلك ناتج عن التّجاور والاحتكاك الموجود بينهما والذي ما فتئ يتراكم طيلة سنوات وأزمنة عديدة، ولا فضل لأحدهما على الآخر في هذا الشّأن؛ لأنّ كلّاً منهما ينجذب إليه بالقدر نفسه الذي ينجذب إليه الطّرف الآخر، لذلك صنّفناه ضمن العامل أو الدّافع المشترك.

¹ - عبد الرّحمان عطية: المسلمون والنصارى - التّعامل من منظور إسلامي -، ط1، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، 1420هـ/ 2000م، ص55-57.

² - مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، ترجمة: عبد الرّحمن عبد الله الشّيخ، دط، مطابع الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1998م، ص216-217.

المطلب الثالث: مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي، النشأة والتطور.

يبحثُ هذا المطلب الخاصّ بالحوار الإسلامي المسيحي من حيث النشأة والتطور؛ في مسيرة اللقاء الحاصل بين المسلمين والمسيحيين من أجل التّحاور وتبادل الآراء والمعارف والأفكار التي تخصّ الطرفين بصورة أوّليّة، على مسرح التاريخ الإنساني منذ ظهور الإسلام وإلى اليوم، مرورًا بعدة مراحل مهمّة؛ هي في حقيقة الأمر وثائق مؤرّخة لهذا الحوار وشاهدة عليه.

إلا أنّ البحث في هذه المسيرة سيتمّ عرضه بصورة مختصرة؛ لأنّ الغرض منه التمثيل لتلك اللقاءات وتبيان مدى تطوّرها من زمن لآخر، وليس الغرض منه العرض بالتفصيل لمسيرة الحوار الإسلامي المسيحي بكلّ حيثياتها، حيث يطول السرد والتأريخ لحدثٍ عمره عمر الإسلام؛ أي أربعة عشر قرن ونصف تقريباً.

فبداية، يُمكن الحديث عن بعض اللقاءات التي تمت في عهد الرّسول ﷺ، ويحضر في صدر هذه اللقاءات الحوارية؛ ما دار من حديث بين الطّرف الإسلامي ممثلاً في جعفر بن أبي طالب ابن عمّ الرّسول ﷺ، والطّرف المسيحي ممثلاً في ملك الحبشة النّجاشي؛ إذ تحاور الطّرفان حول جوهر الرّسالة المحمّديّة وحقيقة الدّين الجديد الذي جاء به محمّد عليه الصّلاة والسّلام، الذي دعا إلى مكارم الأخلاق وحسن الجوار والعدل والتّوحيد، وبُغض مساوئ العادات ونبد الخبائث، ثمّ تحاورا حول طبيعة عيسى عليه السّلام وحقيقته، فاتّفقا على أنّه عبد الله ورسوله وروح منه وكلمته ألقاها إلى مريم.¹

ويُظهر لنا هذا الحوار المختصر في صورته، حقيقة العلاقة القائمة بين ما جاء به محمّد وعيسى عليهما السّلام، وصدق النّجاشي وإخلاصه لعقيدته الحقيقيّة من غير تحريف ولا زيادة أو نقصان؛ فهو لم يتحوّل عنها ولم يتنكّر لها على الرّغم من البطانة المحيطة به، والتي حاولت مرارًا وتكرارًا صدّه عنها، وقد كان

* اختلف المسيحيون في طبيعة عيسى عليه السّلام وحقيقته، وقد ظهرت في ذلك العديد من الآراء، فمنهم من كان يقول: إنّ المسيح وأمه إلهان من دون الله، ومنهم من كان يقول: إنّ المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثّانية عنها، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإمّا مريم في بطنها كما يمرّ الماء في الميزاب، لأنّ الكلمة دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد، ومنهم من كان يقول: إنّ المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منّا في جوهره، وإنّ ابتداء الابن من مريم، وإنّه أصطفي ليكون مخلصاً للحوار الأسمى، صحبته النّعمة الإلهية وحلّت فيه المحبة والمشية؛ ولذلك سمّي ابن الله، ويقولون: إنّ الله جوهر قدّم، وأقوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يسمونه بالكلمة ولا بالروح القدس، ومنهم من كان يقول: بألوهيّة المسيح؛ وهي مقالة بولس الرّسول، ومقالة الثّلاثمائة عشر أسقفًا، بالإضافة إلى مقالة آريوس التّوحيدية، والتي هي أقرب من هذا كلّه إلى دعوة عيسى عليه السّلام، وقد كانت هذه الاختلافات هي السّبب العام في انعقاد مجمع نيقية عام 325م. (داود علي الفاضلي: أصول المسيحيّة كما يصورها القرآن الكريم، دط، مكتبة المعارف، الرّباط، المغرب، 1393هـ/ 1973م، ص 235-236).

¹ - ابن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق، ص 156.

موقفه من المسيح عليه السلام موافقاً لموقف القرآن والمسلمين منه، وهذا ما يؤكد أنّ عقيدة الأنبياء واحدة، أساسها التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ وعبادته وحده،¹ وذلك بإتباع النهج القويم الذي تمّ رسمه في الوحي المنزل على الرّسل عليهم الصّلاة والسلام.

كما يمكن إيراد صورة أخرى من صوّر الحوار بين المسلمين والمسيحيين، هي أيضاً من اللقاءات الممهّدة لالتقاء الطرفين على سبيل الحوار في صورة جليّة واضحة؛ حيث قدّم على رسول الله ﷺ وفد من نصارى نجران بغيّة إختبار نبوّته والتأكّد من صحّة رسالته، فأسلم بعضهم لما رأوا من الآيات والمعجزات وصدق النّبّي ﷺ، كما بقي بعضهم على معتقده المتمثّل في تأليه عيسى عليه السلام وأنه ثالث ثلاثة، وأنّه ولد الله، وتجلّت سماحة الإسلام كصورة من حوار الحياة المبني على التعايش والتّفاهم بين أتباع الأديان، عندما سمح الرّسول ﷺ لهذا الوفد بالصّلاة إلى جهة المشرق قبله المسيحيين في مسجده، وعليهم لباسهم المعتاد، ثمّ تحاور الطّرفان حول طبيعة عيسى عليه السلام وحقيقته، إذ كان موقف ﷺ يختلف تمامًا عن موقفهم منه، فدعاهم إلى الملاعنة فأبوا، وبعث معهم أبو عبيدة بن الجراح ليقضي بينهم بالحقّ فيما اختلفوا فيه، وأنزل الله في رصّد هذا اللقاء: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصْلُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران: 59-64).²

فهذان المثالان وغيرهما كثير، يمكن اعتبارهما مع أمثالهما من اللقاءات؛ التّوّاة الأولى للحوار الإسلامي المسيحي في العهد النّبويّ، غير أنّ هذا الحوار اتّسم بالسّطحية والعمويّة وعدم التّحضير المسبق له، وبالتالي لم تكن له أهداف أساسية مسطّرة من قبل، ولا غايات مخطّط لها مسبقاً، وحتّى من حيث الموضوعات لم تكن تُختار بطريقة منظّمة، بل كانت تأتي عرضاً وكأّتها مفروضة فرضاً من خلال المواقف المختلفة.

¹ - محمّد سعيد رمضان البوطي: فقه السّيرة النّبوية مع موجز لتاريخ الخِلافة الرّاشدة، ط10، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1411هـ/ 1991م، ص142.

² - ابن هشام: السّيرة النّبوية، مصدر سابق، ص271-277.

وبعد الفترة التأسيسية للإسلام، وبداية عصر الفتوحات؛ انعقدت عدّة لقاءات إسلامية مسيحية فردية وجماعية، فأما اللقاءات الفردية* فقد كانت تجري بين فرد مسلم وآخر مسيحي، وأما الجماعية** فقد كانت تجري إما بين جماعة مسلمة وأخرى مسيحية، أو بين فرد مسلم وجماعة مسيحية، أو بين فرد مسيحي وجماعة مسلمة، بالإضافة إلى بعض الرسائل*** المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين؛ التي هي من قبيل الحوار المكتوب.¹

وفي هذه المرحلة عرّف الحوار الإسلامي المسيحي تطورًا ملحوظًا سواء من حيث كثرة اللقاءات بين الطرفين، أو من حيث الموضوعات التي تمّ فيها الحوار، أو من حيث الأهداف المرجو تحقيقها منه، كما أنّ اللقاءات -في أغلبها- لم تكن تُعقد بطريقة عفوية كالسابق، وإمّا عن طريق الإعلان والتخطيط المسبق، غير أنّه وبالرغم من ذلك كلّ لم تعبّر عن المفهوم الحقيقي للحوار الإسلامي المسيحي في أكمل معانيه؛ إذ كان يغلب عليها الطابع الجدلي أو التناظري وكذا الدّعوي في كثير من الأحيان.

ولم يزهو الحوار بين المسلمين والمسيحيين إلا في العصر الحديث من بعد انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م) أو قبيل ذلك بفترة قصيرة؛ إذ تسارعت وتيرة هذا الحوار بصفة كبيرة، حيث أصبح يُنظر له وتعدّد له العُدّة، وتُختار له المواضيع، وتحدّد له الأهداف والمقاصد والأغراض، وتُرسم له الأبعاد والآفاق المستقبلية، كما بات يُحاط بمجموعة من الضوابط والشروط الضابطة له بغية صيرورته في أفضل الأحوال وهيئة الجو المناسب له، حتّى يؤتي أكله وثماره المبتغاة منه؛ إذ هو ليس مجرد عملية ترفّ فكريّ القصد منها

* من ذلك مثلاً: حوار خالد بن الوليد مع جرجة، وحوار الخليفة العباسي المهدي مع البطريرك طيموثاوس، وحوار هارون الرشيد مع طيبه المسيحي الخاص، وحوار العتّابي مع ابن فروة، وحوار ابن الطّلاع مع مسيحي من قرطبة، وحوارات المسعودي مع أبي زكريا، وحوارات القاضي الباقلاني مع ملك الرّوم، وحوارات ابن رشيّق القيرواني مع قسّيس من مراكش، وحوار الفخر الرّازي مع قسّيس من خوارزم، وحوار بين مسلم ومسيحي في الهند عام 1840م. (الحوار الإسلامي المسيحي -المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف-، ص 167-183).

** منها الحوارات التي كانت تجري في مجلس الخلفتين الأمويين معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان، وحوارات أبي الحسن الأشعري وبعض علماء المسلمين مع فيلسوف مسيحي، وحوارات في عهد الخليفة الفاطمي المعزّ لدين الله الفاطمي (الحوار الإسلامي المسيحي -المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف-، ص 184-195).

*** منها: رسالة عبد الله بن إسماعيل الهاشمي إلى عبد المسيح بن يعقوب الكندي، وكذلك رسالة الحسن بن أيّوب إلى أخيه علي بن أيّوب، وغيرها من الرسائل. (الحوار الإسلامي المسيحي -المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف-، ص 196-216).

¹ - بسام داود عجك: الحوار الإسلامي المسيحي -المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، مرجع سابق، ص 167-184، 196.

استغلال الوقت وحسب، فعُقدت عدّة لقاءات في ظرف وجيز منذ ذلك الحين إلى الوقت الرّاهن، ويُمكن رصد بعض تلك اللقاءات على النحو الآتي:¹

اسم اللقاء	مكان انعقاده	تاريخه	موضوعه
لقاء بجمدون	لبنان	من 22 إلى 29 نيسان/أفريل 1954م	القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية
لقاء غانا	غانا	من 17 إلى 21 تموز/جويلية 1974م	الإيمان بالله الواحد والجماعة الإنسانية من أجل التعاون بين المسلمين والمسيحيين في إفريقيا على صعيد العمل والشهادة
لقاء هونغ كونغ	الصين	من 04 إلى 10 كانون الثاني/جانفي 1974	المسلمون والمسيحيون في المجتمع لأجل الإرادة الحسنة والتشاور والعمل معا في جنوب شرق آسيا
لقاء شامبزي	سويسرا	من 26 حزيران/جوان إلى 01 تموز/جويلية 1976م	الرسالة المسيحية والدعوة الإسلامية
لقاء كارتيني	سويسرا	من 19 إلى 22 تشرين الأول/أكتوبر 1976م	التخطيط للخطوات القادمة في الحوار الإسلامي المسيحي
لقاء بيروت	لبنان	من 03 إلى 06 تشرين الثاني/نوفمبر 1980م	مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي
لقاء عمان	عمان	من 28 إلى 30 أيلول/سبتمبر 1985م	قيم الحياة العائلية في المجتمع الحالي
لقاء إبادان	نيجيريا	من 04 إلى 08 نيسان/أفريل 1991م	التعاون في التنمية الإنسانية

¹ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 13 وما بعدها.

وفي هذه المرحلة تطوّر الحوار الإسلامي المسيحي تطوّرًا ملحوظًا وبلغ أوج ذروته، نظرًا للحاجة الماسّة إليه، حيث عرّف قفزة نوعيّة من جميع النواحي؛ ككثرة اللقاءات المنعقدة بين الطرفين، والاتّفاق المسبق على زمن ومكان ونوعيّة اللقاء، كما عمّت تلك اللقاءات مناطق كثيرة من العالم، ممّا يدلّ على الوعي الفكري والرّشد العقليّ لدى منظّريه والقائمين عليه.

فإذا كان الحوار الإسلامي المسيحي قد انطبع في الفترة السّابقة لانعقاد المجمع الفاتيكاني الثّاني بتطوّرَيْن رئيسيين؛ تطوّر في طُرُق مقارنة الدّين الإسلامي، وتطوّر في العمل المشترك من أجل الحقيقة والعدالة والسّلام، فإنّ العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة قد عرفت تطوّرًا مهمًّا عشية انعقاد هذا المجمع، سواء على المستوى العملي من حيث تعزيز القيم الإنسانيّة المشتركة والتأكيد على العمل المشترك من أجل العدالة والسّلام وتطوّر المجتمعات الإنسانيّة، أو على المستوى اللاهوتي بفضل عمل بعض المستشرقين والمختصّين في الإسلام، وقد تُرجم هذا التطوّر في الجانب الكاثوليكي بتعليم الكنيسة عن الخلاص والقيم الرّوحيّة المشتركة مع المسلمين.¹

وقد سمحت خصوصيّة العلاقات بين المسيحيين والمسلمين منذ ظهور الإسلام بتطوّرات خاصّة في العصر الحديث؛ فبسبب الاشتراك في الثّقافة حدث في أغلب الأحيان ما نسّميه اليوم "حوار حياة" بين الطرفين، هذا الحوار الذي يتضمّن الكثير من الجوانب المهمّة بالنّسبة لهما،² والذي أسهم في إنتشار حركة الحوار الفكري اللاهوتي بينهما في السّنوات الأخيرة على الرّغم من كثرة العراقيل.

وتدعيمًا لهذا المسعى ولهذه المسيرة الحافلة، لا تزال اليوم تُعقد بعض اللقاءات المتعدّدة المشارب والمقاصد هنا وهناك في مختلف بقاع العالم، وخاصّة في ظلّ التطوّرات الرّاهنة التي يشهدها العالم الإسلامي والمسيحي في شتى المجالات، إضافة إلى التعايش الموجود بين الطرفين والنّاتج عن التّجاور الحاصل بينهما في العديد من البلدان العربيّة والغربيّة، والمؤدّي بالضرّورة إلى التّكثيف من عقد لقاءات حوارية بين الفريقين تصديًا للمشاكل والمعضلات والمخاطر، وتوليدًا لحلول لها آنيًا ومستقبليًا.

¹ - صلاح أبو جوده اليسوعي: واقع الحوار الإسلامي المسيحي عشية المجمع الفاتيكاني الثّاني، ضمن كتاب: واقع الحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 عاما على صدور بيان المجمع الفاتيكاني الثّاني "في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة"، مرجع سابق، ص 15، 28.

² - كريستيان فان نسين: مسيحيون ومسلمون... إخوة أمام الله، ترجمة: أنور مغيث، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2006م، ص 103.

المطلب الرابع: مواضيع الحوار الإسلامي المسيحي وأهدافه.

في حلّ القضايا؛ على أساس اختيار المواضيع تتحدّد الأهداف، وهذا هو الشّأن مع الحوار الإسلامي المسيحي، فإنّ له مساعيّ مُبتغاة ومبنيّة على حسب موضوعاته، فلا يتمّ اختيار هذه الأخيرة لذاتها؛ وإنّما على أساس ما سبق رسمه أو تصوّره من غايات ومقاصد.

أولاً- المواضيع:

على الرّغم من كوّن الحوار الإسلامي المسيحي؛ حواراً دينياً بالدرجة الأولى بما أنّ مُنشّطوه والمتحاورون فيه هم العلماء ورجال الدّين من المسلمين والمسيحيين، إلّا أنّ القضايا والمسائل المطروحة فيه للنقاش تشمل بالإضافة إلى المواضيع الدّينية، بعض المواضيع من المجالات الأخرى؛ فهو حوار يعالج قضايا دينية واجتماعية وسياسية وثقافية وفكرية، وغير ذلك من القضايا المتعدّدة.

وبالنظر في بعض المؤتمرات والتّدوات التي جمعت بين أتباع الديانتين سابقاً وحتىّ في الزّمن المعاصر، يمكن إحصاء جملة من تلك المواضيع على شاكلة "الإيمان والقيم الروحية، الاحترام المتبادل والانفتاح على الآخر، الاعتراف بأخطاء الماضي، تشجيع الحوار، التفاهم والتّعايش والتّعاون، الصّلاة المشتركة، حقوق الإنسان، التّعديدية الاجتماعية والدّينية، الأقليات الدّينية، الدّين والدّولة، الحرب والسّلم، الحرّية الدّينية، فلسطين والقدس، الرّسالة المسيحية والدّعوة الإسلامية، مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، المبادئ الأخلاقية بين المسلمين والمسيحيين، المرأة في المجتمع في نظر الإسلام والمسيحية، الكنيسة والجامع ومساهمتهما في انسجام الأديان والمصالحة بينهما، التّعايش الإسلامي المسيحي، قيم الحياة العائلية في المجتمع الحالي، الدّين والمسؤولية...".¹

إنّ التّنوع في المواضيع المتحاور حولها أو فيها، سمّة أو ميزة تميّز الحوار الإسلامي المسيحي عن غيره من مستويات الحوار الأخرى، ولا شكّ أنّ هذا التّنوع ناتج عن مدى سعة أفق ومدارك الأطراف المتحاوره، ومدى تطلّع المسلمين والمسيحيين لعالم أفضل يسوده السّلام والأمن، ويعيش أبنائه معاً كإخوة متعاونين، وأيضاً تعود كثرة المواضيع المعالجة على طاولة الحوار بين الفريقين إلى تنوع القضايا لدى كلّ منهما، فضلاً عن المسائل المشتركة بينهما، والتي تحتاج إلى رؤية مستقبلية أفضل وأنجع بما يُقترَح لها من حلول أو تسويات عن طريق الإيمان والمسالك الدّينية.

¹ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص5-6، 200-206.

ومن الناحية النظرية التنظيمية، قُسمت موضوعات الحوار الإسلامي المسيحي باعتبار تاريخي ومن زاوية إسلامية إلى مرحلتين:¹

1- **المرحلة الأولى:** وتبدأ من العهد النبوي إلى عام 1960م، وتضمّ من المواضيع:

أ- الدعوة إلى الإسلام. ب- إفحام المجادل وإرغامه. ج- إزالة الشبهات. د- التعايش السلمي والاتفاق على الحقوق والواجبات.

2- **المرحلة الثانية:** تبدأ من عام 1960م إلى الوقت المعاصر، وتضمّ من الموضوعات ما تمّ تناوله في المرحلة السابقة، بالإضافة إلى موضوع التقارب الديني بين المسيحية والإسلام.

لكن ما يؤخذ على هذا التقسيم؛ أنّ الموضوعات الواردة فيه أقرب إلى الأهداف، كما أنه يمكن اعتبار هذا النوع الذي تُعالج فيه مثل هذه القضايا؛ من قبيل الجدل والمناظرة، والحوار الإسلامي المسيحي شيء آخر غير ذلك.

ولا تزال أمام هذا الحوار موضوعات كثيرة في الوقت الزاهن وكذلك مستقبلاً، تحتاج هي الأخرى إلى عقد لقاءات إسلامية مسيحية مكثفة لأجل إيجاد حلول لها، ويأتي في مقدمتها ما يعيشه العالم اليوم من صراعات وصدّامات ونزاعات إقليمية ودولية، ومشاكل إنسانية واجتماعية، ومآسي ومعضلات، وغير ذلك من القضايا التي هي جديرة بالنظر والبحث من ناحية دينية على طاولة الحوار.

ثانياً- الأهداف:

يصبو المسلمون والمسيحيون -على حدّ السواء- إلى تحقيق جملة من الغايات والمقاصد من خلال التّحاور فيما بينهما في مختلف المجالات الدّينية والسياسية والاجتماعية والثقافية...، وتتبع مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي واقتفاء أثره في تاريخه وواقعه، يُلاحظ الباحث في هذا المجال أنّ أهداف هذا الحوار يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام؛ أهداف خاصة بالطرف الإسلامي، وأخرى خاصة بالطرف المسيحي، وهذه الأهداف الخاصة قد تكون مُعلنة أو خفية، بالتالي قد تكون ذاتية شخصية على حساب الطرف

¹ - محمد بن عبد الله السّحيم: الحوار التصراني الإسلامي -تاريخه وأهدافه وغاياته والموقف الشرعيّ منه-، بحث مقدّم إلى ندوة: الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي، كلية الشريعة، جامعة الشارقة، الإمارات العربية، 28-30 ربيع الثاني 1428هـ/ 16-18 أبريل 2007م، دط، دم، 1430هـ/ 2009م، ص10.

الآخر، وأهداف مشتركة فيما بينهما ، سمّتها الوضوح والإعلان عنها ظاهراً¹ وذلك في كلّ مجال من المجالات السابقة الذكر. وتفصيل ذلك كالآتي:

1- الأهداف الخاصة بالطرف الإسلامي: وهي كثيرة منها؛ الدّعوة إلى الله تعالى، تصحيح صورة الإسلام في الغرب، بيان شرعية الدّين الإسلامي، إزالة الاستعمار والقضاء عليه، مناصرة ودعم القضية الفلسطينية، إقرار حقوق الإنسان وتفعيلها، بيان تحريف الكتاب المقدّس، تطوير الحوار حجاجاً وتواصلاً، دعم المسلمين معنوياً، مواجهة حركة التنصير، تحقيق الوحدة الوطنيّة، صياغة نمط اجتماعي أخلاقيّ قائم على الاحترام المتبادل...²

2- الأهداف الخاصة بالطرف المسيحي: هي أيضا كثيرة، نذكر منها؛ التبشير بالدّين المسيحي، التقريب بين الأديان، البحث عن نقاط تقاطع مع المسلمين، الاعتذار عن جرائم الحروب الصليبيّة، التبرؤ من التوجّه السياسي الغربي، مواجهة الإسلام السياسي، احتواء دعوة الإسلام والتّطبيع مع إسرائيل، التّهجين أو الخلط بين الثقافات، تخدير القيادات الإسلاميّة الفكريّة، التشكيك العقدي في الإسلام، ترويض الشّباب المسلم...³

3- الأهداف المشتركة بين الطرفين: ومنها نذكر؛ المحافظة على القيم الرّوحيّة للدّيانتين، مواجهة الإلحاد والمادّيّة، التعريف بالدّين الإسلامي والدّيانة المسيحيّة، تحقيق السّلام العالمي، تسوية الصّراع العربي الإسرائيلي، التّصدّي للمدّ الشيوعي، تحقيق التّفاهم والعيش المشترك...⁴

¹ - إسماعيل عريف: الأبعاد الدّينيّة والسياسيّة للحوار الإسلامي المسيحي -دراسة تحليليّة نقدية في ظلّ الحوار الهادف والمثمر- ، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدّين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميّة، قسنطينة، الجزائر، 1434هـ/ 2013م، ص239.

² - المرجع نفسه، ص52-70، 119-136، وعبد الحليم آيت أجحوض: حوار الاديان -نشأته وأصوله وتطوّره-، مرجع سابق، ص323-337.

³ - إسماعيل عريف: الأبعاد الدّينيّة والسياسيّة للحوار الإسلامي المسيحي -دراسة تحليليّة نقدية في ظلّ الحوار الهادف والمثمر- ، المرجع السابق، ص73-94، 142-158، وعبد الحليم آيت أجحوض: حوار الاديان -نشأته وأصوله وتطوّره-، المرجع السابق، ص294-322.

⁴ - إسماعيل عريف: الأبعاد الدّينيّة والسياسيّة للحوار الإسلامي المسيحي -دراسة تحليليّة نقدية في ظلّ الحوار الهادف والمثمر-، المرجع السابق، ص97-113، 161-189، وعبد الحليم آيت أجحوض: حوار الاديان -نشأته وأصوله وتطوّره-، المرجع السابق، ص289-293.

كما يهدف الحوار الإسلامي المسيحي -ولو على وجه الخصوص- إلى إعادة بناء الثقة وإقامة علاقات الصداقة والمودة، مع احترام حدود المغايرة والاختلاف بين الديانتين، وقواعد العيش والعمل المشتركين، ومُتطلّبات المواطنة المتكافئة، دون مسايرة أو مجاملة أو إنزلاق إلى الرّياء والخذاع، والقيام بعدد من النشاطات التي تؤسّس للبرامج المشتركة، ووضع خطط عمليّة تجرّد ترجمة لها في واقع العيش الواحد في مجالات شتى؛ كالإعلام الديني والتربية الدينيّة ونشر الكتب ذات العلاقة والأنشطة، وتعزيز المشاركة السياسيّة ومؤسّسات المجتمع المدني...¹

ومن أهدافه أيضا:²

أ- تنمية الإنسان وإنعاش كيانه الاجتماعي.

ب- إدراك هويّة الآخر إدراكا عميقا بليغا.

ج- بناء عالم القيم الإنسانيّة السّاميّة؛ كقيم العدل والأخوة والسلام.

د- الاعتراف بالقيم الروحيّة التي تنطوي عليها الأديان الأخرى.

وغير ذلك من الأهداف الأخرى المخطّط لها مسبقا من قبل الطّرفين، سواء أجمّدت على أرض الواقع أو بقيت مجرّد حبرٍ على ورق أو أماني قلبيّة قد تأتي رياح التّغيير لإبرازها لوجه الحياة يوما ما.

*مما سبق كلّه، في هذا المبحث، يمكنني القول بأنّ الحوار الإسلامي المسيحي وتماشيا مع التّطوّرات الحاصلة في العالم، بات حركة منظّمة لها مبرراتها ومواضيعها وأهدافها ومستقبلها الفكري والواقعي، وعلى الرّغم من كونه انطلق انطلاقا محتشمة إلا أنّه تطوّر تطوّرا ملحوظا منذ منتصف القرن العشرين، فتبنته مؤسّسات عالميّة ومحليّة، كما أسهمت في تطويره الجهود المبذولة من قبل المسلمين والمسيحيين، ولأنّ موضوع بحثي هذا متعلّق بدراسة هذه الحركة الفكرية والواقعية دراسة مقارنة بين كلّ من محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس، إرتأيتُ تقديم ترجمة مختصرة لهما في المبحثين القادمين من هذا الفصل.

¹ - عباس الحلبي: حوار الأديان وبناء الدولة، مرجع سابق، ص 47.

² - مشير باسيل عون: الأسس اللاهوتيّة في بناء حوار المسيحيّة والإسلام، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2003م، ص 32-

المبحث الثاني: ترجمة محمد حسين فضل الله.

لما كانت هذه الدراسة ، متعلقة ببحث قضية الحوار الإسلامي المسيحي عند رجلين بارزين، ونظرًا لمنهجية البحث العلمي، سأقف في هذا المبحث مع ترجمة لأحد شخصيتي البحث؛ المتمثلة في محمد حسين فضل الله؛ تعريفًا به عنه، وبمكائنه وتوجهاته الدينية والفكرية، إزالة للغموض، وذلك حتى يعرف القارئ محمد حسين فضل الله ويحيط بسيرته الشخصية علمًا، فمن هو هذا الرجل؟.

المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته:

في هذا المطلب أحاول تقديم لمحة مختصرة حول هذه الثلاثية؛ والمتمثلة في نسب محمد حسين فضل الله ومولده ونسبه، تمهيدًا للكلام عن حياته في مختلف جوانبها الأخرى.

أولاً- النسب: ينتهي نسب محمد حسين فضل الله إلى الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من عائلة شريفة؛ فهو ابن عبد الرؤوف بن نجيب الدين بن محيي الدين بن نصر الله بن محمد بن علي بن يوسف بن فضل الله الحسيني العاملي العيناوي من السادة آل فضل الله.¹

ولهذه الأسرة أهمية بالغة وأثر كبير في حياة فضل الله وشعره، وقد عبّر عن إحساسه بهذه الأهمية في قصائده التي خصّ بها بعض أفراد أسرته؛ لأنها ذات سيادة تحظى بمنزلة متقدمة في النشاط الفكري والأدبي في النجف وجبل عامل*، فهم بيت علم وشرف رفيعوا النسب والانتماء والأصل، انتقل جدّهم الشريف حسن من مكة إلى جبل عامل، وآلت إليهم الرئاسة العلمية والدينية بعد آل خاتون**، حيث نبغ منهم عددٌ كبيرٌ من العلماء والفقهاء والشعراء، وكان لهم دورٌ بارزٌ في الحياة السياسية والأدبية في جبل عامل ولبنان، كما كان لهم دورٌ رائدٌ في الحركة الثقافية والفكرية في إيران والعراق.²

¹ - نزار محمد جودة الميالي: الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، ط1، مركز ابن إدريس الحلبي للتمية الفقهية والثقافية، النجف، العراق، شركة السلام، بيروت، لبنان، 2011م، ص20.

* جبل عامل نسبة إلى قبيلة بني عاملة العربية التي هاجرت من اليمن إلى الشام بعد حادثة سيل العرم، وقد سُميت هذه المنطقة بأسماء مختلفة، منها؛ جبل الخليل، جبل الجليل، جبل عامل، جبل عاملة، جبال بني عاملة، والشائع الآن تسميتها بـ: لبنان الجنوبي أو الجنوب، وهناك من المؤرخين من يرى أنّ جبل عامل اسم لبنان بأكمله. (السيد محمد حسين فضل الله شاعراً، ص45-46).

** آل خاتون من العوائل العاملية العريقة التي لعبت دورًا بارزًا في الحركة الفكرية والأدبية في جبل عامل، برز منها العشرات من العلماء والفقهاء والشعراء. (السيد محمد حسين فضل الله شاعراً، ص24).

² - إسماعيل خليل أبو صالح: السيد محمد حسين فضل الله شاعراً، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2003م، ص24.

ولقد كان لهذا النسب الشريف-أيضا- أثرٌ بالغ في حياة فضل الله الروحية والعلمية والفكرية، وعلى الرغم من ذلك كان يرى أنّ الفخر الحقيقي إنما هو بالعمل الصالح والتقوى، والتزام الأخلاق الفاضلة والشيم الحميدة،¹ فقال تعبيراً عن هذا المعنى -وهو لا يزال في العاشرة من عمره-:²

فمن كان في نظم الفريض مُفاخرًا ففخري طراً بالعلا والفضائل
ولستُ بآبائي الأباة مُفاخرًا ولستُ بمن يُبكي لأجل ا
فإنَّك في نيل المعالي مُقصرًا فلا رجعتُ باسمي حُدأة القوافل
سأنهجُ نهج الصالحين وأرتدي رداء العُلا السامي بشتى الوسائل
وأجهدُ نفسي أن أعيش معززا وليس طلاب العز سهل التناول

ثانياً- المولد: وُلد فضل الله في النجف بالعراق؛ لأنَّ والده عبد الرّؤوف مكّث في هذه المدينة ما يُقارب ثلاثين سنة للدراسة والتّدرّيس، وذلك في اليوم التاسع عشر من شعبان سنة أربع وخمسون ثلاثمائة وألف هجرية (1354هـ) الموافق لـ: التاسع عشر من شباط عام خمسة وثلاثين تسعمائة وألف ميلادية (1935م)،³ وهو الولد الأكبر من بين عشرة إخوة لوالديه،⁴ وسمّي بهذا الاسم المركّب من اسمين (محمد حسين) اعتماداً على تقاليد متّبعة، وتعبيراً عن المحبة والتّبرك بالنبيّ محمد ﷺ وآل بيته، وخاصة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ وهو انتسابٌ روحيّ كان متداولاً في الوسط الشيعي في ذلك الوقت،⁵ فكان لهذا الرّجل نصيباً منه.

¹ - محمد عباس دهبني: المرجعية الرشيدة -جولة في حياة السيد فضل الله وأعماله الفكرية والسياسية الخيرية (مقال)، ص01.

² - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحدي الممنوع، ط2، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م، ص28.

³ - سهام حمية: المرأة في الفكر الفلسفي الاجتماعي الإسلامي -دراسة في فكر السيد محمد حسين فضل الله-، دط، دار الملاك، بيروت، لبنان، 2004م، ص05، نقلا عن: سها محمد عيسى صيام: المرجع الديني محمد حسين فضل الله وموقفه من قضايا العقيدة، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1436هـ/ 2015م، ص27، ومحمد عباس دهبني: المرجعية الرشيدة -جولة في حياة السيد فضل الله وأعماله الفكرية والسياسية الخيرية، المقال السابق، ص02.

⁴ - نزار محمد جودة الميالي: الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص21.

⁵ - صابرنا ميرقان: حركة الإصلاح الشيعي -علماء جبل عامل وأدباؤه من نهاية الدولة العثمانية إلى بداية استقلال لبنان، ترجمة: هيثم الأمين، ط2، دار النهار، بيروت، لبنان، 2008م، ص82.

ثالثاً- النشأة: نشأ العلامة فضل الله في بيت علم ووجاهة وأدب، ممّا كان له الأثر البين في روحه وثقافته، مُحاطاً برعاية أسرته، مُتلقياً منها علوم الدين واللغة؛¹ لأنّ آباءه كانوا من العلماء الأفاضل، كما كانوا مراجع للشّيعة في جبل عامل، فجده لأبيه نجيب فضل الله أحد أهمّ علماء الشّيعة، وصاحب إحدى المدارس العريقة التي تخرّج فيها أكابر العلماء، وأبوه عبد الرّءوف يعدُّ من المرجعيّات المعروفة في النّجف ولبنان.²

وفي هذا، وعن النّشأة المتدرّجة التي سار عليها العلماء القُدامى في تعليمهم، يقول فضل الله حاكياً عن نشأته المبدئيّة في بيته ضمن أفراد أسرته ومُفصّحاً عن الجوّ العائلي الذي ترعرع فيه:

"...لقد وُلدت في بيت ديني يتخذ من المعيش الدّيني عنواناً لحركته في الحياة الثّقافيّة، والمسلكيّة العمليّة، كما كان هذا الجوّ ينطلق من عائلة دينيّة، تعيش امتدادات الرّمن في لبنان، وقبل ذلك في مكّة، وهكذا أبي الذي كان يُدرّس العلم في النّجف، ويعيش الرّغبانيّة العلميّة بعمق مع استغراق في دراساته العلميّة؛ درّساً وتدرّيساً، بحيث لم تكن له علاقات اجتماعيّة واسعة، إلّا في دائرة محدودة، وكانت أمّي* امرأة بسيطة لا تملك الكثير من الثّقافة، وهي من عائلة جنوبيّة، ولم تعش شبابها إلّا وهي زوجة فقط، على أساس أنّها لم تأخذ مجالاً واسعاً من الثّقافة في بلدها...".³

وإذا كان ما سبق من قولٍ هو سرُّدٌ للنّشأة العلميّة والدينيّة، فإنّه من حيث النّاحية الماديّة والمعاشيّة، لم تكن الأمور على ما يُرام؛ إذ يقول فضل الله:

"...كنت الولد الذّكر الأوّل في العائلة، وكانت الحياة في داخل البيت حياة بائسة من النّاحية الماديّة، فقد كنّا لا نستطيع التّمتع بما يتمتّع به النّاس الذين يملكون الإمكانيّات المعقولة في الحياة".⁴

وهذا إقرارٌ منه بالحياة البائسة التي عاشها في طفولته بين أفراد أسرته، إلّا أنّ هذا البؤس ذلّل بالمحيط الكائن من حوله:

¹ - إسماعيل خليل أبو صالح: السيّد محمّد حسين فضل الله شاعراً، مرجع سابق، ص 24.

² - نزار محمّد جوده الميالي: الفكر السياسي عند السيّد محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص 21، 23.

* أمّه هي رءوفة بنت الحاج حسين بزي. (أسئلة وردود من القلب مع العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله، ص 10).

³ - وضّاح يوسف الحلو وإسماعيل الفقيه: أسئلة وردود من القلب مع العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله، ط 4، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م، ص 10.

⁴ - المرجع نفسه، ص 10-11.

"...ولكننا كنا نعيش هذا البؤس بشكلٍ طبيعيٍّ؛ لأنَّ المحيط الذي كان يُحيط بنا كان مجموعة من البائسين من طلاب العلم المهاجرين الذين لا يجدون الكثير من سعة العيش".¹

كما يصفُ فضل الله البيئة الثقافية والجغرافية التي عايشها في مرحلة طفولته، فيقول:

"وعشتُ هناك هذه الطّفولة المبكّرة في مدينة النّجف الأشرف؛ المدينة العريقة التي كانت تضمّ إلى جانب امتداداتها العربيّة خليطاً من القوميات المتنوّعة التي كانت تأتي إلى النّجف، إلى جوارٍ مقام الإمام عليّ، أو كانت تأتي للدراسة الدّينيّة والعلميّة. لم يكن هناك شيءٌ بارزٌ في الطّفولة المبكّرة، النّجف كانت تعيش على كنف الصّحراء، وفقط جداول صغيرة يجري في وهاذها المفتحة على الرّمال، تُحيطُ به بساتين تحُدّها إمكاناته في إعطائها الرّي، وفي تلك المنطقة المسماة بـ (الجداول) كان مُتَنَزِّه طلاب العلم في النّجف الذين يخرجون مع عائلاتهم أو أصحابهم في العطلة الدّراسيّة، وهي عادة كلّ يوم خميس وجمعة من أيّام الأسبوع والعطل الدّينيّة المتنوّعة".²

وكلّ شيعيٍّ له ارتباطاته الوثيقة بمراسم العزاء والحزن والزّيارات إلى مرقد الأئمّة، واحتكاماً إلى الشّعائر الدّينيّة المتبّعة لدى الشّيعيّة، لم يخرج فضل الله عن هذا الجوّ المألوف والأمر المعهود، فها هو يحكي واقع نشأته الدّينيّة فيقول:

"...فمن الطّبيعيّ أن أكون في ذلك الجوّ أحسّسُ الأجواء الدّينيّة؛ التي تتمثّل في اجتماعات الزّائرين الموسميّة في أيّام الزّيارات التّقليديّة، عندما كانت والدتي تأخذني إلى المقامات الشّريفة، ومن الطّبيعيّ أن أعيش في أحاسيسي مشاعر الحزن والدهشة والمفاجأة، من الأوضاع التي كانت تتمثّل فيها أشكال الاحتفال بذكري الإمام الحسين في أيّام عاشوراء، حيث كان النَّاس ينطلقون فيها بمواكب، ويلطّمون صُدُورهم، ويُردّدون أهازيج شعبيّة متنوّعة، إضافة إلى الأشخاص الذين كانوا يضربون رؤوسهم بالسّيوف حُزناً على الحسين، أو يضربون ظهورهم بالسّلاسل للغاية نفسها، إلى جانب ذلك كانت الاحتفالات الدّينيّة بمناسبة وفّيات الأنبياء والأئمّة، كما كانت هناك الاحتفالات الفرحة بذكري مواليد النّبّي والأئمّة والأعياد الدّينيّة، وما إلى ذلك، وبشكلٍ كانت تعيش فيه النّجف بما يُشبه الاحتفالات الدّائمة التي لا بدّ وأنْ تترك تأثيرها على مشاعر الطّفل وأحاسيسه بشكلٍ أو بآخر".³

¹ - وضّاح يوسف الخلو وإسماعيل الفقيه: أسئلة وردود من القلب مع العلامة السيّد محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص 11.

² - المرجع نفسه، والصّفحة نفسها.

³ - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحديّ الممنوع، مرجع سابق، ص 23-24.

إنّ هذا، لتصويرٍ للحياة الاجتماعية من الناحية الدينيّة، والعادات والتقاليد الموروثة لدى الشيعيين منذ زمن بعيد، ولم يكن العصر الذي عاش فيه فضل الله عصرًا مختلفًا عن بقية العصور الشيعيّة؛ إذ كان مُفعمًا هو الآخر بهذه المشاهد والحركات الغريبة عن الفكر الإنساني والمفهوم الواقعي للحياة.

وعلى الرغم من تفاعل فضل الله مع هذه المشاعر والأحاسيس والعادات في طفولته إذ كان مُنجدبًا إليها بشكلٍ عفويّ، إلا أنّه بعد ذلك وفي مرحلة التّضحج، رفضها وعارضها؛ لأنّها أحاسيس متناقضة، ممتلئة بالعنف والتّعذيب التّفنسي، كما أنّها لا تُعبّر عن الواقع الحضاري الإنساني الذي يتقدّم ويتطور من عصرٍ لآخر، وهي أيضًا مظاهر عبثيّة لا يمكنها التعبير عن القضية الحسينيّة التي عفا عنها الزمن، وبالتالي لا يجب أن تبقى حائمةً في الدائرة العاطفيّة.¹

ولعله كان في هذا متأثرًا بحركة الإصلاح الديني لبعض المراجع الدينيّة الشيعيّة؛ كالمراجع الديني محسن الأمين* ونقده للممارسات الدينيّة المتمثلة في المجالس الحسينيّة؛ التي تعرض ثورة الإمام الحسين بأسلوب غير صحيح يمتزج بالخرافة والأساطير، فضلًا عن نقده للأساليب المتبعة في تدريس العلوم الدينيّة، وضرورة أن تكون المناهج حديثة وسليسة.²

ولذا فإنّه يُمكن القول بأنّ هذا الرجل تأثر بشكلٍ كبير بآراء وأفكار محسن الأمين، لاسيما حول أبعاد وممارسة الطقوس الدينيّة، فكان لهذه الحركة الإصلاحية الدور الإيجابي في نشأته؛ إذ لم تكن هذه التّشاة عفويّة، بل كانت نشأة متفتّحة على المجتمع، كما تأثر كثيرًا بوالده عبد الرّؤوف؛ لأنّه كان من الشّخصيات النادرة التي أسهمت في بناء فكر فضل الله من خلال الحرّية الممنوحة له في مناقشة الأفكار والآراء، وتأثر كذلك بجده لأمة الحاج حسن بزي؛ إذ تلقى على يديه الكثير من العُلوم والمعارف، وأيضًا تأثر كثيرًا بعمّه محمّد سعيد فضل الله** الذي كان من المجتهدين الكبار في التّحجف، وكان مرشّحًا للمرجعيّة فيها، لكنّه

¹ - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحديّ الممنوع، مرجع سابق، ص 24.

* محسن الأمين العاملي (1867-1952م)؛ فقيه وأديب ومحقّق شيعي من جبل عامل، ويرجع نسبه على حسين ذي الدّعة بن زيد الشّهيد، انتقل إلى التّحجف عام 1408هـ بعد أن أتمّ دروس المقدّمات في مسقط رأسه جبل عامل، ودرس هناك مرحلة السّطح والخارج في الفقه والأصول لينال بعد ذلك درجة الاجتهاد، كما ساهم في تربيّة مجموعة من الطّلاب الذين نحلوا من علمه، ولم يكن عالما في الدّين وحسب، بل كان له باع في الأدب، من كتبه: أعيان الشّيعية، كشف الإرتياب... (موسوعة ويكيبيديا).

² - نزار محمّد جودة الميالي: الفكر السياسي عند السيّد محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص 26.

** محمّد سعيد فضل الله (ت 1374هـ)؛ عالم كبير ومحقّق أصولي، درس عند السيّد أبي الحسن الأصفهاني والشيخ محمّد حسين الثاني في حوزة التّحجف الأشرف هو وأخوه عبد الرّؤوف. (الفكر السياسي عند السيّد محمّد حسين فضل الله، ص 22).

رَفَضَ ذلك لُزُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّهُ تَأَثَّرَ كَذَلِكَ بِخَالِهِ عَلِي بَزِي*، وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ مِنَ الشَّخْصِيَّاتِ الْبَارِزَةِ.¹

وَلَقَدْ وَعَى فَضَلَ اللَّهِ الْحَالَةَ الشَّعْرِيَّةَ مِنْذُ طُفُولَتِهِ، حَتَّى أَنَّهُ نَظَّمَ الشَّعْرَ فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عَمْرِهِ؛ شَعْرًا تَقْلِيدِيًّا تَأَثَّرَ بِهِ مِنْ خِلَالِ الْمَجَالِسِ الْأَدْبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُعَقَّدُ فِي النَّجْفِ الْأَشْرَفِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُرَدَّدُ الْمَآثِرُ وَيَذَكَّرُ الْفَضَائِلَ،² وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الْمَلِكَةَ الشَّعْرِيَّةَ لَدَيْهِ نَشَأَتْ مَعَهُ مِنْذُ الصَّغَرِ، وَصَاحِبَتُهُ فِي مُخْتَلَفِ مَرَاكِلِ حَيَاتِهِ، فَنَظَّمَ الْعَدِيدَ مِنَ الْقَصَائِدِ وَالِدَّوَاوِينِ.

وَبِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ تَفَتَّحَ الرَّجُلُ عَلَى الْحَيَاةِ الْمَحِيظَةِ بِهِ بِمَصْرَاعِيهَا، فَانصَهَرَ فِي الْأَجْوَاءِ السِّيَاسِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، وَلَمْ تَكُنْ بَدَايَاتُهُ مِنْحَصِرَةً فِي الْجَانِبِ الدِّينِيِّ، بَلْ اتَّسَعَتْ لِتَشْمُلَ جَوَانِبَ أَوْسَعِ، وَهَذَا مَا انْعَكَسَ عَلَى قَرَاءَاتِهِ وَأَفْكَارِهِ وَأَدَّى بِهِ إِلَى اتِّخَاذِ الْمَوَاقِفِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مَرِحَلَةٍ مَبَكَّرَةٍ، لِذَلِكَ وَعِنْدَمَا زَارَ لَبْنَانَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي السَّابِعَةِ عَشَرَ مِنْ عَمْرِهِ سَنَةَ 1952م، بَدَأَ الْعَمَلَ عَلَى مَسْتَوَى التَّحَدِّيِّ فِي مَنطِقَةِ بَنَاتِ جَبِيلِ*؛ إِذْ أُتِيحَتْ لَهُ جُلُوسَاتٌ عِلْمِيَّةٌ وَفِكْرِيَّةٌ وَاسِعَةٌ وَمَفْتُوحَةٌ، مَلِيئَةٌ بِالْمُنَاقَشَاتِ الْحَادَّةِ حَسَبِ الْجَوِّ الثَّقَافِيِّ.³

وَمِمَّا لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّ طَبِيعَةَ الْأَجْوَاءِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَحْدَاثِ السِّيَاسِيَّةِ الَّتِي عَاشَ فَضَلَ اللَّهِ فِي كَنَفِهَا، قَدْ مَهَّدَتْ لِتَوَجُّهَاتِهِ الْفِكْرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ، الَّتِي جَعَلَتْهُ مِنْ أَبْرَزِ الْمَفْكَرِينَ الْإِسْلَامِيِّينَ وَالسِّيَاسِيِّينَ الْمَعَاوِرِينَ،⁴ وَرَجَالَ الدِّينِ الْمَتَفَتِّحِينَ عَلَى الْعَالَمِ بِكُلِّ أَشْكَالِهِ وَطَوَائِفِهِ، خَاصَّةً وَأَنَّهُ قَسَمَ حَيَاتِهِ بَيْنَ بِلَدَيْنِ يَتَمَيَّزَانِ بِالِاخْتِلَافِ وَالتَّنَوُّعِ الطَّائِفِيِّ وَالْمَذْهَبِيِّ وَالْإِثْنِيِّ؛ الْعِرَاقِ وَلَبْنَانَ.

وَقَدْ تَتَابَعَتْ زِيَارَاتُهُ إِلَى لَبْنَانَ مِنْ وَقْتٍ لآخَرَ، حَتَّى إِنَّهُ فِي سَنَةِ 1955م مَكَثَ فِيهَا مَدَّةَ سَنَةٍ وَنِصْفٍ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا قَدِمَ إِلَيْهَا وَالِدُهُ وَهُوَ آتٍ مِنَ النَّجْفِ؛ كَانَتْ مَلِيئَةً بِالنَّشَاطِ وَالْحَيَوِيَّةِ فِي أَكْثَرِ مِنْ مَوْقِعٍ وَأَكْثَرِ مِنْ أَفْقٍ، إِلَى أَنْ عَادَ إِلَيْهَا نَهَائِيًّا سَنَةَ 1966م، بَعْدَ أَنْ تَلَقَّى دَعْوَةَ مَنْ قَبِلَ مَجْمُوعَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُنْتَمِينَ إِلَى

* علي حسن بزّي (1912-1985)؛ دبلوماسي وسياسي ونائب لبناني سابق، ومن مؤسسي حزب النداء القومي اللبناني، ومن أركان جبهة الاتحاد الوطني اللبناني، ولد في مدينة بنت جبيل، وتلقى علومه الأولى فيها ثم انتقل إلى النبطية ومنها إلى دمشق ليكمل دراسته.

¹ - نزار محمد جودة الميالي: الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص 26-27، وعلي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحدي المنوع، مرجع سابق، ص 34-38.

² - علي رفعت مهدي: الاتجاه الروحي في شعر السيد محمد حسين فضل الله، ط 1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2004م، ص 38.

* بنت جبيل هي إحدى القرى اللبنانية من قرى قضاء بنت جبيل في محافظة النبطية، استمدت اسمها من نزوح أميرة تنوخية إليها، وتحولت إلى معقل حزب الله الرئيسي في الجنوب اللبناني.

³ - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحدي المنوع، مرجع سابق، ص 29.

⁴ - نزار محمد جودة الميالي: الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، المرجع السابق، ص 27.

"جمعية أسرة التّأخي" المقيمين في منطقة النّبعة بضاحية بيروت الشّرقية للإقامة عندهم،¹ وهكذا فإنّ فضل الله حتّى وإنّ كان نجفيّ عراقيّ المولد والنّشأة، إلّا أنّه لبنانيّ الأصل والانتماء.

المطلب الثّاني: مساره العلمي والفكري.

أولاً- المسار العلمي: إنّ المتبّع لحياة فضل الله العلميّة والتّعليميّة؛ يلقاها حياة زاخرة بالعطاء والكثافة دراسة وتدرّيساً، وشغلاً للمناصب العُليا فيها، ذلك أنّه بلغ شأواً كبيراً ومعتبراً في هذا الشّأن، بما حصّله من علوم ومعارف في شتىّ الأنواع العلميّة والمعرفيّة (التّخصّصات).

فككلّ عالم نبيه مشهور، بدأ الرّجل مراحل تعليمه في الكتاتيب التي كان يُشرف عليها بعض الشّيوخ الكبار في السنّ، من أجلّ تعليم القراءة والكتابة، وتحفيظ القرآن الكريم، إلّا أنّه انتقد طريقة التّدرّيس في هذه الكتاتيب؛ لأنّ القائمين عليها كانوا يملكون أسلوباً عنيفاً يحطّم نفسيّة الطالب الطّفل، إذ كانوا يسلّطون على الذي يُخطئ خطأ بسيطاً؛ أنواعاً قاسية من العقاب، تتحطّم فيها شخصيته نفسياً وجسدياً، كما أنّها تسلك طريقة تقليديّة لا تمكّن الطالب من الانفتاح والتّطور ومواكبة العصر، وما يزيد من سلبيتها أيضاً؛ تفضيل الطّلاب بعضهم على بعض من طرف الشّيخ المدرّس.²

لذلك لم يمكث كثيراً فيها نظراً للظّروف المذكورة آنفاً، فانتقل إلى مدرسة تابعة لجمعية منتدى التّشر؛ التي كانت تسلك أسلوباً حديثاً في التّدرّيس، لكنّه لم يلبث أن تخلّى عنها كذلك، لينتقل إلى طلب العلم الدّيني في سنّ مبكرة جدّاً؛ حيث قرأ متن الأجرّوميّة لابن آجرّوم، وكتاب قطر النّدى وبلّ الصّدى لابن هشام، كما درس على يد والده (دراسة السّطوح)؛ التي يقرأ فيها الطّالب في الكتاب ليشرحه له أستاذه، ودرس أيضاً المنطق واللغة والأصول والفقه، ثمّ انتقل إلى ما يسمّى: بالبحث الخارج؛ الذي يقوم بإلقائه أو تلقينه أستاذ كبير من المرجعيّات الدّينيّة.³ وهكذا لم ينتسب في صغره إلى المدارس الحكوميّة، ويعود السّبب في هذا لكوّن المدرسة في ذلك الوقت ولاسيما في المناطق ذات الطّابع الدّيني كالتّحجف وكربلاء؛ يُنظر إليها كنتاجٍ غربيّ، وبالتالي كان الدّخول إليها مستنكراً في نظر البعض في تلك الفترة في هذه الأماكن.⁴

1 - علي حسن سرور: العلامّة فضل الله وتحديّ الممنوع، مرجع سابق، ص 54.

2 - المرجع نفسه، ص 25.

3 - المرجع نفسه، ص 26.

4 - وفاء كاظم ماضي الكندي ومروة سليم حبيب: السيّد محمّد حسين فضل الله - حياته ومواقفه من القضيّة اللبنانيّة، مجلّة مركز بابل للدراسات الإنسانيّة، مع 4، عدد: 03، ص 161، وحسن علي سرور: العلامّة فضل الله وتحديّ الممنوع، المرجع السابق، ص 33.

ونظرًا لهذه الأسباب التي تنفّر من التعلّم في المدرسة، إنتسب فضل الله إلى الحوزة الدنيّة حوالي سنة 1946م، وكان عمره آنذاك إحدى عشر سنة، وقد استمرّت دراسته في الحوزة قرابة 22 سنة؛ أي درس فيها حتى سنة 1968م¹، ويشرح فضل الله الطّريقة المتّبعة في الحوزة الدنيّة، والتي كانوا يسلكونها في الدّراسة، فيقول:

"وإنني أتذكّر طريقة الدّراسة في التجف، حيث كانت الطّريقة؛ بأنّ يحضّر التلميذ درسه تمامًا كما يحضّر الأستاذ درسه، وكنا نحاول أن نطالع دروسنا، ونطالع ما هنالك من شروحات وحواشي في الكتاب، لنحاول أن نفهم الدّرس قبل أن يُلقيه الأستاذ علينا، لنناقش أستاذنا فيما قد نأخذ عليه في أثناء شرحه للدّرس، سواء في شرحه للعبارة لنناقشه في فهمه، أو شرحه للمطلب لنناقشه فيه، وكانت الطّريقة أيضًا، أن ينطلق الطّالب بعد درسه، ليذاكر طالبًا آخر زميلًا له في الدّرس، ليُلقني أحدهما على الآخر شرح الدّرس، كما لو كان أستاذًا له في هذا اليوم، ليأتي الآخر في اليوم الثاني ليُلقني شرح الدّرس الثاني..."² وتنبئ هذه الطّريقة عن مدى وعي الطّلاب الفكريّ والعلميّ، وتبيّن مدى حرصهم على طلب العلم واجتهادهم في التّحصيل، ومساعدتهم إلى المبادرات العلميّة والمعرفيّة، طمعًا في بلوغ المراتب العليا والمرموقة.

كما كان الطّلاب في الحوزة الدنيّة يجتمعون في ليالي الخميس والجمعة، حيث تُقام مجالس التعزية، التي يلتقي فيها العلماء والطّلاب لأجل إثارة بعض الإشكالات والمناقشات التي تمتدّ على أكثر من ستّ (06) ساعات، وفيها يتمكّن الطّالب من اكتشاف إمكاناته الفكرية³.

وفي أثناء كلّ هذه المراحل التّعليميّة، تتلمذ محمّد حسين فضل الله على يد عدد معتبرٍ من الشيوخ والعلماء، نذكر منهم:⁴

- والده عبد الرّؤوف فضل الله، والذي درس عليه مختلف العلوم والمعارف.
- أبو القاسم الخوّئي بن السيّد علي أكبر الخوّئي بن هاشم تاج الدّين (1899-1992م)، والذي درس عنده في مرحلة البحث بالخارج.

¹ - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحديّ الممنوع، مرجع سابق، ص 43.

² - المرجع نفسه، ص 43-44.

³ - المرجع نفسه، ص 44.

⁴ - وفاء كاظم ماضي الكندي ومروة سليم حبيب: السيّد محمّد حسين فضل الله ومواقفه من القضية اللبنانيّة، مقال سابق، ص 163-167.

- محسن الحكيم بن السيد مهدي صالح بن السيد أحمد (1889-1970م)، حيث درس عليه التفسير والعقائد والفلسفة والاقتصاد.
- محمد الشاهرودي (1883-1973م)، إذ درس عليه الفقه والأصول.
- علي بن حسين الحلي النجفي (1891-1973م)، درس عليه أيضا علم الأصول والفقه.
- محمد باقر الصدر (1935-1980م)، درس عليه الفقه والأصول كذلك.
- حسن الموسوي البجنوردي (1894-1974م)، درس عليه علم المنطق والأصول.
- صدر الدين البادكوبي (1898-1956م)، درس عليه الفلسفة.

وبعد هذه المسيرة الدراسية الحافلة بالطلب والاجتهاد، والتّمكّن من ناصية كثير من العلوم والمعارف، تأهل فضل الله للتدريس وتولّى المناصب العُليا، فشرع في أداء مهمته بتفانٍ وإخلاص، فكان من ذلك تأسيسه للمعهد الشرعي الإسلامي، حيث يقول:

"ومنذ بداية إقامتي في منطقة النّبعة، حاولت أن أستمّر في الدّراسات الفقهيّة العلميّة، ولذلك فقد أسّست الحوزة الدّينيّة لتخريج علماء الدّين، تحت اسم "المعهد الشرعي الإسلامي" الذي ضمّ مجموعة من الطّلاب؛ الذين تحوّلوا بعد ذلك، إلى شخصيات فاعلة في أكثر من حقل...، كما كان من طلّابها العديد من علماء الدّين؛ الذين انطلقوا في الحقل الدّيني من واقع لبنان، وقد استطاع المعهد الشرعي الإسلامي أن يُثير الحركة العلميّة الفقهيّة بشكل جيّد في تلك المرحلة، وهذا ما ساعدني على مسألة التّمو الفقهي، لأنّي لم أترك الدّراسات الفقهيّة الاجتهاديّة، منذ ذلك الوقت وحتى الآن".¹

وقد كان يُدرّس في هذا المعهد كثيراً من الرّسائل والكتب العلميّة؛ كالمكاسب والكفاية، وكتاب بداية المجتهد ونهاية المقتصد الذي هو كتاب استدلالي مختصر لابن رشد القرطبي الجدّ في مذاهب الشّنة، كما درّس أيضا دروس البحث الخارج في الفقه والأصول سنين كثيرة، وكان يحضّرها الكثيرون من طّلاب العلم، وقد صدرت تقارير لبعض أبحاثه في التّكاح والرّضاع والوصيّة والموارث والقضاء وغيرها، بالإضافة إلى أشرطة التّسجيل الصّوتي في الأبواب الفقهيّة والأصوليّة المتنوّعة، كما كان يدرّس أيضا بدمشق في حوزة المرتضى يومي السّبت والأحد من كلّ أسبوع، وكان يحضر مجلسه هذا عدداً معتبراً من طّلاب العلم وأساتذة

¹ - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحدي الممنوع، مرجع سابق، ص55.

الحوزة من العراقيين والخليجيين بشكل خاصّ، كما درّس في أبواب مختلفة من المعارف وغير ذلك من العلوم...¹ لذلك يمكن عدّ العلامة فضل الله من العلماء الموسوعيين المتحقّقين بعلوم شتى ومعارف جمّة في مختلف المجالات، إذ يبرعون فيها ويتمكّنون من ناصيتها، ثمّ يلقّونها لطلابهم وتلامذتهم.

وكما تلقّى هو علومه ومعارفه واكتسبها من شيوخ وأساتذة أشرفوا على تعليمه وتدرّسه وتكوينه طيلة مرحلة التلقّي، فإنّه مقابل ذلك كان له تلاميذ وطلّاب تتلمذوا على يده وهلّوا من معين علمه الكثيف، على غرار:²

- حسن عبد الكريم نصر الله المولود عام 1960م، أمين عام حزب الله منذ 1992م.

- عبد المحسن عبد الله السراوي، مؤسس معهد الإشراف العلمي، ودار الإشراف للطباعة والنشر والتوزيع.

- منير علي خان، مدير حوزة زين العابدين للدراسات الإسلاميّة المقارنة بسوريا.

- نعيم قاسم المولود عام 1953م.

- عبّاس الموسوي (1952-1992م)، ثاني أمين عام لحزب الله اللبناني.

ثانياً- المسار الفكري: إضافة إلى الحقل العلمي المعرفي، مارس فضل الله العمل الإسلامي الحركي بقوة وإخلاص إلى جانب الثلّة المؤمنة التي انطلقت إلى تغيير الواقع البائس فكريّاً، وتحويله إلى حركة حيّة في طريق الإسلام؛ فكان من الذين يُشارُ إليهم بالبنان في هذا المجال؛ إذ ساهم في إكمال افتتاحيّة "مجلّة الأضواء"، والتي تُورّخ لمرحلة هامّة من تاريخ الوعي الإسلامي، وتسلّط الأضواء على أهمّ القضايا التي كانت تعيشها الأمة آنذاك، وأهمّ الشؤون التي كان العمل الإسلامي يحتاجها في معركته الحضاريّة مع القوى المعادية.³

وفي تلك السّنوات التي تُعتبر الأساس والأصل المتينين للتحرّك الإسلامي المعاصر، كان الرّجلُ يُجوب العراق ليشارك في الاحتفالات الجماهيريّة، ويطرح على الملأ ويتحدّ واضح موقف الإسلام من الأعداء،

¹ - سها محمّد عيسى صيام: المرجع الديني محمّد حسين فضل الله وموقفه من قضايا العقيدة، مرجع سابق، ص36.

² - وفاء كاظم ماضي الكندي ومرّوة سليم حبيب: السيّد محمّد حسين فضل الله وموقفه من القضية اللبنانيّة، مقال سابق، ص167-168.

³ - حسين بركة الشامي: المرجعيّة الدينيّة من الدّات إلى المؤسّسة، ط1، دار السّلام، لندن، بريطانيا، 1419هـ/ 1999م، ص398.

ويبثُّ في الأمة روح القوَّة والتَّحدِّي والعودة إلى أصلاتها الإسلاميَّة، وقصائدهُ خير شاهد على ذلك،¹ وفي هذا دليلٌ على مشاركته في حمل أعباء وهموم الأمة الإسلاميَّة، وحرصه على صيانة المجتمع الإسلامي من الأفكار الغازية التي تُحيط به من كلِّ جانب، وتترصدُّ أيَّة هفوةٍ أو سهوٍ منه لتتربص به الدوائر، فكان -رحمه الله- واعياً بجميع هذه الخطط والمؤامرات، فطفق يعملُّ على توعية الشَّباب المسلم؛ لتجنُّبها أو الحدِّ من سطوتها والتخفيف من سيطرتها.

لكنَّ ذلك الاهتمام والوعي لم يتأتَّ له من فراغ ولم يذهب سُدى، بل إنَّه نابعٌ من الحرص والمثابرة على حلُّول مشاكل الأمة، ومُجسِّدٌ في نشاطٍ فكريٍّ عميقٍ وثرِيٍّ، تمثِّل في العديد من الأعمال الفكرية والمبادرات العمليَّة والعقليَّة، مثل:²

- الإصدارات الفكرية المتنوعة من نشر مقالات وتأليف كتب؛ التي كانت تغطِّي حاجات السَّاحة الفكرية، وتحاول الإجابة عن الإشكاليات التي يُفرزها الواقع الإسلامي، وكذلك الكتابات المصاحبة لنشأة الحركة الإسلاميَّة، واستشراف المستقبل، وتشخيص الداء المنتشر في الأمة لوصف الدواء المناسب له.

- المشاركة في الندوات واللقاءات مع الاتجاهات غير الإسلاميَّة في قضايا الفكر والعقيدة لاسيما مع المدِّ الثقافي الذي أطلقه الفكر المادِّي الإلحادي الذي كان سائداً في العراق ولبنان وغيرها من البلدان.

- تأصيل المفاهيم الإسلاميَّة المتعلقة بمختلف قضايا الحياة لدى الإنسان المعاصر، وقد كانت هذه المفاهيم تصدرُ في كراسيات بعنوان: "مفاهيم إسلامية عامة"، كان لها أثرها البالغ في تنشئة الجيل المسلم.

- حلقات الحوار الفكري التي كان يُجريها الرَّجل في الأندية الثقافيَّة والجامعات والحوزات، أو عبر المقابلات الصحفية، حيث لم يكن يترك مناسبة إلا ويعرض فيها الرؤية الإسلاميَّة للحياة وللقضايا المطروحة، في سبيل تأكيد فكرة أنَّ الإسلام دينٌ مواكبٌ للعصر ولروح الواقع الحالي والزَّمن الآني.

- حضور المؤتمرات والاحتفالات المتنوعة والمناسبات الاجتماعيَّة، تمريراً للمشروع الفكري الرَّامي إلى تحصيل الأمة الإسلاميَّة وتوعية شبابها.

والمتتبَّع لهذه المسيرة الفكرية، يتبيَّن له أن حركة فضل الله في هذا المجال كانت عنوان شخصيته، التي لم تنحصر ولم تقتصر على المشاركة في مؤتمرات النُخب الفكرية والثقافية فحسب، بل زجَّت بنفسها في كلِّ

¹ - حسين بركة الشامي: المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة، مرجع سابق، ص398-399.

² - المؤسسة المرجعية انجازات وآمال، ط4، دم، 1432هـ/2012م، ص11-12.

موقع بالمستوى والشكل المناسبين، فكان الرجل منبراً للمسجد، ومنبراً فكرياً، وكذلك المنبر الحسيني، والمقابلة الصحفية؛ فهو يسارع في كل شيء يحتاجه العاملون على مستوى القاعدة والتخطيط والحركة الإسلامية، ويؤمن الرعاية على مستوى متابعة الواقع.¹

ولعل ما قدمته ووصفته من مجهودات علمية وفكرية، كانت بمثابة المنطلقات التي أهلت فضل الله لنيل مرتبة المرجعية الدينية الشيعية* وقد شهدت له بذلك العديد من الشخصيات** الشيعية، التي أدلت بشهادتها بخصوص عالمية الرجل وتلوهه درجة الاجتهاد، وجواز تقليده وإتباع فتاويه،² وقد أعلن هو ذاته عن تصديده للمرجعية الدينية عام 1995م، نظراً للحاجة الملحة في إيجاد تأسيسات فقهية للمسائل المعاصرة، بناء على رغبة الكثيرين من مؤيديه ومناصريه،³ ليكون بذلك مصدرًا من المصادر الشيعية التي بلغت مرحلة الاجتهاد وإصدار الفتاوى والآراء، والتي يُرجع إليها في العديد من المسائل والقضايا المختلفة والمتنوعة سواء منها العقائدية أو الفقهية أو الأخلاقية أو الفكرية أو غيرها من القضايا الأخرى ذات العلاقة بالإنسان وبواقع الحياة المعاصرة.

¹ - المؤسسة المرجعية انجازات وآمال، مرجع سابق، ص 12.

* المرجعية الدينية مفهوم شيعي معناه: رجوع المسلمين الشيعة إلى من بلغ رتبة الاجتهاد والأعلمية في استنباط الأحكام الشرعية، ومن أصبح مؤهلاً لمنصب الإفتاء وإصدار آرائه في الأحكام الفقهية في كتاب يسمى الرسالة العلمية يعبر عنه بـ: المرجع الديني أو آية الله العظمى، ويعتقد الشيعة أن المرجعية الدينية مورست من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وآله بيته خاصة علي والحسن والحسين رضي الله عنهم، ولها عدة شروط؛ منها: بلوغ درجة الاجتهاد وضرورة ضبط جماع النفس وكبح شهواتها والخبرة بشؤون الحياة وتفصيلها وما يكتنف الأمة من أحداث، كما أنّ الدور الذي تؤديه المرجعية الدينية في حياة الأمة هو امتداد لدور الأئمة المعصومين من خلال دراسة سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن خصائص المرجع الديني؛ اعتماد سياسة الحوار والعلمية والشمولية والمبدئية ونظافة الأساليب والشفافية في التعاطي مع الجماهير والحرص على إعمار الحياة، وهي؛ أي المرجعية، لا يصل إليها شخص بين عشية وضحاها ولا يتقّمصها مجهول لا يعرف أصله ولا فصله، وإنما لا بدّ أن يُعرف تاريخ الشخص الذي يتصدى للمرجعية بوضوح لسنين طويلة تكون كافية للاطمئنان إلى علمه الذي الذي يصل إلى درجة الاجتهاد وحسن سيرته المعبر عنها بالعدالة ونقاء أصله المعروف بطهارة المولد، وغير ذلك من الضوابط الأخرى التي يجب أن يحتكم إليها المتصدى للمرجعية. (محمد يعقوبي: المرجعية الدينية ومهمات الواقع الإسلامي، ط 1، دار الصادقين للنشر والتوزيع، 1435هـ / 2014م، ص 05-29).

** من هذه الشخصيات: حسن الأبطحي وإبراهيم الدماوندي ومحمد الصادق الطهراني وعبد الهادي الفضلي... وغيرهم. (يُنظر: موقع بينات: Arabic.bayynat.org.Lb).

² - موقع بينات (Arabic.bayynat.org.Lb)، الموقع الرسمي لمحمد حسين فضل الله، قسم السيرة الذاتية، فضل: مرجعية السيد فضل الله. تاريخ التصّحّح: 2018/08/09م، الساعة: 10:15.

³ - نزار محمد جودة الميالي: الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص 33.

المطلب الثالث: وفاته وأثاره.

أولاً- الوفاة: أُصيب فضل الله خلال الأشهر الأخيرة من حياته بسلسلة من أزمات صحّية أدخلته المستشفى؛ مستشفى "بهمن" في الضاحية الجنوبية لبيروت، طيلة اثني عشر يوماً، بعدها تمكّن الأطباء من السيطرة على المشكلة ومعالجتها، فكان من المقرر أن يخرج من المستشفى صبيحة يوم الجمعة 02 جويلية 2010م، إلا أنّ زيفاً داخلياً حاداً ألمّ به فاجأ الجميع وأوجد مضاعفات وتدهوراً في وضعه الصحي بشكل سريع، فوفاته المتية يوم الأحد 22 رجب 1431هـ/ 04 جويلية 2010م.¹

وكان قبيل وفاته بلحظات قد أوصى بأن يُدفن في المسجد، كما أنّه في آخر أنفاسه كبر ثلاث مرّات، وتمت بصوتٍ خافتٍ بالدُعائين بين التكبيرات الثلاث، ثمّ ابتسم ابتسامة مشرقة وتهلّل وجهه وقال بعدها: "أريد أن أنام، أريد أن أنام"، وحينما طلب منه أحد الممرّضين أن يرتاح في جلسته، قال له: "لن أرتاح حتّى تسقط إسرائيل"، وكانت الوفاة في الساعة التاسعة وخمسة عشرة دقيقة، عن عمر ناهز خمسة وسبعين (75) عاماً.²

وفي الساعة الواحدة والتّصف من ظهر يوم الثلاثاء 24 رجب 1431هـ/ 06 جويلية 2010م؛ إصطف جمعٌ غفير من الرّجال والشيوخ والنساء والأطفال أمام داره لتوديع جثمانه، وكانت الصّرخات تخرج من أفواه المجتمعين، وانطلق موكب التشييع؛ فمرّ أولاً بمسجد الإمام الرضا في بئر العبد (منطقة لبنانية تقع في الضاحية الجنوبية لبيروت)، حيث كان هذا المكان انطلاق مسيرة الرّاحل الجهادية، وبعدها توجه الموكب بحشوده إلى منطقة متفجّرة بئر العبد التي استهدفت عطاءه وجهاده، وأخيراً حلّت الحشود بالتّعش بمسجد الإمامين الحسينين؛ ليصلي عليه شقيقه محمّد علي فضل الله في جموع غفيرة ومن مختلف الطوائف، ودُفن في صحن المسجد في المكان نفسه الذي كان يُلقى فيه الخطابات، وكُتب على قبره بيتان من الشّعْر؛ هما آخر ما نَظَمَهُ:³

أنا حسبي إنْ تغشاني الدجى في ظلام الليل آهات جروحي
فالتفّات حياتي فكرة سوف تبقى حلماً فوق ضريحي

¹ - سها محمّد عيسى صيام: المرجع الديني محمّد حسين فضل الله وموقفه من قضايا العقيدة، مرجع سابق، ص54.

² - وفاء كاظم ماضي الكندي ومرّوة سليم حبيب: السيّد محمّد حسين فضل الله ومواقفه من القضية اللبنانية، مقال سابق، ص169.

³ - المقال نفسه، ص169-170.

وقد تناقلت أخبار وفاته العديد من الصحف والجرائد العالمية؛ كوسائل الإعلام الفرنسيّة، والصحافة التركيّة، وأقيمت لأجل ذلك مجالس عزاء تأبينيّة، وكلمات مواساة، ومؤتمرات تذكاريّة، وغير ذلك من المراسم* التي تبعت وفاته.¹ وقد رثاه جوزيف الهاشم (1925-2018م)؛ الأديب والشاعر والوزير اللبناني السابق، في قصيدة معبّرة عن مدى المصيبة عنوانها: "في الأرض مثواك أم في جبهة القمر"، يقول في مطلعها:²

يا مَنْ تخطى حدود الفكر والبصر
 في الأرض مثواك أم في جبهة القمر
 لأنّ في الأرض تخفى خـزنة الدرر
 إن أودعوك الثرى فالوهج أقلتهم
 من مهبط الوحي من الألاء الفكر
 خلقت من رحم الحوزات في نجف
 وفضل ربك وشى خيرة الأسر
 سليل دوحة فضل الله نُهت بها
 تأرّجت بالكتاب الملمه العطـر
 أرومة نبويّ العبق مُحْتدّها
 كالغيث للأرض أو كالتور للنظر
 هم الأئمة أسراب السّماء هدى

ولقد كانت وفاته بعد عطاء علمي وفكري كبير، ونظرة شموليّة توحيدية عميقة، فأفضى إلى ربه في مثواه الأخير، بعد أن قدّم للأمة الإسلاميّة عامّة رؤية صائبة للواقع الراهن، وأيضاً رؤية مستقبلية ناجحة؛ تنم عن مدى صدق الرجل وإخلاصه لوطنه وبني جنسه، وخبرته في استشراف الحياة الإنسانيّة والاجتماعيّة.

* من ذلك مثلاً: - الاحتفال التأبيني للمرجع فضل الله في سيدني بأستراليا، -مراسم تأبين المرجع فضل الله في موسكو، -الملتقى الدولي في طهران حول فضل الله والمقاومة الإسلاميّة، -المؤتمر السنوي الأول: محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار، - بريقيات التعزية من (الشيخ عبد الملك الحوثي، الأزهر الشريف، الأتحاد الإسلامي لتركمان العراق، تلاميذه في باكستان وأفغانستان والهند...).

- إصدارات الرّحيل: (كتاب صدى الرّحيل...).

- مقالات الرّحيل: (رجل المحبة في ذمة الله، رحيل رجل العزة والوحدة، في رحاب الله حيًا وميتًا يا فضل الله، المرجع الذي أخذنا إلى الغد...).

- القصائد مثل: (قصيدة أبي أن تَأفلا، قصيدة عرشة الفجر، قصيدة محراب العشق...). (ينظر موقع بينات: Arabic.bayynat.org.Lb، ملف الرّحيل)، تاريخ التّصفّح: 2018/08/09م، الساعة: 11:00.

¹ - موقع بينات: Arabic.bayynat.org.Lb، قسم السيرة الذاتية، ملف الرّحيل، تاريخ التّصفّح: 2018/08/09م، الساعة: 11:00.

² - الموقع نفسه، والقسم نفسه والملف نفسه والتاريخ نفسه.

ثانياً- الآثار: لم ينتقل فضل الله إلى الحياة الأخرى، إلا وقد خلّف وراءه للأجيال اللاحقة تراثاً فكرياً ومادياً ضخماً؛ تنوع بين تأليف الكتب والمقالات والبحوث، وتأسيس الجمعيات والمكتبات والمدارس والمراكز الخيرية وغير ذلك، فكان تراثه متنوعاً مناسباً لمختلف أطياف المجتمع والفئات البشرية، لذلك يُمكن تقسيم هذا التراث إلى قسمين: المؤلفات، والمؤسسات والمراكز والجمعيات.

1- المؤلفات: عندما نتحدّث عن مؤلّفات فضل الله؛ فإنّما نتحدّث في حقيقة الأمر عن كنز معرفي ثمين، وتراث فكري متنوع، وذلك لأنّ الرّجل معروفٌ عنه غزارة وكثرة مؤلّفاته؛ التي أنتجت بفعل قلمه السيّال، وفكره الفيّاض، ونقسه الطّويل، وإرادته الصّادقة والمخلّصة، ثمّ إنّ هناك ميزة أو خاصيّة أخرى تميّز كتاباته، وهي التّنوع والثراء؛ إذ كتبت في العديد من المجالات، وطرقت الكثير من الموضوعات والقضايا الحسّاسة، فكتب في الفقه والعقيدة والأخلاق والسياسة والأصول والحوار وعلم الاجتماع وأهل البيت والمباحث القرآنيّة، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة، أو بطريقة غير مباشرة؛ أي تلك الكتب التي هي عبارة عن مقابلات أو استفسارات أو أسئلة تُطرح عليه ويحيب هو عنها، ثمّ تُطبّع في شكل كتاب، وبالإضافة إلى ذلك كلّه، كان يملك شاعريّة فيّاضة فنظم بعض القصائد التي دُوّنت فيما له من دواوين.

ومن هذه المؤلّفات، نذكر:¹

- تفسير من وحي القرآن، - أسلوب الدّعوة في القرآن، - الحوار في القرآن الكريم (قواعده، أساليبه، معطياته)، - الإسلام ومنطق القوّة، - فقه الشريعة، - أحكام الشريعة، - خطوات على طريق الإسلام، - قضايانا على ضوء الإسلام، - مع الحكمة في خطّ الإسلام، المسائل الفقهيّة، - في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، - الحوار بلا شروط، - فقه الحياة، - موسوعة التّدوة (عشرين جزء)، - الحركة الإسلاميّة ما لها وما عليها، تحدّيات المهجر، - تأملات إسلاميّة حول المرأة، - الهجرة والاعتراب، - فقه الموارث، - في رحاب أهل البيت عليهم السّلام، - دنيا الشّباب، - دنيا الطّفل، - الرّسول الدّاعيّة في القرآن، - دنيا المرأة، - حديث عاشوراء، - الزّهراء القدوة، - المقدّس والمدنّس، - مسائل عقائديّة، - إشراق العقل (خمسة أجزاء)، - صناعة الأدلّة.. الولاية التكوينيّة أمّودجا، - الفتاوى الواضحة، - حركة التّبوّة في مواجهة الانحراف، - من عرفان القرآن، -مراجعة في عصمة الأنبياء من منظور قرآني، - اتّجاهات وأعلام (حوارات فكريّة في شؤون المرجعيّة والحركة الإسلاميّة)، - فقه القضاء، - في رحاب دعاء الافتتاح،

¹ - ينظر: نزار مجتهد جوده الميالي: الفكر السياسي عند السيّد محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص37-43، والمؤسسة المرجعيّة انجازات وآمال، مرجع سابق، ص58-68. وموقع بينات: Arabic.bayynat.org.

- مع روحانيّة الزمن، - في رحاب دعاء كميل، - حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، - على شاطئ الوجدان (ديوان شعر)، - قصائد الإسلام والحياة (ديوان شعر).

كما ألقى الرّجل محاضرات عديدة في عدّة ملتقيات وندوات التي عُقدت في بعض الجامعات والمراكز في مختلف الأمصار، وله خُطب جمّة ألقاها على مسامع المصلّين في الكثير من المساجد، وقد شملت هذه المحاضرات والخُطب مختلف الجوانب الحيّاتيّة والواقعيّة.¹

2- المؤسسات والمراكز والجمعيات: لم يتوقّف جهد فضل الله من النّاحية التّراثية والعطائيّة على حركة التّأليف وحسب، بل إنّه أنشأ -دعمًا لأبناء الأمة، ومُساعدة في إسداء الخير، ومُساعدة في إثراء الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية، وتطويرًا للمجتمع المدني- عدّة مؤسّسات ومراكز وجمعيات، وساهم في تطويرها خدمة للفرد والمجتمع.

ومن تلك المؤسّسات والمراكز والجمعيات نذكر:²

- مؤسّسة العلامة المرجع السيّد محمّد حسين فضل الله الخيرية الثقافية، - المعهد الشرعي الإسلامي (1966م)، - جمعية المبرات الخيرية (1975م)، - دار الأمان لرعاية المسنين (2008م)، - مدرسة رسول المحبّة (2008م)، - معهد علي الأكبر المهني والتّقني (1992م)، - مدرسة الأبرار (1997م)، - مبرة الإمام الخوئي (1977م)، - مبرة السيّد خديجة (1996م)، مبرة النّبي إبراهيم عليه السلام (2005م)، - مبرة النّبي يوسف عليه السلام (2008م)، - دار الصادق للتّربية والتعليم (1995م)، معهد السيّد سكينه الفتي (1996م)، - مؤسّسة الإمام الهادي (1988م)، - معهد المبرات للعلوم الصحيّة (1995م)، - مدرسة الإشراف (2002م)، - ثانويّة البشائر (1999م)، - معهد القاسم المهني (2004م)، - ثانويّة الإمام الباقر (1988م)، - مدرسة الإمام الحسين (1999م)، ثانويّة الإمام الجواد (1999م)، - ثانويّة الرّحمة (2001م)، - مدرسة الإمام الكاظم (1999م).

¹ - نزار محمّد جودة الميالي: الفكر السياسي عند السيّد محمّد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص44-47.

² - المؤسّسة المرجعية انجازات وآمال، مرجع سابق، ص25-37، وموقع بيّات: Arabic.bayynat.org، قسم السيرة الذاتية

المطلب الرابع: فضل الله وثقافة الحوار والانفتاح والوحدة.

من المعروف عن محمد حسين فضل الله لمن تتبّع مشوار حياته وقرأ مؤلفاته؛ أنّه رجلٌ يؤمن بمفاهيم حضاريّة؛ كالوحدة والحوار والتسامح والانفتاح والتعايش وغيرها من المفردات المؤسّسة للعيش المشترك بين أبناء المجتمع الإنساني؛ فكُتبه ومقالاته ومحاضراته وخطبه مليئة بالدعوة إلى هذا المبتغى، حتّى إنّهُ أقيم له مؤتمر تذكاري بمناسبة الذكرى الثالثة لرحيله، موسومٌ بـ: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار" عام 1434هـ/ 2013م ببلنّان.

ولا يكاد يُذكر فضل الله، إلّا وتُذكر معه هويته الحواريّة وانفتاحه على الآخر، فقد تحدّث عن هذه المفردات شعراً في بداية حياته، وبحث عنها في "أسلوب الدّعوة في القرآن"، وفي "الحوار في القرآن"، وفي "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي"، ومارس الحوار في كلّ المراحل، ولم ينقطع عنه في الأوقات التي كان فيها الحوار عملة نادرة، وهو الذي كان يردّد: "ليس هناك من سؤال مُخرج أو تافه... الحقيقة بنت الحوار"، فحاوّر كلّ النّاس، ولم يجعل الحوار طارئاً في حياته، ولم يجعل له حدوداً، وكان لا يرى الإيمان إيماناً إلّا مع الانفتاح على الله الذي لا ينفصل على الانفتاح على خلقه وعباده وجميع البشر.¹

هكذا هي ثقافة الحوار والانفتاح في فكر الرّجل المؤمن بهذين المصطلحين سبيلاً إلى التّلاقي والتّفاهم والتّعايش والسّلم والوحدة، لذلك جعل منهما؛ أي من الحوار ومن الانفتاح، منهجاً في الحياة الإنسانيّة؛ لأنّهما يفتحان المجال للبشر لإبداءٍ ووجهات النّظر والقول والحرّيّة في القضايا المطروحة للتّقاش بنصيب مشترك ومتكافئ.

ولقد كان يؤمن إيماناً عميقاً بالوحدة الإسلاميّة، ويمتاز في إيمانه هذا بأنّه يزيد على الإيمان النظري دائماً التّصوّر العملي، لأنّ التّطبيق هو الجزء الأهمّ في الحياة البشريّة، وبهذا الصّدّد كان يرى أنّه لا يجب على المسلم شيعياً كان أو سنيّاً أن يجعل من انتمائه إلى مذهبه العقائدي؛ عقيدة ذاتيّة يُحافظ عليها كما يُحافظ الإنسان على عصبيّة تؤكّد ذاته، ولكن على الجميع شيعيين وسنيين أن يُفكّروا في مسألة واحدة، وهي أهمّ مسلمون، بحيث يكون سنيّهم أو شيعيهم؛ كلّ واحد منهم وجهة نظرٍ في فهم الإسلام: ﴿فَإِنْ نَزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (التّسواء: 59)، فقاعدة

¹ - علي فضل الله: الكلمة الافتتاحيّة، ضمن كتاب: (محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار)، المؤتمر السنوي الأوّل 1434هـ/ 2013م، ط1، المركز الإسلامي الثّقافي، حارة حريك، لبنان، 1435هـ/ 2014م، ص09.

الحوار بين السنّة والشّيعَة ترتكز على رجوع الجميع إلى الله وإلى الرّسول وإلى القرآن الكريم.¹

وفي سبيل ذلك ألف الرّجل عدّة كتب تدعو إلى الوحدة وتنصّ على التّمسك بها واستثمارها في الواقع الإسلاميّ للتهوض بأبناء الأُمّة والدّفع بهم إلى الرّكب الحضاري، تحقيقاً للمآلات والمقاصد المرجوّة، على غرار "أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة"، و"الحركة الإسلاميّة ما لها وما عليها"، و"قضايانا على ضوء الإسلام"، و"حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع"، و"اتّجاهات وأعلام - حوارات فكرية في شؤون المرجعية والحركة الإسلاميّة -"، وغيرها من الكتب.

انطلاقاً ممّا تقدّم، باتت قضية الوحدة والحوار في تفكير فضل الله حُلماً يراوده لتخليص هذه الأُمّة من الفرقة والتّمزق والخلاف المستمرّ على مستوى الحُكّام والطوائف والدّول والشّعوب، فكان سبباً إلى الرّدّ على من يحاولون تفريق المسلمين على أساس اللون والعنصر والدين والطائفة، التي يُريد البعض إثارتها بطريقة أو بأخرى، كما دعا إلى الوحدة الوطنيّة مُعتبراً إيّاها عبادة مرتبطة بالتّقوى؛ لأنّ العصبية الطائفيّة مذمومة بكلّ المقاييس، وقد استنتج ذلك من الوضع اللبناني بعد أن تحيّزت كلّ طائفة وتقوقعت في محيطها وكالتّ التّهم والعداوة للطوائف الأخرى،² فأثر التّصدّي لهذا الوضع المأسوي بالدّعوة إلى الوحدة والحوار.

ومن هذا البلد؛ بلد الطوائف والمذاهب المختلفة، ابتدأ الرّجل البحث في قضية الحوار بين المسلمين والمسيحيين الذين يتقاسمون هذا الوطن مُناصفة، والتّأسيس لفكرة أو مشروع التّعايش والتّلاقي بينهما، فكان لا بدّ - والحال هذه - من إيجاد نقاط تقاطع بين الطّرفين في مجالات عدّة من أجل العيش المشترك والاستمراريّة في الحياة.

فكانت له في هذا المجال دعوات جمّة إلى الوحدة والتّوحيد بين فئات الشّعب اللبناني مسيحيين ومسلمين؛ إذ كان يحثُّ على الحوار مع الجميع، معتبراً أنّ مسألة الحوار مع كلّ التّاس تنطلق من احترام الإنسان لإنسانيّة الآخر، وانطوت رؤيته للحوار وأساسياته على قدر كبير من الشّموليّة، فهو يعتقد أن لا يبقى حوار المسلمين منحصرًا مع الغرب، بل يمكن أن يمتدّ إلى ما سواهم من أتباع الثقافات والحضارات والأديان، طالما أنّ القصد منه اكتشاف العناصر الإنسانيّة والرّوحيّة التي نلتقي معها في الخطوط القيمية

¹ - محمّد سليم العوا: السّيّد فضل الله وحدويّاً - خصوصيّة عقل ومعالم منهج -، محاضرة أقيمت في المركز الإسلاميّ الثّقافي، مجمع مسجد الإمامين الحسنين، بتاريخ: 29 سبتمبر 2010م، ضمن كتاب: شهادات - قراءات في فكر الفقيه المجدّد المرجع محمّد حسين فضل الله (رضي)-، دط، دم، دت، ص15.

² - مرسل النصر: الحوار ضرورة إسلاميّة وإنسانيّة، ضمن كتاب: مؤتمر محمّد حسين فضل رائد الوحدة والحوار، مرجع سابق، ص29.

والأخلاقية العامة، لذلك كان الرجل يُولي اهتمامًا بالحوار الداخلي بالقدر نفسه الذي يُوليهِ للحوار مع الآخر؛ أي الحوار الخارجي، فلم يجد مانعًا من الحوار الإسلامي-الإسلامي، إلى جانب الحوار بين الأديان أو بين الدين والعلمانية؛ لأنّ السّاحة تتسع لجميع المواقف والآراء.¹

ولعلّ السّبب في اهتمامه أكثر بالحوار الإسلامي المسيحي، يعودُ لكون هذا الطّيف من الحوار؛ هو الحوار الفعلي القائم والرّائج واقعياً خاصّة في بلد كلبنان؛ موطنه الأصلي.

ففي هذا البلد هناك أمور مشتركة بين المسيحيين والمسلمين أبناء الوطن الواحد، الذين يجب أن يتناهم الشعور بالانتماء الوطني قبل إحساسهم بأنهم مسلمون أو مسيحيون، عندئذ فقط يكون خلاص لبنان من التّفرّق والطائفية، وهذا هو مُنطلق الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان وغيره من الأوطان، فالأمور المشتركة بين أتباع الديانتين أكثر بكثير من الأمور المختلف فيها بينهما.²

إنّ الوجهة التي يُحددها فضل الله في أطروحته للحوار الإسلامي المسيحي تجعل الآخر جزء من وجود الذات، وذلك أقصى ما يُمكن أن يرتقي إليه الإنسان في اعترافه بالآخر، وعلى هذا الأساس يدعُو إلى المعرفة الثقافيّة والعلميّة والفكريّة المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين؛ كمنطلق للحوار والتّواصل والتّعايش فيما بينهما، في جوّ من الثقة والاطمئنان والأخوة.³

وعلى كلّ حال، فإنّ الرجل؛ هو رجل حوار من طراز نادر، لأنّه لم ينظر للحوار من بُرج ثقافيّ فوقي ومُنعزل، ولكنّه مارس الحوار وعاشه في تفصيلاته الدّقيقة الفكريّة والمعاشيّة بين المسلمين أنفسهم فيما بينهم، وبينهم وبين المسيحيين، وفي هذا إيمانٌ بحتميّة التّعدد الفكري والاجتهادي والإيماني، رفضاً للإلغائية بمعناها الاحتكاري لله وللطّريق إليه ولوسائل التّعبير عن الإيمان به والخضوع إليه.⁴

إنّ هذه التّظرة الشّموليّة القائمة على رؤية النّاس بالمنظار نفسه وعلى مستوى واحد من حيث عدم التّفرقة بينهم في المشترك الإنساني والقاعدة الإنسانيّة، لدى فضل الله، جعلت النّاس مسلمين؛ سنّة وشيعة، ومسيحيين وغيرهم، يتعلّقون كثيراً بشخصيته، فالخس الذي دفع بهؤلاء لأن يحترموه بهذا المقدار في مختلف

¹ - مرسل التّصر: الحوار ضرورة إسلاميّة وإنسانيّة، مقال سابق، ص 29-30.

² - كيرلس سليم بسترس: المشتركات بين السنّة والشّيعة أكثر بكثير ممّا يختلفون عليه، ضمن كتاب: مؤتمر محمّد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار، مرجع سابق، ص 35.

³ - جعفر فضل الله: الحرّيّة الفكريّة للحوار، ضمن: المرجع نفسه، ص 44-45.

⁴ - محمّد السّمّاك: شيّد جسور المحبّة والمعرفة بين المسلمين والمسيحيين، ضمن: المرجع نفسه، ص 41.

الأوساط وعند الجميع بغض النظر عن ميولاتهم وانتماءاتهم؛ هو دليلٌ ليس فقط على إحتفائه هو بإنسانية الإنسان، ولكن إنسانيته هو لنفسه في المعنى العميق للكلمة،¹ بما يُوحى بانفتاحه على الآخر -بأتم معنى الكلمة- مهما كان جنسه أو أصله أو معتقده أو مذهبه.

وبالجُملة، فإنّ المنهج الحوارى الوجدوى الانفتاحى لفضل الله، يستند إلى مرتكزات كثيرة، منها:²

- رفض الانتماءات الحزبية الضيقة، والعيش ضمن الدوائر الرسمية للمؤسسات الدينية، والدعوة إلى ضرورة الانفتاح على الجميع والابتعاد عن العنصرية، والتأكيد على الرؤية الإنسانية في الدعوة للإسلام.
- نبد التعصب الدينى لما يُسببه من فقدان روح الحوار الهادف، كما يسبب الجمود وسيطرة التحلف على الذهنية الإنسانية وخاصة الإسلامية.
- رفض الإرهاب وكل أشكال العنف؛ كون هذه المسألة لا مُبرر لها من الناحية الإنسانية والشرعية.
- الدعوة للحوار والإيمان العميق به؛ لأنّه يمثّل الجسر لملاقاة الطرف الآخر في تبادل الأفكار، تأكيداً للوعى الإنسانى والانفتاح على الغير.
- العقلانية؛ أي الاحتكام للعقل باعتباره قيمة أساسية إنسانية، وبوصفه حجة من الله سبحانه وتعالى، مؤكداً على ذلك بالمنقول والمأثور من نصوص قرآنية وسنية.
- رفض الطائفية؛ بترسيخ الحوار بين الإسلام والمسيحية، لأنّ ذلك من أهمّ الشروط للتخلص منها.

ومن هنا تأتي مشروعية تخصيص المسألة الحوارية عند هذا الرجل، وبالضبط فضية الحوار الإسلامى المسيحى؛ بدراسات وأبحاث مكثفة لبحثها وتمحيصها والوقوف على مضامينها، واكتشاف مدى تطابقها مع الدراسات الأخرى المشتركة معها في الموضوع نفسه أو اختلافها عنها فيه، فموضوع الحوار بصفة عامة، والإسلامى المسيحى منه بصفة خاصة في فكر فضل الله؛ هذا الرجل المتفتح على الآخر، جدير بالبحث والدراسة والمساءلة، خصوصاً إذا كان ذلك بالمقارنة بينه وبين موريس بورمانس رجل الحوار الآخر الذى سوف أترجم له في المبحث الموالى، في مجال الحوار الإسلامى المسيحى.

¹ - نحلة الشهال: أصل الدين سعادة ورفاهية أمان للإنسان، ضمن كتاب: مؤتمر محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار، مرجع سابق، ص75.

² - نزار محمد جودة الميالى: الفكر السياسى عند السيد محمد حسين فضل الله، مرجع سابق، ص34-37.

المبحث الثالث: ترجمة موريس بورمانس.

بما أنّ هذه الدراسة هي دراسة مقارنة في مجال الحوار الإسلامي المسيحي بين محمد حسين فضل الله المترجم له آنفاً وموريس بورمانس، فإن من الواجب تقديم ترجمة أيضاً خاصة بهذا الأخير، وذلك قصد التعرف على شخصيته، وتقريبه من جمهور الباحثين؛ لكي يكونوا على دراية به، خصوصاً وأن هذا البحث؛ شطرٌ منه متعلّق به، فمن هو هذا الرجل؟.

المطلب الأول: مولده ونشأته.

موريس بورمانس (Maurice Borrmans)، فرنسيّ الأصل من منطقة ليل الفرنسية¹، وُلد يوم 22 أكتوبر 1925م في هذه المدينة، حيث كان والداؤه؛ أبوه وأمه يُديران شركة هناك، وكان هو الصّبيّ الذّكر الوحيد في عائلة متكوّنة من أربعة أطفال، بدأ تعليمه في المدارس الأوّليّة، ثمّ واصل دراسته الثانويّة في كليّة نوتردام دي دونز (Notre Dame des Dunes) في دونكيرك (Dunkerque)، ثمّ في كليّة جان ديراك (Jeanne d'Arc) في ليل، فتحصّل على شهادة البكالوريوس وهو لا يكاد يبلغ السّابعة عشر (17) من عمره، ثمّ التحق بالمدرسة الدّينيّة الكبرى بمدينة ليل لدراسة الفلسفة لمُدّة عامين (من 1942 إلى 1944م)، كما درّس العلوم اللاهوتيّة لمُدّة سنة واحدة (من 1944 إلى 1945م) في فرنسا؛ والتي سيُكملها فيما بعد بتونس.²

في 20 نوفمبر 1945م، وصل بورمانس إلى ميزون كاري (Maison Carrée) بالجزائر العاصمة لبدء رحلته في إفريقيا، وبالضبط بالمغرب العربيّ وخاصة الجزائر وتونس، حيث كانت له بهما علاقة كبيرة ووطيدة من عدّة نواحي وفي مجالات مختلفة علميّة ودينيّة، فأتمّ دراسته اللاهوتيّة - كما أشرنا سابقاً - في ثيبار (Thibar) بتونس، ونظرًا لمساهمته وبلوغه شأواً معتبراً في الدّراسات اللاهوتيّة الدّينيّة، وتميّزه بالنشاط الدّيني وذوقه الكهنوتي؛ تحقّق باليمين التبشيريّة في 29 جوان 1948م، ثمّ رُسّم كاهنًا بتونس في 01 فيفري 1949م، ثمّ كاهنًا لشمال إفريقيا ككلّ في 01 جوان 1949م، ودرس اللغة العربيّة والدّراسات الإسلاميّة

¹ - Nicolas Balle: **Maurice Borrmans, Prof Du Moine De Tibhirine Christian De Chergé, est mort**, <https://www.leprogres.fr/rhone-69/2017/12/27/maurice-borrmans-prof-de-christian-de-charge-moine-de-tibhirine> , Date Publication: 27/12/2017, Date De Navigatio: 03/08/2018.

² - Gérard Demeerseman: **Maurice Borrmans, 1925-2017**. www.peresblancs.org/biographie_de_Maurice-Borrmans.pdf. Date Publication: 20/02/2018, Date De Navigatio: 05/08/2018.

لمدة سنتين في منوبة بضواحي تونس بداية من 01 أكتوبر 1949م¹ ومنذ ذلك الحين بدأت اهتماماته بالمغرب العربي أو بالأحرى الشمال الإفريقي تتشكل وتتلور في ذهنه، إذ سيكون له صولات وجولات في هذه المنطقة من عدة نواحي، فسواء من الناحية الدراسية التعليمية أو من الناحية التكوينية أو من الناحية التبشيرية، كان له إزاء كل ذلك فوائد جمة خاصة على المستوى الشخصي والذاتي.

وعن هذه المرحلة التي عاشها في إفريقيا الشمالية، يقول بورمانس محددا معالمها بإيجاز:

"في نوفمبر 1945م، وفي سنّ العشرين من عمري؛ اكتشفت في شمال إفريقيا تشكيل الحياة الروحية واللاهوتية، بعد أن قرّرت الانضمام إلى مبشّري إفريقيا (الآباء البيض) *، فمنذ سنوات عملي في سنّ المراهقة ومن خلال الكشافة والعمل الكاثوليكي؛ بدأ إعجابي بالكاردينال لافيغري ** (Lavigerie) رئيس أساقفة الجزائر، والأب دي فوكو *** (De Foucquid) التأسك بتمنراست، ومشاريع إعرافات إرنست

¹ – Gérard Demeerseman: **Maurice Borrmans, 1925–2017**, Article Précédent.

* الآباء البيض Les Pères Blancs أو جمعية مرسلتي إفريقيا La Société Des Missionnaire d' Afrique؛ جمعية إرسالية تبشيرية كاثوليكية، أسسها في الجزائر عام 1868م المطران شارل ألمان لافيغري أسقف الجزائر منذ 1867م، والقاصد الرسولي للصحراء الغربية والسودان منذ 1868م، غابها نشر المسيحية في القارة الإفريقية، واستطاع مؤسسها أن يجمع عشرة من المتطوعين للتبشير وأطلق عليهم لقب "مرسلي الجزائر"، ومن بعدها "الآباء البيض"، ثم ثبتت تسميتهم "جمعية مرسلتي إفريقيا - الآباء البيض"، وسبب التسمية بالآباء البيض ناجم عن الثوب الأبيض الذي اتخذوه زيا لهم انسجاما مع الزي التقليدي الذي كان يرتديه سكان شمال إفريقيا، ويتألف لباسهم من جلباب (قمباز) وعباءة (برنس) وسبحة طويلة تحيط بالرقبة يتدلّى من طرفها صليب فوق الصدر، وبإزاء هذه الجمعية أسس لافيغري كذلك بالجزائر عام 1869م "جمعية الأخوات البيض" "Sœurs Blanche" Soeurs Missionnaires De Notre-Dame d'Afrique والتي لم تكن تربطها بالآباء البيض علاقة قانونية أو إدارية، وإنما كانت تسير الجمعيتين في عملهما التبشيري والإنساني روح رسولية واحدة، جعلتهما يلتقيان في الكثير من المجالات. (موسوعة الأديان الميسرة، ص 09).

** شارل مارسيل ألمان لافيغري (1825-1892م)؛ قسيس فرنسي، ولد بمدينة بايون شمال إفريقيا، أكمل تعليمه الثانوي بهذه المدينة، ودرس الآداب اللاتينية بمعهد الدراسات العليا للآباء الكرملين، ثم التاريخ الإكليريكي بكلية اللاهوت بالسربون (1854-1856م)، تحصّل على شهادة الدكتوراه، وأصبح الرّأس المفكر لبابا روما، تمكّن من عدة لغات بفضل ذكائه وثقافته الواسعة، كُرّم بوسام الشرف الفرنسي عام 1861م بفضل فكره وجهوده التنصيرية، وعيّن قسيسا على مدينة نانسي عام 1867م، التحق بالجزائر لممارسة نشاطه التنصيري عام 1867م. (أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، دت، ج6، ص119-121).

*** الأب دي فوكو (1858-1916م) راهب وقسيس كاثوليكي، ولد في ستراسبورغ الفرنسية يوم 15 سبتمبر 1858م، وبعد النشأة دخل إلى الجيش الفرنسي الإفريقي، ووصل إلى رتبة ملازم أول، وعمل في أنحاء الجزائر؛ تلمسان وعنابة وسطيف... وكان قد تخرّج من مدرسة سان سير، واشتهر عنه أنّه رحل فضائح، رحل إلى المغرب الأقصى عام 1883م، وبعد رجوعه إلى الجزائر تحوّل في صحرائها، ثم أرسل في مهمة إلى سوريا، ودخل في جمعية الطرابست في أرمينية، وقد كان له نشاط كبير في مجال التنصير في الجزائر، اغتيل عام 1916م، فاعتبرته الكنيسة الكاثوليكية شهيدا، وقد كان لأفكاره وكتاباتاته دورٌ في تأسيس "أخوة يسوع الصّغار". (تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص33-34).

بسيشاري* حفيد أرنست رينان** (Ernest Renan) الذي ألف كتابين: (صوت يصرخ في الصحراء، ونداء الروماني)، وكان إعجابي في وقت لاحق بلويس ماسينيون (Louis Massignon)، وغيرهم ممن عادوا إلى الإيمان بطفولتهم، بفضل التحدّي المتمثّل في التعلّق بالإسلام ودراسته والتعمّق فيه، وقد رُسمت كاهناً بتونس في 01 فبراير عام 1949م، ثمّ تعلّمت اللغة العربيّة سنتين في معهد الآداب العربيّة (IBLA) بتونس¹.

وقد عاش بورمانس في المغرب العربي وخاصة الجزائر قرابة عشرين سنة؛ إذ كان يُقيم في القصبة بداية من سنة 1951م، وبدأ في تكوين شيء من العلاقات مع بعض الأصدقاء كمحمّد أركون***؛ الذي سيؤلّف معه لاحقاً كتاب "الإسلام والدّين والمجتمع"، وأثناء إقامته بالجزائر تحصّل على دبلوم في الدّراسات العليا تخصص علم النفس²، كما كانت تربطه علاقات وطيدة بالراهب كريستيان دي شرجي (Christian De Chergé)، إذ كان يجمعهما المشترك في بحث العلاقات مع المسلمين، وتبادلا في سبيل ذلك ولمدّة عشرين عاماً؛ الكثير من الرّسائل التي كانت تعبّر عن الاحترام المتبادل بين الرّجلين والودّ والصّدقة القويّة التي كانت تجمعهما، وقد نُشرت تلك الرّسائل في كتاب مُعنون بـ: "رسائل إلى صديق أخوي"، ولم تكن هذه العلاقة الرّابطة بينهما لتقتصر على الصّدقة والأخوة فحسب، بل هي علاقة أيضاً في العلم والتعلّم؛

* لم أعر له على ترجمة.

** أرنست رينان (1823-1892م)؛ مستشرق فرنسي، له مكانة ملحوظة وكبيرة بين أعلام الفلسفة وأعيان المؤرّخين ونوابغ المستشرقين، وهو من رجالات الأدب الفرنسي، اشتهر بترجمته ليسوع التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدّينيّة نقداً تاريخياً ودينياً وعلمياً، وإلى التمييز بين العناصر التاريخيّة والعناصر الأسطوريّة الموجودة في الكتاب المقدس، حائز على وسام الشّرف عام 1888م. (أرنست رينان: محاورات رينان الفلسفيّة، ترجمة: علي أدهم، ط2، مطبعة دار الكتب، مصر، 1998م، ص03-04).

¹ - Maurice Borrman: **un cheminement de dialogue**, http://peresblancs.org/maurice_borrman.htm, Date Publication: février 2017, Date De Navigatio: 10/08/2018.

*** محمّد أركون (1928-2010م)، باحث ومؤرّخ ومفكّر جزائري، حائز على دكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون، حيث عيّن أستاذاً لتاريخ الفكر الإسلامي والفلسفة عام 1968م، كتب باللغتين الفرنسيّة والانجليزية، وتُرجمت أعماله إلى العديد من اللغات، ومن مؤلّفاته المترجمة إلى العربيّة: الإسلام وأوروبا الغرب، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، العلمنة والدّين، الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل. (ينظر: محمّد أركون: الفكر الإسلامي - نقد واجتهاد-، ترجمة: هاشم صالح، ط6، دار السّاقى، بيروت، لبنان، 2012م، صفحة ظهر الغلاف).

² - Gérard Demeerseman: **Maurice Borrman, 1925-2017**, Article Précédent.

**** كريستيان دي شرجي (1931-1996م)، راهب فرنسي عاش في الجزائر، أصبح كاهناً بعد دراسته، ونُقل إلى دير في الجزائر، فأصبح راعي كنسي في هذا البلد، قدّم بعض المساعدات لسكّان المنطقة باعتباره محبّاً للإسلام، وكان مرابطاً مع الجيش الفرنسي في قوّات "حفظ السّلام"، كما كان له اهتمام كبير بالدّين الإسلامي.

لأنّ كريستيان دي شرجي كان تلميذًا لموريس بورمانس، وكذلك فإنّ الحوار والاهتمام بالحياة الروحية بين العلمين الإسلامي والمسيحي؛ مسائل كانت بمثابة نقاط التقاء بين الرجلين.¹

ونظرًا لاهتمام الرجل بالعالم الإسلامي وخاصّة بالمغرب العربي، ومن جامعة السوربون بباريس؛ تحصّل على شهادة دكتوراه دولة، بتقديم أطروحة معنونة بـ: "الأحوال الشخصية والأسرة في المغرب العربي من عام 1940م إلى يومنا هذا"، كما قدّم أطروحة تكميلية بعنوان: "وثائق حول الأسرة في المنطقة المغاربية".²

وكتوصيفٍ لما سبق سزّده من هذه المرحلة المهمة في حياة موريس بورمانس، نُورد حديثه عنها، والذي مفاده:

"... بعد ذلك إنتقلت إلى الدراسة بكلّية جامعة الجزائر، وتخصّلت فيها على بكالوريوس في الخطاب وعلم النفس، فتمكّنت من تعميق معرفتي بالمغرب العربي تاريخيًا وحضاريًا، واكتشفتُ اللغة العربية والبربرية والتقاليد الإسلامية لأكثر من ألف سنة؛ لأتمثل الحُضور الأوربي في كلِّ من تونس والجزائر والمغرب...، وهذا ما دفعني إلى البحث في الشريعة الإسلامية والتأمّل في تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين عبر القصة، وفي فبراير 1971م أعددتُ في بلادي رسالة دكتوراه بجامعة السوربون حول "الأحوال الشخصية والأسرة في المغرب العربي من 1940م إلى يومنا هذا"، وهي تحليل لمستقبل قانون الأسرة قبل وأثناء وبعد الاستقلال".³

ولا شكّ أنّ هذه التجربة التي خاضها الرجل في هذا القطر المغاربي؛ أي شمال إفريقيا، وما حقّق فيه من إنجازات معاشية ودينية وعلمية، وكذلك نضوج فكريّ بالمستوى المطلوب، هي التي أهّلته لأن يكون عالم إسلاميات يُشار إليه بالبنان، الأمر الذي يعدّ تطورًا إيجابيًا في حياته الفكرية والدينية، حيث سيؤثّر كلّ ذلك على المحطّات القادمة من حياته، سواء تلك التي قضاها في الشّمال الإفريقي، أو التي قضاها في أوربّا بين فرنسا وإيطاليا.

¹ - Gérard Demeerseman: **Maurice Borrmans, 1925–2017**, Article Précédent, Et Nicolas Balle: **Maurice Borrmans, Prof Du Moine De Tibhirine Christian De Chergé, est mort**, Article Précédent.

² - Gérard Demeerseman: **Maurice Borrmans, 1925–2017**, Article Précédent. Et Diego Sarrio M.af: **le p. maurice borrmans (père blanc) docteur honoris causa de l'université pontificale urbanienne**. Date Publication: 28/03/2017, Date De Navigatio: 15/08/2018.

³ - Maurice Borrmans: **un cheminement de dialogue**. Article Précédent.

المطلب الثاني: المسار المهني والفكري.

إنَّ أوَّل ما يُسجَّل على المسار المهني لموريس بورمانس؛ مباشرته للمهنة التبشيرية التي أُنيطت به في سنِّ مبكرة، إذ عُيِّن ككاهن للشمال الإفريقي عام 1949م، كما تمَّت الإشارة إلى ذلك سابقًا؛ حينما كان واحدًا من المبشرين المعروفين بالآباء البيض.

ولعلَّ هذه المهمة هي بالنسبة له تكتسب مكانتها وشرفها؛ باعتبارها امتدادًا للتراث الفكري والتبشيري لعدد من الآباء ورجال الدين والمفكرين المسيحيين الذين سبقوه في هذا المجال؛ ك: لويس ماسنيون الذي يُنسب إليه بورمانس لكونه متخصصًا بارزًا في الإسلام، كما تربطه علاقة كبيرة ب: شارل دي فوكو في المجال التبشيري؛ لذلك أرسل إلى المغرب الكبير لاكتشاف العالم الإسلامي من الباب المغاربي، وليتمَّ تشكيكه الروحي واللاهوتي كشابٍّ متميزٍ في جمعية الآباء البيض.¹

وقد كان بورمانس ناجحًا في هذه المهمة التبشيرية؛ فالذين عايشوه وتعرَّفوا إليه عن قُرب، عرفوه بروحه الروحية العميقة، وحبِّه لجمعية المبشرين في إفريقيا، متأثرًا في ذلك بكلمات الكاردينال لافيحري لأعضاء المجتمع التبشيري: "أنَّ تحبَّ شعبًا يجب أن تعرفه أولًا، وأنَّ تعرفه عليك بالغوَّص في لغته وثقافته ودينه"، والمعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية (PISAI) شاهدٌ على هذا الشغف الذي اتَّصف به هذا الرَّجل وغيره من الآباء البيض الذين اختاروا العيش برسالتهم التبشيرية بين المسلمين.²

لقد عاش موريس بورمانس التبشير بعمق، ومارس نشاطه كمبشِّر كاثوليكي مسيحي، دون رغبة في الحقد على المسلمين، ولكن كمُحبِّ لهم ومتعلِّق بهم، إذ كان يحترم إيمانهم، ويُصلي لأجلهم باستمرار على اعتبار أنَّ بينهم وبين المسيحيين نقاط تقاطع والتقاء وتقارب.³

لكن مهما يكن من أمر، فإنَّه يبقى واحدًا من الآباء المسيحيين المبشرين الذين يُمارسون عملهم التبشيري على أكمل وجه، حتَّى يبلغوا -على قدر الإمكان- الغاية أو المقصد الأساسي من هذا العمل؛ والمتمثَّل في أمرين: إمَّا تحويل المسلمين إلى مسيحيين، أو -على الأقل- وهو الأمر الثاني؛ إبعادهم عن

¹ - Marie Malazc: **Le père Maurice Borrmans, figure du dialogue islamo-chrétien, est mort**, <https://www.la-croix.com/Religion/Catholicisme/France/Le-pere-Maurice-Borrmans-figure-dialogue-islamo-chretien-mort-2017-12-27-1200902232>, Date Publication: 27/12/2017, Date De Navigatio: 22/08/2018.

² - Diego Sarrio M.af: **le p. maurice borrmans (père blanc) docteur honoris causa de l'université pontificale urbaine**, Article Précédent.

³ - Diego Sarrio M.af: **Sermon religieux**, obsèques de maurice borrmans - Bry-sur-marne-02/01/2018.

دينهم، والتفرقة بينهم وبينه، والتشويش عليهم؛ لتسهيل العملية التبشيرية، وهذا هو ديدن المبشرين في العالم أجمع وخاصة في إفريقيا.

ولم يقتصر عمل بورمانس في حياته على التبشير بالشمال الإفريقي، لكنه أيضا، شغل على مدار مكثه في هذه الحياة عدة مناصب أخرى، شهد له فيها بالتميز والإخلاص والجد والمثابرة؛ من ذلك توليه منصب الأستاذية بمنوبة التونسية عام 1954م، دعما لتعلم قواعد اللغة العربية، واهتماما بالشريعة الإسلامية، بهدف التحضير لأطروحة الخاصة بالأحوال الشخصية بالنسبة للمغرب الإسلامي، وخلال اشتغاله في هذا المنصب، وسعيًا منه في تكميل مشواره التبشيري، وتمهيدا للمشروع الاستعماري؛ فتح دارا لرعاية أطفال منوبة للتكفل بهم وتقديم المساعدة لهم، وبعد انتقال معهد الآداب العربية (IBLA) من تونس إلى روما، والذي أصبح اسمه: المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية (PISAI) عام 1964م، انتقل بورمانس للتدريس فيه، وأيضا خارجه، وخاصة في جامعة أوربانيا البابوية بروما، ثم أصبح مستشارا لأمانة السر للعلاقات بغير المسيحيين بالفاتيكان؛ والتي أصبح اسمها فيما بعد: "المجلس البابوي للحوار بين الأديان"، لمدة خمسة عشرة سنة.¹

وعن هذه التجربة في مجال التدريس وحول بعض المناصب المرموقة التي تولّاها الرجل، يُحدّثنا قائلا:

"في أكتوبر من عام 1954م، دُعيت للتدريس وتقديم بعض الخدمات للمسلمين والمسيحيين في تونس، وفي عام 1964م انتهت تجربتي التونسية مع نقل معهدنا (المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية) للتدريس في روما، ثم أنشأ البابا بولس السادس سكرتارية (غير المسيحيين) فعملت كمستشار لها لمدة خمسة عشرة سنة؛ إذ كانت ترخّب بالطلاب من جميع أنحاء العالم، وتُعدهم للحصول على ترخيص في اللغة العربية والدراسات الإسلامية سواء بالفرنسية أو الإنجليزية، خدمة للكنيسة العالمية وتفعيلاً للحوار في روح المجلس".²

¹ - Gérard Demeerseman: **Maurice Borrmans, 1925–2017**, Article Précédent, et Marie Malazc: **Le père Maurice Borrmans, figure du dialogue islamo-chrétien, est mort**, Article Précédent, et **le père maurice borrmans raconte une vie**, <https://www.mafrwestafrica.net/temoignages/1784-deces-du-pere-maurice-borrmans>, Date De Navigatio: 30/08/2018.

² - Maurice Borrmans: **un cheminement de dialogue**. Article Précédent.

ولا شك أنّ هذه المناصب والوظائف التي عمل فيها الرجل زادت من قيمته المعرفيّة ومكانته الحضارية في الوسطين الإسلامي والمسيحي، خاصّة وأنّه خالط المجتمعين إفريقيًا وأوربيًا، وبذلك يكون قد عايش تجربتين في حضارتين مختلفتين فكريًا وعقائديًا ومادّيًا، لعلّ هذا الأمر هو ما جعل من شخصيته شخصيّة بارزة في الحوار الإسلامي المسيحي فيما بعد؛ إذ أنّ هذا النوع من الحوار يتطلّب المعرفة الكافيّة بالجانبين اللذين يُمثّلانه، والتعمّق في دراسة أحوالهما من شتىّ التواحي.

وفي عام 1975م، أسّس مجلّة "دراسات إسلاميّة مسيحيّة Islamochristiana" الصادرة عن المجلس البابوي للدراسات العربيّة والإسلاميّة (PISAI)، والتي كانت تُحرّر باللغات الثلاث؛ العربيّة والفرنسيّة والانجليزيّة، وهي مجلّة رائدة مهتمّة بالحوار بين المسلمين والمسيحيين والعلاقات بين الطرفين، وقد ظلّ بورمانس يُديرها كمحرّر لها حتّى تقاعده عام 2004م،¹ وتأسس هذه المجلّة على هذه الشاكلة؛ يُنبئ عن إيمان الرجل العميق بالمسألة الحواريّة الإسلاميّة المسيحيّة، والتي كرس لها معظم سنوات حياته، فأصبح بذلك شخصيّة معروفة يُشار إليها بالبنان عند الحديث عن الحوار الإسلامي المسيحي

وتدعيمًا لهذا المسعى الذي آمن به إيمانًا عميقًا، شارك الرجل في العديد من اللقاءات المسيحيّة الإسلاميّة الحواريّة، في ليبيا وتونس وعمان ولبنان وروما وتركيا والجزائر والمغرب...؛ لمناقشة بعض المواضيع المشتركة مع الأكاديميين المسلمين، وإقامة علاقات ودّيّة تؤدّي إلى تفاهم متبادل أفضل، كما شارك في صياغة الخطاب الذي وجهه البابا جان بول الثاني لشباب المسلمين في الدار البيضاء بالمغرب عام 1985م،² ومنذ تقاعده عام 2004م، تفرّغ للعيش في كنف الحياة الرّوحية والتأمّل، وممارسة المهمة الكهنوتيّة كأب مسيحي، بعد عطاء علمي وفكريّ دام سنوات عديدة من سني حياته،³ ونظير ما قدّمه بورمانس من أعمال علميّة وفكريّة، ومجهودات متوالية في مجال بحث العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، ووظيفة التبشير التي أنيطت به منذ بلوغه العشرين عامًا، نظير ذلك كلّه؛ تحصّل على وسام الاستحقاق الوطني عام 1990م، كما تحصّل في وقت لاحق على الدكتوراه الفخريّة من الجامعة الحضريّة البابويّة بروما عام 2015م.⁴

¹ - Diego Sarrío M.afr: **le p. maurice bormans (père blanc) docteur honoris causa de l'université pontificale urbaine**, Article Précédent.

² - Maurice Bormans: **un cheminement de dialogue**, Article Précédent.

³ - **le père maurice bormans raconte une vie**, Article Précédent.

⁴ - Huê Trinh Nguyễn: **Le père Maurice Bormans, islamologue et chantre du dialogue islamo-chrétien, s'est éteint**, https://www.saphirnews.com/Le-pere-Maurice-Bormans-islamologue-et-chantre-du-dialogue-islamo-chretien-s-est-eteint_a24800.html, Date Publication: 28/12/2017, Date De Navigatio: 03/09/2018.

المطلب الثالث: وفاته وأثاره.

أولاً- الوفاة: بعد عطاء فكريّ ومعرفيّ معتبرٍ في مجالات عدّة ثقافيّة ودينيّة وحتىّ سياسيّة، وخدمة جليّلة للحوار الإسلاميّ المسيحي، وبمُحَثٍّ جادٍّ في العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، وعن عمرٍ يُناهز اثنتين وتسعين (92) عامًا، غادرَ موريس بورمانس هذه الحياة عائداً إلى الرّبِّ -حسب التّعبير المسيحي-، وذلك يوم الثلاثاء 26 ديسمبر 2017م بباريس الفرنسيّة، وقبل وفاته بجوالي أسبوعٍ أُدخل مستشفى ب: سانت فوي لي ليون، حيث كانت عائلته تُصَلّي له، كما حُبِسَتْ أنفاسُها لهول الموقف، ثمّ نُقِلَ بعد تدهور حالته الصّحيّة إلى مُنشأةٍ للرّعاية في جمعيّة الحياة الرّسوليّة في أبرشيّة بري سورمان بالقرب من باريس أين سيموت هناك، وبموته اختفى النّصب التّذكارى للإسلاميات العالميّة، والشّخصيّة المحترمة في حوار المسيحيين مع المسلمين.¹

وتكرّماً لشخصيّة المرموق في العالم المسيحي، واعترافاً بعطاءه ومُتأبرته وتفانيه وإخلاصه في كلّ ما أُسِنِدَ إليه من أعمال ووظائف؛ أُقيمت له جنازة عظيمة في كنيسة بري سورمان في الثّاني من شهر جانفي عام 2018م، وذلك في تمام السّاعة الثّانيّة والنّصف مساءً، ترأّسها المطران جان مارك أفيليني رئيس مجلس العلاقات بين الأديان وأسقف مرسيليا المساعد، بمساعدة الأب دييغو ساريو مافر مدير الدّراسات في المعهد البابوي للدّراسات العربيّة الإسلاميّة (PISAI) الذي أعلن من خلال استحضار شخصيّة الباحث؛ الأب الأبيض والرّجل المثابر المخلص، كما شارك في هذا الوداع الجنائزي العديد من الطّلاب السّابقين له، والآباء والأخوات البيض، وغيرهم ممّن حضر هذا المشهد الحزين؛ توديعاً لهذا الرّجل الكبير الذي دُفِنَ بعد ذلك في مقبرة مدينة بري.²

وتأبيناً له، وتعداداً لمكارمه وخصاله، وتقديراً لمجهوداته؛ ألقّت بعضُ الشّخصيات كلمات تعزيّة؛ كتعبير عن مدى عمق الحزن الذي أصابها بموته واختفائه عن الأنظار إلى الأبد؛ تسلّيّة لأهله وسلواناً لهم في مُصابهم به، خاصّة وأنّه كانت له مساهمات فكريّة ودينيّة في الوسط المسيحي بالدرّجة الأولى وأيضاً حتى في الوسط الإسلامي، الأمر الذي يشهد بعالميّة الرّجل، نظراً لما قدّمه لعالم البحر الأبيض المتوسّط بضقّتيه الشماليّة والجنوبيّة؛ أي أوربا وشمال إفريقيا، لذلك جاءت هذه الكلمات معبرة عن مدى الفراغ الذي تركه، وعن مدى الجرح العميق الذي حلّ برفقائه وزملائه وغيرهم.

¹ - Nicolas Balle: **Maurice Borrmans, Prof Du Moine De Tibhirine Christian De Chergé, est mort**, Article Précédent.

² - Gérard Demeerseman: **Maurice Borrmans, 1925-2017**, Article Précédent, et Marie Malazc: **Le père Maurice Borrmans, figure du dialogue islamo-chrétien, est mort**, Article Précédent.

وفي ذلك يقول احميدة النيفر (Hmida Ennaifer): *

"كان الأب موريس بورمانس، الذي كنت أعرفه جيّدًا، بالنسبة لي؛ حربيّ متحمّس للحوار الإسلامي المسيحي، وعامل الثبات لتوطيد العلاقات مع المسلمين، إنّه كان وسيبقى الصديق الوفيّ، مثله مثل بقية الكهنة الآخرين الذين غابوا عنّا ك: روبرت كاسباب الأب الأبيض، وجاك ليفرات صاحب أبرشية ليون، وجميع الشهود لمستقبل أفضل لمجتمعاتنا، والذين هم الأمل الحقيقي للبشرية. اليوم أعتقد أنّه من الصعب جدًّا فراق الأب موريس بورمانس، باعتباره واحدًا من أولئك الذين قدّموا لي اكتشاف ثروة الإخلاص لدينهم، وعظمة عاطفتهم تجاه شعوبهم ومجتمعاتهم، ومع هؤلاء الرجال والنساء الذين يبدو لنا أنّنا مختلفون معهم، نحن في حاجة للاجتماع معهم لأجل فتح مسارات السعي الروحي والبشري؛ فلذلك يُعتبر فقدانهم صورة مأساوية بالنسبة لنا. إنّ ذكرى الأب موريس بورمانس والتي جمعنا معًا؛ تنبئ على أنّه لدينا يقين وإيمان ينطويان عن ضرورة البحث عن الحقيقة التي لا حدّ لها من ناحية، ومن ناحية أخرى تُهج هذه الحقيقة في منطقتنا واستثمارها في تأسيس كلّ ما من شأنه تقوية إيماننا".¹

ويقول جان مارك أفيليني (Jean Marc Aveline):

"توفي بالأمس القريب 26 ديسمبر 2017م الأب موريس بورمانس في شيكاغو؛ الميمّي لجمعية مبشّري إفريقيا (الآباء البيض) عن عمر 92 عاما، ومعه تذهب واحدة من الشخصيات العظيمة في الحوار الإسلامي المسيحي. فباسم "مؤتمر أساقفة فرنسا" أريد أن أعرب عن تعاطفي العميق والتعازي لأسرته وللعديد من الأصدقاء المسلمين والمسيحيين وبالطبع للآباء البيض، لقد كان الأب موريس بورمانس بمثابة الباحث الجادّ، الأستاذ المخلص، مثابرا في الصلاة، متعلّقا بالمسيح، متواضعا...، كان متحمّسا للاجتماعات والحوارات، عمله الهائل يترك لنا تراثا ثمينًا مهمّا بالنسبة لي وللجميع، ليس فقط لزيادة فهم

* احميدة النيفر (1942-؟)، تونسي الجنسية، أحد كبار الباحثين في الفكر الإسلامي والدراسات الحديثة، وهو أستاذ بالمعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزيتونة، له مساهمات عديدة في المنتقيات العلمية العالمية المتعلقة بالفكر والدين واجتمع وكذا بعض الدراسات حول العولمة والاقتصاد، وهو عضو في جمعية الحوار الإسلامي المسيحي، كما أنّه أحد منظري اليسار الإسلامي، من مؤلفاته: الإنسان والقرآن وجهًا لوجه. (مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، صفحة الغلاف الأولى).

¹ - Hmida Ennaifer: **Un fervent artisan du dialogue islamo-chrétien**, <http://sri.wp.catholique.fr/2017/12/26/pere-maurice-bormans-1925-2017-un-homme-de-dialogue/>, DatePublication: février2017, Date De Navigatio: 03/08/2018.

الإسلام والدخول في حوار مع المسلمين، ولكن أيضاً لتحسين التعبير عن أصالة العقيدة المسيحية في الشرق والغرب، فالكنيسة في حاجة ماسة لمثل هذه القضايا، ومهمتها اليوم جمع تراث الخريجين، مع الامتنان والشكر للأخ موريس بورمانس الذي يقبّع الآن تحت رحمة الرب".¹

إنّ هذه الكلمات والعبارات الصادرة عن احميدة النيفر وكذا جان مارك أفيليني؛ تنمّ عن مكانة الرجل الحقيقية خاصة في الوسط المسيحي الكاثوليكي، وتعبر بصدق عن فقدان الساحة الحوارية لواحد من أعمدتها ومن كبار شخصيات الحوار الإسلامي المسيحي؛ والتي كرّست حياتها للتّظهير له، والبحث في العالم الإسلامي من حيث ارتباطه بالعالم المسيحي خاصة في أوربا والشمال الإفريقي.

ثانياً- الأثار: ولئن كان بورمانس قد رحل عن هذا العالم بحكم القدر الإلهي القاضي بفناء كل مخلوق، وتواريه جسدياً عن الأزمان والأماكن والأنظار؛ فإنّ تراثه الفكري الزاخر والزائد باقٍ مُتاح للتّناول بالبحث والدّراسة لكلّ باحث في قضية الحوار الإسلامي المسيحي أو غيرها من القضايا ذات الصّلة بها.

إنّ التّراث الفكري الذي تركه هذا الرجل يُوحى بوضوح عن غزارة الأفكار والخواطر التي كانت تجول بفكره وذهنه، كما يُبرهن ذلك عن تمتعه بملّكة عقلية متفتّحة، وقلماً فكرياً فياضاً في مجال الكتابة والتّأليف والبحث، حتّى عند بلوغه من العُمُر عتياً؛ إذ أنّه "في رأي الذين عرفوه وعاشوه، بقي حتّى نهاية حياته ذا حماسةٍ شديدة للمعرفة والتّقاش وحبّ كبير للعلم والبحث، وهذا ما أكّده كثيرٌ من النّاس الذين يدينون له بالتّقدير والاحترام، وقد قام بزيارات متكرّرة إلى بيت الآباء البيض في سانت فوي لي ليون، وقال إنّه يحيا حياة الرّوح والكرم وسعة ورحابة الصّدر بحيوية فائقة"² ويدلّ على هذه الحيويّة وهذا الإصرار اللذين عُرف بهما تآليف بعض الكُتب والرّسائل؛ وهو في العِقد الثامن أو التّاسع من عمره؛ أي لما بلغ مرحلة الشيخوخة.

لقد مات موريس بورمانس، لكنّه خلف لنا إرثاً فكرياً معتبراً ما بين كتب ومقالات، أو حتّى مُداخلات في ندوات ومؤتمرات ولقاءات كثيرة شهدتها في مختلف مراحل حياته، فأما الكتب سواء كانت تآليفاً خالصاً

¹ - Jean-Marc Aveline: **Chercheur infatigable**, travailleur acharné, professeur exigeant, homme de prière, <http://sri.wp.catholique.fr/2017/12/26/pere-maurice-borrmans-1925-2017-un-homme-de-dialogue/>, DatePublication: février2017, Date De Navigatio: 03/08/2018.

² - Marie Malazc: **Le père Maurice Borrmans, figure du dialogue islamo-chrétien, est mort**, Article Précédent.

أو ترجمة لكتب الغير؛ فأغلبها كان يُعالج المسألة الحوارية مع المسلمين وبحث العلاقة معهم، ومنها نذكر:¹

- توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، - المبادئ التوجيهية للحوار بين المسيحيين والمسلمين، - الحوار الإسلامي المسيحي (الوقت والموقف)، - يسوع المسيح ومسلمي اليوم، - الأحوال الشخصية والأسرة في المغرب العربي من 1940م إلى يومنا هذا، - مدونات الأحوال الشخصية والتطور الاجتماعي في بعض الدول الإسلامية، - جان محمد عبد الجليل: الشاهد على القرآن والإنجيل، - أمراض الروح وإتقانها للقلب، - الإسلام والدين والمجتمع (بالاشتراك مع محمد أركون وماريو أروسيو، - مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي (بالاشتراك مع احميدة النيفر)، - لويس غاردية: فيلسوف الثقافات، - الصلاة 15 يوماً مع لويس ماسينيون، - المسيحيون والمسلمون: التشابه والتنوع، - أنبياء الحوار المسيحي الإسلامي: لويس ماسينيون، جان محمد عبد الجليل، لويس غاردية، جورج فنواقي، - أربعة شخصيات في الحوار الإسلامي المسيحي: ارنالديز، كاسبار، جومير، مبارك، - الحوار مع المسلمين: قضية خاسرة أو سبباً للفوز، - رسائل إلى صديق أخوي.

وأما المقالات؛ فهي الأخرى تطرقت لهذا الموضوع الذي كرّس له مورييس بورمانس حياته؛ وهو الحوار الإسلامي المسيحي والعلاقات بين الطرفين، ومُعظمها ورد في مجلّة "دراسات إسلامية مسيحية Islamochristiana" المشار إليها سابقاً والتي أسّسها بنفسه وظلّ يُشرف عليها ردّاً من الزمن حتى تقاعده، ومن تلك المقالات:²

- تعايش المسيحيين والمسلمين والحوار الإسلامي المسيحي في تونس - في ذكرى ليون؛ كريستيان دي شارجي، - عدد خاص بحقوق الإنسان في الإسلام في المجلّات الإسلامية، القدس في التراث الديني الإسلامي، - الاختلافات بين الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام 1948 وحقوق الإنسان في الإسلام، - الإسلام والسلام، - ملتقى الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس (ليبيا) (01-06 شباط/فيفري 1976)، المسيحيون والمسلمون؛ هل لديهم أي قول أو فعل تجاه الوضع الحالي؟، ذكرى الأب يواكيم مبارك... .

¹ - Diego Sarrió Cucarella: Père Maurice Borrmans, savant, prêtre-missionnaire et homme, <http://sri.wp.catholique.fr/2017/12/26/pere-maurice-borrmans-1925-2017-un-homme-de-dialogue/>, DatePublication: février2017, Date De Navigatio: 03/08/2018, Huê Trinh Nguyễn: **Le père Maurice Borrmans, islamologue et chantre du dialogue islamo-chrétien, s'est éteint**, Article Précédent.

² - ينظر: الأعداد: الثاني، الخامس، السابع، التاسع، الثالث عشر، الواحد والعشرون، الثاني والعشرون، الثالث والعشرون، الرابع والعشرون، من هذه المجلّة؛ أي مجلّة دراسات إسلامية مسيحية.

على أنّ له مقالات منشورة بمجالات أخرى، منها مقالته الموسومة بـ: "الحوار مرارًا وتكرارًا مع المسلمين"،¹ وغير ذلك من المقالات المنشورة هنا وهناك، والتي إنّما ذكرنا كتدليل عليها على سبيل المثال لا الحصر، هذا المقال المنشور بالمجلة اللاهوتية، وأمّا بخصوص المشاركة في المؤتمرات والملتقيات، فقد أشرنا آنفًا إلى زيارته لبعض الدول قصد هذا الأمر.²

المطلب الرابع: موريس بورمانس وقضية الحوار الإسلامي المسيحي.

بشهادة الجميع ممن عاصروه وعرفوه، شكّلت هذه القضية المذكورة أعلاه، محورًا أساسيًا في فكر موريس بورمانس، حتى إنّ الرجل كرّس لها حياته وكتاباته، وظلّ طوال سنوات عمره يبحث في أساسياتها وملاساتها بحثًا جادًا؛ تمازجت فيه الكتابة والمشاركة في المؤتمرات الحوارية، ومعايشة المسلمين والمسيحيين في بلدانهم، إضافة إلى متابعة الأخبار المتعلقة بهذا الحوار في كثير من أصقاع المعمورة، وتولّيه لبعض المناصب المرموقة الخاصة به لمعاينة أحداثه عن قرب، وهذا الدأب الناتج عن الإيمان العميق بالمسألة الحوارية بين المسلمين والمسيحيين؛ هو ما جعل هذا الرجل يتبوأ المكانة السامية فيها، بل إنّ الشخصية المثالية الرائدة الممثلة لها والناتقة باسمها.

ولعلّه من نافلة القول؛ التصريح بأنّ بورمانس اهتمّ بالإسلام كدين ومجتمع اهتمامًا بالغًا منذ شبابه، "فمجرد إلقاء نظرة على البيبلوغرافيا التي لا نهاية لها لتحقيق البعد الثقافي عند بورمانس، تُوحى بأنّه مكرّس بشكلٍ شبه حصريٍّ للعلاقات الإسلامية المسيحية وفقًا للمنهجية المحددة من قبل المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية (PISAI)؛ القاضية بدراسة وفهم الإسلام من الداخل، من خلال دراسة اللغة العربية، ولهذه المهمة كرّس الرجل التزامه الأكاديمي طول حياته، وهذا ما تؤكّده مساهماته في مجلة دراسات إسلامية مسيحية المخصّصة صراحة للطلاب؛ فهي مترجمة من العربية إلى اللغات الأوربية، في مواضيع مختلفة، بحيث يُدرك أولئك الذين يدرسون النصوص الإسلامية؛ المصطلحات التقنية المستخدمة ويفهمون معناها الدقيق؛ استعدادًا لنسج حوار حقيقيّ وليس سطحيًا مع الشريك المسلم، وهذا هو السبب الذي جعل موريس يهتم بقواعد اللغة العربية والعلوم الإسلامية".³

¹ – théologiques, faculté de théologie et de sciences des religions, université de montréal, volume 19, N02.

² – ينظر: ص 76 من البحث.

³ – Diego Sarrio M.afr: **le p. maurice borrmans (père blanc) docteur honoris causa de l'université pontificale urbanienne**, Article Précédent.

لذلك، وفي أوائل سبعينات القرن العشرين؛ عمل بورمانس أستاذًا للشريعة الإسلامية في المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية (PISAI) بروما،¹ كما أنجز أطروحة دكتوراه رئيسية وأخرى تكميلية، وكلاهما مخصّصتان للعالم العربي الإسلامي في شقّه المغربي.²

إنّ العلاقة الحميمة التي تربط بورمانس والإسلام كدين ومجتمع؛ جعلت منه حريصًا على ردّ التّهم التي تُكالَ ضدّ هذا الدين وضدّ أتباعه، ولا أدلّ على ذلك من عدم استساغته لخطاب البابا بنديكت السادس عشر* في جامعة ريغنسبورغ الألمانية؛ الذي ألقاه يوم 12 ديسمبر 2006م، لأنّ البابا اقتبس فقره مُسيئة للمسلمين من الإمبراطور البيزنطي المستقلّ مانويل الثاني باليولوج في حوارهِ مع عالم مسلم في عصره، وكذا عدم قبوله لما يُثارُ ضدّ هذا الدين وأتباعه من تصريحات مُهينة ورُسوم كاريكاتورية مُسيئة، ومقالات انتقادية وتدخّلات دبلوماسية وتهديدات جسدية...، حيث إنبرى بورمانس للدّفاع عن الإسلام، وتصحيح المفاهيم الخاطئة بأساليب مختلفة، مُبرّرًا لبعض المحطّات التاريخية الحميمة بين المسلمين والمسيحيين، ومُستعرضًا لأصدق صُور العلاقة التي تجمع بين الطرفين، مؤكّدًا على أنّ ما حدث في ريغنسبورغ ليس كلّهُ سلبياً، بل إنّ له أيضًا آثارًا مفيدة؛ لأنّ العديد من المفكرين المسلمين قرؤوا نصّ خطاب البابا بأكمله واستخلصوا منه ما يمكن أن يكون الخطوط العريضة لحوارٍ جادّ في الرّوح والحقيقة بين المسلمين والمسيحيين.³

ولعلّ هذا السبب في الانجذاب نحو الإسلام الكائن لدى هذا الرّجل، يعودُ بالدرجة الأولى إلى كونه عاش سنين عديدة في كنف العالم الإسلامي، وذلك منذ بلوغه سنّ العشرين، كما مرّ معنا سابقًا.⁴

فتلبية لنداء الضّمير، وانطلاقًا من هذه العلاقة الموصوفة آنفًا، آمن بورمانس بضرورة الحوار الإسلامي المسيحي، فراح يُؤسّس لقواعده، ويُنظّر لمبادئه بكلّ صدقٍ وإخلاصٍ، وإنّ نظرة خاطفة في مؤلفاته سألفة

¹ - Nicolas Balle: **Maurice Borrmans, Prof Du Moine De Tibhirine Christian De Chergé, est mort**, Article Précédent.

² - Gérard Demeerseman: **Maurice Borrmans, 1925-2017**, Article Précédent.

* بندكت السادس عشر أو البابا بندكتوس السادس عشر، اسمه الأصلي؛ جوزيف راتزغر، ولد يوم 16 أبريل 1927م، البابا الخامس والستون بعد المائتين في الفاتيكان، درس اللاهوت والفلسفة وحاضر في عدّة جامعات، شغل عدّة مناصب؛ حيث عمّن كاهنًا ورئيس أساقفة وكاردينالًا ورئيس مجمع العقيدة والإيمان، واستقال من منصبه البابوي عام 2013م، الذي شغله منذ 2005م. (موسوعة ويكيبيديا).

³ - Maurice Borrmans: **À Ratisbonne, un malentendu regrettable**, <https://www.la-croix.com/Religion/Pape/P-Maurice-Borrmans-A-Ratisbonne-malentendu-regrettable-2016-09-13-1200788642#>, Date Publication: 13/09/2016, Date De Navigatio: 20/09/2018.

⁴ - ينظر: ص 70-72 من البحث.

الذكر¹، تُنبئ من الوهلة الأولى على الاهتمام البالغ الموجود عنده بهذه القضية؛ إذ أنّ مُعظم عناوين تلك المؤلفات تحمل في سياقها ألفاظاً وعبارات تُخدم المسألة الحوارية بين المسلمين والمسيحيين، وأيضاً فإنّ مضامينها - ولا ريب - تصفُ بعمق هذه المسألة.

وتأسيساً على هذه الحقيقة، وباعتباره عالماً إسلامياً مرئوفاً، قضى بورمانس أكثر من ستين (60) عاماً في الحوار بين الأديان، ودراسة الإسلام واللغة العربية، كان له فضل تحليل مضمون تلك الرسالة التي أرسلتها 138 شخصية مسلمة إلى البابا بنديكت السادس عشر وغيره من الزعماء المسيحيين، وقد أراد هؤلاء إعادة قراءة أفضل لنصوص القرآن والسنة، وبالنسبة لبورمانس؛ فإنّ هذه الرسالة والتي كانت ذات لهجة غير متوقّعة، هي فجر مرحلة جديدة في الحوار الإسلامي المسيحي، سيسمح للشركاء في النهاية بمناقشة أهمّ المشاكل الأساسية التي تخصّهم، وتدفعهم إلى العمل معاً من أجل التطبيق العملي لحقوق الإنسان التي تمّ تحديدها في 1948م، والذي يتوافق مع متطلبات القانون الطبيعي الذي يعتزُّ به المسيحيون ومبادئ الشريعة الإسلامية، حتّى ولو كانت الانتروبولوجيات واللاهوتيات تُبرزهم بشكلٍ مختلف².

لقد أسهم بورمانس كثيراً في بحث القضايا المتعلقة بالإسلام وأهله، خاصة فيما يتعلّق بقانون الأسرة في شمال إفريقيا؛ حيث تعلّم كلّ ما يتعلّق باللغة العربية والدين الإسلامي، لذلك يبرز في قلب أهمّ مساهماته موضوع اللقاء الإسلامي المسيحي، ولعلّ الكتاب الأكثر قراءة وتقديراً والمترجم لعدّة لغات هو كتابه المعنون بـ: "توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين"، إنّه كتاب ليس كبيراً من حيث الحجم، ولكنّه عميق ومُجزّي في قضية الحوار بين الطرفين؛ لأنّ موريس بورمانس يُقدّم فيه في الوقت ذاته الصّعوبات والأمل ليومٍ واحدٍ في مسكنٍ مسالم ومحترم بين المسيحيين والمسلمين، لذلك فإنّ موضوع الاجتماع الإسلامي المسيحي سوف يتمّ تناوله مراراً وتكراراً من قبل بورمانس على مرّ السنين في العديد من المنشورات.³

إنّ ما سبق وُصفه من جهود هذا الرّجل في الحوار الإسلامي المسيحي، جعلته بحقّ رائداً فيه، وبوّأته مكانة سامية في الفاتيكان، على اعتبار أنّ هذه الكنيسة أخيراً أصبحت تدعم قضية الحوار بين الأديان، وخاصة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، فكان ذا أهمية لدى مُعظم الباباوات الذين عاصروه؛ لكونه مختصّاً

¹ - ينظر: ص 80 من البحث.

² - Huê Trinh Nguyên: **Le père Maurice Borrmans, islamologue et chantre du dialogue islamo-chrétien, s'est éteint**, Article Précédent, et Diego Sarrio M.af: **le p. maurice borrmans (père blanc) docteur honoris causa de l'université pontificale urbanienne**, Article Précédent.

³ - Diego Sarrio M.af: **Sermon religieux**, Article Précédent.

ومهتمًا بهذه القضية، ومن ذلك "تلقيته دعوة فاتيكانية من قبل البابا فرنسيس ماريو* (Franciscus Mario) يوم 24 جانفي 2015م بمناسبة الذكرى الخمسين للآباء البيض بفرنسا، إحتفاءً به وإكرامًا لشخصه لما يُقدّمه من خدمات في هذا الصدد".¹

ويبدو أنّ علاقة الرجل بالفاتيكان؛ علاقة قديمة، قامت منذ سنواتٍ عندما عمل مُستشارًا لأمانة السرّ للعلاقات بغير المسيحيين المبنثقة عن الجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م) بقرار من البابا بولس السادس،² والتي اشتغل فيها لمدة خمسة عشرة سنة كاملة كما سبق القول.

واستنادًا إلى كلّ ما قيل عن علاقة موريس بورمانس بقضية الحوار الإسلامي المسيحي، يُمكن التصريح بأنّ بحث هذه العلاقة واهتمام الرجل بهذه القضية؛ جديرٌ بالبحث والدراسة والتمحيص، لأنّه كما يبدو للعيان أنّ هذا الموضوع قد بات يشكّل أهمية بالغة خاصة في ظلّ الظروف الرّاهنة المليئة بالتّراعات والخلافات، إذ أنّه ليس من المنطق في شيء؛ وضع جميع المفكرين المسيحيين في كفة واحدة وتصوّرهم على الشاكلة نفسها؛ لأنّ منهم مُنصفون في علاقاتهم مع المسلمين، وهذا هو حال موريس بورمانس الموقوف بين يديّ هذا البحث لدراسة أفكاره وآرائه المتعلّقة بموضوع الحوار الإسلامي المسيحي، مقارنة مع نظيره محمد حسين فضل الله.

* البابا فرنسيس ماريو ولد باسم خورخي ماريو بيرجوليو سنة 1936م، وهو بابا الكنيسة الكاثوليكية السادس والستون بعد المائتين بدء من 13 مارس 2013م، ويعتبر أول بابا من العالم الجديد كما أنه أول بابا من خارج أوروبا منذ عهد البابا غريغوري الثالث، شغل عدة مناصب دينية وعلمية، يتقن عدة لغات على غرار الإسبانية واللاتينية والإيطالية، عرف عنه التواضع ودعم الحركات الإنسانية والعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية وتشجيع الحوار والتواصل بين مختلف الخلفيات والثّقافات، وبعد انتخابه بابا ألغى العديد من التشريعات المتعلقة بالبابوية، من مؤلفاته: في السماء والأرض، تأملات للمتدينين، تأملات بالحياة الرّسولية.

¹ - Marie Malazc: **Le père Maurice Borrmans, figure du dialogue islamo-chrétien, est mort**, Article Précédent.

² - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، ضمن كتاب: مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي، مرجع سابق، ص140.

خلاصة الفصل:

في هذا الفصل التمهيدي المخصّص لبعض المفاهيم المتعلقة بموضوع بحثي، حدّدت فيه ضبط المصطلحات الواردة في العنوان؛ بغية إزالة كلّ إبهام حولها قد يستشكل على القارئ فهمه أو إدراكه، وذلك بإيراد ثلاثة محاور رئيسية، حيث خلصت إلى نتيجتين اثنتين:

أولاً - أنّ الحوار الإسلامي المسيحي؛ هو حركة علمية ومعرفية وفكرية دينية أضحت في العقود الأخيرة أكثر تنظيمًا وترتيبًا، ذلك أنّها - وكشأن أي حركة أو فكرة من نوع آخر - تنشأ باهتة، ثم تتطوّر بمرور الزمن، بما يصاغ لها من مبادئ وأسس ومقترحات، وكذا اهتمام أربابها أو القائمين عليها بها، ومسألة الحوار بين المسلمين والمسيحيين لم تخرج عن هذا النطاق المؤلف؛ إذ شهدت عبر مجموعة من المراحل تطوّرات أو تدرجات ملحوظة، ممّا أدّى بها إلى الاستقلالية والانفراد عمّا سواها من قضايا ومسائل، بل باتت قضية جوهرية مهمّة في عالم كعالم اليوم تسوده الصّراعات والصّدّامات، كونها تعتبر حلًا سلميًّا لكثير من المشاكل التي تتخبّط فيها بعض الشّعوب والجماهير، وقد رأينا أنّها عملية لا تنطلق من فراغ، بل إنّها تنطلق من منطلقات عديدة، كما هي كائنة بفعل دوافع كثيرة مختلفة بعضها إسلامي وبعضها مسيحي، والبعض الآخر مشترك فيما بينهما، ونظرًا لكونها ذات مفهوم واسع يتقاطع فيه السياسي والديني والثقافي والحضاري والاجتماعي والاقتصادي؛ فكذلك هي في أهدافها وأبعادها ومقاصدها تشمل كلّ تلك الجوانب، الأمر الذي يزيد من أهميتها في العالم المعاصر.

ثانياً - محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس، واللذان هما نطاق موضوع البحث حول القضية السابقة؛ أي قضية الحوار الإسلامي المسيحي، وعلى الرّغم من كونهما يفترقان في الانتماء الديني؛ حيث ينتمي الأوّل إلى الإسلام على مذهب الشيعة، وينتمي الثاني إلى المسيحية على مذهب الكاثوليك، وعلى الرّغم كذلك من الافتراق في المنشأ ومنطقة العيش، حيث عاش الأوّل في منطقة الشرق الأوسط مقتسمًا حياته بين العراق ولبنان، وعاش الثاني بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط مقتسمًا حياته بين بعض الدّول الأوربية كفرنسا وإيطاليا، وبعض بلدان الشّمال الإفريقي كالجائر وتونس، فإنّهما ومن خلال الطّابع العام لحياة كلّ منهما نجد بينهما توافقًا كبيرًا؛ إذ أنّ كلًّا منهما عاش وتربّى ضمن رعاية دينية وعلمية خاصّة، وكانت حياته مليئة بالجدّ والمثابرة والاجتهاد سواء من النّاحية العلمية المعرفية أو من النّاحية الدينية، ثمّ إنّ كلًّا منهما - في دينه أو ملته - هو رجل دين له باعٌ طويل وكبير في هذا الشّأن، وبالإضافة إلى كونها عاشا في عصرٍ أو جيلٍ واحدٍ تقريبًا، فإنّ لهما اهتمامًا بالغًا بمسألة الحوار الإسلامي المسيحي؛ حيث عايشاها نظريًا وتطبيقًا، الأمر الذي دعاني إلى المقارنة بينهما بخصوصها.

❖ الفصل الثّاني : مُنطلقات الحوار الإسلامي المسيحي أو

المؤسّسات القبليّة للتّحاور .

➤ تمهيد .

➤ المبحث الأوّل: المنطلقات عند محمّد حسين فضل الله .

- المطلب الأوّل: الاحتفاء القرآني بالمسيح عليه السّلام .
- المطلب الثّاني: الاعتراف المتبادل بالآخر واحترام إنسانيّته .
- المطلب الثّالث: القيم الرّوحيّة والأخلاقيّة المشتركة .
- المطلب الرّابع: المواطنة والعيش المُشترك، التّجربة اللّبنانيّة مثلاً .

➤ المبحث الثّاني: المنطلقات عند موريس بورمانس .

- المطلب الأوّل: حقيقة الإسلام والقرآن .
- المطلب الثّاني: الأسوة النّبويّة والتّكامل الرّسالي .
- المطلب الثّالث: المسعى الرّهدي الصّوفي .
- المطلب الرّابع: الأُسس المشتركة بين الديانتين ومواطن الالتقاء .

➤ المبحث الثّالث: المقارنة بين المنطلقات عند الرّجلين .

- المطلب الأوّل: تبجيل الأنبياء .
- المطلب الثّاني: القيم المُشتركة بين الإسلام والمسيحيّة .
- المطلب الثّالث: الاعتراف المتبادل والإيمان بالتّعدديّة .

➤ خلاصة الفصل .

تمهيد:

لغويًا تُشتقُّ لفظة "المنطلقات" من الفعل انطلق ينطلق انطلاقًا؛ فهو منطلقٌ، وتدور معاني الانطلاق حول "التخليّة والتّرك والإرسال وسرعة الدّهاب والتّحرّك والمضيّ والانشرح..."¹، وبناءً على هذا المعنى اللّغوي يمكننا القول: بأنّ المقصود بمنطلقات الحوار الإسلامي المسيحي؛ الأساس أو الأصل الذي ينطلق منه هذا الحوار ويبنى عليه، أو منه وعليه ينشأ ويتفرّع، لذلك فإنّ هذه المنطلقات هي القبلية التي تسبق وجود الحوار بين المسلمين والمسيحيين؛ إذ هي عبارة عن أمور أو قضايا ومسائل تكون موجودة وحاضرة في تراث الفريقين، وغالبًا ما تكون متشابهة أو مشتركة فيما بينهما، بحيث تدفعهما أو ترغّبهما في التّحاور والتّلاقي معًا، نظرًا لما تحقّقه من التّقارب والتّداخل والتّكامل بين تراثيهما.

وبما أنّ هذه المنطلقات كثيرة ومتنوّعة، ونظرًا لانحصار موضوع بحثي في المقارنة في مسألة الحوار الإسلامي المسيحي بين محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس، فإنّ عرضي لها وتعريجي عليها سوف يكون مخصّصًا أو محصورًا فيما يراه هذان الرّجلان بخصوصها؛ أي التّحدّث عن منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي كما هي عندهما أو من خلال نظرتهما إليها، ثمّ المقارنة بينهما لديهما، وعليه فإنّ هذا الفصل سيتمحور حول:

* المنطلقات عند محمّد حسين فضل الله.

* المنطلقات عند موريس بورمانس.

* المقارنة بين المنطلقات عند الرّجلين.

ولاستنطاق هذه النّقاط، وجب الإجابة على التّساؤلات الآتية:

ما هي منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي عند كلّ من محمّد حسين فضل الله وكذا موريس بورمانس؟، وهل هناك فرقٌ بينها عند الرّجلين؟.

¹ - أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج3، ص420، وابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج12، ص99-100.

المبحث الأول: المنطلقات عند محمد حسين فضل الله.

لما كان الحوار الإسلامي المسيحي لا يتأتى من فراغ، بل تسبّهُ بعض المقدمات أو تتقدّمه بعض المنطلقات الممهّدة له؛ تطرّق فضل الله لمجموعة منها؛ هي أمور أو قضايا -على حسب اعتقاده- ينطلق منها أو يؤسّس عليها الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وانطلاقاً من الإشكالية التي يُثيرها عنوان هذا المبحث، تأتي مطالبه موضّحة لما أُستبهم منها، وذلك من خلال النقاط الآتية:

المطلب الأول: الاحتراف القرآني بالمسيح عليه السلام.

كدياجةٍ لتقديم هذا الموضوع، يُبيّن فضل الله وُجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسلام، وعدم التّفريق بينهم في ذلك سواء كانوا عرباً أو غير عرب؛ لأنّ الإيمان بهم هو جزء من إيماننا بالتّيّ ﷺ، فيقول:

"ونحن كمسلمين لا نفرّق بين أحد من رُسل الله، ونعيش آفاق السيّد المسيح عليه السلام كما نعيش آفاق الأنبياء الآخرين من خلال ما نعيشه من آفاق رسول الله ﷺ الذي جمع في شخصه كلّ خصائص الأنبياء، وفي رسالته كلّ عناصر الرّسالات، وجمع في حركته كلّ الأساليب التي إنطلق بها رُسل الله؛ إنّ من خلال العناوين الكبرى التي أطلقها في الواقع وفي الحركة، وإنّ من خلال التّداءات التي نادى بها الإنسان في إنسانيته والمؤمن في إيمانه".¹

ومن المعروف بداهة أنّ القرآن الكريم اهتمّ اهتماماً بالغاً بشخصيّة عيسى عليه السلام منذ ولادته أو حتّى قبل ذلك عندما تحدّث عن أسرته ووالديه إلى نهايته؛² "لأنّ الحديث عنه أمرٌ ضروريٌّ، إذ كانت تعقّد حول شخصيته الكريمة سُحب كثيرة، تُعمي السُّبل على الناظرين في المسيحيّة من المسلمين؛ الأمر الذي لا يكون معه لقاء، إلّا إذا انكشفت الرّؤيا ووُضعت معالم الطّريق"³ حول هذه الشّخصيّة الفريدة التي كثر فيها الخلاف، فمن هو السيّد المسيح؟، وكيف وُلد؟، وأيّ وصفٍ لازمه في حياته؟، وما حقيقة دعوته؟، وكيف كانت نهايته؟.

¹ - محمد حسين فضل الله: موسوعة التّدوة - سلسلة ندوات الحوار الأسبوعيّة بدمشق-، ط5، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م، ج2، ص267.

² - يُنظر: محمّد السّمّاك: مقدّمة إلى الحوار الإسلامي-المسيحي، مرجع سابق، ص27-32.

³ - عبد الكريم الخطيب: المسيح في القرآن والتّوراة والإنجيل، ط1، دار الكتب الحديثة، 1385هـ/ 1966م، ص34.

إجابة عن هذه الاستفهامات، وانطلاقاً من رؤية قرآنية، طُفِقَ فضل الله يُوضِّح لنا قصة المسيح عليه السلام كما وردت في القرآن الكريم، عارضاً طريقة هذا الكتاب في حديثه عن هذا النبي من جميع النواحي، مما يمكن إيجازه فيما يأتي:

أولاً- الأسرة الكريمة والمولد المبارك: في البدء، وقبل الخوض في الشخصية الذاتية للمسيح عليه

السلام، وتقريراً للاصطفاء الأسري؛ جال القرآن الكريم جولات كثيرة عبر أزمانٍ متغايرة في أرجاء بيت آل عمران؛ أسرة عيسى عليه السلام، فلقد بدأت القضية من جدته امرأة عمران وكيف كانت روحيتها؟، وكيف كان تطلُّعها للجنين الرائد في أعماقها؟، وكيف كانت تفكر؟؛ فهي من قوم عاشت الرسالة في حياتهم من خلال اصطفاء الله لهم، ولذلك لم تفكر مادياً بل فكرت روحياً: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ (آل عمران: 35)، ثم تخرج مريم إلى الوجود -وهي أمه عليه السلام-، ويقصُّ علينا القرآن الكريم نبأ رعايتها وإنشائها إنشَاءً حسناً طيباً: ﴿فَنَقَبَهَا رَبُّهَا بِقَبُولِ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُا أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ (آل عمران: 37)، وبعد ذلك يُقرَّر تفضيلها على جميع النساء في ذلك الزمان: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (آل عمران: 42)¹، ففي هذه الآية تُنادي الملائكة مريم باسمها تأنيساً لها وتوطئة لما ستلقيه إليها، والظاهر مشافهة الملائكة لها بالقول بأن الله اختارها وبرأها من ثم اليهود، وطهرها من الحيض؛ إذ كانت لا تحيض، أو عمّا يصمُّ النساء في خلقٍ وخلقٍ ودين، كما اصطفاها على نساء العالمين عمومًا وقيل عن نساء زمانها؛ باختصاصها بولادة عيسى عليه السلام، وقيل بخدمة البيت، وقيل بالتحريم ولم تُحرر أنتى غيرها، وقيل بسلامتها من نخس الشيطان، وقيل بالوحي إليها ونبوتها^{**}، وقيل اصطفتيت بشيء يخصها²

¹ - محمد حسين فضل الله: موسوعة الندوة، مصدر سابق، ج2، ص268-270.

^{*} أتم اليهود مريم عليها السلام بأنها أنجبت عيسى عليه السلام عن طريق الرنا؛ لأنها لم تكن متزوجة حينها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى: ﴿فَأْتَتْ بِهِ قَوْمَهَا حَامِلَةً قَالُوا يَمْرِيمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٣٧﴾﴾ يَتَأَخْتَهُنَّ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوهُنَّ أَمْرَأَةً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعْثًا ﴿٣٨﴾﴾ (مريم: 27-28).

^{**} ذهب بعض العلماء إلى القول بأن الله أنعم على بعض النساء بالنبوة كمرم عليها السلام، ومن هؤلاء؛ أبو الحسن الأشعري والقرطبي وابن حزم، ويوردون على ذلك بعض الأدلة من القرآن الكريم كقوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ (مريم: 17-19). (عمر سليمان الأشقر: الرسل والرسالات، ط1، دار الفانس، الأردن، دار السلام، القاهرة، مصر، 1426هـ/2005م، ص84-85).

² - أنير الدين محمد الشهير بأبي حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج2، ص728-729.

ومهما يكن من أمر فإن المقصود بهذه الآية الكريمة هو تكريم مريم وتبجيلها وتبرئتها من كل ما ألصق بها من ثمة، وتفضيلها على غيرها من النساء، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كُمّل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"¹، كما أثنى الله عليها بالعفاف والفنوت والإيمان الحازم بالكتاب والكلمات الربانية، فقال: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ الْإِنشَاءِ الْأُولَىٰ وَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رِضْوَانَنَا ﴾ (التحریم: 12)، ثم يُبشّرُها بالخبر السارّ، وهو مجيء عيسى ابنها كلمة الله: ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٤٦﴾ (آل عمران: 45-46).²

وهكذا يُمجّد القرآن الكريم هذه الأسرة الطّيبة بالتدرّج؛ بدءاً بالآل ثمّ الجدّة ثمّ الوالدة، كلّ ذلك تمهيداً لبروز شخصيّة عظيمة، "ثمّ تتابع الآيات لتُطلّ على الولادة، كيف حدثت وما أجواءها؟، لأننا نريد الاحتفال بالسّيّد المسيح في أجواء الولادة بالطريقة القرآنيّة، وهذا ما ينبغي للمسلمين إذا أرادوا أن يُشارِكوا المسيحيين الاحتفال بميلاد السّيّد المسيح، حيث عليهم أن يقرؤوا سورة مريم ليُزادوا وعياً في قدرة الله ولطفه ورحمته ورسالة السّيّد المسيح حتى لا تختلط عليهم الكلمات التي تُحرف بالعقيدة عن السّيّد المسيح".³

فلقد أورد القرآن الكريم بالتفصيل أحداث هذا المولد المبارك وما صاحبه من معجزات، وما يحمله من الدلالات الربّانيّة المبرهنة على قدرته تعالى وإرادته وعظيم مشيئته وبديع صنعه، وذلك في سورتي آل عمران ومريم، على أنّ هناك بعض الفروق في ذكر قصّة المولد بين هاتين السورتين، فمن حيث أجملت سورة آل عمران تلك الأحداث المتعلّقة بالولادة، فصّلت سورة مريم ذلك، لأنّ السورة الأولى ركّزت على سرد نسب المسيح عليه السّلام وأسرته، وأمّا الثّانية فقد ركّزت على المسيح نفسه وما أُحيطَ بمولده من وقائع، هذا فرق، والفرق الآخر يكمن في كونه سورة آل عمران سلّطت الضّوء بطريقة مركّزة على مشيئة الله وقدرته في ولادة عيسى عليه السّلام؛ لأنّ محورها العام يدور حول القدرة والمشيئة الإلهيّتين، وأمّا سورة مريم فقد

¹ - محمّد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَصَرَفَ اللَّهُ مَوْلَاكِ لِيَذِيكَ ءَأَمَّا أُمَّرَاتٌ فَرَعَوَاتٌ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَتِينِ ﴾ (التحریم: 11-12)، حديث رقم (3411)، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م، ص844.

² - محمّد حسين فضل الله: موسوعة الندوة، مصدر سابق، ج2، ص271.

³ - المصدر نفسه، والجزء نفسه، والصّفحة نفسها.

سلّطت الضّوء على الرّحمة الإلهية والعناية الرّبانيّة في سرّدها لقصة المولد؛ لأنّ محورها العام يتمحور حول هاتين الخصلتين.¹

وفي السّورتين معاً، تتجلّى الحكمة الإلهية في ولادته عليه السّلام من غير أب في عدّة أمور، منها:²

1- الإعلان عن قدرة الله التّافذة التي لا تخضع لقانون الأسباب والمسببات، ولا تتقيّد به، كما أنّ قدرته تعالى لا تخضع للتّسبيّة بل هي مطلقة.

2- الإعلان عن عالم الرّوح بين قوم أنكروها؛ وهم اليهود، إذ كانوا لا يؤمنون إلاّ بالجسد والمادّيات.

3- إتمام القسمة العقليّة في طريقة خلق النّاس، فكما أنّ الله خلق آدم عليه السّلام من غير أب ولا أمّ، وخلق حوّاء من ضلع آدم -مما يُشبهه أن يكون أباً فقط-، وخلق كافّة النّاس من أبٍ وأمّ، لم يبق إلاّ احتمال رابع؛ وهو الخلق من أم بلا أب، وكان هذا ما حصل في خلق عيسى عليه السّلام.

ثانياً- الشّخصية الفدّة: كما مجّد الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم أسرة المسيح عليه السّلام، واعتبر مولده معجزة خارقة للعوائد، فهي هو أيضاً يتكلّم عن شخصيته بعد أن شبّ، بنوعٍ من التّمجيد والتّكريم.

ومّا ورد في ذلك؛ التّكريم عليه بجعله عالماً بالكتاب والحكمة وبمقتضيات التّوراة والإنجيل، واختصاصه بالنبوة والرّسالة، فقد أرسل في البداية إلى بني إسرائيل* لينطلق في موقع محدّد ليركّز رسالته، ثمّ يفتح بعد ذلك على الآفاق البعيدة: ﴿وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالتَّانِجِيلَ﴾ (آل عمران: 48-49).³

¹ - ينظر: (سورة مريم: 16-33، 02)، و(سورة آل عمران: 40-50).

² - محمّد أبو زهرة: محاضرات في التّصاريّة، ط4، المؤسسة العامّة للإدارات والبحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السّعودية، 1404هـ، ص21-22، ومحمّد عبد السّلام محمّد: دراسات في القرآن الكريم من التّفسير الموضوعي، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، دت، ص201-203.

* المعروف أنّ رسالة عيسى عليه السّلام من بدايتها إلى نهايتها كانت خاصّة ببني إسرائيل، كما أنّها كانت مكّملة لرسالة موسى عليه السّلام، وقد ورد ذلك ثابتاً في القرآن والإنجيل؛ ففي القرآن قال الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (آل عمران: 49)، وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصّصف: 06)، وورد في الإنجيل على لسان المسيح: [لم أرسل إلنا إلى خراف بيت إسرائيل الضّالة] (متّى: 24/15)، وورد في الإنجيل ذاته على لسان المسيح أيضاً: [لا تظنّوا أنّي جئت لأنقض النّاموس أو الأنبياء بل لأكمل] (متّى: 17/05).

³ - محمّد حسين فضل الله: موسوعة النّدوة، مصدر سابق، ج2، ص275-276.

ومن كمال هذا التبجيل أن عيسى عليه السلام - وفق المنظور القرآني - ما هو إلا مجرد بشرٌ مرسلٌ من قبل الله تعالى، مؤيّدٌ بجملة من المعجزات الباهرات، فهو لا ينطلق من ذاته، ولكنّه ينطلق من رسالة الله ورعايته وعنايته في الطّاقات التي وهبها إياه، ممّا يمكّنه من القيام بما لا يقوم به البشر من خلال قدراته الذاتيّة: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنشِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ (آل عمران: 49).¹

فهذه معجزات أربع؛ خلق طيرٍ من الطين، إبراء الأكمه والأبرص، إحياء الموتى، الإنباء بما هو مجهول من طعام ومدّخرات القوم، وأمّا المعجزة الخامسة فهي إنزال المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام، وقد ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ أَتَقُولُوا اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٤﴾﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلَانَا وَإِخْرَانًا وَمَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَأُعَذِّبَهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٦﴾﴾ (المائدة: 112-115)،² وقد أتى بهذه المعجزات الخارقات، على الرغم من كونه بشرًا؛ تلك الخصوصية أو هذه الصّفة التي ركّز عليها القرآن الكريم، ليُدحض قول النصارى الذين زعموا أنّه إله وأنّه ابن الله، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (المائدة: 75)، وقال أيضًا: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴿٧٢﴾﴾ (المائدة: 72)، وقال كذلك: ﴿وَقَالَتِ الْتَصَدْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (التوبة: 30)، ثمّ في المشهد الختامي يُعلن القرآن صراحة عن كونيّة نهاية المسيح عليه السلام على الأرض، وأنّ ذلك كان بالرفع إلى السماء، وتخليصه من اليهود الذين زعموا أنّهم قتلوه وصلبوه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعِ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾﴾ بل رفعه الله إليه

¹ - محمد حسين فضل الله: موسوعة الندوة، مصدر سابق، ج2، ص276.

² - أحمد شليبي: المسيحية، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998م، ص50.

وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ (النساء: 157-158).¹

ثالثاً- الرفقة الصالحة: أيد الله عز وجل عيسى عليه السلام وكرمه برفقة صالحة، والمتمثلة في الحواريين في إيمانهم وروحانيتهم وإخلاصهم؛ الذين استجابوا له وأيدوه ووقفوا معه وكانوا أنصاراً له، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِجُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ بِإِلَهِهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ (آل عمران: 52-53).²

رابعاً- مشهد يوم القيامة: إن مشهد يوم القيامة؛ مشهد يريد فيه الله عز وجل أن يُرى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام تبرئة نهائية مما نسبته النصارى إليه وادّعوه فيه من الإلهية، فجاء ذلك على طريقة الاستفهام التقريري؛ لأنه عز وجل يعلم أن المسيح عليه السلام لم يدع الناس إلى تأليهه أو اتخاذه رباً من دون الله، ولكن ليقيم الحجة الداحضة لذلك كله على لسان هذا النبي: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٣١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٣٢﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣٣﴾﴾ (المائدة: 118-120)،³ وهذا منتهى التكريم والتبجيل.

هكذا احتفل القرآن الكريم بشخصية السيد المسيح عليه السلام، ليبيّن موقفه تجاه هذه الشخصية العظيمة، ومنه يتحدّد موقف المسلمين منه أيضاً؛ لأنّ هؤلاء ينطلقون في تأسيس تصوراتهم بما ورد في هذا الكتاب، ولا شك أنّ هذا الاحتفاء بهذه الشخصية في الفكر الإسلامي يقترب أو يفوق احتفاء المسيحيين بها.

إذن، يتقاطع المسلمون مع المسيحيين حول هذا الاحتفاء، وإنّ لبيّنهما تداخلاً كبيراً تجاه الفكر التوحيدى الذي جاء به عيسى عليه السلام في أصله الأول قبل التحريف والفكر التوحيدى الذي جاء به النبي محمد ﷺ؛ ففي المسيحية كثير من المفاهيم العقديّة التي تلتقي بمفاهيم الإسلام العقديّة، على الرغم من

¹ - محمد حسين فضل الله: موسوعة الندوة، مصدر سابق، ج2، ص277-278.

² - المصدر نفسه، ج2، ص276-277.

³ - المصدر نفسه، ج2، ص278.

الاختلاف الحاصل بينهما أيضاً، والتي يُمكن الانطلاق من خلالها بين المسلمين والمسيحيين في مواجهة الإلحاد وفي مواجهة كلِّ التيارات التي تقف بوجه الخطِّ الرساليِّ الدِّيني الذي جاء به الأنبياء.¹

وإنَّ في إيمان المسلمين بنبوَّة المسيح ورسالته، ومنحه مكانة مرموقة ومقاماً سامياً في فكرهم وتراثهم انطلاقاً من القرآن الكريم؛ يُعدُّ منطلقاً محورياً لبداية حوارٍ جدِّي بينهم وبين المسيحيين ودعامة متينة له، بما هو متفقٌ حوله بين الطرفين بخصوص هذه الشخصية.

المطلب الثاني: الاعتراف بالآخر واحترام إنسانيته.

إنَّ الاعتراف بالآخر من حيث الإقرار به وبكيانه الدِّيني ووضعه الاجتماعي وانتمائه العرقي، ثمَّ احترام إنسانيته كإنسان له كامل حقوقه وعليه جميع واجباته؛ هو منطلقٌ أساسيٌّ للحوار والتفاهم، ونقطة بداية لهما لا بدَّ منها، لأنَّ "مسألة الحوار قد تكون في مضمونها الإنساني، مسألة تتصل بتكوين الشخصية الإنسانية في النطاق الاجتماعي الذي يتحسَّن الإنسان فيه وجوده مع الآخر، بالمعنى الذي يتكامل فيه إنتاج الفكر والمنهج والحركة، على أساس الخطوط الفكرية المشتركة والأساليب المتنوعة في عاطفتها وعقلانياتها".²

ولا شكَّ أنَّ احترام الكرامة الإنسانية هو مبدأ رئيسيٌّ يجب الاهتمام به لكي يمكن التعامل مع البشر، ويستند هذا المبدأ إلى أنَّ البشر ينحدرون من شخص واحد؛ هو آدم عليه السلام، لذا يجب أن يحترم الناس بعضهم بعضاً، لأنَّهم كلهم لآدم وآدم من تُراب، ومن ثمَّ فهم يشتركون في أساس الخلق، وهذا الاشتراك ينبغي أن يترك أثره على تعاملاتهم مع بعضهم البعض في السلم والحرب وعلى السواء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء: 70)، فالتكريم للإنسان بصفته إنساناً، ومن الواجب احترام هذا الأصل؛³ ليسهل التواصل بين الناس في المجتمع الواحد أو الأمة الواحدة، ذلك أنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه، ومن مقتضيات هذا الاجتماع؛ الإيمان بوجود أناسٍ آخرين من حوله يتعايشون معه ويُقاسمونهم وقائع الحياة، بغضِّ النظر عن انتماءاتهم العقائدية والأيدولوجية والفكرية والعرقية.

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1994م، ص60.

² - محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته، - مصدر سابق، ص27.

³ - جعفر عبد السلام وأحمد السايح: المسلمون والآخر - أسس لتبادل الحوار والتعايش السلمي، - دط، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، مصر، 1427هـ/ 2006م، ص19.

لأنه بخلاف ذلك، يكون هذا الإنسان مُنفردًا منعزلاً بعيدًا عن حياة مجتمعه غير منصهرٍ فيه، "وهذا هو الفرق بين أن يعيش الانكماش في داخل ذاته والانغلاق عن الإنسان الآخر في تفكيره وشعوره وحركته... وبين أن يعيش الانفتاح في آفاق الحياة ورحاب المعرفة واللقاء بالآخرين؛ كإنسانٍ يجتذب إنسانًا آخر، ويلتقي به، ويتبادل معه أفكاره وحركته ومنهجه، ويُناقش معه قضاياها ومشاكله، يُعطيهِ من نفسه بعض خصوصياته، ويأخذ منه بعضًا من خصوصياته في عملية تفاعل فكريٍّ وروحيٍّ وعمليٍّ"¹ مؤمنًا بمقتضى الخطاب القرآني الذي ينصُّ على الافتراق والتنوع البشري والنوعي والعرقى والفكري والعقائدي، في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: 13)، وفي قوله أيضًا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْأَسْنِينَ وَالْوَنُكُورَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾﴾ (الروم: 22)، وإذا كان هذا هو مقتضى الخطاب القرآني في بعض آياته، كان اقتضاء الحوار لهذا الاعتراف والاحترام ضروريًا وأكيدًا؛ لأنه لا حوار بدون احترام متبادل، وفي هذا يقول فضل الله:

"ثمَّ لابدَّ من تسجيل الملاحظة التالّية؛ وهي أنّ مسألة الحوار مع كلّ النَّاس تنطلق من احترام الإنسان لإنسانيّة الإنسان الآخر، فمن حقّ كلّ إنسان أن يحمل فكرًا أو وجهة نظر في جذور ومفاصل هذا الفكر، ومن حقنا أيضًا أن نحترم مفردات فكره؛ ليقودنا ذلك إلى احترام الآخرين لمفرداتنا الفكرية، كلّ ذلك من خلال أسلوب الحوار الذي علّمنا إياه القرآن الكريم"².

واستنادًا لهذه الفقرة، فإنّ احترام الإنسان في شخصيته وإنسانيته يجرُّ إلى احترام رأيه كذلك، حتّى تكون العملية الحوارية عملية هادفة، "فالحوار في معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدّي الهدف المنشود، إلّا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كلّ جانب لوجهة نظر الجانب الآخر، وبهذا المعنى فإنّ الحوار يعني التسامح واحترام حرّية الآخرين، واحترام الرّأي الآخر لا يعني بالضرورة القبول به، وليس الهدف من الحوار مجرد فكّ الاشتباك بين الآراء المختلفة، أو تحييد كلّ طرف إزاء الطرف الآخر، وإنّما هدفه الأكبر هو إثراء الفكر وترسيخ قيمة التسامح بين الناس..."³.

¹ - محمّد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-، مصدر سابق، ص 27-28.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 38.

³ - محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1423هـ/ 2002م،

واحترام الآخرين والإقرار بوجودهم؛ هو قيمة إسلامية سامية دعا إليها القرآن والسنة، وتميز بها تاريخ المسلمين، "فعلاقة المسلم بغير المسلم في المجتمع الإسلامي بخاصة، قائمة على الاحترام وحفظ الحقوق، يُضاف إلى ذلك أنّ نظرة الإسلام إلى أهل الأديان السماوية؛ هي نظرة متميزة خاصة بهم دون غيرهم؛ فإنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي يدعو إلى الإيمان بجميع الرّسالات السماوية السابقة، وتكريم جميع الأنبياء والرّسل الذين اضطلعوا بحمل أمانتها، وهي نظرة نابعة من وحدة الأصل؛ لأنّها كلّها من عند الله، ومن وحدة الهدف؛ فهي كلّها تدعو إلى عبادة الله، وإلى عبودية الإنسان له، ومن وحدة التواصل والمسير".¹

وإذا كانت هذه هي نظرة الإسلام إلى هذه الرّسالات وإلى من جاءوا بها، فإنّ المسلم مكلفٌ بالنظر إليها نظرة اعتبار وتقدير واحترام لا يشوبها سوء ظنّ أو عداوة، ذلك أنّ الرّسالات السماوية يُكملّ اللاحق منها السابق، والرّسالة التي تنزلت على قلب ﷺ هي - في اعتقاد المسلمين - خاتمة تلك الرّسالات جميعاً ومكملتها،² وتؤكد هذه القيمة النبيلة مع أتباع الديانة المسيحية؛ المسيحيون أو النصارى الذين وصفهم القرآن بقرب المودّة، والذين هم يشكّلون مع المسلمين وحدّات وطينة متجانسة في بعض البلدان، "وعلى هذا الأساس لا بدّ من الحوار - وبالأخصّ - مع النصارى الذين نعيش معهم على أرض مشتركة، لا بدّ من الحوار وإن اختلفنا بقضايا اللاهوت وجزئيات الشريعة؛ لأنّه به سنصل إلى صيغة تمكّن الجميع من التعايش على هذه الأرض المشتركة".³

والاعتراف بهؤلاء وبكيانهم الديني، سبق إليه القرآن الكريم؛ الذي أقرّ بوجودهم وبوجود ديانتهم،^{**} تمهيداً للحوار معهم ومناقشتهم في بعض القضايا المهمة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَّهَلَّ أَلْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ (آل عمران: 64).

ولئن كان هذا هو ديدن القرآن في التعامل معهم، فالأولى بالمسلمين اتّخاذ ذلك منهجاً يسرون عليه في مثل هذا الشأن، خاصة وأنّ رسول الله ﷺ ضرب أروع الأمثلة في التسامح والاحترام مع هؤلاء، ومن ذلك

¹ - عبد الرحمن عطية: المسلمون والنصارى - التعامل من منظور إسلامي -، ط1، دار الأوزاعي، 1420هـ/2000م، ص16.

² - المرجع نفسه، والصّفحة نفسها.

^{*} وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلْتَجِدْ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصَاتٍ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨١﴾ (المائدة: 82).

³ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص38.

^{**} وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ الْنَصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ الْنَصْرَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ (البقرة: 113).

أنه سمح لوُفد نصارى نجران الذين وفدوا عليه بالصلاة إلى جهة المشرق قبلتهم في مسجده،¹ ومما ينبغي ذكره في هذا المقام؛ تلك اللفتة الرائعة من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل إيلياء (القدس)، والتي تجلّت فيها قيم الاعتراف والتسامح والإكرام في أرقى معانيها؛ حيث وضع لأجل ذلك ميثاقاً خاصاً به بهذه المدينة وأهلها من النصارى يُعرفُ ب: (العهد العُمريّة)* يضمن لهم السلام والأمان، وذلك عندما فتحها عام 638م.²

لكن وحتى يكون هذا الاعتراف والاحترام منطلقاً للحوار بين المسلمين والمسيحيين، لا بد أن يتم بطريقة متبادلة بينهما؛ أي أنه في مقابل ما سبق وصفه من موقف الإسلام والمسلمين الإيجابي تجاه المسيحيين، فينبغي أيضاً أن يتّصف هؤلاء؛ أي المسيحيون، بهذه الصفة فيعترفوا بالشخص المسلم من جميع التواحي بأصله ودينه وفكره، ويحترموا كإنسان مُكرّم من قبل الله عزّ وجلّ.

ولكني يتم ذلك بشكل صحيح، وحتى يُؤسّس الاعتراف بالطرف الآخر على دعائم متينة وقويّة ولا يكون بشكلٍ عشوائي وفي جاهليّة مُطبقة؛ فإن فضل الله يدعو ويؤكد على دراسة فكر الآخر بعمق دراسة موضوعيّة شاملة، فيقول:

"وقد يكون من الضروري في هذا الاتجاه؛ أن ينشأ في الدائرة الثقافية الإسلامية أو المسيحية برنامج علمي فكري للدراسات المشتركة، التي تمنح كلّ فريق معرفة أصول فكر الفريق الآخر وفروعه، وذلك من خلال المصادر التي يرتضيها حتى يحتفظ للفكرة بنقائنها وبأصالتها في الجانب الآخر، وقد لا يكفي في ذلك كلّ التوقّف عند اللاهوت فيما يختلف فيه المسلمون والمسيحيون في وحيهم الإيماني في المسألة العقيدية الفكرية، بل لا بدّ من امتداد ذلك إلى المفاهيم العامة المتصلة بالنظرة القيمية للحياة والإنسان والسلوك الأخلاقي

¹ - ابن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق، ص 272.

* ونصّها: "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبائهم؛ سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها، ولا من صلبيهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُضارّ أحدٌ منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يُعطوا الجزية كما يُعطي أهل المدائن، وعليهم أن يُخرجوا منها الرّوم واللصوص، فمن خرج منهم؛ فهو آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم آمن، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويُحلي بيعهم وصلبهم؛ فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وعلى صلبيهم، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن كان فيها من أهل الأرض؛ فمن شاء فيهم قعد، وعليه ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء منهم سار مع الرّوم، ومن رجع إلى أهله؛ فإنهم لا يُؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، كتب وحضر سنة خمسة عشر. شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان. (المفصل في تاريخ القدس، ج 1، ص 91-92).

² - عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ط 5، مطبعة المعارف، القدس، فلسطين، 1999م، ج 1، ص 91.

وواقع الحركة الإنسانيّة...، ممّا يجعل الإنسان المسيحي واعياً للخلفيات المفهوميّة التي تكمن وراء تصرّفات الإنسان المسلم في أوضاعه وعلاقاته العامّة والخاصّة، كما يجعل الإنسان المسلم كذلك؛ لأنّ المعرفة الواسعة بالذهنيّة الأخرى وللأشياء قد تمنح الإنسان معرفة أعمق بالآخر¹، ولا شكّ أنّ هذه المعرفة الشاملة به تؤدّي إلى إحترامه وتقديره والإقرار بكلّ ما يتّصل به من قضايا وجوديّة ودينيّة وفكريّة وثقافيّة.

ويعتبرُ فضل الله هذا المبدأ منطلقاً أساسياً للحوار، إذ لا يمكن أن يكون الحوار قائماً بجهة واحدة أو طرف واحد، فالشخصُ المنفردُ لا يُجاور نفسه، ولا يُناقش ذاته نقاشاً ذا فائدة وغاية، كما يكون ذلك متوقّراً عندما يكون هناك شخصٌ آخر في الجهة المقابلة؛ لذلك "فإننا عندما نتحدّث عن الحوار، فإننا نفتح على مفهوم يحرك التّواصل الإنساني، ويمثّل نقل كلّ عناصر الفكر الإنساني بكلّ خصائصه الثقافيّة والشعوريّة للإنسان الآخر الذي يقوم بالدور نفسه بالنسبة لهذا الشخص، من هنا فإننا نعتبر بأنّ الحوار هو معنى أن يكون الإنسان اجتماعياً، واللّا حوار يعني موت الحركيّة الإنسانيّة بالنسبة للآخر، أن يعيش كلّ إنسان معزولاً عن الإنسان الآخر، ومن هنا فإننا نلاحظ أنّ الحوار كان أساسياً في الفكر الديني والإسلامي بالذات"²، وبالتالي فلا مناص من وجود طرفين يُديران العمليّة الحواريّة؛ الأمر الذي يتطلّب إقراراً كلياً منهُما بالآخر من خلال الإقرار بدينه به وثقافته وبعرقه أو جنسه، ثمّ احترامه كإنسان من جملة البشر يتمتّع بكافّة حقوقه الماديّة والمعنويّة.

ومن هذا المنطلق يجب الإيمان بالتعدديّة الدينيّة والاحتكام إلى مبادئها وقواعدها واحترام أسسها؛ أملاً في بناء عيشٍ مشترك، من شأنه إحلال السّلام والأمن وإشاعة رُوح المحبّة والأخوّة بين أبناء أتباع الأديان المختلفة، وخاصّة بين المسلمين والمسيحيين الذين يعيشون تحت سقّفٍ واحدٍ، كما هو الحال في لبنان، لذلك يقول فضل الله:

"ما من شكّ في أنّ للواقع السياسي والاجتماعي في لبنان خصوصيّة تتمثّل فيما تتمثّل بالتنوّع الديني، والطائفي، والمذهبي، وحتى الفكري، وتلك خصوصيّة لا بدّ أن يضعها نصب عينيه أي مشروع سواء كان على صعيد الحكم، أو على صعيد الحوار"³، وبناء على هذا النّصّ أو هذه الكلمات نستشفّ أنّ التنوّع الديني أو التعدديّة الدينيّة تقودُ الشّركاء فيها إلى الحوار والتّفاهم والتعايش والانسجام ممّا يؤدّي إلى ازدهار الأمم والشّعوب وتطوّرها.

1 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 91

2 - محمّد حسين فضل الله: أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، ط 1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، ص 19.

3 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص 76.

المطلب الثالث: القيم الروحية والأخلاقية المشتركة.

"القيم مجموعة من المبادئ والقواعد العامة التي تُوجّه السلوك البشري داخل المجتمع نحو تحقيق ما يُعتقد أنه الخير، وتجنّب ما يُنظر إليه أنه يُجسد الشر، وتستهدف القيم في محصلتها النهائية تحسين العلاقات بين البشر، وإعطاء الحياة البشرية معنى يُساعد على الحفاظ على قدرٍ من التماسك الاجتماعي، بالرغم من وجود الفوارق والتناقضات داخل المجتمعات البشرية وبينها، وهي تمثّل المثل العليا في كلّ الحضارات والمجتمعات البشرية بمختلف ثقافتها ومعتقداتها على امتداد التاريخ الإنساني، بغضّ النظر عن الاختلاف في مصدر هذه القيم والمثل في كلّ حضارة أو مجتمع بشري".¹

والقيم الروحية وكذا القيم الأخلاقية؛ هما منظومتان فكريتان كبيرتان، تُؤهلان الفرد والمجتمع ككل إلى السير في طريقٍ صحيحٍ مستقيم يعصمهما من الوقوع في الانحراف والزيف؛ لأهمّما عبارة عن جملة من المبادئ القيمة والرّصينة المقدّسة، ومجموعة من العناصر الدنيوية والخلقية الموجهة والمحدّدة للدرب السليم الموصل إلى الغاية المنشودة.

والإسلام والمسيحية، كلاهما يُعدّ دينا روحيا أخلاقيا بما يحويانه من مبادئ وأسس روحية وأخلاقية سامية، وبما يدعوان إليه من مكارم وإلزامات، نظرا لكونهما رسالتين سماويتين كبيرتين مُقيّدتين بمنهج رباني، ونظرا لأهمّما "خطان في الوجدان الإنساني في العالم، قد لا يكون الكثيرون من الناس في المسيحيين والمسلمين مُتديّتين بالمعنى العملي للدين، وحتى بالمعنى الفكري التفصيلي للدين، ولكننا نعتقد أنّ هناك وُجداً دينياً يخرّجه المسلمون والمسيحيون في العالم، بحيث يفرض نفسه على خلفياتهم الاجتماعية والسياسية والدّائبة، ويتحرّك في كثير من خطواتهم وخطوطهم في الواقع".²

ولبداية حوارٍ فعليّ بين المسلمين والمسيحيين وتأسيسه على قاعدة صلبة، فالواجب يقتضي الانطلاق من نقاط تقاطعٍ مشتركة؛ وهي كثيرة، "وفي ضوء ذلك يمكننا أن ننطلق إلى القيم الروحية والأخلاقية في المسيحية والإسلام لندرسها في طبيعتها المفهومية، وفي حدودها العملية، وفي إيجائها الاجتماعية؛ لتتفق على نظام أخلاقي مستمدّ من الدينين معاً فيما جاء به القرآن والإنجيل، الأمر الذي يجعلنا نشترك في التعليم الديني الأخلاقي في نطاق برنامجٍ مُوحّد فيما نتفق عليه في الرأي والاجتهاد من المفاهيم الروحية

¹ - محمّد شيخ أحمد محمّد: القيم الأخلاقية لرعاية حقوق الإنسان في ضوء السيرة النبوية والمقاصد الشرعية، ورقة مقدّمة للمؤتمر الدولي للسيرة النبوية الشريفة، صفر 1434هـ/ جانفي 2013م، ص 76.

² - محمّد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركة اللقاء، دط، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1997م، ص 14.

والأخلاقية المشتركة...، وهكذا يكون بإمكان العالم المسلم أن يستنطق نصّ الإنجيل في حركة إجتهد، كما يُمكن للعالم المسيحي أن يستنطق نصّ القرآن بالطريقة نفسها؛ إذا كانا يملكان الثقافة المشتركة قراءة ودراسة".¹

وقد يكون هذا الاستنطاق - في بعض الأحيان - ضروريًا أو لازمًا لمن رامّ الوقوف على المشتركات والتداخلات بين التّصيّنين، "فكثيرًا ما يلتقي الكتاب المقدّس والقرآن المجيد على سلّم مشترك من المقاييس شبه الموحّدة للأخلاق الإنسانيّة، ولآداب العامّة الفرديّة والجماعيّة، ولقيّم الضّمير الحيّ الواجب توافرها لدى كلّ مؤمن مسيحيًّا كان أو مسلمًا".²

في هذا الصّدّد، تحضّر الكثير من القيم والقضايا المشتركة بين الديانتين، يلتقي فيها المسلمون والمسيحيون في كلّ السّاحات؛ وهي الكلمة السّواء في الطّاعة والتّوحيد ووحدة الإنسانيّة، ورفض الشّرك والكفر، ورفض الاستكبار والاستعباد الإنساني؛ وهو الأمر الذي طرحه القرآن الكريم على أهل الكتاب، في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (آل عمران: 64).³

والإسلام والمسيحيّة يُنكران الظلم مهما كان مصدره، ويُجاريان الاستكبار في كلّ موقع، فهما يعرفان أنّ الاستكبار يعيش في المواقع الإسلاميّة والمسيحيّة، وأنّ الظلم يعيش في المواقع الإسلاميّة والمسيحيّة كذلك، ويُمكن لهما أن يلتقيا في هذا المجال،⁴ وهو أمرٌ محمودٌ يتفق عليه أبناء الديانتين؛ إذ يشجبان الظلم والعنف والاستكبار "وفي ضوء ذلك يُمكننا الإطالة على المسألة السياسيّة في القيم المشتركة في الرّسالتين في قضية الظلم والعدل، والحريّة والعبوديّة، والاستكبار والاستضعاف في ساحة الصّراع المتنوع في العالم كلّ، لنخطّط لحركة عالميّة مسيحيّة وإسلاميّة لمواجهة الاستكبار السياسي والاقتصادي والأمني والثقافي الذي يضغط بقوته الكبرى على إنسانيّة المستضعفين في عمليّة إضعاف هنا، وإسقاط هناك، وإلغاء هناك، على صعيد

1 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 95.

2 - غسان سليم سالم: محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحيّة والإسلام، ط 1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2004م، ص 162.

3 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص هـ.

4 - محمّد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحيّة بين ذهنيّة الصّراع وحركيّة اللقاء، مصدر سابق، ص 19.

الواقع الذي يعيشه المستضعفون في كل شؤون حياتهم من الفقر والجهل والتخلف والضياع، مما يعمل المستكبرون على تطويره وتنميته، حتى لا يستطيع هؤلاء أن يقفوا على أقدامهم بقوة وصلابة وثبات".¹

وليس هذا الموقف غريب عن ديانتين معروفتين بالدعوة إلى المودة والمحبة والسلام بين جميع أبناء البشر، فنصوصهما المقدسة حافلة بهذه القيم، من نحو: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: 208)، و[سمعتُم أنه قيل: أحبَّ قريبك، وأبغض عدوك، أما أنا فأقول لكم: أحبُّوا أعداءكم، وصلُّوا لأجل الذين يضطهدونكم] (متى: 5/43-44)، و﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: 61)، و[سمعتُم أنه قيل: عين بعين، وسنُّ بسنِّ، أما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا من يسىء إليكم، مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ، فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ لِأَخْذِ ثَوْبِكَ، فَاتْرُكْ لَهُ رِدَاءَكَ الْآخَرَ] (متى: 5/38-40)، وهكذا يحتفل الكتابان؛ القرآن والإنجيل بخلق السلام واللين والعطف، "وإنَّ هذه الفكرة في الرِّسالتين المسيحيَّة والإسلاميَّة، هي العطاءُ الفياض والزَّاد الرُّوحي الذي يتنافى واتَّجاه الظُّلم والغدوان، السلام الذي ينبع من مهبط الوحي، السلام الذي يُحافظُ على الأرواح البشريَّة، وليس السلام المستورد الوافد الذي يُخفي في طياته وبين جوانحه؛ أغراضًا سياسيَّة، وأطماعًا خاصَّة من حُبِّ الأجداد الزَّائفة والمغانم الشَّخصيَّة والمنافع المادِّيَّة، بل هو السلام الأخلاقي"² الذي ينبع من وحي الضمير والإرادة الذاتِيَّة، نبتًا للعنف والكرهيَّة والظُّلم.

والإسلام والمسيحيَّة يلتقيان على ضرورة إتباع ومُمارسة منحي تعبُدي ديني وروحي معيَّن ومُحدَّد، يكون فرضًا على كلِّ مؤمنٍ، إذ لا يكفي أبدًا أن يكون المسلم أو المسيحي مؤمنًا بإسلامه أو مسيحيته بالفكر والمعتقد والعقل، بل عليه أن يحيا إيمانه عمليًا، وأن يعيش دينه واقعيًا في مُختلف مراحل الحياة،³ كما يُمكن أن تكون التجربة الصَّوفيَّة حقلاً واسعاً، وميداناً فسيحاً لتلاقي الدَّيانتين في مجال القيم الروحيَّة؛ إذ أنَّ التَّصوِّف يُمثِّل الجانب الروحي والأخلاقي في مُختلف الأديان، وعليه تكون هذه التجربة من أهمِّ القيم الروحيَّة والأخلاقيَّة التي يتوجَّب على أتباع الدَّيانتين المحافظة عليها، واستثمارها في مجال التَّعاون والتَّفاهم والتَّعايش الثقافي والديني والعلمي والمعرفي.⁴

1 - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص96.

2 - محمود التَّبوي الشَّال: السلام رسالة السَّماء، ط1، دار الفكر العربي، 1978م، ص51.

3 - غسان سليم سالم: محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحيَّة والإسلام، مرجع سابق، ص303.

4 - إسماعيل عريف: الأبعاد الدِّينية والسياسيَّة للحوار الإسلامي المسيحي -دراسة تحليليَّة نقدية في ظلِّ الحوار الهادف والمثمر-، مرجع سابق، ص99-100.

وإذا كانت الفقرات السابقة ضربت لنا أمثلة عن القيم الروحية والأخلاقية الموجودة في الإسلام والمسيحية، والتي يشتركان في الإيمان بها على وجه الخصوص، فيمكن تلخيص ذلك عمومًا في نقاط عديدة منها:¹

إله واحد (وإن كان هناك اختلاف كبير بين الفريقين في تصوّر هذا الإله حيث يقوم الإسلام على التوحيد وتقوم المسيحية على التثليث)، الله الحيّ القيوم، الله خالق السماوات والأرض، الله محبّ البشر، الله ذو الغفران والرحمة، الله الحميد المجيد، أنبياء يُرسلهم الله، الله يُحيي الأموات ويُرضي الأنفس، الإنسان والعبادة، الإنسان واعترافه بحقوق الله، أصول تقوم عليها حياة الفرد والأسرة والمجتمع ومعايير تحكمها، قوانين ونُظم تنبُج من العقيدة (معيّار الخير المسموح به والمرغوب في فعله وممارسته، ومقياس الشرّ المحرّم الذي تنبذه الكتب المقدّسة وتنهى عنه المسيحية والإسلام)، بالإضافة إلى المحبة والرحمة والتسامح والإيثار... .

فكلّ هذه القيم المشتركة الروحية والأخلاقية، وباعتبارها موجودة في الإسلام والمسيحية، يُمكن الانطلاق منها والاستناد إليها في تأسيس حوار متين قائم على الموضوعية والمصادقية بين المسلمين والمسيحيين، لذلك يجب دراستها بدقّة، وتمحيصها بشكلٍ علميٍّ رصين، وبحثّ كلّ ما من شأنه ترفيقها وتفعيلها في المجتمع تهيئةً لدورها الفعّال في هذا المجال؛ لأنّ هذا من شأنه توطيد العلاقات بين الطرفين، وبناء فكر موحد بينهما، يقول فضل الله:

"وإنّني أتصوّر أنّ الدّحول في التّفاصيل الدّقيقة في القضايا الأخلاقية قد يمنحنا الفرصة، وفي موقع القمّة والقاعدة، للوصول إلى قناعة وجدانية بالواقعية الرّسالية في السّلك الإسلاميّ المسيحي، لأنّ الحديث المتكرّر في العناوين العامّة، يضع المسألة في نطاق العموميات التي لا تصنع وعيًا عمليًّا في الوجدان الواقعي للإنسان هنا، وللإنسان هناك"²، وهذا ما يدعو المسلمين والمسيحيين على حدّ السّواء إلى الانطلاق من هذه القيم وإعادة النّظر فيها، من أجل صناعة مواقع تلاقيٍ بخصّوصها؛ لأنّها من التّقاط المشتركة المتّفق حولها التي يُعوّل عليها كثيرًا في نجاح الحوار بينهما؛ إذ أنّ كلًّا منهما يملك نظامًا روحيًّا وأخلاقيًّا متكاملًا من خلال ما ورد في التّصوص المقدّسة التي يعتمدان عليها أو يحتكمان إليها.

¹ - جورج شحاتة قنواي: المسيحية والحضارة العربية، ط2، دار الثقافة، مصر، 1992م، ص26-32، وغسان سليم سالم: محاور الالتقاء ومحاور الافتراق بين المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص162.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص95.

المطلب الرابع: المواطنة والعيش المشترك، التجربة اللبنانية مثالاً.

أن ينسجم المواطنون في دولة واحدة بعضهم مع بعض ويعيشون سوياً مهما تعددت أجناسهم وأديانهم ومذاهبهم وأصولهم، يمتلكون نفس الحقوق والواجبات؛ فتلك هي المواطنة في أصدق صورها والتي لا تتحقق إلا بالعيش المشترك، وهي قضية سياسية بحتة يطرحها فضل الله منطلقاً من لبنان بلده الأصلي، إذ أن هذا البلد خير دليل على تعايش الأديان وخاصة الإسلام والمسيحية، فيدعو إلى الوحدة بين أبناء هذا الوطن والتماسك فيما بينهم؛ إخلاصاً لوطنيتهم وإيماناً بانتمائهم، فيقول:

"فإذا جئنا إلى هذا اللبّان، نحن في لبنان نشغل الدنيا بكلّ (لبنيننا)، و(لبنينتنا) الرسمية هو إسلامنا ومسيحيتنا، ألسنا نقول ذلك؟، نحن ننتهم بعضنا البعض في اللبنانيّة، وقد ينطلق بعض الناس ليشترط عليك شروطاً، أتريد أن تكون لبنانياً صحيحاً مخلصاً؟، إذا آمن بلبنان كما تؤمن بالله، الله هو الأزلي السرمدي الدائم، ولبنان وطنٌ نهائيّ أزليّ دائم، أليس كذلك؟"¹ وبهذا الاستفهام التقريري يُريد الرجل أن يغيرس هذه الحقيقة في نفوس أبناء هذا الوطن مسلمين ومسيحيين، حتّى يشعروا أنّهم إخوة فيما بينهم، فلبنان لهم جميعاً يقتسمونه سوياً، فهو — على حدّ قوله —: "بحدوده الجغرافيّة هو وطننا جميعاً، فنحن نعيش فيه، ولا يستطيع أن يُزايد أحدٌ على أحد؛ مسيحياً كان أو مسلماً، في هذه المسألة، أنت تعيش في قريتك ولك ذكرياتها وملاعبها وأحلامها، وأنا أعيش في نفس القرية بهذا الشكل"²، والكلّ متعايش ويحيا هذه الحياة، ويشعر بالدينا من خلاله تتحرك وتتجاذب على أرض هذه الدولة

وبما أنّ مخاطر الحياة كثيرة، ومحاولات التفرقة والتشكيك تُحيط بلبنان من كلّ جانب، ومعاول الهدم تتربّص بهذا البلد المتجانس من كلّ حدبٍ وصوب، فإنّ فضل الله يدعو جميع اللبنانيين من مسلمين ومسيحيين وغيرهم إلى الالتقاء على الكلمة السواء فيما بينهم من أجل مواجهة الخطر الذي يُهدّد بهم والمتمثّل في الخطر الإسرائيلي، فيؤكّد لهم ويُحدّثهم من القابليّة للاستعمار، ويحثّهم على التعاون على جعل لبنان ساحةً للحريّة المفتوحة يطرح فيها كلّ فريق فكره بطريقة حضارية، والتطلّع إلى مستقبل أفضل، واستثمار المشاريع التي من شأنها الرّفعة من مستوى المعيشة والتّفاهم والتّسامح.³

¹ - محمّد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحية بين ذهنيّة الصّراع وحركيّة اللقاء، مصدر سابق، ص 24.

² - المصدر نفسه، ص 25.

³ - محمّد حسين فضل الله: تأملات في الحوار الإسلامي المسيحي، محاضرة أقيمت في قاعة "الوست هول" بالجامعة الأمريكية في بيروت بتاريخ: 1987/12/22م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 207.

وفي هذا السياق - يُحاول الرّجل مرارًا وتكرارًا- أن يُذلل من مخاوف المسيحيين في ظلّ الحُكم الإسلامي، مؤكّدًا على أنّ الخوف المسيحي هو خوفٌ ينطلق من وهمٍ كبير؛ لأنّ الظروف السياسيّة تغيرت من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين الذي أصبح يلفظُ آخر أنفاسه ليُطلّ على القرن الواحد والعشرين، ويُقرّر أنّ هناك نوعًا من أنواع تسييس الخوف وإنتاجه من جديد.¹

كما يُبرهن للمسيحيين على مدى تفهّم المسلمين للوضع بما يملكون من صدرٍ رحبٍ لقبول غيرهم للعيش معهم في جميع الأوطان العربيّة وخاصةً في لبنان، وبالتالي لا خوف عليهم من هذه الناحية؛ لأنّ الإسلام يضمن الحرّية للجميع، "لذلك عندما تُشكّل جمهوريّة إسلاميّة في لبنان، فإنّ المسيحيين يستطيعون أن يعيشوا كمواطنين لهم حقوق المواطنة، وربما يتميّزون على المسلمين بأنّ هناك كثيرًا من الأعباء التي تحمّل للمسلمين من الضّرائب لا تُحمّل لهم، لذلك نعتقد أنّ الإنسان المسيحي قد يكون في الوسط الإسلامي أكثر إنسانيّة في بعض الحالات من المسلم نفسه في الحقوق والواجبات".²

ويُبيّن في هذا المقام، أنّ هذه العُقدة الموجودة لدى المسيحيين، أو هذا الخوف الذي يشعرون به في هذه الدّولة، إنّما له أسبابٌ خارجيّة مفتعلة، وتُحرّكه قوى أجنبيّة أخرى بحجّة حماية المسيحيين، وهي كلّها ضغوطٌ سياسيّة تُحدّ من الديمقراطيّة، وتُنغصُ على هؤلاء عيشهم مع جيرانهم المسلمين في سعادة وطُمأنينة وأمن وسلام،³ وهذا ليس صحيحًا، فالمسيحيون في لبنان منسجّمون مع أنفسهم ومع المسلمين، وهم يعيشون في حرّية ورغدٍ من العيش، لذلك يدعوهم فضل الله إلى الانسحاب من هذه الغوغائيّة والبهرجة التي لا تُخلّف إلّا الحقد والخوف، وعدم الاستجابة لها أو الخضوع لمقتضياتها، وفي مقابل ذلك يقول لهم على لسان القرآن: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: 64)،⁴ من أجل العيش معًا بإرادة كبيرة قوامها الإيمان بقيمة المواطنة والإخلاص لهذا البلد.

فالدّولة الإسلاميّة - في نظره- لا تُفرّق بين مواطنيها في وطنيتهم إلّا بالمدى الذي يلتزمون فيه بالخطّ العامّ للدّولة، في الفكر الذي يركّز عليه أساسها، لأنّه لا معنى للمساواة العامّة بعيدًا عن ذلك، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين أو مُنتمين لأيّ توجّه دينيّ آخر، أمّا مسألة الدّمّة والحماية فإنّها تُمثّلُ انفتاح الدّولة

1 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 66.

2 - محمّد حسين فضل الله: الحركة الإسلاميّة ما لها وما عليها، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2004م، ص 222.

3 - المصدر نفسه، ص 219.

4 - المصدر نفسه، ص 219-220.

على مسؤوليتها في الحفاظ على إنسانيتهم من كلِّ عدوان، وعلى تنظيم علاقاتهم بالناس الآخرين الذين يلتقون معهم في المواطنة، ولكنهم يختلفون عنهم في القاعدة الفكرية الدينية في دلالتها وأوضاعها العامة.¹

وفي دعوة صريحة صادقة يدعُو -فضل الله- المسيحيين إلى الحوار مع المسلمين لبحث أمور عديدة في هذا الشأن، فيقول:

"إنني أدعو المسيحيين إلى جلسات حوار هادئة في دراسة المسألة الإسلامية حتى يفهمها المسيحيون جيِّدًا في نقاط ضعفها وقوتها.. في سلبياتها وإيجابيتها بعيدًا عن استهلاك الإعلام السياسي، وحتى يفهم المسلمون المسيحية في نقاط ضعفها وقوتها، وسلبياتها وإيجابياتها".²

كما يشجُب وبشدة، أن يكون المسيحيون لعبة أو أداة للغرب موجّهة ضدّ المنطقة، لمواجهة القومية العربية، أو مواجهة حركات التحرر في لبنان، سواء كانت إسلامية أو قومية أو وطنية، وفي هذا يطلب -فضل الله- من المسيحيين والمسلمين على حدّ السواء أن لا يكونوا أداة بيد الاستكبار العالمي للضغط على الشعوب المستضعفة.³

وفي صيغة أخرى مؤسّسة لفكرة التعايش والتفاهم بين الطرفين، يوضّح فيها أنّ المسيحيين لا يجب أن يهتموا بالسياسة الأرضية؛ لأنّ مملكتهم ليست في هذا العالم، إنّما هي في السماء، وإذا كانوا يبتغون العيش في لبنان باستحضار بعض المفاهيم الأخلاقية مثل مفهوم التسامح ومفهوم الحريات وغيره، فإنّ الإسلام يتضمّن كلّ ذلك؛ لأنّه دولة لها قانون لا يختلف -عند المسيحيين- عن أيّة دولة علمانية، باعتبار أنّه عندما لا تكون هناك شريعة لهم تمثّل قانونًا يتعرّض لكلّ تفاصيل حياة الإنسان، فأبني فرّق بين القانون الإسلامي وبين القانون العلماني؟، ولماذا يقبلون بالقانون العلماني وهو ليس مسيحيًا ويقفون ضدّ القانون الإسلامي؟، وفي ظلّ هذه الاستفهامات يُمكن للمسيحيين أن يدخلوا في حوار مع الدولة الإسلامية لمناقشة هذه الأمور،⁴ سعيًا منهم إلى تحسين صورة لبنان السياسية والحضارية لتكون مستأهلة للظهور في الواجهة، وترتقي إلى مصافّ الدول المتجانسة رغم تعدّد الأديان والمذاهب والطوائف والأجناس.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 106.

² - المصدر نفسه، ص 119.

³ - المصدر نفسه، ص 123.

⁴ محمّد حسين فضل الله: إتجاهات وأعلام -حوارات فكرية في شؤون المرجعية والحركة الإسلامية-، دط، دار الملاك، بيروت، لبنان، دت، ص 169-170.

وهذا ما قام به المسلمون والمسيحيون عندما انطلقوا في الجامعات والمدارس والنوادي الثقافية، وكلّ المواقع ليكتشفوا أنّ من الممكن أن يتعايشوا مع بعضهم من دون عقدة، وأنّه من الممكن أيضاً أن يتحاوروا فيما يختلفون فيه، وأنّ الإسلام لا يمثّل بُعبعاً للمسيحية، كما لا تُمثّل المسيحية بُعبعاً للإسلام، وهكذا كان لبنان مُهيأً لأن يُؤكّد فيه اللبنانيون عيشهم المشترك القائم على إمكانات الحوار فيما يُمكن أن يختلفوا فيه، وعلى إمكانات التعاون فيما يتفقون فيه، ولا داعي لأن يخاف كلّ طرفٍ من الآخر، فالواقع الموجود لا يحمل أيّ مؤشّراتٍ للخوف، فالمسيحيون لا يستطيعون أن يطردوا المسلمين من لبنان، وليس لدى المسلمين رغبة في أن يطردوا المسيحيين منه أيضاً،¹ بل إنهم جميعاً مُتعايشون معاً، متمسّكون بوحدهم ووطنيتهم؛ حفاظاً على هذا التّجانس الممهّد لتعاورهم وتفاهمهم.

ذلك هو التّجانس والتّكامل والاتّحاد الذي يصنع الحوار بين المسلمين والمسيحيين؛ إذ أنّه في هذا الحوار لا بدّ أن تتحرّك هذه العاطفة، وهذه المشاعر المتبادلة، ليشعر الجميع بالانتماء الوطني، ويشرعوا في إقامة حوار وتلاقي على مختلف الأصعدة، وعلى الجميع أن يحسّم أمره في هذه القضية، والمتمثلة في الإقرار بأنّ لبنان أرضٌ أو وطنٌ نهائيّ أزلي، وليس مجرد وطن المرحلة؛ لأنّ ذلك هو أساس التّعايش والمواطنة.²

وهذه هي القاعدة السياسيّة التي يُمكن أن ينطلق من خلالها المسلمون والمسيحيون ليتحاوروا معاً، ما داموا مُنسجّمين فيما بينهم، وكلّ واحدٍ منهم مستأنسٌ بالآخر، وله رغبةٌ في مشاركته واقع الحياة على هذه الأرض، فالحوار ممكّنٌ في ظلّ هذه الظروف السّلميّة، ثمّ إنّ أثره سيكون إيجابياً إذا ما تمّ بطريقة موضوعيّة ونزيهة.

*عموماً، هذه هي المنطلقات التي ينطلق منها كلٌّ من المسلمين والمسيحيين لتأسيس حوار ناجح بينهما؛ ذلك أنّها - أي المنطلقات - بمثابة الأمور المشتركة التي ينجذب إليها كلّ طرف بصفة معيّنة، والتي رآها فضل الله تشمل جملة من الاتجاهات أو الجوانب؛ كالجانب الدّيني، والجانب السياسي، والجانب الحياتي الاجتماعي، وكذا الجانب الأخلاقي الحضاري؛ ممّا يعني أنّ فرصة الالتقاء بين الطرفين - في نظره - قائمة بصورة كبيرة، وما عليهما إلّا أن يستثمرا هذه المشتركات والتّداخلات الموجودة بينهما في الجوانب المذكورة آنفاً، وخاصّة في لبنان أين يظهر ذلك التّداخل والتّكامل بشكل أبرز وأجلى وأوضح، وحتىّ أقارن بينه وبين بورمانس في هذا المجال، يتوجّب عليّ الحديث عن هذه المنطلقات عند هذا الأخير، الأمر الذي سأبيّنه في المبحث الموالي.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 66.

² - محمّد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصّراع وحركة اللقاء، مصدر سابق، ص 25.

المبحث الثاني: المنطلقات عند موريس بورمانس.

يتحدّث موريس بورمانس عن بعض النقاط أو المحاور الكبيرة التي يمكن أن تكون مبادئ ينطلق منها الحوار الإسلامي المسيحي وأسس يعتمد عليها، وهي منطلقات متعددة، كلٌّ منها خاصٌّ بقيمة مُعيّنة أو رُكنٍ محدّد، ينبغي على الطرفين استحضارها وخاصّة المسيحيين؛ لبناء حوار أصيل، وإذا كان فضل الله قد تحدّث هو الآخر أيضًا - كما أوردتُ ذلك في المبحث السابق من هذا الفصل - عن هذه المنطلقات من خلال نقاط عديدة، فيلبي أيّ مدى يتفق بورمانس مع فضل الله في تلك المنطلقات؟، ويمكن توضيح ذلك في النقاط الآتية:

المطلب الأول: حقيقة الإسلام والقرآن.

الإسلام والقرآن؛ دينٌ وكتابٌ متلازمان؛ ذلك أنّ الثاني هو مصدرٌ للأول ودُستوره، مُشرّعٌ لأحكامه ومبادئه العقائديّة والتشريعيّة والأخلاقيّة، فكلّ ما جاء به الدين الإسلامي من تلك الأمور؛ مُستقى من القرآن ومأخوذٌ منه، ولا يُخرُج عنه بأيّ حالٍ من الأحوال، وهذا هو التداخل والتكامل الحاصل بينهما.

وانطلاقًا من هذه الحقيقة، ومن التشابه الموجود - في الخطوط العامّة - بين الإسلام والمسيحيّة، وبين القرآن والكتاب المقدّس، يُخاطبُ بورمانس المسيحيين ويدعوهم إلى التأمّل في هذين الأمرين؛ إذا ما أرادوا خوض حوار حقيقيّ ناجحٍ مع المسلمين، فالتأمّل والتشابه الكائنان في الأمور الأساسيّة للديانتين، كفيلان باستدعاء هذا الحوار، وخوض غماره بكلّ أريحيّة.¹

فأمّا الإسلام في عمومته هو التسليم المطلق لله ربّ العالمين، والخضوع له على الصّعيدين الفردي والجماعي، وبناءً على هذا يكون إبراهيم عليه السلام هو أوّل مُسلم في التاريخ على وجه الأرض: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾﴾ (آل عمران: 67)، وكلّ من جاء بعده مُقلّدٌ له في إسلامه، وهو إسلام مبنّي على التوحيد الكامل الراسخ في الفطرة، وهو معروض الآن ومنذ القديم على كلّ البشر كمثالٍ كاملٍ للموقف الدّيني: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (آل عمران: 19)، فجوهر الإسلام هو التوحيد الصّحيح النّقي؛ الذي يمثّل قِمة العلاقة بين العبد وربّه بحكم الميثاق الأوّل المقطوع بينهما: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، ترجمة: يوحنا منصور، ط1، منشورات المكتبة البولسيّة، بيروت، لبنان، 1986م، ص68-72.

أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٣﴾ (الأعراف: 172)، فعظمة المؤمن تقوم على الخضوع الكامل لربوبية الله الشاملة، واضعاً فيها فضائل الاستسلام والتوكل والطاعة التي يفترضها؛ والمقصود مطابقة تامّة لمشية الله، واتكأ طوعاً في التسليم وفقاً للحكمة الربّانية غير المتناهية، ومقتضى هذا التوكل الدائم على الله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: 88)؛ لذلك يُشير أحد أسماء الله الحسنى (المؤمن) إلى الأمن المضمون للمؤمن، والأمان الذي يجده هذا المؤمن في كل مكان وهو ذاته معنى (الإيمان)¹ القائم على التوحيد.

فالإسلام هو دينُ الفطرة والعُبودية الخالصة لله تعالى والخضوع والتسليم الكامل له ولمشيئته وقدرته، وهو قائمٌ على التوحيد التجريدي؛ إذ أنه "دينُ التوحيد؛ توحيد الله سبحانه وتعالى في الإلهية والربوبية والذات والصفات والأفعال، حتى إنه قد بلغ في هذا التصور التوحيدي قمة التنزيه والتجريد؛ اللذين لا تستطيع اللغة البشرية التعبير عن حقيقة كنههما، وإنما فقط تُضرب لهما الأمثال التي تقرّهما إلى التصورات، فخلاصة الإسلام والإخلاص للإسلام؛ هو التوحيد الذي جاءت به سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ أَصْغَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾ (الإخلاص: 1-4)، والله سبحانه وتعالى في التصور الإسلامي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: 11)، وبعبارة فلاسفة الإسلام: "فكل ما خطر ببالك فالله ليس كذلك"²، وهذا تصور فريد للطبيعة الإلهية في الفكر الإسلامي، قائم على التنزيه والتمجيد.

وشريعة الإسلام؛ هي الدرجة العليا والأخيرة والخاتمة في سلم شرائع النبوات والرسالات التي توالى في إطار دين الله الواحد من آدم إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، لذلك جاءت هذه الشريعة مُصدّقة ومستوعبة لما بين يديها، ولما سبقتها من النبوات والرسالات والكتب والصّحائف والألواح؛ مُصدّقة في ثوابت عقائد الدين الإلهي الواحد وقيمه، ومُهيمنة على تلك الشرائع بالتصحيح لما طرأ عليها من التحريف والتغيير والتبديل، وبالتذكير لما وقع فيها من النسيان، وبالتحديد والإضافة فيما تجاوزه التطور الزمني والتغير المكاني والتبدل في الأعراف، كما جاءت هذه الشريعة الخاتمة بالانتقال بنطاق التشريع الإلهي من المحليّة إلى العالميّة، ومن التوقيت إلى الخلود، ومن مجرد الدعوة الدنيوية إلى المنهاج الشامل للدين والدولة والأمة والحضارة

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 68-69، وينظر كذلك:

Maurice Borrmans: *i'islam et lapaix*, islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 13, 1987, p09-22.

² - محمد عمارة: هذا هو الإسلام، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1426هـ/2005م، ج1، (الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام، شهادة غريبة)، ص09.

والمجتمع، فلم تَقِفْ فقط عند مملكة السماء، وإنما شملت الدنيا مع الآخرة والفرد مع المجتمع والآخر مع الذات.¹

فدينٌ هكذا شريعته؛ جديرٌ بالتقدير والاحترام، خاصةً وأنه يُخضع بالتسليم الجسد والقلب والروح؛ ما يُمكن المسلم من التَّحَمُّل والصَّبْر على المحن والشدائد والآلام لأن: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: 153)، الأمر الذي يدعُو المسيحي إلى تقدير موقف المسلمين الديني هذا واحترامه، مُتذَكِّرًا أنه كان موقف إبراهيم أعظم الأنبياء في التاريخ، وهو أيضًا موقف عيسى بن مريم؛ عندما أدت به محبته إلى الرضا والتسليم، وبمقدار ما يُطبَّق المسيحي ذلك في حياته الخاصة، يستطيع أن يزداد معرفة وتقديرًا لإخوانه المسلمين، وسيتبين له أنهم يملكون عندئذ في سبيل تحقيق إسلامهم ثلاثة أنواع من الرِّاد؛ التَّأمُّل في كتاب، والإقتداء بنبي، والاعتماد على جماعة.²

وهذا الموقف الذي يتبناه المسيحي تجاه الإسلام وأهله؛ هو نقطة أساسية يجب تحقيقها، إذا ابتغى الدخول في حوار جدي مع المسلمين؛ لأنَّ الحوار يتطلب معرفةً مُسبقة بالطرف الآخر وبدينه وبكل ما يُخصه فريديًا وجماعيًا، لذلك جاء بورمانس بهذا الوصف الشامل للإسلام كتوتئة لما هو متوقَّع من لقاءات في المستقبل بين المسيحيين والمسلمين.

وأما القرآن الكريم فهو "اللفظ العربي المعجز، المنزل من الله عزَّ وجلَّ عن طريق ملك الوحي جبريل - عليه السلام - على النبي - صلى الله عليه وسلم -، المتعبَّد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف منذ عهد عثمان - رضي الله عنه -، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس".³

"ويعتقد المسلمون أنه كُتِبَ باللغة العربية: ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (التحل: 103)، وهو الرسالة التي بلَّغها الله لمحمد حيث كان يخطب بالناس بمكة والمدينة، ولذلك يُميَّزون فيه السور المكية من السور المدنية؛ إذ هي مُرتبة فيه لا بحسب التسلسل التاريخي، بل بحسب الطول المتناقض [الأمر ليس كذلك]، وهو يتألف من 6236 آية، مجموعة في 114 سورة بعناوين ذات دلالة، وذلك يجعل حجمه كحجم العهد الجديد، والقرآن في نظر المؤمن هو التنزيل الأخير والوحي النهائي والكامل للكتب السابقة

¹ - محمد عمارة: هذا هو الإسلام، مرجع سابق، ج1، (الدين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام، شهادة غريبة)، ص9-10.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص69.

³ - محمد عبد الله المهدي البدري: القرآن الكريم - تاريخه وعلومه -، ط1، دار القلم، دبي، 1404هـ/1984م، ص13.

(التوراة والزبور والإنجيل)؛ التي لم تكن سوى نُسخ أولى ناقصة أو محرّفة لكتابٍ محفوظٍ منذ الأزل لدى الله على اللوحة المحفوظة تعبيراً عن الكلمة نفسها".¹

هكذا يُعرّف بورمانس القرآن الكريم، ويصفه وصفاً لا يبتعد عن المفهوم الإسلامي له فيما عدا عبارة (الطول المتناقض)، بل يبدو وكأنه هو؛ وهو تعريفٌ شاملٌ أحاطَ بالقرآن من جميع جوانبه الشكلية على الأقل، كما أشار إلى خاصية الحفظ من التحريف التي تميّز هذا الكتاب عن سائر الكتب المنزلة الأخرى، ولعلّ الحكمة المستوحاة من حفظه وتنزيهه عن التبديل والتحريف تكمن في أنه "كتابُ الله الخالد، ودُسُوره الماجد، وحقّته البالغة على العالمين، كتابٌ ختم الله به الكتب، وأنزله على رسولٍ ختم به الرّسالات، بدينٍ عامٍّ شاملٍ كاملٍ ختم به الأديان؛ فهو دستورٌ لإصلاح الخلق، وهو رسالةُ السّماء إلى الأرض، وقانون السّماء لنظام الأرض، أنهى الله إليه كلّ تشريع، وأودعه كلّ نهضة، وناط به كلّ سعادة ورخاء للأمم والأفراد والأسر والجماعات"،² لذلك كلّه توجّب حفظه ولزمت العناية به.

ثمّ يتقدّم له وصفاً لايقاً به؛ إذ يتكلّم عنه على أنّه وحيٌّ نزل مُنجمًا من السّماء، غير مخلوق، والله وحده هو واضعه، وليس النبيّ محمد سوى الراوي الناقل، ولم تكن له أية مشاركة في تأليفه (خلافًا لرأي بعض المستشرقين)، وهو معجزة لا تجارى أبدًا: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: 88)، بالإضافة إلى أنّه مُتميّزٌ بجمال صيغته الأدبية، وجزالة سجعِهِ، وتناغم فواصلِهِ، كما يُلبّي حاجة المسلمين* إلى التأمّل في الآيات الكويّية؛ فهو في رأيهم كلام الله الذي صار كتابًا، فاهتمّوا به أيّما اهتمام، لأنّه زادهم الأوّل، فحفظوه في الصّدور، وفهموه بمداركهم، وفسّروه مرارًا وتكرارًا، واقتبسوا منه جُلّ معارفهم وعلومهم؛ احترامًا وتقديرًا له، كما أنّه العنصر الأساسي في صلاتهم وحقّهم ورسالتهم.³

واستنادًا إلى ذلك، يجب على المسيحي أن يُدرك مدى العمق الذي يبلغه التأمّل القرآني في الحياة الإيمانية التي يعيشها محاوره المسلم، ويتبيّن فيه كذلك جزءٌ من الثراث الكتابي المشترك بينه وبين إخوانه اليهود، فهناك آياتٌ كثيرةٌ تُذكر المسيحي بالمزامير التي تتغنّى بعظمة الخلق أو ببعض الأقوال النبوية أو

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص70.

² - محمّد محمود الصّوّاف: القرآن - أنواره، آثاره، أوصافه، فضائله، خصائصه، تفسيره، ختمه-، ط5، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، لبنان، 1407هـ / 1987م، ص66.

* ليس فقط المسلمين وإنما كافّة البشر.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص70-71.

المقاطع الحكمية من سفرَي الأمثال والجامعة، بينما تبدو آيات أخرى وكأنها استعادة أو تفسير لبعض الفصول التشريعية في سفر الأخبار أو لبعض ما نقلته الأناجيل المنحولة.¹

ولا شك أنّ هناك بعض التشابه بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم، خاصة في تلك القصص الواردة في التوراة؛ فقد تحدّث - هذه الأخيرة - عن أنبياء الله مثل: نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف ويونس...، وذكرت وقائع صدّقها القرآن الكريم مع ما فيه من وقفات وتعقيبات وزيادات وتصويبات؛ كقصة نوح والطوفان الذي وقع في عهده وإنجاء الله له ولأهل بيته برؤوبهم في السفينة التي صنعها، وفي القرآن تصويّب لوقائع وقعت في تلك القصة وفيه زيادات وإضافات ليست في التوراة، كما أنّ فيه ذكرٌ للتشريعات التي كلّف الله بها بني إسرائيل، وقد جاء هذا الكتاب مُصدّقًا ومُصحّحًا ومُصوَّبًا لما فيها.²

غير أنّ هذه القصص والأحداث وإن وردت في الكتابين بطريقة متقاربة، فهناك إفتراقٌ بينهما من حيث الاهتمام والمعنى المراد، فإذا كانت التوراة أو الكتاب المقدس بصفة أعمّ يُورد القصص والأحداث من ناحية تاريخية بحتة، أو يسردها لأجل السرد فقط، فإنّ القرآن الكريم يفعل ذلك بُعِيّة استخلاص الحكم والعبر واللطائف المستوحاة منها، وليس السرد فقط لأجل السرد.

وبين هذا وذاك، وتبينًا لطريقة التعامل مع المصدرين، يقول بورمانس:

"مضمون القرآن لا يخلو من تشابه عميقٍ مع مضمون الكتاب المقدس، ولا سيما العهد القديم، ونصّ القرآن وإن اختلف أحيانًا مع نصّ الكتاب المقدس اختلافًا قاطعًا، أو بلغ حدّ نفي بعض تعاليمه الأساسية، فهو يُشارك مع ذلك المضمون بحدّ ذاته الذي تنطوي عليه الرسالة الكتابية في العهد القديم، بل في العهد الجديد، وعُكوف المسلم على التأمل فيه باستمرار، وعلى استجلائه لمصلحته الخاصة أو في الجماعة، وعلى العمل به فرديًا وجمهوريًا؛ مسلّك ديني يسلكه اليهود والمسيحيون منذ أمدٍ بعيدٍ حيال كتبهم المقدسة، وعليهم بالتالي أن يُقدّروه حقّ قدره عند مُحاورهم من المسلمين".³

وتلك هي نقطة البداية في أبجديات الحوار بين المسيحيين والمسلمين، فالاحترام الذي يُكِنُّه المسيحي للقرآن؛ كتاب المسلمين المقدس، هو مضمون دعوة بورمانس لكافة المسيحيين الذين يودُّون التّعاور مع إخوانهم المسلمين، فالتشابه بين المصدرين في الخطوط العريضة، وما يخويانه من تعاليم متقاربة ومنسجمة

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص71.

² - عمر سليمان الأشقر: قصص التوراة والإنجيل في ضوء القرآن والسنة، ط1، دار التفاس، الأردن، 1432هـ/2011م، ص07.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص71.

- في بعض الحالات-، وطريقة تعامل أصحابهما معهما تبحيلاً وتقديساً واحتراماً؛ كل ذلك يُعتبر منطلقاً أساسياً ممهّداً لبدء عملية التعاور بين الطرفين

المطلب الثاني: الأسوة النبوية والتكامل الرسالي.

الأنبياء هم الصّفوة المختارة من جميع النَّاس، اختارهم الله عزّ وجلّ واصطفاهم عن كلِّ مَنْ خلق من البشر لحمل الرّسالة التي كلّفهم بها، يمتلكون صفات معيّنة تُؤهلهم للقيام بهذه المهمّة العظيمة، وهم مؤيّدون بمعجزات وآيات باهرات تدلّ على صدق نبوتهم وربانيّة رسالتهم.

ولا شكّ أنّ هؤلاء الأنبياء تربطهم علاقة كبيرة من حيث وحدة رسالتهم وعصمة منهجهم واتّفاق كلمتهم، "فلقد أرسلهم الله على توالي القرون والعصور يُبينون للنّاس سبيل الرّشاد، ويمدّونهم بالتعاليم التي تقويّ عزيمتهم، ويزوّدونهم بالأفكار الصّالحة التي يستطيعون أن يهتدوا بهديها، والتي تُساعدهم على التمييز بين الظّلام والنّور، وبين الهدى والضّلال، وبين الطّريق المستقيم والطّريق المعوجّ الذي يؤدّي إلى الهلاك والفشل والدمار، ثمّ إنّ الله بعثهم جميعاً بعقيدة الإسلام التي كانت تتلاءم مع البشريّة والإنسانيّة على مرّ القرون والعصور مع اختلاف البيئات، بالرّغم من تقلّبات الزّمان وتغيّر عقليات النّاس قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل¹"، ويصفّ النبيّ ﷺ هذا الارتباط الوثيق وهذه الوحدة المتينة الكائنة بين الأنبياء بقوله: "...الأنبياء إخوة لعلات؛ أمهاتهم شتى ودينهم واحد"²، ممّا يدلّ على أنّهم جميعاً إنّما مُرسلهم واحد؛ هو الله سبحانه وتعالى.

ويعتقد المسلمون بفضل ما جاء في القرآن الكريم أنّ الله عزّ وجلّ لطيفٌ بعباده، وأنّه لا يتخلّى عنهم ولا يتركهم هملاً بدون توجيه وإرشاد، لذلك بعث إلى جميع النّاس رُسلًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (٤٢) ﴿(الأنعام: 42)﴾، وقال أيضاً: ﴿وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (٢٤) ﴿(فاطر: 24)﴾، وجميع هؤلاء الأنبياء جاؤوا بالدعوة إلى التّوحيد الخالص لله تعالى والخضوع إلى شريعته، وإلى مكارم الأخلاق، وهم شهودٌ إلى البشر الذين بعثوا فيهم، فكأنّ تاريخ الأنبياء إعادةٌ دوريّة للاعتناء الرّبانيّ بكلّ شعبٍ بلغته الخاصّة، فهو تعبيرٌ متعدّد الأشكال عن دين الله الواحد، وعلى الرّغم من

¹ - الحاج محمّد وصفي: الارتباط الزّمني والعقائدي بين الأنبياء والرّسل، ط1، دار الحفّان والحجابي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ص06.

² - محمّد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ آهْلِهَا﴾ (مریم: 16)، حديث رقم (3443)، مصدر سابق، ص853.

معاناة هؤلاء الرسل مع أقوامهم، إلا أن المصير واحد في النهاية؛ فالمشهد الختاميّ يحمل دائماً حقيقةً واحدةً مفادها نصرُ النبيّ أو الرسول وتأييده وتنجيُّه من المخاطر والمكائد مع القلة المؤمنة به، وهلاك العاصين المكذّبين وعقابهم بطرُقٍ شتى، ومعظم الأسماء النبوية الواردة في القرآن الكريم موجودة في الكتاب المقدس خاصة في العهد القديم مع بعض الاختلاف، لكن ليس لهم الحظوة نفسها؛ فإذا خصّ القرآن موسى بـ: 502 آية، وإبراهيم بـ: 254 آية، ونوحًا بـ: 131 آية، وعيسى بـ: 93 آية؛ فلا تُهم على صِلةٍ بأوقاتٍ من الفعل الإلهي أكثر حسناً من غيرها، وهؤلاء بالذات هم أسوة للمسلمين للتأمل في حياتهم والتشبه بهم،¹ وهم بالإضافة إلى النبيّ محمد ﷺ هم أولوا العزم من الرسل؛ أي أصحاب الجِدِّ والصبر والثبات، وذلك لأنّ كلاً منهم قد أُوذِيَ في الله فصبر على ذلك أشدّ الصبر وكان جلدًا في تحمّله لأذى قومه والمشاق التي اعترضته في سبيل دعوته.²

وهم من كبار الأنبياء الذين جعلهم الله أئمةً يُقتدى بهم، وسرد ذكرهم العطرة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين،³ على اختلافٍ في المستوى الإيماني بهم، إذ من المعروف أنّ اليهود لا يؤمنون بنبوّة عيسى ومحمد عليهما الصلّاة والسّلام، وأنّ المسيحيين لا يؤمنون بنبوّة محمد ﷺ، أمّا المسلمون واحتكاماً لمبادئ عقيدتهم فإنهم يؤمنون بهم جميعاً دون استثناء: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ إِذْ نَزَّلْنَا وَمَا نَزَّلْنَا وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة: 136).

ومن هذا المنطلق يتحدّث بورمانس عن هؤلاء الأنبياء الأربعة مبيّناً علاقة المسلمين بهم من حيث ذكّرتهم في القرآن وتقديرهم واحترامهم والإيمان بهم، واتخاذهم قدوةً وأسوةً بالنسبة لهم، والتحلّي بأخلاقهم الفاضلة والتجلّد بصبرهم في الدّعوة إلى الله.

فأمّا إبراهيم عليه السّلام؛ فهو الشاهد الكبير على التوحيد، والمحطّم الجريء للأصنام، والمسلم لله بالكليّة والخاضع لأوامره؛ إذ عزم على التّضحية بابنه الذي منحه الله إياه، وهو الباني للكعبة والمطهر لها بمساعدة ابنه إسماعيل، وهو مؤسس العبادة الحقّة التي يقوم بها الحنفاء المخلصون، وعندئذ يبدؤ الإسلام في

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 72-73.

² - فخر الدّين الرّازي محمّد: تفسير الفخر الرّازي المشتهر بـ: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ / 1981م، ج28، ص35.

³ - لواء أحمد عبد الوهّاب: النبوّة والأنبياء في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1413هـ / 1992م، ص06.

القرآن كأنه التَّجديدُ الكاملُ للتَّوحيد الإبراهيمي، لذلك يُجدِّدُ المسيحيون واليهود مرّةً ثانيةً ملامح أبيهم في الإيمان؛ التي وصفها لهم سنفرُّ التَّكوين، ويستطيعون هكذا أن يفرحوا بتطُّع الإيمان الإسلامي بارتياحٍ إلى مثال إبراهيم؛ إذ هو يخضع لأحكام الله بكلِّ قلبه،¹ قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَيْهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٣١﴾ وَءَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ (النحل: 120-122).

ومن المعلوم أنّ الديانات السماوية الثلاث؛ اليهودية والمسيحية والإسلام، تُتُّ بصلة كبيرة له، وجميعها تنتمي إليه؛ "فهو النبيّ الكريم أبو الأنبياء وأوّل حلقة في سلسلة النبوّة الإبراهيمية الطاهرة، طارَ ذكره في العالمين وصار يُمثّل الميراث المشترك بين أبنائه في عقيدة التَّوحيد من يهود ومسيحيين ومسلمين"،² لذلك ورد ذكره مطوّلاً في الكُتب المقدّسة لدى هؤلاء، نظرًا لمكانته عندهم، فلقد تردّد ذكره مرّاتٍ كثيرة خاصة في التوراة والقرآن، إلّا أنّ هناك إختلافًا بيّنًا بينهما في طبيعة التحدّث عنه ووصفه، فإذا كانت "التوراة تنشغل كثيرًا بإبراهيم وأجداده وأحفاده، وتُركّز كثيرًا على وعود الرّب له، والامتيازات التي مُنحت له ولذريته من بعده، وفي المقابل لا تقدّم الفلسفة أو المعتقد الذي حمله، ولا تخصّص مجالًا للفكرة التي وقف من أجلها إلّا ضمن إطار الميثاق الذي يُلزم الرّب نفسه برعاية إبراهيم وقومه مقابل الالتزام بعدم معصيته والخروج عن أوامره، كما تركّز على تفلاته وتمجيده وذريته وعلى المستقبل العظيم الذي ينتظره الأحفاد"³ وهذه نظرة تاريخية عنصريّة تؤسّس للفوقية التي يؤمن بها اليهود، "فإنّ القرآن الكريم يختلف إلى حدّ كبير عن التوراة في تقليم إبراهيم لجمهور المؤمنين، إذ يقدّمه أوّلًا وهو يبحث عن إله وبطريقة لا تتبعد عن الاستنتاج العقليّ، ثمّ يبيّن عدم رضا قومه عنه وعن توجّهاته الجديدة ومُحاججتهم إيّاه، ودحضه لهم، بتوكيده على وحدانية الله ودعوتهم إلى التّفكّر في هذا الأمر؛ بالتركيز على بعض الصّفات الإلهية التي يتّصف بها الله دون سواه، ثمّ يتهمّ على آلهتهم من الأصنام ليبيّن مدى تهاونها... ثمّ يصف القرآن الكريم إبراهيم عليه السلام بأرقى الأوصاف وأحسنها، ويُنزّهه عن الشّرك والكفر، ويُثني عليه بكلّ ما هو خير"⁴ وهذا هو ديدن هذا الكتاب في التّعامل مع أنبياء الله تعالى جميعًا دون استثناء، فإذن من باب أولى تكريم هذا النبيّ باعتباره خليل الله كما أنّه أبو الأنبياء عليهم السّلام.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 73-74.

² - لواء أحمد عبد الوهّاب: النبوّة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص 37.

³ - عبد الستار قاسم: إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ط2، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدّولية (PASSIA)، القدس، 1994م، ص 21-22.

⁴ - المرجع نفسه، ص 23-24.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف، واختلافات أخرى أيضاً، فإن ذلك لن يُنسي جميع المؤمنين المتحاورين أنهم كانت لهم أسوة حسنة في إبراهيم والذين هم على دينه وملته،¹ الأمر الذي نصّ عليه الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ (المتحنة: 04).

وأما موسى عليه السلام المذكور في القرآن، نبى الله وكليمه؛ فيظهر على نحو كثير الشبّه بذلك الذي يجتليه اليهود والمسيحيون في سفر الخروج، إختصّه الله بالنبوة والرّسالة، وبعثه رسولا إلى فرعون وقومه، في مهمّة شاقّة من أجل إرجاعهم إلى التوحيد الصّحيح وإنجاء بني إسرائيل منه، وأيدّه بالبينات تصديقاً له، ومن بعد أن حصل له مُرادُه حدثت له في صحراء سيناء مشاقّ ومتاعب مع بني إسرائيل، على الرغم ممّا أراهم من آياتٍ بيّناتٍ ومُعجزاتٍ باهراتٍ، إلا أنّ القوم لم يرضخوا له وعاندوه وكابروه، فعاقبهم الله بالتيه أربعين سنة، بينما يموت موسى وحيداً وقد أهمله الجميع، إلا أنّ القرآن الكريم أبرز فضله العظيم في كثير من الآيات.²

وقد قصّ علينا كلٌّ من المصدرين؛ التّوراة والقرآن، قصّة موسى عليه السلام وما جرى له مع فرعون ومع قومه بني إسرائيل، وعلى الرغم من تشابه الكتابين في عرض هذه القصّة في الخطوط العامّة، إلا أنّها "في القرآن الكريم خرجت عن النّطاق التاريخي المحصّر بوقت، إلى الإطار الأزلي بعبرها، ومن هنا نرى فارقاً جوهرياً بينها وبين القصّة التّوراتية عن موسى وهارون؛ فالقصّة التّوراتية وردت في بؤقّة الرّمن المحدود، من خلال الكشف عن أحداث تاريخية جرّت لشعبٍ مقهور، وكأنّه هو وحده الذي جابه ظلمًا كبيراً في المسار التاريخي، ومن هنا هيمن العطف الكبير على بني إسرائيل في القصّة التّوراتية"³، بخلاف القرآن الكريم الذي يروي ذلك كلّهُ للعبرة والاعتبار، وتبيان مصير الكفّار المعاندين الجاحدين، وكذا جزاء المؤمنين الصادقين؛ "فهو يتحدّث بإطار المبادئ، ويبيّن عليها التّناجج بالدلائل والبراهين الدّامغة التي تُبرّر العدل الإلهي المطلق في تدبير شؤون الكون وتنظيم أموره، أمّا التّوراة فتجعل ذلك كحلقةٍ من سلسلة ظلّم المستضعفين بدأت من عصر نوح عليه السلام ومضت حتّى عصر موسى عليه السلام؛ وهو تدميرٌ إلهيٌّ للظلم في كلّ دورات تلك السلسلة"⁴، وهذا هو ديدن التّوراة في جميع القصص الواردة فيها وخاصة قصص الأنبياء عليهم السلام.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص74.

² - المصدر نفسه، ص75.

³ - زاهية الدّجاني: المفهوم القرآني والتّوراتي عن موسى (ع) وفرعون -مقارنة عقائدية-، ط1، دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م، ص110.

⁴ - المرجع نفسه، ص110-111.

وموسى عليه السلام هو الأسوة النبوية القاتية التي يعرضها القرآن على من يتأملون فيه، وهو يحتوي على جميع الملامح التي يصفها الكتاب المقدس في هذا الشأن، فقد تكلم مع الله، وجازف بالواجهة، وقاوم فرعون وسلطانة، واستطاع أن يُحرر شعبه ويبلغه الشريعة (الناموس) في البرية، وحاول أن يستأصل كل رغبة عنده في العودة إلى الأصنام ورفاهيات أرض مصر، ومن لا يرى في ذلك كله قيمًا مشتركة بين جميع الذين ينتمون إلى إبراهيم؟، فالكل يرى ذلك مع وجود بعض الاختلافات التي تبدو جوهريّة¹ والتي هي ليست بعائق كبير في فهم المشتركات التراثية والتاريخية.

وأما المسيح عيسى ابن مريم التي أتى على إثر الأنبياء: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ﴾ (الحديد: 27)، فقد كرمه القرآن وبجله واصطفاه، وأعطى أمه قيمة كبيرة تليق بمقامه؛ حيث اعتنى به في البداية في فترة سابقة لميلاده بوقت كبير، حينما اعتنى بأمه مريم ورعاها رعاية خاصة، ووكّل بها المقربين إليها، ولما برز عيسى للوجود أيده بمعجزات عظيمة؛ إذ كَلَّمَ أمه وكَلَّمَ النَّاسَ وهو لا يزال في المهد، وخصّه بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى وإنزال المائدة على تلاميذه الحواريين، وقد جابه اليهود الذين اعترضوا على دعوتيه وحاولوا صدّه عنها وقابلوه بالتكذيب والبُهتان، فُعِنُوا على لسانه بعدما أحسن منهم الكفر، فكادوا له وحاولوا قتله، وفي الواقع ينحو عيسى -بحسب القرآن- من الهزيمة والموت، لذلك وبخلاف خبر اليهود فيه بالموت والصلب والقتل نهاية، يعتقد المسلمون أنه لا يزال حيًا، وأن الله رفعه إلى السماء، وسيعود في الأزمنة الأخيرة مُسَلِّمًا كعلامة للساعة، ثم يموت كسائر البشر.²

فهكذا احتفى القرآن الكريم بشخصية عيسى عليه السلام وأمه العذراء، إذ بلغ في التعريف بهما ذروة الكمال والسمو، بحيث يتعدّد أن يُوجد كتابٌ غيره أضفى عليهما القداسات كما فعل هو،³ فأيات كثيرة منه تولّت هذه المهمة الجليلة والعظيمة؛ فأبرزت سمات المسيح وصفاته الحسنة وأفعاله الكريمة وأخلاقه الفاضلة، وكذلك الشأن بالنسبة لأمه البتول، "وتلك هي الأبعاد الفدّة لشخصية عيسى التي يُبديها القرآن للمسلمين؛ المسيح عيسى ابن مريم هو نبيّ ورسول وعبد الله بكل معنى الكلمة، الزكيّ المبارك، البرّ بالولده،

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص75-76.

² - المصدر نفسه، ص76-77. ينظر أيضًا:

Maurice Bormans: *jésus et les musulmans d'aujourd'hui*, desclée, paris, 2005, p265-268.

³ - صابر طعيمة: الإسلام والآخر -دراسة عن وضعيّة غير المسلمين في مجتمعات المسلمين-، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، السعودية، 1428هـ/2007م، ص472.

ولم يجعله الله جباراً شقيّاً، بل بالأحرى جعله من الصّالحين، ومن المقرّبين، أنعم الله عليه بأن خلقه من تُرابٍ مثل آدم، وكان يحيى قبله مصدّقاً بأنّه كلمةٌ من الله ألقاها إلى مريم، مؤيِّداً بالروح القدس".¹

وإذا كان هذا شأن القرآن في المسيح عليه السّلام، فإنّ الأناجيل تسردُ قصّته من البداية إلى النّهاية، لكن بطريقة أو بكيفيّة مختلفة عمّا جاء في القرآن، إذ أنّها "لا تُقدّم صورة واضحة ومُتكاملة عن حياة المسيح، وأنّ التعارض يُعدّ السّمة الغالبة في أكثر فقراتها، ومع ما لحقها من شكّ وطعنٍ في مصدرها، فإنّها لا تُنصُّ صراحة على تأليه المسيح وأنه شريكٌ لله، بل إنّها تُشير إلى إله واحدٍ باعتباره ذاتاً واحدة في كمالها وجلالها، باستثناء إنجيل يوحنا الذي وُضع خصيصاً لإعلان إلهيّة المسيح"،² وبالتالي فإنّ القرآن الكريم؛ صورته التي يضعها للمسيح وأمه، أجلى وأوضح وأبسط وأصدق ممّا جاءت به الأناجيل في الشّأن ذاته.

وأنّ يديّ القرآن عيسى وأمه العذراء هكذا، أمرٌ لا يسعه إلا أن يُثليج صدور المسيحيين؛ فيفرحون بما يستثيره هذا النّبّي الكريم من اهتمامٍ لدى المسلمين حتّى اليوم في ذاته وفي حياته البازّة ورسالته السّامية،³ فيكون ذلك طريقاً لتفاهم الفريقين واتّفاقهما حول كثيرٍ من القضايا، انطلاقاً من هذه القضية الهامّة.

ثمّ يأتي النّبّي محمّد كأسوة نبويّة أخيرة يُبديها القرآن للمسلمين، تُبين لهم في الوقت عينه الأكثر كمالاً وحسماً؛ لأنّ محمّداً هو خاتم الأنبياء، ولأنّ الاعتراف بهذه الحقيقة جزءٌ من شهادة الإيمان، ورسالته هي إعادة وخلاصة للرّسالات السابقة له؛ فهي تمامٌ كمالها، وهذا ما دلّ عليه القرآن في عدّة آيات، وفي سبيل إنجاز تلك الرّسالة على نحوٍ أفضل؛ أُعطي محمّدٌ مزايا فريدة وفرائض خاصّة في مجال العبادات والمعاملات، ونظام العائلة والسلوك الشّخصي،⁴ ذلك أنّ رسالته ﷺ تمتاز بالخُلود والعموم.

إنّ محمّداً ﷺ شهد في هذا العالم تعليم الله وهدايتيه، وبشّر الصّالحين بالنّجاح والفلاح؛ فهو مبشّرٌ، وناذى الغافلين وأسمع الصّم وحذّر المذنبين عاقبة ذنوبهم، وأنذر المشرفين على الهلاك وأيقظ النّائمين؛ فهو منذرٌ، وقد دعا إلى الله من ضلّ عن سبيله؛ فهو داعٍ، وإنّ هو إلا نورٌ يُستضاء به إلى يوم القيامة، ونبراسٌ يُستنارُ بأشعّته في شعاب الحياة المتوتّية فتتكشّف به الظّلمات المتراكمة؛ فهو السّراج المنير إلى الأبد...، ومَن اتّصف بهذه الصّفات جميعاً وهذه النّعوت والحِصال الحميدة؛ فهو النّبّي الجامع الخاتم؛ لأنّه بُعث

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 77-78، وينظر كذلك:

Maurice Bormans: 'jésus et les musulmans d'aujourd'hui' une source plus ancienne، p265-268.

² - عبد القادر بخوش: ماهيّة المسيح بين الإنجيل والقرآن، ط1، دار بهاء الدّين، قسنطينة، الجزائر، 2008م، ص 127.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص 78-79.

⁴ - المصدر نفسه، ص 79-80.

ليحتّم الله به النبيين والنّبوات، فأعطى الرّسالة الخاتمة لئيلنّها إلى البشر كافة، ولما كانت التعاليم المحمّديّة تختصّ بالبقاء والخلود والدّوام إلى يوم القيامة؛ كانت نفسه صلّى الله عليه وسلّم جامعة لجميع الأخلاق العالّيّة والعادات السنيّة، فبعث لئتمّم مكارم الأخلاق.¹

وبما أنّ هذا الرّسول الكريم هذه صفاته وخصاله وأخلاقه؛ فهو في نظر المسلمين أسوة حسنة، ولا عجب حينئذ أن كان أصحابه وأتباعه اعتنوا كلّ العناية بأقواله وأفعاله وسكوته؛ فيما يُعرف بالسنة النبويّة، لئتخذ منه المئتمون إليه إيماناً قُدوة حسنة فيحدّوا حدوه، ويتخلّقوا بسلوّكه وتعليمه، كأسوة كاملة للمثال الإسلامي الأعلى.²

ولأنّ خصائص النّبّي محمّد ﷺ وأعماله مذكّورة في التوراة والإنجيل، بنصّ قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۗ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ (الأعراف: 157)؛³ إذ هو مبشّرٌ به فيهما كما هو معلوم، فلا بدّ على المسيحيين عندما يتحدّثون عنه أن يحترموا احتراماً صادقاً ما في نفوس هؤلاء المسلمين من محبة راسخة لنبيّهم، وأن يشعروا بذلك ويُعبّروا عليه دائماً، فالمسلمون - في كثير من الأحيان - يشعرون بالغمّ عندما يرون أصدقاءهم المسيحيين يأبؤون الاعتراف بنبوته، بينما هم يعترفون بنبوّة المسيح، فعليهم - والحال هكذا - أن يتفهّموا هذا النمط من التفكير ويتبصّروا فيه بحسب المقاييس المختلفة للنبوّة الكاملة، فيقدّروا حياة نبيّ الإسلام وأفعاله حقّ قدرها، بالنسبة إلى عصره وبيئته، وليعزّفوا نهائياً عن كلّ ما يُنافي الاحترام، وعن كلّ خطلٍ في القول أو الكتابة، وعن كلّ كلام مُسيءٍ إن لم نقل شتيمة* فيما يتعلّق بالنبيّ محمّد الذي يُكرّمه المسلمون.⁴

¹ - السيّد سليمان الندوي: الرّسالة المحمّديّة - ثمان محاضرات في السيرة النبويّة ورسالة الإسلام -، دط، دار الفتح، القاهرة، مصر، 1372هـ، ص 40-41.

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 80-81.

³ - Khalid Abou Salih: *Le Prophète Muhamed Dans La Thora et L' évangile*، Traduction Et Adaptation: Abu Hamza Al- Germany، 1ère édition، Madar Al watan، 1429h/ 2008m، Saoudia Arabia، p4.

* قيل عن النبيّ محمّد أنه خادع وأنه المسيح الدجال، وأنه كان ملفّقاً ومنشّقاً عن الكنيسة الكاثوليكيّة.. (التوحيد والنبوّة والقرآن في حوار المسيحيّة والإسلام، ص 28)، وغير ذلك من الأوصاف الخسيّة والذميّة، والمغزى منها جميعها؛ التقليل من شأن هذا النبيّ والخطّ من قدره

⁴ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص 81.

حقاً، إنَّ تصوّر المسلم عن نبوة محمد ﷺ يختلف عن تصوّر المسيحي، فهو بالنسبة له إنسانٌ لم يتغيّر بالنبوة، وهو المثل الأعلى الذي يُحتدَى به من كلِّ مَنْ تبعه أو لحق عليه، فهو الإسلام في صورة إنسان، ويجب على الكنيسة الكاثوليكية التي تتحدّث عن المسلمين بصفتهم من عباد الله، أن تملك الشجاعة وتحدّث عن محمد ﷺ بنفس الوضوح، فإنّه هو الذي دعا النَّاس إلى عبادة الله وحده ولم يفعل ذلك غيره في زمانه، هذا الإله الواحد هو الذي تحدّث إلى محمد ﷺ وسمّاه "النبي"، إنَّ الكتاب المقدس كان يعترف بنبوات بعد عيسى عليه السلام، ولكنَّ إحتفاء هذا الاعتراف بدأ منذ القرنين الثاني والثالث الميلاديين، إلّا أنّ هذا لا يُبرّر للمسيحي إنكار نبوة محمد ﷺ،¹ خاصّة وأنّه مقبلٌ على الحوار مع المسلم، وحالة الحوار تدعو هنا إلى مُراعاة المقاييس المختلفة "للنبوة الكاملة" بحسب مفهومها في تراث كلِّ من الديانتين، وعندئذ فكما أنّ المسيحي لا يمكنه أن يُرغم المسلمين على الاعتراف بعيسى بكلِّ الصّفات التي تسبّعها عليه العقيدة المسيحية، كذلك ليس للمسلم أن يُطالب المسيحي بأن يعترف لمحمد بكلِّ الصّفات التي ينسبها إليه الإسلام*، إلّا أنّ المسيحيين لا يتوانون عن الاعتراف بأنَّ محمداً كان نابعاً أديبةً وسياسيةً ودينيةً، وأنّه لم تنفصه نِعَمٌ ليقود الجماهير من النَّاس إلى عبادة الله الحقّ**، ويمكنهم كذلك أن يجِدُوا عنده "نبرات نبوية" تدعوهم إلى الاقتراب منه،² وإنَّ ذلك لمنطلقٌ لفتح باب الحوار مع المسلمين، إذا هم وافقوهم في هذا المعتقد، وبالإجمال يُعتبَرُ الاقتداء بجميع الأنبياء السابقين الذكر كأسوة حسنة، رابطٌ أو جامعٌ يجمع بين المسلمين والمسيحيين معاً، من أجل التأسيس لمشروع حوارٍ رصين مبني على دعائم متينة، يقودهما إلى التفاهم والتّعايش.

¹ - هانس كونج وجوزيف فان إس: التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، تحليل: محمد الشاهد، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م، ص32.

* لكنّ الإسلام أو المسلمون لا ينسبون لمحمد ﷺ ما ينسبه المسيحيون لعيسى عليه السلام من الإلهية والنبوة وغير ذلك من الصّفات التي لا تليق به، بل يعتبرونه مجرد بشر رسول كزّمه الله بالنبوة والرّسالة وفضّله على سائر الخلق واصطفاه لنفسه؛ بما لا يبوّئه مرتبة الإلهية أو النبوة لله تعالى، لذلك عاش كما يعيش البشر، واعترضه ما اعترضهم من العوارض، ومات كما يموتون.

** وفي ذلك يقول مايكل هارت في كتابه (الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ): "لقد اخترت محمداً ﷺ في أوّل هذه القائمة، ولا بدّ أن يندم كثير من هؤلاء الاختيار، ومعهم حقٌّ في ذلك، ولكنّ محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي...، وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات، وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً وديناً، وبعد 13 قرناً من وفاته [الآن 14 قرن]، فإنَّ أثر محمد عليه السلام ما يزال قوياً متجدداً...، وبسرعة اكتسب الرّسول والإسلام قوّة وأصبح محمداً ﷺ أقوى وأعظم أثراً في قلوب النَّاس... (مايكل هارت: الخالدون مائة أعظمهم محمد رسول الله ﷺ، دط، المكتب المصري الحديث، دت، ص13، 15).

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص82.

المطلب الثالث: المسعى الزهدي الصوفي.

التصوّف مسلّكٌ روحيّ إيمانيّ، تُرْتَجَى منه القُرْبَى إلى الله تعالى والمعِيّة معه والفناء فيما سواه، وذلك - في حالات كثيرة - يكون بإتباع طريقة الزهد الشّدِيد والتّقشُّف، وتعذيب النّفس وإرهاقها حتّى تُرْوَم هذا النّوع من الحياة، لذلك "يتحدّث الصّوفي عن سيره إلى الله، أو عن رحلته إلى ربّه، أو هدفه، أو عن قطع طريقاً شاقاً يتخطّى فيه عقبات كثيرة حتّى يصل في النهاية إلى بُغيته، ومعنى ذلك باختصار؛ أنّ حياة المتصوّف الرّوحيّة تُعتَبَرُ سفرًا طويلاً يسبقُ فوزه بما يرجو، وسواء كانت هذه الرّحلة ظاهريّة خارجيّة أو باطنيّة داخليّة، فإنّها رحلةٌ على كلّ حالٍ تتطلّب استعداداً خاصّاً وعملاً مُضنيّاً لكي تكون رحلة ناجحة"،¹ فتحقق أملها المنشود؛ وهو الفوز بمعِيّة الله عزّ وجلّ والتّبائُن عن غيره، الأمر الذي تصبو إليه كل نفس راغبة في التّرقّي في درجات الصّديقيّن والأخيار.

وإذا كان التّصوّف هو المبالغة في العبادة والطّاعة بغية الوصول إلى الصّفاء الرّوحي الخالي من كلّ تعلّقٍ بملذّات الحياة الدّنيا، فإنّ كثيراً من المسلمين قد حاولوا عبورهم مراحل الزّهد والتّجرّد التّقرب من الله والتخلّق بأسمائه وصفاته لتحقيق المعِيّة والألفة والصّفاء الرّوحي، وتاريخ الإسلام يُظهر أنّ المسلمين لم يخلوا على مدى الأجيال من شُهود زهد مطهّرٍ، متلمّسين لاختيار صوفيّ،² وفي هذا إشارة بالغة إلى عدم الاستغناء عن هذا السلوك أو الطّريق القائم على هجر ملذّات الحياة الدّنيا والسّموّ عن كلّ أمر مدنّسٍ للحياة الإنسانيّة، بغية التّقرب إلى الحضرة الإلهيّة والكون بمعِيّتها، تلمّساً لرحمتها ومرضاها.

فبعض النّظر عن مصدر التّصوّف هل هو خارجي دخيلٌ غريب؟، أو هو أصيلٌ من صميم دين الإسلام مُستنبطٌ من الكتاب والسّنّة؟، فإنّ ظهوره يرجع إلى عصور متقدّمة؛ إذ ظهر كحالة من الزّهد منذ العهد الأوّل لظهور الإسلام، ثمّ تبلور كمصطلحٍ له وجودٌ في البيئّة الإسلاميّة بدءاً من القرن الثّاني للهجرة وما بعده، وقد كان انبثاقه أمراً حتميّاً نتيجة بعض الطّروف والأسباب؛ إذ يُعتَبَرُ كردّ فعلٍ لتيّار الحياة الماديّة التي كانت سائدة آنذاك، وكردّ فعلٍ أيضاً على المتكلّمين في تصوّره للعقيدة، ثمّ هو استكمالٌ لقصور علماء الرّسوم في الفقه وفي التّفسير،³ بما أنّه من علوم الحقيقة، وهي من علوم الشّريعة، ومنذ ظهوره في البيئّة الإسلاميّة، لا يزال موجوداً إلى اليوم تنزّعه بعض الطّرق الصّوفيّة بصرف النّظر عن ممارستها، وبين

1 - محمّد كمال إبراهيم جعفر: التّصوّف طريقاً وتجربة ومذهباً، دط، دار الكتب الجامعيّة، 1970م، ص 91.

2 - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 89-90.

3 - أحمد محمود صبحي: التّصوّف إيجابياته وسلبياته، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت، ص 19-20.

هذا وذاك عرفت العصور الإسلامية تجارب صوفية* متنوعة على أيدي كبار المتصوفة كالحلاج والجنيد والغزالي وابن عربي وغيرهم.

وعلى الرغم من أن التصوف الإسلامي لم يقبل ولم يرحب به بأجمعه كميّار مثالي، لا يتوانى عن أن يعرض على المؤمنين أجمعين طرائق ومراحل ومثلاً يستطيع كل واحد معها أن يشارك من قريب أو من بعيد في "وحدة الشهود"^{**} أو "وحدة الوجود"^{***}، والشهود على ذلك كثيرون، وقد أرادت الطرق الصوفية أن تضع ذلك المثال في متناول الصغار والضعفاء، ولعل الجميع مدعوون على هذا الصعيد السامي لميدان الغيب الأعظم إلى زيادة مطارحاتهم، لأنّ عشرين قرناً من الحياة المسيحية وأربعة عشر قرناً من الحياة الإسلامية؛ تكون كنزاً فريداً من الاختبارات الدينية والتلمّسات الصوفية، حيث يجب أن تُعدّ برارة البشر أو صلاحهم بل قداستهم أول عطية يُنبئها الله لهم،¹ باعتبارها تحقق لهم ما يرغبون فيه من تركية ورغبة صادقة في التعلّق بالخالق عز وجلّ.

* التجربة الصوفية هي المحور الذي يدور حوله بحث الباحثين في الحياة الصوفية، وهي ما يطلق عليه الصوفية أنفسهم "الحال"، ووصفوها بأنّها المنزلة الروحية التي يتصل فيها العبد بربه، أو يتصل فيها المتناهي باللا متناهي، كما وصفوها بأنّها المنزلة الروحية التي يحصل لهم فيها الإشراق، ويفيض عليهم فيها العلم الذوقي، وليست هذه الحال في أحوال العقل الواعي، وإلا كانت خاضعة للعقل وقوانينه، وإنّما هي حالة من حالات الوجود الباطن المتحقّق للإعلان عن نفسه في كلّ ضروب النشاط الروحي. بعبارة أخرى: هي حال من أحوال "الإرادة" بمعنى مطلق النزوع لا بمعنى الاختيار، واتصال الإرادة المتناهية بالإرادة اللا متناهية، وانحاضها فيها هو ما عبّر عنه الصوفية تعبيراً دقيقاً باسم الفناء في الله. (أبو العلاء عفيفي: التصوف - الثورة الروحية في الإسلام -، دط، دار الشعب، بيروت، لبنان، دت، ص 17-18).

** وحدة الشهود؛ مصطلح صوفيّ يعني حالة أو تجربة تصل بالصوفي العارف إلى مقام الشهود في نهاية طريق المعرفة، وذلك بشهود الله والتعرّف إليه والانقطاع عن سواه، بل وفقدان التمييز بين نفسه وبين ذات الله، وقد تصل به الحال إلى أن يرى وحدة الخالق والمخلوق، ووحدة الشهود طابعها شخصي ولا يصل إليها إلا الكمال الأطهار كما يقول المتصوفة، وهي تثبت الثنائية بين الخالق والمخلوق؛ فهي ترى الله في كلّ شيء مع مخالفته لكل شيء، كما أنّها تمثل حالة بين الحلول والاتحاد، وعلى كلّ حال فإنّها تعتبر أحد المفاهيم التي أدخلها المتصوفة على الفكر الإسلامي ممّا يعكّر صفو التوحيد الخالص. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج 2، ص 1168).

*** وحدة الوجود؛ عقيدة إحادية هندية، كما قال بها فلاسفة اليونان القدماء، وتبعهم عليها بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة وغلاة الصوفية، وتقوم هذه المقولة على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدّد صورها في الظاهر، فالعالم بما فيه إنّما هو التجلّي الإلهي الدائم الذي كان ولا يزال، فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي عين المخلوقات، فكل شيء هو الله، واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات، وهي بذلك امتداد لعقيدة الحلول وصورة مهذّبة للإلحاد كما يقول شوبنهاور، وبها قال هيراقليطس وتبعه الرواقيون على أساس اعتقادهم في اللوغسي أو العقل الكلّي أو الإله أو الحقيقة الأزلية المبنية في دقائق العالم ومجمل الوجود، أمّا أصحاب الأفلاطونية المحدثة فقالوا بما بناء على نظريتهم في الفيض الإلهي، وقد تأثّر بمذهبه العقيدة وقال بها الحلاج وابن عربي وابن الفارض وغيرهم. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج 2، ص 1168-1169).

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص 90.

وهذا ما يُوجي بأن هناك حركة مماثلة للتصوّف الإسلامي في الديانة المسيحية؛ إنّها الرهبنة التي هي عبارة عن "حياة جماعية تُقضى في أديرة خاصة لغرض ديني، أساسها نذرٌ مثلث (الطاعة والفقر والتبُّل)، وتشمل الرجال والنساء بزعم أنّ مؤسس الرهبنة هو المسيح عليه السلام؛ وهو زعمٌ باطل نفاه الله تعالى عن نبيه ورسوله عيسى ابن مريم عليه السلام، وأوضح أنّه من جملة البدع التي ابتدعوها، وع ذلك ما رعوها حقّ رعايتها، إذ قال: ﴿ ثُمَّ فَفَعْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بُرْسِنًا وَقَفَيْنَا بِعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ أُتْبِعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَارَعُوهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (الحديد: 27)".¹

وقد ظهرت الرهبنة أول ما ظهرت في الكنيسة الأرثوذكسية المصرية (القبطية)؛ فمصر هي مهد الرهبنة المسيحية، إذ منها بدأت على يد أنطونيوس الذي وُلد سنة 251م في بلدة كوما (قمن العروس)، واتَّخذ مسلك الزهد والتَّقشُّف طريقيًا، حيث كان يُجهد نفسه التي وضعها في ظروف قاسية قوامها الجوع والعطش، واستمرَّ على ذلك مدّة عشرين سنة، حيث اجتمع حوله المريدون وسكنوا إليه وعاشوا عيشته متمثلين به، ولم يلتفت إليهم ولم يخرج من عزلته الشديدة إلا بعد إلحاح منهم بأن يكون مُرشدًا لهم، فخرج إليهم وقبل ذلك سنة 305م، وكان هذا هو تاريخ أو نشأة الرهبانية،² ومنذ ذلك الحين انتشرت الرهبنة بين المسيحيين في كثير من بلدان العالم؛ كالعراق وفلسطين وجزيرة قبرص وغيرها، مع تطوُّر ملحوظ؛ إذ اتَّخذت شكل الديرية المشتركة المعتمدة على الحياة الجماعية نسبيًا، بعد أن كانت في عصر أنطونيوس تعتمد على الوحدة والعزلة أو الإنعزالية،³ لتُصبح بعد ذلك نظامًا قائمًا بذاته يقوم على رعايته وتجيده رهبانًا وراهبات نذروا أنفسهم لهذا الأمر.

وتقوم الرهبنة على مبادئ ثلاثة أساسية:⁴

أولاً - الهروب من العالم واعتزال الناس.

ثانيًا - الهروب من الزواج وتبعاته.

ثالثًا - قهر الجسد وإذلاله.

¹ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، مج2، ص1059.

² - حنيف عبد المسيح: بدعة الرهبنة، ط1، دم، 2009م، ص13.

³ - عادل بمنصور: الرهبنة المسيحية والتصوّف الإسلامي، ط1، صفحات للدراسات والتّشر، دمشق، سوريا، 2016م، ص38-41.

⁴ - حنيف عبد المسيح: بدعة الرهبنة، المرجع السابق، ص13-14.

وإذا كان هذا هو حال كلٍّ من التصوّف الإسلامي والرهبنة المسيحية، فإنّه وبمنظرة عابرة، نلمحُ بعض التشابه أو التماثل بينهما في الخطوط العامة خصوصًا فيما يتعلّق بالمرجعية الدينية؛ إذ يرى أنصارهما أنّهما نابتان من أصول المسيحية والإسلام؛ بمعنى أنّهما ليستا صنيعتي آثار أو تيارات خارجية، كذلك فإنّ الغاية التي يصبوان إلى تحقيقها واحدة؛ وهي السموّ بالروح الإنسانيّة وتخليتها من التعلّق بالماديات والشّهوات الدنيويّة، والابتعاد بها عن الانحرافات الخلقية، كما أنّ من خصائص هذه التجربة لكليهما، أنّها تمتاز بالاستعصاء عن التعبير، والتلقائية والسلبية التامة والتوحد بين الذات والموضوع، إلا أنّ هذا لا يمنع من وجود بعض الاختلاف بينهما أيضًا وخاصة في المصطلح، كما أنّ بينهما نوعًا من التأثير والتأثر،¹ الأمر الذي يجعلنا نوّكد على مدى فاعليّة هذه التجربة—على الرّغم من الاختلاف في الموجود فيها بين الديانتين في التفصيلات والجزئيات— في إحداث نوع من التقارب والانسجام المبنيين على التشابه في بعض الأصول والفروع، ممّا يؤدي بالضرورة إلى التعارف والتعايش بين أتباع الديانتين.

ولا شكّ أنّ هذه العلاقة الموجودة بينهما بكلّ ما تحمله من ملايسات، تدعو المسلمين والمسيحيين على حدّ السواء إلى التأمّل في هذه الظاهرة بشكلها الإسلامي وأيضًا بشكلها المسيحي، ومن خلال ذلك تكون نقطة تلاقي بينهما في سبيل التّحاور والتّفاهم، "ولعلّ وجود مثل هذه الظاهرة في الفكر الإسلامي على وجه الخصوص، تدعو المسيحيين إلى التعاطف مع المسلمين والنظر إليهم باحترام وإجلال كما حظّهم المجمع الفاتيكاني الثاني على ذلك"،² وبالتالي فإنّ الحوار الإسلامي المسيحي مدعوٌّ إلى بحث هذا الأمر مرارًا وتكرارًا في جلساته التي تُقام هنا وهناك؛ لأنّ هذه التجربة المشتركة هي من القيم الأساسية في كلتا الديانتين، وإنّ ذلك لمنطلق رئيسي لتأسيس حوارٍ فعليّ بينهما، لذلك كان للرجل اهتمامات بالمستشرق "لويس ماسينيون" المهتمّ بالتصوّف الإسلامي وأعلامه وخاصة بالحلاج* المتصوّف المعروف، حيث ألف بعض الكتب حوله.³

¹ - عادل بمنصور: الرهبنة المسيحية والتصوّف الإسلامي، مرجع سابق، ص 194 وما بعدها.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 90.

* هو أبو المغيث الحسين بن منصور عاش ما بين (244 و309هـ)؛ صوفيّ مسلم، طوّف في الأرض؛ فزار تركستان والهند، وحجّ إلى مكّة ثلاث مرات، قال بعض من ترجموا له إنّّه كان يأكل يسيرًا، ويصلي كثيرًا، ويصوم الدهر، دافع عن الحركة الصوفية دفاعًا شديدًا، ولكنّه ادّعى حلول الذات الإلهية فيه فأنهم بالكفر والزندقة فسجن وعذب، ثمّ احتزّ رأسه وأحرقت جثته، من أشهر آثاره كتاب "الطواسين". (معجم أعلام المورد—موسوعة تراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد—، ص 174)

³ - من بين تلك الكتب التي ألفها بورمانس في هذا الشأن نذكر:

- Prier 15 jours avec Louis Massignon

- Louis Massignon et le comité chrétien d'entente France-Islam (1947-1962)

المطلب الرابع: الأسس المشتركة بين الديانتين ومواطن الالتقاء.

هناك الكثير من الأسس المشتركة التي تجمع بين المسلمين والمسيحيين في نطاق واحد، وتجعلهم يعيشون لحظات من التواصل الروحي والأخلاقي في ظلها؛ لأنها من الأمور المهمة في المنظومة الفكرية لكل منهما، بل هي من الأبجديات التي صارت من البديهيات المتعارف عليها، ولعل ما يزيد من رُسوخها والإيمان بها من قبلهما؛ هو ذلك التشابه أو التماثل الكائن فيها في الإسلام والمسيحية، وهي تشمل مجالات عديدة عقائدية وروحية وأخلاقية واجتماعية وواقعية وسلوكية.

وإذ لا يمكن إحصاء كل تلك الأسس والمبادئ المشتركة التي تجمع الطرفين، فسنورد مع موريس بورمانس -هاهنا- أهمها كاستدلال بها عليها، من خلال:

أولاً- الحضرة الإلهية: المسلمون والمسيحيون؛ كلهم يؤمنون بوجود إله خالق مدبر، فهم جميعاً يعلمون أنّ هذا العالم لم يُصنَع وحده، وأنّ البشرية لم تبن تاريخها وحدها، فيعترفون بأن المسكونة والتاريخ بما فيهما من أعاجيب وأعمال عظيمة وتقدم علمي جبار تتطلب بل تقتضي من دبر كل ذلك، كما يؤكدون أنّ الروح البشري قادر على أن يكتشف بأن الله موجود وأنه يتّصف بصفات الكمال كلّها، ولقد ثبت عند علماء اللاهوت في المسيحية وعلماء الكلام في الإسلام، من خلال مناهج مختلفة ومتشابهة في نفس الوقت؛ ما هي الدلائل القاطعة على وجود الله، ودعت كذلك الكتب المقدسة لكل من الديانتين إلى التأمل في الآيات والعلامات التي تحدّثنا عن الخالق وقدراته العظيمة.¹

كما أنّ التوحيد هو سمة مشتركة بين الديانتين في هذا المجال، فمن يطلع على الكتاب المقدس وكذلك القرآن الكريم، يجد فيهما العديد من التصوص الدالة على وحدانية الله والدعوة إليها،² وذلك لأنّ الأنبياء الذين أرسلهم الله جميعاً دعوا إلى هذا المبدأ ونبذ الشرك، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: 25)، وقال أيضاً: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ﴾ (التحل: 36)، وعلى الرغم من التحريف الذي لحق بالإنجيل، إلا أن

¹ - موريس بورمانس: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، بحث مقدّم لندوة: الحوار الإسلامي المسيحي بطرابلس من 02 إلى 06 صفر 1396هـ/ 01 إلى 05 فبراير 1976م، دط، مكتب الإعلام والبحوث والنشر في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دت، ص 285-286.

² - لواء أحمد عبد الوهاب: الإسلام والأديان الأخرى -نقاط الاتفاق والاختلاف-، دط، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، دت، ص 29-31.

أقوال المسيح فيه لا تزال تؤذن بالتوحيد الخالص، وهي نصوصٌ في توحيد الذات والربوبية والإلهية التي هي أساس الرسالات السماوية جميعها؛ منها:¹

* ما جاء في إنجيل مرقس: [... آية وصية هي أول الكل؟]، فأجابه يسوع: إن أول كل الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد، وتُحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل فكرك، ومن كل قدرتك؛ وهذه هي الوصية الأولى، والثانية مثلها وهي: تحب قريبك كنفسك، ليست وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: جيد يا معلم قلت؛ لأن الله واحد وليس آخر سواه... [مرقس: 12/32-32].

* وجاء في إنجيل يوحنا: [... تكلم يسوع بهذا، ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الأب قد أتت الساعة... وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته] (يوحنا: 17/3-1).

ففي هذه الفقرة الأخيرة يُبين عيسى عليه السلام أنّ النجاة الأخروية تكمن في الإيمان بأنّ الأب هو الإله الحقيقي وحده، فلفظة "وحدك" صريحة قاطعة في إنفراد الأب بالإلهية وعدم مشاركة أيّ أحد آخر له فيها ومنهم المسيح، ويؤكد هذه الفكرة أكثر؛ عطفُ المسيح كرسولٍ لله تعالى، فيما يجب معرفته والإيمان به، وهذا هو عين ما قاله القرآن الكريم، وهو وجوب الإيمان بالله وحده لا شريك له، وبأنّ المسيح رسول الله.²

ثمّ إنّ كثيراً من الصفات المتشابهة المتطابقة نجدُها بين أتباع الديانتين استقوفاً من المصادر المقدسة الموجودة لديهما، تدلُّ على كمال القدرة الإلهية واتّصافِ الله بأكمل الصفات العُلوية والأسماء الحسنى، منها:³

1- الله واحد (عند المسيحيين هناك ما يعرف بالتوحيد التثليثي القائم على الإيمان بثلاثة آلهة لا إله واحد كما هو الشأن عند المسلمين، وهذا فرق كبير بين الفريقين في هذا الشأن) وهو الحي القيوم، 2- الله محبُّ

¹ - سعد رستم: التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، ط1، صفحات للدراسات والتشر، دمشق، سوريا، 2007م، ص35-36.

² - المرجع نفسه، ص37.

³ - موريس بورمانس: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، مقال سابق، ص289-297.

البشر، 3- الله خالق السماوات والأرض، 4- الله ذو العُفْران والرَّحمة، 5- الله مكلم الأنبياء والموحي إليهم، 6- الله يحيي الأموات ويُرضي الأنفس.

ويؤكد بورمانس على التقاطع الموجود بين الطرفين بهذا الخصوص، فيقول:

"وفي هذا المجال للمسيحيين والمسلمين الحق أن يُفكروا بأنَّ عندهم كلامًا كثيرًا يتبادلونه عن سرِّ الله، والكتاب المقدس غنيٌّ بأسماء جميلة، وأمثالٍ معبّرة، وإبانات ذات مغزى، والجميع يقرُّون بأنَّهم خُدّام الله تعالى وشهّود السرمدي في عالم لا تزال عبادة الأصنام فيه تتحدّد...، وفيما يخصُّ المسيحيين؛ إنَّهم ينظرون بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحي القيوم، الرَّحمان القدير، الذي خلق السَّماء والأرض وكلم النَّاس".¹ فهذا النصُّ يؤكّد المشترك العقائدي الموجود بين الإسلام والمسيحية، الأمر الذي يجعل إمكانيّة التّواصل فيما بينهما قائمة وممكنة، لاكتشاف هذا المشترك وغيره من التقاط التي تدعو أتباعهما إلى التفاهم والتّعاور.

ثانيا- العبادة: خلال المسيرة البشريّة للحياة على الأرض، لم ينفك الإنسان في عبادته عن ممارسة شعار الصّلاة والصّيام وتقديم الرّكاة والوفود على الأماكن المقدّسة تنظيمًا لها وتوقيرًا؛ فتذلّله وخُشوعه ودعاؤه لمعبوده صلاة في هيئتها الأولى، ثمّ اقترب إلى الله بتقديم القرابين والتّدور تعبيرًا عن طاعته واحترامه للآلهة، كما شارك صيامه في أيام شبه محدّدة لمراسيم التّعبد، مُضيّفًا إليها الرّحمة والتّودّد من خلال تقديمه الرّكاة لمساعدة الفقراء أو الإنفاق على المعابد، كما أنّه من خلال هذه العبادات يُعلن عن ولائه المطلق بالاجتماع مع بني جنسه في مشهد اجتماعي لتأديّة بعض العبادات التي هي في مضمونها شكرٌ للإله على نعمه وآلائه.²

وإذا كانت العبادة هي تنفيذ أوامر الله وتطبيقها في الواقع بغية التّقرّب إليه، "فإنَّ المسيحيين والمسلمين وفاءً لنظرتهم هذه إلى الله والإنسان والتّاريخ يحاولون - كلٌّ منهم حسب مذهبه - أن يكونوا خاضعين لمشيئة الله وأحكامه الحفيّة، فيحقّقوا هكذا ذلك الإسلام الحقيقي الذي عاشه إبراهيم وابنه الدّيبح وموسى ورفيقه الخضر ومريم وابنها المسيح والحواريون؛ فهم جميعًا يؤكّدون على حقّ أنّه لا خلاص للإنسان إلّا بالإيمان، ويتّضح من ذلك أنّ أعمال الإنسان كلّها هي طاعةٌ لله، أليس المثل الأعلى للمؤمن الحقيقي أن

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص 85.

² - عبد الرزّاق رحيم صلال الموحّي: العبادات في الأديان السّماوية - اليهوديّة، المسيحيّة، الإسلام -، ط 1، الأوائل للنشر والتّوزيع والخدمات الطّباعيّة، دمشق، سوريا، 2001م، ص 14.

يمثل لشريعة الله أحسن امثال؟" ¹ بلى إنَّ كمال العبودية له تعالى لا يتأتى إلا بالطاعة المطلقة والانصياع التام لأوامره والكفّ القاطع عن نواهيه.

ففي الإسلام الصلّاة تُقام خمس مرّات في اليوم وفق شروط معيّنة، وهي تتكوّن من حركات وكلمات بسيطة جدًّا تعبّر عن خضوع المسلم التام لله، والصيام من الفجر إلى المغرب في شهر رمضان يُشعره بالجوع والعطش والإمساك الجنسي؛ كتقدمة لله، طوال اعتكاف جماعيّ للأمة الإسلاميّة، تكثُر فيه الصلّوات والتراويح تمجيدًا للرّزاق الوهّاب، والزّكاة أو الصدقة تمكّن المسلم من إعادة توزيع بعض ما اكتسب من الرّزق على الفقراء والمساكين، فيزكّي بذلك أمواله ويُنمّيها، والحجّ إلى مكّة المكرّمة يعيده أخيرًا إلى ينابيع إيمانه وتاريخه، ويُضفي على اختباره الدينيّ أبعادًا تتجاوز حدود الأوطان، فيتهيأ لنعمة التوبة والغفران وينقاد إليها مرورًا بمراحل الرّجوع الحقيقيّ إلى الله. ²

وفي المسيحيّة أيضًا، يقوم المسيحيون ببعض الصلّوات الفرديّة والجماعيّة بأنواعها المختلفة، باستحضار طقوس معيّنة بغية شكر الله تعالى على نعمه التي أسبغها على الجماعة المسيحيّة، واستغفارًا للذنوب التي ارتكبوها في أوقات معيّنة، وهي عندهم ذات بُعد روحيّ وإيمانيّ، كما يُخرجون العُشور المفروض عليهم نقدًا أو من بكر الغلّات الزراعيّة أو من نتاج الحيوانات، وتعطى لمستحقّيها من الفقراء والمساكين، وإنّما يفعلون ذلك محبة لله وإيمانًا بالمسيح وتقربًا إليه، وأمّا الصيام وعلى الرّغم من عدم فرضه عليهم فرضًا إجباريًا، فإنّهم يعتبرونه من الأركان الأساسيّة لديهم، وهو أنواعٌ عديدة، ويقومون فيه ببعض الطّقوس، مع الامتناع عن بعض أنواع المأكولات من الصّباح حتّى منتصف النّهار، تقربًا لله وتطهيرًا للنفس وطمعًا في الثواب والغفران والخلّاص، وأمّا الحجّ فإنّهم يرتادون فيه بعض الأماكن المقدّسة التي تضمّ مراقد بعض القديسين أو تشهد وقوع ذكرى خاصّة بأحدّهم، وذلك لأجل الحُصول على المساعدة الرّوحيّة والشكر والقيام بتكفير الذنوب وغير هذا من المقاصد. ³

فإذن، -والحال هذه- يمكن القول من خلال ما سبق بيانه، أنّ كلتا الديانتين تمتلكان نظامًا تشريعيًا متنوعًا ومتكاملاً، يُعطّي جميع رغبات الفرد الرّوحيّة والإيمانيّة؛ إذ ينتقل به من عبادة إلى أخرى حسب احتياجاته وطبيعته، وهو تقريبًا النّظام نفسه في كليهما، على الأقلّ في الخطوط العريضة، وهذا ما يُوحى بالمصدريّة الواحدة لهما.

¹ - موريس بورمانس: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، مقال سابق، ص 299.

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 86.

³ - عبد الرّزاق رحيم صلال الموحى: العبادات في الأديان السماوية - اليهودية، المسيحيّة، الإسلام -، مرجع سابق، ص 152-195.

لذلك يدعو المجمع الفاتيكاني الثاني المسيحيين إلى النظر باحترام إلى عبادة المسلمين الصادقة؛ إذ المعبود الواحد هو الله الحي القيوم، فالمسلمون والمسيحيون وإن اختلفت عندهم وتنوعت الصيغ والشعائر في العبادات المذكورة سابقاً؛ يتذكرون أن الابتهاال والسُّبُحات والاستشفاع والتأمل والاعتكاف؛ عاداتٌ قديمة عندهم جميعاً، يجددون فيها باستمرار طاقاتهم الروحية وعزائمهم الأخلاقية، وقد تقودهم أحياناً الرغبة في الابتهاال إلى الله معاً، أن يقتبسوا، كل واحد من تراثه الخاص؛ الكلمات والحركات التي قد تعبرُ باتفاق الرأى عن موقفهم في الظرف الحالى أمام الله، دون أن يُسيء ذلك إلى الشعائر القائمة في عبادة كل منهم،¹ وهذا ميدانٌ فسيح للتلاقي بينهما، وموطن من مواطن التفاهم والتعاشيش في ظل ما يحويانه من مفردات تشريعية مشتركة، فيعترف كلٌّ منهم بالآخر بأحقّيته في العبادة والطاعة، إيداناً بمشروعية التحاور والبحث المشترك والدراسة الجادة.

ثالثاً- القيم الروحية والأخلاقية: كما أنّ هناك عبادات متشابهة في المسيحية والإسلام عموماً، فأيضاً هناك قيمٌ روحية وأخلاقية موجودة في الديانتين متماثلة إلى حد بعيد، أو هي نفسها في كليهما، ذلك أنّ القرآن الكريم والكتاب المقدس وبقية المصادر المتعلقة بهما، دعّت إلى هذه القيم وحضت عليها، وحثت على التحلي والتخلّق بها، و"لقد أيقن الجميع بأنّ الذي يُخاطبهم جميعاً هو الله الواحد ذاته، وإن أدركه كل فريق على نحوٍ مختلف، والجميع متحققون أنّ الله يتكلّم مع البشر في التاريخ، وإن اختلفت مظاهر ذلك هنا وهناك، فإذا كان عند المسيحيين والمسلمين كلامٌ كثيرٌ يتبادلونه عن القيم التي تُهمين على التزامهم خدمة للبشر والمجتمع البشري، فهم يتبينون أيضاً أنّ بإمكانهم التحدّث عن اختباراتهم الدينية بالمعنى الحقيقي، وعن جواهرهم الشخصي للتلمّسات الإلهية، وعن كنوز القداسة والصّلاح التي أمتها وأدّخرتها المسيحية والإسلام على مدى التاريخ".²

وباستقراء هذا التاريخ بكلّ مكوّناته وتشكيلاته، يتبين لنا أنّ ما يجمع الديانتين في هذا المقام؛ أمورٌ كثيرة وعديدة هي عبارة عن قضايا ايجابية جامعة لجميع صنوف المحاسن والحُصَال التي تتعلّق بالإنسان والمجتمع، وتُساهم في السموّ بالروح والإيمان إلى المراتب العليا، التي هي من أسمى المقاصد الدينية والغايات الإيمانية التي جاءت بها الرّسالات السماوية، خاصة المسيحية والإسلام.

فقد نهت المسيحية من خلال نصوصها المقدّسة عن المفاسد والمآثم والشّرور والأعمال القذرة؛ كالسحر والزنا والرّبا والشذوذ الجنسي أو المثلية، إذ جاء في الوصايا الإنجيلية أنّه من القلب تنبعث المقاصد السيئة

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 87.

² - المصدر نفسه، ص 137.

والقتل والزنا والفحش والسرقة وشهادة الزور والشتم؛ فلا تقتل ولا تزني ولا تسرق ولا تشهد بالزور ولا تظلم، وأكرم أباك وأُمَّك (متى: 15 / 19-20، مرقس: 10 / 19)، وهذا ما نجد مقررًا في بعض النصوص القرآنيّة؛ كقوله تعالى: ﴿ قُلْ نَعَالُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (الأنعام: 151-152)،¹ وهكذا يلتقي الإسلام مع المسيحيّة في هذه الوصايا الحاتّة على مكارم الأخلاق وأرقاها.

كما أنّ هناك أمورًا أخرى تلتقي فيها الديانتان بهذا الخصوص، منها؛ الرّحمة والإحسان والمحبّة والتّسامح والعدل والحريّة والأخوة الشّاملة، وتحقيق التّوازن في الحياة، واحترام المرأة، ومواجهة الماديات المغرّضة والتّحدّيات المعاصرة التي تهدّد أمن الشّعوب، والسّعي إلى إيمان خالص، وغير ذلك من المقاصد الرّوحيّة السّاميّة.²

ولو قارنا بين الإسلام والمسيحيّة في المسائل القيميّة الرّوحيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة، لوجدنا منظومة القيم في كليهما واحدة تقريبًا، وهذا الموضوع القيم تحتاجه المجتمعات كلّها من أجل ضبط مسار المجتمع وتحسينه من المفاسد والرذائل التي تتنافى مع الدّين ومع الفطرة الإنسانيّة السّليمة، كما تأبها الطّباع الحسنة والمستقيمة، وبين نهْي عن المفاسد والمآثم وأمر بالمصالح والأخلاق الفاضلة؛ مشترك إنسانيّ يجمع بين المسلمين والمسيحيين في سبيل التّفاهم والتّأسيس لعلاقات مجتمعيّة سليمة،³ قائمة على مبادئ راقية ومرتكزات قويّة مستمدّة قوّتها من النّصوص الدّينيّة والتّجربة التّاريخيّة، ممّا يساهم في التّفاهم بين الديانتين والتّعاون فيما بينهم بغية الانتقال بالفكر الإنسانيّ من السّداحة والعدوانيّة إلى السّماحة والخيريّة.

"والغاية من هذه الأفكار هي الإلحاح على مواطن التّلاقح الممكن فيما يعيشه المسيحيون والمسلمون، وما يُعانونه، وما بينونه فرديًا وجماعيًا، فسّر الله الأعظم، وعطاء كلامه للبشر، ومهمّة الأنبياء، ومُساعدة الجماعات الدّينيّة، وأسرار الصّلاة الخفيّة، والسُّبُل إلى القداسة والصّلاح؛ كلّها محطّات أو مقامات على

¹ - أسعد السحمراني: ترجمان الأديان، ط1، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1430هـ / 2009م، ص381-385.

² - موريس بورمانس: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، مقال سابق، ص302-309، وهانس كونج وجوزيف فان إس: التوحيد والتبوة والقرآن في حوار المسيحيّة والإسلام، مرجع سابق، ص53-55.

³ - أسعد السحمراني: ترجمان الأديان، المرجع السابق، ص381، 386.

الطريق الروحي للتلاقي والمشاركة بين المؤمنين الراغبين في طاعة الله وحده ومجاعة مشيئته الموحدة¹، وهذا هو منشأ أو مبعث الحوار بين الطرفين، والذي من خلال يمكن مناقشة جميع القضايا الفارطة في جو هادئ وسلمي، وعليه يمكن لنا اعتبار أن هذه القيم بمختلف صورها ونماذجها وروافدها، هي بمثابة المهد لتلاقي المسيحيين والمسلمين على طاولة واحدة وفي وقت واحد وفي المكان نفسه لمناقشة بعض القضايا العالقة أو بعض المسائل التي تهم كل طرف منهما.

ولعل هذه الفكرة هي امتداد للتكامل الحاصل بين الأديان السماوية ذات المصدر الإلهي الرباني، وخاصة بين الإسلام والمسيحية، الأمر الذي تتمخض عنه -ولو بصورة بطيئة- ثقافة متجانسة للعالم أجمع، وفي مثل هذه الثقافة المتجانسة المنتشرة عبر العالم كله ستكون المقارنة الموضوعية بين الأديان أمراً ممكناً، كما يمكن من خلالها تكييف (مواءمة) الأشكال التعقيدية والأفكار التقليدية للمتغيرات المعاصرة أو لتواءم مع الظروف الزاهنة، وكذلك القدرة على تقبل (القيم) التي تحققت في الأديان الأخرى ودمج بعضها ببعض²، بما يتيح فرصة لتلاقي أتباعها من أجل التّحاور والتّشاور واتّخاذ القرارات المناسبة التي يحتاجها المجتمع وتنتظرها الإنسانية، كلّ ذلك بدءاً بالنظر في هذه القيم الروحية والأخلاقية المشتركة خاصة بين المسيحية والإسلام.

*تلك هي القضايا -السالف ذكرها في المطالب السابقة- التي يراها موريس بورمانس مقدّمة للحوار الإسلامي المسيحي؛ حيث حثّ المسيحيين على التّبصّر فيها وإدراكها على وجهها الحقيقي كما يؤمن بها المسلمون، كي تكون كنقطة ممهّدة أو موصلة إلى التّحاور فيما بينهما، أمّا بخصوص مدى تشابها أو اختلافها عمّا أوردّه محمّد حسين فضل الله بهذا الشأن، فهذا ما سأبيّنه في المبحث الموالي من هذا الفصل.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 139-140.

² - مونتجمري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، مرجع سابق، ص 220.

المبحث الثالث: المقارنة بين المنطلقات عند الرجلين.

في المبحثين السابقين تمت الإشارة إلى منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي عند كل من محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس؛ حيث عدداً أموراً هي من قبيل المقدمات الممهدة للتعاور بين المسلمين والمسيحيين تجلّت في العديد من القضايا المختلفة عن بعضها البعض، كلٌّ من وجهة نظره وبجسب رأيه، لذلك سنقف في هذا المبحث على ما اتّفقا حوله وما اختلفا فيه في هذا الشأن؛ أي إبراز أوجه الشبه وأوجه الاختلاف، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تمجيد الأنبياء.

النبوة مطلبٌ أساسيٌّ وركنٌ رئيسيٌّ في الديانات السماوية القائمة على الوحي، ذلك أنّ الأنبياء يقومون بمهامّ جليلة موكولة إليهم من قبل الله؛ هي الدعوة إليه وهداية البشر إلى الطريق المستقيم، وإبلاغ الأمانة التي تحمّلوها إلى عباد الله، وبيان المقصد الإلهي من الوحي، والتبشير والإنذار، وإصلاح النفوس وتركيتها، وتقوم الفكر المنحرف والعقائد الزائفة، وإقامة الحجّة وسياسة الأمة،¹ لذلك يُنظر إليهم نظرة تقديس وإجلال من قبل أتباع هذه الديانات، وخاصةً المسلمون والمسيحيون؛ الذين يقدرّونهم ويحترمّونهم، إذ يتلمّسون فيهم القدوة الحسنة والأسوة المثالية، لما لهم من فضل على البشرية جمعاء، ونظرًا للمكانة المرموقة التي يتبوّءونها في المجتمع والإنسانية، وهذا ما عدّه صاحبًا بحثنا منطلقًا أساسيًا للحوار بين الطرفين، أي بين أتباع الديانتين المسيحية والإسلام، مع وجود بعض الفوارق الضئيلة بينهما في هذا المجال، والتي لا تؤثر على كون أنّ هذا التمجيد من أهمّ المنطلقات الحوارية، خصوصًا لما يتعلّق الأمر بالديانات السماوية.

فمن قبيل الأمور المتفق حولها اتّفاقًا تامًا بينهما -هاهنا-؛ قضية تمجيد عيسى عليه السلام في القرآن الكريم، حيث تطرّق كلا الرجلين إلى هذه القضية الهامة والواقعية والتي يتلمّسها كلٌّ قارئ لهذا الكتاب من دون إمعانٍ للنظر؛ لأنّ ذلك واضحٌ وبدهيٌّ، وقد كان هذا التمجيد الخاصّ بهذا النبيّ شاملاً له ومحيطاً به من جوانب عديدة، نظرًا لمكانته ومنزله الرفيعة بين الأنبياء، وفي هذا الشأن وردت آياتٌ كثيرةٌ في القرآن الكريم، تجلّت من خلالها الصّورة الحقيقية للمسيح عليه السلام؛ الرجل الذي وقع حوله اختلافٌ كبيرٌ بخصوص طبيعته ومآله، فجاءت الآيات القرآنية مبيّنة لماهيته وماهيّة رسالته، وذلك بالتركيز على أبعده وطهارته وصفائه ونقاؤه وكمال عبوديته، وكرم أصله وحسن منبته، فكان الاحتفال به على لسان سورة آل

¹ - عمر سليمان الأشقر: الرّسل والرّسالات، مرجع سابق، ص 43-55.

عمران والمائدة ومريم والصف وغيرها من السور؛ هو تكريمه وتبجيله،¹ بما يعدُّ منطلقًا للحوار الإسلامي المسيحي.

إنَّ هذه الحقيقة القرآنية بخصوص السيّد المسيح عليه السلام، والتي تطرّق إليها الرّجلان بما وصفناه آنفًا، نجدُها ماثورة في كتابات الكثير من الباحثين المسلمين وغير المسلمين، وكلّهم يُجمعون استنادًا إلى ما ورد في القرآن الكريم، على تبجيل عيسى في آيات وسور هذا الكتاب من البداية إلى النهاية؛ إذ هو الرّجل الذي وصفته الآيات الرّبّانية بالعبودية والرّسالة والرّسالة والرّسالة والرّسالة والرّسالة والرّسالة والرّسالة والرّسالة وتقدير المواقف والخضوع والاستجابة للأمر الإلهي والتبرؤ من كلّ ما نُسب إليه ممّا لا يليق بكمال إنسانيته؛ وهذا مدحٌ له واحتفاءٌ بشخصه الكريم في سبيل الافتخار به والإنعام عليه، وقد تخلّل هذه الخصال الحميدة؛ بيان لاصطفاء أصله وكرم منبته وحسن مولده الذي كان معجزة للعالمين، وإسكاتًا للمتّهمين، وتبرئة للوالدة الكريمة، وإقرارًا لمهمته ورسالته التي أنيطت به؛ وهي دعوة بني إسرائيل على نهج موسى عليه السلام، وإعادة تم إلى الطّريق الصّواب القائم على التّكافؤ بين المادّة والرّوح، فنصح وأرشد وحثّ ودعا إلى العقائد السّليمة والأخلاق الفاضلة والشّرائع المستقيمة، وغير ذلك ممّا كُلف به من قِبَل الله تعالى،² ومن خلال نظرة إحصائية بخصوص هذا الشأن نجد أن لفظة "عيسى" ذُكرت في القرآن الكريم خمسة وعشرين (25) مرّة، ولفظة "ابن مريم" ثلاثة وعشرين (23) مرّة، ولفظة "المسيح" إحدى عشر (11) مرّة،³ وهو عدد لا بأس به في مجموعه ذِكرًا لهذا النّبي.

والحقيقة، أنّ النّظرة القرآنية للمسيح عليه السلام، هي في حدّ ذاتها تعبيرٌ عن مدى الاحترام والتّقدير الذي يكنّه المسلمون بمختلف أطيافهم لهذا النّبي وأسرته، خاصّة وأنه وردت على لسانه البشارة بقُدوم النّبي الآتي بعده؛ وهو محمّد ﷺ: ﴿وَبَشِّرِ رَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصّف: 06)، وإنّ هذا الاحترام والتّقدير البادر من المسلمين بهذا القدر المعّبر، هو منطلقٌ أساسيٌّ للتّعاور مع المسيحيين الذين يجدون عندهم موافقة لهم على تكريم المسيح وتبجيله، ومن ثمة البدء من هذه النّقطة المتّفق حولها واتّخاذها مُشترَكًا دينيًا وحضاريًا يكون محقّقًا لهما على الالتقاء والتّفاهم، وهي النّقطة ذاتها التي أثارها الرّجلان كما مرّ سابقًا، من

¹ - ينظر: محمّد حسين فضل الله: موسوعة النّدوة، مصدر سابق، ج2، ص267-278، وفي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص51-58، وموريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص76-77.

² - Mostafá Mohamed Ali: *Jésus-Christ Dans Le Coran De La Naissance Au Retour*, Paris, 2013m, p07.

Walid Foustodi: *Jésus Dans Le Coran*, Editions Persée, 2015m , p06-15.

³ - محمّد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص494-495، 665-666.

أجل استنهاض أتباع الديانتين لاكتشاف مواطن التلاقي والمشاركات الموجودة بينهما في مجال التراث الديني.

وفي حين اقتصر فضل الله على ذكر التمجيد القرآني للمسيح عليه السلام وموقف المسلمين منه والقائم على الزرع من مكانته والتعني بخصاله ومآثره وشيمه، وعد ذلك مسوغاً كافياً ليكون منطلقاً من منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي، باعتبار أنه اعتراف صادق بنبي من أنبياء الله ذي علاقة وطيدة بالمسيحيين، بل ليس مجرد الاعتراف به بكونه نبياً من جملة الأنبياء الذين اصطفاهم الله عز وجل لحمل رسالته، فزيادة على ذلك؛ الافتخار بنسبه وجميع المقرين منه، وإيراد سور من القرآن خاصة به، وعدم الإساءة إليه كما أساء إليه اليهود بالخط من مكانته وأتاهمه وأمه بأبشع أنواع التهم،¹ نظراً لعدم توافق رسالة المسيح عليه السلام مع ما كانوا عليه من طبائع وصفات.

نجد بورمانس في الجهة المقابلة، لا يقتصر فقط على ذكر الاحتفاء القرآني بالسيّد المسيح واعتراف المسلمين به وحده، بل يُدخل في ذلك جملة من الأنبياء الآخرين؛ بعضهم من ذوي المكانة لدى المسلمين والمسيحيين على حدّ السواء؛ كإبراهيم وموسى عليهما السلام؛ إذ بيّن موقف المسلمين من هذين النبيين الكريمين ومكانتهما في الفكر الإسلامي، تماماً كما هو معترف بهما في العهد القديم* الذي هو جزء مهم من التراث المسيحي؛ الذي رفع من شأنهما تعظيماً وتبجيلاً واحتراماً وتقديراً**، ليوافق ما ورد في القرآن الكريم في شأنهما***، إضافة إلى النبي محمد ﷺ الذي له مكانة بالغة عند المسلمين؛ إذ هو صاحب رسالتهم ومحلّ هدايتهم، ووسيلتهم في إخراجهم من الظلمات إلى النور، وخاتم النبيين جميعاً من حيث هو آخرهم، كما أنه مبشّر به في العهدين القديم والجديد وإن لم يعترف المسيحيون بذلك، وعلى الرغم من هذا فإنّ الواقع والمعادلة الإنسانية تقتضي اعترافهم به وتبجيله كما يعترف المسلمون بعيسى ويُجلّونه.²

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 51-59.

* العهد القديم هو القسم الأول من الكتاب المقدس المعتمد حالياً عند المسيحيين، وقد تنوّعت الآراء والمواقف حول كتابته، والمتفق عليه أنّها استغرقت وقتاً طويلاً بحيث بات وكأنه تأريخ لليهود ولأدبياتهم، وهو يتكوّن من ثلاثة أقسام؛ التوراة والأنبياء والكتابات، وكل واحد من هذه الأقسام يتكوّن من مجموعة من الأسفار، ويتخذ المسيحيون من هذا الكتاب مصدراً لهم إضافة إلى العهد الجديد؛ لأنّ رسالة المسيح مكتملة لرسالة موسى، وأيضاً فإنّ العهد القديم يحتوي على كتب لبعض الأنبياء الذين ظهروا قبل عيسى كآدم ونوح وإبراهيم، كما أنّه يحتوي كذلك على البشارة بالمسيح، ثمّ إنه يعدّ تهيئة للعهد الجديد الذي هو متمم له، وفي الواحد منهما إيضاح للآخر، وأيضاً فإنّ العهد القديم هو تاريخ وتأسيس لنسب المسيحيين وأصلهم وهو الأمر الذي لم يرد في العهد الجديد. (موسوعة الأديان الميسرة، ص 372-373).

** ينظر سفر التكوين: 12/1-3، 15/1-21، 17/1-14، وسفر الخروج: 3/6-14، وسفر التثنية: 34/4، 10-12.

*** ينظر: سورة النحل: 120-122، وسورة آل عمران: 67-68، وسورة الأعراف: 144-145، وسورة طه: 36-41.

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 73-81.

وهذا هو الأمر الذي لا يزال عالماً في واقع العلاقات الإسلامية المسيحية، إذ أن هناك كثيراً من المسيحيين لم يعترفوا لحد الآن بنبوة النبي محمد، وعليه يمكن اعتبار "قضية الوضع الديني لنبي الإسلام (محمد) هي واحدة من الإشكاليات المعقدة في الحوار المعاصر بين هاتين الديانتين، فاللاهوتيون الكاثوليك يعترفون بالدور الإيجابي التاريخي لمحمد، لكنهم لم يوقفوا بعد إلى عبارات إنشائية مناسبة لوصف المآثر الحمديّة بصيغ لاهوتية-عقائدية مسيحية، وبمضرننا في هذا السياق مثال المؤتمر الإسلامي-المسيحي الثاني الذي عُقد في آذار/مارس من عام 1977م بقرطبة، وكُرس لمناقشة موضوع (تجيل محمد وعيسى في الإسلام والمسيحية)، والذي اشترك فيه أكثر من مائتي لاهوتي وعالم إسلاميات، ولكن مجموعة من الأقطار العربية رفضت إرسال مندوبين عنها إلى المؤتمر، محتجة بعدم جدوى أي حوار بين الديانتين، ما دام أن الكنيسة لن تغير رسمياً موقفها من النبي محمد".¹

إلا أنه -في الوقت ذاته- يوجد الكثير من الشخصيات الغربية البارزة* أنصفت النبي محمدًا واعترفت به كونه نبيًا مرسلًا صاحب رسالة ربّانية مثله مثل المسيح وغيره من الأنبياء عليهم السلام، على خلاف ما يعتقده الغرب في هذا النبي وخاصة في القرون الوسطى.

كما أنه وفي بعض اللقاءات الإسلامية المسيحية، تمت الإشارة إلى تأكيد الجانبين أو الطرفين الإسلامي والمسيحي على تكريم جميع الأنبياء والرسل -بما فيهم محمد- في الديانات السماوية، والإيمان بهم كصفوة من الناس مختارة بعناية، واستنكار التعرض لهم بالإساءة أو التجزؤ على مقامهم، لأنّ في ذلك اعتراضًا على إرادة الله الذي أرسلهم،² ويدعو بورمانس المسيحيين إلى احترام جميع هؤلاء الأنبياء الذين يؤمن بهم

¹ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، مرجع سابق، ص 142-143.
* من أمثال هؤلاء العالم والفيلسوف الاسكوتلاندي توماس كارليل (1795-1871م)، والذي يقول في كتابه (محمد المثل الأعلى): "لقد أصبح من أكبر العار، على أي فرد متمدّن من أبناء هذا العصر، أن يصغي إلى ما يظنّ من أن دين الإسلام كذب، وأنّ محمدًا خداع مزور، وأن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة، فإنّ الرسالة التي أداها ذلك الرسول ما زالت السراج المنير مدّة اثنتي عشر قرنًا [الآن أربعة عشر قرن ونصف تقريبًا] لنحو مائتي مليون [الآن عدد المسلمين يفوق المليار والتصف] من الناس أمثالنا خلقهم الله الذي خلقنا... وهل رأيتم قطّ -معشر الإخوان- أنّ رجلا كاذبًا يستطيع أن يوجد دينًا وينشره؟!... لقد كان من أهمّ خواص محمد ﷺ -ومما امتاز به الأنبياء عامّة- شدّة الإنكار للوثنية، وهو أكبر مسائل الرسل...، وعلى ذلك فلسنا نعدّ محمدًا هذا قطّ رجلا كاذبًا متصنّعًا، يتذرع بالحيل والوسائل إلى بغيته، أو يطمح إلى درجة ملك أو سلطان، أو غير ذلك من الحقائق والصغائر، وما الرسالة التي أداها إلا حقّ صراح، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول، كلا ما محمد بالكاذب ولا الملقق، وإتّما هو قطعة من الحياة، قد تظنّ عنها قلب الطيّعة، فإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وهذه حقيقة تدمغ كلّ باطل، وتدحض حجة القوم الكافرين...". (توماس كارليل: محمد المثل الأعلى، تعريب: محمد السباعي، ط 1، مكتبة التافذة، الحيزة، مصر، 2008م، ص 23، 25، 37-39، 44).

² - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 97، 121.

المسلمون ويحترمونهم، كنقطة بداية للتواصل والتعاور معهم تحقيقاً للفهم المتبادل والعيش المشترك،¹ الأمر الذي يعدُّ نقطة فارقة بينه وبين فضل الله الذي اقتصر على قصة المسيح في القرآن كمنطلق للحوار بين الطرفين كما ذكرت ذلك آنفاً.

المطلب الثاني: القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحية.

ليست القيم على نسق واحد في المستوى، أو هي محصورة في مجال واحد من مجالات الفكر المختلفة، بل إنها تستهدف ميادين متنوعة، أو هي أنواع عديدة؛ منها الروحية والأخلاقية والاجتماعية والسلوكية وغير ذلك... .

ولقد اتفق الرجلان على كون القيم المشتركة بين الديانتين والمستقاة من مصادرها وتراثهما الفكري؛ هي منطلق آخر للتعاور فيما بين أتباعهما؛ لأنها تعبر عن المشترك الإنساني الذي يدعو إلى التأمل فيما يجمع البشرية من مبادئ وأسس بإمكانها نسج علاقات متينة وأصيلة تساعد جميع الأطراف على التكافل والتعاون والتواصل الفكري والواقعي، ومن القيم التي اتفقا عليها؛ القيم الروحية والأخلاقية،² التي تهين للمرء أسباب السعادة وتجعله في هذه الحياة يعيش قرير العين مطمئن البال، لأنها مستمدة من الإيمان الروحي والأخلاق الفاضلة المؤسسة على القواعد الإيمانية الصلبة شديدة التماسك والارتباط.

وتأكيداً لهذه الفكرة، جرى لقاء إسلامي مسيحي ببحمدون اللبنانية فيما بين 22 و29 نيسان/أفريل من عام 1954م، حول: "القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية"؛ تويحاً لتشجيع التعاون بين الطرفين، وقد أسفر هذا اللقاء عن مجموعة من القرارات، هي:³

أولاً - نظراً لما أصاب الأمم والشعوب من تخلف وعدم توازن؛ بسبب عدم اقتناعهم بالقيم الروحية، فإنه يتوجب على المؤمنين من الديانتين مجابهة تيارات الإلحاد والمادية التي تتسرب إلى الجماعات والأمم.

ثانياً - هناك ميدان فسيح للتعاون فيه بين الإسلام والمسيحية من أجل إيصال تعاليمهما للأجيال الناشئة، يتمثل في الإيمان بالله الواحد والتمسك بالعقائد الخاصة بكل منهما.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص72-73.

² - محمد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركة اللقاء، مصدر سابق، ص14، وفي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص95، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، المصدر السابق، ص137.

³ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص14-16.

ثالثًا- تحقيق الأهداف الإنسائية السامية للقضاء على المشكلات القائمة، من خلال احترام حقوق الإنسان والابتعاد عن استغلاله وانتهاك حرمة.

رابعًا- تشكيل لجنة دائمة إسلامية مسيحية للتعاون، تعمل بلا هوادة في جو من الثقة والاحترام المتبادلين لحقوق الآخرين، على تدعيم التفاهم والأخوة بين المؤمنين بالديانتين الإسلامية والمسيحية.

خامسًا- استنكار الظلم والعدوان على الأراضي المقدسة (القدس)، والوقوف مع أهلها ومد يد العون إليهم، تخليصًا لهم من حالة اليأس والفئوس والبؤس، وعلى الرغم من ذلك لا يزالون متمسكين بإيمانهم بالله واعتقادهم الراسخ بالعدل والرحمة، لذلك تجب نصرتهم واتخاذ إجراءات سريعة لأجل عودتهم إلى وطنهم.

غير أن ما يلاحظ في هذا الموضوع؛ وجود فارق بين بينهما في طرح ومعالجة هذه القيم، ففي الوقت الذي نجد فيه فضل الله يتكلم عنها بصورة مختصرة مقتضبة؛ إذ يُشير إليها فقط بمجرد إشارة عابرة في سياق حديث عام لا يتعدى الفقرتين أو الثلاث من دون تفصيل ولا تحليل ولا تشریح لمضامينها، بل إنه يكتفي بإعطاء نظرة شاملة عنها؛ على أنّها من النقاط المشتركة بين الإسلام والمسيحية، وفوق كلّ ذلك لا يُعدّد منها إلاّ المبادئ الروحية والأخلاقية المتجدّرة في وجدان أتباع الديانتين.¹

في الآن ذاته، نجد بورمانس -وبخلاف صاحبه- يذكر ذلك بشيء من التفصيل ومن دون الاقتصار على المبادئ الروحية والأخلاقية كفضل الله؛ لتشمل القيم عنده المجال العقدي الإيماني والسلوكي التعبدي والأخلاقي، إذ أشار إلى الإيمان بالله والأنبياء، والعبادة والخضوع لله وتنفيذ مشيئته، والأخلاق الجامعة، والمسعى الزهدي الصوفي، بصورة مفصلة قائمة على تبيان حقائق هذه الأمور، ومدى تغلغلها في حياة المؤمنين والتراث الفكري للديانتين، وضرورة تفعيلها في الواقع الإنساني الحيّ لأجل بناء علاقات متينة،² على مرّ العصور لا تزعزعها الظروف مهما كان مصدرها، وقد توالى اللقاءات الإسلامية المسيحية في هذا الشأن؛ بغية التعريف بهذه القيم المختلفة في المجالات المتعددة، تدعيمًا للتعاون بين الطرفين، وتكريسًا لمبدأ الأخوة الإنسائية القائم على أنّ ما يجمع ويبيّن أكثر مما يُفترق ويهدم.

¹ محمد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركية اللقاء، مصدر سابق، ص14، وفي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص95.

² - موريس بورمانس: الأسس والمبادئ المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، مقال سابق، ص285-299، وتوجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص84-91، 137-151، وينظر كذلك: Maurice Borrmans: *chrétiens et musulmans ont-ils quelque chose à dire ou à faire ensemble dans le mode d'aujourd'hui*, islamochristiana, pontificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 04, 1978, p27-45.

ففي سبيل التنصيص على الوحدة الإيمانية والإقرار بالعقائد المشتركة، عُقد لقاءً إسلامي مسيحي في مدينة لاغون الغاتية فيما بين 17 و21 تموز/جويلية من عام 1974م، حول: "الإيمان بالله الواحد والجماعة الإنسانية من أجل التعاون بين المسلمين والمسيحيين في إفريقيا على صعيد العمل والشهادة"، وكان من أهم قراراته أن أتباع الديانتين في إفريقيا، كما في بلدان أخرى من العالم، يعيشون ضمن مجتمع تعددي، حيث وضعهم كمؤمنين وقر لهم إمكانيّة الاتصال الشخصي في مكان شغلهم وفي المجتمع، وكلا المجموعتين من خلال اعتقادهما بالله واحدٍ وعبادتهما له؛ تُشاركان في التقليد التوحّدي، وهما تعترفان بعدة نقاطٍ متلاقية في اللاهوت والروحانية، ولذلك فالمنتّمون إلى الديانتين لديهم أسباب وأسس للاعتراف والاحترام المتبادل والتعاون، وهم متحدون في تقديرهم للقيم الدنيّة التي تميّزت بها تقاليدهم، وإنّ ذلك لعلامة دالّة على شهادتهما لله، وعلامة لمسؤوليتهما المتبادلة ومسؤوليتهما تجاه العالم.¹

وقد أكّد المجمع الفاتيكاني الثاني في هذا السياق على مواضيع الشراكة الإيمانية والتوافق اللاهوتي بين الطرفين، والتي من أهمّها؛ الإيمان بالله الواحد الحي الخالق، وهي من القضايا الحوارية اللاهوتية الدقيقة الشائكة المثيرة للتساؤلات والاستقصاءات والتحرّيات، ومع أنّ اليقين اللاهوتي المسيحي الأول واليقين اللاهوتي الإسلامي الأول يُمليان على المسيحيين والمسلمين الاعتقاد الصريح بأنّ الإله الذي يعبدونه هو الله الواحد عينه، فإنّ الإعلان اللاهوتي الرسمي عن هذه الحقيقة ينمُّ عن حاجة الفكر الدائمة إلى الاعتصام بمثل هذا اليقين اعتصامًا لا يُبطلُ إمكانات التعبير اللاهوتي التي تستلّنها الاختبارات الإيمانية المسيحية والإسلامية المقترنة بما يمهز الجماعات الجماعات الدنيّة المتنوّعة من خصّوصيات حضارية، وما يكتنفها من قرائن ثقافية، وما يحيطُ بها من أوضاع اجتماعية.²

وبهذا الصّدّد "يؤكّد المجمع الفاتيكاني الثاني -أيضا- على أنّ المسلمين والمسيحيين يتفقون على الاعتراف بالدينونة العامّة التي تُعلن اختتام الرّمن والتاريخ المبتدئين في مستهلّ الخليقة، وعلى الرّغم من الاختلافات الطّفيفة في تصوّر يوم الدّين، وتصور طبيعة السّعادة الأبدية التي يُدعى إليها أبناء البشر الصّالحون، فإنّ المسيحية والإسلام يعترفان بأنّ الله هو الذي سيُجازي كلّ أحدٍ بحسب أعماله، ولو أنّ

¹ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص56-58.

* هناك اختلاف كبير ويؤن شاسع بين المسلمين والمسيحيين في هذا الأمر، فإذا كان المسلمون يؤمنون بالله واحد لا شريك له، فإنّ المسيحيين يؤمنون بوجود ثلاثة آلهة؛ الأب والابن والرّوح القدس، وكلّ منهم إله بصورة معيّنة. (الإسلام والأديان الأخرى -نقاط الاتفاق والاختلاف، ص55، 59).

² - مشير باسيل عون: الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص117.

الاختلاف ناشئ في الديانتين بين الذين يُصرون على ضرورة الإيمان كمقياس بشري يصلح لإجراء الحكم الإلهي*، والذين يُصرون على ضرورة الأعمال كمقياس بشري لإجراء الحكم عينه**¹.

والإيمان بالله الواحد وكذا بقية الأمور الاعتقادية، وإن تباينت في تفاصيلها الدقيقة بين أتباع الديانتين، إلا أنّها وفي شكلها العام تُعتبر منطلقاً أساسياً ومُشتركا دينياً داعماً لهما في مجال الحوار الفكري اللاهوتي، والتلاقي الواقعي على مسرح الحياة الإنسانية، للوقوف ضدّ التيارات المادية والإلحادية التي تُهدّد كيان الأمم والشعوب بالتخلّي عن معتقداتهم وإيمانهم الخالص المتجدّر في نفوسهم بالفطرة والجليلة الأولى.

وفي سبيل التأكيد على المشترك الإنساني في المجال التّعبدية والخضوع لأحكام الله المطلقة، والاهتمام بالمؤسسات الاجتماعية الدينية، عُقد مؤتمر إسلامي مسيحي في نيودلهي الهندية فيما بين 09 و11 تشرين الأول/أكتوبر من عام 1978م، حول: "الكنيسة والجامع ومساهمتهما في انسجام الأديان والمصالحة بينهما"، والذي كان عبارة عن نداءٍ مُلحّ لتعارف أفضل، وذلك أن يُعطى لكلّ فئة دينية منهما تعليم منظم حول الديانة الأخرى، انطلاقاً من كتب ووثائق هيأتها لجنة عمل مشتركة وحسب التوجيهات الأساسية للديانتين، وقد تُوج هذا الاجتماع في الأخير بصلاة مشتركة صامتة² بين الطرفين، إيماناً منهما بأهمية الصلاة بالنسبة لهما؛ بما أنّها العبادة الأكثر قداسةً لديهما، وإن اختلفت صورتها من طرفٍ لآخر.

فالمسيحية والإسلام وعلى الرغم من تنوع الطوائف المنتمية إليهما، لديهما صيغ وأشكال متعدّدة من الصلاة، تصبّو إلى تحقيق مقاصد معينة؛ أهمّها التّقرّب إلى الله تعالى والمشاركة في عبادته مع الجماعة الدينية، وفي أحد أنواعها يمكن أن يصلّي الواحد للآخر ويدعو له، المسيحيون للمسلمين والمسلمون للمسيحيين، ومثل هذا الأمر يجعل من إمكانية أن تكون الحياة الرّوحية أرضاً للقاء بين الطرفين ليست اعتقاداً نظرياً فقط، ولكنّها واقعٌ معاشٌ أيضاً، وهذا اللقاء على المستوى الرّوحي للإيمان والصلاة ينبغي أن يرتبط ارتباطاً حتمياً باللقاء في الحياة الواقعية في المجتمع، ولهذا ينبغي أن نأخذ في الحسبان -على الأقل- بعض جوانب هذه الحياة المشتركة بين المسيحيين والمسلمين في المجتمع³، والتي تُعتبر تربة خصبة للاستثمار في التّواصل بينهما في مجال التّعائش والحوار، انطلاقاً من اكتشاف مواقع الشراكة في الصلاة وغيرها من العبادات

* مثل البروتستانت في المسيحية والأشاعرة في الإسلام.

** مثل الأرثوذكس في المسيحية والمعتزلة والإصلاحيين المحدثين في الإسلام.

¹ - مشير باسيل عون: الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص 120.

² - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 126-127.

³ - كريستيان فان نسين: مسيحيون ومسلمون.. إخوة أمام الله، مرجع سابق، ص 156-157، 166، 168.

الموجودة في الديانتين؛ إذ أنّ المسلمين - كما المسيحيين - "يعبدون الله بالصلاة والصّدقة والصّوم خصوصاً".¹

ثمّ إنّ هناك جانباً آخر يُعدُّ من قبيل المشترك بين الديانتين؛ هو الجانب الأخلاقي الذي يتمثّل في عدّة أمور وقضايا ذات أهميّة كبرى في تراثهما، وفي الواقع الملموس الذي يعيشه أتباعهما معاً، ومن ذلك:

أولاً- اتّصاف الديانتين واهتمامهما بخلق المحبة والرّحمة، فالمسيحية والإسلام كلاهما يدعوان إلى هذين الخلقين الكريمين، من خلال ما ورد في النصوص المنسوبة إليهما، والحائثة على احترام الآخرين ومحبّتهم والتّعاون معهم والصّفح عنهم عند الخطأ، وعدم التّفريق بينهم في الحقوق والواجبات، وتكريمهم بحكم انتمائهم إلى الإنسانيّة، والمصالحة بينهم عند الخصومة،² من أجل القضاء على جميع الشرور والفتن التي من شأنها التّفرقة بين النّاس.

ثانياً- والمؤمنون الحقيقيون في كلتا الديانتين يكونون معاً في خدمة المرضى والمحتضرين في المراكز الطّبيّة ومراكز التّوليد، إنّهم يابون الإجهاض والقتل، كما يرفضون الأساليب المفرطة في التّساهل في موضوع تنظيم النّسل، ويُنشّعون على مسؤوليّة الأبوة والأمومة، إنّهم يُدينون الحُرُوب والتّجارب القاتلة للبشر على وجه الأرض؛ تلك هي طريقتهم في العمل من أجل الحياة.³

وأما السّعي إلى السّلام؛ فهو من الالتزامات الأدبيّة الأساسيّة المشتركة في الديانتين؛ إذ هما الديانتان اللتان تُبشّران في صلب دعوتهما بإحلال السّلام بين شعوب الأرض، لأنّهما بإمكانهما الإسهام إسهاماً فعّالاً في نشر روح السّلام بين الأمم، ومما لا شكّ فيه أنّ هذا الأمر لا يتحقّق إلا إذا تحرّز الأفراد وتحرّرت الأمم من جميع ضروب التّسلّط والقهر والظّلم والاستعباد، وذلك ما صيغ في الجمع الفاتيكاني الثاني الذي دعا إلى نسيان التّراعات الماضيّة، وإحلال السّلام والتّفاهم وتعزيز قيم العدالة والحريّة بين أتباع الديانتين، وبما أنّ حديث الجمع عن الحريّة كان يتصاحب هو والمستوى السياسي العام لتحرّز الشعوب المسيحيّة، فإنّ الحديث عن النّضال المسيحي-الإسلامي المشترك في سبيل ضمان حريّة الأفراد والشّعوب كان له الوقّع الحميد في المجتمعات الإسلاميّة في ذلك الحين.⁴

1 - موريس بورمانس: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، مقال سابق، ص300.

2 - كيرلس سليم بسترس: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، مرجع سابق، ج1، ص141-142.

3 - المرجع نفسه، ج1، ص143.

4 - مشير باسيل عون: الأسس اللاهوتيّة في بناء حوار المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص125.

وتدعيماً لهذا المسعى، عُقد بين الطرفين لقاءً في برّمانا اللبنانية فيما بين 12 و18 تموز/جويلية 1972م، حول "الانفتاح والتعاون لإزالة التعصب وسوء التفاهم"، قرّراً فيه الدعوة إلى التعايش وضرورة إحياء السلام والعدالة الاجتماعية ونسيان عداوات الماضي وتحسين الأوضاع الحالية، بغيّة العيش معاً في أمن وسعادة وخير عميم.¹

وأما بخصوص المسعى الزهدي الصوفي التربوي لدى المسلمين الذي أشار إليه بورمانس خصوصاً،² فإنّه أيضاً مُشترَكٌ روحيّ متأصل في المسيحية والإسلام، وبإمكانه تحقيق حياةٍ روحية تجذب المسلمين والمسيحيين إلى اكتشاف مواطن التلاقي، ومن ثمة الوصول إلى حلول ثنائية لكلّ المشكلات والمعضلات التي لا تزال تُورِّق الفريقين منذ أمدٍ طويل.

وهناك مجال آخر ينتمي إليه الطرفان ويشتركان فيه اشتراكاً كبيراً بما أنّه واقعٌ معيش؛ إنّ الجانب الاجتماعي الذي ليس لأحدٍ أن يتجاهله أو يعزف عنه بأيّ حال من الأحوال، وهو يحمل قضايا عديدة وأمورٍ جمّة، لذلك عُقدت عدّة لقاءات إسلامية مسيحية بخصوصه، فمن ذلك؛ اللقاء الذي جمع بينهما في مدينة روما الإبطالية فيما بين 24 و26 حزيران/جوان من عام 1992م، حول "المرأة في المجتمع في نظر الإسلام والمسيحية"، والذي قرّر فيه المجتمعون مجموعة من القرارات التي ترفع من مكانة المرأة في المجتمع، وتُنصِفها في كثير من الحالات، وذلك لأهمّيتها في المسيحية والإسلام، كما دعوا إلى عدم استغلالها بصورة تحطُّ من كرامتها الإنسانية، ومعالجة القصور الحاصلة في التشريعات السائدة المتعلّقة بمعاملتها معاملة غير مُنصفة، ونبذ تلك الممارسات الخاطئة التي تقللُ من شأنها وقيمتها، لأجل تأدية دورها في مناخٍ فاضلٍ سليم، كما تَبهوا على الأهمية البالغة لوضع الأسرة، باعتبارها نواة المجتمع الإنساني؛ بغيّة تحقيق التنمية الشاملة، وأنّ المرأة هي الفاعل الأساس فيها؛ بما تقدّمه من رعاية لها ولأفرادها من جميع التواحي،³ وتلك حقيقة لا ينكرها أحدٌ من الناس؛ لأنّه ماثلة أمام الأبصار والأنظار في كلّ حينٍ وأن، لذلك اهتمت الديانات السماوية بها؛ أي بالمرأة وأكرمتها تكريمًا يليق بها ويوازي دورها في المجتمع، وليست المرأة وحدها أو حتى الأسرة فقط، هي الممثّلة للمجال الاجتماعي، بل إنّ هناك قضايا عديدة تعبّر عن هذا المجال؛ منها مثلاً: التكافل الاجتماعي والتعاون ومساعدة الآخرين والرّافة بالمحتاجين وإيواء المعطوبين...، وغير ذلك من أوجه الخير والبرّ والإحسان.

¹ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 46-53.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 89.

³ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، المرجع السابق، ص 184-186.

وبالجُملة، وإقرارًا للمُشترَك الإسلامي المسيحي روحياً وأخلاقياً واجتماعياً؛ صيغ ميثاقٌ من قبل جمعيّة (الإخاء الدّينيّ) المتكوّنة من مجموعة من الأفراد مسلمين ومسيحيين، على شكل صلاة يتلونها معاً في لقاءاتهم، جاء فيه:¹

”اللهمّ إليك نتوجّه، وعليك نتوكّل، وبك نستعين، وإياك نسأل؛ أن ترزقنا قوّة الإيمان بك، وحُسن الهداء بهدي أنبيائك ورُسلك، ونسألك، يا الله، أن تجعل كلّاً منا، وفيّاً لعقيدته، أُميئاً على دينه، في غير تزمتٍ نشقى به في أنفسنا، ولا تعصّبٍ يشقى به مواطنونا، ونضرعُ إليك، يا ربّنا، أن تُبارك إخواننا الدّيني، وأن تجعل الصّدق رائدنا إليه، والعدل غايتنا منه، والسّلام ذخيرتنا فيه، يا حيُّ يا قيّوم، يا ذا الجلال والإكرام. آمين“.

وفي نقطة فارقة أخرى بين الرّجلين في هذا المقام، يحدّد فضل الله النّسبة الاشتراكيّة بين الإسلام والمسيحيّة في القيم الرّوحيّة والأخلاقيّة، فيقدّرها ب: (75%) على الأقلّ، ذلك أنّهم يلتقون في كثير من الأخلاق والشّيم السّاميّة، وحتّى لو اختلفوا في تفاصيل اللاهوت، فإنّهم لا يختلفون في الإيمان بالله وبالرّسالات السّماويّة، وذلك ما يحقّق النّسبة المذكورة آنفاً ويعبّر عنها تعبيراً دقيقاً،² وهو الأمر الذي لم يتطرّق له بورمانس الذي تحدّث عن هذه المُشتركات من دون تحديد لنسبتها أو مقدارها.

وعموماً، هذه هي القيم المُشتركة بين المسيحيّة والإسلام التي تطرّق إليها الرّجلان في صدد الحديث عن منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي، كونها واحدة منها، غير أنّ طريقة معالجتها بينهما اختلفت من واحدٍ لآخر، فإذا كان بورمانس وصفها أو تناولها بشيء من العمق والتّفصيل والشّموليّة؛ حيث قدّمها في قالبٍ موضوعيّ متشعبٍ بين القضايا الإيمانيّة والأخلاقيّة والاجتماعيّة والتعبديّة السّلوكيّة، فإنّ فضل الله أجمل ذلك كلّهُ بشكلٍ سطحيٍّ عابرٍ في فقراتٍ معدوداتٍ، مُلمّحاً أو مُشيراً إلى بعضٍ منها دون إستقراءها كاملةً ولا تعمّق في ما ذكره منها، وهذه نقطة فارقةٌ بينهما بهذا الشّأن.

¹ - كيرلس سليم بسترس: أفكار وآراء في الحوار الإسلامي المسيحي والعيش المُشترَك، مرجع سابق، ج1، ص139-140.

² - نصّ الحوار الذي دار بين محمّد حسين فضل الله والكاهن الإيطالي (برناردو تشيرفليرا) بتاريخ: 08 آذار/مارس 1988م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص146.

المطلب الثالث: الاعتراف المتبادل والإيمان بالتعددية.

إنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يخلُق الخليقة البشريَّة على نمطٍ واحدٍ أو الشَّكل ذاته؛ في العرق واللون واللغة والثقافة، بل إنَّه فرَّق بينهم في ذلك كلِّه إلَّا في مسألة التَّوحيد والعبوديَّة له، تحقيقًا للتَّنوع الثَّقافي والتَّعدديَّة الدِّينيَّة والاجتماعيَّة، بغية التَّواصل فيما بينهم، وتمهيدًا للتَّكامل الإنساني، وخدمة للسَّنن والكونيَّة والمقاصد الحيائيَّة، وبما أنَّ الإنسان كائنٌ اجتماعيٌّ بطبعه، وذو حاجة ماسَّة إلى التَّعاضد مع أخيه من بني جنسه، فإنَّ ميله إليه هو من الضَّرورات المتأكَّدة في بعض المواقف، لذلك ومن أجل هذه الاستعانة، وجب عليه الإقرار بالآخر والاعتراف به، والإيمان بأنَّه كائنٌ مكرَّمٌ مثله يستحقُّ التَّبجيل والتَّقدير.

ويتأكَّد هذا أكثر، عندما يتعلَّق الأمر بأصحاب الديانات السَّماويَّة؛ إذ المؤمنون أولى بتأديَّة هذه الخصلة النبيلة، إذا ما راموا التَّواصل والتَّعايش والتَّفاهم، ويأتي في مقدِّمة هؤلاء المؤمنين؛ المسلمون والمسيحيون بحُكم القُرْبى الكائنة بينهما، واهتمامهما بهذه المسألة في مختلف العصور، فكلُّ منهما مطالبٌ بالاعتراف بالآخر واحترامه وتقديره والتَّلاقي معه في مناسبات عديدة، وهذا ما أكَّد عليه فضل الله وكذا بورمانس عند تطرُّقهما للقبليات المؤسَّسة للحوار بين الطَّرفين؛ إذ دعا كلُّ منهما من موقعه وانطلاقًا من تصوَّراته الفكريَّة إلى ضرورة تحقيق هذه القيمة الحضاريَّة والأدبيَّة في مختلف صورها،¹ الأمر الذي يعدُّ نقطة تلاقي بينهما في هذا المجال، وذلك بالاتِّفاق الحاصل بينهما في جعل هذه القيمة منطلقًا أساسيًا للحوار بين المسلمين والمسيحيين.

إلَّا أنَّ هناك بعض الاختلاف بينهما بخصوص هذا الشَّأن أيضًا، ويتَّضح ذلك عندما نقابل بصورة دقيقة بين ما أورده كلُّ منهما هاهنا، إذ نجد أنَّ فضل الله لما تحدَّث عن هذه النقطة؛ تحدَّث عنها من ناحية إنسانيَّة عاطفيَّة تدعو الإنسان إلى احترام أخيه الإنسان وتقدير مشاعره وظروفه والحوِّ الذي يعيش فيه، وذلك من أجل الدَّخول معه في حوار رصين ناجح، تخلُّصًا من الانكماش والوحدانيَّة، وتبادلًا للأفكار والخبرات الموجودة عند جميع الأطراف.²

¹ - محمَّد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-، مصدر سابق، ص 27-28، وفي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 38، 91، 95، والإسلام والمسيحيَّة بين ذهنيَّة الصِّراع وحركيَّة اللقاء، مصدر سابق، ص 24-25، واتِّجاهات وأعلام -حوارات فكريَّة في شؤون المرجعيَّة والحركة الإسلاميَّة-، مصدر سابق، ص 169-170، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 68-72.

² - محمَّد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-، المصدر السابق، ص 27-28، وفي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص 38.

كما أنه زواج بين العموم والخصوص؛ بمعنى أنه كان أحياناً يتكلم عن هذا المنطلق بصورة تشمل جميع الأديان والطوائف من دون استثناء؛ أي جعل ذلك معياراً يحتكم إليه كل البشر، بما أنهم ينتمون جميعاً لجنس الإنسانيّة ولا فضل لواحد عن الآخر،¹ وأحياناً أخرى يتكلم عنه بكونه خاصاً فقط بالمسلمين والمسيحيين اللبنانيين، فيركّز حديثه ويحصّره في ذكر أجديات تعامل هاتين الأمتين بصفة خاصّة في هذه المنطقة، باعتبارهم الأقرب مودّة والأكثر تعائشاً وتواصلًا، والأولى حوارًا من غيرهم، من أجل بناء قاعدة مشتركة بين هؤلاء وهؤلاء، لذلك دعا إلى إنشاء برنامج علمي فكريّ في كلتا الديانتين يتولّى مهمّة تعريف كلّ منهما بالآخر من شتى النواحي العقائديّة والتشريعيّة والأخلاقيّة...²

أما بورمانس، فإنّه لا يتقاطع مع صاحبه في هذا الأمر إلا في الجانب الخاصّ بالمسلمين والمسيحيين فقط، فهو عند تطرّقه لهذا المنطلق لم يتكلم عنه إلا في حدود العلاقات بين الفريقين بصورة محدودة وخاصّة، ولم يترك المجال مفتوحًا لسوى ذلك.³

ومن ناحية أخرى، تكلم عن ذلك من خلال نظرة حضاريّة بحثية؛ أي أنه شخّص ما يجب أن يُبنى عليه واقع العلاقات المسيحيّة الإسلاميّة في المستقبل، من تعارف متبادل بينهما، وعدم إقصاء أو نظرة دونيّة، كلٌّ منهما تجاه الآخر، وذلك لا يكون إلا بالتّسليم له بخصوصياته وأفكاره ومبادئه، وما يؤمن به من مسلّمات، وما يعتقد فيه من مصادر وأساسيات، وفي هذا الصّدّد دعا المسيحيين إلى الإقرار بجماعة المسلمين، والتأمّل في القرآن على أنه موحى به كالكتاب المقدّس،⁴ وهذا موقفٌ جريءٌ تبنّاه هذا الرّجل خلافًا للمعتقد الغربيّ الذي كان سائدًا من قبل تجاه الإسلام وأهله وكتابه ورسوله، خاصّة في العصور الوسطى، سواء أكان ذلك في تصوّر النّخبة من العلماء والفلاسفة والمفكرين، أو في ذهنيّة القاعدة العريضة للجماهير الشّعبيّة، والذين كانوا يعتقدون أنّ:⁵

- الغرب والمسلمين هم الوباء الموجه والشّعب الهائج الذي عُرف بالسّلب والنّهب والتّحريب.
- الإسلام وثنيّة شرقيّة، وهرطقة مسيحيّة، يعبد أهلها الثّالوث؛ محمّدًا وترفاجانت وأبا لو.
- رسول الإسلام؛ ساحر، مخادع، مُبيحٌ للاتّصالات الجنسيّة، وهو كبير آلهة العرب الذي تُصنع تماثيله بمواد

¹ - محمّد حسين فضل الله: أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، مصدر سابق، ص 19.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 38، 91.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 68-72.

⁴ - المصدر نفسه، والصّفحات نفسها.

⁵ - محمّد عمارة: الإسلام في عيون غربيّة بين افتراء الجهلاء.. وإنصاف العلماء، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1425هـ، ص 62-

ثمينة وبأحجام هائلة.

وقد ظلّت هذه الصّورة عالقة في أذهان الغربيين حتّى في العصر الحديث، حيث أنّه وبعد أن بدأ الأوربيون ينظرون إلى الإسلام نظرة موضوعيّة بسبب السّبق الثقافي الذي تحوّل إلى صقّهم، انبعثت القوالب القروسطيّة التقليديّة من جديد بسبب اقتراب الجيوش التّركيّة-العثمانيّة سنة 1829م من فيينا، مركّزة على وصف هذا الدّين بأنّه دين العُنف الذي يخدم المسيح الدّجال، وأنّ المسلمين معادون للعقل والعقلانيّة، ولهذا فإنّه لا فائدة تُرجى ولا طائل من محاولة تنويرهم وتحويلهم نحو الإيمان الصّحيح، ولكن الحلّ الأجدى هو مجابتهم بقوة السّيف والسّلاح.¹

وفي القرن التاسع عشر تكوّنت نظرة ازدواجيّة عن الإسلام في الإدراك الاجتماعي الأوربي؛ فمن جهة نظر إليه على أنّه عدوّ للكيان الغربي ومهدّدًا لمصالحه ومُنافسًا له، بكونه دينًا متعصّبًا يرمي إلى السيطرة على الدّول الأوربيّة والاستحواذ عليها والتّحكّم في الوضع العالمي، ومن جهة أخرى أُعتبر دين استقرار وعامل تثبيتٍ يمكن توظيفه في إطاعة الحاكم والمحافظة على العلاقات الوديّة الصّديقة،² غير أنّه وفي النّصف الثّاني من القرن العشرين، وبفضل المجمع الفاتيكاني الثّاني (1962-1965م) تغيّرت هذه النّظرة الحادّة والعنيفة تجاه المسلمين إلى أحسن الأحوال وأنصف الأقوال والأفكار، "فللمرة الأولى منذ أربعة عشر قرنًا من وجود المسيحيّة والإسلام، يتحدّث مجمع مسكوني كاثوليكي بصورة إيجابيّة عن المسلمين، معترفًا بوضعهم الدّينيّ المتميّز، ولهذا شبّهت المطبوعات الكاثوليكيّة التّغيير الحاصل في موقف الكنيسة تجاه الإسلام بـ: (الانقلاب الكوبرنيكي)*، وهو تشبيه غير مبالغ فيه إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ رسالة البابا بيوس الثّاني عشر (Pius12) الصّادرة في أواخر الخمسينيات (1957م) رأت في انتشار الإسلام في إفريقيا

¹ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحيّة من التّنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم، مرجع سابق، ص 95.

² - المرجع نفسه، ص 103.

* نسبة إلى كوبرنيكوس نيكولاس (1473-1543م)، عالم فلك بولندي طوّر نظريّة دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الحديث، وقد أكّد هذا العالم أنّ جميع الكواكب بما فيها الأرض تدور حول الشّمس، وأنّ الأرض تدور أيضا حول نفسها مرّة في اليوم، وأنّ حركة الأرض تؤثر على ما يراه النّاس في السّماء، لذلك يجب الفصل بين الحركات الحقيقيّة والحركات الظّاهريّة، وذلك خلافا لما كان يعتقد في النظريّة السّابقة القاضيّة بمركزيّة الأرض التي قال بها بطليموس، وهو الأمر الذي كانت تعتقده الكنيسة أيضا، لذا سمّيت هذه النظريّة بالانقلاب الكوبرنيكي عندما ناهضت جميع الآراء السّابقة. (الموسوعة العربيّة العالميّة، مج 20، ص 173-174).

** بيوس الثّاني عشر (1876-1958م)، اسمه الأصلي؛ جيوفاني باتشيلي (Giovanni Pacelli)، تم تنصيبه قسيسا عام 1899م، وعيّن كاردينالا عام 1929م، كان واحداً من أنشط البابوات في تاريخ الكنيسة، تمّ انتخابه بابا للكنيسة الكاثوليكيّة الرّومانيّة عام 1939م، واستخدم نفوذه وفصل في الكثير من المسائل، ومُدِح كثيرا لاهتماماته المتعدّدة في مواجهة المشكلات الكنسيّة الأساسيّة، وتباحث مع رؤساء عدّة حكومات أوربيّة لمحاولة منع وقوع الحرب العالميّة الثّانية، فحاول إيقاف الحرب بأسرع ما يمكن بعد أن نشبت عام 1939م. (الموسوعة العربيّة العالميّة، مج 5، ص 470).

خطراً على الكنيسة، وأنَّ كتاب (تاريخ الإرساليات التبشيرية)* المؤلَّف في أربعة مجلِّدات والصادر في المرحلة نفسها؛ نظرَ إلى نشاط الإسلام وفعاليته العالميَّة ككارثة تضاهي خطر الشيوعيَّة¹.

ومنذ ذلك الحين تغيَّرت الأوضاع التقليديَّة المسيحيَّة تجاه الإسلام وأهله نظراً للتطوُّر الحاصل في العلاقات بين الطرفين، والتي أصبحت أكثر تقارباً ومواءمة من ذي قبل، حيث قامت الدوائر المسيحيَّة تحقيفاً لهذا المسعى بعقد لقاءات مع المسلمين في مناسباتٍ شتَّى.

ففي بيان قرطبة الصادر عن المؤتمر الإسلامي المسيحي الأوَّل المنعقد فيما بين 10 و15 أيلول/سبتمبر من عام 1974م، والموقوف أساساً لتقديم الديانتين بنظرة عكسيَّة؛ أي تقديم الديانة المسيحيَّة من وجهة نظر إسلاميَّة، وتقديم الديانة الإسلاميَّة من وجهة نظر مسيحيَّة، قرَّر ما يلي²:

أولاً - إقامة تعاون إسلامي مسيحي في كافَّة المجالات.

ثانياً - الدَّعوة إلى التَّأليف في حقل العقيدة من طرف مختصِّين مسلمين ومسيحيين.

ثالثاً - تيسير تبادل سبل البحث العلمي.

رابعاً - تشجيع تبادل الزيارات، والإكثار من اللقاءات، وتوسيع الدائرة بين الطرفين لمواصلة الحوار في الموضوعات المشتركة.

وفي بيانه الختاميِّ، أعلن لقاء كليَّات (سلي أوك) الانجليزيَّة المنعقد في شهر أيار/ماي من عام 1975م، والذي ضمَّ 120 شخصيَّة مسلمة ومسيحيَّة، عن مجموعة من القرارات المهمَّة في الشَّأن ذاته، منها³:

أولاً - التَّأكيد على الحاجة الماسَّة للمعرفة المتبادلة بطريقة أعمق وأكثر تعاطفاً، وذلك بإنشاء مركز في أوربَّا، حيث يتمكَّن المسيحيون والمسلمون من التَّلاقي لأجل الدَّراسة معاً على جميع الأصعدة في التزام تامٍّ بإيمانهم الخاصِّ، وفي روح متبادلة وثقة راسخة.

ثانياً - إنشاء مركز لدراسة الإسلام والمسيحيَّة في إطار العلاقات المتبادلة بينهما.

* هو كتاب يبحث في نشأة التبشير وتطوُّره وأشهر الإرساليات التبشيرية ومناهجها، ألفه الكاتب والباحث المصري؛ عبد الجليل شلي.

¹ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحيَّة من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، مرجع سابق، ص 133.

² - جوليت حداد: البيانات المسيحيَّة الإسلاميَّة المشتركة، مرجع سابق، ص 69-70.

³ - المرجع نفسه، ص 89-90.

ويبدو من خلال هذين البيانين وغيرهما من البيانات الصادرة بخصوص هذه المسألة؛ أنّ النظرة الغربيّة والمسيحيّة على وجه الخصوص تجاه الإسلام والمسلمين تغيّرت تدريجيّاً، فلم تعد تلك الرّؤية الإقصائيّة الذاتيّة والتي كانت سائدة من قبل موجودة في الوعي الأوربي الغربي، أو على الأقل خفّت حدّتها، والدليل على ذلك هو هذا التّواصل الحضاري والفكري الذي يشهده العالم اليوم بين الكيانين الشرقي والغربي أو بالأحرى الإسلامي المسيحي، إذ ليس من الممكن ولا حتّى من المنطقي الاجتماع والتّلاقى مع من لا نعتريّ به أو لا نُقرُّ بكيانه الدّيني والحضاري والاجتماعي.

وفي شأن الفُرق الحاصل بين الرّجلين بهذا الصّدّد، يتميّز فضل الله عن بورمانس بما أشار إليه من تعايّش بين أتباع الدّينتين في المجال اللبناني، حيث ينبع هذا التّعايش أو المواطنة من الإيمان الصّادق بالانتماء إلى هذا الوطن وبالوطنيّة فيه، إذ فيه يتمّازج المسلمون والمسيحيون حتّى يصيروا كلّهما واحدة ويد واحدة؛ للوقوف في وجه التّيّارات الخارجيّة والمخطّطات الاستعماريّة، وفي هذا الصّدّد يدعو الرّجل المسيحيين إلى عدم تخوّفهم من إخوانهم المسلمين، وأنّ كلّ ما يُحَاك من مؤامرات أو ما يُنسج من أضاليل وافتراءات، إنّما هو للتّفريق بينهم والكيد لوحدتهم التي هي مصدر قوّتهم وتماسكهم، لذلك نجده يحدّر هؤلاء من أن يكونوا لعبة في أيادي خارجيّة أجنبيّة؛ كالدوائر المسيحيّة الغربيّة، ممّا يؤدّي إلى إضعافهم ونزع الثّقة من نفوسهم، الأمر الذي يُحدّث البلبلة في صفوف أبناء الوطن الواحد،¹ لذلك يتوجّب على جميع مواطني هذا البلد الاستمسك بالمبادئ والأسس التي تضمن لهم حياة هانئة وعيشاً سلميّاً، يمكنهم من خلاله قضاء مصالحهم وتحقيق أهدافهم المشتركة فيما بينهم، وهذا مطلبٌ أساسي لا يتحقّق إلّا بالتّحمّل بالثّقة بالنفس وبالغير، وعدم ترك ثغرات اجتماعيّة وسياسيّة وأمنيّة يتسرّب منها الخوف والفرع.

وهي القضية أو المُنطلق الأساسي الذي لم يتطرّق إليه بورمانس الذي كان مهتمّاً أكثر بالجانب الدّيني الحضاري بصفة عامّة، لذلك لم يقتصر على دراسة جوانب معيّنة؛ كالحالة اللبنانيّة مثلاً أو غيرها من الحالات، بل تحدّث بالشموليّة والعموم كما أشرنا سابقاً.

*ومهما يكن من أمر، فإنّ الرّجلين، اهتماً بهذه المسائل اهتماماً بالغاً وركّزاً عليها تركيزاً كبيراً باعتبارها منطلقاً فعليّاً من منطلقات الحوار بين المسلمين والمسيحيين، إذ أنّها تُسهّم -في نظرها- في تذليل الفوارق بين الطّرفين، كما أنّها تقضي على التّظنّة العنصريّة التي كانت تقف عائقاً في سبيل تحقيق هذا التّلاقى بين الفريقين، ما دام أنّ هناك قيمًا وقضايا مشتركة، وأنّ الاعتراف بالآخر والإيمان بالتعدديّة -في مختلف

¹ - محمد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحيّة بين ذهنيّة الصّراع وحركيّة اللّقاء، مصدر سابق، 24-25، وتأمّلات في الحوار الإسلامي المسيحي، المحاضرة السّابقة، ص219-220، وفي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص109، 119.

صورها- معناه قبول الاختلاف والتغاير وبالتالي المضيّ قدماً نحو التّجانس والوئام، وعلى الرّغم من اختلافهما في بعض التّفصيلات والجزئيات في هذا الشّأن، والتي تعدّ النّقطة الفاصلة بينهما هاهنا كما وصفتُ ذلك آنفاً، فإنّهما يتّفقان على أنّ هذا الحوار الكائن بين المسلمين والمسيحيين، لا بدّ له من منطلقات هي بمثابة المؤسّسات القبلية الممهّدة له، والتي لا يتحقّق مع فقدانها أو انعدامها، وهذا من أوجه التّشابه بينهما هاهنا.

خلاصة الفصل:

فيما مرّ من صفحاتٍ تمّ تعداد المنطلقات أو المؤسّسات القبلية الممهّدة للحوار الإسلامي المسيحي، من منظور كلّ من محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس؛ حيث أتمّما ذكرًا في هذا الصّدّد مجموعة من النّقاط التي يربانها كافيّة بدفع عجلة الحوار بين المسلمين والمسيحيين.

وتنحصر هذه المنطلقات عند محمّد حسين فضل الله في:

أولاً- الاحتفال القرآني بالمسيح عليه السّلام. ثانيًا- الاعتراف بالآخر واحترام إنسانيته.

ثالثًا- القيم الروحيّة والأخلاقيّة المشتركة. رابعًا- المواطنة والعيش المشترك، التّجربة اللبنانيّة مثالا.

وهي عند موريس بورمانس تنحصر في:

أولاً- حقيقة الإسلام والقرآن. ثانيًا- الأسوة النبويّة والتّكامل الرّسالي.

ثالثًا- المسعى الرّهدي الصّوفي. رابعًا- الأسس المشتركة بين الدّيانتين ومواطن الالتقاء.

كما يمكن حصر أوجه الشّبه بينهما بخصوص هذا المجال في:

أولاً- اتّفاق الرّجلين على وجود مبادئ وأسس؛ هي منطلقات للحوار الإسلامي المسيحي؛ أي أنّ الحوار بين المسلمين والمسيحيين لا يمكن أن ينطلق من فراغ، بل لا بدّ له من موجّهات ومسوّغات ينطلق من خلالها ويبنى عليها.

ثانيًا- الاتّفاق حول كون التّمجيد القرآني للمسيح عليه السّلام وأسرته؛ هو أحد هذه المنطلقات، باعتباره متجلّ بصورة واضحة ومؤكّدة.

ثالثاً - الاتفاق - أيضاً - حول كَوْن القيم الروحية والأخلاقية؛ هي الأخرى إحدى منطلقات الحوار بين الطرفين، ذلك أنّها تمثل الجانب الأهم والأكثر حضوراً في المشتركات الكائنة بين الديانتين المسيحية والإسلام، وانطلاقاً من ذلك؛ فإنّها وكما كانت منطلقاً أساسياً للحوار بين أتباع هاتين الديانتين، يمكن أن تكون كذلك رافداً محورياً من روافده المشكّلة له، حيث من المنطقي أن تستثمر كموضوع من أهمّ المواضيع التي يبحث فيها أو يناقشها هذا الحوار.

رابعاً - الاتفاق - كذلك - حول كَوْن الاعتراف بالآخر والإقرار به واحترامه؛ هو أيضاً معدوداً من هذه المنطلقات، بل هو من أهمّها، باعتبار أنّ هذا المبدأ؛ هو مبدأ أصيل يمثّل أو يعبر عن الكرامة الإنسانية، كما يعبر عن طيبة المعدن ونقاء النفس، ويضاف إلى ذلك أنّه منصوص عليه في الكتب المقدّسة وخاصة الأناجيل الأربعة والقرآن الكريم.

أمّا بخصوص أوجه الاختلاف بينهما، فيمكن حصرها في:

أولاً - كَوْن خطاب فضل الله - في هذا الصدد - موجّهاً بالدرجة الأولى إلى المسلمين، وإن كان في بعض المرات لا يتقيّد بذلك، بل يتعداه إلى مخاطبة الجميع سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين معاً، يحضّهم ويحثّهم على ضرورة اكتشاف نقاط التقاطع فيما بينهم من أجل الاستمرارية في التعايش وحوار الحياة، كما أنّه زاوج بين الديني والسياسي مع إعطاء أمّودج حيّ يمثّل في التجربة اللبنانية التي يجسدها الطرفان على أرض هذا الوطن، وبالإضافة إلى ذلك فإنّ كلّ ما ذكره فضل الله بهذا الصدد، إنّما ذكره بصورة مختصرة مقتضبة لا تتعدى بعض الفقرات، فيما عدا مسألة المسيح عليه السلام والقضية اللبنانية اللتين فصلّ فيهما الحديث تفصيلاً معتبراً، كما يغلب عليه عدم الترتيب والانضباط عمومًا.

ثانياً - أمّا بورمانس، فإنّ خطابه كان موجّهاً إلى المسيحيين بالكلية؛ حيث خاطبهم مبيّنًا لهم مدى تشاركهم مع المسلمين في بعض النقاط المهمة، إذ سلك في ذلك - أحياناً - مسلك المقارنة بين ما يوجد في الإسلام من أساسيات وما يشابهها أو يقترّب منها في المسيحية، وذلك في سبيل الاعتراف بقيّم الطرف الآخر، كما أنّه تطرّق لكلّ ذلك مقتصرًا على الأمور الدينية البحتة، ربّما لكونها - في نظره - كفيلة بتحقيق المراد في هذا الصدد، إضافة إلى كونه تحدّث عن هذه المنطلقات بنوع من التفصيل والإطناب والترتيب والتنظيم.

* وعمومًا، ومن خلال ما ذكره الرجلان من منطلقات، يمكن عند الجمع بينهما، الخروج بمجموعة من المبادئ والأسس المتكاملة، والتي تُسهّم فعلا في تدعيم الانطلاق الحقيقي للحوار الإسلامي المسيحي

باعتبارها قبلات مؤسّسة له، بما تحمله من بذور صالحة تنتظر مَنْ يقوم برعايتها لكي تُثمر الثمرة المرجوة منها في المستقبل القريب، وحينئذ يدخل المسلمون والمسيحيون في حوارٍ معاً، ولا يكفي ذلك وحده، بل إنّ هذا الحوار يحتاج إلى ضوابطٍ مدروسة هي بمثابة الشروط الضابطة والمحددة لمقتضياته ومسائله، وهذا ما سأحدّث عنه في الفصل الموالي.

الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ الفصل الثالث: ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي

➤ تمهيد .

➤ المبحث الأول: الضوابط عند محمد حسين فضل الله .

- المطلب الأول: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي.
- المطلب الثاني: أهلية المتحاورين.
- المطلب الثالث: استنطاق كافة المواضيع ومناقشتها.
- المطلب الرابع: الفاعلية في الحوار. • المطلب الخامس: الابتعاد عن الذاتية وتجذب الانفعالية.

➤ المبحث الثاني: الضوابط عند موريس بورمانس .

- المطلب الأول: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي.
- المطلب الثاني: هوية المتحاورين. • المطلب الثالث: المجالس الحوارية وألوية الزمان والمكان.
- المطلب الرابع: استدعاء الأبعاد الدينية المشتركة.
- المطلب الخامس: استحضار المناهج والسبل الفعالة.

➤ المبحث الثالث: المقارنة بين الضوابط عند الرجلين .

- المطلب الأول: المقارنة من حيث المفهوم.
- المطلب الثاني: طبيعة المتحاورين بين هوية البنية وحمية الشروط.
- المطلب الثالث: ثلاثية الحوار؛ الموضوع، الزمان والمكان.
- المطلب الرابع: معايشة الحوار بين الجدبة والتدين.
- المطلب الخامس: القيم الأدبية والحضارية.

➤ خلاصة الفصل .

تمهيد:

إذا كانت الدلالات اللغوية للضوابط تدور حول معاني؛ الحفظ الحازم والقوة والشدة والصرامة، والعمل بدقّة، والحكم الكلي الذي ينطبق على جزئياته، والأمر المحكم، واللزوم والحبس والتعميم والإلتقان والإحكام والتّصحيح، والتّحديد والقوانين والإجراءات والأمر المنظّم من المبادئ أو القواعد، والرّبط والالتزام بالنّظام.¹

فإنّ المقصود بضوابط الحوار الإسلامي المسيحي في هذا المقام؛ تلك الأحكام أو المحدّدات أو الإلزامات أو القواعد التي تحدّد معالم الحوار الجاري أو الكائن بين المسلمين والمسيحيين وتضبطها، بحيث يكون هذا الحوار خاضعاً لها وراضحاً لحكمها، مقيّداً بها، مسترشداً بمقتضياتها، ولا يخرج عنها أو عن مقتضياتها؛ لأنّه بدونها قد يخرج عن نطاقه أو يجيد عن مساره المخصّص له.

ويبحث هذا الفصل في هذه الضّوابط لا بوصفها العام، ولكن كما يراها محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس أو بما هو موجود منها لديهما، والمقارنة بينهما في هذا الشّأن، وذلك من خلال التقاط الآتية:

*الضّوابط عند محمّد حسين فضل الله.

*الضّوابط عند موريس بورمانس.

*المقارنة بين الضّوابط عند الرّجلين.

وذلك بالإجابة عن التّساؤل الآتي:

ما الفرق بين نظرة الرّجلين إلى ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي؟.

¹ - ينظر: مجد الدّين الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مصدر سابق، ص675، وإبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص533، والمنجد في اللغة والأدب والعلوم، مرجع سابق، ص445، وأحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربيّة المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1429هـ/2008م، مج2، ص1345-1346.

المبحث الأول: الضوابط عند محمد حسين فضل الله.

لقد عدّ فضل الله في بعض كتبه وخاصة كتاب "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي" جملة من الضوابط أو الشروط الخاصة بالحوار بصفة عامة، والحوار بين المسلمين والمسيحيين بصفة خاصة؛ وهي أمور من وجهة نظره كفيلة بتنظيم المسألة الحوارية مهما كانت أطرافها، كما أنّها كفيلة بضمان المناقشة الموضوعية والحوار الهادف بين الأطراف المتحاورين، ففيما تتمثل هذه الضوابط؟، وما مدى تأثيرها على المتحاورين؟، وكيف يمكن استثمارها في هذا المجال؟.

المطلب الأول: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي.

إنّ تحديد مفهوم أيّ مصطلح مفردًا كان أو مركّبًا، يلعب دورًا هامًا في تجلّيته وتوضيح المقصود منه بصفة تفصيليّة دقيقة، ومن هنا نشأ المصطلح المنطقي الثنائي؛ أي المتكوّن من كلمتين: المفهوم والمصدق.

فالمفهوم يقصدون به المعنى الذهني الذي يُثبته اللفظ في الأذهان، واللفظ دلالة كلاميّة عليه، وأمّا المصدق فيقصدون به الفرد أو الأفراد التي ينطبق عليها اللفظ إذ يتحقّق فيها مفهومه الذهني،¹ وعليه فإنّ المعنى الذهني لمصطلح الحوار الإسلامي المسيحي؛ هو ما ينطبق على كلّ ما يوحي به هذا المصطلح من وجود مسلمين ومسيحيين يتحاورون فيما بينهم، وما يتمخّض عن ذلك من نتائج وآثار. وحتى يؤثّر هذا المفهوم أكله، ويتحقّق المقصود منه، يجب أن يكون مستوفيًا لشرتين؛ أحدهما: مساواته تمامًا للمفرد أو المصطلح الذي يشرحه أو يقوم بتعريفه، فلا يصحّ أن يكون أعمّ ولا أخصّ منه، أو مباينًا له تمامًا. وثانيهما: أن يكون أجلى وأوضح من المفرد أو المصطلح الذي يشرحه أو يعرفه؛ أي أن لا يكون التعريف أخفى من المعرف.²

لذلك فإنّ تحديد المفهوم بطريقة دقيقة احترافية جامعة مانعة، يعدّ ضابطًا أساسيًا من الضوابط التي تحكّم تقرير مسألة ما أو تبريرها، أو وضع قواعد علمية وأسس معرفية لها، من شأنها الرجوع إليها والاعتماد عليها عند البحث في هذه القضية.

¹ - عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة - صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي -، ط7، دار القلم، دمشق، سوريا، 1425هـ/ 2004م، ص45.

² - المرجع نفسه، ص60-61.

وانطلاقاً من هذه الحقيقة، والقاعدة المنطقية السابقة، طفق فضل الله يعرف بالحوار الإسلامي المسيحي ويعطي تصوّراً شاملاً عليه كمقدمة لما هو آتٍ من أمور ومسائل متعلّقة بهذه القضية، وبهذا الصّد يقدر الرّجل أنّ للحوار بين المسلمين والمسيحيين جانبان؛ لاهوتي وواقعي.

فأمّا الجانب اللاهوتي العقائدي الأيديولوجي، فيدور حول تلك المسائل العقائدية الفكرية؛ كالإلهية والتبوة، والمسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وما يتصل بهذه المفاهيم من أمور فرعية؛ كالصلب والقيامة والفداء والتجسد وغير ذلك،¹ وهذا الجانب هو بمثابة الشقّ التنظيري للمسألة الحوارية.

وأمّا الجانب الواقعي، فيتصل بحركة التعايش بين الديانتين والجماعتين في الوطن الواحد، أو في العالم كلّه، على صعيد المواقع المشتركة أو المنفصلة، وبالتبشير الذي يمثّل العنوان العام للمسيحية في امتدادها للإنسان وثنيّاً أو مادّيّاً أو مسلماً أو يهوديّاً، وبالتبليغ الذي يمثّل الحركة الإسلامية في الدعوة لإدخال الناس في الإسلام إلى أيّ دين انتموا وإلى أيّ اتجاه تحركوا،² وهذا هو الجانب الذي هو بمثابة الشقّ التطبيقي للمسألة الحوارية.

ويلحق بهذا الجانب؛ المفاهيم المتنوّعة المختلفة حول قضايا الشريعة في تفاصيلها المتعلقة بأهل الذمة وبالْحُكْم وبالحرية وبالمرأة وبالواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والأمني، وبقضايا الشرق والغرب والمستكبرين والمستضعفين والعدل والظلم...، وغير ذلك ممّا يتصل بحركة الإنسان في تأكيد وجوده في الأرض وحمائه من أيّ عدوان.³

وبهذين الجانبين؛ اللاهوتي والواقعي تتحقّق النظرة الشمولية للحوار الإسلامي المسيحي، إذ ليس هذا الأخير مجرد لقاءات تُعقد بين علماء الفريقين على طاولة الحوار لمناقشة بعض القضايا الفكرية أو العقائدية فحسب، بل إنّ في صورته الحقيقية يتجلّى في ذلك التعايش الموجود فعلاً على أرض الواقع بين المسلمين والمسيحيين المنتمين إلى وطن واحد، وهذا هو الأمر الذي يُحدث التفاعل بين الطرفين.

كما يتجلّى هذا الحوار في شقّه الواقعي بصورة واضحة جليّة، في لبنان، ذلك الوطن الذي يضمّ في حيزه الجغرافي مسلمين ومسيحيين بمختلف طوائفهم ومذاهبهم، الأمر الذي تنتج عنه أو من خلاله أو بفعله فسيفساء دينية متنوّعة، وتعددية دينية في أجلى معانيها وصورها، وعلى الرّغم من هذا كلّه، فالحاصل هو

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص أ.

² - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

سيادة التفاهم والتسامح بين جميع هذه الأطياف، فهم متعايشون على أرض هذا الوطن، متآلفون فيما بينهم، ويشكّلون وحدة متجانسة ومتسقة، ومردّ هذا الانسجام والتآلف والوحدة عائدٌ إلى التعايش؛ حوار الحياة الذي أملى عليهم التعاضد والتعاون في مختلف المجالات، وخلق لهم جوًّا نقيًّا يقوم على الأمن والسلام والثقة المتبادلة، وليس هذا مقصوراً فقط على مواطني لبنان، بل إنّ المنطقة العربيّة بأسرها تشهد علاقات إسلاميّة مسيحيّة في الحياة اليوميّة، وهذا ما نلاحظه -بالإضافة إلى لبنان- في سوريا والعراق ومصر والسودان والأردن وحتى في بعض دول الخليج، حيث إن المجتمعات في هذه البلدان هي خليطٌ اثني وثقافي وديني متنوّع، وما كان هذا الأمر يتأتّى من منافذ الحوار الفكري اللاهوتي، بل من خلال حوار الحياة؛ إذ هو الأسلوب الأمثل لتجاوز الحساسيات والخلافات بين أبناء الوطن الواحد.¹

وليس معنى هذا إقصاء الجانب اللاهوتي العقائدي الفكري للحوار الإسلامي المسيحي، بل المقصود من ذلك؛ أنّ هذا الأخير له جانبان متكاملان متقاطعان، لا بدّ أن يتوقّرا في العلاقة التي تجمع بين المسلمين والمسيحيين، لإحداث حوار تامّ بينهما؛ فكرياً وواقعياً، وأيضاً فإنّ الشقّ الفكري لهذا الحوار هو الذي ينظر ويقرّر ويفتح مجالات وآفاقاً أوسع للشقّ الحياتي الواقعي.

وبناء على هذه النظرة المزدوجة للحوار الإسلامي المسيحي، يقرّر فضل الله؛ أنّ المسيحي المنفتح على الحضارة عندما يطرح له الإسلام، يمكن البحث معه في دائرتين:²

أولاً- الدائرة اللاهوتيّة؛ إذ أنّ المسلم يعتقد بالله الواحد بعيداً عن أيّ تعقيد فلسفيّ، ويعتقد بوجود كلّ الأنبياء والكتب والرّسالات السّماويّة، وفي هذا الإطار نجد أنّ المسلم عندما يتعد عن النّقاط اللاهوتيّة في ذات الله، يلتقي مع المسيحي في مدى كلّ الرّسالات عبر التاريخ برّمته.

ثانياً- دائرة المسائل السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة وغيرها، فالإسلام يطرح أفكاراً على مستوى الثّقافة والاجتماع والاقتصاد، بمعنى أنّه يفكر بهذا العالم، بحيث لا يريد للإنسان أن يلجأ إلى فكر آخر خارج الانتماء الدّيني؛ ليُجمع له دينه في العقيدة والشّريعة وحركة الحياة.

وفي كلّ ما سبق نجد أنّ فضل الله يركّز على وجود شقّين للحوار الإسلامي المسيحي؛ الشقّ الفكري اللاهوتي الذي لا تمثله أو تقوم به إلا النّخبة من العلماء ورجال الدّين، والشقّ الواقعي الحياتي الذي يشمل

¹ - كيرلس سليم بسترس: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، مرجع سابق، ج1، ص47-48، وعبّاس الحلبي: حوار الأديان وبناء الدّولة، مرجع سابق، ص44-45.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص44.

جميع فئات الشعب من الأعلى مرتبة إلى الأدنى مرتبة، ويؤكد بصفة كبيرة على هذا الشق، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى كونه -أي فضل الله- عاش في لبنان فترة من الزمن، وهذا البلد -كما مرّ معنا سابقاً- يتقاسمه المسلمون والمسيحيون ويتحاورون فيه واقعياً في كلّ مشاهد الحياة اليوميّة التي يعيشونها معاً، بحكم التّجاور الحاصل بينهما هناك.

وحكاية عن كون هذا الجانب مكتملاً للشقّ التّظيري للحوار بين المسلمين والمسيحيين، يقول فضل الله:

"إنّني أزعّم أنّ اللبنانيين المسيحيين والمسلمين بنسبة تسعين بالمائة في المواقع المختلطة جغرافياً واقتصادياً وثقافياً، قد فرغوا من الحوار منذ سنين؛ لأنهم تحاوروا في حياتهم اليوميّة، وتحاوروا في آلامهم ومشاكلهم وعلاقتهم، واستطاعوا أن يرسموا خطّة للسّلام فيما بينهم، حتّى جاءت القيادات لتفرض عليهم الحرب".¹

إنّ الحوار الذي يدعو له فضل الله بين المسلمين والمسيحيين وخاصّة في لبنان، يأتي كبديل عن الصّراع الذي قد يحدث بين الفريقين، وهو في الوقت ذاته صورة من التّنافس بينهما؛ النّاتج عن التّبشير والدّعوة، فالمسيحيّة والإسلام كلّ منهما يريد أن يُدخل النّاس في دائرته الفكرية والروحيّة، وعلى هذا الأساس من الممكن أن تكون حركة التّبشير هنا وكذا حركة الدّعوة؛ حركة تنافس لا تحمل أيّة مشاعر سليبيّة، بحيث لا تجعل أيّ فريق يشعر بعدوانيّة نحو الفريق الآخر، إنّّه سباقٌ على ربح عقل النّاس من خلال تقديم الأسس الفكرية التي تحكم العقل الإنساني، في حوارات متفتّحة وموضوعيّة.²

صحيحٌ، قد تكون هذه الصّورة التّنافسيّة في مجال الدّعوة والتّبشير دافعاً للحوار بين الطّرفين، لكنّها من ناحية أخرى تعتبر هدفاً خفياً أو متستراً لهما، ذلك أنّ الحوار الإسلامي المسيحي يهدف بطريقة غير مباشرة إلى هذين المقصدين؛ فالمسلمون يمارسون الحوار للدّعوة إلى الإسلام، والمسيحيون يمارسونه أيضاً للتّبشير بالمسيحيّة،³ الأمر الذي قد يعرقل من مسيرة هذا الحوار ويحدّ من تقدّمه واستمراره وفاعليته، ومن ثمّ فشله وعدم نجاحه.

1 - محمّد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحيّة بين ذهنيّة الصّراع وحركة اللّقاء، مصدر سابق، ص 27.

2 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 24.

3 - إسماعيل عريف: الأبعاد الدّينيّة والسياسيّة للحوار الإسلامي المسيحي، دراسة تحليليّة نقدية في ظلّ الحوار الهادف والبناء، مرجع سابق، ص 57-60، 81-85.

المطلب الثاني: أهلية المتحاورين.

إنّ المفهوم الإجرائي للحوار الإسلامي المسيحي يستدعي أنّ هذا الحوار له أركان لا يقوم بدونها، باعتبار أنّ هذه الأركان واحدة من أساسياته، بها يكون ويُعقد، ومن غيرها أو بنقص واحدة منها ينعدم، ومن تلك الأركان المحوريّة؛ وجود متحاورين مسلمين ومسيحيين تُسند إليهم مهمّة التّحاور، يديرون شؤونها ويتناقشون فيما بينهم حول العديد من القضايا والمسائل المطروحة للنقاش، لكن هل كلّ من كان منتمياً إلى الإسلام أو إلى المسيحيّة يصلح للحوار؟، وإذا لم يكن ذلك ممكناً، فما هي المواصفات الواجب توافرها في الفرد كي يكون أهلاً للتّحاور؟، بمعنى آخر؛ كيف يتمّ اختيار المتحاورين الأكفاء؟.

إنّ المتحاورين في موضوع الحوار الإسلامي المسيحي، لا بدّ أن يمتلكوا رويّة الحوار وثقافته ومصداقيته وحركيته، لأنّ الذين لا يتمتّعون بهذه الخصائص سوف يتحوّل حوارهم إلى حالة من السّباب والشّنائم والكلمات السّلبية¹ وهذا الأمر يُخرج الحوار عن نطاقه، ويبعده عن فحواه، ويجيد به عن مقصده؛ فلا يؤثري الثّمرة المرجوة منه.

أيضاً، إنّ المتحاورين -سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين- لا بدّ وأن تكون لديهم إرادة الحوار والرّغبة فيه، وإرادة الوصول إلى التّناجح الإيجابيّة بصدق وإخلاص، ومن دون ذلك لا يمكن أن تُطرح أسماؤهم في ساحة الحوار؛ لأنّهم بخلفياتهم وعقدتهم يريدون أن يستهلكوا الحوار لإضاعة الوقت وتعقيد الأمور؛ بإثارة بعض المفردات التي تُربك الواقع وتُوجج المشاعر والأحاسيس السّلبية، وتنشُر عناصر التّوتر والانفعال في جوّ اجتماع المسلمين بالمسيحيين،² ممّا لا ينجح العمليّة الحواريّة بين الطّرفين بالشّكل المطلوب والوجه المحبّوب، لذلك فإنّ إرادة الحوار والرّغبة فيه والتّشوّف إلى التّناجح المرجوة منه؛ شروطٌ محوريّة وأساسيّة في المتحاورين.

ثمّ إنّ هؤلاء المتحاورين لا بدّ أن يمتلكوا النّضج في الثّقافة المتخصّصة التي يدور النّقاش في إطارها، فالمسيحيون والمسلمون غير المتخصّصين في الأبحاث العقائديّة والفلسفيّة واللاهوتيّة لا يستطيعون خوض غمار هذه الأبحاث؛ لأنّها تخضع لآفاق قد تحتاج إلى كثير من العمق، تماماً كأيّة أبحاث تتصل بالفلسفة الإشراقيّة وغيرها، لذلك لا يجوز لمن لا يملك هذا اللون من الثّقافة أن يُثيرها بطريقة متشنّجة تنطلق من

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 31.

² - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

أحاسيس وانفعالات نفسية¹ وانطلاقاً من هذا الشرط المهم، فإنه يتعيّن على المتحاورين من كلا الفريقين، أن يكونوا على دراية ومعرفة شاملة بمعتقدات وشرائع وأفكار ومبادئ الطرف المحاور، أو على الأقلّ بمعظم المسائل المتعلقة به، أي أنّ المسلم المحاور للمسيحي، عليه أن يتمتّع بمعرفة كافية بمعتقدات وأفكار ومبادئ الإسلام والمسيحية، وكذلك الشأن بالنسبة للمسيحي، عليه أن يكون ذا معرفة كافية بمعتقدات وأفكار ومبادئ الديانتين، وهذا يتطلب إعداداً مسبقاً دقيقاً عبر سنوات عديدة.

هذه هي أهمّ الشروط الواجب توفّرها في المتحاورين التي ينادي بها فضل الله ويؤكد عليها، ويرى أنّه لا مناص من وجودها في هؤلاء لكي يكونوا مؤهلين للعملية الحوارية، لهذا كان يصّر عليها بالمفردات والعبارات الإلزامية على شاكلة (لا بدّ، لا يجوز...).

وانطلاقاً من توجيه قرآني، يبيّن فضل الله للمحاور ويرسم له كيفية مخاطبة الطرف الآخر (المحاور) حتى يكون مؤهلاً للحوار، ويتقدّم بين يديّ ذلك باستفهام مفتاحي مفاده: كيف تُخاطب الآخر؟، هل تفاجئه بوجهة نظرك في عقيدته أو في التزامه أو تتفادى ذلك؟².

ثمّ يجيب عن هذا الاستفهام قائلاً:

"إنّ الأسلوب القرآني يفضّل الابتعاد عن إعطاء الرأى حول وجهة النظر الأخرى؛ لأنّ ذلك ليس هو الأسلوب الأحسن باعتبار ما قد يستتبعه من تعقيد الآخر منك، أو إثارة جانب العصبية الذاتية أو المذهبية تجاهك، ما قد يمنعه من الاستمرار معك في هذا الحوار، أو قد يخلف لديه روحية مضادة تعقد حركة الحوار، وهذا ما نستوحيه من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (سبأ: 24)، والمعروف في الحوار العلمي أن يقول أحد المتحاورين للآخر: "رأى صواب يحتمل الخطأ، ورأى غيري خطأ يحتمل الصواب..."³.

وهذا ضابطٌ أساسيٌّ من ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي، إذ أنّ إعداد رجال لتوليّ الوظيفة الحوارية، يُعدُّ أمرًا مهمًّا وضرورة ملحةً لإنجاحها، وليس هو بالأمر السهل، خصوصاً وأنه متعلّق بالحوار بين أتباع ديانتين كبيرتين مختلفتين فكرياً وعقائدياً، لذلك ركّز عليه فضل الله ودعا إلى تبنيّه من خلال ما سبق ذكره من شروط.

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 31.

² - محمد حسين فضل الله: أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، مصدر سابق، ص 96.

³ - المصدر نفسه، ص 96-97.

وتكملة لهذا الأمر، يدعو كلا الطرفين من المسلمين والمسيحيين، إلى أن يجتهد كلٌّ منهم في معرفة وفهم ديانة صاحبه، فيقول في هذا الشأن:

"لذلك نحن ندعو إلى حركة فكرية لا يحشر كل نوع منها نفسه في زاوية، لأخذ المسيحية من خلال المسيحي فلا يكون لي حق أن أخذها بنفسي، أو أخذ الإسلام من المسلمين، عندما ننطلق ليجتهد المسلم في المسيحية وليجتهد المسيحي في الإسلام، نستطيع أن نتوحد في الفهم، ويصحح المسيحي للمسلم الكثير من فهمه للإسلام، ويصحح المسلم للمسيحي الكثير من فهمه للمسيحية، عندها يتحول الإسلام إلى حركة علم وفكر، وتتحول المسيحية إلى حركة علم وفكر، وعند ذلك لن تكون لنا شخصيات معلبة تعيش في أبراج عاجية تطل على الناس من فوق، إن المسيحية والإسلام عند ذلك لن تكونا كالهواء والماء، فيتنفس الناس كل الإسلام والمسيحية بحجم ثقافتهم، ويشرب الناس كل الإسلام والمسيحية بحجم ثقافتهم".¹

هذا "لأن الحوار الموضوعي يفرض على المسلمين الانطلاق للاجتهد في دراسة المصادر الأصلية للفكر اللاهوتي والاجتماعي والأخلاقي للمسيحية، وتحليل مفرداتها ووعي طروحاتها، بالإضافة إلى الجانب العملي المتصل بالطقوس العبادية وبالممارسة العملية في عملية تدقيق وتحقيق مع المقارنة العلمية بالفكر الإسلامي، في الجوانب كلها، ليملك الباحث المسلم الوضوح في الرؤية للتصور الدقيق في الوجدان المسيحي، كما لا بد للمسيحيين أن ينطلقوا في الدراسات الإسلامية من موقع الاجتهاد بالطريقة ذاتها، وفي الموقع ذاته"،² ويؤكد هذا ويؤيده ما هو موجود اليوم من معاهد وجامعات إسلامية ومسيحية، تعنى بتدريس المسيحية في البلدان الإسلامية، وتدريس الإسلام في البلدان المسيحية، ولعل هذا الأمر أيضاً هو مسؤولية تقع على عاتق المؤسسات الدينية الحوارية؛ كالأزهر في مصر والفاثيكان في روما وغيرها من المؤسسات الشبيهة بهما؛ التي تتبنى الحوار الإسلامي المسيحي بكل حيثياته، والتي يأتي في مقدمتها إعداد المتحاورين إعداداً جيداً يليق بمستوى اللقاءات والتدوات الكبرى التي تعقد بين المسلمين والمسيحيين في شتى بقاع العالم.

كما تعتبر الحرية الفكرية شرطاً أساسياً يجب أن يتمتع به المتحاورون في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، وفي ذلك يقول فضل الله:

"من الطبيعي لأي حوار يدور بين اثنين، لينتهي - في هدفه - إلى النتيجة الحاسمة من الإيمان العميق المنفتح والمتقبل لنتائج الحوار، أن يحقق شرطاً أساسياً؛ هو أن يملك كلٌّ من الطرفين حرية الحركة الفكرية التي يملك

1 - محمد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركة اللقاء، مصدر سابق، ص 23.

2 - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص و.

معها الثقة بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا يكون واقعا تحت رحمة الإرهاب الفكري والنفسي، الذي يشعر معه بالانسحاق أمام شخصية الآخر نتيجة إحساسه في أعماقه بالعظمة الكبيرة والمطلقة التي يملكها الآخر، فتضاءل -إزاء ذلك- ثقته بنفسه، وبالتالي ثقته بفكره وبقابليته لأن يكون طرفا للحوار، فيتجمد عند ذلك ويفقد قدرته على الحركة الفكرية، فيتحوّل إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر¹، وبالتالي لا يمكن إقامة حوار ما لم تكن هناك حرية فكرية يتمتع بها المتحاورون؛ لأن ذلك يجزّئ إلى الإرغام والإكراه، وهذا ما يتنافى مع روح الحوار الذي لا ينبت زرعُه ولا تُورق أشجاره إلا في جوّ من الحرية والاختيار.

المطلب الثالث: استنطاق كافة المواضيع ومناقشتها.

إذا كان وجود متحاورين يديرون العملية الحوارية؛ مسلمين ومسيحيين، يعدّ ركنا أساسيا كما بيّنا ذلك آنفاً، فإنّ التّحاور حول موضوع أو مسألة معيّنة؛ هو الآخر كذلك ركنٌ من أركان الحوار، وإتته لضرورة مُلحّة في هذا الشّأن، وإذ أنّ هذا أمرٌ محتمّ، فأية قضايا يمكن أن تكون موضوعاً للحوار؟، والتي تصحّ مناقشتها في اللقاءات الإسلامية المسيحية، وهل كلّ القضايا والمسائل قابلة للنقاش والتّحاور؟، أم أنّ هناك قضايا بعينها هي موضوع هذا الحوار؟.

لا مقدّسات في الحوار، ولا محرّمات كذلك في المفهوم الإسلامي؛ فكلّ شيء قابل للحوار، حتّى الأصول العقديّة؛ كوجود الله وصفاته وتوحيده، والنّبي ورسالته وطبيعته وحياته، والقرآن وصدق تنزيله وطبيعته وحقيقته...، لأنّ العقل في الإسلام هو الأساس، به يدرك الله، وبه تُكتشف وحدانيته، وبه يؤكّد وجوده، وهذا ما نلاحظه من خلال القرآن الكريم الذي عالج هذه الأمور وغيرها بالمعادلات العقلية والمنهج الاستقرائي التجريبي، وفي ظلّ هذا الجوّ تفتّح أبواب الحوار على كلّ شيء؛ أبواب الحوار التي تُثير الوعي والمعرفة، وتطرّد الجهل والتّخلف، وهذا هو أسلوب القرآن الذي حاور الملحدين بوجود الله، والمشرّكين بتوحيده، والمنكرين للنّبي بشخصية النّبي ذاته (هل هو مجنون أو ساحر أو شاعر أو كاهن...)، والمُشكّكين في القرآن ووحيه (هل هو وحي أو كلام بشريّ أو أساطير الأوّلين...)، وعلى هذا الأساس فلا مقدّسات في ساحة الحوار إلاّ من خلال الأدلّة والبراهين، فانفتح الإسلام على المسيحية واليهودية والإلحاد والشّرك؛ ليدعو الجميع إلى الحوار²؛ لأنّه دين الحوار والحرية الفكرية والعقائدية، يهب للنّاس حقوقهم على قدر مكانتهم الاجتماعية والدينية.

¹ - محمّد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-، مصدر سابق، ص 68.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 19.

هكذا يرى فضل الله أنّ كلّ المواضيع قابلة للحوار بين المسلمين والمسيحيين، حتّى تلك التي يكثر حولها الخلاف والجدل بينهما؛ كالمسائل العقائدية اللاهوتية، وبهذا الصّد يدعو الطّرفين إلى الحوار في كلّ أمر وأيّة قضية فيقول:

"ناقشوا كلّ شيء، لا مقدّسات في الحوار، الحقيقة هي بنت الحوار، ليست الحقيقة شيئاً يملكه واحدٌ منّا، إنّنا نطلق جميعاً لنزحف حتّى نلتقط الحقيقة...، لذلك كونوا المثقّفين المسيحيين والمسلمين، تحدّثوا عن المسيحية والإسلام في اللاهوت، وتحدّثوا عن المسيحية والإسلام في المسألة الأخلاقية، وتحدّثوا عنهما في المسألة الاجتماعية، حتّى أنّي أدعوكم إلى أن تتحدّثوا عن الإسلام والمسيحية في المسألة السياسية، لا تقبلوا شيئاً يُقال لكم من دون مناقشة (لا دخل للدين بالسياسة، ولا دخل للسياسة بالدين)..."¹

ومن خلال هذه المقولة يمكن القول بأنّ الحوار الإسلامي المسيحي، وعلى الرّغم من كونه ذا طابع ديني في الغالب الأعم، إلّا أنّه -وعلى حسب رأي فضل الله- يمكن تعميمه على المجالات كلّها سواء الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية...، وغير ذلك ممّا سواها من المجالات والميادين الأخرى، وبناء على هذا ذهب يعدّد المواضيع التي يمكن أن تكون صالحة للبدء في الحوار الإسلامي المسيحي، على اعتبار أنّ عدم وضوح الرؤية حولها قد يخلق مشكلات لدى المسيحيين والمسلمين على السواء، معلاً ذلك بوجود غربة فكرية لكلا الطّرفين عن ماهية دين محاوره.²

وقد أحصى تلك المواضيع القابلة للحوار في:³

أولاً - القضايا العالقة المتّصلة بطبيعة اللاهوت المسيحي.

ثانياً - المفاهيم الأخلاقية العامة التي يلتقي فيها الإسلام بالمسيحية في معظم المواطن، من أجل وضع القاعدة المشتركة التي تحكّم الواقع السلوكي للإنسان المسلم والمسيحي.

ثالثاً - الأمور التشريعية ونتائج تطبيقاتها، باعتبار أنّ المسيحيين يقفون موقفاً سلبياً من مشروع الدولة الإسلامية، في الوقت الذي لا يطرحون فيه فكرهم الخاصّ في هذا المجال، وإذا كانوا يفكّرون في دولة ليبرالية أو غيرها، فإنّهم لا يفكّرون في ذلك بطريقة مسيحية، وإنّما بطريقة ذاتية، وعلى هذا الأساس لا تكون المسألة مسألة المسيحية، بل مسألة المسيحيين لا بصفتهم المسيحية، بل بصفة علمانية أخرى.

¹ - محمد حسين فضل الله: حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، ط2، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1422هـ/ 2001م، ص339.

² - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص24.

³ - المصدر نفسه، ص24-25.

رابعاً - قضية أهل الذمة التي يعتبرها البعض حالة دوتية في التشريع الإسلامي، بينما يعتبرها المسلمون حالة حضارية في علاقاتهم بالناس الآخرين في نطاق الدولة الإسلامي.

خامساً - القضايا المشتركة في المجتمع المتنوع، وكيف يمكن للمسيحيين والمسلمين التكامل في موقع القيم الفكرية والروحية والحلقية التي يلتقي عليها الجميع.

وبهذا الصدد يعدّ سعود المولى -موافقة لفضل الله- أصولاً؛ هي مواضيع للحوار الإسلامي المسيحي، من مثل:¹

أولاً - الله تعالى باعتباره موجوداً وواحدًا وخالقًا.

ثانيًا - اليوم الآخر ومقتضياته من البعث والحساب والثواب والعقاب.

ثالثًا - البعد الروحي للإنسان.

رابعاً - الحاجة الإنسانية للعبادة.

خامساً - كرامة الإنسان.

سادساً - الأخلاق الإنسانية الفطرية.

سابعاً - مكانة الأسرة في المجتمع.

ثامنًا - عناية الله بالإنسانية ورعايتها.

تاسعًا - علاقة الدين بالمجتمع.

عاشراً - مسألة الأقلية والأكثرية.

حادي عشر - مواجهة النظام العالمي الجديد.

ثاني عشر - التعرف المتبادل على قضايا الإيمان والفكر.

ثالث عشر - المساهمة المسيحية في الحضارة العربية الإسلامية.

¹ - سعود المولى: الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة-، مرجع سابق، ص 18-19، 41-43.

غير أنّ هذه الفكرة التي يقرّها فضل الله وغيره، والمتمثلة في أنّه لا مقدّسات في الحوار بين المسلمين والمسيحيين على الإطلاق، لا يمكن التّسليم بها بصفة كليّة، فإذا كان التّحاور حول المواضيع الأخلاقيّة والتّشريعيّة الواقعيّة ذا نتيجة ايجابيّة مجديّة تعود بالنّفع والفائدة على الطّرفين، فإنّ التّحاور حول المواضيع العقديّة - وخاصة حول موضوع الإلهيّة، وطبيعة المسيح، والتّبوّة المحمّديّة - قد يقف عقبة في سبيل هذا الحوار؛ لأنّ هذه القضايا تحمّل في ثناياها اختلافاً شديداً بين المسلمين والمسيحيين، إذ يكادُ الفريقان أن لا يلتقيا حول أيّ جزء منها، نظراً للبوّن الشّاسع بينهما في هذه الأصول العقائديّة.¹

وبالتّالي دعا البعض إلى إقامة حوار في الجانب الدّنيوي فقط، وفي ذلك يقول صاحب كتاب (الإسلام والمسيحيّة من التّنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم):

"... أمّا أنصار النزعة الثّانيّة، فإنّهم لا يمانعون، من حيث المبدأ في إقامة حوار بين الدّيانتين، لأنّهم يشترطون إقامته ضمن المجال الدّنيوي البحت، بحيث ينأى الحوار عن مناقشة الإشكاليات والمسائل الدّينيّة؛ التي تتصل بمفهوميّ (الأمة) و(الكنيسة العالميّة)".²

وإذا كان الحوار ممكناً أو جائزاً في كلّ شيء، فكان كلّ موضوع مهما كانت جهته قابلاً للتّحاور حوله أو فيه، فإنّه أيضاً وتبعاً لذلك ينبغي محاورة جميع الأطراف والأطراف من دون استثناء أو إقصاء، بغضّ النّظر عن أديانهم ومعتقداتهم وتوجهاتهم الفكريّة ومبادئهم وانتماءاتهم وأصلهم وفصلهم، يقول فضل الله:

"وكما أنّه لا محرّمات في موضوعات الحوار، كذلك ليس هناك أشخاص ممنوعون من الحوار، إنك تستطيع أن تحاور كلّ أحد، إلّا في ظروف خاصّة قد تعطي الحوار معني يمكنه أن يسيء إلى قضايا كبرى، وتلك حالة طارئة لا تمثّل القاعدة؛ القاعدة هي أن تحاور كلّ إنسانٍ تختلف معه في فكر عقيدتيّ أو سياسيّ أو اجتماعي...، فالله حاور إبليس، وسمح للملائكة أن يحاوروه في خلق آدم والنّاس كافّة من خلال خطابه القرآنيّة، ومن ذلك نستنتج أنّ الإسلام لا يعتبر أيّ شخصٍ يرتفع عن الحوار مهما كان موقعه، فليس هناك من يزعم القول بأنّي أكبر من أن يحاور".³

¹ - بالنسبة لموضوع الاختلاف العقائدي بين المسلمين والمسيحيين ينظر: لينة الحمصي: المسيحيّة والإسلام دين واحد وشرائع شتى، مرجع سابق، ص 87 وما بعدها، وأيضاً: لواء أحمد عبد الوهاب: الإسلام والأديان الأخرى - نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف -، مرجع سابق، ص 53 وما بعدها، وأيضاً: بسمة أحمد جستنبي: تحريف رسالة المسيح عليه السّلام عبر التاريخ أسبابه ونتاجه، مرجع سابق، ص 163 وما بعدها... وغير ذلك من الكتب والأبحاث التي تطرقت لهذا الموضوع.

² - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحيّة من التّنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم، مرجع سابق، ص 146.

³ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 13.

وإذا أسقطنا هذه المقولة على واقع الحوار الإسلامي المسيحي فيمكن القول بأنّ جميع المسلمين بمختلف أطيافهم، وكذا جميع المسيحيين بمختلف أطيافهم أيضاً، مدعوون للتّحاور فيما بينهم، وعلى هذا الأساس فإنّه بالنّسبة للمسلمين لا حاجة للتّفريق عند إرادة الحوار مع المسيحيين بين الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت، وبالنّسبة للمسيحيين لا حاجة للتّفريق عند إرادة الحوار مع المسلمين بين السنّة والشّيعية، لذلك قد يبدو الحوار بين الطّرفين حواراً إسلامياً مسيحياً في شكله العام، إلّا أنّه وبوجه خاصّ، قد يكون حواراً شيعياً كاثوليكياً، أو سنّياً أرثوذكسياً، أو غير ذلك من الفرضيات الثنائيّة الأخرى، كما أنّه قد يجمع جميع الأطياف سنّة وشيعة وكاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت في الآن ذاته، وهذا هو الحوار الإسلامي المسيحي في صورته المتكاملة، والذي قد يكون كذلك ذا شكل فرديّ أو ثنائيّ أو جماعيّ.

المطلب الرابع: الفاعليّة في الحوار.

يوحي مصطلح الفاعليّة في الحوار -منذ الوهلة الأولى- بالجدّيّة والنّشاط الكبير، والاهتمام بالمسألة الحوارية، وإعطائها أولويّة ومكانة معتبرة، حتّى لا تكون هذه القضية قضية ثانوية لا تُثار إلّا للتّرفّ الفكريّ والمرح العقلي، خاصّة وأنّ الحوار الإسلامي المسيحي تجري وقائعه بين أتباع ديانتين كبيرتين متواجدين في شتى بقاع العالم، إذ أنّ من غير المعقول أن يُتخذ الحوار بينهما مجرد محطة عابرة، أو مطيّة للعبور منها إلى ولوج عالم الشّهرة وتحقيق بعض الأغراض الشّخصيّة من خلالها.

وانطلاقاً من هذا المبدأ يدعو فضل الله إلى نبذ الحوار الاستهلاكي، لأنّ مثل هذا النوع من الحوار لا يُجدي نفعاً ولا فائدة تُرجى منه؛ فهو وعدمه سواء، ف"الكثير يتحدّثون عن الحوار الإسلامي المسيحي في إطار الواقع الإسلامي والمسيحي بطريقة استهلاكيّة، ولذلك لم يصل المتحدّثون إلى أيّة نتيجة، وبقي الحديث من يحاور من؟، ومن هي الجهة الصّالحة للحوار هنا والجهة الصّالحة للحوار هناك"¹ ممّا يجعل هذا الحديث أو الحوار يدور في حلقة مفرغة من دون أيّة فائدة تُذكر.

ويرى أيضاً، أنّ مشكلة هذا الحوار أنّه انطلق في أسواقٍ استهلاكيّة تتحرّك على سطح الفكر في الحياة الفكرية، وعلى هامش السياسة في الحياة السياسيّة، فقد أصبح الحوار لا يُطرح من أجل أن يصل إلى الحقيقة في العمق، ولكن من أجل أن يثير نوعاً من الجِدّة في أجواء الفكر، ويحرّك شيئاً من اللعبة في أجواء السياسة، ويتحرّك بمعانيه المحبّبة والمفتحة ليخطو بعض الخطوات، ثمّ ينغلق على نفسه بلا فائدة ولا ثمرة

¹ - محمد حسين فضل الله: حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، مصدر سابق، ص341.

ولا جدوى، بعد أن تكون السّاحات التي تحرك فيها، والخلفيات التي انطلق منها، والمواضيع التي أُقيم لأجل مناقشتها، والأهداف التي سَطّرت له؛ لا تسمح بالانفتاح على الواقع كلّ¹.

ويؤكد على هذا الأمر تأكيداً جازماً، عندما يكون متعلّقاً بالحوار بين الأديان، فيقول:

"نحن نشجّع الحوار بين الأديان، ولكن نعتقد أنّ هذه المؤتمرات التي يلتقي فيها أهل الأديان لا تمثل إلاّ مؤتمرات احتفاليّة، لا تغيّر شيئاً من طبيعة الواقع الذي يعيشه أهل هذا الدّين ضدّ أهل الدّين الآخر، وهذا ما نلاحظه الآن في الواقع؛ ذلك أنّ غالبية المؤتمرات لا تنطلق من أسس علميّة موضوعيّة، بحيث يحاول المؤمنون أن يدرسوا حقائق هذا الدّين وذاك الدّين، وأن يعمل كلّ فريق على أن يُقنع الفريق الآخر بوجهة نظره وما إلى ذلك، ولكن على كلّ حال، فهذا شيء جيّد بحدّ ذاته، ولكنه لا يحقق أيّة نتيجة واقعيّة"².

لأجل هذا، يتغي فضل الله حواراً جاداً حُرّاً، لا يكون لعبة بيد السّياسيين من المسلمين والمسيحيين، موجّهاً لأغراض ذاتيّة، بل حواراً فعّالاً عقليّاً حياديّاً، نابعاً من إرادة المتحاورين ذاتهم، وفي ذلك يقول:

"لهذا لا نريد لكلمة الحوار أن تُستهلك في الواقع السّياسي، بل أن تتحرّك في جوّ عقلايّيّ يكون حياديّاً حتّى مع الفكر الذي يلتزمه المحاور، من حقّك أن تلتزم فكرك وتؤكد قناعتك، ولكن أن تطرح فكرك في ساحة الحوار، لا بدّ لك أن تكون مُحياداً بين فكرك والفكر الآخر، أن تعمل على أن تعزل ذاتك عن فكرك، حتّى لا تكون هناك ذات تُصارع ذاتاً، بل فكرٌ يصارع فكرًا، وتكون الدّات مجرد منطلقات للفكر دون أن تعيش فيه وفي ملامحه وأجوائه"³.

هكذا فقط، يمكن للحوار أن يتحرّك في خطّ متوازي بين الأطراف المتحاورّة، ويكون ذا صيرورة واقعيّة تخدم تلك الأطراف جميعاً، وتتماشى مع مصالحها على حدّ السّواء، فلا يكون حواراً استهلاكيّاً، تنحاز فيه الغلبة لطرفٍ دون آخر أو لمجموعة دون أخرى كذلك، بل إنّ الجميع سواسيّة على طاولة الحوار، ما داموا يمتلكون نفس المؤهّلات والمقوّمات والقدرات العقليّة والفكريّة.

وهذا هو الحوار الموضوعي الذي يفرضُ على المسلمين والمسيحيين معاً؛ الانطلاق في أن يجتهد كلّ منهما في دراسة كلّ ما يتعلّق بالطرف الآخر، في الدّيانة والفكر والاجتماع والسّياسة والثّقافة؛ دراسة وافيّة

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص22.

² - محمّد حسين فضل الله: موسوعة التّدوّة، مصدر سابق، ج20، ص463.

³ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السّابق، ص22.

شاملة ودقيقة، حتى يتسنى له الإطلاع بل المعرفة بالفكر المقابل الذي يمثل صاحبه الطرف الآخر في الحوار.¹

أيضاً، وبخصوص هذا الأمر، يتوجب على طرفي الحوار التعرف على الفكرة التي ينطلقان منها في طريق إثباتها أو نفيها، لأن الجهل بها وبتفاصيلها، يحول الحوار إلى أسلوب من أساليب الشتائم والمهاترات، التي يغطي بها كل منهما ضعفه وعجزه عن الوقوف موقف المدافع والقوي عن فكرته، بينما تجعل المعرفة كلاً منهما واعياً لما يطرح وما يستقبل من فكر، مما يجعله يعرف كيف يبدأ الحوار، وكيف يخوض فيه، وكيف ينتهي منه، في وضوح الرؤية وهدوء الفكر وقوة الحجّة ووداعة الكلمة،² حتى لا يكون الحوار بين أتباع هاتين الديانتين مجرد لقاءات عابرة لا تسمن ولا تغني من جوع، ولئلا يكون عقد اللقاءات الحوارية بينهما متساوٍ مع عدمه؛ لا يحقق غرضاً مشتركاً ولا يداوي جرحاً ولا يُقي على أمل.

ومن هنا دعا الرجل إلى حوارٍ فكريّ علمي موضوعي بين الطرفين، تحقيقاً لما سبق وصفه من أهداف، وإحياءً للأمال والأمان المتعلّقة بهذا الحوار، فقال:

"وإذا كنا نريد أن نطلق بالمسيحية والإسلام كفكرين مختلفان في المفاهيم، فإننا نجد أنّ الحوار الفكري العلمي الموضوعي بين المسيحية والإسلام، يمكن أن يتحرك في المؤتمرات العلمية والثقافية على أساس الموضوعية التي تبحث عن نقاط اللقاء التي تتفق عليها، وعن نقاط الخلاف لتتجاوز فيها؛ لأنّ قضية أن تُفنع إنساناً بأيّ فكر لا بدّ أن تحرك له الفكر بطريقة منهجية ليدخل إلى عقله أو ليدخل إلى قلبه، وسنكتشف إذا استطعنا أن نتحرك بالحوار الإسلامي-المسيحي بطريقة موضوعية لا بطريقة استعراضية إعلامية، كما نفع في لبنان، فإننا سنكتشف أنّ مسألة القيمة الإنسانية وأنّ مسألة القيمة الحياتية تلتقي في المسيحية والإسلام بنسبة ثمانين بالمائة، قد تختلف في بعض تفاصيل القيمة هنا وبعض تفاصيل القيمة هناك، ولكننا إذا فهمناها فهماً حقيقياً عميقاً فإننا نجد أنّه ليس هناك اختلاف في القيمة"³، وهو أمر يجرّ إلى التعاون والتفاهم والتجاوز والتعايش بين هؤلاء وهؤلاء، وهو الشيء المطلوب من الحوار الإسلامي المسيحي تحقيقه في العالم المعاصر.

وإذا تمّ الحوار على هذه الشاكلة، وبذو الطريقة، فإنّه بلا شكّ سوف يؤتي ثماره المرجوة منه، ومن الممكن إذا ما تمّ كذلك؛ أن يجتذب المسلمون بعض المسيحيين إلى دائرتهم الفكرية والدينية، أو يجتذب

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص و.

² - محمد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-، مصدر سابق، ص 80-81.

³ - محمد حسين فضل الله: الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركة اللقاء، مصدر سابق، ص 20-21.

المسيحيون بعض المسلمين إلى دائرتهم الفكرية والدينية بطريقة أو بأخرى، بغض النظر عن شرعية هذه الطرق وعقلانيتها وموضوعيتها، كما أنّ جدوى هذا الحوار والقائم على الأسس السابقة، سوف يجذب إليه الأجيال الجديدة المتحررة من الرواسب التاريخية القاسية، ومن الجمود الفكري والحقد الثقافي والتوتر السياسي؛ هذه الرواسب هي التي يجب القضاء عليها وإزالتها من الذاكرة الإسلامية المسيحية، حتى يتحوّل الحوار بينهما إلى ساحة واسعة يتنفس فيها الجميع بالهواء الطلق، ويلتقي فيها الجميع على الكلمة سواء، ليكون الحلّ منطلقاً من هذه الكلمة لا من كلمة الخلاف.¹

فالحوار الذي يتمّ في أجواء حميمية أخوية بعيدة عن التعصّب والتطرّف؛ هو الحوار الذي يمكنه فقط تحقيق أهداف سامية ونبيلة تخدم أطرافه، وتُذلل الصعوبات والعوائق التي يمكن أن تعترضهم في الحاضر والمستقبل، وبالتالي فإنّ الدعوة إلى إقامة حوار حقيقيّ جدّي وفعال ونبذ الحوار الاستهلاكي الذي يُمرّر كمشروع سياسي أو ترفيهي من أجل خدمة بعض الأغراض الذاتية؛ هي دعوة صادقة تحتاج إلى الالتفاف حولها والوقوف في صفّها، لذلك جعلها فضل الله ضابطاً من ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي، وقاعدة من قواعده الأساسية حفاظاً على الصيرورة الحسنة للحوار الكائن بين المسلمين والمسيحيين.

المطلب الخامس: الابتعاد عن الذاتية وتجنّب الانفعالية.

الافتخار بالذات ونسب كلّ أمر محمود أو عظيم إليها، وتنزيهها عن الغلط والخطأ، وكذا الانفعال الحماسي الذي يصدر عن بعض الناس؛ كلاهما من القضايا المذمومة والأمور المستهجنة بصفة عامة في الفكر البشري، وبصفة خاصة عند تعلّقها بقضية الحوار؛ إذ يتطلّب هذا الأخير جواً من الهدوء والسكينة والوقار للتمكّن فيه من معالجة المواضيع المطروحة للنقاش بشكل سلس، كما يتطلّب جانباً من الموضوعية، تتساوى فيه الأطراف على الطاولة الواحدة وتتقاسم معاً الآراء والأفكار بطريقة متكافئة، لذلك أدرج هذان الشرطان معاً كضابطين من ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي لدى فضل الله.

أولاً- الابتعاد عن الذاتية: فأما هذا الشرط والمتمثّل في الابتعاد عن الذاتية والغرور النفسي والرجسية؛ فإنّه منهج إسلامي للحوار مع الآخر، ينطلق من التخلّي كلياً عن الذاتية في المضمون الفكري أثناء عملية التّحاور، خلافاً للقاعدة المتبعة في المنهج العلمي للحوار المنطلق من مقولة: "رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب"، وذلك تأسيساً على آية قرآنية يقول الله عزّ وجلّ فيها: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ (سبأ: 24)؛ إذ أنّ المحاور هنا لم يطرح صوابية فكره وخطأ

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 29، 35-36.

الفكر الآخر، على أساس القناعة القويّة لديه، بل على أساس فكرة مطروحة يتساوى احتمال الخطأ والصّواب في طبيعتها الواقعيّة، كما تتساوى صفة الهدى والضلال عند الجانبين على حدّ السواء من النّاحيتين الإيجابيّة والسّلبيّة، بحيث لا يبقى للدّاتيّة معنى في هذا المقام، بل تكون الموضوعيّة هي الهدف المنشود؛ بما أنّها ذات منحى حيادي يطلب الحقيقة أينما كانت من دون تعقيد ولا تحويل،¹ وفي هذا مناقضة للدّاتيّة الشّخصيّة التي تنشأ الانتصار للرغبات الفرديّة على حساب المصلحة الجماعيّة أو الضّمير الجمعي؛ ممّا يقلّل من الحظوظ الإيجابيّة لنجاح العمليّة الحواريّة.

لذلك - في الآية السّابقة - أراد الله لنبيّه أن يستخدم هذا المنهج المبيّن في هذه الآية في حوار مع الكافرين والمشركين، بالابتعاد عن الجانب الدّاتي في الحوار، لأنّ الحالة الدّاتيّة قد تخلّق بعض المشاعر السّلبيّة في مناخ الحوار، فكأنّ سياق الآية يقول: قد أكون أنا على ضلال وقد أكون على هدى، وقد تكون أنت على ضلال وأنا على هدى؛ إذن أنا وأنت نفقد الجزم بالحقيقة دون دليل وبرهان، فهناك حقيقة ضائعة بيننا، فهيّا تترافق في رحلة البحث عن الحقيقة من خلال الحوار، فليس هناك ذاتٌ تمثّل حاجزاً أمام حركة الفكرة في الحوار، بل هناك فكرة تواجه فكرة من دون أن تدخل الدّات في هذه المسألة.²

وتكمن قيمة هذا الأسلوب في أنّه يعتمد على تفرّغ الموقف من الأفكار المسبقة التي قد تحوّل إلى عقدة تفرض نفسها على كلّ مواطن الحوار، وتشكّل حاجزاً يمنع الأطراف المتحاورة من الشّعور بحريّة الحركة فيما يقبلون أو يرفضون، المهمّ هو أن يكون الشكّ موقفاً مشتركاً أو نقطة جامعة بين الطّرفين، بحيث يوحي لكلّ منهما بضرورة إعادة النّظر في الفكرة المطروحة، ومحاولة مواجهتها من جديد كما واجهها من قبل، إذ ليس هناك حكمٌ مسبق من أيّ الطّرفين على خصمه بالهدى والضلال أو بالصّواب والخطأ، بل هو الموقف المشترك الذي يريد الحقيقة من خلال الحوار الإيجابي القائم على الوعي والشّعور العميق بالحاجة إلى الوقوف مع خطّ الحقيقة أيّاً كانت النتائج والنّهات.³

على أنّ هناك صورة أخرى لهذا الأسلوب؛ تتمثّل في مخاطبة الآخر بالقناعة الفكرية، وذلك بتقديم الأدلّة والبراهين والحجج القاطعة، لكن بشرط أن يبقى فيها مجالٌ لرأي الطّرف الآخر بغية إيراد أدلّته وحججه وبراهينه هو كذلك، والتي قد تتغلّب على أدلّة وبراهين الفكرة الأساسيّة؛ فتغدو فكرته هي الفكرة

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 18-19.

² - منى سكريه: السيّد محمد حسين فضل الله عن سنوات ومواقف وشخصيات - هكذا تحدّث... هكذا قال -، ط2، المركز الإسلامي الثّقافي، لبنان، دت، ص 29.

³ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص 19.

الصّحيحة ورأيه هو الرّأي الأصوب، وفي هذا تجريد للمواقف من التعصّب والتّزمّت والتّحجّر على فكرة واحدة أو رأي واحد، وهكذا تخضع تلك المواقف للتّحدّي كما يُتحدّى بها هي أيضاً، كلّما كان البرهان أو الدليل حاضراً، قال تعالى: ﴿ قُلْ فَأَتُوا بِكُتُبٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَن تَتَّبِعُنَّ مَا كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (القصص: 49)، فالرسول ﷺ في هذه الآية يطّلب من هؤلاء المعاندين الإتيان بكتاب آخر يمتلك الحقيقة أحقّ بالإتباع ممّا هو عنده، وجماع ذلك كلّهُ؛ أنّ هناك حقيقة يجب أن تُتبع، فأينما وجدت هذه الحقيقة كانت هي الهدف والغاية، دون أيّ اعتبار لعقد ذاتية ومشاعر عاطفية.¹

وهذا أمرٌ ضروريٌّ لإقامة أيّ حوار عادل وموضوعي، لا تكون فيه الغلبة لطرف على حساب الآخر، فيستحوذ على زمام الموقف بحجّة امتلاك ناصية الحقيقة، ويكون هو سيّد القرار ما دام أنّه قد نجح في إقضاء الطرف الآخر، وليس هذا من الموضوعية والعدل في شيء، بل إنّ الموضوعية تقتضي مشاركة الجميع في طرح وجهات النظر والإدلاء بجميع الآراء، ومن ثمّ التعاون على تقرير النتائج وتثبيت القرارات المستوحاة من هذا الحوار الموضوعي القائم على شرط المساواة بين جميع أطرافه.

ثانياً- تجنب الانفعالية: إنّ هذا الشّطر الثّاني من هذا الضّابط والمتمثّل في تجنّب الانفعال أثناء التّحاور مع الآخر؛ هو أيضاً ضابطٌ مهمٌّ وشرطٌ أساسيٌّ في هذا الشّأن، "فالمحاوِر عليه أن يُقبِل بوجهه على مَنْ يحاوره، ويوضّح الألفاظ بصوتٍ مناسب، لا هو بخافتٍ لا يكاد يسمع، ولا هو بمرتفع مؤذّي"،² ويتبع هذا الابتعاد عن التّصرّفات الانفعاليّة الحماسيّة، وضرورة التّقيّد بالسّكينة والوقار والاطمئنان وغيرها من مواصفات الهدوء التي ينبغي التّحلّي بها أثناء الحوار، لئلاّ يتحوّل إلى نقاش حادّ يُفقدُه قيمته وهيبته.

ويقرّر فضل الله هذه الحقيقة قائلاً:

"وفي أجواء الحديث عن الحوار في الإسلام، لا بدّ من تذكير بعض الإسلاميين الذين يتّخذون الانفعال أساساً في حوارهم مع الغير؛ أنّ الأساليب الانفعاليّة ليست من الإسلام في شيء، ثمّ تذكير غير الإسلاميين؛ أنّ الإسلام ليس ديناً يتحرّك في الأجواء البعيدة عن حركة العقل وروحيّة العلم، فالعنف ليس هو سبيل الإسلام ومن يلتزمونه، ولكنّ الموضوعية والعقلانيّة والجدال بالتي هي أحسن، والأسلوب الأفضل والجرؤ الأهدأ...؛ هي المفردات التي يتمسّك بها المحاور الإسلامي في المسألة الثقافيّة، وفي الأجواء الهادئة التي

¹ - معن محمود عثمان ضمرة: الحوار في القرآن الكريم (رسالة ماجستير مخطوطة)، كليّة الدّراسات العليا، جامعة التّجّاح الوطنيّة، نابلس، فلسطين، 2005م، ص138.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص20.

تسود فيها الثقة والاحترام، أمّا إذا كانت ساحة الحوار ساحة عُنف وإلغاء واتّهامات وتشويه وكلمات غير مسؤولة؛ فإنّ من حقّ الإسلاميين وغيرهم أن يبحثوا عن الأسلوب المناسب الذي يدافعون به عن أنفسهم، ليكون العُنف لمن يفرض العُنف، وليكون الرّفق هو الأصل والقاعدة في حركة الفكر والواقع في الحياة كلّها ومع الإنسان كلّهُ".¹

تتجلّى في هذه الكلمات صورة الحوار الموضوعي القائم على المصدقيّة والأسلوب الرقيق الذي تُتبادل من خلاله الأفكار والآراء بشكل مقبول؛ فهي تنبذ العُنف والانفعال والعدوان، وتنشد السّلم والهدوء والعدل، وذلك بوضع المفردات في موضعها المناسب، والتّعامل مع الأحداث والمواقف بما يليق بها، وفي هذا نظيرٌ فكريّ وعلميّ لحوار ناجح ورشيد، لذلك وإضافة لما سبق، يدعو لفضل الله إلى خلق الأجواء الهادئة المناسبة للحوار، فيقول:

"علّ من أشدّ الأمور ضرورة لوصول الحوار إلى هدفه؛ وجود الأجواء الهادئة للتّفكير الدّاتي، الذي يمثّل فيه الإنسان نفسه وفكره، والابتعاد عن الأجواء الانفعاليّة التي تعيق الإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنّه قد يخضع في قناعاته وأفكاره للجموع الاجتماعي الذي تنطلق فيه الجماعة في أجواء انفعاليّة حماسيّة لتأييد فكرة معيّنة، أو رفض أخرى، فيستسلم الإنسان لها استسلامًا لا شعوريًا، كنتيجة طبيعيّة لانصهاره بالجموع العام وذوبانه فيه، الأمر الذي يفقد فيه استقلاله الفكري وشخصيته المميّزة، وتُحيله ظلًا باهتًا للجماعة".²

فبين الهدوء والانفعال؛ صيغت هذه الكلمة داعيّة إلى الفكرة الأولى ومنوّهة بها، ومحدّرة من الفكرة الثّانيّة ونهايّة عنها، على أن لا تجتمعان في الآن نفسه، حتّى تتخلّق من ذلك الأجواء المناسبة للحوار.

وبين هذين التّقويضين، وبناء على هذه التّظيرة أو الرّؤية الازدواجيّة يميّز فضل الله بين أسلوبين من أساليب الحوار في القرآن:³

1 - أسلوب العُنف الذي ينطلق في مواجهة الخصم بأشدّ الكلمات وأقساها، بحيث يتركّز الاهتمام على كلّ ما يساهم في إيلاّمه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، والتّكلم معه انطلاقًا من

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 20-21.

² - محمّد حسين فضل الله: الحوار في القرآن - قواعده، أساليبه، معطياته-، مصدر سابق، ص 75.

³ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السّابق، ص 16-17.

فهم واقعه والإحاطة بظروفه، بل التّحدّي هو الأساس في ممارسة هذا الأسلوب؛ الذي لا يؤدّي في التّهيّة إلى إنتاج مجموعة من الحوارات السّلبيّة، نذكر منها:¹

- أ- الحوار العدمي التّعجيزي. ب- حوار إثبات الدّات. ج- الحوار الإزدواجي. د- الحوار السّلطوي.
ه- الحوار السّطحي. و- الحوار المعاكس. ز- حوار العدوان السّلي (صمت العناد والتّجاهل).

2- أسلوب اللّا عنف أو الأسلوب السّلمي الذي يركّز على اللين والمحبة أساسًا في الصّراع، انطلاقًا من القاعدة الإسلاميّة التي تعتبر موضوع الصّراع بمختلف مستوياته ومجالاته؛ وسيلة من وسائل الحركة المنفتحة للوصول إلى الهدف المنشود؛ الهدف الذي تختصره كلمات الإيمان بالحقّ والوقوف معه، والعمل على حشد أكبر عدد ممكن من الناس للارتباط به والانسجام معه.

ولا شكّ أنّ هناك فرقًا كبيرًا بين هذين الأسلوبين وبؤنّا شاسعًا أيضًا؛ فإذا كان الأسلوب الأول لا يزيد الأمر أو العلاقات إلّا سوء وبُغضًا وحقّدًا وتنافرًا بين الطّرفين المتحاورين، فإنّ الثّاني لا يزيدهما إلّا تصالحًا ومودّة وقربًا وتفاهمًا وتكافلاً بينهما في شتى المجالات، وبذلك يكون هو الأسلوب الأنجع والأكثر واقعيّة ونفعًا لنجاح العمليّة الحواريّة والعلاقات الإنسانيّة.

* هذه هي أهمّ الضّوابط المتعلّقة بالحوار الإسلامي المسيحي في نظر محمّد حسين فضل الله، والتي يمكن من خلال الاحتكام إليها وتطبيقها؛ إقامة حوار فعّال بين المسلمين والمسيحيين، والملاحظ عليها أنّها في معظمها مستمدّة من أصول قرآنيّة، كما أنّها تمتاز بالموضوعيّة والعلميّة، وبالتّالي فهي عبارة عن آداب وشروط إسلاميّة عامّة من الواجب توافرها أو حضورها أثناء جريان عمليّة التّحاور، كي لا يكون الحوار مجرد لقاء عابر لا فائدة ترجى منه، أو يخرج تمامًا عن نطاقه المخصّص له، وحتىّ نتبيّن مدى موافقة فضل الله أو مخالفته لموريس بورمانس في هذا المجال، فإنّ ذلك يتطلّب منّا الحديث عن ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي عند هذا الأخير؛ الأمر الذي سأورده في المبحث الموالي.

¹ - مريم آيت أحمد: جدلية الحوار - قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر -، ط1، منشورات مجلّة علوم التّربيّة، العدد24، 2011م، ص70-69.

المبحث الثاني: الضوابط عند موريس بورمانس.

موريس بورمانس كما فضل الله، جعل للحوار الإسلامي المسيحي ضوابط يجتكم إليها ويخضع لها، حتى يتم في شكلٍ ناضج وصورة حقيقية تعبر عن مستوى المتحاورين من الطرفين، وكوي يرقى إلى قضية لها شأنها ووزنها على جميع الأصعدة، واحتكام المسلمين والمسيحيين إلى هذه الشروط والضوابط أثناء العملية الحوارية، يقودهم إلى مناقشة المسائل المطروحة للنقاش في قالب موضوعي رصين يحقق لهم المآرب والمقاصد، لذلك ارتأى بورمانس صياغتها وتنظيرها، فما هي هذه الضوابط في نظره؟، وكيف يمكن للحوار الإسلامي المسيحي أن يستفيد منها أو يوظفها في إطاره العام؟.

المطلب الأول: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي.

إنّ تحديد المفهوم بشكل دقيق؛ أمرٌ لا بدّ منه كما تمّ تقريره آنفًا، خاصّة لما يتعلّق الأمر بموضوع متشعب وحساس كموضوع الحوار الإسلامي المسيحي، وهذا حتى تُضبط التقاط والمحاور التي يدور في فلكها هذا الحوار، لئلا يخرج أو يُجاد به عن نطاقه المرسوم له.

وقد أدرك بورمانس هذه الحقيقة الأساسية، فطفق يعطي تصوّرًا شاملا للحوار الإسلامي المسيحي بطريقة متفردة جامعة، أو يمكن القول أنه قرّر ذلك وأورده بشكل غير مباشر، لأنّه ربّما كان من البدهي في قرارة نفسه عدم توظيف المفهوم المباشر لهذا المصطلح، إذ أنّ ذلك أمرٌ معروف عند المختصين في هذا الشأن، كما أنّ القيام بإيراد المفهوم هو تكرارٌ للمعلومات والمعارف المركوزة منذ زمنٍ في المدارك والأفهام، لأجل هذا كلّه عدّد الرّجل صورًا عديدة للحوار الذي يمكن أن يجري بين المسلمين والمسيحيين، كلّ منها هي بمثابة مفهوم قائم بذاته لهذا الحوار، من ذلك:

- اعتبار الحوار بصفتيه العامة والخاصّة؛ أي حوار الأديان الشّامل، والحوار الإسلامي المسيحي الجزئي، اعتباره اليوم أو في الوقت الحالي الرّاهن؛ الإطار العام لجميع اللقاءات بين البشر وخاصّة أتباع الأديان السّماوية، الذين مازالوا يتساءلون عن مصير الإنسان في مختلف الأديان عبر التّاريخ، كي تُصبح نظرهم إلى خلاص البشريّة نظرة شاملة جامعة كاملة،¹ وهذا من قبيل تعريف الحوار الإسلامي المسيحي باعتبار شكله أو صورته التي يتمثل بها في غالب الأحيان؛ إذ أنّه عبارة عن لقاء يتم بين مسلمين ومسيحيين، وكذلك

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، ضمن كتاب: مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي، مصدر سابق، ص 129-130.

تعريفًا له من خلال الدور الفعّال الذي يؤديه في العصر الرّاهن، والمتمثّل في الإجابة عن بعض الإشكاليات الواردة من هنا وهناك.

- كذلك يقتضي مفهوم الحوار استثمار التعدّدية الدّينيّة الكائنة في هذا العالم، وكذا استثمار الأيديولوجيات والثّقافات المتعدّدة، وكذا الاختلاف الحاصل بين جميع هذه الأطياف؛ استثمار جميع ذلك في إمكانيّة التّلاقي والتّفاهم والتّعاون والتّحاور، إحلالاً للعلاقات السّلميّة والتّعامل الإيجابي، بدل أن تكون تلك الاختلافات سببًا في التّنابد والصّراعات والنّزاعات الأليمة التي حدث شيء منها فيما قبل، لذلك وجب إيجاد أو خلق سبيل عديدة للتّلاقي والتّعايش، لأنّ هذا التّنوّع له مظاهر إيجابيّة ودلالات مقصودة، والحوار العميق والجريء بين المسلمين والمسيحيين واليهود هو وحده القادر على أن يقود الجميع إلى معرفة أسباب اختلافهم والسّبيل المؤدّي إلى تلافيتهم.¹

ولا شكّ أنّ هذا التّنوّع أو الاختلاف البشري من النّاحية الدّينيّة والأيديولوجيّة الذي نصّ عليه بورمانس، له دور كبير في توجيه كثير من العلاقات الإنسانيّة، ويجب أن يُفهم هذا الاختلاف أو ذاك التّنوّع فهمًا صحيحًا حتّى تتمّ الاستفادة منه، فيكون عامل جمع الشّمل والالتقاء، بدل أن يكون معول هدم وتفريق، وهذا هو ما نصّت عليه آية سورة الحجرات الدّاعيّة إلى حقيقة محوريّة تُستفاد من خلق النّاس وجعلهم شعوبًا وقبائل؛ هي التّعارف والتّنافس فيما بينهم إحياءً لحركة التّاريخ والواقع، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْضَلُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات: 13).

- أيضًا، وفي سبيل إعداد مفهوم شامل للحوار الإسلامي المسيحي، يركّز بورمانس على نقطة مهمّة، وهي مسألة العلاقات التّاريخيّة بين المسلمين والمسيحيين، على أنّها سبيل حقيقيّ للحوار إذا ما تمّ فهمها بشكلٍ صحيح، فيقول:

"إنّ الذين يدينون بالإسلام والذين يتّبعون يسوع يتساءلون اليوم عمّا كان لمسيرهم معًا على الطّريق من الأشكال المتنوّعة، طوال أربعة عشر قرنًا من التّاريخ المضطرب، إنّ الله يدعوهم اليوم إلى استخلاص العبر من ذلك، ليعرفوا على وجه أفضل، بلا ريب، أنّ سبيل الحوار قد تصل بهم غدًا إلى شهادة أنصع، وتعاون أخلص، في خدمة الله لمصلحة النّاس وخير العالم، وهذه الفصول إنّما كتبت لتساعد المسيحيين ولاسيما الكاثوليك على ذلك، فقد دعاهم المجمع الفاتيكاني الثّاني إلى العودة لما تقتضيه رسالة الحوار الصّحيح،

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 18.

فيكون تقبلاً للآخر، وحديثاً عن الإيمان، ومشاركة في القيم، ولضمان هذه المرامي المجددة للحوار الذي كان قائماً على مرّ العصور في الأوضاع التاريخية والحالات الشخصية الأشدّ تنوعاً...".¹

وهذا مفهوم واسع للحوار الإسلامي المسيحي، إذ أنه يشمل العلاقات الاجتماعية والتاريخية والثقافية والروحية والدينية التي تجمع بين المسلمين والمسيحيين، باعتبار أنّهما أمتان متجاورتان، تمثلان كيانين دينيين كبيرين، ومن شأن ذلك أن يمهد الطريق لهما للتّحاور فيما بينهما ويحقق لهما أيضاً التفاهم والتّعايش في أرقى صورته.

ثمّ ينتقل بورمانس إلى تقديم مفاهيم أخرى للحوار الإسلامي المسيحي غير مباشرة، فأحياناً يعرفه من خلال التّطرّق لأساليبه، وأحياناً بذكر بعض أهدافه، فمن الأوّل قوله:

"ويتحدّث الكثيرون عن الحوار دون أن يدركوا ما له من مقتضيات وأساليب، ومن الثّابت أنّ الحوار الحقيقي الذي يتخطّى مواقف النهج التّوفيقي العملي السّهل المساوي بين جميع الأديان، ويتجاوز المماحكة المتصلّبة القائلة باستحالة تلاقحها في يوم من الأيام، إنّما هو المغامرة الجريئة التي يقوم بها من يريدون الاعتناء بما يميّزهم من فوارق، والاتّحاد فيما يجمع بينهم من قيم، وتلبية نداءات الرّب التي يسمعونها في صميم ضمائرهم، ولا شكّ أنّ للمسيحيين والمسلمين في شأن تلاقحهم وحوارهم؛ مواقف ومفاهيم شتى، وذلك طبيعيّ لأنّهم مختلفون...".²

ومن الثّاني قوله:

"والحوار في جوهره يهدف إلى تعزيز التّعاون بين الجميع، وجعلهم يتعمّقون في عقيدتهم وتراثهم الدّيني، وإلى تنشيط التماسهم لمشية الله وحدها، ورجوع كلّ منهم إلى الرّب الذي يخاطبه، ويغفر له، ويغيّر ما فيه إلى الأفضل، فلا يسوغ إذن، على الإطلاق، أن تكون غاية الحوار سعياً المحاور إلى اجتذاب الآخر إلى دينه بأيّ ثمن، أو حملته على الشكّ في الإيمان الذي يعتقد به، بل على العكس، يعتزم المؤمنون في تنافس روحيّ وتسابق مقدّس... أن يتعاونوا على استباق أنفسهم فيصيروا خيراً ممّا هم عليه، في سياق ما دعاهم الله إليه، ليزدادوا قُرْباً منه، ويزيدوا من وزن الخير في العالم".³

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 19.

² - المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

³ - المصدر نفسه، ص 20.

إنّ الملاحظ على هذا المفهوم أو القول الأخير؛ أنّه يندد بأن يتخذ الحوار مطية للتبشير أو الدّعوة، بل من الأفضل استثماره في تعميق الإيمان، كلٌّ وفق الدّيانة التي ينتمي إليها، ثمّ التعاون والمشاركة إلى فعل الخيرات والإحسان، وغير ذلك من القيم الروحيّة والأخلاقيّة السّامية.

المطلب الثاني: هوية المتحاورين.

من المعروف بدهشة أنّ الحوار الإسلامي المسيحي لا يتمّ إلاّ بوجود أطراف أو أشخاص يديرونه، ولا شكّ أنّ جماعة المسلمين وكذا جماعة المسيحيين؛ هما طرفا هذه اللقاءات التي تُعقد بين الفريقين، إلاّ أنّه ومن المعروف أيضًا أنّ المسلمين وأيضًا المسيحيين، كلاهما طوائف متعدّدة وفرق كثيرة، يدلّ على ذلك حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "تفرّقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين، والنّصارى مثل ذلك، وستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة"¹، ويدلّ عليه كذلك الواقع الحالي الشّاهد على هذه الحقيقة الواضحة للعيان.

لكن إزاء هذا الأمر الواقع، وبما أنّ الحوار الإسلامي المسيحي من المفترض أن يشارك فيه مسلمون ومسيحيون شتّى، فهل معنى ذلك أنّ جميع الأطياف والفرق الإسلاميّة والمسيحيّة معنيّة بالمشاركة في هذا الحوار؟، أم أنّ هناك فريقًا خاصًا من الطرفين هو المعنيّ فقط بهذه القضية؟.

يجيب بورمانس عن ذلك، حينما يقرّر بأنّ جميع المسلمين والمسيحيين بمختلف فرقهم وطوائفهم وأطيافهم وجنسياتهم وفي كلّ مكان من العالم، مدعوون إلى المشاركة في الحوار الإسلامي المسيحي، كما أنّهم مدعوون إلى إقامة علاقات اقتصادية وثقافيّة وسياسيّة وطنيّة ودوليّة، فلا يقتصر الحوار على طائفة دون أخرى أو على مذهب دون غيره.²

وتبعًا لذلك، حدّد أطراف الحوار الإسلامي المسيحي في طرفين اثنين، هما؛ المسيحيون والمسلمون، وهو تقسيم منطقيّ؛ لأنّ هذين الفريقين هما المعنيان بالحوار مع بعضهما البعض.³

¹ - أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي: الجامع الكبير، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، حديث رقم (2640)، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م، مج4، ص381.

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص28.

³ - المصدر نفسه، ص23 وما بعدها.

أولاً- الطرف الأول؛ المسيحيون؛ كنائسهم وجماعاتهم.

يوجي هذا العنوان بالشمولية والعموم، إذ يدخل تحته ويندرج ضمنه جميع المسيحيين بمختلف طوائفهم وكنائسهم دون استثناء، فهم جميعاً معنيون بالحوار مع المسلمين، "وإذا كانت الجماعات المسيحية في الشرق الأوسط العربي، والإمبراطورية البيزنطية، والغرب الأوربي، قد اضطلعت وحدها في الظاهر ولمدة طويلة بمسؤولية الحوار مع المسلمين، فالأمر لم يعد كذلك اليوم، إنَّ المجمع الفاتيكاني الثاني الحديث، ومختلف مؤتمرات مجلس الكنائس العالمي، تشهد بوجود جماعات مسيحية في كلِّ مكان تسعى إلى تقارب مسكوني، أو تبحث عن اتحاد قانوني، ولذلك فالمسلمون والمسيحيون مستنهضون منذ الآن، وفي كلِّ مكان، إلى التلاقي والتصالح والتعاون".¹

وبناء على تقرير هذه الحقيقة، ودعماً لمسعاها، وتوضيحاً لمقصودها ومضمونها، ولأنَّ بورمانس ذكرها مختصرة ومقتضبة، وجب التعرّف على الفرق والطوائف والكنائس المسيحية، أو المذاهب الكبرى الموجودة آتياً* والتي قصدتها بورمانس بالمسألة الحوارية مع المسلمين؛ وهي الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت.**

1- الأرثوذكس (Eastern Orthodox Church): الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية اليونانية؛ هي إحدى الكنائس الرئيسية الثلاث في المسيحية، وقد انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية بشكل نهائي عام (1054م)، وتمثلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأنَّ روح القدس منبثق عن الأب وحده، على خلاف بينهم في طبيعة المسيح، وتُدعى أرثوذكسية لأنها مركبة من لفظتين يونانيتين "أرثوس"؛ وهي صفة لما هو قويم وسليم، و"ذكسا"؛ وهي اسم يدلّ على الرأى أو المعتقد

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص28.

* في الديانة المسيحية، هناك طوائف كثيرة قديمة وحديثة، حية وميتة، من غير الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت؛ منها: اليهودية المسيحية، والأبيونية، والدوكيتية، والمرقونية، والأريوسية أو الأريانية، والبولينية، واللوسيانية، والبربرانية، والأليانية، والمرمانيّة، والسابلانية، والنسطورية، واليعقوبية، والملكانية، والمونوفيزية... (نهاد خياطة: الفرق والمذاهب المسيحية منذ البدايات حتى ظهور الإسلام، دط، دار الأوائل، دمشق، سوريا، دت، ص74 وما بعدها، الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ج2، ص381 وما بعدها).

** بالإضافة على هذه الطوائف الثلاث الكبرى؛ هناك طوائف أو كنائس أخرى منبثقة عن المسيحية، منها: المورمون أو كنيسة يسوع المسيح لقدسي اليوم الآخر، وشهود يهوه، والموتية، والصهبوتية المسيحية الأصلية... (الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ج2، ص436 وما بعدها، وسعد رستم: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم -دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية-، ط2، دار الأوائل، دمشق، سوريا، 2005م، ص248 وما بعدها).

أو الفكر، فيكون المعنى: المعتقد القويم أو الرأي السليم، ويتركز أتباعها في المشرق،¹ وتضمّ أسرتين من الكنائس:²

أ- الكنائس الشّرقيّة غير الخلقيدونيّة التي رفضت قرارات مجمع خلقيدونيّة المنعقد عام (451م) وتمثّل في؛ الكنيسة الأرمنيّة، الكنيسة السّريانيّة في سوريا والهند، الكنيسة القبطيّة في مصر وأثيوبيا وأرتيريا.

ب- الكنائس الشّرقيّة الخلقيدونيّة التي قبلت قرارات مجمع خلقيدونية، وتضمّ؛ الكنائس الأربعة القديمة في القسطنطينيّة والاسكندريّة وأنطاكية والقدس، والكنائس الحديثة في روسيا ورومانيا وبلغاريا وصربيا وجورجيا، فضلا عن كنائس قبرص واليونان وألبانيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا وأمريكا.

2- الكاثوليك (Roman Catholic Church): الكاثوليك أو الكنيسة الرّومانيّة الغربيّة اللاتينيّة، أكبر الكنائس المسيحيّة في العالم، بل هي أمّ الكنائس أو الكنيسة الأمّ، وتعني كلمة أو لفظة كاثوليكي؛ العالمي، حيث تمثّل هذه الكنيسة أكبر تجمّع مسيحي في العالم، مقرّها الفاتيكان بروما الإيطاليّة، يتواجد أتباعها في أوربّا خاصّة في إيطاليا وفرنسا واسبانيا، وفي الأمريكيتين، وتمثّل في عدّة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها، ومن أبرز عقائدها القول بأنّ روح القدس منبثق عن الآب والابن معًا، ويقودها البابا -الحبر الأعظم- الوريث الشّرعي للمسيح وخليفة بطرس المؤسس الحقيقي لهذه الكنيسة، ويساعده في تصريف شؤون الكنيسة وإدارتها في العالم؛ بعض الإدارات والهيئات القضائيّة والإداريّة، يُطلق عليها اسم: كوريا رومانا (Curia Romana)، والتي تضمّ بعض المحاكم والسّفارات أو القنصليات البابويّة التي تصدر بيانات البابا الرّسميّة، وبعض الوظائف الوزاريّة؛ مثل: وزارة الخارجيّة الكارديناليّة للفاتيكان، ومجمع الكرادلة المقدّس (Sacred College Of cardinals)؛ الذي يعيّن البابا أعضائه الذين هم مستشاريه الرّئيسيين، وهم الذين تلقى على عاتقهم مهمّة انتخاب البابا وتعيينه قبل ذلك، وهو واحدٌ منهم.³

3- البروتستانت (Protestant): البروتستانت فرقة مسيحيّة، احتجّ أصحابها على الكنيسة الأمّ باسم الإنجيل والعقل، فالبروتستانت هم المحتجّون أو المعترضون على كلّ أمر يخالف الكتاب المقدّس، وتسمّى هذه الكنيسة أيضا بـ: الإنجيليّة؛ إذ يتبعون الإنجيل دون سواه، ويعتقدون أنّ لكلّ قادر الحقّ في فهمه وتفسيره، فالكُلّ -في نظرهم- متساوون ومسؤولون أمامه، وهي عبارة عن حركة إصلاحيّة بدأت في

¹ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، مج2، ص583.

² - سعد رستم: الفرق والمذاهب المسيحيّة منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم -دراسة تاريخيّة دينيّة سياسيّة اجتماعيّة-، مرجع سابق، ص48.

³ - المرجع نفسه، ص68-69، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، المرجع السابق، مج2، ص600.

الكنيسة الكاثوليكية في القرن السادس عشر للميلاد، متأثرة بدعوات الإصلاح السابقة لها، ومن ثم تحولت من حركة إصلاحية داخل الكنيسة إلى حركة عقائدية مستقلة ومناهضة لها، ومن أبرز مؤسسيها مارتن لوتر*، وتضمّ عدّة كنائس أو طوائف، منها: الكنيسة اللوثرية، والكنيسة المنهجية أو الميثودية، والكنائس المشيخية، والكنائس المصلحة، والحركة التطهريّة أو البيوريتانية، والمورمونية، وجماعة الأصدقاء، والحركة السوسياتية أو فرقة التوحيديين، وفرقة الأنابابتيست أو القائلون بتجديد المعمودية...¹

وهؤلاء جميعاً مسؤولون في كلّ مكان عن إنشاء علاقات جديدة مع الجماعات الإسلامية، كما أنّهم مدعوون للتكامل والتضامن فيما بينهم، من أجل بعث حركة الحوار مع المسلمين، والسعي إلى استطلاع الأبعاد الحالية للحوار الإسلامي المسيحي، بما يجمعهم من إيمان وعلاقات روحية وأخلاقية، ومبادئ مسيحية عليها يكون اجتماعهم واتحادهم.²

ثانياً- الطرف الثاني؛ المسلمون وطوائفهم.

المسلمون هم طرف الحوار الثاني، كما يرى بورمانس، وإذا كان المسيحيون معنيين جميعاً بالحوار مع المسلمين، فكذلك المسلمون على اختلاف أوطانهم وأعرافهم وأجناسهم وطوائفهم، معنيون بالحوار مع المسيحيين، وإذا كان المسلمون فرقة شتى وعديدة**، فإنّ بورمانس صنّفهم تصنيفاً خاصاً وفق عدّة معايير على النحو الآتي:

1 - تصنيف عرقي أو جنسي وجغرافي: وفي هذا التصنيف قسّمهم إلى عرب وغير عرب، فالعرب هم الأقلية؛ إذ لا يمثّل عددهم سوى نسبة 20% من عدد المسلمين، وغير العرب هم مسلمو الهند وباكستان

* مارتن لوتر (1483-1546م)، من أسرة فقيرة، كان ذا ميول دينية فعكف على دراسة اللاهوت، عيّن مدرّساً للفلسفة التي ظلّ عاكفاً على دراستها سنين طويلة، عُرف باستيائه من مفسد الكنيسة الكاثوليكية، وحركته الاحتجاجية المتمردة ضدّ الفساد الكنسي، خاصة فيما يتعلّق بصكوك الغفران التي انتقدها بشدّة، كما نادي بكثير من الأمور الأخرى المتعلقة بالإصلاح الديني، من كتبه: اليهود وأكاذيبهم، أصول التعليم المسيحي. (الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ج2، ص420-421).

¹ - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مرجع سابق، مج2، ص615، وسعد رستم: الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتّى اليوم، مرجع سابق، ص164 وما بعدها.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص28-29.

** عدّد علماء الفرق والمقالات كثيراً من الفرق المندرجة ضمن الدائرة الإسلامية؛ منها: الخوارج ومن فرقتها؛ المحكمة الأولى والأزارقة والتجدات والجماعة والصّرفية والإباضية...، الشّيعية ومن فرقتها؛ الغالية والزائفة والزيدية...، المعتزلة ومن فرقتها؛ الواسلية والتّظامية والجاحظية والهلالية، بالإضافة إلى فرق أخرى كالمرجئة والأشاعرة والماتريدية والأحمدية والقاديانية...، وغيرها من الفرق العديدة. (الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ج1، ص51 وما بعدها، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج1، ص47-106).

وبنغلاديش واندونيسيا والجمهوريات السوفياتية الآسيوية أو القفقازية، والصين وإيران وتركيا والبلقان ويوغسلافيا وإفريقيا السوداء...¹

2- **تصنيف عقائدي مذهبي:** ووفقاً لهذا التصنيف؛ قسّمهم إلى أهل السنة، والشيعية، والحوارج، والبهاية والأحمدية (هاتان الفرقتان غير معترف بهما من طرف المسلمين)، والإخوان المسلمون، وجماعة التبليغ...²

3- **تصنيف فكري ثنائي:** واستناداً لهذا المعيار، ينقسم المسلمون إلى مسلمين من البيئات الشعبية سواء كانوا من أصل الرّيف أو كانوا ينتمون إلى العالم الحديث، ومسلمين ذوي ثقافة دينية من سلفيين ومصلحين، ومسلمين عصريين ذوي الثقافتين؛ الأصلية والأجنبية أوروبية أو أمريكية، ومسلمين أصوليين متشددين، الذين يتغون تطبيق الإسلام في جميع ميادين الحياة العامة والخاصة...³

إنّ هذه الطوائف والاتجاهات الإسلامية جميعها، بإمكانها إقامة حوار مع المسيحيين، لكن على تفاوت بينها في درجة التحفّز والرغبة في هذا الحوار، أو أنّهم ليسوا سواء في ذلك، فعلى سبيل المثال، نجد المسلمين المنتمين إلى البيئات الشعبية الرّيفية التقليديين هم أول المرخّبين بالحوار مع الطرف المسيحي، لما لهم من صفات لم تتوفّر في غيرهم، وهذا ما أكّده بورمانس قائلاً بعدما بيّن ماهيتهم:

"هؤلاء المسلمون الصّامتون العديدون، سواء ارتبطوا بتراث السلف أم بالعصر الحاضر، سيكونون مرّات كثيرة أول الدّاخلين في الحوار، فهم بما استقرّ في نفوسهم من شعور مرهف يُقيم الإيمان والصّلاة والعمل والشكر والترّحيب بالضيّف والكرم، والصبر على الألم، والتّوكّل على الله أمام الموت، وبما استجدّ فيهم من شعور رهيف يقيم الكرامة والحريّة والمساواة والإخاء ورسالة التطويبات، قادرون أن يُنمّوا حتّى في لغتهم ذاتها حواراً لا يقتصر على العمل والحوار فحسب، بل يبلغ إلى الإيمان الذي به يحيى الإنسان، والعذاب الذي يتحمّله، والصّدقة التي ينشدها، والموت الذي يتسامى عليه"⁴.

ويبدو هذا الأمر واقعاً ملموساً، فليس المسلمون كلّهم على اختلاف فرقهم وثقافتهم يرحّبون بالحوار مع المسيحيين، إذ أنّ هناك مواقف متشدّدة ورافضة له بتاتاً؛ لما له من مقاصد غير سامية ولا إنسانية، حيث إنّّه -في نظر هؤلاء- وسيلة للتّبشير والتّقرب من المسلمين لأغراض غير نبيلة، ويمثّل هذا الفريق عدد من

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 30-31.

² - المصدر نفسه، ص 33-35.

³ - المصدر نفسه، ص 36-39.

⁴ - المصدر نفسه، ص 36.

الشخصيات والمفكرين البارزين؛ كزينب عبد العزيز التي سخرت كتاباتها لرفض ومقاطعة الحوار مع المسيحيين وخاصة الفاتيكان؛ إذ تقول كتعبير عن موقفها المتشدد تجاه هذه القضية في كتابها (الفاتيكان والإسلام):

"وأثناء انعقاده عام (1964م)، قام الفاتيكان بتكوين منظمتين هما: المجلس البابوي للحوار بين الديانات، واللجنة العليا لتنصير الشعوب، وهاتان المنظمتان على اتصال دائم بالعاملين في بعثات التبشير والحوار الديني بالعالم أجمع...".¹

وتقول أيضاً:

"وإن كانت تلك الشذرات تمثل نظرة خاطفة حول (الحوار) في مسيرته التبشيرية قديماً، فإن المشوار الحديث لهذه العبارة يرجع إلى تاريخ إنشاء (إدارة الحوار) أثناء انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م)، وبالتحديد في 06 أغسطس 1964م، ولم تكن الفقرة الخاصة بالحوار مع غير المسلمين في الوثيقة المسماة (نور الأمم) سوى بداية المشوار الجديد...".²

غير أن بورمانس الداعم والمهتم بقضية الحوار الإسلامي المسيحي، يرى أنه يتوجب على الجميع مسلمين ومسيحيين على اختلاف مذاهبهم وانتماءاتهم وأفكارهم؛ الاهتمام أيضاً بهذه القضية ودعمها والمساعدة إليها، وفي ذلك يقول:

"ولا بد أن يلتقي المسيحيون الرّاغبون في الحوار، في كثير أو قليل من الأوقات؛ المسلمين الذين ينتهجون هذا النهج... وهكذا يعيش الطرفان الآن معاً في الحالات المختلفة التي أتينا على وصفها، والجميع تقودهم الظروف إلى إثناء فوائد غير مرتقبة أو أسباب لتوترات إضافية...".³

وبهذا العموم والشمول، حدّد بورمانس أطراف الحوار الإسلامي المسيحي، وكما سبق بيانه، ليس أحد -في نظره- من المسلمين أو المسيحيين مستثنى أو مستبعد من التّحاور مع الطرف الآخر؛ أي أنّ الجميع ممن ينتمون للديانتين الإسلامية والمسيحية بإمكانه إجراء عملية التّحاور مع الطرف الآخر.

¹ - زينب عبد العزيز: الفاتيكان والإسلام، مرجع سابق، ص 123.

² - المرجع نفسه، ص 127، وقد أكّدت في هذا الكتاب وغيره من الكتب؛ ككتاب: (تنصير العالم) على فكرة أنّ الحوار الذي دعت إليه الكنيسة، ما هو إلا وسيلة للتبشير وجرّ الشعوب وخاصة الإسلامية إلى الديانة المسيحية.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 39-40.

المطلب الثالث: المجالس الحوارية وأولوية المكان والزمان.

إذا كان الحوار الإسلامي المسيحي عبر مراحل التاريخيّة، أُقيم في كثير من الأماكن المخصصة خلال أوقات غير محدودة، إذ أنّ جمًّا غفيرًا من البلدان الإسلاميّة والمسيحيّة*، وبعض المؤسسات خاصّة كالكنائس والمساجد والجامعات؛ شهدت أو كانت مسرحًا لتلك اللقاءات التي كانت تعقد بين الطرفين، في أوقات شملت معظم أو جلّ شهور السنّات الماضية**، وهذا أمرٌ لا يُعتقد أنّه يتمّ بطريقة عفويّة عشوائية؛ لأنّ كثيرًا من هذه المؤتمرات أو الملتقيات الحوارية كانت تُعقد بشكلٍ منظمٍ وتخطيط مسبق زمنيًا ومكانيًا

فإنّ موريس بورمانس بهذا الصّد، يترك المجال مفتوحًا مكانيًا؛ أي أنّه ليس هناك مكانٌ محدّد لإقامة حوار إسلامي مسيحي، بل إنّ كلّ مكان في هذه المعمورة صغيرًا كان أو كبيرًا وفي أيّ بلد كان؛ صالحٌ لأنّ يجري فيه هذا الحوار، فلا خصوصيّة لمكان على آخر ولا لفضل له عليه، إذ المهّم هو التقاء طرف مسيحي بطرف إسلامي، وتبعًا لهذا لا يمكن حصر موضوع الحوار في ثلّة من الاختصاصيين، بل الكلّ من حقّه ممارسته، وفي ذلك يقول:

"الموضوع هنا هو الحوار على كلّ مستوياته وبجميع مكّوناته، فليس بالإمكان حصر لقاء المسيحيين والمسلمين في نطاق حلقات من الاختصاصيين أو زيارات يقوم بها رؤساء الجماعات، فالحوار يشمل جميع أشكال الحياة، ويوجد في كلّ مكان يعيش فيه المسلمون والمسيحيون معًا، ومعا يعملون ويحيون ويتألّمون وكذلك يموتون...، وحينئذ لا حاجة أن يكون الإنسان (المحاور) عالمًا كبيرًا أو لاهوتيًا حاذقًا، أو حتّى مؤمنًا قطع شوطًا بعيدًا على طريق الصّلاح أو القداسة، وإمّا يلزم ويكفي أن يكون رجل إيمان ورجاء، واستقامة قصد، ومحبة فعلية، فالجميع هكذا مدعوون إلى الحوار؛ لأنّ الجميع يتلقون تعليم الله ونداء روحه"¹، ومن هنا فلا تُشترط في المحاور شروطًا قد تتوقّر في بعض الأشخاص القلائل، بل إنّ جميع الأفراد متساوون في ذلك إذا كانوا يمتلكون أدنى حدّ من الإيمان والصّلاح، ومعنى ذلك أنّ الإيمان تقريبًا هو الشّروط الوحيد الذي يجب أن يتحلّى به المحاور، أمّا الشّروط الأخرى فليست ضروريّة، ولعلّ هذا مُتأتٍ من شموليّة مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي لدى هذا الرّجل.

* هناك الكثير من البلدان الإسلاميّة والمسيحيّة التي شهدت مؤتمرات حوارية بين الطرفين؛ منها: إيطاليا، مصر، لبنان، بريطانيا، الصّين، غانا، اسبانيا، الولايات المتّحدة، ليبيا، نيجيريا، عمان، سري لنكا،... وغيرها (ينظر: البيانات المسيحيّة الإسلاميّة المشتركة).

** كانت اللقاءات الإسلاميّة المسيحيّة تعقد على مدار السنة بأكملها، حتّى إنّ شهورها كلّها تقريبًا شهدت انعقاد تلك اللقاءات؛ أفريل، ماي، جوان، جويلية، أوت، سبتمبر، نوفمبر... (ينظر: البيانات المسيحيّة الإسلاميّة المشتركة).

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 46.

لذلك، فإنّ هذا الحوار ينطلق من العائلة الأسريّة بدايةً، عندما تكون هذه الأسرة متكوّنة من أفراد مسلمين وآخرين مسيحيين، ويتمّ كذلك في أماكن العمل عندما يعمل عمّال من المسيحيين مع آخرين مسلمين في مهنة أو وظيفة أو مكان عمل واحد، كما قد يتمّ الحوار بين الطرفين من أجل خدمة المجتمع وطنياً أو دولياً، أو من أجل تحقيق قيم العدالة والمصلحة العامّة، وأيضاً فإنّ هذا الحوار ممكن جريانه في المنحى الثقافي والاجتماعي.¹

وتعميم الحوار بهذا الشكل أو بهذا النمط المفتوح، يتيحّ لعدد كبير من الفئات المجتمعيّة المشاركة فيه، بل إنّه ومن خلال تطبيقه هكذا يتحاور المجتمع كلّ فيما بينه، كلّ في مجاله ومن موقعه، وكلّ من فكره أو مذهبه أو معتقده؛ تحقيقاً للمواطنة والتعايش والتفاهم خاصّة بين أبناء الشعب أو الوطن الواحد ذي التعدّديّة الدينيّة؛ كلبان ومصر والسودان وسوريا وفلسطين والعراق، وغيرها من البلدان التي هي على هذه الشاكلة، وحينئذ لا يبقى الحوار حكراً على الخاصّة فيستأثروا به، فلا يحقّق المبتغى أو المقصد المراد منه، الأمر الذي يستغرب منه أو يستنكره بورمانس قائلاً:

"...ولكن هل يستطيع المؤمنون أن يكتفوا بتعداد مواطن التّقارب محترمين نقاط التّباعد فيما بينهم، عندما يشاهد إخوانهم المعاصرون في تحيّر وبلا أمل ما يحدث بينهم من حوار نظريّ لا يهتمّ إلاّ الخاصّة؟"² وهذا استفهام تقريرى جوابه يتضمّن عدم وجود فائدة ترتجى من الحوار الخاصّ الذي لا يجمع إلاّ الخاصّة.

وأما عن المجال الزماني؛ أي الوقت المناسب للحوار بين المسلمين والمسيحيين، فهناك أوقات محدّدة ومعينة وأحداث مخصوصة يسهّل فيها اللقاء ويُسْتَساغ فيها الحوار بين الطرفين، فإذا كانت الأمكنة الحوارية كثيرة ومختلفة، "فهناك أيضاً أوقات نعمة، وأحداث متميِّزة، يسهّل فيها على من يعيشونها نسيان انتماءاتهم الخاصّة، فيشتركون في القيم والمشاعر نفسها، أو ليست هذه حال تلك الأوقات البارزة في الحياة البشريّة، من مولد وزواج وعذاب ونزاع وموت؟"³

ولعلّ اختيار هذه الأوقات المخصّصة، يترتّب عليه نجاح الحوار بين المسلمين والمسيحيين، حيث يدرك الطرفان أثناء ذلك أنّهما مدعوان إلى الالتزام أو احترام تلك اللحظة الزمانيّة التي تجمعهما، طمعاً في حصول البركة واستشعاراً بتأثير قوّة خارجيّة توجّه الرغبات والإرادات بحيث لا يستطيع المرء اتّخاذ أيّ تدبير شخصيّ تجاهها، وما أكثر تلك الأوقات أو الأزمنة المعيرة عن بعض المناسبات الدينيّة خاصّة سواء عند هؤلاء أو

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، ص 47.

² - موريس بورمانس: الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواهب الالتقاء في ميادين الحياة، مقال سابق، ص 302.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، المصدر السابق، ص 48.

هؤلاء، الأمر الذي يجعل كل فريق يستغل هذه الفرصة أو المناسبة المهمة في تراث الفريق الآخر، فيبادر إلى محاورته والتّقرّب منه ومخاطبته انطلاقاً من مبدأ المشاركة في الاحتفالات والأعياد وغيرها من المناسبات الدّينيّة الأخرى.

ومن هذا القبيل، يمكن الإشارة إلى رسالة البابا يوحنا الثاني إلى المسلمين تهنئة لهم بعيّد الفطر*، استقلالاً للمناسبات الدّينيّة التي قد تكون موطناً للتّلاقح والتّقارب والودّ بين المسلمين والمسيحيين، سواء أكانت تلك المناسبات خاصّة بالمسيحيين فقط أو بالمسلمين فقط، أو مشتركة كميلاد المسيح مثلاً، "ومن لا يرى الأعياد التي يُحتفل بها معاً، بالتّمنيات والزّيارات والهدايا، قد تكون مدعاة إلى تلاقحٍ منتظم وحوارٍ متكرّر؟"¹ ومستمرّ بين الطّرفين يخدم المصالح العامّة، وينير الدّرب أمامهما لمواصلة التّعاون في كافّة المجالات الثّقافيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة، ولا يكون ذلك إلا "حين تحفّق القلوب معاً، وتجرّ في البال نفس الخواطر، وعندئذ يستطيع روح الله أن يُزيل الكثير من العوائق بين البشر، ويذكرهم بحقيقة أخوتهم الأساسيّة؛ وهي أن يتلاقوا (إخوة في الإيمان بالله)، في وسط عالم لا مُبالٍ أو ملحد، لكي يؤدّوا معاً الشّهادة لعظمة الله وكرامة الإنسان"²، لأجل ذلك دعا البابا يوحنا بولس الثاني إلى إقامة صلاة مشتركة بين المسيحيين والمسلمين إضافة إلى اليهود، وذلك بقرية (أسيزي) **، فأقيمت هذه الصّلاة فعلاً يوم 27 أكتوبر 1986م، كما أُقيمت صلاة مثلها في اليابان على قمّة جبل (كيوتو)، وذلك بحضور ممثّلين من مختلف الأديان، وكان من بينهم أفراداً مسلمين،³ وهذه فكرة مسيحيّة معروفة منذ أمدٍ بعيد؛ إنّها فكرة التّقارب بين الأديان وخاصّة بين الإسلام والمسيحيّة، ولها صور متعدّدة وأشكال مختلفة، وسأفصّل فيها القول في الفصل الأخير من هذا البحث عند حديثي عن الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي عند موريس بورمانس.

* كان ذلك عام 1991م، وقد جاء في هذه الرّسالة: "إلى إخواني وأخواتي المسلمين والمسلمات الأعزّاء، من عادة المجلس البابوي للحوار ما بين الأديان أن يبعث كلّ سنة رسالة تهنئة باسم الكاثوليك في جميع أنحاء العالم، إلى المسلمين بمناسبة عيد الفطر في ختام شهر رمضان. أمّا هذه السّنة فقد قرّرت أن أبعث لكم هذه التّهاني أنا شخصياً، نظراً إلى التّناجح المأساويّة التي خلفتها الأشهر الماضية من نزاع وحرب في الشّرق الأوسط، ونظراً إلى آلام الكثيرين المستمرّة...". (لطفّي حداد: الإسلام بعيون مسيحيّة، ط1، الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م، ص160).

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص48.

² - المصدر نفسه والصّفحة نفسها.

** أسيزي مدينة إيطاليّة تقع في منطقة أمبريا بإيطاليا الوسطى على جبل الأبنين، يقطنها حوالي 35 ألف نسمة، بها كنائس عدّة، تشمل على كاتدرائيّة وكنيسة سانتا ماريا دلي أنجيلي المقامة في خارج المدينة. (الموسوعة العربيّة الميسرة والموسعة، ج1، ص451).

³ - بكر بن عبد الله أبو زيد: الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، ط1، دار العاصمة، الرياض، السّعوديّة، 1417هـ، ص24-25.

المطلب الرابع: استدعاء الأبعاد الدينية المشتركة.

المسيحية والإسلام، ديانتان سماويتان عالميتان، تتعايشان في كثير من بلدان العالم معاً، في تجاور وتفاهم ومودة، بحكم العلاقات التي تجمع بين أتباعهما، والمشاركات الرابطة بينهما في عدة ميادين، خاصة في مصر ولبنان؛ أين تعيش فئات كبيرة من المسلمين والمسيحيين جنباً إلى جنب، ولا ريب أن هذا أمرٌ يقرب أكثر مما يُبعد ويفرق.

فهناك كوامنٌ دينيةٌ أو مسائل وقضايا روحية أخلاقية يؤمن بها الطرفان على حدّ سواء، وتلك هي الثوابت التي يدعو موريس بورمانس إلى استحضارها أو إثارتها عند أو قبل عقد المجالس الحوارية،¹ وهي عبارة عن بعض المواضيع الملامسة لمشاعر المسلمين والمسيحيين، فكلاهما يؤمن بها ويعتبرها جزءاً مهماً من المشروع الإيماني في ديانتها، وطبيعيٌّ أن يكون هذا الاشتراك أو التقاطع حول هذه المسائل، ما دام أن مصدر الإسلام والمسيحية - في أصلها الأول - ربّاني سماوي؛ أي أنه واحد، وأتت ديانتان متنزّلتان عن طريق الوحي.

"نعم، إنّ ديانات السماء ذات منشأ واحد، كما قال عليه الصلاة والسلام: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوةٌ لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"،² وإنّ هذه الديانات لترتكز على قواعد ثابتة من الإيمان بالله تعالى ربّاً واحداً...، وهي متفقة على مكارم الأخلاق وفضائلها، وعلى وجوب تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا وفي الدار الآخرة...، ثمّ إنّ أصل الديانات السماوية واحدٌ لا ريب...".³

ولأنّ المسيحيين هم الأقرب مودةً للمسلمين بنصّ الآية القائلة: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَتِيلِينَ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: 82)؛ بحكم الأخلاق التي يتحلّون بها عند سماعهم ما ينزل على الرسول ﷺ من خشوع وبكاء، فإنّ المسلمين تواقون إلى أن تتكاتف أيديهم مع إخوانهم المسيحيين، وأنّ تراصّ معاً في سبيل الله تعالى، ليكونوا جميعاً على أهبة الاستعداد لاستقبال السيّد المسيح الذي سيأتي في آخر الزمان مُصلحاً لما أفسدته يد الإنسان، مصحّحاً ما غيرته الأذهان، داعياً إلى عبادة الله الواحد الأحد، وإذا كان المسلمون قد بادروا

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 55 وما بعدها.

² - سبق ترجمته، ص 112 من البحث.

³ - رجب ديب: تقديم لكتاب: المسيحية والإسلام - دين واحد وشرايع شتى -، مرجع سابق، ص 06-07.

إلى ذلك فعلاً، فمتى سيبدأ المسيحيون بالمبادرة؟، متى سيجمعون القرآن الكريم إلى إنجيلهم؟، فهو لا ريب أجدد من التّورة التي ادّعى أصحابها بالزّور والبهتان على المسيح وأمه المطهّرة البتول.¹

ومن شأن هذا التّقارب أن يعزّز فرص الالتقاء والتّفاهم، ويُسهم في دفع عجلة الحوار بين الطّرفين؛ إذا ما تحاورا حول نقاط متقاطعة فيما بينهما، تهمّهما معا، وهي أمور عديدة لخصّها بورمانس في:

أولاً- التّحاور في حضرة الله وكفنه: يتّفق المسيحيون والمسلمون على أنّ الإنسان لم يبرز للوجود عن طريق المصادفة أو الضّرورة، وإتّما عن تدبير وحكمة إلهيّة اقتضت خلق الإنسان في جماعة نهائية واحدة، لأجل ذلك يشعر الطّرفان بأنّهما مُلزمان إنزائياً كاملاً لخوض غمار الحوار، فإذا آمن كلٌّ منهما بعجيب خلقه وإحكام صنعه على هذه الصّورة التي يتواجدون عليها اليوم، فإنّ حوارهم لا يمكن أن ينفلت من القدرة والإرادة الإلهيّة التي هي أقرب إليهم من جبل الوريد، إذ الله حاضرٌ مع كلِّ إنسان دائماً وأبداً.²

وتبجيل الله عزّ وجلّ وتقديسه والشّعور بمعنيته؛ شرطٌ لإقامة أي حوار بين الطّرفين على أيّ صعيد كان هذا الحوار، وفي أيّ مجال يُقام، "فعندما يتحاور المسيحيون والمسلمون على أيّ صعيد، يعترفون بأنّهم شهودٌ لله معنيون بخدمته السّميّاً، وراغبون في السّعي إلى مرضاته، وجميعهم يعلمون جيّداً؛ أنّ ربّهم الواحد يدعوهم ويزداد حضوره فيهم على قدر ما يتقاربون، فالمسلمون والمسيحيون وإنّ تباينوا كثيراً في التّعبير عن إيمانهم، وفي مضمون معتقداتهم، فإنّهم يكشفون بعضهم لبعض عنانيّهم بتأكيد حضور الله والإصغاء إليه، ليجعلوا إيمانهم ورجاءهم أشدّ توافقاً معه، أفلا ينبغي لهم وقد عرفوا أنّهم اجتمعوا وقتياً (باسم الله) الاستنتاج أنّ كرامتهم المشتركة وإثراءهم المتبادل؛ إنّما يظهران في ذلك؟، أو ليس الله ذاته مصدر كلِّ أصالة وبرّ، في ما يتبيّن حينئذ من أمانة عند الجميع، في تضامن وثيق مع آباؤهم وإخوانهم في الإيمان الواحد".³

إنّ هذه السّمة المشتركة بين المسيحيين والمسلمين نابعة من تعاليم ديانتيهما، "فما الإسلام والمسيحيّة إلّا ديانتين مرتبطتين بالله الخالق الرّحمان ارتباط الحبّ والرّجاء والخشية، وإيماناً به في أخوة ربّانيّة إنسانيّة جامعة تحصّن البشر بنبذ الأثرة والاستعلاء والبغي، ويرتبط بعضهم إلى بعض برباط الحبّ والتّعاون، في رجاء مشترك إليه أن يشملهم يوم يصيرون إليه بالرحمة والرّضوان".⁴

1 - رجب ديب: التّقديم السّابق لكتاب: المسيحيّة والإسلام -دين واحد وشرائع شتى-، مرجع سابق، ص 08.

2 - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 56.

3 - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

4 - إيمان خالد عاصي: محمّد والمسيح عليهما السّلام يتصافحان، دط، دار المحبّة، دمشق، سوريا، دار آية، بيروت، لبنان، ص 180.

وعندما يعترف الطرفان، هكذا بعضهم ببعض؛ بأنهم في القول والفعل شهدوا لله وخدام لكلمته، يستطيعون أن يوثقوا تعاونهم، ويعززوا انقيادهم إليه، أو ليس هو الذي يرشدهم بإلهاماته؟، فحوار الإيمان بين المؤمنين لا يمكن أن يتم إلا بفعل الروح، وإن اختلفت أحياناً بل وتعارضت نظرتهم إلى حقيقة هذا الروح وفعله.¹

ثانياً- التوبة إلى الله ومصالحة الآخر: إن التوبة إلى الله والرجوع إليه، والوثام والمصالحة مع الغير، شرط أساسي لمن رام حواراً دينياً قائماً على أسس عقائدية وفكرية متينة، يمكن الارتكاز عليها والعودة إليها دائماً عند حدوث أي اختلاف، وقبل ذلك يتوجب على المتحاور أن يتحلّى بإيمان خالص، وانقياد تام للوجهة الدينية التي تملئها عليه الجماعة التي ينتمي إليها، إذ أن "الأصالة لدى كل مؤمن تدعوه إلى الانسجام مع إيمانه الخالص، والتضامن مع الجماعة الدينية التي تنقل إليه هذا الإيمان الذي تغذيه بكل تراث صلاحها وقداستها، وتعترف بسلامته في تطبيقه الشخصي، ولكي يتعاون المسيحيون والمسلمون بكل صراحة على أن يكونوا مؤمنين صادقين معينين دوماً بتنقية إيمانهم وجعله أوفر حياة بالاحتكاك بإيمان الآخرين؛ يلزمهم أن يكتشفوا في آن واحد، كل ما يجمعهم وكل ما يفرقهم، فليس أسوأ للحوار من السعي الكاذب إلى التكييف"²، والتصنع بأمر غير حاصل في القلب، وغير مسلم بها في قرارة النفس؛ لأن مثل هذا يحمل على الخداع والتناق والظهور بمظهر مزيف لا يصمد أمام تقادم الزمان واستمراره، فالظهور على الحقيقة وبالحقيقة المركوزة في الفطرة الإنسانية، والتعبير عن الإيمان الخالص الأصلي؛ خاصية من الأفضل التحلّي بها قبل وأثناء محاوره الطرف الآخر.

وعليه يحدّد بورمانس نوعية الشخص المسيحي وكذا نوعية الشخص المسلم المؤهل لخوض غمار الحوار؛ "فالمسيحي الذي يجب أن يلاقه المسلم في الحوار، إنما هو ذلك الذي يعيش في اكتمال حياته الروحية وشمول عقيدته، وكذلك المسلم في تمام عبادته وشمول عقيدته هو الذي يدعى المسيحي إلى فهمه ومحبتة"³، فليس الجميع صالحاً للحوار، وليس الكل مؤهلاً للقاء، إذ أن شرط الإيمان والتحلّي بحياة روحية متكاملة، واجب توفره في ماهية المتحاورين.

ولا يتم هذا الإيمان المكتمل بالوصف المذكور سابقاً، إلا بإقامة علاقة حميمة مع الله قوامها التصالح والعودة إليه بالكلية بصدق وإخلاص، والتبرؤ من جميع ما سواه من أصنام وأوثان وشركاء، وعبادته وحده

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 56-57.

² - المصدر نفسه، ص 57.

³ - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

في شتى المجالات؛¹ وهو الأمر المتصالح عليه بالتوبة؛ التي هي التخلّص من الذنوب، والرّجوع إلى ستار العيوب وعلاّم الغيوب، وهي أصل السّعادة وسرّ السرور؛ لذلك دعت إليها المسيحيّة كما دعا إليها الإسلام، ورغبًا فيها ترغيبًا شديدًا، عن طريق السيّد المسيح والرّسول محمّد عليهما السّلام؛ الأوّل في الإنجيل، والثاني في الأحاديث التّبويّة، حيث حثّا عليها وذكرّا في ذلك أمثالا وحكمًا ومواعظ كثيرة، إيمانًا منهما بأنّها - أي التّوبة - هي بداية الرّجوع إلى الله تعالى والمصالحة معه والعودة إلى دينه الحنيف.²

"وهذه التّوبة إلى الله الحيّ القيوم، هي وحدها القدرة على إرجاع الجميع إلى حرّيتهم الرّوحيّة الحقيقيّة، وهي تقوم - كما يفترضها كلّ حوار بين مؤمنين - على اعترافهم الأوّل هذا بخطيئتهم، وعلى استغفارهم الله معًا من أضرّاء الماضي وآثامه، فيما يتعلّق بالتّقدير الإيجابي لاختبار الآخرين الرّوحي، فالله وحده يستطيع بهذا الغفران أن ينقي الإيمان ويغيّر القلب، وعندئذٍ يحدّد في كلّ واحد المستلزمات الأساسيّة للعدالة والمحبة، لكي يوسّع عند الجميع الرّقة الجديدة للتّقدير والمودّة".³

ثالثًا- السّعي إلى الشّهادة أو الاعتراف المتبادل: المسلمون والمسيحيون كلاهما مؤمنون بالرّسالة السّماويّة التي أنزلت على عيسى ومحمّد عليهما السّلام، وإن كان في صفّ المسيحيين كثيرٌ جدًّا ممّن لا يعترف بالتّبوء المحمديّة، وكلاهما له من العقائد والشّرائع والأخلاق ما يكفل له إقامة كيان ديني متكامل من النّواحي جميعها، إلّا أنّ الطّريقة التّعبديّة أو التّسكّية قد تختلف في كيفية تأديتها بين هؤلاء وهؤلاء في الجزئيات الدّقيقة، وإن كانت في الأصول متماثلة في هيكلها العام.

وعندما يتيقّن الطّرفان ويدركان هذه الحقيقة، ويعلمون أنّ الله هو الشّاهد الأوّل على حوارهم، وأنّ الشّروط الأوّل هو التّوبة العميقة (وإنّ كان هذا الأمر معنيّ به المسيحيون أكثر من المسلمين بحكم أنّهم لا يؤمنون برسالة النّبيّ محمّد ﷺ في حين يؤمن المسلمون برسالة عيسى وجميع الأنبياء عليهم السّلام) التي يقتضيها هذا الحوار من كلّ طرف، يصبح بإمكانهم أن ينمّوه في جوّ من التّواضع والحقيقة، بعد تصالحهم أخيرًا أمام الله، فلا مجال عندئذٍ لانتصار الواحد على الآخر، أو لاحتتمال ضمّ الواحد إلى الآخر، أو للتّباري في المجاملة والملاطفة،⁴ بل يكون كلّ منهما شاهدًا على إيمان الآخر وإخلاصه لرّبّه وخالقه، إذ أنّ كليهما متّصفٌ بالإيمان سواء كان ذلك على الطّريقة العيسويّة أو على الطّريقة المحمديّة.

1 - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 58.

2 - إيمان خالد عاصي: محمّد والمسيح عليهما السّلام يتصافحان، مرجع سابق، ص 66 وما بعدها.

3 - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص 58.

4 - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

ولئن كان القرآن في كثير من آياته شاهداً على رسالة المسيح عليه السلام وفضله ومكانته*، فإنّ المسيح أيضاً في الإنجيل، شهد على رسالة محمد ﷺ وفضله ومكانته**، وفي مثل هذا الجوّ الإيماني المتبادل بين الطرفين، واحتكاماً إلى الحوار القائم بينهما، يكون المسيحيون والمسلمون بعضهم للبعض الآخر تذكرياً حكيمًا وتنبهًا قاسيًا، وهذا ما يساعدهم - وهم يلتزمون متحاورين - على بلوغ الكمال الذي يدعوهم الله إليه، وهم يتساءلون أكثر فأكثر عن قيمة إيمانهم، وانسجام سلوكهم مع مقتضيات دعوتهم الشخصية، كلّ طرف منهما عن حقيقة إيمانه واتمائه لدينه، والحقائق الدينية التي يسلم بها، وذلك هو التنافس الروحي الوحيد والمقدس الذي يستنهض له الحوار بين المسلمين والمسيحيين¹، وبه يتحد الفريقان في مواجهة المعضلات التي قد تواجههما مستقبلاً، على اعتبار وحدة المسعى واتفاق المقصد.

رابعاً- القيام بالمستحيل وتبني المخاطر: وذلك من أجل إقامة حوار شامل إسلامي مسيحي، ففي سبيله يتحمّل المسلمون والمسيحيون كلّ الصّعب، ويواجهون جميع المخاطر، ويقدمون كلّ غالٍ ونفيس بغية إنجاحه، ولو كان ذلك شبه مستحيل فلا غرو من المحاولة ثمّ تكرار المحاولة حتّى يتحقّق المسعى أو الهدف.

فالحوار مغامرة محفوفة بالمخاطر، إذا ما أراد الجميع تحطّي مراحل القبول والإصغاء والمشاركة، لأنّ نهايته قد تكون مأساوية، بأن يؤدّي مثلاً إلى نزاعات وصراعات رهيبه، كما أنّ من صور خطورته؛ الارتباب بنوايا المحاور، فتنسب إليه أفكار مبيّنة تهدف إلى الاجتذاب الديني، ومن جهة أخرى قد يبدو هناك بعض التناقض في أن يتلاقى المسلم والمسيحي إنسانياً ودينياً، وبهذا الصّد، هل يُحظر على المسلم أن يتمنّى لصديقه المسيحي أن يصير مسلماً؟، وهل يُحظر على المسيحي التّمتّي لصديقه المسلم أن يصير مسيحياً؟²

إنّ ما سبق ذكره في الفقرة السابقة، كلّها مخاطر أو صعوبات تمنع المسلمين والمسيحيين من إقامة حوار ديني بينهما، إلا أنّ الإيمان الكامن في نفوسهم بقدرة الله وإرادته لا يسعه إلا أن يهيب بهم إلى بذل الجهد في سبيل هذه المهمّة الحوارية، التي قد تبدو مستحيلة في نظر البعض، إلا أنّها ممكنة عند المؤمنين الصادقين، ولا شك أنّ هذا الإيمان القويّ بإمكانية التّلاقي والجرأة والمخاطرة في سبيل ذلك، كلّ هذا كفيل بإقامة حوار ناجح ومثمر بين الطرفين.³

* ينظر: سورة آل عمران: 48-55، سورة المائدة: 110-118، سورة مريم: 30-34، سورة الزخرف: 59-64، سورة الصف: 06.

** ينظر: إنجيل يوحنا: 14/15-17، 16/7-8، 12-14.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص 59.

² - المصدر نفسه، ص 60-61.

³ - المصدر نفسه، والصفحات نفسها.

المطلب الخامس: استحضار المناهج والسبل الفعالة.

من غير المنطقي أن يقوم حوار بين طرفين، بلا استعدادات نفسية أو حُطط منهجية، من شأنها تذليل العقبات وتسهيل الصعوبات، حتى يتم هذا الحوار في جوٍّ أخويٍّ إنسانيٍّ متعاطف، يسوده الوثام والودِّ والرَّحمة والسَّكينة والطمأنينة، لذلك والحال هذه يتوجَّب على المسلمين والمسيحيين استحضار المفردات والأفكار الآتية:

أولاً- قبول الواحد للآخر: إنَّ قبول الواحد للآخر والاعتراف به وجودياً ودينياً واجتماعياً؛ هو قيمة إنسانية أخلاقية تتمركز في ذروة الشَّيم النبيلة التي يمكن أن يتحلَّى بها الإنسان، فلا مجاوزة ولا إقصاء ولا تعدي ولا احتقار ولا تعالي ولا تسلُّط؛ هكذا تتمَّ المعاملة بين البشر، إذ كلُّهم عيال الله وخلق من خلقه، وإنما أوجدهم سبحانه وتعالى في صنوف وأجناس وألوان وألسنٍ شتى لحكمة الاختلاف والتنوع والتعارف:

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنْآ خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: 13).

وعندما يتمَّ الاعتراف بطريقة متبادلة بين فردين أو شعبين أو أمتين، فذلك هو التَّسامح في أرقى صوره وأزكى معانيه؛ فهو "يتضمَّن -أي التَّسامح- اكتشاف الآخر، والخروج من دائرة الأنانية والترجسية وحبِّ الذات، وابتلاعها كلِّ شيءٍ خارجها، الآخر والعالم، النَّاس والكون، فالآخر هو صنو الذات، والواحد اثنان بعد أن خرج واحد آخر منه؛ آدم وحواء...، فالتَّسامح انفتاح الذات على غيرها واكتشاف قرينها...، فعلاقة المؤمن بالله تمثيل لعلاقة الذات بالآخر والأنا بالغير...، ومن هنا أمكن الحوار؛ إذ يتطلَّب الحوار طرفين: الذات والآخر، وهو ما يعبر عنه بالخطاب المزدوج وليس الحوار مع الذات"،¹ الذي لا يكون نفعه عامًّا ولا فائدته مكتملة.

وإذا كان هذا القبول أو الاعتراف مطلوبًا بين الشعوب والأمم، فإنَّ اشتراطه بين المسلمين والمسيحيين متعيَّن بصفة أكثر عمقًا؛ نظرًا لما يجمع هاتين الأمتين من مصير مشترك، وتاريخ طويل من العلاقات على مختلف الأصعدة، ولئن اتَّسم هذا التاريخ الطَّويل بالصِّراعات والنِّزاعات والمشادات، "فلقد آن الأوان لإنهاء ماضٍ أليم من التَّعارض وسوء التَّفاهم، ولتجديد محاولة الانطلاق في مغامرة إبراهيم الذي عرف كيف

¹ - حسن حنفي: من التَّسامح إلى التَّفاهم -تحليل فينومينولوجي-، مجلَّة التَّفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، عمان، العدد31، السَّنة التاسعة، 1432هـ/ 2011م، ص24.

يستقبل ضيوفه عند بلوطة ممرًا* ويقاسمهم أفضل ما لديه من خيرات، ويعلم منهم مصير ذويه، ويتساءل معهم عن مستقبل مدينة البشر المهتدة، فاستقبال الآخرين ليس مجرد بادرة تهذيب بدائية، أو مظهرًا من مظاهر المجاملة الموروثة فحسب، وهو يعني عندما تشرع الأبواب للضيافة هكذا باسم إبراهيم (خليل الله) قبولًا للآخر على علّاته، حتى بما هو مختلف فيه واحترامه كما هو، والترحيب بالضيف في هذا المفهوم يأبى أن يكون مجاملة عابرة، إنّ في حضور الآخر هكذا بغتة واعتلان ما فيه من اختلاف؛ لحظًا للمضيف في التجدد والاعتناء".¹

وانطلاقًا من هذا، فإنّ الأصل الإبراهيمي للإسلام قد جرى الاعتراف به في العالم المسيحي، وبعد الجمع الفاتيكاني الثاني أُعترف به أيضًا على أنه دينٌ يمكن أن يكون سبيلًا للخلاص كما المسيحية، وحتى وإن كان هناك بعض الشدوذ أو بعض المماثلة بخصوص الاعتراف بالدين الإسلامي وخاصة في الكنائس البروتستانتية التي تأخّر لاهوتيوها أكثر من اللاهوتيين الكاثوليك في الاعتراف بالإسلام وقبول المسلمين كأتباع ديانة سماوية، إلا أنّ الاعتراف قد حصل بشكل أو بآخر، إذ تتوافر في العلاقات بين الطرفين (المسلمين والمسيحيين) مصارحات وبعض وجوه التعاون.²

وفي هذا الصدد يفترض استقبال المسيحيين والمسلمين بعضهم بعضًا، وقبول بعضهم للبعض الآخر، على ما بينهم من اختلاف عظيم، واحترام بعضهم بعضًا في تنوع تراثهم الديني، ومحاولة اكتشاف الآخر في جدّة اللقاء، سعيًا إلى المزيد من التقدير والحبّ له، من هنا يجب أن يبدأ كل حوار، فالمتحاورون يقيمون حوارهم أو لقاءهم على الحقيقة، ويضمنون له النّمّ الواقعي المطلوب؛ إذا تمّ الاعتراف بما لكلّ منهم من انتساب ديني خاصّ ضمن جماعته الدينية³، ومن ثمّة فإنّ المراوغة من أجل كسب الوقت أو المصالح الشخصية محظورة في مثل هذا الموقف، حتى لا يتحوّل الحوار الإسلامي المسيحي إلى مجرد ترفٍ فكريّ أو لعبة ترفيحية، لا يُقام إلا لأجل غرض ذاتي، أو تمريضًا لمشروع سياسي، ولا علاقة له بما يخدم المصالح العامة لكلّ من المسلمين والمسيحيين على حدّ السواء، وبالتالي فإنّ الاعتراف المتبادل بين الطرفين يُعتبر ضابطًا أو شرطًا واجب الحضور في مثل هذه اللقاءات.

* بلوطة ممرًا أو بلوطات ممرًا؛ هي مسكن الأمير الأموري الذي قطع عهدًا مع إبراهيم، وهي حبرون، وبلوطات تعني: القوة، القول، الدّهن، وقد ورد هذا الاسم في سفر التكوين: 13/18، 18/1، 23/19. (قاموس الكتاب المقدّس، ص924، ومكرم مشرقي: جمان من فضة - قاموس أعلام الكتاب المقدّس -، ط1، 2000م، ص37).

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص49.

² - رضوان السيّد: القرآن الكريم والدين الواحد وملة إبراهيم، مجلّة التفاهم، العدد31، ص20.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص49.

ثانيا- التفاهم: من القبول والاعتراف المتبادلين بين الأطراف المتحاورة أو التي تنوي التّحاور فيما بينها يتولّد التّفاهم؛ الذي هو في حقيقة أمره صورة ثابتة عنه أو على الأقلّ نوع منه، "فالتّسامح يتضمّن التّفاهم ويقوم عليه، وإلا كان التّسامح مجرد مناورة وقتية لتحقيق العداء للآخر، وللتّستّر على صراع دفين بين ذاتين منغلقتين، يرفض كلٌّ منهما الاعتراف بأنّ الذات الأخرى جزء منه أو أنّه جزء منها كواجهتين لعملة واحدة، إنّ التّسامح ممارسة خارجيّة للتّفاهم، والتّفاهم تأصيل نظري للتّسامح".¹

ولا يتأتّى هذا التّفاهم ولا تكتمل صورته بين فريقين -خاصّة بين المسلمين والمسيحيين- إلا إذا كان كلٌّ منهما على معرفة بالآخر؛ معرفة موضوعيّة بعيدة عن الأغراض الأخرى، ويصدّع بورمانس بهذه الحقيقة قائلا:

"كثيراً ما يجهل المسيحيون والمسلمون بعضهم بعضاً، وإنّ حسبوا أحياناً أنّهم على شيء من التّعارف، فلا بدّ والحالة هذه، من معرفة موضوعيّة تستدعي الإعلام المتبادل بكلّ وجوه الاختبار الإنساني والرّوحي، على ألا يكون ذلك عمل العالم الاجتماعي فحسب، أو الباحث الصّرف في الشّؤون الإسلاميّة أو المسيحيّة، والمطلوب هو التّلاقي في سبيل التّفاهم ومعرفة كلٍّ واحد للآخر، لا كما هو فقط، بل كما يريد أن يكون أيضاً، فمن واجب المسيحي إذن أن يستوضح الثّقافة الإسلاميّة وعلم الكلام وشهادات المتصوّفين المسلمين، وللمسلم كذلك أن يستطلع المسيحيين مضمون ثقافتهم وجملة علم لاهوتهم ونجوى صوفيّهم"²، فالمعرفة المطلوبة -ها هنا- معرفة كليّة، تستجلب جميع -أو على الأقل- أغلب المجالات، وخاصّة المجال الدّيني؛ العقائدي والتّشريعي والأخلاقي، لأنّ ذلك كفيل بإعطاء تصوّر -ولو جزئي- على الطّرف الآخر، وإطّلاع على تراثه الفكري والفلسفي، "وعندئذ يتبيّن المتحاورون من هنا وهناك ما عند الآخر من كنوز روحيّة، وما يقوم به من مساعٍ لإدراج مسيرته الشّخصيّة فيها".³

إلا أنّ هذه المعرفة لا تكون كافية لإحلال التّفاهم بين الشّعبيين، بل ينبغي التّحرّر من عقدة النّقص أو مرض التّفوّق، فيكون كلٌّ منهما أكثر قابليّة لما قد يديه الطّرف الآخر من توضيحاتٍ لذاته أو لتراثه الدّيني، بحيث يصبح كلٌّ واحد في النّهاية قادراً على أن يضع نفسه في موضع غيره، بحيث يعرض المسلم المسيحيّة كما يعرضها المسيحي، ويصف المسيحي الإسلام كما يصفه المسلم،⁴ وهذه هي الغاية المرجّوة من

1 - حسن حنفي: من التّسامح إلى التّفاهم -تحليل فينومينولوجي-، مقال سابق، ص 60-61.

2 - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 50.

3 - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

4 - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

تلك المعرفة التي يجب أن تتحلّى بها الأطراف جميعها تمهيداً للتفاهم، الذي من شأنه تبسيط العملية الحوارية وفتح الطريق أمامها، بل ويكون سبيلاً إلى تفعيلها وإنجاحها.

ثالثاً- العيش المشترك: إنّ التعايش أو العيش المشترك؛ هو وليد القبول والتّفاهم، فلا يمكن أن يكون هناك تعايش ومشاركة في الحياة ما لم يتمّ قبول الأطراف لبعضها البعض أو تفاهمها فيما بينها، وما لم تكن هناك ألفة ومودّة ورغبة وإرادة مشتركة، والتي منها تنطلق الرّغبة في التعايش والنّابعة من الذات، فلا تكون مفروضة تحت ضغوط أيّاً كان مصدرها، أو مرهونة بأسباب مهما كانت، والتّعايش هو مظهر من مظاهر الحياة القائمة على الودّ والوثام والمصالحة، وهو قيمة حضارية إنسانية محمودة.¹

ولما كان التّعايش هذا وصفه، بل إنّه وزيادة على ذلك يجمع أبناء الأديان المختلفة في مكان واحد أو منطقة واحدة في الزّمان نفسه، فإنّه يتوجّب "على المسيحيين والمسلمين المدعوّين إلى أن يعترف بعضهم ببعض في أصلاتهم، ويتبادلوا الشّهادة لأمانتهم؛ أن يتلاءموا بعضهم مع بعض، ويخترعوا مواقف تعزّز الوحدة، ويتعاونوا حيثما يشعرون بأنهم ملتزمون بالقيم نفسها، ولن نلجّ أبداً بكفاية على ما يتوفّر للحوار من إغناء عندما يستطيع الجميع أن يأكلوا معاً، ويتعاضدوا في العمل، ويُعانوا متضامنين الآلام نفسها، ويتقاسموا في نفس الأعياد الفرح والبهجة، ففي هذا التّقاسم اليومي للقيم الأوضح والأعمق إنسانية، يستطيع المسيحيون والمسلمون أن يتعاونوا على الإجابة بوجه أفضل على الأسئلة الأساسية عن العالم والإنسان والله"²، وعن كلّ ما يؤزّقهم من إشكاليات ومعضلات، قد تحوّل بينهم وبين الحياة المشتركة الهانئة، التي يجيها فيها الطّرفان إخواناً على كلّ أرض أو وطن يحوي ويسع الجميع.

وحيث إنّ يكون هناك تلاؤمٌ بين المسلمين والمسيحيين في جبهة واحدة من أجل المحافظة على سلامة البيئة، والقضاء على التّفرة العنصرية، ورفع الظلم بجميع أنواعه وأشكاله عن الشّعوب والطوائف والفئات المضطّهدة، ثمّ إنّ على الطّرفين القيام بعمل مشترك لمحاربة الإلحاد والانحلال الخُلقي وتفكّك الأسر وانحراف الأطفال والعدوان عليهم، ومقاومة كلّ الآفات والأوبئة التي تهدّد سلامة الفرد والجماعة، وتُضرّ بالحياة

¹ - محمّد منير سعد الدّين: العيش المشترك الإسلامي المسيحي في ظلّ الدّولة الإسلامية -شهادة من التاريخ-، دط، المكتبة البولسية، جونيّه، لبنان، 2001م، ص142.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص51، وينظر كذلك:

Maurice borrmans: la 2^{ème} rencontre islamo-crétienne du tunis, islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 05, 1979, p221-230.

الإنسانية، وغير ذلك من الأهداف التي يمكن أن تُحقق عن طريق التعايش بين الفريقين،¹ وبهذا يكون تلاقحهم عند مائدة الحوار اللاهوتي الفكري مشفوعًا بحوار الحياة؛ حوار العيش المشترك، الذي هو واسطة إلى الحوار الفكري أو حلقة منه.

* إن هذه التقاطع والسلفة الذكر في هذا المبحث؛ هي جملة الضوابط التي وضعها موريس بورمانس لتحديد مسار الحوار الإسلامي المسيحي فكريًا وعمليًا، وهي ضوابط وأسس شاملة لمكونات هذا الحوار من أماكن وأفراد ومناهج وسبل ومواضيع، إذ يقيد كلُّ منها بتقييدات تكون موجّهة له، أو هي بمثابة الشمعة التي تنير له الدرب حتى لا يجرد عن المسار الصحيح المؤدّي إلى الهدف المنشود، وإذا كان فضل الله هو الآخر قد أدلى بدلوه في هذا الشأن، فما هي أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينهما فيه؟.

"

¹ - محمد منير سعد الدين: العيش المشترك الإسلامي المسيحي في ظل الدولة الإسلامية - شهادة من التاريخ -، المرجع السابق، ص146.

المبحث الثالث: المقارنة بين الضوابط عند الرجلين.

بعد العرض السابق لضوابط الحوار الإسلامي المسيحي عند كلٍّ من محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس، تسعى مطالب هذا المبحث إلى الوقوف على نقاط التشابه وكذا نقاط الاختلاف بين الرجلين فيما يخص هذا الموضوع، وذلك بإجراء مقارنة بين ما حدده كلٌّ منهما واستخلصه من ضوابط أو شروط تمهيداً لإقامة حوار هادف بين المسلمين والمسيحيين.

المطلب الأول: المقارنة من حيث تحديد المفهوم.

لقد أعطى كلٌّ من فضل الله وبورمانس مفهوماً خاصاً للحوار الإسلامي المسيحي، مُحاولاً بذلك أن يحدّد المعنى الأقرب والأشمل لهذا المصطلح، حتّى يُعرّف المقصود به، وتبيّن معالمه؛ إذ أنّ تحديد المفهوم بشكلٍ دقيق له نتائجه الإيجابية وأهدافه الصائبة في هكذا مواضع.

غير أنّ ما يُلاحظ على المفهومين؛ مفهوم فضل الله للحوار الإسلامي المسيحي وكذا مفهوم بورمانس له، لم يكونا على نسقٍ واحد، أو هما ليسا على طريقة واحدة متماثلة، ذلك أنّ الأول -أي فضل الله- أعطى لهذا المصطلح تعريفاً صريحاً مباشراً؛ لما قرّر بأنّ للحوار الإسلامي المسيحي جانبان؛ لاهوتي فكري متّصل بالعقائد كمسائل الإلهية والتبوّة والنصوص المقدّسة، وواقعي متّصل بحركة التعايش بين أتباع الديانتين أو الجماعتين المسلمة والمسيحية،¹ وهذا تعريفٌ للشّيء بذكر أقسامه أو أنواعه، ثمّ تبيين المراد بكلّ قسم أو بكلّ نوع، وبالجمع بين صورة أو معاني هذه الأقسام، تتكوّن الصّورة المتكاملة للشّيء بشكلٍ كليّ، لذلك فإنّ فضل الله لما قسّم الحوار الإسلامي المسيحي إلى قسمين نظري وتطبيقي أو لاهوتي وواقعي، يكون قد ألمّ بمفهومٍ شاملٍ له.

أمّا الثاني -أي بورمانس- ومقارنة بنظيره، فإنّ مفهومه للحوار الإسلامي المسيحي لم يكن بطريقة مباشرة؛ أي أنّ الصّورة التي رسمها عنه لم تكن واضحة، بحيث يستسيغها كلّ قارئ، بل يحتاج ذلك إلى تمعّنٍ وتدبّرٍ وتركيزٍ لأجل اكتشاف المعنى المراد، لأنّ هذا الرجل عند تقديمه لمفهوم الحوار بين المسيحيين والمسلمين، سلك طريقة التعريف بذكر الاعتبارات والمعايير المختلفة، وكذا التمثّلات والصّور التي يتأتّى بها هذا الحوار، ومن ذلك الحديث عن العام والخاص، والتعددية الدينيّة، والأيدولوجيات والثقافات المختلفة، والتنوّع البشري والاختلاف بين التّاس من النّاحية الدينيّة، وتاريخ العلاقات البشريّة، وهو عنده نوعٌ من

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص أ.

التقارب، ووثاق يربط بين المسلمين والمسيحيين كإخوة في الله بقدر ما يستبقونه من أعمال خيرية واجتماع على الإيمان، وغير ذلك من هذه الأمور،¹ التي توحى في مجملها وباتحادها على مفهوم شامل وواسع للحوار الإسلامي المسيحي، ومعنى ذلك أنّ مفهوم بورمانس للحوار الإسلامي المسيحي أوسع من مفهوم فضل الله له، إذ أنّ هذا الأخير كشف عن معناه بطريقة مباشرة، وأمّا الآخر فقد فعل ذلك بطريقة غير مباشرة.

وليس معنى ذلك أنّ بورمانس أعرض عن تقديم هذا المفهوم بالكلية، بل إنه أحياناً وفي مواضع متفرقة يحاول ملامسته بشكل قريب أو مباشر، وإن كان بالعموم، ومن ذلك قوله:

"إنّ كلمة الحوار، وإن أدرجت في الاستعمال أكثر من اللزوم، وصارت غرضة للالتباس، حتى ليؤثر عليها البعض لفظة المشاركة أو التلاقي، ويُراد بها هنا التعبير عن نمط من الوجود والعمل يأبي كلّ اعتزال، ويُعنى دائماً بالآخر، بل يعتقد أنّ العلاقة بالآخر هي التي تكوّن الشخصية، فمن الواجب إذن أن يكون الحوار الأمتية العميقة لكلّ مؤمن جدّي وصادق، والحوار عند المسيحيين إنّما هو سنة ممعنة في القدم تعود إلى يسوع المسيح نفسه"،² كما أنّه وبناءً على نظرة الكنيسة الكاثوليكية أو الفاتيكان، يشير إلى أربعة مستويات من الحوار؛ الحوار العملي السلوكي القائم على الاعتراف بالآخر وتقييمه، الحوار المتعلق بالأعمال وبالتعاون على تحقيق الأهداف المشتركة، الحوار المتخصّص أو حوار الخبراء الذي غرضه المقارنة والتعمّق والإثراء، حوار الحياة والتقارب الديني والتأمل الروحي.³

ومن مظاهر التباين في هذا المفهوم؛ تلك النقطة الفارقة بين الرّجلين في المقصد المتوخّى من هذا الحوار، فإذا كان فضل الله يرى أنّه لا إشكال في توظيفه في المجال الدعوي والتبشيري كوجه للتنافس بين الطرفين الإسلامي والمسيحي، بحيث يمكن - في ظلّ الحوار الإسلامي المسيحي - أن يبشّر المسيحي بمسيحيته ويدعو المسلم لها، وأن يدعو المسلم لإسلامه ويدعو المسيحي للدّخول فيه،⁴ فإنّ بورمانس يرى خلاف ذلك تماماً، بل ويدعو إلى شجبه والتّديد به حينما يقول:

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص129-130.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص18.

³ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، المقال السابق، ص149-150.

⁴ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص24.

"فينبغي إذن تكرار القول: إن الحوار الصحيح يفترض عند الطرفين العزوف عن السعي إلى حمل الآخر على تغيير دينه، على وجه مصطنع، أو حملة على الشك في معتقده الديني، وسيكون ذلك مسخاً أو خيانة للحوار الحقيقي المعد للنمو في حضرة الله وبفعل الروح القدس، وهذا الحوار هو دعوة متبادلة للطرفين إلى تعاون يتزايد باطراد في سبيل التوبة إلى الله توبة شخصية أفضل، وطاعته في كل ما يأمر به ضمير المؤمن"¹، فتحقيق التوبة عن طريق التعاون بين الفريقين هو الهدف الأسمى للحوار، وليس جرُّ المحاور نظيره إلى دينه أو معتقده أو الفكرة أو المذهب اللذين يؤمن بهما.

وكم سعى كثير من المسلمين والمسيحيين في تحقيق هذا المقصد -الدعوة والتبشير- من خلال الحوار، فبالنسبة للمسلمين يعتبرون أن تبليغ الدعوة إلى كافة الناس يحتاج إلى محاورة ومناقشة، فالحوار عندهم أحد الوسائل الهامة في تبليغ الدعوة الإسلامية؛ لأن الإسلام دين واقعي ينتشر عن طريق الإقناع العقلي وإقامة الدليل والبرهان، ومحاورة العقل والفضيلة، على أن يكون ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة له والتي هي أحسن.²

وبالنسبة للمسيحيين، فقد قرروا من خلال المجمع الفاتيكاني الثاني في الوثيقة رقم (2: 126): "إعداد رجال دين عندهم استعداد للحوار، يعرفون كيف يُصغون للآخرين، وكيف يفتحون قلوبهم لجميع حاجات النفس الإنسانية؛ رجال دين في طبيعتهم أن يوقظوا الاهتمام في النفوس، وأن يكونوا معلمين للإيمان المسيحي، رجال دين يستطيعون أن يُنحوا الفُرس للعمل الإرسالي (التبشيري)، وأن يبعثوا فيه الحياة بين غير رجال الدين بروح كاثوليكية فعلاً، ومن وجهات النظر العالمية"³.

وهذا ما رآه فضل الله، لكن ذلك عنده يجب أن يتم في روح التنافس والاستباق، لا عن طريق الصراع والصدام.⁴

خلافًا لما سبق -في هذا المجال- يتفق الرجال على أن هناك شق مهم في الحوار الإسلامي المسيحي، يتمثل في حوار الحياة والتعايش بين الطرفين الذي قوامه ما يحدث من تفاعل وتفاهم وتصالح ومجارة للحياة الواقعية جنبًا إلى جنب، بتقاسم كل ما يجري على مسرحها من هموم أو مشاكل أو مساعي إصلاحية

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، المصدر السابق، ص 61-62.

² - أحمد عبد الهادي شاهين: الحوار بين الأديان تعايش لا تقارب، ط1، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1424هـ/ 2003م، ص 11.

³ - مصطفى خالد وعمر فرّوخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ط3، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، 1986م، ص 258.

⁴ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 24.

وخيرية وإيجابية، بعيداً عن اللقاءات الخاصة التي هي حكر على علماء اللاهوت وعلماء ورجال الدين، والتي تناقش فيها موضوعات خاصة، ويؤكدان ذلك بالتنبؤ على فاعلية مثل هذا الحوار، لأنه يضم أو يستدعي أكثر شرائح المجتمع، فالكل - مهما كان وضعه أو وصفه - يمكن أن يتشارك فيه، ويصنع مشاهدته التي تتم بطريقة عفوية.¹

وبالتالي لا يمكن تحنل لقاءات الحوار بين المسلمين والمسيحيين على تلك اللقاءات الشكلية والرسمية، فهذه فقط مجرد صيغة من الصيغ الجائزة للحوار بينهما، إذ أنّ هناك الحوار العفوي والذي يكون موجوداً بصورة ضمنية في الأنواع المختلفة من اللقاء والتبادل والتعاون بين أطراف مسلمين وآخرين مسيحيين، وعندما يستمع هؤلاء بعضهم لبعض، فإنهم يتجاوزون الأحكام المسبقة ويُنجزون خطوات مشتركة سوياً، والتعاون هو الذي يؤدي - في الغالب - إلى حوار حقيقي عن طريق العمل، وإلى بحث مشترك عن التنمية، وعن بناء المجتمع والدفاع عن حقوق الإنسان،² وغير ذلك من المنافع التي يحققها هذا النوع من الحوار؛ الذي يتم أو يُبنى من غير تحضير ولا إعداد لمقررات أو جلسات أو بروتوكولات.

وهو - أي حوار الحياة - ليس مجرد التعايش السلمي الذي يكون بين مسلمين ومسيحيين في عديد المناطق من هذا العالم، بل هو تعبير عن عمق الإيمان والشهادة على القيم الروحية الموجودة في الديانتين بواسطة أتباعهما، وهذا ما يُطلق عليه "الشهادة المتبادلة"،³ القضية التي دعا إليها بورمانس بنوع من الاهتمام من خلال قراءة في قرارات المجمع الفاتيكاني الثاني، بالتحريض على القبول والتفاهم والتفاسم، والتّحاور مع الأسرة البشرية جمعاء في المشاكل المختلفة، والوصول إلى قبول نداءات الروح، واحترام إيمان الآخرين الشخصي، وتراثهم الديني الحي، وغير ذلك مما يُتيح التواصل المستمر بين المسلمين والمسيحيين،⁴ لأجل ذلك صيغت أشكال الحوار - في وثائق الفاتيكاني بشكل عام - وفق أوجه أربعة للقاء بين الأديان؛ حوار الحياة، التعاون في الشؤون الاجتماعية، تبادل المعلومات اللاهوتية، مشاركة الخبرات الدينية،⁵ وهي عبارة عن أنواع أربعة لحوار الأديان الذي يضم في نطاقه الواسع كل هذه الأمور والمسائل، ويؤكد سعود

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 47، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسلمين، مصدر سابق، ص 46-47.

² - كريستيان فان نسين: مسيحيون ومسلمون.. إخوة أمام الله، مرجع سابق، ص 108.

³ - توماس ميشيل اليسوعي: بناء ثقافة الحوار، ترجمة: ناصر محمد يحيى ضميرية، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1431هـ/ 2010م، ص 26.

⁴ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسلمين، المصدر السابق، ص 52-53.

⁵ - توماس ميشيل اليسوعي: بناء ثقافة الحوار، المرجع السابق، ص 24.

المولى على أنّ حوار التعايش بين أتباع الديانتين في مجتمع واحد، والتفاعل المستمرّ بينهما على صعيد الثقافة والحياة اليومية؛ هو شكلٌ من أشكال الحوار بين المسيحية والإسلام، وهو الحوار الموجود اليوم على الساحة الواقعية، بل إنه يزداد انتشاراً، فهناك مسيحيون ومسلمون يعيشون في ظلّ الأخطار الكبرى التي تولّدها الحضارة المادية ضدّ الإنسان،¹ متعاونين متكاتفين فيما بينهم في وطن واحد وعلى أرض واحدة.

إذن، هناك اختلاف في بعض الجزئيات وتوافقٌ في بعضها الآخر بخصوص مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي عند الرجلين، غير أنّ ما يمكن الخلوص إليه، هو أنّ موريس بورمانس عالج ذلك وقدمه بطريقة أعمق، ذلك أنّه لم يتحدّث عنه بما هو معروف بالبداهة، بل قدّم له صوراً حيّة مركّزة نابغة من عميق الإيمان وصلابة المعتقد، بخلاف فضل الله الذي امتاز حديثه عن هذا المفهوم بالسّطيحية والوصف الظاهري الخارجي، في حين يمكن اعتبار مفهومه أوضح وأبسط وأسهل معنى وأجزل عبارة مقارنة بمفهوم نظيره.

المطلب الثاني: طبيعة المتحاورين بين هوية البنية وحتمية الشروط.

كشأن الحديث عن مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي، تحدّث كلّ من فضل الله وبورمانس عن أطراف الحوار أو الأشخاص المتحاورين الذين يقومون بعملية التّحاور من المسلمين والمسيحيين؛ أي أنّ كلاّ منهما تطرّق لهذه النقطة المهمّة، خاصّة وأنّ هؤلاء المتحاورين يمثّلون ركناً أساسياً لا يقوم الحوار الإسلامي المسيحي إلّا به، فلو لم يكن هناك متحاورون لما كان هذا الحوار بين الديانتين.

لكن وإن تشابه الرجلان في تعرّضهما لذات المسألة من ناحية الخطوط العريضة، حيث اتّفقا على أنّه لأجل كينونة حوار إسلامي مسيحي، لا بدّ من وجود طرف إسلامي يدين بدين الإسلام، وآخر مسيحي يدين بالديانة المسيحية؛ فيلتقيان في أماكن معيّنة وأزمة محدّدة، ويتحاوران حول مواضيع معيّنة تهتمّهما معاً، إلّا أنّه يوجد بينهما فرقٌ بيّن في طريقة التّناول وشكل العرض، وذلك عندما راحا يفصّلان ويكشفان عن طبيعة المتحاورين والشّروط الواجب توافرها فيهم، وكلّ ما يتعلّق بهم من أمور.²

¹ - سعود المولى: الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة-، مرجع سابق، ص12.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص31 وما بعدها، وأحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، مصدر سابق، ص96-97، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص28 وما بعدها.

ففضل الله -وبعد إفصاحه عن هويّة المتحاورين-، وضع شروطاً جمّة يجب توفّرها في هؤلاء الأشخاص؛ حتى يكونوا مؤهلين لتصدّر المجالس الحوارية، وقد لخص تلك الشروط في بعض النقاط، هي:¹

أولاً - امتلاك روحية الحوار ومصداقيته وثقافته وحركيته.

ثانياً - الاتّصاف بالإرادة والرغبة الحوارية.

ثالثاً - الصدق والإخلاص والعزيمة على الوصول إلى النتائج الإيجابية.

رابعاً - الإحاطة ثقافياً وعلمياً بالمسألة المطروحة للنقاش (موضوع الحوار)، وهذا ما يستدعي انتقاء واصطفاء المتخصّصين المتشبعين بالثقافة المزدوجة والعلم والمعرفة.

خامساً - مخاطبة الآخر بأسلوب حسنٍ راقٍ وحكيم، وعدم استفزازه.

سادساً - معرفة المحاور المسلم بالديانة المسيحية من جميع نواحيها؛ تاريخياً وعقائدياً وتشريعياً وأخلاقياً وثقافياً، وكذلك الأمر بالنسبة للمحاور المسيحي تجاه الدين الإسلامي.

أما بورمانس فقد نحا منحى آخر عند حديثه عن المتحاورين، فهو في هذا الصدد، راح يبيّن ويكشف عن هويّتهم، فقرر أنّ المسيحيين فرقة وطوائف شتى تترأسها المذاهب الكبرى الثلاثة: الكاثوليك والأرثوذكس والبروتستانت؛ التي يندرج تحت كلّ واحد منها كنائس عديدة في الشرق والغرب، وهي جميعاً تمثل الطّرف المسيحي المعني بالتحاور مع المسلمين، كما قرر أنّ المسلمين ليسوا على نسق مذهبيّ أو عرقيّ واحد، بل هم -أيضاً- فرقٌ كثيرة وأجناس مختلفة؛ حيث منهم مسلمين عرب وآخرين غير عرب؛ هنديين وإفريقيين واندونيسيّين، وهم في كلّ ذلك منهم أهل السنّة والجماعة، والشّيعية، وكذلك منهم من ينتمون إلى البيئات الشّعبية، ومنهم من يمتلكون ثقافة دينية، وهؤلاء جميعاً يمثلون الطّرف الإسلامي الذي هو معني بالحوار مع المسيحيين، ولا يشترط في الطّرفين الشروط السابقة التي حدّدها فضل الله، بل الجميع من المسيحيين والمسلمين معنيون بالحوار، ويكفي في ذلك كونهم مؤمنين متعلّقين بقيمهم الدينية والرّوحية، مخلصين لجماعتهم؛ المسيحي لجماعته المسيحية، والمسلم لجماعته المسلمة،² وهذا هو الشّروط الوحيد -الإيمان- الذي يحثّ بورمانس على توافره في الطّرفين.

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر السابق، ص31 وما بعدها، وأحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، مصدر السابق، ص96-97، والإسلام والمسيحية بين ذهنية الصّراع وحركية اللقاء، مصدر سابق، ص23.

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص28-41، 55-58.

ومما سبق بيانه، يمكن توجيه هذا الفرق بالقول إن: فضل الله إنما كان إتيانه بشروط كثيرة متشددة في هذا الشأن، يعود لاهتمامه بالحوار اللاهوتي الفكري المتخصص الذي ينعقد بين متخصصين ومفكرين ورجال دين وعلماء مسلمين ومسيحيين، وتركيزه على هذا النوع من اللقاء بين الطرفين، أما بورمانس فقد جاءت دعوته إلى مشاركة الجميع دون استثناء في العملية الحوارية، تبعاً لاهتمامه وتركيزه على حوار الحياة؛ حوار العيش المشترك الذي يشمل الكل؛ المسيحيون بشتى مذاهبهم وأطيافهم، والمسلمون أيضاً بجميع مذاهبهم وأطيافهم، وهذا هو سبب تقييد الرجل الأول الأطراف المتحاوره بشروط محددة، وعزوف الثاني عن مثل هذه الشروط، فلم يذكر منها غير شرط تحقيق الإيمان ولا شيء سواه.

غير أن الحوار بين الأديان بصفة عامة، والإسلامي المسيحي بصفة خاصة، يتطلب شروطاً يجب أن تتوفر أو يلتزم بها المتحاورون، منها:¹

أولاً- الاحترام المتبادل؛ أي احترام كل طرف لقناعات وعقائد الأطراف الأخرى، والاحترام لا يعني التنازل أو التراجع عما يؤمن به من أجل الآخر، إنما يعني احترام حق الآخر في الاختلاف.

ثانياً- حسن اختيار المتحاورين؛ الذين يجب أن يكونوا على معرفة دقيقة بأنفسهم وبالأطراف الأخرى، وألا يكونوا من الذين يتراجعون عن قناعاتهم ومواقفهم بسرعة وبسهولة؛ إذ أن هذا يعد دليلاً على عدم اعتزازهم وتمسكهم بموقف التديّة.

ثالثاً- اتفاق الأطراف المتحاوره على معنى دقيق للمغايرة أو للاختلاف وعلى احترامهما.

رابعاً- الشفافية والصراحة والصدق؛ أي يجب على المتحاورين تسمية الأشياء بمسمياتها، وإعطاء كل ذي حق حقه، فكم من حوارات انتهت إلى توصيات خطيرة ولم يؤخذ بها، لا لشيء إلا لأنها عوّلت على المناورة والمراوغة.

¹ - زينب محمود الخضيرى: تقديم كتاب: مسيحيون ومسلمون.. إخوة أمام الله، مرجع سابق، ص19، وعبد الله علي العليان: حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين - رؤية إسلامية للحوار-، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والتشر، بيروت، لبنان، 2004م، ص80، وعقيل سعيد ملا زادة: الحوار قيمة حضارية -دراسة تأصيلية لمنهجية الحوار في الإسلام-، ط1، دار التفانس، الأردن، 1430هـ/ 2010م، ص127، وحمدى شفيق: الإسلام والآخر -الحوار هو الحل-، دط، دم، دت، ص29، وبدر الماص: الحوار الإسلامي مع الآخرين -الأهداف، المبادئ، التاريخ-، بحث مقدّم لوقائع المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: مشكلات العالم الإسلامي وعلاجها في ظلّ العولمة (الأبعاد الاجتماعية والثقافية)، القاهرة، 27-30 مارس 2007م، ص519.

خامساً - الحرّية الفكرية؛ إذ يتوجب على كلّ متحاور التّحرّر من رقّ الإرهاب الفكري أو الهيمنة الفكرية، لأنّ ذلك يجزّئ إلى التّبعية المطلقة للطّرف المقابل دون فرض أيّ ضغوطات أو ممارسات عليه، وهو ما يؤدّي إلى خروج الحوار عن مساره ويجعله دون معنى وفاقداً للشّرعية، وهذه الحرّية تعطي كلّ طرف من أطراف الحوار الحقّ في أن يقبل أو يرفض ما يُعرض عليه من آراء وأفكار وعقائد وموضوعات شتى، فلا يكون تابعاً لغيره أو إمعة في ذلك.

سادساً - التّكافؤ والمساواة؛ أي امتلاك الطّرفين المتحاورين لقدرات عقلية وفكرية ومؤهلات معرفية متكافئة، وحيازة قدر معقول من الأهلية العلمية، وتساويهما من حيث الاعتبار والنّديّة والإرادة المشتركة بينهما.

كما أن هناك آداباً وأخلاقاً عامّة للحوار، من الأفضل أن يتحلّى بها المتحاورون أثناء تحاورهم، منها:¹

أولاً - التزام الموضوعية والبعد عن التّعصب.

ثانياً - التزام الهدوء أثناء عملية التّحاور.

ثالثاً - وجوب احتراز المحاور عن الاختصار المخلّ بالكلام.

رابعاً - إفساح المجال أمام المحاور الآخر لإبداء وجهة نظره والإدلاء برأيه.

خامساً - التزام القول اللين والحسن والمهدّب.

سادساً - تقدير الطّرف الآخر واحترامه.

سابعاً - حسن الاستماع والإصغاء للطّرف الآخر من بداية حديثه إلى نهايته.

ثامناً - إنزال الناس منازلهم وإعطاء كلّ ذي حقّ حقه.

تاسعاً - معرفة أحوال المحاور النفسية.

¹ - ينظر: معن محمود عثمان ضمرة: الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص113، 138، وعبد الرّحمان حسن جبنكة الميداني: ضوابط المعرف وأصول الاستدلال والمناظرة، مرجع سابق، ص373، ومحمد سيّد طنطاوي: أدب الحوار في الإسلام، دط، دار تحفة مصر للطباعة والنشر والتّوزيع، القاهرة، مصر، 1997م، ص31، 37، 48، وصالح بن عبد الله بن حميد: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ط1، دار المنار للنشر والتّوزيع، جدّة، السّعودية، 1415هـ/ 1994م، ص25، 33، وموسى بن يحيى الفيبي: الحوار - أصوله وآدابه وكيف نربي أبناءنا عليه؟، مرجع سابق، ص142-143، وعبد القادر الشّيخلي: أخلاقيات الحوار، ط1، دار الشّروق، عمان، الأردن، 1993م، ص73.

عاشراً- عدم الاستئثار بالحديث والتفرد به، والالتزام بوقت محدد في الكلام.

حادي عشر- تجنّب التعميم في الأحكام.

ثاني عشر- تجنّب الصّراع وعدم إثارة الفتن والمشادات الكلامية والتّعرات الذاتيّة والوساوس الشّيطانيّة.

فهذه جملة من الشّروط وبقية من الآداب تضاف إلى الشّروط والآداب التي تكلم عنها فضل الله، يجب أن يتّصف بها المتحاورون ويتحلّوا بأكثرها؛ حتّى يكون الحوار ناجحاً، وبالتالي يكون هذا الرّجل أكثر صرامة من هذه النّاحية؛ أي في انتقاء المتحاورين ووضع الشّروط اللازمة لذلك، من صاحبه الذي لم يشترط عليهم إلاّ التّحقّق بالإيمان والتّدين كما مرّ سابقاً، ومنه يكون كلّ منهما قد تطرّق لوصف المتحاورين من جانب معيّن أو من زاوية محدّدة، وإذا كان هذا فرقاً جوهرياً، فإنّه من ناحية أخرى يعدّ نصّاً تكاملياً في إيضاح بنية الأطراف المتحاورّة وصياغة الشّروط الخاصّة بهم، وهو ضابطٌ توافقيّ محدّد للحوار بين المسلمين والمسيحيين.

المطلب الثالث: ثلاثية الحوار؛ الموضوع، الزّمان والمكان.

الموضوع، الزّمان والمكان؛ ثلاث قطع أساسية يتكوّن منها الحوار بصفة عامّة، إذ لا يمكن أن يخلو أيّ حوار منها، شأنها شأن وجود المتحاورين، غير أنّها خاضعة لهم؛ بمعنى أنّ الأطراف المتحاورّة هي التي لها أفضليّة اختيار المواضيع والأزمنة والأمكنة لإجراء الحوار، ويتأكّد هذا عند الحديث عن الحوار الإسلامي المسيحي، الذي يديره مسلمون ومسيحيون من اتجاهات شتى؛ وهو أمر لم يغفل عنه الرّجلان اللذان تكلمّا عن ذلك، كلّ منهما ببحثه في شقّ معيّن.

ففضل الله الذي لم يتحدّث عن زمن الحوار مع المسيحيين ولا مكانه، وصّف المواضيع التي يمكن إثارتها معهم، أي بين المسلمين والمسيحيين، وفي هذا الصّدّد لا يستثني منها شيئاً؛ فكلّ شيء قابل للتّحاور فيه أو حوله، وأيّ موضوع هو محلّ للنقاش والتّشاور والمساءلة من قبل الطّرفين؛ إذ لا مقدّسات ولا محرّمات في الحوار؛ فالقضايا اللاهوتية والتّشريعية والكلامية والفكرية والثّقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية، كلّها يمكن أن تُطرح في المجالس الحوارية الإسلامية المسيحية¹ وهذا الأمر يوسّع من مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي ويمدّد دائرته وفلكه، فبدل أن يقتصر على المسائل الدّينية البحتة كالإلهية والنّبوة

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص12، 24-25، 29، وحوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، مصدر سابق، ص339.

والصلاة والقيم الروحية...، فإنه يتجاسر على اشتغال ما هو أشمل من ذلك وأكثر حيّزًا، فيكون في الوقت نفسه حوارًا منتميًا إلى مجالات عدّة أيضًا.

وليس هو فقط -أي فضل الله- من يقرّر هذه الفكرة، فهناك من الباحثين كذلك من يؤيّد فيها، فيوسّع من مجال الحوار بين المسلمين والمسيحيين ليجعله شاملاً على مواضيع عدّة وميادين شتى، ففي كتابه "الحوار العكسي بين المسيحية والإسلام"، يتطرّق أحمد عبد الوهاب بالبحث والمقارنة، لعدّة مواضيع مشتركة بين الديانتين قابلة للتحوّل حولها، باعتبارها مؤمّن بها من قبل أتباعهما، فيذكر هذه المسائل بالتمائل بينهما؛ وهي: الإلهية والنبوة والأخلاق والتاريخ والعلم،¹ وهي قضايا حسّاسة وأساسية في كلا الديانتين، وتشهد اللقاءات التي جمعت بين الطرفين على تنوع المواضيع التي نُوقشت ونُحِثت، وهي مواضيع تشمل قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق والفكر والمجتمع والثقافة، وغير ذلك من القضايا،² وأيضًا يعدّد سعود المولى مواضيع الحوار الإسلامي المسيحي؛ فيذكر منها: موضوع اللاهوت وعلم الكلام، وقيم الحق والعدل والكرامة، وقضايا الإيمان والفكر الديني، والمسيحية العربية، والمشاريع الحضارية، والدين والمجتمع أو الدولة والدين، وقضايا الأقلية والأكثرية والمواطنة وأهل الذمّة...³

وأما بورمانس -وخلافاً لفضل الله- تطرّق لأمرين مهمّين من هذه الثلاثية المكوّنة للحوار؛ هما: الزمان والمكان، فبالنسبة للأمر الأوّل، فإنّ هناك أزمنة محدّدة ومعينة جديرٌ بالمسيحيين والمسلمين مراعاتها واستغلالها في اجتماعاتهم ولقاءاتهم؛ وهي الأوقات المتميّزة التي تعبّر عن أحداث مشتركة بين الطرفين، وذلك حتّى يحسّوا إحساسًا مشتركًا ببركة هذه الأوقات أو المناسبات، فتسهل عليهم مناقشة ما اجتمعوا له من قضايا وأمور،⁴ بفعل اختيار الزمان المناسب والمناسبات المهمة التي يرتفع فيها الشعور بالإيمان والتّرقّي في مقامات السموّ الروحي.

وبالنسبة للأمر الثاني، فإنّ الحوار بين الفريقين، لا يجب أن يقتصر على اجتماع اللاهوتيين ورجال الدين والعلماء في الأماكن الحوارية المخصّصة؛ كالجوامع والنوادي والكنائس والمساجد، بل إنّ كلّ مكان يتواجد فيه مسيحيون ومسلمون معًا، يُمكن أن يكون محلًّا للحوار؛ فالبيت الأسري ومكان العمل وأماكن الدّراسة

¹ - Ahmed Abd Elwahab: **Dialogue Transtestuel Entre Le Christianisme Et L'islam**, Centre Abaad, p72-134, 167-333.

² - ينظر: جوليت حداد: البيانات المسيحية المشتركة، مرجع سابق، ص 200-206.

³ - سعود المولى: الحوار الإسلامي المسيحي -ضرورة المغامرة-، مرجع سابق، ص 41-43.

⁴ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 48.

وغير ذلك، كلّها أمكنة صالحة للحوار؛¹ حوار الحياة الذي لا تقيده المحلّات الأكاديمية ولا الدّينيّة، بل هو مفتوحٌ على كلّ بقعة من هذا العالم، يتواصل فيها المسيحي مع المسلم؛ وهو ما يعبر عنه بالعيش المسيحي الإسلامي المشترك.

فها هو لبنان؛ البلد المسيحي الإسلامي يشهد على هذا النوع من الحوار الذي يمكن أن يُقام في كلّ مكان من ترابه، صغيراً كان أو كبيراً، وتأكيداً لهذا الأمر وتنظيمًا للمسألة الحوارية؛ صيغ ميثاقٌ إسلامي مسيحي* للحياة الواحدة، رُسمت فيه أهمّ المبادئ التي تنصّ على الوحدة والعيش المشترك؛ منها:²

أولاً - أنّ المسلمين والمسيحيين لديهم إيمانٌ ثابتٌ بالعيش الواحد في مجتمع تسوده الحرّية والتّكافؤ والمساواة في حقوق المواطنة.

ثانيًا - أنّ المسلمين والمسيحيين مُدركونٌ وجوب تحالف أهل الإيمان لأداء الواجب الذي يمليه عليهم اعتقادهم الدّيني نحو وطنهم العربي، والإسهام في تعزيز الوحدة الوطنيّة، وتقوية الشّعور بالانتماء إلى وطن واحد يتّسع لأبنائه جميعاً على اختلاف ولاءاتهم الدّينيّة، ويتجاوز بهم العصبيّة الطائفية والعرقية.

ثالثاً - أنّ العمل من أجل توطيد العيش الواحد، ضرورة تملّحها المهموم والأهداف الوطنيّة والاجتماعيّة الواحدة، والسّياق التّاريخي والحضاري الواحد، ووحدة المصير.

رابعاً - أنّ تعزيز الوحدة الوطنيّة في وجه التّدخّلات الخارجيّة ومشاريع الهيمنة على الوطن العربي؛ همٌّ مشتركٌ يجتمع حوله المسلمون والمسيحيون.

خامساً - أنّ الحوار بين المسلمين والمسيحيين يجب أن يؤسّس على معالجة جذور التوتّرات الدّينيّة والطائفية وأسبابها، والكثير منها يقع في الظّروف السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثّقافيّة السائدة التي تُسهّم في إنتاج مناخ من الاحتقان العام.

سادساً - أنّ المسلمين والمسيحيين يسعون إلى دفع الالتباس بين التدين الصّحيح والغلو المذموم الذي يؤدّي إلى العنف والتّطرّف.

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 46-47.

* وضع هذا الميثاق الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي؛ لمعالجة القضايا والأمور الناشئة عن العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة في المنطقة العربيّة "لبنان، سوريا، فلسطين، الأردن، مصر، السودان، بعض دول الخليج"، وذلك لتطوير حركة الحوار الإسلامي المسيحي وتحديد آفاقه. (حوار الأديان وبناء الدّولة، ص 45).

² - عبّاس الحلبي: حوار الأديان وبناء الدّولة، مرجع سابق، ص 46.

وهكذا حدّدت البنود السابقة السّالفة الذّكر؛ أسس ومعالم الوحدة والتّعاون والتّآزر والتّفاهم والعيش المشترك بين الطّرفين، حفاظاً على النّظام العام، ودعمًا لحوار الحياة القائم بينهما في صورة أبدية، ما دام الشّعبان يعيشان جنبًا إلى جنب في ودّ وسلام، ليشارك الجميع في هذا التّناغم المتآلف واللقاء اليومي في الأسرة وأمكنة العمل والدّراسة والتّجمّعات، صغارًا وكبارًا، نساء ورجالًا، متعلّمين أو مثقّفين وأُمّيين.

ولئن كان ما تمّت الإشارة إليه آنفًا من نقاط؛ مكونات أساسية في فقه الحوار الإسلامي المسيحي، والمعبر عنها بثلاثية الحوار؛ الموضوع، الزّمان والمكان، والتي تكلم عنها كلٌّ من الرّجلين، كلٌّ منهما على بعضٍ منها، فليس معنى ذلك أنّهما أهملتا الأجزاء الأخرى، وإمّا معناه أنّ واحدًا منهما اهتمّ بمواضيع الحوار بصفة بالغة، والآخر اهتمّ بأمكنته وأزمته بصفة بالغة أيضًا، وعلى كلّ حال، فإنّ ذلك يعود إلى مجال اهتمام كلٍّ منهما، وأيضًا إلى الرّؤية أو الزّاوية التي يُلحظ من خلالها ما يدور من حوار بين المسلمين والمسيحيين، ففضل الله إمّا ركّز على الموضوع؛ لأنّه مهتمّ بهذا الجانب؛ لاعتقاده أنّه أهمّ نقطة أو مسألة في هذا الحوار، وبورمانس ركّز على المكان والزّمان؛ لأنّه مهتمّ بهما؛ لاعتقاده أنّهما سبيلان لإنجاح الحوار، ومهما يكن من أمر، فإنّ هذا المنحى هو بمثابة التّكامل والتّوافق أكثر منه فارقًا بين الرّجلين في مسألة الحوار الإسلامي المسيحي، وبالتالي فهما سواءٌ في هذه النّقطة من حيث الوُضوح والعمق.

المطلب الرابع: معايشة الحوار بين الجديّة والتدبّر.

صحيحٌ أنّ الحوار الإسلامي المسيحي في شكله الرسمي؛ هو عبارة عن لقاءات تُعقد بين المسلمين والمسيحيين بغية مناقشة بعض القضايا أو المسائل التي تهمّ الطّرفين، كما يتمّ فيها تبادل الأفكار والحقائق والمعلومات والخبرات بينهما،¹ غير أنّه وحتى لا يكون شكليًا أو تمثاليًا أجوف أو مطيّة للبعض يستخدمه لتحقيق مآربه الشخصيّة، أو لعبة للبعض الآخر من أجل إضاعة الوقت، أو ترفًا فكريًا لا فائدة ترجى منه، حتّى لا يكون صورة عن كلّ ذلك؛ يجب أن يكون مبنياً منذ البدء على قيم الإخلاص والصّدق والعزيمة القويّة الصّحيحة والفكر السّليم، وسوى هذا من الأساسيات؛ ممّا يجعله حوارًا حقيقيًا لا مُزيّفًا، يؤتي أكله كلّما أُريد له ذلك، أو كلّما انعقدت مجالسه وتشكّلت لجانه واجتمعت موائده.

إنّ هذه الحقيقة الصّارخة في عمق تاريخ العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، الصّارخة بالقول الصّائب في مجال الحوار بين الأمتين، أدركها الرّجلان إدراكًا جيّدًا، إذ استيقنا أنّه الإشكاليّة وماهيتها أو جوهرها، تلك

¹ - يوسف الحسن: الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتّحديات -، مرجع سابق، ص 13.

الإشكالية التي أنتجت تصوّرًا علميًا ومعرفيًا عن وضع الحوار بين المسلمين والمسيحيين وما يعانيه من عراقيل وصعوبات وأخطاء منهجية وموضوعية.

فأمّا فضل الله وتجنّبًا لكلّ ما سبق وصفه من إخفاقات قد تصيب المتحاورين أو الحوار في حدّ ذاته، دعا -وبكلّ صدقٍ وإخلاص- إلى تجنّب الحوار الاستهلاكي الذي لا فائدة تُرجى منه، والذي يكون وجوده وعدمه سواء، بما أنّه لا يُعقد إلّا للتّمويه أو المراوغة أو المناورة أو إضاعة للوقت ليس إلّا، بل ونَبَذَهُ نَبَذًا شديدًا، وشجبه شجْبًا كبيرًا، ونَدَدَ بالقائمين عليه الدّاعين إليه، داعيًا إيّاهم إلى الكفّ عن إقامة مثل هذه الحوارات التي لا تحقّق ما تصبوا إليه الأطراف المتحاورّة من مقاصد وأهداف وغايات، وبالمقابل حرّض المسلمين والمسيحيين جميعًا على اللجوء إلى الحوار الموضوعي الفعّال الجادّ؛ تحقيقًا للأهداف المرسومة، وإحياءً للأمال والأمانى المطلوبة، وسيرًا في طريق اللقاء الصّحيح بين الطّرفين؛ إحقاقًا للتّفاهم والتّعايش بينهما، وهذا حتّى يبقى هذا الحوار شاهدًا للأجيال القادمة؛ فيُقبلون عليه راغبين صادقين، ورمزًا للعلاقات السّلمية الإيجابية الإسلاميّة المسيحيّة، ويتمّ في أجواء أخويّة حميميّة ملؤها المودّة والرّغبة والصدّق والإخلاص واليقين.¹

وسعيًا منه إلى مواصلة ما بدأه فضل الله وتأكيده، هبّ بورمانس إلى بثّ بعض المحاور التي من شأنها الإغلاء من فاعليّة الحوار الإسلامي المسيحي، ابتعادًا به عن الغوغائيّة والعشوائيّة، فأورد أفعالًا تديّبة مشتركة بين الطّرفين، يتوجّب عليهما استحضارها ذهنيًا وواقعيًا عند الشّروع في عمليّة الحوار؛ كالتّحاور باستشعار المعية الإلهيّة التي تصاحبهما وترعى حوارهما أو لقاءهما معًا، ذلك أنّهما مؤمنان به، مخلصان له اعتقادًا وعبادة، وهذه نقطة جامعة بينهما، وإنّ تباينوا في طريقة التّعبير عن ذلك، فيكونان شهودًا لبعضهما البعض، تحقيقًا للتّعاون والتّآلف، وكذلك التّحاور بتقديم التّوبة والرّجوع إلى الله والتّصالح معه، ومصالحة الآخرين واكتشاف النّقاط الجوامع التي تجمعهما، والمشتركات التي يتقاسمها معًا، ولا يتحقّق هذا إلّا بالعيش أولًا في كمال الحياة الرّوحيّة وضمن الجماعة الدّينيّة، ثمّ التّحاور من خلال استحضار الاعتراف أو الشّهادة المتبادلة؛ فيشهد المسيحي للمسلم بالإيمان والعلاقة الحميمة مع الله، ويشهد المسلم للمسيحي بذلك أيضًا، ويشهدان معًا على أنّ الله بمعيتهما أثناء حوارهما، ثمّ يتحدّيان كلّ المخاطر في سبيل تحقيق هذا الحوار؛ فيُقدّمان على المغامرة والجرأة من أجله ويقومان بالمستحيل إزاءه،² وهذه أمور إيمانيّة من الأفضل

¹ - محمّد حسين فضل الله: حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، مصدر سابق، ص341، وفي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص22، والحوار في القرآن -قواعده، أساليبه، معطياته-، ص80-81، والإسلام والمسيحيّة بين ذهنيّة الصّراع وحركيّة اللّقاء، مصدر سابق، ص20-21.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص56-61.

تحلّي المتحاورين بها وجعلها متوغّلة في القلب متمكّنة من النفس، وكلّ ذلك بغية التحسين من وضعه - أي الحوار - والسّير به في الطّريق الصّحيح، وتحييده عن أيّ عقبة تقف أمامه، إضافة إلى استحضار الفاعليّة والجدّيّة والتّنافس فيه.

وتلك هي الأُسس أو المبادئ المعبّر عنها بـ: "معايشة الحوار"؛ أي على طريقتي الحوار الإسلامي المسيحي الدّخول فيه قلبًا وقلبًا، جسديًا وروحًا، وإدراكًا لما يجري من وقائعه أثناء التّحاور، للخروج بأهداف ساميّة تخدم العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، أو تكون حلولًا لما يتخبّط فيه العالم من مشاكل آنيّة وتقديم مقترحات مستقبلية في سبيل ذلك، ولا تتمّ هذه الأمور إلّا بالجدّيّة والتّفاعليّة في نظر فضل الله، أو بالالتزام الدّيني والإيمان العميق في نظر بورمانس، وإنّ الجمع أو المزج بين هاتين الرّؤيتين؛ لهو منهج تكامليّ تداخليّ في سبيل تحقيق حوارٍ فعّال وجدّي بين المسلمين والمسيحيين، وإن كانت كلّ رؤية لتبدو مختلفة في نوعيتها عن الرّؤية الأخرى بما يمكن اعتباره فرقًا بين الرّجلين في هذا المجال، إلّا أنّ التّكافؤ بينهما حاضرٌ هاهنا أيضًا.

المطلب الخامس: القيم الأدبية والحضارية.

لا يكون الحوار - مهما كان شكله أو نوعه - ناجحًا أو مؤدّيًا دوره المناط به، ما لم يتمّ تقييده ببعض القيم الإنسانيّة والمعرفيّة والأخلاقيّة، والتي تجعل منه كائنًا منظمًا مرتّبًا، كما تُرقي من مستواه الحضاري والثّقافي.

وقد سعى كلّ من فضل الله وبورمانس إلى التّنظير لهذه القيم والأخلاقيات، بغية الارتقاء بالحوار الإسلامي المسيحي إلى مصافّ الحوارات الفاعلة في عالم اليوم، إيمانًا منهما بضرورة ذلك، وضرورة أن يكون الحوار بين المسلمين والمسيحيين طريقًا إلى التفاهم والتّعايش بينهما، وأن يكون كذلك مسألة مستقلة عن بقية القضايا، لها كيانها المستقل والمنفرد، وتُحيط بها جملة من الآداب والشّروط والقيود والقيم الخاصّة، والانفراد بها عن التّبعية؛ فتغدو قضية خالصة في شأنها كلّها، وهذه نقطة جامعة بينهما يتّفقان حولها في هذا الشّأن.¹

فالالتزام الموضوعيّة والتّقيّد بها والاحتكام إلى مبادئها، ومعالجة القضايا الكبرى في ظلّها، وبالتالي الابتعاد عن الدّائيّة والترجسيّة والغرور التّفسي والادّعاء المعرفي في المضمون الفكري، وكذا تجنّب الانفعال بالالتزام بالهدوء والانضباط والطّمانينة والسّلم والتّوعدّة والرّقة والليونة، والابتعاد عن التّصرفات الحماسيّة الاستفزازيّة؛

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 16-21، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 49-51.

كالخصومة والجدال العقيم واللدن ورفع الصوت والتلفظ بالكلام الخشن والبذيء من سب وشتم وتكفير أو تبديع أثناء التّحاور، كلّ ذلك - في نظر فضل الله - قيودٌ يجب على المتحاور سواء كان مسلمًا أو مسيحيًا التّفيد بها، والابتعاد عن المحظورات بالالتزام بالمزايا التي هي قيمٌ أدبيّة تزيّن الحوار وتُحليّه وترفع من شأنه، وهي كذلك دعائمٌ للمنهج الحوارى في الإسلام احتكامًا لما ورد في القرآن الكريم؛¹ وهو منهجٌ حكيم قائم على الموضوعيّة، ومستند إلى المعرفة العلميّة والحكمة.

وفي هذا الصّدد ينبغي تجنّب منهج التّحدّي والإفحام، فعلى المرء أن ينأى بنفسه عن أسلوب الطّعن والتّجريح والسّخرية، وجميع أنواع الاحتقار والإثارة والاستفزاز، ويلحق بهذا تجنّب أسلوب التّعسف في الحديث، وتعتمد إيقاع الطّرف الآخر في الإحراج، كما ينبغي أن يتحاشى المحاور الفتن والمشادات الكلاميّة والمشاحنات الفرديّة والتّعرات الذاتيّة والوساوس الشّيطانيّة،² وهذا يقود الحوار إلى طريق مستقيم لا عوج فيه ولا انشقاق، ويحول دون الانسياق إلى الهوى، فعلى المتحاورين أن يتجنّبوا التّعصب، ويعلنوا عن الاستعداد التّام للبحث عن الحقيقة، والأخذ بما عند ظهورها من أيّ طرف كانت،³ وهذه هي الموضوعيّة في أسْمى معانيها وأرقى صورها.

ثمّ إنّ ممّا ينبغي تقديمه بين يديّ الحوار، بعض القيم المؤسّسة على المنهج الحضارى؛ كالقبول والاعتراف والتّفاهم والتّسامح والتّعايش، جميع هذه القيم مكتملة لبعضها البعض، فينبغي في البداية قبول المسيحيين للمسلمين والاعتراف بهم وبإيمانهم، وكذلك الأمر بالنّسبة للمسلمين تجاه المسيحيين، واعتبار كلّ واحد منهما أنّ الآخر صاحب رسالة سماويّة وتوجيه ربّانيّ إلهي، وعندما يتمّ هذا الاعتراف المتبادل بين الطّرفين، فإنّه حتمًا سيؤدّي إلى إحلال التّفاهم بينهما، وذلك يستدعي تحرّرها من عقدة النّقص أو مرض التّفوق تمهيدًا للقابليّة والتّموضع في موضع وسط يسمح بالتّكافؤ في معرفة الإسلام والمسيحيّة، وإذا ما تمّ ذلك كان التّسامح حاضرًا بين أتباع الديانتين؛ لتنتج عنه حياة مشتركة وتعايشًا واقعيًا قائمًا على المودّة والاحترام والتّعاطف،⁴ تمثّله تلك الحركيّة الشّعبية الاجتماعيّة التي هي مجسّدة اليوم في معظم البلدان المحتويّة للمسلمين والمسيحيين معًا، على غرار لبنان ومصر والسّودان وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وغيرها من البلدان الأخرى.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص25، والحوار في القرآن -قواعده، أساليبه، معطياته-، مصدر سابق، ص25.

² - صالح بن عبد الله بن حميد: أصول الحوار وآدابه في الإسلام، مرجع سابق، ص25.

³ - معن محمود عثمان ضمرة: الحوار في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص113.

⁴ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص49-51.

ففي نيويورك، وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر*، وكتعبير عن التعايش المسيحي الإسلامي؛ عملت مجموعة من بيوت العبادة بما في ذلك المساجد الشيعية والسنية، والكنائس الرومانية الكاثوليكية، والكنائس الأوكرانية والروسية الأرثوذكسية، والكنائس البروتستانتية بأمريكا، والكنائس الأنجليكانية، والكنائس الميثودية المنهجية واليهودية، جميعاً من أجل تحقيق المصلحة العامة، فأقامت مأوى يضم 19 فرداً كانوا دون مأوى، وقدمت حوالي 30.000 وجبة خلال سنة لبعض الفقراء، وتكفلت ببرنامج ديني للصلاة، وتقديم الدعم الروحي للمرضى، كما قام المنتمون لهذه الهيئات التبعية بالصلاة احتفالاً بذكرى موت مارتن لوتر، وعيد الشكر، ووقفوا وقفة تضامنية لمواجهة أوقات الشدة.¹

وقبل ذلك في سنة 2006م، وفي المدينة ذاتها، قام مجموعة من رجال الدين المنتمين إلى مختلف الكنائس المسيحية وبعض الربانيين من اليهود؛ بتقديم طلب لإدارة المدينة لأجل إعطاء ترخيص لبعض المسلمين الفلسطينيين لتحويل مدرسة كاثوليكية إلى مسجد، فاستجابت إدارة المدينة لطلب هؤلاء (المسيحيين) وأعطت الترخيص لأولئك (المسلمين) الذين قُبل طلبهم بالرفض في البداية،² وهذه صورة أخرى عن التعاطف والتعايش بين المسلمين والمسيحيين في أمريكا، وهي مجرد مثال عن عشرات الأمثلة الموجودة هنا وهناك.

هكذا يصور بورمانس أهم القيم الحضارية، والتي ينبغي مراعاتها أثناء إجراء الحوار من قبل الفريقين؛ لأنها بمثابة الجامع المشترك الذي بتحقيقه أو تمثيله أو تجسيده على أرض الواقع؛ يكون تهيئة للحوار الذي يأتي فيما بعد بشكل عفوي.

وإذا كان كلٌّ من الرجلين قد تكلم عن القيم والحِصَال التي يجب الاتِّصاف بها أو معايشتها، وكان هذا أمراً متفقاً عليه بينهما من حيث عموميته وشموليته، ومن حيث وجوب حضور هذه القيم، فإن ما يعدُّ فارقاً بينهما بخصوصها؛ هو نوعيتها أو قلبها، لأنَّ فضل الله طرقها أو بحثها من باب الآداب والأخلاقيات العامة، وبورمانس طرقها من حيث الجانب الحضاري والعلاقات بين الطرفين، وهذا في حدِّ ذاته نسقٌ متكاملٌ من البناء القيمي الشامل.

* هي مجموعة من الهجمات التي شهدتها الولايات المتحدة في يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001م؛ حيث تمَّ تحويل الجناح أربع طائرات نقل مدني تجارية وتوجيهها لتصطدم بأهداف محددة، نجحت في ذلك ثلاث منها، تمثلت في برجَي التجارة الدوليَّة بمبھاتن ومقر وزارة الدفاع الأمريكيَّة (البنْتاجون)، وسقط نتيجة هذه الأحداث حوالي 2973 ضحية وإصابة لآلاف الجرحى والمصابين بالأمراض.

¹ - دوغلاس ليونارد: التعددية الدينية والثقافية وإمكانية التفاهم والانقسام (التجربة الأمريكية)، مجلَّة التفاهم، العدد 31، ص 112.

² - المقال نفسه، ص 113.

*إذن، ومن خلال ما تمّ عرضه من فروق واتّفاقات فيما يخصّ الضّوابط عند كلّ من فضل الله وبورمانس، يمكن تقرير نتيجة مفادها؛ أنّ الرّجلين بينهما في هذا المجال تداخل وتكامل وتوافق، وأيضًا بعض الاختلاف الذي لا يخلُّ بالنّظرة الإجمالية للحوار الإسلامي المسيحي التي يشتركان في معالمها الكبرى.

خلاصة الفصل:

فيما سبق من مباحث في هذا الفصل؛ تمّ استعراض ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي كما يبيّنها محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس، إذ عدّد كلّ منهما مجموعة من الشّروط أو القيود التي يجب على المسلمين والمسيحيين استحضارها والاحتكام إليها والسّير في دربها أثناء تحاورهما فيما بينهما.

فأمّا الأوّل فحصرها في:

أولاً - تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي.

ثانياً - أهليّة المتحاورين.

ثالثاً - استنطاق كلّ المواضيع ومناقشتها.

رابعاً - الفاعليّة في الحوار.

خامساً - الابتعاد عن الدّائيّة وتجنّب الانفعاليّة.

وأما الثّاني فحصرها في:

أولاً - تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي.

ثانياً - هويّة المتحاورين

ثالثاً - المجالس الحوارية وألويّة المكان والزّمان.

رابعاً - استدعاء الأبعاد الدّينيّة المشتركة.

خامساً - استحضار المناهج والسّبل الفعّالة.

ومن خلال المقارنة المعقودة سالفًا بينهما في هذه الأمور، تبين لي أنّ هناك بعض التّوافق وبعض الاختلاف كذلك بين الرّجلين بخصوصها.

فأمّا أوجه الاتّفاق فأجملها في الآتي:

أولاً - اتّفاق الرّجلين على أنّ الحوار الإسلامي المسيحي يخضع لضوابط أو محدّدات معرفيّة ومنهجية وأدبيّة وحضارية... .

ثانيًا - اتفقاها أيضًا في إعطاء مفهوم للحوار الإسلامي المسيحي، وأنّ جزءاً منه هو التعايش الحاصل بين الفريقين والمتمثّل في حوار الحياة.

ثالثًا - اتفقاها كذلك حول الحديث عن موضوعات الحوار والأطراف المتحاورة، ووضع بعض الشّروط لكلّ مسألة من هذه المسائل.

رابعًا - أيضًا اتفقاها حول وجود قيم أديّة وحضاريّة؛ هي من ضمن شروط الحوار بين المسلمين والمسيحيين.

خامسًا - دعوتهما إلى الجدّيّة والفاعليّة في هذا النوع من الحوار.

وأما أوجه الاختلاف؛ فهي:

أولًا - إيراد فضل الله لمفهوم الحوار الإسلامي المسيحي بطريقة مباشرة، بخلاف بورمانس الذي تحدّث عنه في عموم السياق بشكل غير مباشر، كما يختلف الرّجلان في المقصد من هذا الحوار؛ بحيث يرى فضل الله أنّه لا إشكال في توظيفه - أي الحوار الإسلامي المسيحي - من أجل الدّعوة والتّبشير، الأمر الذي يرفضه بورمانس رفضًا قطعياً.

ثانيًا - بالنّسبة لهويّة المتحاورين؛ طرقها فضل الله من جانب أدبي أخلاقي، وذلك بوضعه لبعض الشّروط التي يجب أن يتقيّد بها المتحاور، أمّا بورمانس فقد عرّج في هذا الصّد عن بنية المتحاورين وانتماءاتهم ومذاهبهم، وعلى ذلك؛ فإنّ الأوّل يخصّص فقط ثلّة من الأفراد الذين بإمكانهم إجراء أو القيام بعملية التّحاور، في حين لا يستثني الثاني أحدًا من هذه العملية.

ثالثًا - بالنّسبة لثلاثيّة الحوار؛ الموضوع، الزّمان والمكان، اهتمّ فضل الله بالشّق الأوّل منها؛ المتمثّل في الموضوع، حيث يرى أنّه لا محرّمات ولا مقدّسات في الحوار، فكلّ شيء أو أمر قابل للحوار أو التّحاور حوله، أمّا بورمانس فقد اهتمّ بقضيّتي المكان والزّمان؛ فبيّن أنّ كلّ مكان يمكن أن يكون مقرّاً للحوار، وأنّ هناك أزمنة مخصوصة من الأفضل تحريّها عند إرادة التّحاور.

رابعًا - حديث فضل الله عن هذه الضّوابط، كان في أغلبه بشكل عام؛ أي أنّها شاملة لكلّ أنواع الحوار وأشكاله وأقسامه، وليست خاصّة فقط بالحوار بين المسلمين والمسيحيين فقط، بخلاف بورمانس الذي يوردها خاصّة به فقط؛ أي بالحوار الإسلامي المسيحي.

خامساً - وعمومًا، يلاحظ أنّ فضل الله في إطار تحديده للضوابط وحديثه عنها، كان أصرمّ وأحزم وأشدّ انضباطاً فيها من صاحبه؛ ذلك أنّه تشدّد في بعض منها تشدّداً كبيراً وخاصّة عند تقريره للشروط التي يجب أن تتوفّر في المتحاور سواء كان مسلماً أو مسيحياً، في حين أنّ بورمانس تساهل كثيراً في بعض هذه الضوابط وخاصّة عندما قرّر أنّ الجميع ممّن ينتمون إلى المسيحيّة أو الإسلام يمكنهم أن يكونوا أطرافاً في هذا الحوار.

وبصفةٍ عامّة، عندما تطبّق هذه الضوابط السالفة الذكر بحذافيرها، ويحتكم إليها كلّها، فإنّ الحوار بين المسلمين والمسيحيين سوف يسير على الدّرب الصّحيح والنّمط الصّائب، ثمّ من بعد ذلك يحقّق مآربه ومقاصده وأبعاده، وكذا الآفاق المستقبلية المنوطة به، إلّا أنّ هذا الحوار قد تعرّضه بعض العقبات التي من شأنها عرقلته أو تعطيله؛ وهي المعترّ عنها بالمعوقات أو العوائق، الأمر الذي سأتحدّث عنه في الفصل الموالي.

❖ الفصل الرابع: معوقات الحوار الإسلامي المسيحي أو

المبطلات الحوارية.

➤ تمهيد.

➤ المبحث الأول: المعوقات عند محمد حسين فضل الله.

- المطلب الأول: الانطباع التكفيرى المتبادل أو الترشق بالهرطقة.
- المطلب الثانى: طبيعة المعتقدات والتشريعات.
- المطلب الثالث: الدولة الإسلامية فى لبنان.
- المطلب الرابع: الانغلاق الفكرى والأساليب البدائية.
- المطلب الخامس: الأطراف الخارجية أو العائق الأجنبى.

➤ المبحث الثانى: المعوقات عند موريس بورمانس.

- المطلب الأول: مظالم الماضى أو الصدمات القديمة.
- المطلب الثانى: الرؤية المسيحية التقليدية للإسلام.
- المطلب الثالث: الرؤية الإسلامية التقليدية للمسيحية.
- المطلب الرابع: المعوقات الحياتية (الواقعية) المعاصرة.

➤ المبحث الثالث: المقارنة بين المعوقات عند الرجلين.

- المطلب الأول: العوائق العقائدية اللاهوتية.
- المطلب الثانى: العوائق الحضارية الثقافية.
- المطلب الثالث: العوائق التاريخية السياسية.
- المطلب الرابع: العوائق الحياتية الواقعية (المعاصرة).

➤ خلاصة الفصل.

تمهيد:

تدور المعاني اللغوية للمعوقات أو العوائق أو المنبطات حول: "المنع والشغل أو الأمر والحادث الشاغل، والوقف والإبطاء والتأخير..."¹، ومن خلال ذلك يمكن أن نقرّر بأنّ معوّقات الحوار الإسلامي المسيحي؛ هي تلك الأمور أو القضايا أو المسائل التي تعيق الحركة الحوارية بين المسلمين والمسيحيين، أو تُثبّط من عزيمتهما على اللقاء والتلاقي قصد التّحاور، وبناء على ذلك يكون تواجدها في السّاحة الواقعية أو على مستوى الأفكار والأذهان أو الإيمان بها والاحتكام إلى مقتضياتها؛ سبباً في عدم قيام هذا الحوار أساساً، أو على أقلّ تقدير؛ عدم بروزه بالصّفة المطلوبة والشّكل المراد والمبتغى، ذلك أنّها بمثابة المانع الذي يحضوره يمتنع نقيضه أو الشّيء الذي يوافقه في المفهوم والتّصوّر.

ولأنّ هذه المعوّقات أو المنبطات التي تقف في وجه هذا الحوار كثيرة ومتعدّدة، وبما أنّ دراستي هذه مخصّصة للبحث في مسألة الحوار الإسلامي المسيحي بين محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس؛ فإنّني احتكاماً إلى ذلك، سوف أقتصر على ذكر العوائق كما هي عند الرّجلين، ثمّ إجراء مقارنة فيما بينهما بشأنها، وذلك من خلال التّطرّق إلى:

*المعوّقات عند محمّد حسين فضل الله.

*المعوّقات عند موريس بورمانس.

*المقارنة بين المعوّقات عند الرّجلين.

كلّ ذلك انطلاقاً من تساؤلٍ مفاده:

ما الفرق بين نظرة الرّجلين إلى معوّقات الحوار الإسلامي المسيحي؟.

¹ - المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص 637، 93، أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، مج 2، ص 1577.

المبحث الأول: المعوقات عند محمد حسين فضل الله.

بصدد حديثه عن الحوار الإسلامي المسيحي، تطرّق فضل الله لجانب مهمّ متعلّق به، وإن كان في حقيقة الأمر خارجياً عنه، يتمثّل في تلك الأمور التي من شأنها منع إقامة حوار بين المسلمين والمسيحيين، أو عرقلته أو التقليل من فاعليته؛ وهي أمور كثيرة يُصطلح عليها بعوائق أو معوّقات الحوار الإسلامي المسيحي، لخصّها فضل الله في:

المطلب الأول: الانطباع التكفيري المتبادل أو التراسق بالهرطقة.

في عالم التسابق حول حيازة المجد والأسبقية الفكرية والعقائدية والثقافية، واثبات مصداقية الهوية القومية والدينية، وتدعيماً لنظرية الإلغائية أو الإقصائية للطرف النّظير، واستناداً لما جاء في القرآن الكريم من الطّبيعيّ أن يكون "هناك انطباعٌ لدى بعض المسلمين أنّ التّصارى كافرون أو مشركون، وهناك انطباعٌ لدى بعض التّصارى أنّ الإسلام نوعٌ من الهرطقة ولا يمتُّ إلى السّماء بصلة".¹

وهذا تصوّر قدس بدأ منذ زمن طويل، فقد يعود تاريخه إلى عصر ظهور الإسلام أوّل الأمر في شبه الجزيرة العربيّة، حيث ورد في القرآن الكريم مجموعة من الآيات المكفّرة لبعض الفئات المسيحيّة التي يتنافى اعتقادها والمعتقد الإسلامي؛ فتكفيراً للمثلة المعتقدين بوجود ثلاثة آلهة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونََهُ، وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ (المائدة: 73-74)، ففي هذه الآية تكفيرٌ لطوائف المسيحيّة الثلاث الملكيّة واليعقوبيّة والنسطورية القائلين بالأقانيم الثلاثة؛ أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الرّوح القدس أو الكلمة المنبثقة، إلّا أنّهم مختلفون فيها اختلافاً بيّناً، وكلّ فرقة منهم تكفّر الأخرى، والحقّ أنّ الثلاث كافرة، وهناك رأي آخر يرى بأنّ هذه الآية نزلت في الذين جعلوا المسيح وأمه إلهين مع الله، فجعلوا الله ثالث ثلاثة بهذا الاعتبار، وهذا هو الرّأي الأظهر، وعلى كلّ حال فإنّهم مدعوون إلى الانتهاء عن القول بهذا الافتراء والكذب، وإلّا فإنّ مصيرهم في الآخرة العذاب والتّكال، والاستغفار من هذه الخطيئة وعن هذا الدّنب والجُرم العظيم، فإن فعلوا ذلك فإنّ الله يتوب عليهم ويغفر لهم خطاياهم،² وهذا هو قول الكاثوليك ويتبعهم في ذلك البروتستانت؛ الذين يزعمون أنّ الأقانيم ثلاثة متعدّدون ومنفصلون ومتميّزون؛ الأب والابن والرّوح القدس، ولكلّ أقنوم منهم عملٌ محدّد في الكون،

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 34.

² - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج 3، ص 158.

فيسندون للأب خلق العالم والحفاظة عليه، وللابن كفارة الذنوب وتخليص البشر، وأمّا الرّوح القدس فيتولّى تثبيت قلب الإنسان على الحقّ وتحقيق الولادة الرّوحيّة الجديدة، فالأقانيم على مذهبهم ذوات متعدّدة وأشخاص مستقلّة، وتسمّى: أقانيم التّعدّد، وهي كلّها تعود إلى ذات واحدة موجودة في الأزل.¹

وتكفيراً للمعتقدين في إلهيّة المسيح عليه السّلام، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ (المائدة: 17)، "ووجه كفرهم -هاهنا- أنّهم جعلوا المخلوق المربوب هو الله الخالق الرّبّ لكلّ شيء؛ وهو كفرٌ من أقبح أنواع الكفر، وهذا وإن لم يكن قول أكثر النصارى، فإنّهم بانتمائهم إلى النّصرانيّة وقولهم بها وانخراطهم في سلك مبادئها وتعاليمها، يؤاخذون به؛ لأنّ الرضا بالكفر كفر".²

وشبيهة بهذه الآية، قوله تعالى في سورة المائدة أيضاً: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ (المائدة: 72)، وفي هذه الآية حكمٌ من الله تعالى بتكفير فرق النصارى من الملكيّة واليعقوبيّة والنسطوريّة؛ من قال منهم بأنّ المسيح هو الله، على الرّغم من تكليمه إيّاهم ومخاطبته لهم في جميع مراحل حياته بأنّه ليس هو الله ولا ابن الله، بل هو بشرٌ مثلهم، وقد أمرهم بعبادة الله ربّه وربّهم وحده لا شريك له، متوعداً إيّاهم بأنّ من فعل ذلك منهم بالنّار وتحرّم الجنّة عليه،³ وهذا هو معتقد الأرثوذكس الذين يزعمون أنّ الله واحد، وقد نزل من السّماء وحلّ في بطن مريم العذراء، وخرج بعد تسعة أشهر طفلاً هو يسوع المسيح، ثمّ كبر، ولما بلغ الثالثة والثلاثين صُلب، ثمّ قام من الموت، وصعد إلى السّماء كما كان، وقبل حلول الله في البطن يسمّى أقبوم الأب، وبعد خروجه من البطن يسمّى أقبوم الابن، وبعد صلبه وقيامته وصعوده يسمّى أقبوم الرّوح القدس؛ فالأقانيم على مذهبهم مراحلٌ لذات واحدة، وتسمّى أقانيم التّجسّد.⁴

¹ - أحمد حجازي السقا: الله وصفاته في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، ط2، مكتبة التّأفذة، الجيزة، مصر، 2006م، ص88.

² - أبو بكر جابر الجزائري: أيسر التّفسير لكلام العليّ القدير، ط3، راسم للدّعاية والإعلان، السّعوديّة، 1410هـ/ 1990م، مع3، ص612.

³ - ابن كثير: تفسیر القرآن العظيم، مصدر سابق، ج3، ص157.

⁴ - أحمد حجازي السقا: الله وصفاته في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، المرجع السابق، ص88.

وانطلاقاً من هذه النظرة القرآنية المختصرة في الآيات المذكورة سابقاً، استلهم المسلمون منها موقفهم تجاه المسيحيين، فجاءت التفسيرات محدّدة لذلك الموقف، والمتمثّل في اعتبار أكثر هؤلاء كفّار مشركون بالمعتقد الذي يعتقدونه، وهو الذي يخالف تماماً ما درج عليه المسلمون من توحيد لله عزّ وجلّ وإقرار بربوبيّته وإلهيته من دون إشراك أحد معه، كما فعل بعض أتباع المسيح الذين قصّت علينا الآيات السابقة اعتقادهم في الإلهية، بالاختلاف البين الموجود بين فرقتهم المتعدّدة.

وفي الجهة المقابلة، لم يتوان المسيحيون، وخاصة في العصور الوسطى، من رمي الإسلام وأهله بالكفر والهرطقة والمروق من التعاليم الصحيحة للدين؛ إذ أُعتبر الإسلام - في هذه القرون - نوعاً من الانشقاق الديني، أو هو هرطقة ضمن المسيحية، فقد ادّعى بعض الأوربيين أنّ رسول الإسلام كان كاردينالاً كاثوليكياً تجاهلته الكنيسة في الانتخابات البابوية، فقام بتأسيس طائفة مُلحدة في الشرق، انتقاماً من الكنيسة في الغرب، هذا وقد اعتبرت أورثوالمسيحية - في القرون ذاتها - أنّ محمّداً صلى الله عليه وسلّم هو المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يتحمّل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية.¹

كما زعموا أنّ هذا الرجل كان ساحراً، لفق معجزة زائفة كي يستميل العقلاء من العرب، وليدمّر الكنيسة في إفريقيا والشرق الأوسط، ويقال: إنّه درّب حمامة على نقر الحبّ من أذنيه بحيث تبدو وكأنّها الرّوح القدس، وأنّه كان مصروعاً؛ أي مسكوناً بشياطين، وقد تمّ التركيز على حياته الجنسية بشكلٍ مسرفٍ بالقول: إنّّه كان مثلاً للمنحرفين، وقيل: إنّّه كان يجذب النّاس إلى دينه من خلال تشجيعهم على إشباع غرائزهم الأكثر انحطاطاً، ثمّ زعموا أنّه لا شيء في ادّعاءات محمّد صحيح، فقد كان - في نظرهم - دجالاً بارد الدّم، خدع كلّ أتباعه تقريباً، ومن رأى من أتباعه أنّ أفكاره مخالفة للعقل بقي صامتاً لطموح حسيس في نفسه، كما زعموا أنّ شخصاً يُدعى (سرجيوس)؛ راهب هرطوقي كان قد أُجبر على الهروب من المسيحية، قابل محمّداً في الجزيرة وزوّده بنسخة مشوّهة عن المسيحية، وقد انتهى محمّداً - وفق تصوّرهم - نهايةً مأساوية مناسبة له، فقد مزّق قطعاً من الخنازير جسده أثناء واحدة من تشنّجاته الشّيطانية.²

ولا شكّ في أنّ هذه كلّها افتراءات لا أساس لها من الصّحة، إذ أنّ التاريخ لم يشتهها على النّبيّ محمّد ﷺ الذي كان شخصيّة سويّة، بل ومثلاً أعلى للبشريّة يُحتذى به؛ لأنّه قدوة للعالمين، وقد شهد له بذلك العدو قبل الصّديق، فكم من شهادات غربيّة أنصفته وجعلت منه رجلاً صالحاً ونبياً حكيماً، استطاع أن يقود

¹ - محمّد عمارة: الإسلام في عيون غربيّة بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، مرجع سابق، ص 64-67.

² - كارين أرمسترونغ: الإسلام في مرآة الغرب - محاولة جديدة في فهم الإسلام -، ط 21، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2002م، ص 28-29.

أُمتته إلى برّ الأمان، وذلك عندما انتشلهم من ظلمات الشرك وعبادة الأصنام والأوثان، إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وفي خطبة البابا أوربان الثاني* التي حثّ فيها المسيحيين على الحروب الصليبية ضدّ المسلمين؛ انتهاكاً لحرمة المسلمين وحقّهم من قدرهم، وسخريةً بانتمائهم العرقي، واستهزاءً بكرامتهم، إذ قال:

"أيُّ خزي يجلبنا وأيُّ عار، لو أنّ هذا الجنس من الكفار -يعني المسلمين- الذي لا يليق به إلاّ كلُّ احتقار، والذي يسقط في هاوية التعري عن كرامة الإنسان، جاعلاً من نفسه عبداً للشيطان قد قُدّ له الانتصار على شعب الله المختار".¹

وقد وُصِفَ المسلمون في ملحمة رولاند** بأنهم "الشعب الذي لا يُروى تعطّشه لسفك الدماء، والذي لعنه ربُّ السّماء، فهم كفرّة وكلاب وخنازير فجرة، هم عبدة الأصنام التي لا حول لها ولا قوّة، الذين لا يستحقّون إلاّ أن يُقتلوا وتُطرح رممهم في الخلاء، فهم إلى جهنّم بلا مرأى"،² وهذا كلّهُ إنّما قيل حقداً على المسلمين ودينهم.

ولم يتوقّف الأمر عند هذه التّفتّ العداويّة المنشورة هنا وهناك في بعض المؤلّفات، بل نُسجت روايات بأكملها*** تنقّص من قدر الإسلام، وتتهم رسوله وأتباعه بأبشع أنواع التّهم، وتصفهم بأرذل وأقبح

* أوربان الثاني (1042-1099م)، ولد في شاتيون مارن بفرنسا، أُنتخب بابا عام (1088م)، كان إصلاحياً متشدداً، عقد في عام (1095م) مجمعا بمدينة كليرمونت الفرنسيّة الذي كان دعوة للحملة الصليبيّة الأولى. (الموسوعة العربيّة العالميّة، ج3، ص331-332).

¹ - محمّد عمارة: الإسلام في عيون غربيّة بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، مرجع سابق، ص69.

** ملحمة رولاند أو نشيد رولاند (La Chanson De Roland)؛ هو أقدم عمل مهمّ منثّق من الأدب الفرنسي، توجد له عدّة نسخ مختلفة من المخطوطات تشهد لشعبيته الكبيرة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر، توجد له أقدم نسخة في مخطوطة أكسفورد التي تحوي 4004 سطراً تقريباً، وتعود لما بين 1140 و1170م، نظمه شاعر الكنيسة كونراند سنة 1300م في ريجنر بورج.

² - محمّد عمارة: الإسلام في عيون غربيّة بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء، المرجع السابق، ص69.

*** كرواية "تيس عزازيل في مكّة" من تأليف "الأب يوتا"، والتي ورد فيها أنّ الرّسول ﷺ إنّما كان ولد زنا نتيجة لما حدث لأمه أمانة مع الزّاهب بحيرا؛ معلّم محمّد والمخرّض على إظهار الإسلام والدّعوة إليه، ليكون بذلك فكرة مسيحيّة بحتة، وهو أيضاً -أي الرّسول محمّد- صنيعة ورقة بن نوفل الذي أراد تقويّة الكنيسة التّسطوريّة في مكّة، وحتّى يسلم له زعامة هذه الكنيسة زوّجه بخديجة المسيحيّة، وقد تمّ هذا الزّواج وفق الشريعة المسيحيّة، وتعاونوا معاً؛ أي ورقة وخديجة على تعليم محمّد تعاليم الدّين المسيحي التّسطوري. أمّا المسلمون فما هم إلاّ مجرّد عصابة من المجرمين وقطاع الطّرق الذين يغيرون على القبائل، ويقتلون الرّجال، ويسرقون الأموال، ويأخذون النّساء كغنائم توزّع على رجال المسلمين، وهكذا انضمّ إلى الإسلام كثيرون ممّن هم متعطّشون للدّماء وللعنف والقتل والسّرقة والاعتصاب والجنس، حتّى يحقّقوا أغراضهم تحت حماية المظلة الدّينيّة للدّين الجديد، وهكذا بدأ الإسلام دموياً واستمرّ كذلك على مدار الغزوات والحروب الموجودة في تاريخه في كثير من المناطق التي فتحها المسلمون... (ينظر: الأب يوتا: تيس عزازيل في مكّة، ص19 وما بعدها).

الأوصاف والتّبعوت؛ لتشويه صورتهم في الرّأي العام المسيحي بصفة خاصّة، والغربي بصفة عامّة، وفوق كلّ ذلك اعتبار الإسلام هرطقة من الهرطقات المنبثقة عن الدّيانة المسيحيّة.

إنّ هذه الصّورة النّمطيّة المتبادلة بين الطّرفين والمبالغ فيها أحياناً، هي في نظر فضل الله عائقٌ يقف في طريقهما ويجول دون تلاقيهما؛ إذ كيف يتحاور المرء مع إنسان وهو كافرٌ أو مشركٌ أو مرتدٌّ أو لا يؤمن بما يؤمن به، وفوق كلّ ذلك يرميه هو الآخر بالزندقة والهرطقة، لذلك لما سُئل -أي فضل الله-؛ هل المسيحيون كفّار؟، أجاب:

"الواقع ليس كذلك، هناك نقطة، إذا كانت مسألة التّكفير بهذه الطّريقة، فإنّنا نتبادل التّكفير، لأنّ المسيحيين أيضاً عندما يقولون: إنّنا الآن عندما لا نقول إنّ الله هو متجسّد بالمسيح، فنحن كافرون بالسّيّد المسيح، كما أنّ المسيحيين كافرون بالتّيّ ﷺ أو بالإسلام، الكفر مسألة نسبيّة لا نترشق فيها، ولذلك بالنسبة للإسلام، احترام وجود المسيحيين واحترام وجود اليهود في العالم الإسلامي...، ليست القضية بهذا الشكل، أعتقد أنّ الخطوط الفكرية لا تزال تعيش من خلال الاستهلاك الإعلامي الذي استهلكناه؛ مسيحيون ضدّ المسلمين، ومسلمون ضدّ المسيحيين، لذلك نقول: الحوار الهادئ والعقلاني هو الذي يمكن أن يجعلنا نفهم القضايا بعمق أكثر أو بانفتاح أكثر".¹

وفي هذا الجواب دعوةٌ إلى الحدّ والتّخفيف من نبرة التّكفير، لأنّ ذلك يؤدّي إلى عداوات وانشقاقات بين الفريقين، وأهّامات خطيرة من شأنها تشييد حاجز منيع بينهما، يمنعهما من التّواصل والتّعاون والتّحاور والتّعايش، ولا شكّ أنّ هذا الأمر لا يرتضيه المسلمون كما لا يرتضيه المسيحيون سواء بسواء، باعتبار أنّه من شأنه تعطيل التّواصل الثقافي والتّعاون الاجتماعي، حتّى بين أبناء الوطن الواحد حينما يكون هذا الوطن شعبه مزيجاً من أتباع الدّينتين الإسلاميّة والمسيحيّة.

وفي جواب آخر على نصّ سؤال شبيه بالسّؤال السابق، وانطلاقاً من رؤية قرآنيّة، ينصّ فضل الله على نظرة المسلمين للمسيحيين المتمثّلة بكونهم أهل كتاب، دعانا القرآن إلى الحوار معهم، على أساس أنّ هناك وحدة تجمعهم مع المسلمين؛ وهي الكلمة السّواء التي هي "توحيد الله"، ممّا يعني أنّ هناك اعترافاً بأنّهم موحدون، وكذلك منهم مؤمنون فيما يتّصل بالإيمان بالله، ودليل ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم؛ فَرَّقَ بين المشركين وأهل الكتاب في الأحكام، فللمشركين حكم، ولأهل الكتاب حكم آخر،

¹ - محمّد حسين فضل الله: شخصيّة السّيّد المسيح -قراءة في المعالم والمواقف-، محاضرة ألقيت في قاعة (الاسامبلي هول) بالجامعة الأمريكيّة في بيروت بتاريخ: 1992/12/22م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص236.

سواء في قضايا الحرب أو في قضايا السّلم، كما أنّ هناك نصوصاً قرآنيّة يُعطَف فيها المشركون على أهل الكتاب، ومن الطّبيعيّ أنّ العطف يعني التّغاير، ويعني أنّ أهل الكتاب ليسوا مشركين في النّظرة القرآنيّة لمصطلح الشّرك، ولا ينفي ذلك وجود نصوص أخرى تنصّ على تكفير أصحاب التّثليث من المسيحيين، والذي ربّما ينتهي بحسب التّدقيق الفلسفي إلى الشّرك، لكن لا على أساس أن يكون الشّرك بالمعنى المصطلح عليه، وبهذا لا يمكن أن يُعتبَر أهل الكتاب ومنهم المسيحيين مشركون من وجهة النّظر القرآنيّة، إلّا بالمعنى الذي قد يؤدّي فلسفيّاً في العمق إلى الشّرك، تماماً كما قد يُطلق على المرائي مشرك، وهو تعبير مجازيّ فقط، أمّا التّكفير القرآني لهم فهو تكفير نسبي لا يخرجهم عن الإيمان بالله وتوحيده، ولكن معناه الكفر بالرّسول؛ لأنّهم لا يؤمنون بنبوّة محمّد ﷺ، تماماً كما أنّ المسلمين كافرون بالطّاغوت،¹ الأمر الذي من شأنه أن يجعل المسيحيين يقتربون أكثر من المسلمين والالتفاف حولهم نظراً لهذه الرّؤية الإيجابيّة واحتكاماً للواقع المعاش على هذه البسيطة، خصوصاً وأنّ الفريقين ينتمون لديانتين سماويتين كبيرتين، غير أنّ ما يؤخذ على هذا القول يكمن في كون أنّ الكفر بالأنبياء محبّط للإيمان والعمل؛ لأنّ الإيمان بهم ركن من أركان العقيدة الإسلاميّة، وعليه فإنّ المسيحيين على ما هم عليه اليوم من عدم الإيمان ببعض الأنبياء يخرجهم من دائرة الإيمان، ممّا لا تدخل فيه التّسيّبة في الكفر كما أشار إلى ذلك فضل الله.

وعلى الرّغم من كون هذا الحكم يذلل بعض الصّعوبات التي تقف كعقبة كؤود في طريق الحوار بين المسلمين والمسيحيين، ويخفّف من حدّة التّوتّرات بينهما، إلّا أنّه لا ينبغي التّسليم به مطلقاً، لأنّ المسيحيين على ما هم عليه من معتقدات، لا تتناسب مع معتقدات المسلمين، خاصّة وأنّهم لا يسلمون بنبوّة الرّسول محمّد عليه الصّلاة والسّلام، كما أنّهم يعتقدون بالوهيّة المسيح عليه السّلام ونبوّته لله تعالى، بالإضافة إلى كثير من الأمور العقائديّة الأخرى التي تخالف العقائد الإسلاميّة، وهذا مسوّغٌ لتكفيرهم عند القول به، مصداقاً لنصوص قرآنيّة وسنّيّة قاضيّة بذلك، ومن ثمة يكون القول بتكفيرهم أو شركهم أو الحكم عليهم بأنواع الهرطقات الأخرى عائفاً محوريّاً من معوّقات هذا الحوار الكائن بين أتباع الدّيانتين الإسلاميّة والمسيحيّة.

¹ - مقابلة أجراها الأستاذ سركيس نعوم مع محمّد حسين فضل الله بخصوص الحوار الإسلامي المسيحي والموضوعات المتّصلة به، جريدة النّهار اللبنانيّة اليوميّة، 1991/12/25م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص192-194.

المطلب الثاني: طبيعة المعتقدات والتشريعات.

من الطبيعي أن لكل ديانة سواء كانت سماوية أو وضعيّة؛ معتقدات تؤمن بها وتسلم لها، ونظام تشريعي تنتظم بأحكامه ومبادئه، وينطبق هذا الحكم على الديانتين الإسلاميّة والمسيحيّة أيضًا، وباستقراء معتقدات وتشريعات هاتين الديانتين، يتولّد للتأظر في ذلك، اختلاف بيّن وواضح بينهما في هذين المجالين، وهو الأمر الذي اعتبره فضل الله معوّقًا من معوّقات الحوار بين الطرفين، حيث يقول بصدد تعدادها لها:

"... كما أنّ هناك -وكما أسلفنا- قضايا يمكن أن تعيش في دائرة الجدل اللاهوتي؛ كشخصيّة السيّد المسيح عليه السلام، والوحدة التي تلتقي بالتثليث في الأقانيم، ونظرية الفداء، ومسألة العقوبات والحريّات والترقّ في الإسلام".¹

أولاً- طبيعة المعتقدات: فبالنسبة لهذا الشقّ، فإنّه وبمنظرة بسيطة سطحيّة وعابرة، تبين لنا الفارق الكبير الموجود بين المسلمين والمسيحيين لاهوتيًّا، فالإسلام هو دين التوحيد الخالص الذي يشمل الوحدة في الكينونة؛ أي أنّ الله واحد في ذاته، فليس في هذا الدين تعدّد الآلهة بأيّ شكل من الأشكال، وهو حد لا تركيب فيه، فليس الله مكوّنًا من أجزاء أو عناصر، وهو الوحيد المعبود بحقّ، فليس هناك معبود بحقّ إلاّ الله، وليس هناك صاحب سلطان مطلق يصرف الأمر كلّه في الكون والحياة، وتنتج له خاضعين ساجدين إلاّ الله الواحد الأحد، والتوحيد بهذا المعنى مهمّ جدًّا للمجتمع البشري؛ لأنّه يجمع جميع الناس حول ربّ واحد، وفي ذلك توحيد لتوجهاتهم ومقاصدهم، وغرس نظام الأخوة بينهم، لأنّ تفرّق الآلهة معناه تفرّق البشر، وذهاب كلّ فريق إلى التعصّب لما وُجّه قلبه إليه، وفي ذلك فسادٌ للنظام وخسارة للبشريّة.²

والله الذي يدعو الإسلام إلى توحيدهِ وإفراده بالطاعة والعبادة، جاء وصفه في القرآن الكريم بأنّه واحدٌ لا شريك له، صمدٌ لا يملك أحدٌ معه شيئًا في هذا الوجود، خلّفًا أو أمرًا، وهو جلّ شأنه لم يلد ولدًا؛ لأنّه لو كان له ولدٌ، لكان هذا الولد شبيّه له، ثمّ شريكًا له في صفاته، ثمّ وارئًا له من بعده، وهو -سبحانه- ليس مولودًا لأحد؛ لأنّه لو كان كذلك، لكان والده سابقًا له ومقدّمًا عليه، ثمّ إنّّه لا نسب له مع أحد من الناس أو الخلق، وأنّه غنيٌّ عن كلّ ذلك، وليس له كفؤٌ أو مماثل، وهو وحده المتفرّد الذي له الخلق والأمر دون سواه.³

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص34.

² - أحمد شلبي: مقارنة الأديان، ج3: الإسلام، دط، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، مصر، 1961م، ص91.

³ - عبد الكريم الخطيب: الإسلام في مواجهة الماديين والملحدّين، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1973م، ص28-29.

ولما كان الله عز وجل متصفاً بجميع هذه الصفات وغيرها، كان توحيد لا يكتمل إلا من خلال ثلاثة أضرب؛ الأول: توحيد في ربوبيته الذي يتمحور حول الإيمان بانفراد الرب سبحانه وتعالى بكل معاني الربوبية، وهذا يقتضي تفرد عز وجل بثلاثة أمور أساسية، هي؛ الخلق والرزق والتدبير، الملك، الأمر والنهي والسيادة، وهو باختصار؛ توحيد الله بأفعاله هو، الثاني: توحيد الإلهية؛ الذي معناه توحيد الله عز وجل بأفعال عباده، ومناطه توجه العبد بكل عباداته وأفعاله الظاهرة والباطنة لله وحده، والكفر بكل ما يعبد من دونه من الطواغيت، وهذا يقتضي دعاؤه والاستغاثة به ورجاؤه والتوكل عليه والذبح والتذر له، والحلف والاستعانة به وحبّه والخوف منه...، الثالث: توحيد الأسماء والصفات؛ ومعناه الإيمان الجازم بأن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وله الأسماء الحسنى كلها، ويقتضي هذا النوع من التوحيد؛ وصف الله تعالى بكل ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعطيل ولا تحريف، ومن غير تكيف ولا تمثيل، وكذلك نفى كل ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ¹، ولا يتحقق الإيمان الخالص إلا بقدر تصوّر هذه المعاني الثلاثة لأقسام التوحيد من طرف الفرد المسلم باستحضارها في ذهنه وتمكّنها هي من قلبه.

وإذا كان الدين الإسلامي قائماً على التوحيد المجرد الخالص، فإن المسيحية تقوم على التثليث عموماً، وإن كان ذلك يختلف من فرقة إلى أخرى؛ فهو شعار الملة المسيحية ومفهومه عند المسيحيين -أي التثليث- الاعتقاد بوجود ثلاثة آلهة وإيمانهم بها؛ الأب والابن والروح القدس، وهذه الأقانيم الثلاثة هي التشكيلة الأساسية للثالوث المسيحي الذي يُعتبر ركناً محورياً في العقيدة المسيحية، فالطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبها تعتقد في التثليث عقيدة أساسية، ومذهباً قوياً لا يمكن الحياد عنه أو تجاهله أو الخروج عن طريقه، وتجدر الإشارة في هذا الصدد أن هذه العقيدة لم تنشأ عند المسيحيين دفعة واحدة، بل إنهما تبلورت عندهم في القرن الرابع الميلادي؛ إذ قرّر مجمع نيقية في سنة 325م إلهية المسيح عليه السلام، وأقرّ مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م إلهية الروح القدس؛ لتمام بذلك أركان التثليث الثلاثة.²

ويستند المسيحيون للاستدلال على هذه العقيدة إلى ما جاء في كتابهم المقدس من نصوص إنجيلية تدعّم التثليث وتؤصّل له معرفياً، ومن ذلك ما ورد في إنجيل متى على لسان يسوع المسيح وهو يوصي

¹ - ياسر برهامي: المنّة شرح اعتقاد أهل السنة -توحيد، أتباع، تركيبة-، ضمن كتاب: المجموعة الذهبية في المسائل العقديّة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2011م، ج1، ص71، 85، 21.

² - محمّد أحمد الحاج: التصرّات من التوحيد إلى التثليث، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان، 1413هـ/ 1992م، ص219.

بالتبشير والتعميد: [فأذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس] (متى: 28/19-20)، وما ورد أيضاً في إنجيل لوقا: [الروح القدس يحلّ عليك وقوة العلي تظلك، لذلك القديس المولود منك يدعى ابن الله] (لوقا: 1/35)، وجاء كذلك في رسالة يوحنا الأولى: [والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة؛ الأب والابن والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد] (يوحنا الأولى: 5/7).

فانطلاقاً من هذه النصوص وغيرها الموجودة في العهد الجديد، آمن المسيحيون بعبقيدة التثليث "على الرغم من أنّ الكتاب المقدس لا يشتمل على لفظ "الثالوث" أو لفظ "الأقانيم"، ولكنهم يحتجّون بأنّ تعليم الثالوث مطابقٌ لنصوص موجودة في هذا الكتاب، يقول المعلم بطرس البستاني*: [ومع أنّ لفظة "ثالوث" لا توجد في الكتاب المقدس، ولا يمكن أن يؤتى بأية من العهد القديم تصرّح بتعليم الثالوث، فقد اقتبس المؤمنون المسيحيون القدماء؛ آيات كثيرة تشير إلى وجود صورة جمعيّة في اللاهوت]¹.

وتقريباً لهذه العقيدة من أفهام الناس ومداركهم، وإدراكاً لماهيّة التثليث، كثرت التمثيلات والتشبيهات عند المسيحيين؛ فقد مثله بعضهم بالتقّاحة، فكما أنّ التقّاحة لها ثلاث خواص هي؛ الذات والطعم والزائحة، ويمكن التمييز بينها ولو أنّها مجتمعّة في تقّاحة واحدة، فكذلك التثليث، وأيضاً شبه آخرون الثالوث بالشمس؛ فالشمس تتكوّن من ثلاثة عناصر أو أجزاء، هي؛ جرم الشمس (القرص) وشعاعها وحرارتها، فالشعاع منبعث من الجرم، والحرارة منبعثة من الشعاع، والكلّ شمس واحدة، فكذلك الأقانيم الثلاثة.²

وتبغى الإشارة هنا إلى أنّ التثليث عقيدة دخيلة على المسيحيّة، إذ من المعروف بدهاء أنّ التوحيد هو عقيدة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلّاة والسّلام، ولم يكن عيسى عليه السّلام ليخُرج عن ذلك فقد جاء هو الآخر بعقيدة التوحيد النقيّة من الشّرك، فبغضّ النظر عن ما ورد في القرآن بخصوص هذا الشأن، فإنّ من يقرأ العهد الجديد يجده يعجّب بالتصّوص الدالّة على التوحيد، فمن ذلك مثلاً ما ورد في إنجيل متى على لسان المسيح وهو يخاطب الشيطان: [ابتعد عني يا شيطان!، لأنّ الكتاب يقول: للرّبّ إلهك تسجد،

* هو بطرس بن بولس بن أبي محفوظ البستاني، من أعيان الطائفة المارونيّة، ولد في الدّيبية عام 1819م، تلقى مبادئ العربيّة والسريانيّة، وكان يمتاز بالذكاء والفطنة، تولّى منصب الترجمة في قنصلية أمريكا ببيروت، وأنشأ في هذه الأحياء "المدرسة الوطنيّة" عام 1863م، وفي عام 1870م أنشأ مجلّة "الجنان"، توفي في أوّل ماي عام 1883م، من مؤلفاته: قاموس محيط المحيط، دائرة المعارف، كشف الحجاب... (جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشّرق في القرن التاسع عشر، دط، مؤسّسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دت، ج2، ص37-41).

¹ - محمّد أحمد الحاج: النّصرانيّة من التوحيد إلى التثليث، المرجع السابق، ص219.

² - محمّد مجدي مرجان: الله واحد أم ثالوث، ط2، مكتبة التّأفدة، الجزيرة، مصر، 2004م، ص14-15.

وأيّاه وحده تعبد] (متّى: 4 / 10)، وورد في إنجيل مرقس: [فقال له معلّم الشريعة: "أحسننت يا معلّم؛ فأنت على حقّ في قولك إنّ الله واحدٌ ولا إله سواه"] (مرقس: 12 / 32).

أمّا بخصوص طبيعة عيسى المسيح عليه السّلام؛ فهي الأخرى تحمل فارقاً كبيراً بين الفريقين، فإذا كان المسلمون يعتقدون أنّ هذا الرّجل هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، كما جاء وصفه على لسان جعفر بن أبي طالب انطلاقاً من توجيه قرآني،¹ فإنّ المسيحيين وانطلاقاً ممّا ورد في قانون الإيمان المسيحي المصاغ بين مجمعي نقيّة والقسطنطينيّة الأوّل يعتبرون أنّ "المسيح ربّ واحدٌ، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كلّ الدّهور، إله من إله، نور من نور، إله حقّ من إله حقّ، مولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، به كان كلّ شيء ممّا كان، هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السّماء وتجنّس من الرّوح القدس ومريم العذراء، تألم وقُبر وقام في اليوم الثّالث، كما في الكتب، وصعد إلى السّماوات، وجلس عن يمين الله، وسوف يأتي في مجده".²

وهذا فرقٌ كبير، فالشخصيّة واحدة، إلّا أنّ المسلمين يجعلونها من جنس البشر، ولا تختلف عنهم إلّا بالاصطفاء الرّبّاني لحمل الرّسالة، والمسيحيون يرفعونها إلى مرتبة الإلهيّة، ويصفونها بصفات خارقة لا تقترن إلّا بالإله، وفي ذلك تضاربٌ بين الطّرفين حول هذه الشخصيّة، سمّته التناقض التام والافتراق الكامل الذي يقلّل من إمكانيّة التفاهم والتّلاقي والتنازل.

وقد جرّ هذا الاعتقاد في المسيح عليه السّلام؛ المسيحيين إلى القول بعقيدة الفداء، والتي تعني عندهم؛ أنّ المسيح هو الذي افتدى النّاس بدمه، إذ قدّم نفسه ذبيحة تخليصاً لهم من خطاياهم، وهو الذي أمّم وأكمل الفداء وقام به، لأنّه طاهرٌ من الخطيئة، فأرسله الله لفداء العالم؛ إذ قدّم نفسه لتحرير كلّ قيد، وافتداء جميع من كانوا تحت رقّ عبوديّة خطيئة آدم عليه السّلام التي انتقلت إلى أبنائه بالوراثة، بشرط أن يقبل الخاطئ الفادي ويؤمن به، حينئذ يتممّ كلّ إنسان ببركات الخلاص العجيب الذي أعدّه الله على الصّليب، فيعود الإنسان إلى الله ثانية.³

وتقوم هذه العقيدة على أنّ الخطيئة التي وقعت في الجنّة، لا يمكن تكفيرها إلّا بموت ابن الله المسيح عليه السّلام على الصّليب، ولا تغفر إلّا بدمٍ يُراق لأجل تقبّل الله جلّ جلاله للإنسان مرّة ثانية، لتتمّ

¹ - ابن هشام: السيرة النبوية، مصدر سابق، ص 157.

² - نوفل أفندي نوفل: كتاب سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، دط، بيروت، لبنان، 1876م، ص 137.

³ - جيمس جراي: الخلاص من الألف إلى الياء، تعريب: مراد عزيز، دط، دار الخلاص، 1975م، ص 25.

المصالحة بين الإنسان وبين الله، ولتتمّ البركة على كلّ مؤمن آمن بتقدّم المسيح عليه السّلام لأجل خلاص النّاس من الخطايا، ولا يتمّ هذا الخلاص إلّا بالإيمان بأنّه مقدّم من الله لأجل الإنسان، الذي ضحّى بابنه الوحيد لخلاصهم من الآثام ومباركتهم بالرحمة، وبيان قداسته وعدله، وقد حدث هذا الأمر بتنظيم وترتيب أنبيء.¹

ويستدلّ المسيحيون على هذه العقيدة بنصوص وردت في العهد الجديد، نذكر منها:

- ما جاء في رسالة بولس إلى أهل رومية: [من أجل ذلك، كأنما بإنسان واحدٍ دخلت الخطيئة إلى العالم، وبالخطيئة الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع النّاس، إذ أخطأ الجميع...، فإنّ كما بخطيئة واحدة صار الحكم إلى جميع النّاس للدينونة، هكذا ببرّ واحدٍ صارت الهبة إلى جميع النّاس، لتبرير الحياة، لأنّه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون حُطاة، هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعل الكثيرون أبراراً] (رومية: 5/ 13-20)، بمعنى أنّ "الرّبّ أعلم بأنّ الخطيئة بدأت بالإنسان الأوّل، وتملّك الموت غالباً إياه، وقد صار الكلّ مخطئين، وإن لم يسقطوا في ذات المعصية، فأصبحت الخطيئة منتشرة في الطّبيعة البشريّة، لكنّها غير مكتشفة حتّى جاء التّاموس، فظهرت بعصيان الإنسان لوصايا معيّنّة، فإنّه حتّى جاء التّاموس كانت الخطيئة في العالم، على أنّ الخطيئة لا تُحسب إن لم يكن ناموس، دبّت بذار الموت مع الخطيئة منذ آدم، لكن الموت لم يكن ثمرة عصيان للتّاموس، بل ثمرة عصيان أبونا آدم، ملك الموت على الذين لم يخطئوا بعصيان التّاموس، إنّما خلال شبه تعديّ آدم".²

- وجاء فيها أيضاً: [الله الذي ما بخل بابنه، بل أسلمه إلى الموت من أجلنا جميعاً] (رومية: 8/ 32).

- وورد فيها كذلك: [مات المسيح من أجل الخاطئين في الوقت الذي حدّده الله...، ولكن الله برهن عن محبّته لنا بأنّ المسيح مات من أجلنا ونحن بعد خاطئون] (رومية: 5/ 6-8).

وجميع هذه النّصوص وغيرها كثير في العهد الجديد، تتفق على أنّ المسيح عليه السّلام، قدّم نفسه وضحّى ببدنه لأجل الشّعب الذي أصبح ممزوجاً بالخطيئة التي ارتكبتها آدم أبو البشر، والتي انتقلت إليهم عن طريق الوراثة، وهذا المعتقد هو عصب الدّيانة المسيحيّة وأساسها الذي تقوم عليه وتستند إليه، وهو معتقد يبدو غريباً من النّاحية العقديّة والعقليّة والواقعيّة، إذ كيف تنتقل خطيئة إنسان إلى إنسان آخر

¹ - أشرف إبراهيم عليان سلامة: العقائد التّصراوتيّة في القرآن الكريم - دراسة تحليليّة-، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدّين، الجامعة الإسلاميّة بغزّة، فلسطين، 1429هـ/ 2008م، ص 174.

² - المرجع نفسه، ص 176.

بريء؟، أو كيف يموت إنسان من أجل إنسان آخر ويقدم نفسه تضحية من أجله؟، هذا فضلا على أنه يدعو إلى الاتكال والاستسلام والركون والتعويل على الغير!.

وهو ما يتعارض تمامًا مع معتقد المسلمين الذين حدّد القرآن الكريم موقفهم تجاه هذا المعتقد؛ إذ أبطله بطريقة غير مباشرة من خلال مسلكين اثنين:¹

المسلك الأول: بين فيه الله عزّ وجلّ أنّ خطيئة آدم عليه السلام التي ارتكبها في الجنة، والمتمثلة في الأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الأكل منها؛ قاصرة عليه ولم تتعداه إلى غيره من ذريته، وأنه تاب منها توبة نصوحًا، وذلك في عدة آيات منها قوله تعالى: ﴿ وَيَتَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ١٩ ﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ٢٠ ﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ٢١ ﴾ فَذَلَّهُمَا بِؤُرُوجِهِ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَقِّ الْجَنَّةِ وَنَادَيْتُهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ٢٢ ﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٢٣ ﴾ (الأعراف: 19-23)، وقوله أيضًا: ﴿ فقلنا يتادَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَعِ ١١٧ ﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ١١٨ ﴾ وَأَنْتَ لَا تَطْمَؤُنُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ١١٩ ﴾ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ١٢٠ ﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَقِّ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ١٢١ ﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ١٢٢ ﴾ (طه: 117-122).

المسلك الثاني: أثبت فيه المولى عزّ وجلّ أنّ المسؤولية فردية، فلا يمكن لأحد من الناس أن يحمل عن أخيه الإنسان أوزاره وخطاياهما مهما كانت صلته به، فكلٌّ محاسبٌ على ما ارتكبه من الذنوب والآثام، أو مجازى على ما قدّمه من أعمال الخير والبرّ، وهذا كَلِّه إثمًا يخضع لميزان الله العادل، والقانون الرّبّاني القائم على القسط والمساواة بين الناس، واحترام الواجبات والحقوق، وذلك في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ١٨ ﴾ (فاطر: 18)، وقوله أيضًا: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُورًا رَبُّكُمْ وَأَخْشَاؤًا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ٣٣ ﴾ (لقمان: 33)، وقوله كذلك: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ٤٦ ﴾ (فصلت: 46).

وبيّن فضل الله مدى شساعة الهوة بين الفريقين في هذا المجال، فيقول:

¹ - إسماعيل عريف: التقد القرآني للعقائد الدنيّة المخالفة للإسلام "العقائد المسيحية أنموذجًا"، مقال سابق، ص 133-134.

"ولعلّ أكثر ما يُثير الجدل بين المسيحيّة والإسلام، هو فكرة أنّ المسيح هو الله، ومسألة التّثليث، وقضيّة صلب الإله والسّرّ في صلبه، ونظريّة الفداء وتعقيدها، كلّ هذه أمور قد تثير تساؤلات بحاجة إلى توضيح وحوار:

- ما حاجة الإله إلى أن يعيش الأمل لفداء شعبه والتّكفير عن الخطيئة الأولى؟، فالله الذي خلق الأمل لا يحتاج أن يتمثّله بالإحساس كيّ يعيشه ويفهمه، والله الذي خلق الإنسان الذي يخطئ لا يحتاج أن يتحمّل الآلام ليكفّر عن خطيئته..."¹

إلا أنّ بحث هذه المسائل وإثارها مع الطّرف المسيحي، قد تمنعهم من الحوار والمناقشة حولها؛ لأنّها من صميم عقيدتهم، فكيف يجوز النّظر فيها أو مساءلتها؟، وإنّها لقضايا معقّدة تعقيداً كبيراً حتّى بين المسيحيين أنفسهم، وفي ذلك يقول فضل الله:

"هذه التّساؤلات والمفردات لم تكن مثار جدل بين المسلمين والمسيحيين فقط، بل بين المسيحيين أنفسهم، والتّاريخ شهد مؤتمرات ومجامع مسكونيّة* [عالميّة] للبحث في شخصيّة السيّد المسيح عليه السّلام وتوابعها"².

وبالنّسبة للطّرف الإسلامي، أيضاً هناك مسائل عقائديّة لا تجوز مناقشتها ولا التنازل عنها في مؤتمرات الحوار مع الطّرف المسيحي؛ كرتائيّة القرآن، ونبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم...، وغير ذلك من المسائل الأساسيّة في الدّين الإسلامي، بل إنّ إثارها تشكّل عائقاً كبيراً للحوار بين الطّرفين.

ثانياً- طبيعة التّشريعات: إذا كان ما سبق ذكره بعض الاختلاف في الشّقّ العقائدي بين المسلمين والمسيحيين، والذي أشرنا -فقط- إلى جزء من نماذجه للتّدليل عليه، فإنّ الاختلاف في التّظام التّشريعي لا يقلّ عنه رتبة وحجماً؛ لأنّه وبإجراء مقارنة بسيطة بين الطّرفين في هذا المجال، يتبيّن لنا وجود فرق كبير بينهما فيه.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 26-27.

* من تلك المجامع التي عقدت في هذا الشأن نذكر:

- مجمع نيقية (325م)، - مجمع أفسس الأوّل (431م)، - مجمع خلقيدونيّة (451م)... (محاضرات في التّصاريّة، ص 112-126)، وتعتبر هذه المجامع الثلاثة بالإضافة إلى مجمع القسطنطينيّة الأوّل (381م)، من أهمّ المجامع في تاريخ الكنيسة والديانة المسيحيّة؛ باعتبارها المسؤولة عن تشكيل عقيدة المسيحيين الحاليّة.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص 27.

فمثلاً، وفي مجال الحزبيات العامة يختلف الإسلام عن المسيحية اختلافاً جذرياً؛ إذ تقوم المسيحية على المثاليّة، وتصوّر الإنسان على غير حقيقته وواقعه، وتحلّ المشاكل بالروحانيّة وحدها وتغفل عن الجانب المادّي، وتطالب الإنسان بالتنازل عن حقّه وماله إذا سلب منه، كما تطالب المظلوم بعدم مقاومة الظلم والعدوان، ثمّ إنّها جاءت لتُحارب المال وتعتبره عقبة بين الإنسان ودخوله الجنّة، وهي تفصل بين الدّين والدّولة في إطارها العام، وتجعل لرجال الدّين السّلطة على النّاس بحيث يصبحون الواسطة بين الله والعبد، والحاكم فيها هو ظلّ الله في الأرض وطاعته واجبة، فلا يُناقش ولا يُجادل، وبناءً على هذا كان الملوك في أوربا يدعون أنّهم مُعيّنون من قبل الله، ولا سلطة للشّعب في عزله إذا انحرف، وفيها تمنع الكنيسة حرّية الفكر والتأمّل والبحث*، وتدعو إلى الرّهينة والعزلة عن النّاس وترك النّكاح.¹

ويقوم الإسلام على الواقعيّة والاعتراف بما في الإنسان من قوّة وضعف، ومن خير وشرّ، ويحقّق التوازن بين العامل المادّي والعامل الرّوحي، ويُطالب المسلم بالدّفاع عن حقّه وماله حتّى الموت، كما يحذّره من قبول الظلم على نفسه، وذلك بمطالبته برّد العدوان والظلم والطّغيان، ويعتبر الخانع المستضعف مستحقّاً لعذاب الله في الدّنيا والآخرة، وهو يعترف بفضل المال وأهميّة العامل الاقتصادي في تحرير الإنسان من السّؤال وفي عزّة نفسه وحرّية رأيه، ثمّ إنّ جاء بنظام متكامل يربط بين الدّين والدّولة وبين العبادة والقيادة وبين الآخرة والدّنيا؛ لأنّه عقيدة وأخلاق وشريعة متكاملة، وجاء قاضياً برفض أيّ سلطة من رجل الدّين أو رجل الدّولة على العبد إلّا سلطة الخالق نفسها، ولا وساطة بين الله والنّاس إلّا العمل الصّالح وحده، فلا قداسة للحاكم فيه وليست له مكانة خاصّة، بل يعتبره الشّرع أجيراً لمستأجره الرّعويّة براتب يتقاضاه؛ لأنّه يُعيّن من قبلها - أي الرّعويّة - بالبيعة العامّة، والإسلام يطالب بالتّفكير أولاً ثمّ الاقتناع ثانياً، فهو لا يمنع

* كمثال على ذلك تتصدّر قضية غاليلو مع الكنيسة؛ فقد حوكم هذا العالم كحناية على رأيه القاضي بدوران الأرض حول الشّمس ومركزيّة هذه الأخيرة تأكيداً لنظريّة كوبر نيكوس، وذلك يوم 22 جوان 1633م، داخل كنيسة "سانتا ماريا سوبرا مينرفا" بروما، وهذا نصّ إصدار الحكم عليه: "نقول ونحكم، ونتفوّه بأنك أنت غاليليه، من جرّاء العناصر التي كشفتها الدّعوى التي اعترفت بها، قد جعلت نفسك في نظر المكتب المقدّس هذا مشتبهاً بمرطقة، شبهة قويّة جدّاً، أي أنّك منحت الدّعم والتّصديق لمذهب خاطئ ومناقض للكتب المقدّسة والإلهيّة؛ ألا وهو أنّ الشّمس هي مركز الأرض، ولا تنتقل من الشّرق إلى الغرب، وأنّ الأرض هي التي تتحرّك وأنّها ليست مركز العالم، وأنّ من الممكن الاعتقاد برأي قد تمّ إعلانه وتحديده مناقضاً للكتاب المقدّس والدّفاع عن ذلك بصفته أمراً محتملاً". (جورج مينوا: الكنيسة والعلم - تاريخ الصّراع بين العقل الدّيني والعقل العلمي -، ترجمة: موريس جلال، ط1، المؤسسة العربيّة للتّحديث الفكري، دار الأهالي، دمشق، سوريا، 2005م، ج1، ص485).

¹ - فؤاد عبد المنعم: أبحاث في الشّرائع اليهوديّة والنّصرانيّة والإسلام، دط، مؤسّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1414هـ/ 1994م، ص162-168.

الحرية الفكرية، بل يحثُّ عليها ويدعو إليها بكلِّ الوسائل والطرق، وحرّم الرّهنة واعتزال الناس، وأمر كلَّ مسلم بالالتحام بالأحياء والأحياء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.¹

وهذا الاختلاف البين بإمكانه إعاقة العملية الحوارية بين الفريقين، لأنّ كلّاً منهما -من البديهي- سيظلُّ مستمسكاً بنظامه التشريعي الذي ينتمي إليه، ولا يتنازل عنه أو يتفاوض حوله بأيّ حال من الأحوال، إلّا أنّ هذا لا يعني أنّه لا توجد نقاط تلاقٍ بينهما في هذا المجال، بل إنّ هناك بعض القيم الأخلاقية والروحية تجمعهما أو تتشابه في شريعتيهما، كما أشرت إلى ذلك سابقاً.²

المطلب الثالث: الدولة الإسلامية في لبنان.

تعتبر هذه النقطة الحساسة من أهمّ النقاط التي أثارت اهتمام فضل الله، فقد تحدّث عنها في جملة من مؤلفاته، وربما يعود ذلك لكونه شخصية لبنانية عاشت الحدث الديني والسياسي في هذا البلد بكلِّ حيثياته، وعلى الرّغم من كون هذه القضية تعبّر عن التعايش الإسلامي المسيحي، إلّا أنّ فضل الله يعتبرها -من منظور آخر- عقبة كأداء تقف في وجه الحوار بين الطرفين، فقد عبّر عن هذا الموقف قائلاً:

"ولبنانياً قد نصطدم بفكرة الدولة في الإسلام، التي لا يوافق المسيحيون عليها، باعتبار أنّ فيها انتقاصاً لحريتهم ووجودهم..."³ وهذه الفكرة من أكبر العوائق التي تقف في وجه الحوار بين الطرفين، خاصّة وأنّ الطّرف المسيحي يتوجّس خيفة من هذا الأمر؛ وهو الحكم الإسلامي في لبنان، لأنّ ذلك في نظرهم يُفقدهم حرّيتهم، وينقص من كرامتهم وقيمتهم الإنسانية سواء في الدّاخل أو في الخارج.

لذلك فإنّ هناك مسألة خوف مسيحي من الحركة الإسلامية الجديدة التي انطلقت من خلال الصّحوة الإسلامية، لاسيما من خلال إطلاق بعض قيادات الإسلام شعارات الجمهورية الإسلامية، والتي أصبحت تهدّد الوجود المسيحي؛ لأنّه أن يتحوّل لبنان إلى جمهورية إسلامية -في نظر المسيحيين- هو إلغاء للكيان المسيحي بكلِّ ما فيه.⁴

¹ - فؤاد عبد المنعم: أبحاث في الشرائع اليهودية والنصرانية والإسلام، مرجع سابق، ص 162-168.

² - ينظر ص 99-102، 124-129 من البحث.

³ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 34.

⁴ - مقابلة مجلّة العهد الأسبوعية مع محمّد حسين فضل الله، 1993/01/08م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 401.

غير أنّ الرّجل قاوم بشدّة هذه الفكرة، وحاول جاهداً تصحيحها من خلال إبراز مبدأ إسلامي هام؛ هو مبدأ التّسامح والتّعايش مع الآخر، والقاضي بنبذ الإلغائية أو الإقصائية، ونجد ذلك مقرّراً في قوله:

"هناك جانب مدني موجود في الإسلام إلى الجانب العبادي والروحي، فعلى هذا الأساس، فإنّ الجانب المدني في الإسلام يفتح على كلّ النّاس، ويُعطي للمسيحيين حقّ المواطنة كما يعطيها للمسلمين، مع بعض التّحقّظات التّشريعية التي لن تنال من كرامة أحد، لأنّ الإسلام لا يُلغي وجود المسيحيين، بل يدعوهم إلى الكلمة السّواء فيما يتّفق فيه معهم في الأصول العقيدية... وإذا أردنا أن ندرس النّاحية التّاريخية، فإنّ النّصارى موجودون منذ أن بُعث الإسلام حتّى الآن، بكنائسهم وأديانهم بشكل طبيعي".¹

وفي هذا السّياق يفتد فضل الله فكرة أنّ المسيحيين يمثلون جزيرة آيلة إلى الغرق في البحر الإسلامي الكبير، ودليله على ذلك أنّ هذه الجزيرة - إن صحّ تسميتها بذلك - لا تزال موجودة في هذا البحر منذ أربعة عشر قرناً أو يزيد، ولم تغرق فيه ولم يُساهم هو في إذابتها، بل زادها تماسكاً وقوّة وصلابة بما منحها من امتيازات وحقوق؛ لأنّ أتباع هذا الدّين الخفيف في إطلاقهم للمشروع الإسلامي أو للجمهوريّة الإسلاميّة، إنّما ينطلقون من خطّ قرآني يعترف بأهل الكتاب ويلتزم مقدّساتهم ولا يلغيها تماماً، ويدعوهم إلى الكلمة السّواء.²

وفي جوابٍ له عن سؤال متعلّق بهذا الشّأن، قال:

"ليست هناك عقدة اسمها عقدة الخوف، لأنّ البحر الإسلامي الذي يتحدّثون عنه في المنطقة، لو كان يريد أن يُغرق الجزيرة المسيحية لأغرقها منذ زمن طويل تماماً كما أغرق البحر المسيحي في الأندلس الجزيرة الإسلاميّة هناك بحيث لم يبق للمسلمين أيّ وجود، إنّنا نقول للمسيحيين: أدرسوا التّاريخ، فإنّ التّاريخ الذي حمى المسيحية واليهودية في داخل الدّولة الإسلاميّة، هو دليلٌ على أنّ من الممكن للمستقبل الإسلامي أن يحميها بشكلٍ أكبر، ومن دون أيّ عقدة ومن دون أيّ خوف".³

وعند جوابه عن سؤال مفاده مدى إمكانية أن يعيش المسيحيون في ظلّ قيام دولة إسلاميّة في لبنان؛ نصّ على الإنسانيّة السياسيّة التي يشترك الجميع في رسم صورتها ويتساوون أمامها، بحيث لا يكون لأحدٍ

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 67.

² - مقابلة مجلّة العهد الأسبوعيّة مع محمّد حسين فضل الله، المقابلة السابقة، ص 402.

³ - مقابلة مجلّة العهد الأسبوعيّة مع محمّد حسين فضل الله، 1992/12/20م، عدد 389، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص 416.

فضل على الآخر أو تحكّم فيه، فالفرد سواء كان مارونيًّا أو أرثوذكسيًّا أو سنيًّا أو شيعيًّا، عليه أن يشعر بلبنانيته من خلال طائفته التي ينتمي إليها، وكلّ جهة في هذا البلد تسيطر عليها فئة معيّنة أو مذهبٌ خاص، ولا غلبة لأبناء طائفة على أبناء طائفة أخرى، وهذه هي الطائفية السياسية التي قسّمت لبنان إلى ولايات غير متّحدة، وعليه فليست هناك ظروف واقعية لقيام دولة إسلامية في لبنان، كما أنّ الظروف غير موافقة أيضًا لقيام دولة ماركسية ولا دولة قومية أو مسيحية في هذا البلد، لذلك يجب استدعاء الحوار الفكري ليكون حاضرًا بين الجميع، وأيضًا استدعاء دولة الإنسان في لبنان؛ بمعنى أن لا يكون للفرد اللبناني أيّ صفة إلا إنسانيته التي يكون له فيها وعليه فيها الحق، ولهذا فإنّ إلغاء الطائفية السياسية يعيد اللبنانيين إلى لبنانيتهم.¹

وإذا كان الأمر بهذا الوصف، فإنّ المسيحيين اللبنانيين ليس عليهم الخوف أبدًا من قيام دولة إسلامية في هذا البلد، ما دام ذلك غير ممكن في هذه المتغيّرات والمعطيات، وما دام الجميع متساوين في الحقوق والواجبات في دستور هذه الدولة التي تشهد طائفية كبيرة وخليطًا بشريًّا ذا منمنمات مذهبية وعقائدية متعدّدة، لأنّه -والحال هذه- لا يمكن لأيّ أحد مهما كانت طائفته أو مهما كان مذهبه؛ الاستئثار بالحكم أو الإنفراد بالمسؤولية، وإتّما يشارك الجميع في ذلك، سواء كانوا ينتمون إلى الدين الإسلامي أو إلى الديانة المسيحية، وهذا ما تمّ التنصيص عليه فعلاً في الدستور اللبناني* الذي يمنح الفرصة لكلّ الأطراف في ممارسة الحكم وتولّي المناصب السياسية السامية بالسوية.

وبهذا الصّدّد يؤكّد فضل الله على انفتاح الإسلاميين في لبنان على جميع الأطياف، فيقول:

"وقد رأينا كيف انفتحت الحركة الإسلامية في لبنان من موقع فكرها، لا من موقع اضطرارها، على المسيحيين بأعلى المستويات، وعلى كلّ الأحزاب بما فيها الأحزاب العلمانية المادّية حتى الملحدة منها، ودخلت معها فيما يشبه الجبهة من خلال القضايا الاجتماعية، ومن هنا نعتبر أنّ الحركة الإسلامية في لبنان، هي من أكثر الحركات الإسلامية وعيًا ومعاصرة، دون أن تبعد عن الخطوط الإسلامية الأصلية"²، وعليه فإنّ المطلوب من المسيحيين عدم الخوف من قيام جمهورية إسلامية في هذا البلد؛ لأنّ هذه الجمهورية على فرض قيامها في لبنان، فإنّ أفرادها وجهازها السياسي أقرب إلى المسيحيين من الماركسية والشبوعية، أو

¹ - محمد حسين فضل الله: شخصية السيّد المسيح -قراءة في المعالم والمواقف-، محاضرة سابقة، ص 237.

* ينصّ الدستور اللبناني في بابه الثاني المتعلّق ب: السلطات، في فصله الثاني المتعلّق ب: السلطة التشريعية؛ على توزيع المقاعد النيابية بالتساوي بين المسيحيين والمسلمين وفقا لوثيقة الوفاق الوطني. (ينظر: الدستور اللبناني الصادر عن مجلس النواب اللبناني، ص 08).

² - محمد حسين فضل الله: اتجاهات وأعلام -حوارات فكرية في شؤون المرجعية والحركة الإسلامية-، مصدر سابق، ص 117.

أيّ تيار فكري آخر، ثمّ إنّ خوفهم من هذا الأمر لا مسوّغ له ما دامت هذه الجمهوريّة هي مجرد عنوان فكري سياسي، وليست مشروعًا واقعيًا مجسّدًا على أرض الواقع،¹ فيأذن -والحال هذه- لا فائدة من الخوف المسيحي المصطنع في أغلب الأحيان، بل ولا مسوّغ له من الأساس، ما دام أنّ الأمر لا يعدو كونه مسألة تكهنيّة أو افتراضيّة.

إذن، ليس هناك مبرر أساسي لهذه المسألة التي تحوم في فكر المسيحيين، غير أنّه يوجد أطراف خارجيّة تغذيها وتحاول سقي بذرتها في التراب اللبناني للتفرقة بين أبناء الوطن الواحد، في سبيل القضاء على الوحدة العربيّة التي تجمع بين المسلمين والمسيحيين على هذه الأرض منذ أمادٍ طويلة، تقاسم فيها الطرفان الآلام والأحزان والأفراح والانتصارات معًا، لذلك لا يجب أن يكون مسيحيو المنطقة اللبنانية لعبة أو أداة يوظفها الغرب لمواجهة القوميّة العربيّة، أو يكونوا وسيلة من وسائل مواجهة أيّ حركات تحرّر في المنطقة سواء كانت إسلاميّة أو قوميّة أو وطنيّة،² لكي لا تنجح تلك الأطراف في استغلال الوضع وتأجيج نار الفتنة والفرقة بين مواطني لبنان بجميع طوائفهم ومذاهبهم الإسلاميّة والمسيحيّة؛ لأنّه إذا تمّ لها هذا المراد فإنّها بلا شكّ تستطيع القضاء على وحدة الشعب اللبناني، بحجّة الاختلاف في الدّين أو الاختلاف في العقيدة والمذهب، الأمر الذي يؤدّي -في بعض الأحيان- إلى اضطهاد طائفة من طرف الأخرى.

وحقّ عندما يُطرح الإسلام ككيان سياسي، فلا يُطرح نقيضًا للمسيحيّة؛ لأنّ المسيحيّة ليس لها مشروع سياسي؛ إذ أنّها تفصل بين الدّين والسياسة، وإضافة إلى ذلك فإنّ الإسلام يحترم المسيحيّة، والدليل على ذلك هو هذا التّاريخ الطّويل الذي كانت السّيادة فيه للمسلمين، والذي عاش فيه المسيحيون بصورة أفضل ممّا عاشوه في المجتمع الأوربيّ، والمشاكل التي حصلت بين المسلمين والمسيحيين هي نفس المشاكل التي حصلت بين المسيحيين أنفسهم وبين المسلمين أنفسهم، ولا يمكن اعتبارها حالة اضطهاد تنطلق من وجهة نظر معيّنة، بل هي حالة مشاكل تحدث في أيّ مكان ضمن حُكم أيّ نظام،³ وإذا لم يكن في المسيحيّة مشروع سياسي في الحكم، فالأفضل للمسيحيين العيش في نظام الحكم الإسلامي الذي يشهد التّاريخ على إنصافه لهم، ومنحهم حرّيّة الفكر والعقيدة والعيش في أمن وسلام، كما أنّه يمكنهم من طرح وجهات نظرهم، ومناقشة بعض الأمور التي تدخل ضمن المحافظة على الإطار العام للدّولة.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 68.

² - المصدر نفسه، ص 123.

³ - محمّد حسين فضل الله: الإسلاميون والتّحدّيات المعاصرة، إعداد: سليم الحسني، ط2، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص 141.

وانطلاقاً من ذلك، نجد فضل الله يحاول التخفيف من حدة الخوف المسيحي من الحكم الإسلامي، أو من الإسلاميين أنفسهم، فهذا هو مخاطبهم قائلاً:

"إنّ الإسلاميين لا يفكرون في إلغاء الآخر، وفي حلّ الأمور بالعنف إلا بالطريقة التي تفكر بها الجماعات الحضارية في العالم، وهم يفهمون المسيحية فهماً رسالياً لا طائفياً، ولذلك فإنّ إدارة الحوار بينهم لن تكون عملية تسجيل نقاط، بل هي عملية تركيز مفاهيم وتقريب مواقف وتخطيط قناعات، الأمر الذي يفرض علينا جميعاً الابتعاد عن الخضوع للأسلوب الإعلامي العدواني في أجهزة الإعلام الغربية أو الأجهزة المتحالفة معها، لدراسة الأمور بعقل ووعي واتزان، حتى نستطيع التخطيط لمواقع اللقاء، والحوار والتفاهم في مواقع الخلاف، فإنّ ما يجمعنا قد يكون أكثر ممّا يفرقنا في كلّ ساحات العالم"¹، وهو الأمر الذي يدلّ كلّ صعوبة قد تقف بين الطرفين سواء كانت صغيرة أو كبيرة، ممّا يفتح أمامهم فرصة للتفاهم والتلاقي والتواصل من أجل تشييد جسور المحبة والوثام، وبناء وطن قويّ يتصدّى لكلّ الحملات الشرسة والمغرضة التي تحاول زعزعته من الداخل والخارج، وبالتالي القضاء على عوامل التفرقة والعنصرية التي غالباً ما تقف سدّاً منيعاً في بدء الحوار.

إنّ هذه القضية الافتراضية (قيام دولة إسلامية في لبنان)، هي في نظر فضل الله قد تكون عائناً يمنع أو يقف في طريق التقاء الطرفين الإسلامي والمسيحي، لذلك وبعدما أورد لها توصيفاً وافياً، شرع في اقتراح الحلول اللازمة لها؛ للقضاء عليها، أو المساهمة في عدم تجسدها على الأرض اللبنانية من الأساس، وهي قضية اهتمّ بها الرجل اهتماماً بالغاً، وخصّص لها جزءاً كبيراً من كتاباته، وربما يعود ذلك لأمرين؛ أولهما: أنّه عايش فترة عصيبة في هذا البلد شهدت العديد من الخلافات والنزاعات بين المسلمين والمسيحيين، وثانيهما: أنّه رجل حوار وانفتاح على الآخر، يدعو إلى الوحدة والعيش المشترك بين أبناء الوطن الواحد، إيماناً منه بالوطنية الخالصة والإنسانية الجامعة التي توحد الصفوف وتجمع الكلمات المتفرقة في قالب واحد مفاده الاتحاد والإخلاص ونبد التفرقة والعنصرية.

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 113.

المطلب الرابع: الانغلاق الفكري والأساليب البدائية.

الانغلاق الفكري والأساليب البدائية؛ تصرّفان متكاملان متلازمان، ذلك أنّ حدهما يؤدّي للآخر، فعندما ينغلق الفكر وينحسر عن نفسه يجزّ بصاحبه إلى اللجوء إلى اختيار الأساليب أو الكلمات البدائية البديئة تعبيراً عن موقفه من الآخر، كما أنّ هذين الأمرين يعتبران من معقّات الحوار بين الأطراف المتحاورة.

أولاً- الانغلاق الفكري: لا شكّ في أنّ انحسار الفكر عن نفسه وتقوقعه في دائرته أو مركزه، يؤدّي به إلى حالة من التّعقيد والانكماش، وينأى به عن العالم الخارجي الكائن من حوله، وهذا ما يمنعه من تأديّة التّواصل مع الفكر الآخر، ويقصيه -على الأقلّ فكريّاً- من الطّائفة المجتمعيّة التي ينتمي إليها، أو حتّى الطوائف الأخرى المناهضة له عقائديّاً أو مذهبيّاً.

وهو الأمر الذي عدّه فضل الله معوّقاً حوارياً عندما يتعلّق الأمر بالحوار الإسلامي المسيحي، فيقول:

"ولا بدّ من الاعتراف بعد ذلك كلّه، بأنّ المشكلة التي فرضت نفسها على واقع الحوار؛ هي أنّ هناك في المجتمع مواقع تعيش الانغلاق الفكري والتّفسي من المسلمين والمسيحيين على حدّ السّواء، فتعتبر أنّ الحديث مع الآخر قد يجرّحها ويجذبها إلى مواقع لا تريدها، أو قد أسىء إلى طهارتها الفكرية والروحية"¹، ممّا يمنع التّواصل والتّحاور بين الطّرفين بداعي هذا الخوف المصطنع في بعض الدوائر التي لا تريد للحوار الإسلامي المسيحي الاستمرار والتّجّاح في مسيرته.

وهي الفكرة التي انعكست سلبيّاً عليهما معاً؛ أي أنّ هناك خوفاً مشتركاً أفرز حركة حذرة من الآخر؛ الحركة الخائفة من الغير، والتي لا تحمّل الآخر على أنّه يفكر بطريقة منفتحة، وهي المسؤولة على تعقّن الواقع السياسي خاصّة في لبنان بين المسلمين والمسيحيين؛ لأنّه عندما يتكلّم كلّ منهما أو يحاور الآخر، فلا يعتبره هذا الآخر مكلّمًا أو محاورًا إياه بقلب مفتوح؛ لأنّ الجميع يعيش بفكرٍ منغلق.²

ذلك هو التّصوّر الذي لا ينبغي أن يتغلغل في نفوس هؤلاء؛ لأنّه متى تمكّن منها أفقدتها سمة الانفتاح والمواجهة، وعليه فإنّ الفرد سواء كان مسلمًا أو مسيحيًا، ليس له أن يعتبر تغيّر فكره سياسياً أو اجتماعياً كارثة أو مصيبة، لأنّ النّاس قد يضطّرون في بعض الأحيان إلى تغيير أفكارهم، وهو الأمر المفقود في لبنان،

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص37.

² - محمّد حسين فضل الله: الحوار بلا شروط - تمرد على ثقافة الخوف-، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1418هـ/ 1998م، ص15، والكتاب عبارة عن مقابلة أجرتها الـ C33 مع محمّد حسين فضل الله، ضمن برنامج (كلام الناس) بتاريخ: 1995/12/28.

بما أنه يعيش حساسية خاصة مغرقة في عمق التخلف عندما يُنتج ثقافة الخوف من الحوار، وهذا ما جمد الواقع اللبناني؛ الذي يمثله المسلمون والمسيحيون معاً، الطرفان اللذان أصبح كلٌّ منهما يتوجس خيفة من الآخر - في الجزئيات الصغيرة والسلطة - خوفاً من الاستلاب، ومردُّ ذلك إلى الجمود الموجود هنا وهناك والمنطلق من الذهنية المتحجرة، التي تنظر للناس كما لو أنهم مومياءات جامدة تحدق فيها دون أن تجد لها نبضة من حياة،¹ مما أدى إلى حالة من الخوف والدعر الدائمين.

وأدى - أيضاً - إلى إشكالٍ كبير متمثل في التجاهل وعدم الاكتراث، وهو تجاهل متعلّق بالأحداث المتلاحقة في عالمنا والأسباب التي تقف وراء حدوثها، والجهود التي يجب أن تُبذل لمواجهتها، وتمثّل نتائج هذا التجاهل والإقصاء في المواقف الخاطئة وسوء التفاهم، الأمر الذي يقود الطرفين إمّا إلى التعصّب الأعمى أو إلى اللامبالاة أو اليأس، ويترك فجوة أو ثغرة كبيرة تحتاج إلى من يسدها، وطبعاً عندما يغيب الفكر الواعي الذي كان يجب عليه أن يتولّى هذه المهمة؛ تحلّه محلّه وسائل الإعلام التي تقوم بعملية غسيل يومية لمخّ الأفراد والجماعات، وهنا غالباً ما تتمّ المقارنة بطريقة مغلوطة بين الصورة المثالية للحضارة الخاصة، والصورة المشوهة لحضارة الآخرين،² وذلك كلّه نابع من الانغلاق النفسي والجمود الفكري.

إنّ هذا الجمود الفكري الموصوف بأنه "أسلوب جامد في التفكير، ونظرة تسلّطية إلى الحياة، وتشدد مع أصحاب المعتقدات المناهضة، وتسامح مع أصحاب المعتقدات المتشابهة، فالفرد الدجماتي لا يتقبّل الجديد من الأفكار، ويتعصّب ضدّ من يُخالف معتقداته، ويتخذ من السلطة اتجاهًا تسلّطياً استبدادياً"³، هو المسؤل على عرقلة التواصل بين الناس، وخاصة لما يتعلّق الأمر بالجانبين الإسلامي والمسيحي، لأنّ هناك أفراداً من أتباع الديانتين لا يزالون واقعين في شرك هذا الجمود والانغلاق على الذات، خوفاً من الانحذاب نحو فكر الآخر أو آرائه أو معتقداته أو أيّ شيء من هذا القبيل، ممّا يؤدي بالضرورة إلى منع التحوار بين الطرفين، وكذا عدم التفاهم فيما بينهما.

ثانياً- الأساليب البدائية: إذا كان ما مرّ معنا سابقاً هو حال الجمود الفكري والانغلاق النفسي، فإنّ الأساليب البدائية العنيفة هي الأخرى تشكل عائقاً كبيراً يقف في طريق التواصل بين الطرفين، وفي ذلك يقول فضل الله:

¹ - محمد حسين فضل الله: الحوار بلا شروط - تمرّد على ثقافة الخوف -، مصدر سابق، ص 12-13.

² - محمود حمدي زقزوق: الإسلام وقضايا الحوار، مرجع سابق، ص 41-42.

³ - صابر حماد عتيق سلامة: الجمود الفكري وعلاقته بالتنازل والتشاور والاتجاه نحو التحديث لدى طلبة الجامعات بمحافظات غزة، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 1438هـ/2017م، ص 10.

"ولعلّ من الأمور التي تُعيق عمليّة الحوار، هو الأساليب البدائيّة المتخلّفة التي عشنا ضحاياها في الأربعين سنة الماضية؛ الأساليب التي تتمثّل بالعنف الكلامي ثمّ الأمني، والتي حرّكت دوامة الصّراع في المنطقة، وأثارت الانقلابات والأجواء الحادّة، وجعلت التّنظيمات تتحرّك بالطريقة التي كان الإنسان فيها يقاتل بالكلمة تمامًا كما يقاتل بالرّصاصة، على نحو نجد أنّ الكلمة تحمل رويّة الرّصاصة في عدوانيتها ونتائجها..."¹ وهذا أمرٌ خطيرٌ منقّرٌ للطرف الآخر الواقف في الجهة المقابلة، لأننا حينما نخاطبه بألفاظ متطرّفة عدوانيّة، نجعله يعمت فكرة الحوار من أساسها ويزهده فيها.

لذلك أمر الله سبحانه وتعالى -تقريراً لمبدأ قرآني أصيل- الرّسول ﷺ والمؤمنين أيضاً، باللين والرّفق في المحاورّة أو المحادثة أو المجادلة، فقال: ﴿فَمَا رَحِمَةً مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ (آل عمران: 159)، وقال أيضاً: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (التحل: 125)، وكذلك قال: ﴿وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْأَكْتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَيْهَا وَإِلَيْكُمْ وَجِدْ لَهُمْ مَسَلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (العنكبوت: 46)، وفي هذه الآية الأخيرة حثٌّ من الله تعالى للمؤمنين من أتباع محمد ﷺ على محاورّة ومجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالملاطفة في الدّعاء إلى الله، والتّنبية على آياته، وبالموافقة فيما حدّثوهم به من أخبار أوائلهم، وذلك حال كونهم غير ممتنعين عن أداء الجزية أو غير مصرّين على بقائهم على كفرهم،² وفي هذا دعوة صريحة إلى المعاملة بالحسنى والمخاطبة بأسلوب اللين والرّفق الذي يجبّب النفوس في بعضها البعض، ويقضي على الأنانيّة والعنف والعدوان وكلّ الأوصاف الخسيّة.

إنّ أسلوب العنف الذي ينطلق في مواجهة الخصم بأشدّ الكلمات وأقساها، بحيث يتركز الاهتمام على كلّ ما يساهم في إيلامه وإهانته وإهدار كرامته، فلا مجال لمراعاة مشاعره وعواطفه، والتّكلم معه انطلاقاً من فهم واقعه والإحاطة بظروفه، بل التّحدّي هو الأساس في ممارسة هذا الأسلوب،³ هو الذي يؤدّي إلى الكراهيّة في نفس الطرف الآخر، ويولّد فيه روح التّشاز والاشتمزاز والبغضاء تجاهه محاوره دون أدنى شكّ، وفي

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 36-37.

² - أثير الدّين محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي: تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج 7، ص 198.

³ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص 16.

هذا يقول فضل الله: "وهنا لا نحتاج إلى التأكيد أنّ مثل هذا الأسلوب لا يُنتج إلا مزيداً من الحقد والعداوة والبغضاء والبُعد عن كلّ الأجواء التي تقرّب الأفكار وتُساهم في الوصول بالصّراع إلى نتائج طيّبة".¹

وهذا الأسلوب تمثله محاذير لفظية تهوي بالحوار وتعطل مسيرته أو تحوّله إلى جدل عقيم، أو تبادل للسباب والشتم، نذكر منها:²

1- اختيار الألفاظ والمعاني التي تقود إلى الجدل، أو تستثير الفتن والمشكلات؛ رغبة في الخصومة واللجاج، وإضاعة للوقت، وهروباً من الحوار الجادّ.

2- إظهار التفاسيح والتشديد في الكلام، تيهًا على الغير واستعلاءً، ووسيلة إلى تصغير الطرف الآخر، أو قصد تعجيزه بالتكلف في القول، أو إظهاراً للباطل في صورة الحقّ أو عكسه.

3- الاستئثار بالكلام دون الطرف الآخر، والإطالة الزائدة عن حدّها وعدم مراعاة الوقت أثناء الكلام، والرغبة في مواصلته وكرهية الانقطاع، ممّا يجعل الحوار من طرف واحد وكأنّه خطبة أو موعظة.

4- استعمال ضمير المتكلم ونسبة الأشياء إلى النفس أو الذات.

5- اللوم المباشر عند وضوح خطأ الطرف الآخر.

6- رفع الصوت أكثر ممّا يحتاج إليه السامع، لأنّ في ذلك رعونة وخشونة وإيذاء.

7- إصدار أوامر للطرف الآخر توحى بالعلو والأستاذية.

8- استعمال الألفاظ الغريبة والأساليب الغامضة والعبارات المحتملة، تلبسًا وتمويهًا بغير الحقيقة، ومراوغة وهروباً من الإجابة.

فهذه الصّور وغيرها؛ كلّها تمثّل أسلوب العنف والتّهجم على الطرف المخاور، الذي من المفروض أن تتمّ مخاطبته بالحسنى وبأسلوب حكيم، وصياغات لفظية كريمة متلطفة، وذلك أمرٌ معيّن للحوار ومحيطٌ لنفسية المتحاورين الذين يبحثون عن جوّ هادئ وروح صافية حتّى يتمكنوا من مناقشة القضايا والمسائل بكلّ موضوعية وشفافية.

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 17.

² - يحيى بن محمد حسين بن أحمد زمزمي: آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أمّ القرى، المملكة العربية السعودية، 1413هـ، ص 396-397.

المطلب الخامس: الأطراف الخارجية أو العائق الأجنبي.

يأتي هذا العائق مختلفاً عن العوائق الأربعة المذكورة سابقاً، ذلك أنه عائقٌ خارجٌ عن نطاق الكيانين الإسلامي والمسيحي، وهي - أي العوائق الأخرى - نابعة منهما، فالحوار بين الطرفين تترصده بعض الأطراف السياسية للتصدي له ومنع قيامه لعدة أسباب، ويقول فضل الله مبيّناً خطورة هذا العائق:

"ومن جهة أخرى هناك أوضاعٌ سياسية لا تريد للناس أن يقتربوا من بعضهم البعض، لأنّه قد يسيء إلى مخططاتهم السياسية التي تريد للمشكلة أن تبقى حيّة متحرّكة ضارّة في أسلوبها العدواني وفي روحيتها المضادّة، هناك الكثيرون في المنطقة والعالم ممن يرون المشاكل التي تعيش في واقعنا السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي، ويعملون على تنمية المشكلة بدلاً من إضعافها للوصول إلى حلّها، إنهم يعملون على تعطيل الحوار، ومنع الاتصال بين الأطراف في لبنان وخارجه، لاسيما بين المسيحيين والمسلمين، لأنّ هناك من لا يريد للأديان أن تلتقي، حتّى تبقى هذه مشكلة تعيش في وعي الإنسان ولا تتحوّل إلى حلٍّ لمشكلته".¹

ثمّ يؤكّد على هذه النقطة قائلاً:

"وربما نجد فريضةً يعمل على أن لا يكون هناك حوار، خوفاً من انفتاح الساحتين الإسلامية والمسيحية على بعضهما من موقع المفاهيم الروحية المشتركة، ممّا يعطل الكثير من الخطط التي تستفيد من تعميق الفواصل بين الطرفين في لبنان، وإنني أعتقد أنّ هناك تخطيطاً خفياً لتعطيل الحوار قد لا يحاول التعبير عن نفسه صراحة، لأنّه يخاف من أن تجتذب العناوين الحوارية، بين وقت وآخر؛ جمهوراً مسيحياً إسلامياً بشكل جيّد، وهذا الواقع هو ما لمسّه هؤلاء ولمسناه نحن في بعض المواقف".²

وكثيراً ما يمثّل هذا الفريق الساعي إلى عرقلة الحوار بين المسلمين والمسيحيين؛ أطرافٌ خارجيّة لها مصالحٌ خاصّة في هذا الأمر، لذلك تسعى إلى إفشال هذا المشروع الحضاري بين الفريقين، ولو طرحنا لبنان كأنموذج لهذا الحوار فكرياً وواقعياً، فسنجد الكيان الإسرائيلي يحاول بشقّى الطرق التصدي لهذا التلاقي الإسلامي المسيحي.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 37.

² - المصدر نفسه، ص 36.

فقد أضرمت إسرائيل نار الفتنة في لبنان، ونفخت فيها من روحها، أملاً في ضرب صيغة العيش المشترك وإسقاطها كمتقدمة ضرورية لتنفيذ مشروعها، ومن الطبيعي أنّ هذا البلد وبُحكم كونه مختبراً للعيش المشترك الواحد بين المسلمين والمسيحيين يتأثر في مسيرة وفاقه الوطني وعيشه المشترك بحركة صعود وهبوط العلاقات الإسلامية المسيحية العربية، وبتوظيفاتها السلبيّة، على يد الغرب أحياناً، وعلى يد إسرائيل أحياناً أخرى، ومن المؤكّد أن يكون هذا التأثير أكثر فاعليّة في مرحلة ما بعد الحرب اللبنانيّة، حيث إنّ الجراح تحتاج إلى من يُضمّدها، وليس إلى من ينكّوها.¹

من أجل هذا، كان هناك موقف عربي واحد -تقريباً- من مسألة الحوار مع اليهود؛ لأنّ هؤلاء لديهم موقف عدائيّ معلن ضدّ كلّ ما هو عربي -مسلمًا كان أم مسيحيًا- الذي يتّخذ اليهود المعلنون لصهيونيتهم والمخفون لها وإنّ واطأوا الصهيونيّة في كلّ قول وفعل، وناصروها بالمال والرأي والفكر في كلّ عدوان على الأراضي والمقدّسات الإسلاميّة والمسيحيّة جميعاً، وانطلاقاً من هذه الفكرة، وإذا كان الحوار بين الأديان لا يرمي إلّا إلى تحقيق "العيش الواحد" داخل الوطن الواحد، وتحقيق "العيش المشترك" بين المختلفة أوطانهم وديارهم، فكيف يتصوّر أحدٌ أنّ "العيش المشترك" في أكبر منطقة عربيّة إسلاميّة مسيحيّة -أي فلسطين- ممكن؟!² وبالطبع لا يمكن ذلك؛ لأنّ وجود اليهود أو الصّهيانية هو المسئول عن عرقلة الحوار بين الطرفين، كما أنّه يعكّر صفو العيش المشترك بينهما خاصّة في الوطن الواحد.

وقد ركّز فضل الله على هذه النقطة كثيراً، وكانت محلّ اهتمامه في عدّة مواضع، وكان يفرّق في هذا المجال بين اليهود وإسرائيل؛ فاليهوديّة كالمسيحيّة؛ دينٌ كتابي، أكّده الإسلام واعترف به في حدود إيمانه بالأديان السّماويّة، ودعا إلى الحوار مع أهله، كما دعا إلى الحوار مع المسيحيين بصفتهم أهل كتاب، إلّا أنّ ما يجب التوقّف عنده هو الكيان الإسرائيلي الذي له موقف عدائيّ خاصّة ضدّ المسلمين؛ إذ استولوا على أراضيهم واستباحوا مقدّساتهم، وهذا الواقع هو الذي جعل اليهوديّة السياسيّة عدوانيّة في الواقعين السياسي والأمني على المسلمين وغيرهم، وهو أمر لا يشجّع، بل يجعل من المحال إقامة حوار معهم، إلّا في نطاق أن يتخلّوا عن عدوانيتهم وخطّطهم الماكرة، ويعيدوا الأراضي إلى ساكنيها، ويعود المهاجرون إلى بلادهم التي

¹ - سهيل فرج وألبغ كولوبوف: حوار الحضارات -المعنى، الأفكار، التقنيات-، ط2، دار علاء الدّين، دمشق، سوريا، 2010م، ص65-66.

² - محمّد سليم العوا: لماذا لا نحاوّر اليهود؟، ورقة مقدّمة لأعمال ندوة: حوار الأديان مراجعة وتقويم، مركز الدّراسات الحضاريّة وحوار الثقافات، كليّة الاقتصاد والعلوم السياسيّة، جامعة القاهرة، 2010م، ط1، دار السّلام، القاهرة، مصر، 1432هـ/2011م، ص101-102، 104.

جاءوا منها، ليبقى السّكّان الأصليون مسلمون ومسيحيون ويهود؛ ليتقاسموا العيش المشترك على أرض فلسطين.¹

وأكد على هذه النّقطة في جوابه على سؤال بخصوص هذا الشّأن، فقال:

"لا مشكلة عندنا مع اليهود من خلال يهوديتهم، نحن عندنا مشكلة مع إسرائيل، ونحن نقول إنّ إسرائيل قامت كدولة على حساب شعب كان موجودًا في كلّ فلسطين، لا مشكلة عندنا مع اليهود الذين كانوا في فلسطين، لأنّنا لم تكن لنا مشكلة مع اليهود الذين كانوا في العراق أو في سوريا أو في لبنان، وإنّما المشكلة هي أنّ إسرائيل تريد أن تجمع يهود العالم في فلسطين بحجّة الحقّ التاريخي، وتطرد أهل الأرض الفلسطينيّين من أرضهم".²

وتأسيسًا على هذه المشكلة، يمكن اعتبار إسرائيل طرفًا أجنبيًا من شأنه عرقلة مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي، نظرًا للمخططات السياسيّة والعسكريّة التي تقوم بها لضرب العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة خاصّة في المنطقة العربيّة اللبنانيّة والسّوريّة والفلسطينيّة والمصريّة والعراقيّة؛ خوفًا من تكوين جبهة عربيّة قوميّة من شأنها مقاومة الكيان الإسرائيليّ والحدّ من توسّعه وسيطرته على هذه المنطقة، ولا شكّ أنّ ذلك يبدأ فكريًا أوّل الأمر، فيتّم التخطيط له بدءًا من مؤتمرات الحوار والتّدوات الفكريّة بين الطرفين الإسلامي والمسيحي.

لكن وفي حقيقة الأمر، يبدو أنّ المشكلة لا تقتصر فقط على الجانب السياسي أو عند رجال السياسة وحسب، بل إنّ بعض المفكرين الغربيين سعوا جاهدين إلى محاولة خلق مشكلة بين العالمين الإسلامي والمسيحي؛ قصد منع أيّ اتصال بينهما، وأيضًا قصد التّصدّي لكلّ علاقة قد تقوم بينهما.

وهذا ما نلمحه بوضوح عند صامويل هنتنغتون* في كتابه "صدام الحضارات"، حيث أصرّ على أنّ العلاقة بين الإسلام والمسيحيّة سواء الشّرقيّة أو الغربيّة كانت عاصفة غالبًا، وتميّزت بصراع ساخن على

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص32-34.

² - نصّ الحوار الذي دار بين محمّد حسين فضل الله والقسيس الهولندي (فان دار بيل أندرو)، جريدة النهار اللبنانيّة، 1992/03/31م، ضمن: المصدر نفسه، ص159.

* عالم سياسي أمريكي، ولد يوم 1927/04/18م، عمل أستاذًا بجامعة ألبرت جي، ومدير معهد جون إم أولين للدراسات الاستراتيجيّة، ورئيس أكاديميّة الدراسات الدّوليّة والجهويّة بجامعة هارفارد، كما شغل مديرا لمركز الشؤون الدّوليّة على مدى 11 عاما، كما عمل منصب منسق التخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي بالبيت الأبيض في عهد كارتر، تويّ في 2008/12/24م، مؤلّف لعدّة كتب؛ أهمّها: "صدام الحضارات وإعادة تشكيل التّظام العالمي" (لورانس إ. هاريزون وصموئيل هنتنغتون: الثقافات وقيم التّقادم، ترجمة: شوقي جلال، ط2، مطابع مصر للطيران، القاهرة، مصر، 2009م، ص529).

جميع الأصعدة، وقرّر أنّ ذلك الصّراع الذي يضاهاى صراع القرن العشرين بين الديمقراطيّة الليبراليّة والماركسيّة اللبنيّة، لا يعتبر سوى ظاهرة سطحيّة وزائلة إذا ما قُورن بالصّراع المستمرّ والعميق بين الإسلام والمسيحيّة، ومحطّات هذا الصّراع أكثر من أن تُحصى؛ إذ هي موجودة في كلّ عصر منذ ظهور الإسلام، فالعلاقة بين الطرفين لم تعرف استقرارًا ولا سلامًا منذ ذلك الحين، وقد امتاز هذا الصّراع بالعنف والشّدّة نظرًا لعدّة عوامل محوريّة أدت إلى زيادة ضراوة التّار المستعرة بينهما، وفي الحقيقة فإنّ هذه العلاقة المتأزّمة لا تعبّر فقط عن مجابهة بين دينين أو عقيدتين، وإنّما هي أوسع من ذلك بكثير، إنّها مجابهة مستمرّة وغير منتهية وضاربة بين حضارتين كبيرتين متصادمتين في جميع المجالات، ممّا يمنع التّواصل بينهما بأيّ شكلٍ من الأشكال.¹

كذلك كرّس برنارد لويس* بعض مؤلّفاته** لتعميق الكراهيّة ضدّ الإسلام، فحاول جاهدًا الحطّ من قدر هذا الدّين وأتباعه، ووصمه بالدّين الإرهابي الذي يتنافى تمامًا وأخلاق الدّين المسيحي، فالإسلام بكلّ مبادئه وأفكاره - في نظره - لا يمكنه أن يتّفق مع مبادئ وأفكار المسيحيّة.

إنّ كلّ هذه المحاولات وغيرها؛ هي وجهات نظر من قبل هؤلاء المفكرين وأمثالهم للكيد للعلاقة الكائنة بين الإسلام والمسيحيّة ومنعها من القيام بأيّ حال من الأحوال، وهذا ما يعدّ طرفًا خارجيًا - كما وصفه فضل الله - يسعى إلى تعطيل الحوار بين الطرفين.

* هكذا إذن، يرى فضل الله معوقات الحوار الإسلامي المسيحي؛ حيث عدّد جملة منها، والملاحظ عليها أنّها ليست ذات صفة واحدة من حيث المجال، بل إنّها مسّت مجالات شتى؛ كالجانب الحضاري والعقائدي والتّشريعي والسياسي والاجتماعي والأخلاقي، وأنّ أكثرها متعلّق بالمنطقة العربيّة وخاصة لبنان، وكلّ هذه العوائق متضافرة من شأنها تعطيل مسيرة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وربّما حتّى الواحد منها يشكّل خطورة على هذه المسألة، وإذا كان هذا رأي هذا الرّجل فيها، فكيف يراها بورمانس؛ الأمر الذي سألنيّ في المبحث الآتي.

¹ - صامويل هنتنجتون: صدام الحضارات - إعادة صنع النّظام العالمي -، ترجمة: طلعت الشّيايب، ط2، دار سطور، 1999م، ص338-343.

* مفكّر بريطاني؛ ولد في لندن بتاريخ 1916/05/31م، حصل على الليسانس مع مرتبة الشّرف الأولى من جامعة لندن عام 1936م، ودبلوم الدّراسات السّامية الخاصّة بالشرق الأدنى من جامعة باريس عام 1937م، والدكتوراه من جامعة لندن عام 1939م، عمل أستاذًا للدّراسات الخاصّة بالشرق الأدنى في جامعة برنستون، وعضوا دائما في معهد الدّراسات المتقدّمة في برنستون نيوجرسي عام 1974م، كما أنّه شغل عدّة مناصب أخرى في عدّة جامعات عالمية مدرّسا لعدّة مقاييس مختلفة، توفي يوم 2018/05/19م، من مؤلّفاته: أصول الإسماعيلية، الإسلام من النبي محمد حتّى سقوط القسطنطينيّة... (برنارد لويس وإدوارد سعيد: الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربيّة من وجهة نظر أمريكيّة، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1994م، ص5-6).

** ككتاب: أزمة الإسلام (الحرب الأقدس والإرهاب المدّس)، والإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربيّة، والإسلام والغرب.

المبحث الثاني: المعوقات عند موريس بورمانس.

في حديثه عن الحوار الإسلامي المسيحي من خلال كتاباته؛ تكلم بورمانس على مسألة المعوقات أو العوائق التي قد تمنع التواصل بين المسيحيين والمسلمين، أو -على الأقل- تقلل من فاعليته، فما هي الأمور المعتبرة كذلك في رأيه؟، هذا ما سأحدده في هذا المبحث من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: مظالم الماضي أو الصدمات القديمة.

إن استقراء تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية في ناحيته السلبية، يكشف لنا عن مجموعة معتبرة من النزاعات والصراعات التي طبعت العلاقة بين الطرفين منذ ظهور الإسلام، "ولو أراد المسيحيون والمسلمون أن يجزوا حساباً لما تراكم من عدم التفاهم والعداوات والمظالم، في غضون أربعة عشر قرناً من التاريخ عاشوا فيه على العموم معاً، لخارت عزائمهم أمام العدد الكبير من الاتهامات المشروعة والشكاوى المثبتة؛ التي يمكن لكل فريق أن يبرزها في وجه الآخر بنيتة صادقة"¹، ويتمثل ذلك في:

أولاً- التصادم التاريخي السياسي أو العسكري: في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية السياسية؛ عرفت بعض الفترات محطات عداوية ساخنة بين الطرفين، أدت إلى سوء التفاهم بينهما في كثير من الأحيان، وقد كان الطرف المسيحي هو المتسبب فيها أو المسئول عنها في أغلب الأوقات، وعن هذا الواقع الأليم يقول بورمانس:

"فهناك أولاً السلسلة الطويلة من المصادمات السياسية والثقافية مع العالم البيزنطي ثم الأوربي، التي وسّمت نُشوء الحضارة الإسلامية وبلوغها الأوج ونحسارها الطويل، ثم نهضتها الحديثة، وعلى المسيحيين أن يعلموا أنّ الإسلام في مجمله يحسب أنه قد أُذِلَّ سياسياً وثقافياً بلا مسوغ في غضون القرون الأخيرة، فينبغي أن يكونوا واعين لذلك، ليجتنبوا بكلّ صفاء عن الأسباب والمظاهر"².

ولعل خير شاهد على ذلك؛ تلك الحروب المنسوبة للصليب والموسومة بالحروب الصليبية، والتي دامت حوالي قرنين من الزمن؛ أي من 1096 إلى 1291م³، وهي تمثل إحدى حلقات الصراع بين الشرق والغرب، صراع طويل شهد العديد من المعارك والمجازر التي ذهب ضحيتها مئات الآلاف من البشر⁴؛ فهي تاريخ

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص95.

² - المصدر نفسه، ص96.

³ - حسن مرضي حسن وآخرون: موسوعة أكسفورد العربية، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1419هـ/1999م، مج5، ص39.

⁴ - محمد مؤنس عوض: الحروب الصليبية -دراسات تاريخية ونقدية-، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن، 1999م، ص أ.

طويل من الصّراع العسكري والفكري والديني احتكم فيه الطّرفان إلى حوار السيف والسّلاح، تبادلوا فيه الهجمات والاحتكاكات الاستفزازية، ومثّل هذه الحروب نقطة سوداء بالنسبة للمسيحيين، الذين حاولوا القضاء على المسلمين واغتصاب أراضيهم، بفعل دوافع دينية وسياسية وعسكرية وثقافية واقتصادية¹، وذلك عبر عدّة مراحل ومحطّات وحروب عسكرية².

ولقد لعب رجال الدّين دورًا كبيرًا فيها، كان له أثرٌ بالغٌ في تحريك الهِمم وتحريض النفوس نحو هذه الحروب، ففي خطبة حماسية بمدينة كليرمونت الفرنسية؛ حرّض البابا أوربان الثاني جموع المسيحيين المحتشدة هناك، على الذّهاب إلى الأراضي المقدّسة لإنقاذ القبر المقدّس -قبر المسيح- من أيدي المسلمين، فقال:

"فلتنته الحروب فيما بينكم، ولينهض الغرب إلى نجدة إخوانهم المسيحيين في الشّرق؛ لتنالوا مجدًا خالدًا في المملكة السّماوية...؛ لهذا السّبب أتوجّه إليكم بالرجاء والتّحريض، -وإنّه ليس أنا الذي يتوجّه إليكم ويجرّضكم، بل الرّبّ على لساني أنا نائب المسيح-، أتوجّه إلى الفقير منكم وإلى الغنيّ، وأدعوكم أن تتسارعوا نحو طرد أبناء الشّر هؤلآء من المناطق المقطونة من قبل إخواننا..، أوقفوا أنفسكم وانتدبوها إلى الحرب المقدّسة دونما تأخير، وليقم المقاتلون منكم بتنظيم أعمالهم وجمع كلّ ما يحتاجونه للحملة...".³

ومن خلال هذه المقتطفات من خطبة البابا أوربان الثاني، يتبيّن لنا الدّور الكبير الذي لعبه باباوات الكنيسة في تأجيج نار هذه الحروب، وذلك من خلال إثارة المسيحيين وتهييجهم، لأنهم أحاطوها -أي الحروب الصليبية- بهالة من التّقدس والتّعظيم، وألبسوها ثوبًا دينيًا كنسيًا، "ومن هنا تكون الحروب الصليبية إفرانًا للتفاعل بين الكنيسة والإقطاع، وهي تسعى بالضرورة إلى تحقيق الأهداف الكنسية، التي كانت البابوية قد بلورتها من خلال نزاعها مع الإمبراطورية، وهي أهدافٌ كانت تتركز أساسًا حول السيادة المطلقة للبابا على العالم المسيحي"⁴، وبالتالي يمكن التأكيد على التّقطة الأولى؛ وهي أنّ المسيحيين بصفة عامّة هم الذين أسعروا نار هذه الحروب وكانوا سببًا في إضرارها.

¹ - أحمد باقر وعبد الله المبارك: الحروب الصليبية، دط، مجلّة المهجرة، نيويورك، 1402هـ/ 1981م، ص17، ومحمد العروسي المطوي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م، ص30-36.

² - الموسوعة العربية، ط1، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، سوريا، دت، مج8، ص211، وياسين صلاواتي: الموسوعة العربية الميسرة والموسوعة، مرجع سابق، ج4، ص1504-1509.

³ - حسن مرضي حسن وآخرون: موسوعة أكسفورد العربية، مرجع سابق، مج5، ص32، وسهيل زكار: الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دط، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1416هـ/ 1995م، ج3، ص244-246.

⁴ - قاسم عبده قاسم: ماهية الحروب الصليبية، دط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1993م، ص55.

وإذا كان ما مرّ من وصف في السّطور السّابقة هو الوجه الأوّل للعدوان المسيحي على العالم الإسلامي، فإنّ الوجه الثّاني للعملة الانتقاميّة أو العدوانيّة؛ يتمثّل في الاستعمار الغربي للبلدان العربيّة والإسلاميّة في الفترة الحديثة، حيث تكالبت القوى الاستعماريّة الكبرى وخاصّة فرنسا وبريطانيا اللتان اقتسمتا العالم العربيّ الشّرقي وفقاً لاتّفاقيّة سايكس بيكو التي تمّ توقيعها سرّاً في القاهرة يوم 16 ماي 1916م، وقد شكّلت هذه الاتّفاقيّة الأساس الفعّال لخطة تمزيق المشرق العربيّ والحيلولة دون نيل العرب لأمانهم القوميّة المشروعة في الوحدة والاستقلال، كما تمثّل هذه الاتّفاقيّة أبرز أمثلة الخداع الاستعماريّ للشّعوب، كما أنّها تنتهك بشكلٍ فاضح مبدأ تقرير المصير.¹

وأما المغرب العربيّ؛ فهو الآخر فُسم بين هاتين القوتين بالإضافة إلى قوتين أُخرين؛ هما اسبانيا وإيطاليا، حيث احتلت فرنسا كلاً مم الجزائر وتونس والسّنغال، واحتلت بريطانيا كلاً من مصر والسّودان، واحتلت إيطاليا كلاً من ليبيا والصّومال وإريتريا، واحتلت اسبانيا المغرب الأقصى بمشاركة فرنسا.²

إنّ هذا الاستعمار هو ضربة مسيحيّة أخرى في وجه المسلمين وبلدانهم، كانت نتائجها وخيمة وكارثيّة على هؤلاء، سواء من حيث النهب أو من حيث التّقتيل أو من حيث التّشريد...، وغير ذلك من مظاهر العنف والعدوان؛ لذلك يتوجّب "على المسيحيين إذن أن يُبدوا ما عندهم من شرح لعداوات الماضي هذه، ويذكّروا بأنّ أهميّة العوامل الاقتصاديّة والأيدولوجيّة والسّياسيّة فيها، لم تقل عن أهميّة العوامل الدّينيّة، إنّ لم تُفّقها، ويُشجّعوا محاورهم المسلمين بما يقومون به من نقدٍ ذاتي، على أن يلتفتوا أكثر إلى ما تتّصف به من النّسبيّة مسؤوليّة الدّيانيتين عن الأحداث الأليمة في تاريخهما المشترك، وينبغي عندئذ النّظر في تلك الأحداث، في جوّ من الحوار الصّريح والنّقد التاريخي السّليم، للتّحديد بعد تقويم جديد مشترك، بما جرى فيها من استخدام منحرف أحياناً، إن لم يكن ماكراً، للقيم الدّينيّة".³

وتأكيداً على أنّ هذه الحروب الصّليبيّة والاستعماريّة، كانت من بين معرّقات الحوار الإسلامي المسيحي، ورد في كتاب (صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى) ما نصّه:

"يجب علينا كمسيحيين ونحن نخاطب المسلمين؛ أن نفكّر قبل كلّ شيء في صعوبات وعوائق الحوار [مع المسلمين] والتي تتعلّق بنا إلى حدّ كبير، وإلى الظلم والجور الذي أحاط به الغرب ذو التّربيّة المسيحيّة

¹ - عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السّياسة، ط1، المؤسّسة العربيّة للدراسات والتّشر، بيروت، لبنان، 1994م، ج3، ص120-122.

² - شوقي الجمل وعبد الله إبراهيم: تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار الثقافة، الدّوحة، قطر، 1408هـ/ 1987م، ص19 وما بعدها.

³ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص96.

المسلمين، واقترب آثامًا وذنوبًا عديدة بحمّهم؛ المرارة العميقة، قبل كل شيء يجب أن نأخذ في اعتبارنا أنّ العصور الماضيّة، كالتسنوات الحاليّة، قد تركت في الأذهان والأفكار وخاصّة في بعض المناطق؛ مرارة عميقة حيال الغرب...، إنّ المسيحيين أو قفوا بل حطّموا انطلاقتهم الحضاري نتيجة الحروب الصليبيّة التي أسهمت بوضع حدّ لأكثر الأوقات ازدهارًا في التاريخ الإسلامي، يُضاف إلى هذا الاستعمار الذي حال دون نهضتهم التي بدأت بشائرها تظهر في القرن التاسع عشر، علينا أن نعترف بكلّ أمانة وصدق بالمظالم التي ارتكبتها الغرب، وأن نعطي الدليل بأننا نتخلّى عن تضامننا مع التفكير والدّهنيّة اللتين سادتا الماضي، ومع بعض التصرفات في الوقت الحاضر؛ لتحرّر من أفكارنا المسبقة...¹.

وحيثما يطبق المسيحيون هذا المنهج القائم على جلد الذات والاعتراف بمظالم الماضي التي ارتكبت سواء بطريقة عمدية أو عفوية، فإنّ من الممكن إذن وفي العصر الحاضر نسيان نتائج هذه الحروب وآثارها، ولا يقتصر هذا الأمر على المسيحيين فقط، بل إنّ مفروض حتّى على المسلمين الذين هم الطرف الثاني في الحوار، وإذ أنّه من المعروف أنّ الفتوحات العربيّة باتجاه اسبانيا (الأندلس) جرت تحت مظلة إسلاميّة، والتوسّعات العثمانيّة باتجاه البلقان (حتّى فيينا) جرت تحت مظلة إسلاميّة أيضًا، وجزء ذلك أضفى التداخل بين الدّيني والسياسي على العلاقات بين الإسلام والمسيحيّة أبعادًا خطيرة، وترك آثارًا عميقة، فإذن -والحال هذه- فإنّ هاتين الحضارتين لم تكونا دائمًا بريعتين أمام منبر التاريخ، وإذن يتوجّب على الجميع استخلاص العبر من أحداث الماضي ومآثره للاستفادة منها في الحاضر،² ولا يتمّ هذا إلا بالحوار الجادّ بينهما، والذي سيكتشف مواطن الداء ليصف لها ما يناسبها من دواء.

ثانيًا- التصادم الثقافي الديني: لعلّ التصادم أو النزاع من الناحية الفكرية؛ الثقافيّة والدّينيّة، يكون له وقع أكبر من التصادم السياسي لدى الخصم، ذلك أنّ هذا النوع من التصادم يتمّ من خلال المساس بمقدّسات الآخر واحتقارها وازدراءها؛ بغية إضفاء القداسة على المقدّسات الشّخصيّة الدّاتيّة؛ وهو نوعٌ من التّراشق الخطير الذي كان ولا يزال متبادلًا بين المسلمين والمسيحيين، وذلك عبر فترات زمنيّة متلاحقة.

فالتاريخ يشهد أنّ تلك المناظرات التي كانت تقام من أجل المجادلة الصّريحة الصّادقة، تحوّلت في كثير من الأحيان إلى الانتقادات القارصة واللجاج الكلامي والمهاجّات الجارحة، وأحيانًا يصل الأمر إلى حدّ

¹ - ريتشارد سودرن: صورة الإسلام في أوروبا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيّد، ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2006م، ص11-12، وهذا النصّ هو لشخصيتين مسيحيّتين بارزتين هما: جوزيف كوك ولويس غارديه.

² - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص162-163، ومحمّد السّمّاك: الفاتيكان والعلاقات مع الإسلام، دط، دار التفانس، بيروت، لبنان، دت، ص5.

التسفيه والتشويه؛ إذ أنّ كل طرف من الطرفين يمتن قيم الطرف الآخر، سواء كان ذلك بالكلام المباشر، أو بالكتابة والتأليف، وإذا كان المسيحيون في هذا الجانب قد أساءوا إلى نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسخروا منه، فإنّ المسلمين من جهتهم استخفوا بالأسرار والعقائد المسيحية؛ كسرّ الثالوث، وسرّ التجسد، وسرّ الفداء، وألقوا عليها أحكاماً متسرّعة.¹

فأمّا بالنسبة لصورة النبي محمد ﷺ والدين الذي جاء به في الفكر المسيحي؛ فقد تحدّثنا عنها سابقاً،² ويكفي أن نضيف في هذا المجال تأكيداً على فكرة عدم استقلالية الدين المحمّدي في نظر المسيحيين، محاولة أبو موسى الحريري* في كتابه (قسّ ونبي) البرهان على هذه القضية كي يثبتها في فكر الكثير من المسيحيين الذين باتوا يصدّقونها ويؤمنون بها، بل ويعتقدون صحّتها دون أدنى نقاش، فهذا هو يقول في مقدّمة كتابه السالف الذكر:

"ولكن من القسّ والنبي في الدين الجديد؟، دور الأول؛ أوحى وعلم ودرّب وأرسى الدّعائم، والثاني؛ سمع وتعلّم ودرّس وشيّد البنيان، وفضل الأول على الثاني كفضل العربي على ربيبه، القسّ أستاذ علم فتى ذكيّ الفؤاد عرف اختياره ونجح، والنبي تلميذ نجيب حفظ ما تعلّم وأبدع، الأول نقل كلمة الله الأعجمية إلى لسان عربيّ مبين، والثاني بلّغ الكلمة العربية وتلاها على المؤمنين؛ كلاهما عمل لأجل الله، ولأجل أن يكون للأمة رسولٌ وكتابٌ، فكان للعرب إلهٌ يعبدون، ورسولٌ يتبعون، وكتابٌ فيه يقرؤون".³

وفي هذا اتّهامٌ للرسول ﷺ أنّه اقتبس الدين الإسلامي من المسيحية؛ أي أنّه انتحله من هذه الديانة بمساعدة ورقة بن نوفل، وادّعى أنّه تلقاه وحياً من السماء، هذا فضلاً عن وصفه بالهرطوقي المارق والمنحرف أخلاقياً، كما يردّده لسان حال بعض المسيحيين في الماضي والحاضر.

وأما بالنسبة لصورة المعتقدات المسيحية البولسية في الفكر الإسلامي؛ فهي الأخرى تمّ دحضها بالكلية من قبل علماء الإسلام، وردّوا عليها بالحجج والبراهين العقلية والتقليدية القاطعة، وقد مسّت هذه الحركة الرديّة معظم تلك المعتقدات؛ كالتثليث والتجسد والصّلب والفداء والكتب المقدّسة، كما شمل هذا الأمر

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص96.

² - ينظر: ص216-217 من البحث.

* أبو موسى الحريري؛ كاتب مسيحي، اسمه الحقيقي: جوزيف قزي، لبناني الجنسية، له العديد من المؤلّفات منها: قسّ ونبي، نبي الرّحمة، عالم المعجزات.

³ - أبو موسى الحريري: قسّ ونبي - بحث في نشأة الإسلام-، دط، دم، 1979م، ص06.

معظم الطوائف المسيحية،¹ وقد كان هذا الردّ أو هذه المناقشة بمثابة كسر هذه المعتقدات وتشويهها؛ لأنّها لا تتوافق مع العقائد الإسلامية، بل هي على وجه التّقيض بالنّسبة لها.

فألّفت العديد من الكتب والرّسائل لأجل ذلك، على طريق المجادلة والمناظرة والردّ، نذكر منها:²

- 1- رسالة أبي الوليد الباجي في الردّ على راهب فرنسا.
- 2- المختار في الردّ على النّصارى للجاحظ.
- 3- مقامع الصّلبان لأحمد عبد الصّمد الخزرجي.
- 4- الردّ الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل لأبي حامد الغزالي.
- 5- الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح لابن تيمية.
- 6- رسالة الحسن بن أيّوب في بطلان عقيدة النّصارى.
- 7- النّصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النّصرانية لنصر بن يحيى التّطّيب.
- 8- الردّ على أصناف النّصارى لعلي بن ربن الطّبري.

إنّ هذه الفكرة التّراشقية والمتبادلة بين الطّرفين، كلٌّ منهما في تصوّره للآخر؛ من شأنها أن تعيق العمليّة الحوارية بينهما، لذلك يدعو بورمانس الطّرفين معاً إلى الإعراض عنها والتّغاضي عن مسبباتها، والعزوف عن كلّ الأمور التي تسيء إلى أيّ واحدٍ منهما، وذلك بالبحث الجادّ عن مدى تغلغل هذه الأفكار، سواء عند المسلمين أو عند المسيحيين؛³ بغية التّخلّص منها، وقصد الحدّ من عواقبها؛ لئلاّ تؤثّر على مستقبل العلاقات بينهما، لاسيما على الحوار الذي يتأثّر بكلّ ما من شأنه يمسّ بالمقدّسات الدّينية الإسلاميّة أو المسيحيّة.

وتحريراً للموضوعيّة بين الطّرفين يقول:

¹ - عبد المجيد الشّرفي: الفكر الإسلامي في الردّ على النّصارى إلى نهاية القرن الرابع هـ/ العاشر م، دط، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1986م، ص 197-406.

² - بدر الدّين بن محمّد طراد المعقيل: جهود علماء المسلمين في الردّ على النّصارى خلال القرون السّنة الهجرية الأولى، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، قسم العقيدة، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، جامعة أمّ القرى، السّعودية، 1425هـ، ص 41-63.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 96-97.

"فليوضح المسيحيون، إذن ما عندهم من شرح لما يتهّم به المسلمون المستشرقين والباحثين في الإسلام، للاستفادة من معلوماتهم وتقدير نتائجهم على وجه أفضل، وليشجعوا المسلمين على أن يزيدوا هم أيضاً عدد الباحثين في المسيحية؛ المطلعين عليها اطلاعاً علمياً موضوعياً، والقادرين بالتالي على بسطها أمام المسلمين إخوانهم في الدين كما هي في حياة المسيحيين، وكما يريدونها هؤلاء أن تكون"¹، وهذا في سبيل التشجيع على الحوار والتفاهم، ولئلا تكون النظرة السلبية هي النظرة الغالبة أو الطاغية أو المسيطرة على طابع العلاقات بين الطرفين، لكي حتى يتمكن أتباع الديانتين من التعايش معاً وفق منظور واقعي موضوعي.

المطلب الثاني: الرؤية المسيحية التقليدية للإسلام.

تتّصف الرؤية المسيحية الغربية التقليدية للإسلام بنوعٍ من العنصرية والتشدد في إطلاق الأحكام التعسفية، وهذا الأمر ناتج عن نظرة ذاتية نرجسية من جهة، وعن عدم معرفة حقيقية بهذا الدين من جهة أخرى، وأياً ما كان الأمر، فإنّ هناك الكثير من الأحكام السلفية الخاطئة تبدر من المسيحيين تجاه الإسلام، منها:²

- الإسلام هو مذهب الاستسلام للحبريّة.
- الإسلام هو مذهب الأحكام الشرعيّة.
- الإسلام هو مذهب الإباحيّة.
- الإسلام دين التعصّب.
- الإسلام دين التحجّر.
- الإسلام دين الخوف.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 97.

² - المصدر نفسه، ص 98-105، وهل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 163.

وكلّ هذه الأوصاف؛ هي أوصافٌ خطيرةٌ جدًّا، تجعل من هذا الدّين بعيدًا تمامًا عن مبادئه التي جاء لتحقيقها؛ وهي الوسطيّة والعدل والرّحمة والتّوازن والمساواة...، وغير ذلك من مبادئ وأساسيات يتّسم بها كلّ دين سماوي ذي مصدرٍ ربّاني.

إنّ هذه الصّورة التّقليديّة والتي يتبنّاها الأوربيّون تجاه الإسلام؛ هي من صنع رجال الكنيسة، فالذين شكّلوا هذه الرّؤية هم بالتّحديد لاهوتيون ألمانيّون وفرنسيّين وإيطاليّين، في وقت كانت فيه هذه البلدان (ألمانيا وفرنسا وإيطاليا) تمثّل قلب المسيحيّة الكاثوليكيّة، وقد تغلّغت هذه الصّورة التّمطيّة في ذهن الغرب المسيحي بفعل هؤلاء اللاهوتيين؛ لأنّهم كانوا يمثّلون الكنيسة والثّقافة والحلّاصة الاجتماعيّة للمجال الحضاري المسيحي الغربي.¹

ولقد بدأ تشكيل هذه الصّورة في العصر الوسيط تحديداً؛ أي في زمن المبادلات الثّقافيّة الأكثر فعاليّة، إذ تشكّلت في الوعي المسيحي القوالب التّمطيّة الدّهنيّة عن الإسلام، وهي التي نشأت في كثير من جوانبها بارتباطٍ مسبق وارتقانٍ شرطي بنوع وطبيعة الموقف التّقليدي للكنيسة عن هذا الدّين، ذلك أنّ أدب أوربّا القرون الوسطى حول الإسلام، وضع في غالبيته العظمى من طرف رجال الدّين المسيحيين، الذين استندوا إلى مصادر شديدة التّمايز والتّباين؛ كالحكايات الشعبيّة وقصص الأبطال والحجاج والقديسين والمؤلّفات الجداليّة اللاهوتيّة، وشهادات بعض المسلمين، وترجمات مفكّريهم وعلمائهم،² وغير ذلك من المصادر التي نسجوا منها هذه الصّورة، ويمكن إجمال تلك المصادر وإرجاعها إلى ثلاثة مجالات رئيسيّة؛ هي: مجال التّأويل للكتاب المقدّس، مجال الرّؤيا النّشوريّة، ومجال المخيلة الشعبيّة.³

ومن الصّعوبة بمكان تحديد جميع التّصوّرات الغربيّة المسيحيّة عن الإسلام خاصّة في العصور الوسطى، إلّا أنّه إجمالاً يمكن القول بأنّ هذا الدّين كان معتبراً في الدّهنيّة المسيحيّة:⁴

- ديناً جنسيّاً؛ إذ كانت دعوى التّحلّل الجنسي للمسلمين (وصولاً إلى حدّ القول والرّغم بأنّ القرآن نفسه يتساهل ويتسامح مع اللواط) من أكثر القصص والموضوعات انتشاراً في المؤلّفات التي كتبها الأوربيّون عن الإسلام في القرون الوسطى.

1 - ريتشارد سودرن: صورة الإسلام في أوربّا في القرون الوسطى، مرجع سابق، ص 12.

2 - أليكسي جورافسكي: المسيحيّة والإسلام من التّنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم، مرجع سابق، ص 66-67.

3 - ريتشارد سودرن: صورة الإسلام في أوربّا في القرون الوسطى، المرجع السابق، ص 70.

4 - أليكسي جورافسكي: المسيحيّة والإسلام من التّنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم، المرجع السابق، ص 72-73.

- الإسلام عقيدة ابتدعها محمد، وهي تتسم بالكذب والتشويه المتعمد للحقائق، إنه دين الجبر والانحلال الأخلاقي، والتساهل مع الملذات والشهوات الجنسية، وهو دين العنف والقسوة.

كما كان هناك تصوّر شعبي مغرق في الخيال، استند في أساسه إلى عوامّ الكهنة المتحوّلين، وبعض العائدين من الشرق من فرسان الصليبيين، ويقول هذا التصوّر بوثنية إسلامية فظيعة قوامها ثلاثون إلهًا، وآهتها الأساسيون هم؛ فزاکوتوس وأبو لو ومحمد، ومن الغريب أنّ هذه الصورة المتخيّلة قامت واستمرت وقاومت حتى نهايات العصور الوسطى في بعض الأوساط.¹

وعموماً كان الإسلام في التقليد المسيحي خلال هذه القرون؛ مخزّبًا وقادماً يدعو العاطفة تحديداً؛ لأنّه يدّعي الوقوف على نفس الأرضية مع المسيحية، وإنّ نجاحاته مهما تكن كبيرة، فهو ليس سوى قادم جديد، سيء التسلّح، بدائي، ودون إعداد عقائدي، ومع كلّ الحسابات؛ إنّّه تبسيطي، وهو دين قائم على الشهوانية والمادّية في فكره ومفهومه عن الجنة، إنّ دين الشذوذ الجنسي...².

هكذا كانت صورة الإسلام في القرون الوسطى في التصوّر المسيحي ورجالات الكنيسة، وهي صورة تشويهية قائمة على العنصرية والبعد عن الموضوعية، ولا شك أنّ هذه الصورة لها أبعادها وأهدافها الدينيّة والحضاريّة، فهي تعكس خلفيّة الصراع المحتدم الذي كان سائداً آنذاك أو مسيطراً على الفكر في تلك الحقبة بين المسلمين والمسيحيين، ثمّ إنّ هناك هدفاً رئيسياً يبرزه؛ هو وأد الإسلام في مهده.

ثمّ إنّ هذه الصورة النمطية عن الإسلام لم تتغيّر كثيراً في العصر الحديث، إذ بقيت لها جذور راسخة في نفوس المسيحيين، كما أنّ لها أنماطاً مشابهة للأنماط الموجودة في العصور السابقة، ولقد عمّد بعض المستشرقين إلى إبرازها والدعوة إليها، ومحاولة غرسها في النفوس والضّمائر.

ومن أمثلة هؤلاء؛ بروكلمان* الذي تحدّث عن نظام الزواج في الإسلام بطريقة تشويهية، مليئة بالدسائس والشبهات، قوامها أنّ الدين الإسلامي يدعو إلى الجنس والفسق عن طريق تعدّد الزوجات، وملك اليمين

¹ - ريتشارد سودرن: صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، مرجع سابق، ص 14.

² - هشام جعيط: أوربا والإسلام، دط، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1980م، ص 21-22، نقلا عن: ريتشارد سودرن: صورة الإسلام في أوربا في القرون الوسطى، المرجع السابق، ص 46-47.

*كارل بروكلمان؛ مستشرق ألماني، ولد يوم 17 سبتمبر عام 1868م بمدينة روستوك، بدأت ميولاته الاستشراقية تظهر في المرحلة الثانوية، ثمّ التحق بجامعة روستوك عام 1886م، وتخرّج منها، عين مدرّساً في المدرسة البروتستانتية باستراسبورغ منذ أول أكتوبر 1890م، ثمّ مدرّساً مساعداً، كما حصل على دكتوراه التأهيل عام 1893م، توفي يوم 06 جوان 1956م، من مؤلفاته: المعجم السرياني، عيون الأخبار... (عبد الزحمان بدوي: موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993م، ص 98-100).

الذي يتضمّن عددًا غير محدودٍ من النساء، وهذا ما يؤدي إلى الاستخفاف بالحياة العائليّة الهادئة، ما دام مسموحٌ للمسلم أن يجمع إلى زوجاته الأربع العدد الذي يروق له من السراري.¹

غير أنّ الأمر ليس كذلك، وإذن لا يمكن التسليم بهذا الرأى، لأنّ الرّواج في الإسلام يعتبر سنّة من سنن الله في الخلق والتكوين، وهي عامّة مطرّدة، لا يشدّ عنها عالم الإنسان أو عالم الحيوان أو عالم النبات؛ فهو الأسلوب الذي اختاره الله للتوالد والتكاثر واستمراريّة الحياة، بعد أن أعدّ كلا الزوجين وهبياًهما، بحيث يقوم كلٌّ منهما بدور إيجابي في تحقيق هذه الغاية، وهذا حتّى لا تنطلق غرائز الإنسان دون وعي، وحتّى لا يكون اتّصال الذكر بالأُنثى فوضى ولا ضابط له، بل إنّه على العكس من ذلك؛ جعل اتّصال الجنسين اتّصلاً كريماً، مبنياً على رضاهما، وعلى إيجاب وقبول، وعلى إشهادٍ على أنّ كلّاً منهما قد أصبح للآخر، وهذا التّظام له أهدافه السامية ومقاصده النبيلة، والتي منها مثلاً: حماية النسل، وصون المرأة، ووضع نواة للأسرة، وغير ذلك،² سواء أكان هذا الرّواج بامرأة واحدة أو بالتعدّد، أمّا بالنسبة لاتّخاذ ملك اليمين أو ما يعرف بالجواري والسراري؛ إنّما يجب أن يؤخذ في نطاقه الاجتماعي ومساره الثقافي، وأنّه لم يكن -تقريباً- متاحاً للجميع، بل يكاد يكون حكراً على الطبقة الارستقراطيّة من الحكّام والأمراء وأصحاب النفوذ في الدولة،³ وبالتالي لا يمكن تعميم هذا النوع من الرّواج -إن جاز تسميته بذلك- على جميع المسلمين ما دام أنّه محصورٌ في طائفة أو فئة معيّنة، خصوصاً وأنّ ما يقوم به أو يتبنّاه فردٌ ما ليس بالضرورة تعميمه على جميع الأفراد الآخرين وإن كانوا ينتمون للبيئة الثقافيّة أو الدائرة الفكريّة نفسها.

وإذا كان هذا هو أحد الأوجه بالنسبة لنظرة المسيحيين إلى المسلمين ودينهم في العصر الحديث، فإنّ هناك أوجهاً أخرى عديدة يمكن أن تُذكر في هذا الصّدّد، منها على سبيل المثال لا الحصر؛ اتّهام أتباع هذا الدّين بالتعصّب والعنف والإرهاب، خاصّة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر؛ التي تحوّلت فيها الأنظار إلى الإسلام باعتبار أنّ من قام بهذه العمليّات الهجومية؛ هي مجموعة إسلامية متطرّفة، فازداد الشكّ عند الناس بالمسلمين، وحدثت الاعتداءات المختلفة على الأمريكيين المسلمين، كما حصل بفعل ذلك العديد من الأحداث واتّخذت لأجله الكثير من الإجراءات والتدابير القانونيّة والسياسيّة والمدنيّة.⁴

¹ - كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ترجمة: أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968م، ص80.

² - السيّد سابق: فقه السنّة، ط21، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1420هـ/ 1999م، ج2، ص05.

³ - أحمد أمين: ضحى الإسلام، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1429هـ/ 2008م، ج1، ص62-67.

⁴ - لظفي حدّاد: الإسلام بعيون مسيحيّة، مرجع سابق، ص266.

وتأكيداً على إصاق التهمة بالإسلام وأهله جرّاء هذه الأحداث الأليمة، استعمل الغرب كافة الوسائل بغية تحقيق هذا المقصد، فتمّ مثلاً عرض فيلم أمريكي بعنوان: (الجهاد في أمريكا) بالولايات المتحدة، يتمحور مضمونه حول:¹

الجماعات المتطرّفة الإسلامية.....تقوم بالاغتيال والقتل.

الاغتيال والقتل.....إرهاب.

الجماعات الإسلامية.....إرهابية.

وفي السياق ذاته، وكاستمرارية لهذه الفكرة، نجد مقال الكاتب السياسي الأمريكي (إيميت تيريل) المنشور في مجلة "هاربر"؛ وهي مجلة التّخبة من المثقفين الأمريكيين، والذي أّهم فيه الإسلام بأنه دين تطرف وإراقة الدماء والتّعصّب والإرهاب، ويتمحور مضمونه حول:²

الجهاد.....هو نوع من.....القتل والاغتيال.

القتل والاغتيال.....إرهاب.

الجهاد.....إرهاب.

الجهاد.....هو جزء.....من الإسلام.

الإسلام.....إرهاب.

إلا أنّ هذا الأمر لا يؤخذ بهذا الشكل على ظاهره، ذلك أنّ الجهاد أو القتال في الإسلام، له أسبابه ومقوماته، فالمسلمون لا يجوز لهم -حسب تعاليم دينهم- استعمال القوّة إلا بمنطق معيّن، وفي مواضع محدودة؛ ك:³

أولاً- القضاء على الحروب الداخليّة بين المسلمين.

¹ - مصطفى الدّباغ: الإسلام فوبيا islamophobia -عقدة الخوف من الإسلام-، ط2، دار الفرقان، عمان، 1422هـ/ 2001م، ص94-95.

² - المرجع نفسه، ص95-96.

³ - سعيد حوى: الإسلام، ط4، دار السلام، القاهرة، مصر، 1421هـ/ 2001م، ص537-538.

ثانيًا - حُرْبُ الْخَوَارِجِ الْخَارِجِينَ عَلَى طَاعَةِ الْإِمَامِ الْحَقِّ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

ثالثًا - حُرْبُ الْمُرْتَدِّينَ الَّذِينَ ارْتَدَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ.

رابعًا - حُرْبُ قِطَاعِ الطَّرِيقِ وَالْعَصَابَاتِ الَّتِي تَهْدِدُ الْأَمْنَ وَالسَّلَامَ.

خامسًا - تَعْزِيرُ وَتَأْدِيبُ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ التَّارِكِينَ لِبَعْضِ سُنَنِ هَذَا الدِّينِ.

سادسًا - حَرْبُ الْمَعَاهِدِينَ إِذَا نَقَضُوا عَهْدَهُمْ.

سابعًا - الْحَرْبُ الدَّفَاعِيَّةُ الَّتِي مَفَادُهَا الدَّفَاعُ عَنِ النَّفْسِ مِنَ الْاِعْتِدَاءِ الْخَارِجِيِّ.

ومنها أيضًا:¹

أولًا - إِزَالَةُ عَوَاقِقِ الْحُرِّيَّةِ الْعَقْلِيَّةِ، وَحِمَايَةُ الشَّخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِيَّةِ مِنَ الْاِنْخِدَارِ فِي هَوَاةٍ مِنَ الْإِسْفَافِ، وَإِتَاحَةُ الْمَجَالِ لِإِبْرَازِ خِصَائِصِهَا الْخَيْرَةِ، وَتَخْلِيصِهَا مِنْ شَوَائِبِ الْخِرَافَةِ

ثانيًا - رَدُّ الظُّلْمِ وَالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ، عَنِ الدِّينِ وَالْوَطَنِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَالِدِ.

ثالثًا - تَأْمِينُ طَرِيقِ الدَّعْوَةِ لِدِينِ اللَّهِ.

رابعًا - نَصْرَةُ الْمَظْلُومِينَ الْمَضْطَّهِدِينَ مِنَ الشُّعُوبِ.

خامسًا - كِفَايَةُ حُرِّيَّةِ الدِّينِ وَالْاِعْتِقَادِ.

وما جاء في هذا المطلب من صورٍ سابقةٍ هو غيُضٌ من فيضٍ، أوردته كمثل عن الصُّورَةِ التَّمْطِيَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَالَّتِي لَهَا أَشْكَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ وَمُتَنَوِّعَةٌ، تَكَادُ تَعَمُّ عَلَى جَمِيعِ الْمَجَالَاتِ؛ الثَّقَافِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالتَّارِيخِيَّةِ وَالْحَضَارِيَّةِ...، وَلَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ يَحْزُرُ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ وَتَنْفَطِّرُ لَهُ قُلُوبُهُمْ، حِينَمَا يَسْمَعُونَ بِهَذِهِ الْاِتِّهَامَاتِ وَالْمِغَالَطَاتِ تَجَاهَ دِينِهِمْ وَعَقِيدَتِهِمْ وَشَرِيْعَتِهِمْ الَّتِي يَعْتَقِدُونَ كَمَالَهَا وَنِزَاهَتَهَا عَنِ كُلِّ دَنْسٍ وَلِغَطٍ، مِمَّا يَدْفَعُهُمْ إِلَى اتِّخَاذِ الْحَذَرِ وَالْاِحْتِيَاظِ مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ، لِمَا يَدْعُوهُمْ لِلتَّحَاوُرِ مَعَهُمْ وَالاجْتِمَاعِ بِهِمْ عَلَى طَاوِلَةِ وَاحِدَةٍ.

¹ - شوقي أبو خليل: الإسلام في قفص الاتهام، ط5، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1402هـ/ 1982م، ص105-106.

المطلب الثالث: الرؤية الإسلامية التقليدية للمسيحية.

تعتبر هذه الرؤية الوجه المعكوس للرؤية السابقة، وهي شبيهة بها إلى حد بعيد، إلا أنّ كلّ واحدة منهما نابعة من مصادر معيّنة، مختلفة عن بعضها البعض، وإذا كان المسيحيون يرون في الإسلام ديناً يتمحور حول الإرهاب والخوف والإباحية...، فإنّ المسلمين - في أغلبهم - يرون المسيحية من زاوية واحدة؛ هي زاوية النقد والاستهجان، وهذا ما يجعل الأمور لا تسير في الطّريق الصّحيح الذي يريد الحوار أن يسلكه أو يقتفيه، لأجل الوصول إلى حالات من التّصالح والتّفاهم.

فالمسلم حينما يتناول الحقائق المسيحية، إنّما يتناولها من خلال أفكار مسبقة رسمها له ما يؤمن به من مصادر وخاصة القرآن الكريم، وهذه السّوابق هي التي تمثّل رأي أغلبيّة المسلمين، كما أنّها صورة ليست متوافقة مع ما يعتقدّه المسيحيون ويعيشونه، ويمكن حصر بعض المظاهر التي تعبّر عن هذه الصّورة النّقديّة في:¹

- تحريف الكتاب المقدّس.
- استهجان الأسرار المسيحية.
- القدح في التّوحيد المسيحي، (الأمر الذي ينفيه القرآن الكريم بتأكيد على عدم تحقّق المسيحيين به).
- تشويه صورة الكنيسة.
- خيانة المسيحيين لرسالة عيسى عليه السّلام، (الحقيقة التي أثبتّها كلّ من القرآن والتّاريخ والواقع).

فهذه جملة من التّصوّرات الإسلاميّة عن الدّيانة المسيحية، وهي في عمومها تصوّرات نقديّة صارخة، قد تساهم في صناعة فاصلٍ أو حاجز قائم بين الطّرفين، لا يمكن تجاوزه بأيّ حالٍ من الأحوال، ما دامت هذه الصّورة متجدّرة أو متغلغلة في أذهان بعض المسلمين، والتي يعتبرها المسيحيون نوعاً من الاتّهام والسّخرية.

فلو أخذنا على سبيل المثال القضية الأولى، والمتمثلة في تحريف الكتاب المقدّس؛ المصدر الأوّل للدّيانة المسيحية، لوجدنا أنّ ثلّة من علماء الإسلام إنبروا لتبيين هذه الحقيقة، وذلك من خلال مؤلّفاتهم

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 106-114، وهل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 164.

بالأخص*، مقتدين في ذلك بما ورد في القرآن الكريم من آيات في هذا المجال، منها قوله تعالى: ﴿مَنْ آذَىٰ هَادُواً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَّأُ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ﴾ (النساء: 46)، وقوله أيضاً: ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 75)¹، ولو استقرأنا هذه الآية الأخيرة لوجدناها - كما قال ابن كثير - تتمحور حول ذمّ الذين يتأولون كلام الله على غير تأويله، ذلك أنهم فهموه لكنهم خالفوه على بصيرة، وهو مخطئون فيما ذهبوا إليه من تحريفه وتأويله،² وهي شبيهة في معناها بمعنى الآية الأولى؛ أي أنّ بعضاً من الذين هادوا يفسرون كلام الله بغير مراد الله، وهذا أمر مذموم،³ وعلى الرغم من أنّ هاتين الآيتين خاصتان باليهود، إلا أنّ بورمانس أوردتهما في هذا الموضوع، ذلك أنّ المسيحيين يعتبرون التوراة - أي العهد القديم - تشكّل مع الإنجيل - أي العهد الجديد - المصدر الأوّل لديانتهم.

وقد كانت هذه الحركة النقديّة الإسلاميّة للكتاب المقدّس، شاملة ومتنوّعة، ذلك أنّ هذا النّقد شمل العهدين معاً القديم والجديد، حيث تمّ هذا الأمر على مستوى السّنند؛ من خلال نظرة تاريخيّة في طريقة الروايات وخاصة منها الشفويّة، كما تمّ ذلك على مستوى المتن؛ بالقدح في العقائد والتشريعات والأحكام والأخلاق الواردة في هذين الكتابين،⁴ والمقصد من هذه الحركة هو إثبات التحريف الذي مسّ الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد.

وحقيقة هذا التحريف تكون "بالزيادة عليها - أي التّصوُّص - أو النّقص منها أو تغيير مواضعها أو تأويلها بمعانٍ غير صحيحة أو بحذف بعض أجزائها، أمّا الضّياع فقد نالها، وأثبت التّحقيق العلمي أنّ

* من تلك المؤلّفات نذكر: - الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، - إظهار الحقّ لرحمة الله الهندي، - تحجيل من حرّف التوراة والإنجيل للقاضي أبي البقاء، - الكتاب المقدّس في الميزان لعبد السلام محمّد، - الكتاب المقدّس كلمة الله أم كلمة البشر لعلي خان جومال، - خمسون ألف خطأ في الكتاب المقدّس وحوار البابا مع المسلمين لأحمد ديدات، - المؤسّس في نقد الكتاب المقدّس لروبيكد بن صالح التميمي، - الكتب المقدّسة في ميزان التوثيق لعبد الوهاب عبد السلام طويلة، - الكتب المقدّسة بين الصّحّة والتحريف ليحي ربيع، - قراءة في الكتاب المقدّس (تأمّلات في كتب الإنجيل) لصاير طعيمة... .

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 107.

² - ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مصدر سابق، ج 1، ص 307.

³ - المصدر نفسه، ج 2، ص 323.

⁴ - رمضان مصطفى الدسوقي حسنين: جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدّس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، قسم الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة، كليّة أصول الدّين والدّعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، 1424هـ/ 2004م، ص 06-09.

الموجود من الأسفار لا تصحّ نسبته إلى موسى وعيسى عليهما السلام، بل إنّها تفقد اتصال السند إلى كاتبها، ومن ثمّ أدّى ما طرأ على التّوراة والإنجيل من التّحريف والضّيع إلى انحراف عقائدهم وشرائعهم".¹

أمّا بالنّسبة لمسألة التّوحيد في المسيحيّة وعلى الرّغم من التّأكيد الذي أقرّه بورمانس؛ الذي يرى بأنّ المسيحيين موحّدون استنادًا إلى بعض الفقرات من الكتاب المقدّس، والإقرار بحقيقة أنّ الوحدانيّة هي أوّل الصّفات الإلهيّة في علم اللاهوت المسيحي، كما هي موجودة في صميم صلاة المسيح والمسيحيين،² إلا أنّ علماء الإسلام لديهم رأي آخر حول هذا الشّأن؛ إذ يرى معظمهم أنّ هذا التّوحيد ليس خالصًا، بل إنّه ذو أوصاف تخرج به عن المطلوب، وأنّ التّثليث هو الاعتقاد الغالب أو العقيدة المتجدّرة في أذهان المسيحيين، لذلك كان الجزء الأكبر من النّقد الإسلامي للعقائد المسيحيّة مصوّبًا نحوها، خاصّة وأنّها عقيدة متناقضة مع التّوحيد الذي هو عقيدة المسلمين الأساسيّة.³

وقد استند هؤلاء العلماء في سبيل هذا النّقد الموحّج إلى هذه العقيدة إلى براهين عقليّة جمّة، أثبتوا من خلالها أنّ التّثليث باطلٌ من كلّ الوجوه، وأنّه مخالفٌ للعقيدة الحقّة التي جاء بها المسيح عليه السلام،⁴ وذلك بالإضافة إلى الأدلّة النّقليّة المأخوذة من الكتاب المقدّس نفسه وأيضًا من القرآن الكريم الذي انتقد هذه العقيدة انتقادًا لاذعًا.

كما شغلت هذه العقيدة حيّزًا كبيرًا من فكر بعض الباحثين المسلمين، الذين ضمّنوا عناوين أبحاثهم وكتبهم لفظة "التّثليث" أو "الثالوث"، وذلك بغرض النّقد والمواجهة.

ثمّ إنّ هناك فكرة سائدة عند المسلمين حول الكنيسة المسيحيّة ورجالها، تتمثّل في أنّهم يصرّون على أنّ هذه المؤسّسة الدّينيّة لا تقتصر على دورها المنوط بها؛ أي الاهتمام بالمسائل الدّينيّة المشتملة على مظاهر العبادة وبعض المراسيم؛ كمراسيم الزّواج والجنائز وغيرها، بل تتعدّاه إلى أمور السّياسة والعلاقات بين الدّول،

¹ - عثمان عبد المنعم: تقرّظ كتاب: تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، مرجع سابق، ص 04.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 110-111.

³ - ينظر: ابن قيم الجوزية: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنّصارى، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط 4، المكتبة القيمة، 1407هـ، ص 209-239، وابن تيمية: الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، ط 2، دار العاصمة، الرياض، السّعوديّة، 1419هـ/ 1999م، مج 3، ص 182 وما بعدها.

⁴ - محمّد أحمد الحاج: النّصرانيّة من التّوحيد إلى التّثليث، مرجع سابق، ص 241-246.

* نذكر من ذلك مثلاً: - كتاب الجوهر الفريد في ردّ التّثليث وتأييد التّوحيد لأيوّب صبري، - هل التّثليث هو عقيدة المسيح أم عقيدة المجامع لمنقذ محمود السقار، - النّصرانيّة من التّوحيد إلى التّثليث لمحمّد أحمد الحاج، - عقيدة التّثليث عند النّصارى عرض ونقد لمحمد عياد، - المسيح والتّثليث لمحمّد وصفي.

وأنّ لها اليد الطولى في كثير من المشاكل التي حدثت وتحدث في العالم، وخاصة ضدّ الكيان الإسلامي، وذلك بتواطؤ الإكليروس مع الشّخصيات السياسيّة لرسم العلاقات بين الدّول، وكثيراً ما يوصم هؤلاء -أي رجال الدّين المسيحي- بالتخاذل حيال مظالم عصر الاستعمار.¹

وباستقراء التاريخ الأوربيّ المسيحي، وخاصة في العصور الوسطى، نجد أنّ سلطاناً واسعاً رجباً في نطاقه، تهيأً للكنيسة روحياً بحكم وظيفتها، وسياسياً بسبب ضعف الملوك والأباطرة، فقد أذى ضعف هؤلاء وكذا انهيار الإمبراطوريّة الرومانيّة في الغرب عام 476م، إلى ازدياد سلطة الكنيسة وارتفاع شأن البابا في أوربتا، فسيطرت على جميع القطاعات آنذاك، وبسطت نفوذها بشكلٍ كبير،² لذلك كان للبابا سلطة كبيرة فاقت الحدود والتّصوّرات، حتّى إنّها تجاوزت في كثير من الأحيان سلطة الإمبراطور الذي يمثّل أعلى سلطة سياسيّة وهيئة حاكمة في الإمبراطوريّة أو الدّولة.

تبعاً لهذه الميزة لعب أمراء الكنيسة الأرثوذكسيّة الرّوم، دوراً فعّالاً في مقاومة الدّولة العثمانيّة، وذلك لأنّهم اشتغلوا في بعض المناصب العليا التي مكّنتهم من التّخطيط والمؤامرات ضدّ هذه الدّولة، فقد كانوا يؤدّون دوراً سياسياً في غاية الأهميّة، ممّا هيأ لهم التّدخل في شؤون الدّولة العثمانيّة.³

وإلى جانب ذلك من الأمور التي تشكّل نظرة المسلمين للديانة المسيحيّة، نجد أمراً آخر يتمثّل في اعتقاد المسلمين أنّ المسيحيين قد خانوا رسالة المسيح عليه السّلام التي جاء بها منذ الوهلة الأولى من بعثته، ولم يحافظوا على تعاليمها، وفي ذلك يقول بورمانس:

"وبما أنّ هؤلاء المسيحيين يقولون في يسوع المسيح أموراً مغاليّة، ويعتقدون أسراراً لا يحتملها العقل السّليم...، لذلك قد يستسهل الكثير من المسلمين الاعتقاد أنّ المسيحيّة قد حرّفت عن أصولها في غضون التاريخ، وأنّها في أوّل عهدها كانت قريبة جداً من ذلك المذهب اليهودي المسيحي الذي قد يصغي له القرآن على ما يظهر، ولذلك يعتقد الكثيرون من المسلمين أنّ المسيحيين سيقتضى عليهم بدار العقاب...، وهكذا يبدو من الصّعب على المسلم أن يؤمن بصحّة مسيحيّة اليوم"،⁴ لأنّها تتنافى في كثير من عقائدها وشرائعها وأخلاقها مع رسالة المسيح الأصليّة.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص112.

² - أحمد علي عجيبة: أثر الكنيسة على الفكر الأوربي، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، مصر، 2004م، ص05-06.

³ - ثريّا شاهين: دور الكنيسة في هدم الدّولة العثمانيّة، ترجمة: محمّد حرب، ط1، دار المنارة، جدّة، السّعوديّة، 1418هـ/ 1997م، ص41-51.

⁴ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، المصدر السّابق، ص114.

لأنه -وبعد رفع المسيح عليه السلام- وبعد ما حلّ بأتباعه من اضطهاد وتنكيل واختلاط بغيرهم من الأجناس الأخرى، قُلبت الديانة المسيحية الحقّة -أي النصرانية- من ديانة سهلة بسيطة إلى ديانة معقّدة، وانحرفت عن الأصل الذي جاءت به جميع الرّسالات السّماوية؛ وهو التّوحيد، إلى القول بالوهية المسيح عليه السلام، والقول بالتثليث وبعقائد أخرى مخالفة، وهذا التّغيير أو التّحريف واضح مشهود لا يماري فيه إلّا معاندٌ أو معارضٌ أو متعاطفٌ مع هؤلاء، وقد مسّ مختلف الجوانب في هذه الديانة،¹ وهذا ما جعلها ديانة أخرى لا علاقة لها بالديانة الأصليّة التي جاء بها عيسى عليه السلام، ممّا يجعلنا وصمها بالمسيحية الجديدة أو الحديثة المعاصرة.

ويمكن القول بأنّ المسيحية الجديدة، قد تشكّلت وفق فكر بولس الرّسول -وهو لقب تشريفي أطلقه المسيحيون على هذا الرّجل- القائم على شتات مذاهب ونحلّ وأبجديات من اليهوديّة والرّومانيّة والفلسفة الرّواقية والأفلاطونية الحديثة،² وتقوم هذه الديانة على الأسطورة الأساسيّة القائلة بموت كائن إلهي للتكفير عن خطايا البشر، وإنّ الخلاص الوحيد هو الإيمان بهذه التّضحية، ولذلك تعتبر عقيدة بولس عقيدة جديدة في الأصول والفروع، ترمي إلى التّفاء التّاموس القلبي بالناموس الجديد، وتحميد نقطة العبور من اليهوديّة إلى المسيحية، مع مزج ذلك بالأساطير الوثنيّة، وبالتالي كانت أفكاره ومبادئه التي جاء بها مخالفة تمامًا لأفكار ومبادئ عيسى عليه السلام، وذلك في شتى المجالات سواء منها العقائديّة أو التشريعيّة، لذلك فإنّه سيكون من نافلة القول؛ الإقرار بأنّ بولس هو مؤسس المسيحية الحاليّة³ الموجودة اليوم في كثير من مناطق العالم من شماله إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه.

والنتيجة التي يمكن الخلوص إليها من كلّ هذا، تتمثّل في اعتقاد المسلمين أنّ المسيحية الموجودة اليوم، لا تمتّ بصلة إلى الديانة الأولى التي جاء بها عيسى عليه السلام، وهو الأمر الذي يستهجنه المسيحيون بشدّة، ممّا قد يفضي إلى إيجاد بعض العراقيل والمشاكل أثناء التّحاور بين أتباع الديانتين، حيث أنّهم يعتبرون أنّ هذا القول فحواه الأوّل والأخير أنّهم -أي المسيحيين- من قبل المسلمين بالخيانة والتّحريف والتّبديل وعدم المحافظة على تعاليم المسيح عليه السلام وكذلك عدم إخلاصهم له ولرسالته.

¹ - بسمة أحمد جستنيه: تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، مرجع سابق، ص 06-07.

² - محمّد سيّد أحمد المسير: أصول النصرانية في الميزان، دط، دم، دت، ص 139.

³ - هيم ماكي: بولس وتحريف المسيحية، ترجمة: عزمي الرّين، دط، منشورات المعهد الدّولي للدراسات الإنسانيّة، دت، ص 13 وما بعدها.

المطلب الرابع: المعوقات الحياتية الواقعية (المعاصرة).

لئن كان ما سبق ذكره من عوائق يدخل ضمن العوائق الفكرية الثقافية والتاريخية الماضية، التي حدثت في الأزمان السابقة من تاريخ العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، فإن هذا المطلب سيتركز الحديث فيه عن العوائق الحالية التي يعيشها الطرفان في الزمن الراهن في واقع الحياة؛ إنَّها تلك الأمور المتصلة بالواقع المعيشي والحياة اليومية، خاصة في الدول أو البلدان التي تشهد تعددية دينية إسلامية ومسيحية، ويمكن حصر هذه المعوقات - في نظر بورمانس - في قضايا خمس؛ هي:¹

- المحرمات الغذائية والشرايبيّة.

- الزيجات المختلطة.

- الدعوة والتبشير.

- الأقليات الدينية.

- الصدام الحضاري بين العرب والإسلام.

ومن شأن كل قضية من هذه القضايا الخمس أن تشكل معوقاً كبيراً بين الطرفين في مجال الحوار والتواصل وتحسين العلاقات وتوطيد سبل التلاقي والتفاهم، باعتبارها قضايا حساسة لمساسها بجوانب مهمة في كلتا الديانتين، خاصة وأنها تدخل ضمن الإطار الديني التشريعي، وكذا ضمن الإطار الحضاري السياسي.

فالنسبة للقضية الأولى، والمتمثلة في المحرمات الغذائية والشرايبيّة، نجد هوة كبيرة بينها في النظام التشريعي الخاص بالديانتين، ويكاد يكون الاختلاف التام هو السمة الغالبة على ذلك، وهذا ما يحدث بعض المشاكل بينهما في هذا الشأن، يقول بورمانس: "إنَّ المسيحيين والمسلمين يعيشهم وأكلهم وشربهم معاً، كثيراً ما يصطدمون بمشكلة صعبة الحل؛ هي مشكلة المحرمات الغذائية والشرايبيّة، فترتبك بسببها أبسط العلاقات وأودّها".²

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتصالح فيما بينهم، مقال سابق، ص 173-178.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 115.

ولو تفحصنا النظام التشريعي المسيحي البولسي في هذا المجال، لوجدنا فيه تحليلاً لبعض ما حرّمته التّوراة؛ كلحم الخنزير والخمر وبعض الأطعمة الأخرى، وبشأن ذلك يقول بولس: [وأنا عالم ومتيقن في الربّ يسوع أن لا شيء نجس في حدّ ذاته، ولكنّه يكون نجساً لمن يعتبره نجساً] (رومية: 14/14)، ويقول أيضاً: [كلّ شيء طاهر للأطهار، وما من شيء طاهر للأنجاس وغير المؤمنين، حتّى إنّ عقولهم وضمايرهم نجسة] (تيطس: 15/1)، وجاء على لسانه كذلك: [كلّ الأشياء تحلّ لي، لكن ليس كلّ الأشياء توافق، كلّ الأشياء تحلّ لي، لكن لا يتسلّط عليّ شيء، الأطعمة للجوف، والجوف للأطعمة، والله سيبيدها وتلك] (كورنثوس الأولى: 12/6-13)،¹ وتبعاً لهذه التشريعات والتعاليم لا يتوانى المسيحيون اليوم في احتفالهم بذكرى العشاء الربّاني أو ما يعرف بسرّ الأفخارستيا*، عن تناول الخمر، لاعتقادهم أنّ دم المسيح الذي أمرهم بشربه وتناوله مع قطع الخبز المعبّرة عن جسده في هذه الذّكري،² وهو أمرٌ محرّم -أي شرب الخمر- على المسلمين بنصّ القرآن الكريم، حيث ورد في هذا الشأن قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْجَارُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ (المائدة: 90-91)، كما أنّ لحم الخنزير والدم -خلافاً للمسيحيين- محرّمان عليهم أيضاً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ (البقرة: 173)، ومن هنا يتصادم الطّرفان في هذه الأنواع من المأكولات والمشروبات وغيرها من الأمور الأخرى التي هي من هذا القبيل.

أمّا القضية الثّانية؛ التي هي الزّيجات المختلطة أو الزّواج المختلط بين المسلمين والمسيحي، وعلى الرّغم من كونها تمثّل سبباً لحوار أفضل، خاصّة لما تكون هذه القرانات ناجحة، فهناك أيضاً قرانات أخرى قد أصابها الإخفاق، فكانت العواقب صعبة على الزّوجين وعلى الأولاد أيضاً، وفي هذا الشأن كذلك يصطدم الطّرفان بالردّع والموانع القانونيّة التي توضع على مثل هذا الزّواج، خاصّة وأنّ الإسلام لا يأذن في زواج

¹ - بسمه أحمد جستنيه: تحريف رسالة المسيح عليه السّلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، مرجع سابق، ص 205-206.

* كلمة أفخارستيا من اليونانيّة وتعني؛ الشّكر، ويدلّ هذا المفهوم على التّعبير عن عرفان الجميل عند من قبل عطية ثمينه، وفي المعنى الكنسي تعني الأفخارستيا "جسد المسيح" تحت الشّكل المنظور للخبز والخمر، وتتأصل هذه الحقيقة في العشاء السّري أو العشاء الأخير (لوقا: 19/22، مرقس: 22/14) فمن كلماته بالذّات يعطي المسيح جسده مأكلاً ودمه مشرباً تحت أشكال الخبز والخمر الملموسين، وهذا الطّعام الذي قدّمه المسيح في العشاء الأخير هو جسده المصلوب، وعند أكله يعلن عن موت المسيح مع فعاليته الخلاصيّة للاتّحاد معه وتأييف جماعة واحدة متألّفة، وتقوم به الكنيسة لأجل إحياء هذه الذّكري الأليمة. (موسوعة الأديان الميسّرة، ص 97).

² - عادل درويش: الكنيسة أسرارها وطقوسها، ط1، دار بلال بن رباح، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، 1433هـ/ 2012م، ص 293-294.

المسلمة من المسيحي، بل ويحظر ذلك، كما ينتج عن هذا النوع من الزواج بعض المشكلات الأخرى؛ كحضانة الأولاد عند انفصام الرابطة الزوجية، وعدم الأهلية للوراثة بسبب اختلاف الدين، وهذا ما يسبب الكثير من سوء التفاهم الذي قد يتحوّل إلى حقد وعداء،¹ وهو الأمر الذي يمنع من قيام حوارٍ حياتي بين الطرفين، أو حتى فكري، أو -على الأقل- يحدّ من عزيمة هذه الظاهرة؛ أي ظاهرة الحوار الإسلامي المسيحي.

وتاريخ هذا الزواج قديم، إذ أنه يعود إلى أواخر القرن الهجري الأول، ويظهر ذلك جلياً في بلاد الأندلس؛ فما إن وطئت أقدام الفاتحين هذه البلاد، حتى شاع الزواج المختلط وعلى نطاق واسع، وشمل جميع المستويات حكماً وعمامة، ويشهد على ذلك التّيجات المختلطة التي قامت بين الجانبين العربي الإسلامي والإسباني المسيحي، وقد كان السبب في ذلك؛ أنّ الفاتحين دخلوا هذه البلاد دون زوجات، فاضطرّتهم الحاجة إلى إيقاع هذا النوع من الزواج من فتيات البلاد المفتوحة، واتّخاذهنّ زوجات وأمّهات لأولادهم، ومع مرور الزمن عاشوا جميعاً كمجتمع واحد تسوده المحبة والألفة، خاصة وأنّ المرأة الأندلسية كانت تعيش قبل هذا الفتح ظروفاً قاسية بعيدة عن الحياة الإنسانية الكريمة.²

ويتجلّى الزواج المختلط بصورة أوضح في لبنان الذي يشهد تعددية دينية إسلامية ومسيحية؛ تمثلها عدّة طوائف من أتباع الديانتين، الأمر الذي دعا أبناء هذا البلد إلى المطالبة بوضع نظامٍ موحدٍ للأحوال الشخصية يتضمّن:³

أولاً - ضرورة توحيد التشريع في البلد الواحد.

ثانياً - تأمين المساواة بين المواطنين، ولاسيما المساواة أمام القانون، واحترام حرية المعتقد، وبصورة أعمّ؛ تأمين احترام حقوق الإنسان.

ثالثاً - تكريس حقّ من لا ينتسب إلى الطوائف الدينية المعترف بها في لبنان، أو من لا يرغب بعقد زواجه لدى إحدى هذه الطوائف؛ بالزواج المدني.

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 116.

² - خالد حسن حمد الجبالي: الزواج المختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92-422هـ)، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دت، ص 09.

³ - بول مرقص: الزواج المدني في لبنان -دراسة وآلية في ضوء استنكاف الدولة عن سنّ قانون مدني للأحوال الشخصية-، دط، الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية، دت، ص 12.

رابعاً- قيام التناظم المجتمعي وإزالة التمييز بين المواطنين.

خامساً- إعادة ما أُنتزع من صلاحيات إلى القضاء المدني في الأحوال الشخصية.

سادساً- مجارة تشريعات الدول المتقدمة في ميدان الأحوال الشخصية.

وتبعاً لهذا الأمر، وحفاظاً على العلاقات الأسرية؛ نصّت المادة الثالثة والعشرين في التشريع اللبناني للزواج، على أنّ الرّباط المدني بين الزوجين يبقى ساري المفعول وفق القانون القديم الذي أُحتفل بموجبه بالزواج إن ترك أحد الزوجين طائفته، أو وفق قانون نظامها الجديد إن ترك كلاهما طائفته، ابتداءً من التاريخ الذي فُيّد فيه تركهما لطائفتهم في سجلّات الأحوال الشخصية، على أن يبقى الأولاد شرعيين مهما حصل.¹

وفي هذا السياق، عقدت ندوة في المركز الكاثوليكي للإعلام يوم 16 شباط/فيفري 2010م، بيروت تحت عنوان: "الزّواج المختلط بين مختلفي الدّين والمذهب والجنسيّة"، شارك فيها العديد من الأساتذة والباحثين ورجال الدّين، أكّدوا فيها على أنّ الزواج الذي يعقد بين زوجين مختلفين في الدّين والمذهب أو المعتقد؛ كالمسلمين والمسيحيين، وعلى الرّغم من بعض إيجابياته، إلّا أنّه قد تنجّم عنه بعض المشاكل الأسرية والحياتية والشرعية؛ كمسألة الميراث والطلاق وغيرها من المشاكل، بسبب تنوع واختلاف الثقافات والأعراق والأديان، ويواجه أيضاً الكثير من التّحديات والمؤثّرات على كلّ المستويات العائلية والاجتماعية والثقافية والدينية والقانونية، كما تحدث في مثل هذه الرّيجات وينتج عنها خلافات زواجية متزايدة تسببها بعض الفروقات والتّباينات المذهبية والدينية،² وهذا ما يساهم في تعقيد مسألة الحوار بين الطّرفين.

وفي اتجاهٍ آخر، تبرز قضيتا الدّعوة والتّبشير؛ كقضيتين لهما تأثيرهما على المجتمعين الإسلامي والمسيحي، خاصّة عندما نتحدّث عن العلاقات الوطيدة التي تجمع بينهما، بل إنّهما قد تشكّلتا عائقاً كبيراً في سبيل ذلك، نظراً لرغبة كلّ منهما في استقطاب أكبر عدد ممكن إلى دينه أو معتقده، وهذه إشكالية جليلة تدعو إلى التأمّل فيها، بغية العثور على حلول ملائمة لها، أو على الأقل الخروج بنظرة تفاهمية حولها، وفي ذلك يقول بورمانس:

¹ - بول مرقص: الزواج المدني في لبنان -دراسة وآلية في ضوء استنكاف الدولة عن سنّ قانون مدني للأحوال الشخصية-، مرجع سابق، ص40.

² - ينظر: وقائع هذه الندوة بمختلف نصوصها على الموقع <https://ar.zenit.org/arricles>، تاريخ التّصفّح: 20 أكتوبر 2018م، الساعة: 10:30.

"فعلى المسيحيين والمسلمين أن يتحملوا الاتهامات المتبادلة بالاجتلاب الديني المنحرف، وأن يوضّحوا بجلاء الطرائق والوسائل والأهداف لجهودهم في سبيل الدعوة أو التبشير"،¹ و"لابدّ لهم أن يتباحثوا عن ذلك طويلاً في حواراتهم المنظّمة"،² قصد الوصول أو الخُلوص إلى حلول أو نتائج مقبولة بهذا الشأن.

فالصراع في هذا المجال بينهما طال العديد من العصور والأزمان، ولو استعرضنا مراحلها لوجدناها ممتدة امتداد ظهور الديانتين، كما أنّه شمل معظم مناطق العالم؛ ففي آسيا تجسّد هذا الصراع الفكري بين الطرفين في الهند والصين ومنغوليا واندونيسيا والملايو وجزر الفلبين وسيلان، وفي إفريقيا تجسّد واقعياً في كافة أرجاء هذه القارة، فكان في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها ووسطها، أمّا أوربا فقد عرفت هي الأخرى مظاهر من هذا الصراع خاصّة في اسبانيا وصقلية وتركيا وبلغاريا.³

والغريب في الأمر، أنّ الحوار الذي كان يدور بين المسلمين والمسيحيين؛ أي الحوار الإسلامي المسيحي، يحمل في بعض أهدافه الخفية أو أبعاده السريّة من الناحية الدينيّة؛ الدعوة الإسلاميّة والتبشير بالدين المسيحي أو التنصير*، إذ يحاول كلٌّ من الطرفين ترميز مشروعه الدعوي أو التبشيري على حساب الحوار، مستغلاً في ذلك الفرصة، ومستنداً إلى نصوص موجودة في كتابه المقدّس أو تراثه الديني، ممّا كان له أثر سلبيّ على هذه المسألة (الحوار الإسلامي المسيحي) الذي اتّخذ مطيّة لذلك، باعتبار أنّ هذا الأمر يتنافى ومقاصد الحوار الإنسانيّة والواقعيّة،⁴ ممّا يؤدّي بالضرورة إلى عدم فعاليته وكذا عدم تحقيقه للمآرب النبيلة التي تعود على الطرفين بالنفع في شتى المجالات.

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص 116.

² - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسلمين وأبعاده الدينيّة في سبيل التفاهم والتصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 176.

³ - عبد الجليل شليبي: معركة التبشير والإسلام - حركات التبشير والإسلام في آسيا وإفريقيا وأوربا -، ط 1، مؤسّسة الخليج العربي، القاهرة، مصر، 1409هـ / 1989م، ص 311-316.

* التبشير والتنصير هما وجهان لعملة واحدة غرضها نشر المسيحيّة في جميع أرجاء العالم، وتستخدم كلمة التبشير في التبشير بالخير والشّر وهي تعني أنّ ما يقوم به المبشّر يعتمد على بثّ البشارة بأخبار سارة فحوها الخلاص بواسطة قبول عيسى فادياً للبشريّة، أمّا التنصير فالمقصود به الدعوة لدين التصرّاتيّة ومحاولة نشر عقيدتها في جميع أنحاء العالم بالوسائل والأساليب المستحدثة، وقد يكون الفرق بينهما كامناً في أنّ التبشير يتمّ بطريقة قانونيّة والتنصير بطريقة قسريّة، أو أنّ التبشير مصطلح مسيحي والتنصير مصطلح إسلامي. (محمد عثمان صالح: التصرّاتيّة والتنصير أم المسيحيّة والتبشير - دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات -، ط 1، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، السعوديّة، 1410هـ / 1989م، ص 54-55).

⁴ - إسماعيل عريف: الأبعاد الدينيّة والسياسيّة للحوار الإسلامي المسيحي - دراسة تحليليّة نقدية في ظلّ الحوار الهادف والمثمر -، مرجع سابق، ص 57-60، 81-85.

ومن ضمن العوائق الحياتية الواقعية المعاصرة، تحضّر - وبشكلٍ لافتٍ للانتباه - مسألة الأقليات الدينية، كجزء لا يتجزأ من هذه العوائق، بل قد لا نعدو الحقيقة العلمية إذا اعتبرنا هذه القضية أكثرها تعقيداً على الإطلاق، "حيث يتعرّض المسيحيون والمسلمون مراراً لحوض حوارٍ بين طرش، وبأصدق النيات، والسبب في ذلك أولاً التوازن العسير الذي تحاول أن تحقّقه الأكثرية والأقلية في كل مجتمع متعدّد الأديان والأجناس، ثمّ النظرة المختلفة التي ينظر بها كل فريق إلى العلاقات بين الدين والدولة، فكثيراً ما يصعب على المسيحيين أن يفهموا مطالبة الأقليات الإسلامية بالاستقلال الذاتي في شؤون الدين، عندما تريد أن تُدرج فيه الأمور الثقافية والقانونية والشرعية والقضائية حتى السياسية، بينما يدهش المسلمون من جهتهم عندما يرون أنّ محاورهم المسيحيين يرفضون أحكام الدّمة التي نظّمها ونفذتها الخلافة الإسلامية في القرون الوسطى"،¹ ولعلّ ذلك كلّه عائداً إلى أيادٍ خارجية لا تمتّ بصلة إلى أتباع الديانتين.

فكثيراً ما تكون هذه الأقليات أوراق ضغطٍ وثغرات أوراقٍ وتدخل من قبل القوى الغربية المهيمنة لإعاقة تقدّم الأمة ونهوضها وانعتاقها وانبعاثها الحضاري، إنّها التّحديات التي تعيد مرّةً أخرى قضية الغواية الاستعمارية، ومشاريع الحماية التي حاولتها قوى الغزو والاستعمار مع هذه الأقليات تاريخياً،² ومن جملة هذه الافتراءات بشأن الأقليات الدينية في الوطن العربي، ما يُثار من مسألة الاضطهاد الديني لأقباط مصر من قبل مواطنيهم العرب المسلمين، فقد ذهب العديد من أبحاث بعض غير المُنصفين إلى الحديث عن أنّ وضع هؤلاء غير مريح في هذا البلد، وأنهم يعانون من كثير من التّعسّفات التي تعيق مسيرة حياتهم، ممّا يجعل لهم هموماً تراودهم في كلّ حينٍ وأنّ، وأنهم لا يتمتّعون بحقوقهم كاملة كما يتمتّع بها الآخرون، وأنّ كنائسهم تتعرّض للمضايقات من قبل السلطات المدنية التابعة للحكم الإسلامي، وأحياناً للحرق والتفجير، وذلك كلّه بغية القدح في عدالة الإسلام وأتباعه.³

وفي الجهة المقابلة، يصرُّ بعض الباحثين* على أنّ الأقليات المسلمة تعيش في البلدان الأخرى معيشةً ضنكها وحالة من الإقصاء والتشريد والتّغيب، بل إنّهم يعانون هناك محنة حقيقية لا مناص منها ولا مجال

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 117.

² - محمّد عمارة: الإسلام والأقليات - الماضي.. والحاضر.. والمستقبل -، ط 1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1423هـ/ 2003م، ص 32.

³ - محمّد عمارة: أكلدوية الاضطهاد الديني في مصر، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1421هـ/ 2000م، ص 33-48.

* أمثال: محمّد عبد الله السّمان.

لتجاهلها أو غضّ الطرف عنها؛ لأنها حقيقة واقعية وحيّة، يشهد عليها الواقع والتاريخ في كثير من الأقطار من هذا العالم.¹

وعلى كلّ حال، فإنّ مسألة الأقليات الدّينية ليست جديدة في العالم، لكنّها بعد أن تحوّلت إلى محرّكات يُمنع الحديث عنها؛ كُبتت في اللاشعور القومي كي لا تخرُج إلى الوعي إلّا من خلال مرآة أخرى ليس لها علاقة مباشرة بالتمايزين الفكري والثقافي؛ هي مرآة الصّراع السياسي،² الذي من شأنه تشكيل حاجز بين العلاقات الدّولية، وقطع الصّلة بين بعض البلدان من أجل التّواصل والتّعاون، ويتأكّد هذا بخاصّة عندما يتعلّق الأمر بمسلمين ومسيحيين يعيشون في كنف تلك الدّول، والذين قد تصدّهم عن الحوار والتّعايش؛ مشكلة الأقليات الدّينية، خاصّة الإسلاميّة منها والمسيحيّة.

ثمّ أخيراً، تأتي أعظم المشاكل وأخطرها في هذه الآونة، والمتمثّلة في سوء التّفاهم الذي ازداد هوة وعمقاً بين المجتمعات الإسلاميّة وخاصّة العربيّة منها والدّول الغربيّة المتقدّمة، أو باختصار بين الغرب والإسلام، حتّى زعم الباحث الأمريكي صامويل هنتنغتون؛ أنّه نزاع ثقافات أو صدام حضارات، وهي القضية التي أشرنا إليها آنفاً في هذه البحث،³ وبفعل هذه النّظرية كثرت المشاكل السياسيّة التي بقيت حتّى الآن دون حلّ مقبول في شتّى مناطق العالم، ثمّ إنّ ما حدث في 11 سبتمبر 2001م في الولايات المتّحدة، وما نجم عنه من حروب في أفغانستان والعراق فيما بعد؛ هو أكبر مؤشّر يدلّ على التّوتر بين الإسلام والغرب، وكأنّ الأوضاع الرّاهنة توحى بنشوب حرب باردة جديدة بين مجتمعات مختلفة تنتمي إلى هذين العالمين، وهذا ما أدّى إلى ظهور عوائق جديدة ضدّ الحوار الحضاري أو الدّيني بحيث ازدادت الأفكار غموضاً والألفاظ إبهاماً.⁴

فهذا الأمر، بالإضافة إلى الأمور الأربعة السابقة، كلّها تعدّ من المثبّطات الواقعيّة التي يمكن أن تثني الفريقين عن العزيمة الجادّة في تنظيم مؤتمرات ولقاءات حوارية بينهما، بما تحمل في ثناياها من قضايا حسّاسة، بل وشديدة الحساسيّة من جهة نظر كلّ طرف إليها، بل إنّها -على حدّ قول بورمانس-: "أمور

¹ - محمّد عبد الله السّمان: محنة الأقليات المسلمة في العالم، دط، الأمانة العامّة للجنة العليا للدّعوة الإسلاميّة، مصر، دت، ص 04-09.

² - برهان غليون: المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، ط3، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2012م/ ص 25-26.

³ - ينظر: ص 239-240 من البحث.

⁴ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 178.

خمسة مازال التّعارض الشّدِيد باقياً فيها بين الجماعات المسيحيّة والإسلاميّة"¹، وهذا ما يشكّل عائفاً حقيقيّاً لمسألة الحوار الإسلامي المسيحي.

* بين الأمور والأحداث والقضايا التاريخيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والحضاريّة والثّقافيّة، تتشكّل بعض عوائق الحوار الإسلامي المسيحي، وذلك بما تشكّله من رواسب وبعض الحساسيات بين المسيحيين والمسلمين، ممّا يتعدّد معه التّحاور والتّلاقى والتّفاهم، فهذه الأمور ينظر إليها بورمانس على سبيل عقبة مستعصيّة تمنع من تواصل الفريقين، لذلك لا بدّ من دراستها وبحثها بغية تجاوزها وإيجاد حلول لها، أملاً في إحداث تقارب مسيحي إسلامي كبديل عن حالة التّنافر والتّباعد التي تشكّلت بفعل هذه القضايا، وحتى نتعرّف على الفروقات والتّوافقات بين ما أورده بورمانس هاهنا في هذا المجال وما أورده فضل، كان لزاماً إجراء مقارنة بينهما بشأن هذا الصّدّد، الأمر الذي سأتطرّق إليه في المبحث الموالي.

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص178.

المبحث الثالث: المقارنة بين المعوّقات عند الرجلين.

أُتيثُ في المبحثين السابقين من هذا الفصل على ذكر معوّقات الحوار الإسلامي المسيحي، كما يراها كلٌّ من محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس، اللذان عدّدا جملة من الأمور أو القضايا التي من شأنها - في أغلب الأحيان - إعاقة العملية الحوارية بين المسلمين والمسيحيين، وفي هذا المبحث سأستعرض أهمّ الفروقات وكذلك أهمّ التوافقات بينهما؛ أي بين الرجلين في هذا المجال، ويمكن حصر ذلك كلّ في:

- العوائق العقائدية اللاهوتية.

- العوائق الحضارية الثقافية.

- العوائق التاريخية السياسية.

- العوائق الحياتية الواقعية.

المطلب الأول: العوائق العقائدية اللاهوتية.

إنّ الأمور المختلفة في المجال العقائدي اللاهوتي، كثيراً ما تفرّق بين الأفراد والجماعات، وتجعل بينهم حاجزاً منيعاً، قوامه استمساك كلّ طرفٍ بعقائده التي يؤمن بها إيماناً جازماً، فلا يمكنه بأيّ حالٍ من الأحوال التخلّي أو التنازل عنها؛ لأنّها راسخة في ذهنه، ذلك أنّ العقائد تُوصَفُ بأنّها: "الأمور التي تصدّق بها النفوس، وتطمئنّ إليها القلوب، وتكون يقيناً عند أصحابها، لا يمازجها ريبٌ ولا يخالطها شكٌ".¹

ولو أسقطنا هذه القاعدة على المسلمين والمسيحيين؛ لرأينا أنّ هاتين الأمتين لكلّ أمةٍ منهما عقائد أو لاهوت يختلف عن الآخر ويتميّز بها عليها، فالهوّة بينهما شاسعة في هذا المجال، بل إنّ في بعضٍ منها هناك تناقضاً تاماً، خاصّة في عقيدة الإلهية وبعض التّصوّرات حول طبيعة السيّد المسيح عليه السلام، والاختلاف في المجال العقائدي هذا هو الذي أشار إليه فضل الله واعتبره معوّقاً لاهوتياً للحوار بين الطرفين،² في حين لم يتعرّض بورمانس لذلك، فلم يتكلّم عن وجود معوّقات في هذا الشأن، بل ركّز

¹ - حسن البنا: رسالة العقائد، ص01، نقلاً عن: عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، ط12، دار التفانس، عمان، الأردن، 1419هـ/ 1999م، ص11.

² - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص26-27، 34.

اهتماماته على معوّقات أخرى ، وهذه نقطة فارقة بين الرجلين بخصوص هذا الشأن، ولذا يمكن عدّها من أوجه الاختلاف في مسألة العوائق.

إلا أنّ الحقيقة التي لا مهرب منها، ولا مفرّ من مقتضياتها؛ هي المتمثلة في كون أنّ الهوّة الكبيرة والموجودة بين الفريقين في هذا المجال، تشكّل بالفعل حاجزاً بينهما وبين الحوار؛ لأنّ المسألة عويصة والتعارض حولها شديد، لذلك يتحدّث هانس كونج* عن جزء منها، باعتبارها عائماً حوارياً يحول دون إجراء الحوار بين المسلمين والمسيحيين على الوجه المطلوب، ويأتي في مقدّمة ذلك؛ مسألة التثليث التي هي قضية جوهرية في العقيدة المسيحية، والتي يقف منها المسلمون موقفاً معارضاً بالكليّة، على الرّغم من التفسيرات التي يقدمها المسيحيون لهذه العقيدة، وأيضاً مسألة الحلول؛ أي تحوّل الله إلى الإنسان أو حلول اللاهوت في التّاسوت، والتي تعدّ كذلك نقطة اختلاف كبيرة بين الطرفين، إذ أنّها عقيدة مسيحية لا يوافق عليها الإسلام، على الرّغم من كون بعض المسلمين يقول بها**، وهناك قضية ثالثة يكثر حولها الجدل والاختلاف بينهما كذلك؛ إنّها مسألة الصّلب التي تعتبر النّهاية المؤلمة للمسيح في اعتقاد المسيحيين كما صرّحت بذلك التّصوص الإنجيلية***، وهي العقيدة التي يرفضها المسلمون رفضاً قاطعاً، ويفنّدونها تفنيدياً نهائياً، على اعتبار أنّها قضية مختلفة ولا أساس لها من الصّحة.¹

وفي هذا الصّدد، يمكن التّفريق بين وجهة نظر كلّ من الإسلام والمسيحية بخصوص العوائق العقائدية اللاهوتية، إذ أنّ كلّاً منهما يرى بأنّ صعوبة الحوار مع الآخر، إنّما تعود لبعض الأمور المستعصية والمعقّدة في

* هانس كونج؛ مدير معهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية التابع لجامعة توبنجن بجنوب غرب ألمانيا الاتّحادية، ولد عام 1928م في بلدة سورزيّة بسويسرا، والتحق بالجامعة البابوية، فدرس فيها الفلسفة من سنة 1948 إلى 1955م، ونصّب قسّاً عام 1954م بالكنيسة الكاثوليكية، ثمّ التحق بجامعة السّوربون وحصل على درجة الدّكتوراه عام 1957م، ثمّ عمل أبا روحياً بالكنيسة المركزيّة فيما بين 1957 و1959م، وفي عام 1960م عيّن أستاذاً بجامعة توبنجن لمادّة أصول الدّين المسيحي، وفي عام 1962م عيّنه البابا يوحنا الثالث والعشرون مستشاراً رسمياً بمجلس الكنيسة الأعلى، ومنذ عام 1963م وهو يعمل أستاذ أصول الدّين المسيحي ومدير معهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية، وله دكتوراه فخريّة من عدّة جامعات ، من مؤلّفاته: الكنيسة، أن تكون مسيحياً، مسألة وجود الله... (التوحيد والتبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، ص12-14).

** أوّل من تأثر بهذه العقيدة الحلاج الذي قتل بسبب قوله بالحلول على هذا المعنى، إذ قال عن نفسه: "أنا الحقّ" مدّعياً، كما تأثر بهذا المعتقد الغلاة من الشيعة الذين يعتقدون بحلول الله في جعفر الصادق، وكذلك السبئية والتّصيرية الذين يدعون حلول الله في علي بن أبي طالب، كما تأثرت بها الباطنية مثل: الإسماعيلية؛ الذين يعتقدون حلول الله في شخص الحاكم بأمر الله الفاطمي... (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مج2، ص1050).

*** للاطلاع على قصة صلب المسيح كاملة، ينظر: (مئى: 1/27-66، مرقس: 1/15-47، لوقا: 1/23-56، يوحنا: 1/18-40، 1/19-42).

¹ - هانس كونج وحوزيف فان إس: التوحيد والتبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، المرجع السابق، ص64-65.

هذا المجال، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تجسيد هذه العوائق سواء من الناحية الفكرية أو حتى من الناحية الواقعية.

وبناء على هذا تتلخّص صعوبات الحوار مع المسلمين من خلال منظور مسيحي في النقاط الآتية:¹

أولاً - اعتقاد المسلمين بأنّ عيسى عليه السّلام مجرّد بشر رسول، أرسل إلى بني إسرائيل؛ لتصحيح أو تقويم الفكر اليهودي المنحرف بواسطة الإنجيل.

ثانياً - اعتقادهم بأنّ الله قد أوحى إلى أنبيائه بتعاليم متّفقة في الأصل، وهي متتابعة في سلسلة انتهت بالوحي إلى النبيّ محمد ﷺ.

ثالثاً - اعتقادهم بأنّ عيسى عليه السّلام لم يُصلب ولم يقتل، وإمّا رفعه الله إليه؛ لأنّ ذلك ينطبق على التّصوّر الإسلامي للعدل الإلهي.

رابعاً - اعتقادهم بأنّ رسالة عيسى عليه السّلام كانت خاصّة ببني إسرائيل فقط، بينما رسالة محمد ﷺ كانت للنّاس كافّة.

خامساً - اعتقادهم أنّ الوحي يكون عن طريق وسيط هو جبريل عليه السّلام، ولا يكون باتّصال مباشر بين الله والإنسان؛ (أي بحلول اللاهوت في النّاسوت).

سادساً - تصوّر الإسلام لعقيدة التّثليث مبنيٌّ على فهم خاطئ لتصوّر المسيحي لهذه العقيدة.

سابعاً - إنكار الإسلام لإمكان أن يكون لله ولدٌ أو أولاد؛ للاختلاف الكلّي بين طبيعة الدّات الإلهية وطبيعة البشر.

ثامناً - معرفة وجود الله في الإسلام تأتي عن طريق التّلقّي المباشر (الوحي)، وليست عن طريق حلول الأب في الابن والحديث المباشر مع النّاس.

كما يمكن حصر صعوبات الحوار مع المسيحيين من خلال المنظور الإسلامي فيما يأتي:²

¹ - محمّد الشّاهد: أوجه الاتّفاق والاختلاف بين المسيحية والإسلام، بحث مقدّم لندوة الحوار المنظّمة في مدينة جومرسباخ بألمانيا في ماي 1979م، ضمن كتاب: التّوحيد والتّبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص 192-194.

² - المقال نفسه، ص 189-192، وينظر أيضاً: محمّد سيّد أحمد المسير: أصول التّصرائية في الميزان، القاهرة، 1998م، ص 10-98.

أولاً - اعتقاد المسيحيين أن عيسى عليه السلام إله أو ابن إله، وهو الأقوم الثاني في الثالوث المسيحي.

ثانياً - اعتقادهم -أيضاً- أنه؛ أي عيسى عليه السلام، ذو طبيعتين لاهوتية وناسوتية، أو أنه ذو طبيعة واحدة اجتمع فيها اللاهوت والناسوت؛ أي الإيمان بعقيدة الحلول والتجسد.

ثالثاً - قولهم بعقيدة التثليث؛ أي الاعتقاد بوجود ثلاثة آلهة، وهذا هو جوهر ديانتهم.

رابعاً - اعتقادهم أن رسالة المسيح عليه السلام ليست خاصة بني إسرائيل، وإنما هي رسالة عالمية للجميع، استناداً إلى نصوص إنجيلية*، وارتكازاً على النظرة البولسية.

خامساً - الزعم أنه -أي عيسى عليه السلام- مات مصلوباً مقتولاً من قبل أعدائه من اليهود، وكان موته بهذه الطريقة سبباً لتكفير الذنوب، وبالأخصّ تخلص البشر من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام التي التصقت بهم عن طريق الوراثة.

سادساً - عدم الإيمان بنبوّة محمد ﷺ والتّكفر لرسالته، وفي أحسن الأحوال لا يعدو كونه -في نظرهم- مجرد مصلح اجتماعي، أو داهية نجح في تكوين مجموعة متماسكة من حوله.

ومن أهمّ العوائق التي تقف في سبيل التفاهم بين المسلمين والمسيحيين بخصوص هذا المنحى؛ هو اعتقاد المسلمين بأنّ القرآن وحيّ من الله معنى ونصّاً، وأنّه لا يجري عليه التّغيير، وهو ما يؤدي إلى اتّهام المسيحيين بتحريف الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، ودليلهم على ذلك وجود أكثر من إنجيل وما بينها من اختلافات، بالإضافة إلى اعتقادهم بأنّ هذه الأناجيل ليست سوى مجموعة من أحاديث رواها تلامذة عيسى عنه، وليست هي نصّ ما قاله عيسى... وكذلك يعتقدون بأنّ عيسى قد أخبر ببعثة محمّد عليه الصّلاة والسّلام، ويعتبرون عدم وجود هذا الخبر في أيّ نسخة من النسخ الموجودة في الأناجيل** دليلاً على تحريف المسيحيين للإنجيل¹، والأمر نفسه بالنسبة للمسيحيين الذين لا يعترفون بالقرآن الكريم كتاباً سماوياً،

* من تلك النصوص الداعية والمركزة على عالمية الديانة المسيحية؛ ما جاء في إنجيل متى على لسان المسيح وهو يوصي تلاميذه: [....دفع إليّ كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض، فاذهبوا إذن، وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يعملوا بكلّ ما أوصيتكم به] (متى: 28/18-20).

** في الحقيقة هناك نصوص كثيرة في الأناجيل الأربعة تبشّر ببعثة النبيّ محمّد صلى الله عليه وسلّم، وقد أشرت إلى بعض منها في ص 33 من البحث.

¹ - محمّد الشاهد: أوجه الاتفاق والاختلاف بين المسيحية والإسلام، مقال سابق، ص 189.

بل يعدونه كتابًا بغيضًا وفضيعةً وملعونًا، وهو مليءٌ بالكاذيب والخرافات والفظائع.¹

إنّ هذه الأفكار والمتناقضات المذكورة آنفًا؛ كلّها عقبات عقائديّة لاهوتيّة تقف في وجه الحوار الإسلامي المسيحي على الوصف الموسومة به، ويبدو إنّه لمن الصّعبوبة بمكان تجاوزها، لكونها مسائل راسخة في الأذهان والمدارك والأفهام، غير أنّ هناك فريقًا من الطّرفين حاول تقصّي ذلك من خلال العودة إلى منابع الأولى والرئيسيّة، والمقاصد الأساسيّة لكلّ من الديانتين.

إذ أنّ هناك حديثًا عن الحقيقة المشتركة في الإسلام والمسيحيّة المبثوثة في بعض الأبحاث والدّراسات التي تُعنى بالبحث في مجال الحوار الإسلامي المسيحي، والتي مفادها؛ أنّ جوهر الديانتين واحدٌ غير مختلف بينهما، ذلك لأنّ الرّسالة المسيحيّة عظيمة الصّلة بالرّسالة الإسلاميّة قلبًا وقالبًا، من خلال وحدة المبادئ والكلّيات خاصّة في التّوحيد الإلهي المطلق كما اعترف بذلك المسيح عليه السّلام في القرآن الكريم* وكذلك في بعض النّصوص الإنجيليّة**، وأيضًا يمكن اكتشاف هذا الأمر في بعض العبادات والمعاملات، بالإضافة إلى الكثير من القصص التّراثيّة الموجودة هنا وهناك.²

وفي السّياق ذاته، وفي البيان التّهائي للقاء الإسلامي المسيحي المنعقد في عمان بين 28 و30 أيلول/سبتمبر عام 1985م، حول: "قيم الحياة العائليّة في المجتمع الحالي"، والذي شاركت فيه أربعون شخصيّة من مناطق مختلفة، ومن منطلق الجهل الكائن عند أبناء الديانتين كلّ منهما تجاه الديانة الأخرى، تمّ تلخيص بعض المعتقدات والأخلاق المشتركة التي اتّفقوا عليها، والتي رأوا أنّهم بإمكانهم عدم الاختلاف حولها، فعُدوها جامعًا مشتركًا يقرب بينهم ويجمعهم على كلمة واحدة، خصوصًا وأنّ الديانتان الإسلاميّة والمسيحيّة في أصلهما ينبعان من مشكاة واحدة مصدرها الوحي الإلهي والتّعاليم الرّبانيّة الحقّة، وقد تمثّلت هذه المشتركات العقائديّة أو اللاهوتيّة والأخلاقيّة في:³

¹ - محمد محمّد عيسى: الحوار مع الآخر وأهمّيته في الفكر الإسلامي، بحث مقدّم إلى ندوة كليّة الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الإمارات، ص21.

* يدلّ على ذلك في القرآن، اعتراف المسيح عليه السّلام بأنّه هو وأتباعه مريدون لله تعالى، وأمره إيّاهم بعبادته: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (١٦) (الزّحرف: 64).

** ورد في إنجيل يوحنا قول المسيح: [...] والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنت الإله الحقّ وحدك، والذي أرسلته؛ يسوع المسيح] (يوحنا: 03/17).

² - زيدان عبد الفتاح قعدان: آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دط، دار البشير، الأردن، 2005م، ص126-127.

³ - جوليت حدّاد: البيانات المسيحيّة الإسلاميّة المشتركة، مرجع سابق، ص152-154.

أولاً - نحن نعيش في كون يسوده الله بحفظه.

ثانياً - هذا الإله إلهٌ واحدٌ أحد، شامل الوجود، كلّي الحكمة والقدرة، وهو الخالق لنا الرّحيم بنا جميعاً.

ثالثاً - لقد أوحى هذه الإله للبشريّة بشرائعه الأساسيّة؛ التي تصلح لتوجيه سلوك الفرد وقيادة المجتمع.

رابعاً - جميعنا مدعوون لنسلم ذواتنا لمشية الله.

خامساً - جميعنا مسئولون تجاه الله وخاضعون لحكمه الإلهي.

سادساً - جميعنا متساوون لدى الله؛ إذ هو إله العدالة.

سابعاً - جميعنا نعم برحمة الله، الرّحمان الرّحيم.

إلا أنّه وبالرّغم من تقديم هذا الفصيل من التّذليلات أو الحلول لهذا التّوع من الميعقات على وجه العموم والإجمال، فإنّ الأمر لا يمكن تصوّره على هذا السّبيل من السّهولة والبساطة؛ لأنّه عندما ندخل في التّفصيلات الدّقيقة لكلا العقيدتين نجد فرقاً شاسعاً بين الدّيانتين فيهما، وهذا ما يشكّل عائقاً حقيقيّاً، ويمثّل عقبة كؤوداً في وجه الحوار بين الطّرفين الإسلامي والمسيحي، لذلك نظر فضل الله إليها على هذا الأساس من الاختلاف فجعلها من المعقّودات الحوارية،¹ في حين لم يشر نظيره بورمانس إليها في هذا الصّدّد، إيماناً منه بحتميّة الحوار بين المسيحيين والمسلمين، وسعيّاً منه كذلك إلى إحداث تقارب فيما بينهما، وذلك نابعٌ من كون أنّ هذا التّوع من الحوار لا يتطرّق إلى مناقشة العقائد والمبادئ الجوهرية في الأديان، بالقدر نفسه الذي يعالج فيه موضوعات فكريّة أخرى تدعم التّعاون بين أتباع الأديان، وكذا التّركيز على الحوار الحيّاتي الذي يجب أن يتجسّد على أرض الواقع؛² لأجل ذلك كلّه استنكف بورمانس عن ذكر مثل هذه المعقّودات.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 26-27، 34.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 167-169، وهل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 149-151.

المطلب الثاني: العوائق الحضارية الثقافية.

ليست العوائق العقائدية اللاهوتية وحدها فقط، هي التي تقف في وجه الحوار الإسلامي المسيحي، بل إنّ المسلمين والمسيحيين يصطدمون أيضاً ببعض العوائق الحضارية الثقافية، التي تقف هي الأخرى في سبيل تحاورهما أو إقامة علاقة حسنة فيما بينهما، وذلك نتيجة للمواقف المتعصبة والمتطرّفة والأحكام النمطية والرواسب الفكرية، التي تتكاثر جميعها في تكوين هذه المنبّطات والعقبات، والتي يعود تاريخها إلى ذلك الزمن الذي تعايش فيه الطرفان معاً جنباً إلى جنب، وتأكّدت في صورة واضحة في القرون الوسطى والحديثة.

وتلك هي الحقيقة التي اتفق عليها الرجلان، بوصفها حقيقة لها كيان قائم جُسد على أرض الواقع وفق مراحل زمنية متعدّدة، وهو الأمر الذي يعتبر نقطة تقاطعٍ بينهما، أو نظرة فكرية تجمعهما؛ بما أنّ كلّاً منهما قد أشار إلى ذلك على أساس أنّه عائقٌ للحوار الإسلامي المسيحي،¹ وهذا على وجه العموم والشمول والخطّ الكلي، من غير الدخول في التفصيلات الجزئية.

غير أنّ هناك فارقاً بيّناً بينهما في بعض الجزئيات الخاصة بهذه العوائق، فإذا كانا قد اتفقوا على أنّ التكفير والتراشق والترامي والنظرة أو الصورة النمطية التي يتبادلها الطرفان، وكذا الحقد والعداء الموجود لدى كلّ واحد منهما تجاه الآخر، وأيضاً التصوّرات الخاطئة التي ينسجها كلّ فريق تجاه الفريق النّظير، وإذا كان كلّ ذلك حاصلاً بين المسلمين والمسيحيين في نظر الرجلين،² فإنّ الفرق بينهما في هذا المجال يكمن في مجموعة في النقاط، منها:

- تركيز بورمانس على النظرة الإقصائية والصورة النمطية لكلّ من المسيحيين والمسلمين؛ أي الرؤية المسيحية للإسلام وكذا الرؤية الإسلامية للمسيحية، وذلك في كونها رؤية سلفية تقليدية تقوم على الاستهزاء والتّنتييص من أفكار ومبادئ الطرف الآخر؛³ أي الصّراع والنّزاع من خلال زاوية فكرية، أمّا فضل الله فإنّه

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص34، 36-37، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص96، 98-114.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص34، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص98-114.

³ - المصدر نفسه، ص96، 98-114.

ناقش الموضوع من زاوية أخرى، وهي المتمثلة في بيانه للانطباع الخطير، والمتمحور حول التكفير والتراشق بالهراطقات المتبادلة بين الطرفين؛¹ أي كون ذلك حاصلًا بالصراع اللفظي والنزاع الكلامي.

– إضافة إلى ذلك ينفرد فضل الله عن بورمانس بقضية تعتبر من صميم من الجانب الحضاري الثقافي؛ هي القضية الأخلاقية، حيث يذكر أنّ الانغلاق الفكري؛ المتمثل في عدم الانفتاح عن الآخر والانكباب على الذات، والتحجر والتعصب والجهل وعدم المعرفة بالمبادئ الفكرية والأسس اللاهوتية للطرف المقابل، وأيضًا الأساليب البدائية في مخاطباته، والتي غالبًا ما تستند إلى الكلمات البديعة والساقطة، كلّ ذلك يعدّ من العوائق الحوارية، خاصة بين المسلمين والمسيحيين، ومانعًا من التواصل بينهما،² وهي النقطة التي لم يشر إليها بورمانس، الذي اكتفى في هذا المجال بالشقّ الفكري كما أشرنا إلى ذلك آنفًا.

– الملاحظ أيضًا –ها هنا– توسّع بورمانس في تعريجه على هذه المعقّودات، حيث خصّص لها صفحات متعدّدة، كما مثل لها بنماذج كثيرة ومختلفة، بشيء من التفصيل والتدقيق والتّمحيص،³ وقد يعود ذلك –في نظره– لعظم شأنها، ومدى تأثيرها السلبي على واقع العلاقات المسيحية الإسلامية في الوقت الرّاهن، بينما لا نجد ذلك عند فضل الله، الذي تكلم عن هذا النوع من المعقّودات بصورة مقتضبة جدًّا على وجه العموم والشّمول، من غير تفصيل ولا إطناب، حيث لم يشر إليها إلّا في أسطر معدودات.⁴

ومن خلال تقرير هذه الفروقات الموجودة بين الرّجلين بخصوص هذا الشأن، يمكن استخلاص نتيجة فارقة مفادها؛ أنّ فضل الله يقرّر أنّ المعقّودات الحضارية الثقافية قد تكون سابقة أو متقدّمة على انعقاد المؤتمرات والجلسات الحوارية بين المسلمين والمسيحيين، وهو الأمر نفسه الذي يقرّره بورمانس، إلّا أنّ الأول –أي فضل الله– يزيد عن صاحبه؛ إمكانيّة أن تصحب بعض هذه المعقّودات تلك المؤتمرات والجلسات؛ بمعنى أنّها تكون مرتبطة بها مباشرة؛ أي العوائق بالجلسات، ويتأكّد هذا خاصّة في الأساليب التخاطبية البدائية عند التّحاور أو التّخاطب.

وعلى العموم، ومن خلال ما سبق ذكره، يتبيّن لنا –بعد اتّفاق الرّجلين–؛ أنّ هذا النوع من المعيقات، لهو حاجزٌ حقيقيٌّ، يمنع التّواصل المطلوب بين الطرفين الإسلامي والمسيحي، كما يصدّهم –ولو جزئيًّا–

1 – محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص34.

2 – المصدر نفسه، ص37، والحوار بلا شروط –تمرد على ثقافة الخوف–، مصدر سابق، ص12-13، 15.

3 – موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص98-114.

4 – محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص34، 37.

عن إقامة علاقات وطيدة فيما بينهما، وهذا هو الأمر الذي أثبتته تاريخ العلاقة بين أتباع الديانتين على مرّ العصور ومختلف المراحل الزمنية.

وفي هذا الشأن يعتبر الفكر المسيحي عقبة إبستيمولوجية تقف في وجه التواصل بين الإسلام والغرب؛ ذلك أنّ رجال هذا الفكر أو بالأحرى رجال الدين المسيحي، هم المسؤولون عن صناعة هذه القطيعة بين الطرفين، من خلال ما أثاروه من مساجلات ومناظرات ومجادلات وحجج حول عدّة موضوعات تتعلق بموقف الإسلام والمسلمين من طبيعة المسيح وأمه العذراء (عليهما السلام)، وكذا مسألة الحرّية الإنسانيّة والعدل الإلهي، وغيرهما من المشكلات العقديّة،¹ وذلك كمحاولة منهم لطمس حقيقة الإسلام ودور المسلمين الفعّال فيما قدّموه للحضارة الإنسانيّة في مختلف المجالات منذ ظهورهم.

ويأتي في مقدّمة هؤلاء المنظرين لهذه الفكرة أو المشتغلين بها حقيقة؛ يوحنا الدمشقي* الذي يعتبر أوّل من خاض معركة السّجال، نظرًا لمكانته الدّينيّة بين بني قومه، ووظائفه الإداريّة، والسّلالة التي انحدر منها، وعلمه الغزير، ومعرفته الواسعة باللغة العربيّة والسّريانيّة واليونانيّة، وبأحوال العرب وتاريخهم في شبه الجزيرة العربيّة، وهو أوّل من وضع قواعد ومبادئ الحجاج مع المسلمين، التي كانت هي نفسها المتداولة بين الطوائف المسيحيّة المختلفة في سجلاتهم حول طبيعة المسيح عليه السلام، وقد كانت اعتراضاته حول القرآن الكريم ومبادئ العقيدة الإسلاميّة، خاصّة في الأمور المتعلّقة بكلام الله عزّ وجلّ ونبوّة محمّد ﷺ، وذلك بإيراد الشّبهات، وتوجيه بعض الافتراءات والتّهم الخاصّة بذلك، وأيضًا وصف المسلمين بأبشع الصّفات؛ كالبدائيّة مثلاً، وقد ألّف بخصوص هذا الأمر كتابين اثنين؛ ضمّنها جميع أصناف الانتقاص والاستهزاء بالدين الإسلامي وكلّ ما يتعلّق به.²

ثمّ عمومًا، وفي هذا الصّدّد، وخوفًا من التأثير الرّوحي للإسلام بما له من آراء وأفكار على شعوب العالم، وتشويه بعض الحقائق في سبيل ذلك؛ يلجأ رجال الدين المسيحي إلى دعاية صاحبة لا تتورّع عن

¹ - عبد الحميد يويو: المسلمون وغيرهم.. العقبات الإبستيمولوجيّة، ضمن كتاب: الإسلام والغرب - نحو عالم أفضل -، ط1، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، الدار العربيّة للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1428هـ/ 2007م، ص90.

* يوحنا الدمشقي (675-749م)؛ هو حفيد منصور بن سرجون، رئيس ديوان المالتية على عهد الخليفة معاوية، وقد شغل منصبًا مهمًا في البلاط الأموي كممثل للمسيحيين لدى الخليفة في دمشق، إلّا أن ميله إلى الهدوء دفعه إلى اختيار الزهينة، فانضمّ إلى دير القديس سابا في القدس، اشتهر بالدّفاع عن الأيقونات المقدّسة، وهو شاعر مهمّ وناظم تساييح ما يزال الكثير منها يستعمل في صلوات الكنيسة الأرثوذكسيّة حتّى اليوم، وقد أعلنته الكنيسة معلّمًا للمسكونة؛ أي أبًا من آباؤها العظماء عام 1890م، من أعماله المشهورة؛ ثلاثيّة ينبوع الحكمة. (موسوعة الأديان الميسرة، ص506).

² - عبد الحميد يويو: المسلمون وغيرهم.. العقبات الإبستيمولوجيّة، المقال السّابق، ص90-92.

ارتداء كل شيء، بل وتتخذ شتى أنواع القذف ضدّ المسلمين، ويسعون بأيّة وسيلة إلى كسوف شمس هذا الدّين المشرق والتّبيل، وحنق صوته الحقيقي، وذلك بادّعاء أنّه -أي الإسلام- هو المسئول عن عدم تقدّم بعض الشّعوب والأُمم وتطوّرها ومواكبتها للحضارة الإنسانيّة؛ ممّا جعلهم بدائيين في معاملاتهم وأخلاقهم، وبعيدين كثيرًا عن متطلّبات عالم اليوم، ومثل هذا الادّعاء يعدّ جريمة ضدّ الجنس البشري بصفة عامّة، والمسلمين بصفة خاصّة، وإذا كان هذا الأمر صحيحًا؛ أي مسؤليّة الإسلام على تخلف المسلمين، فلماذا لم يستفد شعب جنوب إيطاليا مثلاً -حيث يحكم البابا- من متطلّبات الحضارة الحديثة.¹

وتبعًا لهذا المفهوم المتصوّر عن الإسلام، وخوفًا منه ومن أتباعه؛ حيكت العديد من المؤامرات الأمريكيّة الأوربيّة ضدّه، باعتباره عدوًّا مشتركًا ضدّ الكيان المسيحي في الغرب، فهذا الدّين في نظرهم؛ هو تهديد للمصالح الذاتيّة والمكاسب الشخصيّة، ولا فرق بينه وبين الكيان الشيوعي القديم، ماعدا الحلول مكانه واستحواذه على مناطق التّفوذ في العالم، وهي نظرة مبالغ فيها إلى حدّ كبير،² تدخل ضمن الصّراع الحضاري بين الشّرق والغرب، أو بالأحرى بين الإسلام والمسيحيّة.

ويعتقد بعض المفكرين أمثال صامويل هنتنغتون ولويس برنارد وغيرهما؛ أنّ هذا الصّدّام لا مفرّ منه، وأنّ الحرب العالميّة القادمة ستكون بين الحضارتين الغربيّة ذات الفكر المسيحي والإسلاميّة، ولأجل ذلك يوصون ب:³

أولاً- دعوة الغرب للاستيقاظ قصد تدارك الخطر الذي يهدّده من قبل الإسلام والمسلمين.

ثانيًا- دعوة الحكومة الأمريكيّة لمنع المزيد من هجرة المسلمين إلى أمريكا، كي لا يتزايد هذا العدد بمرور الزمن، ويصبح ذلك خطرًا على سكّان هذا البلد، ووضع المسلمين الموجودين هناك تحت المراقبة المستمّرة.

ثالثًا- قيام الولايات المتّحدة الأمريكيّة بتحريك استراتيجي لإجهاض الدّعوة الإسلاميّة ومحاربتها وهزيمتها.

وليس معنى هذا كلّه، أنّ العالم المسيحي هو وحده فقط المسئول عن هذه الفكرة الصّراعيّة الحضاريّة بين الإسلام والمسيحيّة، وبالتالي هو المنفرد بصياغتها وبلورتها على أرض الواقع، فحتّى ولو كان هو صاحب

¹ - Seyyed Mojtaba Mouss Avi Lari: **L' islam Et La Civilisation Occidentale**. Traduit Par: Bnikjou. Et M. Ar vondi. é diteur: Nahid chahbazi. 2009. P34.

² - Rvan Grignani: **L'occident Face à L' islam Militant De La Perception Du Conflit Ausc Movens De Résistance**. p12.

³ - إكرام لمعي: المسيحيّة الإنجيليّة (البروتستانتية) والموقف من الآخر، ضمن كتاب: مفهوم الآخر في اليهوديّة والمسيحيّة، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1429هـ/ 2008م، ص173.

السُّبْقُ إِلَيْهَا وَالتَّسَطُّ الْأَكْبَرُ فِيهَا، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ إِغْفَالُ دَوْرِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ فِي تَكْوِينِهَا كَذَلِكَ، وَهَمَّهُمَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ؛ هُوَ الْاسْتِحْوَاذُ أَوْ السِّيَادَةُ عَلَى الْعَالَمِ، "فَالْإِسْلَامُ وَالْمَسِيحِيَّةُ -عَلَى حَدِّ قَوْلِ شَلْمَاخِرٍ* - يَنَاضِلَانِ لِأَجْلِ السِّيَادَةِ عَلَى الْعَالَمِ، وَلَكِنَّ الْعِلَاقَةَ بَيْنَهُمَا لَيْسَتْ عِلَاقَةَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، بَلْ عِلَاقَةُ الْحَقِّ بِالْأَكْثَرِ امْتِلَاكًا لِلْحَقِّ (أَوْ أَيُّهُمَا أَكْثَرَ امْتِلَاكًا لِلْحَقِّ)".¹

وَلَمَّا كَانَ هَذَا التَّصَادُمُ الْحِضَارِيُّ التَّقَافِي سَبَبًا فِي صَعُوبَةِ التَّوَاصُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمَسِيحِيِّينَ، خَاصَّةً مِنَ النَّاحِيَةِ الْحِوَارِيَّةِ، سَعَى الْبَعْضُ مِمَّنْ يَنْتَمُونَ إِلَى هَاتَيْنِ الدِّيَانَتَيْنِ إِلَى مَحَاوَلَةِ التَّذْلِيلِ مِنْ شِدَّةِ هَذَا التَّنَازَعِ، وَالتَّخْفِيفِ مِنْ حَدِّتِهِ، حَتَّى يَتِمَكَّنَ الشَّعْبَانِ الْإِسْلَامِيُّ وَالْمَسِيحِيُّ مِنَ التَّلَاقِي وَالتَّحَاوُرِ وَالتَّفَاهُمِ، وَذَلِكَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ تَشَعُّبِ مَسَالِكِ هَذَا الطَّرِيقِ، وَكَثْرَةِ مَدَاخِلِهِ وَمَخَارِجِهِ.

فَفِي هَذَا السَّبِيلِ، وَتَحْقِيقًا لِلْمِتَعَى ذَاتِهِ، يَدْعُو هَانَسُ كُونَجُ الْمَسِيحِيِّينَ وَيَهْيِبُ بِهِمْ؛ أَنْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِإِيمَانِهِمْ بِرِسَالَةِ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْ يَعْتَرَفُوا بِنَبُوتِهِ اعْتِرَافَهُمْ بِنَبُوتِ عَيْسَى؛ لِأَنَّ كِلَيْهِمَا لَمْ يَكُنْ سِوَى نَبِيِّ وَنَذِيرٍ لِقَوْمِهِ، وَكِلَاهُمَا نَادَى بِتَوْحِيدِ اللَّهِ، وَيُخَلِّصُ مِنْ خِلَالِ ذَلِكَ إِلَى أَنَّ التَّبَشِيرَ وَالدَّعْوَةَ مِنْ جَانِبِ الْمَسِيحِيِّينَ وَالْمُسْلِمِينَ لَيْسَ لِهَذَا أَيْ دَاعٍ، وَيُرَى أَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ تَوْجِيهِ الْجُهُودِ إِلَى الْإِيمَانِ الْحَقِيقِيِّ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ، وَبِصَدْقِ أَنْبِيَائِهِ وَإِتِّبَاعِ مَا جَاءُوا بِهِ.²

وَلَا يَتِمُّ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خِلَالِ الْحِوَارِ الصَّادِقِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، إِذْ أَنَّ الْحِوَارِ بَيْنَهُمَا يَعْتَبَرُ اعْتِرَافًا مِنْ كُلِّ طَرَفٍ بِالْآخَرِ؛ فَهُوَ اعْتِرَافٌ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْمَسِيحِيَّةِ وَاعْتِرَافٌ مِنَ الْمَسِيحِيَّةِ بِالْإِسْلَامِ، وَهَذَا الْمَدْفِ يَرَاهُ الْبَعْضُ حَاجَةً مَلْحَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ أَكْثَرَ مِنْهَا لِلْمَسِيحِيِّينَ، فِي حِينٍ يَرَى آخَرُونَ أَنَّ الطَّرْفَ الْإِسْلَامِيَّ هُوَ الْخَاسِرُ فِيهَا، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ التَّسْلِيمُ بِذَلِكَ كَحْتَمِيَّةٍ لَا مَنَاصَ مِنْهَا؛ لِأَنَّ هَذَا الْحِوَارِ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِ يَرْفَعُ مِنْ مَسْتَوَى التَّفَاهُمِ، وَيَصَحِّحُ الصُّورَةَ الذَّهْنِيَّةَ التَّمْطِيَّةَ، وَيَصَوِّبُ الْمَعْلُومَاتِ الْفَاسِدَةَ وَالْمَشْهُوَّةَ الَّتِي يَتَعَرَّضُ لَهَا الْمُسْلِمُونَ، مِمَّا يَفْضِي إِلَى تَبْرُئَةِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْاِفْتِرَاءِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِ بِسَبَبِ التَّارِيخِ الطَّوِيلِ مِنَ الْمَجَابِهَاتِ

* فَرِيدْرِيكُ دَانِيَالُ إِرْنِسْتُ شَلْمَاخِرُ (1768-1834م)، عَالِمُ الْمَنِي لَاهُوتِيٍّ مِنْ عَائِلَةِ بروتستانتية معروفة، وفيلسوف وعالم الكتاب المقدس، معروف بمحاولة التوفيق بين الانتقادات الموجهة إلى التنوير مع المسيحية البروتستانتية التقليدية، ويشكل عمله جزءًا من مجال علم التأويل الحديث، كان له أثر عميق في الفكر المسيحي، ويعتبر زعيمًا مبكرًا للمسيحية الليبرالية وحركة الأرثوذكس، عين واعظًا مساعدًا فمرشدًا روحانيًا، وذاع صيته نتيجة مؤلفه "خطب في الدين"، كما اشتغل منصب قس وكاهن وأنتخب عضوًا بأكاديمية العلوم البروسية، من مؤلفاته: مناجاة النفس، نقد الأخلاق السابقة، الإيمان المسيحي طبقًا لمبادئ الكنيسة الإنجيلية... .

¹ - Busch Mann Theology To Day. P150.

نقلا عن: إكرام لمعي: المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية) والموقف من الآخر، مقال سابق، ص 206.

² - هانس كونج وجوزيف فان إس: التوحيد والتبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص 176.

العسكريّة أو السّياسيّة أو الثّقافيّة التي مازالت تؤثّر في العقل الغربي،¹ والحالة نفسها بالنّسبة للطّرف المسيحي الذي يسعى من خلال تحاوره مع نظيره الإسلامي إلى تصحيح بعض المفاهيم والمواقف الخاطئة التي يبتناها المسلمون تجاه المسيحيين.

لأجل ذلك، انعقدت بين الطّرفين مجموعة من اللقاءات تهدف إلى تلطيف الجوّ المشتج أو المضطرب الذي ساد العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة في مراحل زمنيّة عديدة، وتحقيقاً لعلاقات أفضل مبنية على التفاهم والتّعاون، منها:²

- لقاء قرطبة المنعقد فيما بين 10 و15 أيلول/سبتمبر عام 1974م، بغية: تقديم الإسلام للمسيحيين وتقديم المسيحيّة للمسلمين بشكل موضوعي ونزيه، الدّين والتّوسّع السّياسي، أزمة الإيمان لدى الشّباب...

- لقاء برّمانا اللبنايّة المنعقد فيما بين 12 و18 تموز/جويلية عام 1972م؛ لبحث سبل التفاهم والتّعاون بين المسيحيين والمسلمين على المستوى الإنساني، والتّأكيد على أنّ الحوار الحقّ يقوم على الاعتراف بالحرّيّة الدّينيّة المطلقة والاحترام المتبادل.

- لقاء هونغ كونغ الصّينيّة المنعقد فيما بين 04 و10 كانون الثّاني/جانفي عام 1975م، والذي تدارس فيه الطّرفان كيفيّة إمكانيّة التّعايش والتّفاهم والتّعاون بين المسيحيين والمسلمين في بلدان جنوب شرق آسيا.

- لقاء طرابلس الليبيّة المنعقد فيما بين 01 و06 شباط/فيفري عام 1976م، والذي ناقش مجموعة من القضايا؛ من أهمّها: إزالة الأفكار المسبقة والتّفاهم السيئ بين المسيحيين والمسلمين، وكذا بحث سبل التّعاون بينهما في الحياة اليوميّة...

إلى غير ذلك من اللقاءات المنعقدة بهذا الشّأن؛ لأنّ تصحيح الصّورة النّمطيّة وترميم التّشقّقات الحضاريّة والثّقافيّة؛ مهمّة جليّة تقع على عاتق المسلمين والمسيحيين في العالم المعاصر، من أجل التّخلّص من الرّواسب السّلبيّة التي كانت سائدة قديماً وخاصّة في القرون الوسطى؛ لأنّ بقاء هذه الرّواسب والتّماذي في تكثيف نسيجها من خلال التّراشقات والانطباعات اللاّ أخلقيّة، كلّ ذلك هو بمثابة عقبات تمنع من التّواصل بين الطّرفين، وهذا ما اتّفق عليه فضل الله وبورمانس عند تعقيبهما على المشاكل الحوارية التي تعترض المسلمين والمسيحيين في تحاورهما معاً.

¹ - سامر رضوان أبو رمان: محطّات سابقة في حوار الأديان - الطّبيعة السّياسيّة للحوار الإسلامي المسيحي -، بحث مقدّم لندوة: حوار الأديان مراجعة وتقويم، ص 81-82.

² - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 164-165.

المطلب الثالث: العوائق التاريخية السياسية.

إنَّ العوائق التاريخية السياسية؛ هي ضرب آخر من أضرب العوائق الحوارية، التي تشكّل عقبة في طريق الحوار الإسلامي المسيحي، وإتّما لعوائق لا تقلّ أهميّة عن سابقتيها اللتين تكلمنا عنهما في المطلبين السابقين؛ ذلك أنّها تشمل الحروب والنزاعات والصراعات السياسية الحاضرة والماضية التي حدثت وتحدث بين الطرفين، ممّا يحدث فجوة في العلاقات الإسلامية المسيحية، ينتج عنها فتورٌ في المبادلات الثقافية والفكرية، وتوتّر على المستوى السياسي والدبلوماسي والاجتماعي وحتى الديني، وقد كانت تلك الأحداث الأليمة الناتجة عن بعض الصراعات بين المسلمين والمسيحيين في الزمن الغابر، سبباً ذا أهميّة بالغة في تكوين حاجزٍ يمنع يصدّهما عن الحوار والتلاقي، وهو الأمر الذي اتّفق عليه كلٌّ من فضل الله وبورمانس،¹ وذلك من الناحية الإجمالية.

إلاّ أنّه وعند الخوض في التفصيلات والجزئيات، يتجلّى لنا فارقٌ كبير بين الرجلين في هذا المجال؛ لأنّ كلّاً منهما عالج أو بالأحرى تطرّق لهذه العوائق من وجهة نظره الشخصية، بحسب ما تبدّى له من أمور وملايسات وأحداث شكّلت لديه تصوّراً خاصّاً، ساق من خلاله أو عدّد وفقه هذه المعوقات بالشكل الأنف الذكر، ويمكنني الوقوف على أهمّ تلك الفروقات فيما يأتي:

- استناد فضل الله في تبيانه لهذا النوع من العوائق إلى الأحداث السياسية الحالية؛ أي التي تجري وقائعها في الوقت الراهن،² بخلاف بورمانس الذي استند في هذا الموضوع إلى تلك الحروب والنزاعات والصراعات التاريخية التي حدثت سابقاً، أو جرت أحداثها فيما مضى من زمن.³

- حصّر بورمانس هذه الصدمات التاريخية السياسية في الجانبين الإسلامي والمسيحي وقصرها عليهما فقط؛ أي أنّها - في نظره - هما المسئولان الوحيدان على نشوء ما حصل بينهما من مشادات ونزاعات وحروب،⁴ بينما - وبالإضافة إلى ذلك - يقحم فضل الله الأطراف الخارجية التي لا تنتمي إلى هذين

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص32، 34، 37، 401-402، 416، وموريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص95-96، وهل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص162-163.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص34، 68، 237.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السابق، ص95.

⁴ - المصدر نفسه، ص95-96.

الكيانين، وبعدها -بما تخطّط له من مؤامرات ودسائس- مسئولة أيضاً عن إعاقة تقدّم مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي.¹

- حصر فضل الله هذه المشاكل السياسيّة والتي تشكّل عائقاً بين تواصل الطرفين، في المسألة اللبنانيّة؛ أي أنّ المحيط اللبناني هو المسرح الذي يحتضن ويستوعب هذه العوائق، والتي يأتي في مقدّمها الخوف المسيحي من قيام دولة إسلاميّة في لبنان،² في حين لا يقتصر بورمانس على مثال محصور في منطقة محدّدة أو مكان معيّن -في هذا المجال-، وإنما يذكر ذلك على وجه العموم؛³ لأنّ الحروب التي وقعت بين العالمين المسيحي والإسلامي شملت العديد من البلدان والأوطان.

- والملاحظ كذلك في هذا الشأن، أنّ بورمانس يركّز على تسبّب الطّرف المسيحي في إثارة هذه المعيقات؛ بفعل ما ارتكبه من جرائم في حقّ المسلمين، غير أنّه لم يبرئ هؤلاء -أي المسلمين- تماماً من أن يكون لهم قسطٌ أو مساهمة ولو قليلة في صناعة تلك المعيقات أيضاً،⁴ أمّا فضل الله فإنّه ينسب ذلك إلى المسلمين بالصّفة الأكبر، على اعتبار خوف المسيحيين منهم أو من دولتهم إنّ هي أقيمت على أرض لبنان، وينسبه كذلك لبعض الأطراف الخارجيّة التي لا تتوانى عن إثارة النّعرات بين المسلمين والمسيحيين في هذا البلد، إلّا هذا لا يعني أنّه بغضّ الطّرف عن مساهمة الطّرف المسيحي في صناعة هذه العوائق أيضاً، غير أنّ ذلك كان بصورة باهتة.⁵

هذه هي أهمّ نقاط الافتراق بين الرّجلين بهذا الصّدّد، وعلى الرّغم من اختلافهما البيّن حول ذلك، لّا أنّهما متّفقان تماماً على وجود عوائق تاريخيّة وسياسيّة تعمل على عرقلة مسيرة الحوار بين المسلمين والمسيحيين.

فقد شهدت العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة خلال القرون الماضية؛ العديد من فترات الصّراع ومواطن المجابهة والاحتكاك، كان من أولها الحروب الصّليبيّة التي سنّتها الممالك المسيحيّة الأوربيّة على الشّرق الإسلامي، والتي أستهلّت بسلسلة من المذابح التي ذهب ضحيّتها عشرات الآلاف من المسلمين، وتمخّضت عن إنشاء إمارات صليبيّة في بلاد الشّام، وقد كان ذلك كلّه بفعل رجال الدّين المسيحيين

1 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص36-37.

2 - المصدر نفسه، ص34، 401.

3 - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص96.

4 - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

5 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص34.

وبتحرير منهم، ثم جاء الاستعمار الأوربيّ الذي قسّم البلاد الإسلاميّة إلى مناطق نفوذ خاضعة للدول الاستعماريّة؛ فقتل وشرّد وخرّب ومزّق الكيان الإسلامي، وقبل مغادرته هذه الأراضي؛ أنشأ فيها كياناً غريباً؛ هو الكيان الإسرائيلي الذي وُجد ونما بحضانة الغرب المسيحي، هذا الكيان الذي تسبّب هو الآخر العديد من الجرائم والانتهاكات في حقّ المسلمين، وقد أصبح هذا التاريخ وما نتج عنه من عامل نفسي؛ عائناً رئيسياً للحوار الإسلامي المسيحي لكلّ من الطرفين الإسلامي والمسيحي.¹

وإذا كان الحوار الإسلامي المسيحي متأثر سلباً بالوقائع التاريخيّة الماضيّة، فإنّه مازال كذلك يتأثر في الوقت الرّاهن المعاش بوجود العديد من بؤر الاحتكاك بين المسلمين والمسيحيين؛ مثل: أحداث الفلبين، ثمّ أحداث البوسنة والهرسك، ثمّ أحداث أفغانستان والعراق، ويضاف إلى ذلك السلوك الغربي المناهض للإسلام، والذي يتسم بالازدواجيّة في التعامل مع القضايا المتعلّقة بالمسلمين، وتحيّزه ودعمه العسكري والاقتصادي غير المحدود للكيان الإسرائيلي.²

وتعتبر هذه الأحداث التاريخيّة والمحطّات السياسيّة المذكورة أنفأ؛ غيض من فيض من مجموع ما حصل ويحصل بين المسلمين والمسيحيين من سوء تفاهم في كثير من بقاع العالم، الأمر المناقض تماماً لمسيرة الحوار فيما بينهما، بل إنّها معيقة له في معظم الأحيان؛ لأنّ حدوث مثل هذه الصّدّامات والصّراعات، هو ضربٌ من أضرب الحوار بالسّلاح الذي يغيب معه الحوار الفكري الذي لا يتمّ إلّا بتوقّر الأمن والسّلام والتّفاهم بين الأطراف؛ إذ لا يجتمع هذان الضّربان في الآن نفسه، كما لا تستقيم ظروف أحدهما بوجود الآخر.

لذلك ظهرت في الزّمن الحديث والمعاصر؛ بعض المحاولات الجادّة الداعيّة إلى نسيان الماضي وتجاوز تلك الأحداث الأليمة التي طبعت العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة سابقاً، ومن صميم ذلك؛ دعوة المجمع الفاتيكاني الثّاني لعقد صلح إسلامي مسيحي، حيث يذكر هذا المجمع في النّصّ أو البيان المخصّص للديانة الإسلاميّة؛ أنّ التاريخ عرف عدداً غير قليل من النزاعات والتّوترات بين المسيحيين والمسلمين، ثمّ يدعو الجميع إلى تجاوز ذلك، وأن يجعلوا باجتهادٍ صادق؛ سبيلاً للتّفاهم فيما بينهم، وأن يتماسكوا من أجل جميع النّاس، على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعيّة والقيم الأدينيّة، والسّلام والحرّيّة، ويبرز هذا النّصّ كذلك أنّ هذا التّفاهم والتّعاون ليس ضدّ طرفٍ آخر ولكنّه من أجل الجميع، لذلك يذكّر بالأخوة الشّاملة بين

¹ - سامر رضوان أبو رمان: محطّات سابقة في حوار الأديان - الطّبيعة السياسيّة للحوار الإسلامي المسيحي -، مقال سابق، ص 93-94.

² - المقال نفسه، ص 94.

جميع البشر، وكذا الرّابط الأساسي الذي يكون بين العلاقة بالنّاس والعلاقة بالله، ممّا يعني الاستنكار لجميع أنواع التّفرة بين البشر على أساس كلّى.¹

وفي السّياق ذاته، ومن خلال البيان الصّادر عن لجنة العمل للتّعاون الإسلامي المسيحي في شباط/فيفري عام 1955م، تمّت الإشارة إلى وجوب إحلال السّلام والتّعاون بين الطّرفين الإسلامي والمسيحي، وذلك في البند الثّالث عشر منه، والذي جاء فيه:²

"وأنا لنعاهد أنفسنا بذل أقصى جهدنا لإنماء روح الصّداقة بين أبناء ديانتيّنا، واستئصال التّعصب وسوء الفهم، وخلق جوّ الأخوة وحسن التّفاهم بينهما، بكلّ الوسائل الممكنة".

وإذا ما تمّ ذلك، وأيضاً تمّ القضاء على جميع الصّراعات والحروب بين الطّرفين بجميع أشكالها، فإنّ باب الحوار الإسلامي المسيحي سيُفتح على مصراعيه بغية تبادل الأفكار والخبرات الموجودة لدى أتباع الدّيانتين؛ المسيحيّة والإسلام.

المطلب الرابع: العوائق الحياتية الواقعية (المعاصرة).

على أرض الواقع، وبعوض البلدان والدّول؛ يعيش مزيج إسلامي مسيحي معاً، كمواطنين ينتمون إلى وطن واحد وعرق واحد، أو كحيران من أوطان شتى وجنسيات مختلفة، ويرسمون من خلال ذلك تعدّدية ثقافية ودينية متجانسة في كثير من الأحيان، ومتنافرة في بعض الأحيان الأخرى، وهذا التّنافر أو عدم التّجانس قد يخلق مشاكل عديدة، تمسّ ضرورياً شتى من الحياة اليوميّة الواقعيّة؛ ممّا يشلّ حركة التّواصل والتّفاهم بين الفريقين، وهذا هو المعبر عنه بالعوائق الحياتية الواقعية.

وهي التي اعتبرها بورمانس عاملاً رئيسياً في تشييط المسيحيين والمسلمين، وعائفاً محورياً للحوار بينهما، حيث حصرها في خمسة أصناف أو خمس قضايا هي: المحرّمات الغذائيّة والشّرابيّة، الزّواج المختلط، الدّعوة والتّبشير، الأقليات الدّينية، الصّدام الحضاري بين الغرب والإسلام، وجميع هذه القضايا يراها مساهمة في إحداث نوع من الحساسيّة بين الطّرفين؛ لما لها من أثر سلبيّ على العلاقة الآتية والمستقبلية بينهما.³

¹ - كريستيان فان نسين: مفهوم الآخر في الرّؤية المسيحيّة، ضمن كتاب: مفهوم الآخر في اليهوديّة والمسيحيّة، مرجع سابق، ص112.

² - جوليت حداد: البيانات المسيحيّة الإسلاميّة المشتركة، مرجع سابق، ص17، 22.

³ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص174-178.

الأمر الذي لم يتحدّث عنه فضل الله على أنّه من عوائق الحوار الإسلامي المسيحي بصورة واضحة، بل إنّ فقط، أشار إشارة عابرة إليها مقصورة على الحالة اللبنانية - بخلاف بورمانس الذي تحدّث عن ذلك بصورة عامّة - إلى بعض من سوء التفاهم الكائن بين المسلمين والمسيحيين هناك،¹ وهذه نقطة فارقة بينهما في هذا المجال.

بل إن قضيتنا الدّعوة إلى الإسلام والتّبشير بالمسيحيّة، واللّتان اعتبرهما بورمانس من معوّقات الحوار الحيّاتيّة بين المسلمين والمسيحيين، لكونهما وجهين من أوجه التّنافس والصّراع بين الطّرفين أو اجتلاباً دينياً منحرفاً،² هاتان القضيتان - وخلافاً لبورمانس - عدّهما فضل الله من الأمور التي تدعم الحوار الإسلامي المسيحي، فهو بعد أن يعترف بوجودهما كحالة واقعيّة في قوله:

"ونحن نلاحظ الكثير من الأحاديث المتبادلة بين المسلمين والمسيحيين حول دخول مسيحي في الإسلام بفضل الدّعوة الإسلاميّة، أو دخول مسلم في المسيحيّة بفضل التّبشير، حيث يتّهم المسلمون المسيحيين بأنّهم يريدون نصرنة المسلمين، بينما يتّهمهم المسيحيون في الجانب الآخر بأنّهم يريدون أسلمة المسيحيين، وقد يتمثّل ذلك بشكلٍ حسّاس في الواقع اللبناني الذي يعيش حساسيّة مفرطة في هذا المجال".³

يردّف ذلك، بل ويؤكّد أيضاً، بأنّ هذه العمليّة الدّعويّة التّبشيريّة يمكن أن تكون حالة من التّنافس بدل أن تكون حالة من الصّراع، فيقول:

"إنّ علينا في العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة في الحاضر والمستقبل، إثارة الحوار حولها - أي حول العمليّة الدّعويّة التّبشيريّة - من أجل تنظيم هذا الواقع؛ لأنّ إلغائه غير ممكن، لعلاقته بالأصول المتحدّرة في عمق الإيمان، ممّا يجعل التخلّي عنه تخليّاً عن الإيمان نفسه في خطّ الحركة والامتداد، حتّى نتحقّق من سلبياته، لتكون المسألة؛ مسألة حوار موضوعي في التّطاق الفكري، في عمليّة تنافس لا صراع".⁴

غير أنّ هذه الفكرة لا يجب التّسليم بها مطلقاً؛ لأنّها فكرة قد تصطدم بالواقع المرّ في هذا الشّأن، إذ أنّ كلّ فريق من الفريقين سيسعى بفضل ما يمتلك من وسائل مادّيّة وقدرات معنويّة إلى حيازة أكبر عدد ممكن

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 66-71، 89-90، 112.

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسلمين والمسيحيين، مصدر سابق، ص 116.

³ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السابق، ص 111.

⁴ - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

من الناس واجتمعات إلى دينه أو عقيدته، بل إنَّ أمرًا كهذا بإمكانه أو من شأنه أن يعطل مسيرة الحوار بينهما، كما أشار إلى ذلك بورمانس.

وبغضِّ النظر عن هذا الفارق الموجود بين الرجلين في هذه المسألة، نجد أيضًا فارقًا آخر مهمًّا بينهما، يتمثل في نوعيّة هذه العوائق، فإذا كان بورمانس قد اعتبر أنّ الزواج المختلط والمخرّجات الغذائية والشرابية جزء منها؛¹ أيّ أنّه طرقها من خلال أحكام الأسرة والأحوال الشخصيّة وبعض المنوعات والمباحات في المأكل والمشرب، فإنّ فضل الله نظر إليها من جانب العقوبات والحزّيات والرّق وغير ذلك من الأمور؛² أيّ أنّه طرقها من جانب التعزير والقضايا الجنائيّة ونظام الحقوق والواجبات.

ثمّ إنّّه -أي فضل الله- عبّر عن ذلك بصورة مختصرة جدًّا؛ بمعنى أنّه تحدّث عن هذه العوائق الحياتيّة في كلمات معدودات،³ لا تفني بالغرض ولا تعبّر عن المقصود كما هو مطلوب، في الوقت الذي توسّع فيها بورمانس؛ حيث تكلم عنها في فقرات متعدّدة،⁴ تغني الباحث عن البحث عنها في مواطن أخرى، ولعلّ عزوف فضل الله عن فعل ذلك يعود إلى اهتمامه بالمسألة السياسيّة في لبنان وانشغال فكره بها، حيث خصّص لها صفحات كثيرة⁵ خاصّة في كتابه: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي"، وهذا أمر منطقي باعتبارّه مواطنًا لبنانيًّا عايش تطوّرات بلده مرحلة مرحلة وخطوة خطوة.

إلا أنّ ما يجمع الرجلين -هاهنا-؛ مسألة التعدّدية الدينيّة وكذا مسألة الأقليات، على كونهما قد تكونان من الأمور أو القضايا الشائكة التي تعيق تقدّم مسيرة أو حركة الحوار الإسلامي المسيحي، بما تشكّلانه من حساسيات أو حتّى بعض الصّراعات في العديد من مناطق العالم التي تتواجد فيها أقليات دينيّة وأيضًا تنوّع ديني واختلاف عقائدي أو مذهبي وما إلى ذلك من هذه المسائل،⁶ ذلك أنّ هذين القضيتين يعتبران وجهان لعملة واحدة بما أنّهما يقتربان من بعضهما البعض، بل ويشتركان في كونهما يعبران

1 - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 115-116.

2 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 34.

3 - المصدر نفسه، والصّفحة نفسها.

4 - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 174-178.

5 - ينظر: محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، المصدر السّابق، ص 28-30، 63-84، 117-126.

6 - المصدر نفسه، ص 76-77، وموريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، المقال السّابق، ص 176-177.

عن وجود أكثرية وأقلية وتنوع ثقافي وفكري وديني في المجتمع الواحد أو في الوطن الواحد، الأمر الذي قد تنجم عنه مشاكل عديدة موازية لبعض الإيجابيات الموجودة في الجهة المقابلة.

وعلى كل حال، يمكن القول بأنّ العوائق الحياتية الواقعية والمعاصرة تشكّل خطراً كبيراً على واقع الحوار بين المسلمين والمسيحيين وتهدّد تطوّره في الزمن المستقبل، لذلك وباستقراء موضوعات معظم الملتقيات والمؤتمرات التي قامت بين المسيحيين والمسلمين، نجدتها تصوّب نظرها نحو مثل هذه المسائل؛ ك:¹

- الانفتاح والتعاون لإزالة التعصّب وسوء التفاهم.

- التعايش الإسلامي - المسيحي.

- التعاون في التنمية الإنسانية.

- المرأة في المجتمع في نظر الإسلام والمسيحية.

- قيم الحياة العائلية في المجتمع الحالي.

- المبادئ الأخلاقية والممارسات في حقل البرامج الإنسانية والتنمية.

*بعد عقد هذه المقارنة بين الرجلين في هذا المجال، يمكنني القول: بأنّه وعلى الرغم من وجود بعض التشابه بينهما بخصوص هذا الشأن من حيث العموم والشمول والكلّيات، إلّا أنّه عند الخوض في الجزئيات نلاحظ وجود الكثير من الفوارق بينهما كذلك، ثمّ إنّ هناك أموراً يقتصر ذكرها على واحدٍ منها فقط دون الآخر؛ أيّ إمّا أن تكون موجودة عند فضل الله دون بورمانس أو تكون موجودة عند بورمانس دون فضل الله.

¹ - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 05-06.

خلاصة الفصل:

بعد عرضي لعوائق الحوار الإسلامي المسيحي عند كلِّ من محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس، والمقارنة بينهما في هذه المسألة، يمكنني -وبصفتي إجمالية- إبراز بعض أوجه التشابه وكذا بعض أوجه الاختلاف بخصوصها، لكن وقبل ذلك أقول إنّ العوائق في نظر فضل الله تتلخّص في:

أولاً - الانطباع التكفيري المتبادل أو التّراشق بالهرطقة. ثانياً - طبيعة المعتقدات والتّشريعات.

ثالثاً - الدّولة الإسلاميّة في لبنان. رابعاً - الانغلاق الفكري والأساليب البدائيّة.

خامساً - الأطراف الخارجيّة أو العائق الأجنبي.

وفي نظر بورمانس تتلخّص في:

أولاً - مظالم الماضي أو الصّدّامات القديمة. ثانياً - الرّؤية المسيحيّة التّقليديّة للإسلام.

ثانياً - الرّؤية الإسلاميّة التّقليديّة للمسيحيّة. رابعاً - المعوّقات الحياتيّة الواقعيّة (المعاصرة).

وأما بالنسبة لأوجه الشّبه بينهما، يمكن تلخيصها في التّقاط الآتية:

أولاً - اتّفاق الرّجلين على وجود أمور عديدة أو مجموعة من القضايا؛ مسئولة عن عرقلة الحوار بين المسلمين والمسيحيين.

ثانياً - اتّفاقهما - كذلك - على مسئوليّة كلّ من المسلمين والمسيحيين عن صناعة هذه العوائق، أو المساهمة فيها بقدر كبير؛ أي أنّ هناك عوائق مشتركة -من حيث نشأتها- بينهما، حيث ساهم كلّ منهما في تكوينها.

ثالثاً - اشتراكهما في ذكر بعض العوائق من حيث الشّكل العام الخارجي؛ كالعوائق الحضاريّة التّقافيّة والعوائق التّاريخيّة السياسيّة مثلاً.

رابعاً - محاولة كلّ منهما اقتراح بعض الحلول الممكنة، بغية التّصدّي لتلك العوائق، أو على الأقلّ إيمانها بضرورة المسارعة في ذلك، حيث يقول فضل الله بعد تعداده لجملة من المعوقات:

"...هذه الأمور وغيرها قد تشكلت عقبات، ولكن المنطق يقول: بأنه لا يجوز أن تُواجه بطريقة الهروب منها، ومن علامات الاستفهام الكثيرة حولها، إنّ المشكلة تكمن في مواجهتها بأساليب المجاملة التي يُراد منها تغطية السلبات العميقة، مما يجعل المسألة بعيدة عن ساحة الفهم العلمي والتفهم الإنساني، وهذا قد يؤدي إلى انعكاسات مضرّة على الواقع العام، لذلك كانت ضرورة الحوار في لبنان، وعلى مستوى حركة الإسلام والمسيحية في العالم، لتخفيف الكثير من السلبات السياسيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والأمنيّة...".¹

ويقول في موضع آخر بخصوص هذا الشأن أيضاً:

"وحتى نُدلّل العقبات التي تعترض الحوار الإسلامي المسيحي، نقول: على دعاة الحوار الاندفاع إلى الواقع الشعبي من أجل أن يجعلوا الحوار ذهنيّة المجتمع كلّ من مسلمين ومسيحيين، وبذلك لا يستطيع الذين يعطلون الحوار الوصول إلى هدفهم، ثمّ إنّ للإعلام دوراً هاماً في تفعيل هذه الذهنيّة، إذ أنّ من مهامه طرح قضية الحوار بشكلٍ رسمي وغيره، ممّا يخلق مناخاً حوارياً نحن بحاجة ماسّة إليه قبل الدخول في مفردات الحوار، وهذا يتطلب استنطاق رجالات الفكر وجميع الخطوط السياسيّة الإسلاميّة منها والمسيحيّة".²

والأمر ذاته نجده عند بورمانس، الذي نلمس من خلال صياغاته لبعض العناوين التي عبّر بها عن العوائق؛ اقتراح مجموعة من الحلول، وذلك مثل:³

1 - الاعتراف بمظالم الماضي ونسيانها. 2 - التحرّر من الأحكام السلفيّة الخاطئة الأكثر انتشاراً.

3 - معرفة رأي المحاور المسلم في المسيحيّة والعكس. 4 - عدم التّغاضي عن العوائق الباقية (الحياتيّة).

ويقول في هذا الشأن بعد أن عدّد جميع هذه العوائق:

"ومن حسن الحظّ أنّ هناك من الجانبين مؤمنين كثيرين استطاعوا أن يعيدوا تلك العوائق إلى حجمها الصّحيح، وأملهم الحقيقي هو بلا ريب؛ أن يتمّ إلغاؤها، ولكن تحول دون ذلك حتى اليوم عوامل كثيرة لا ترتبط بإرادتهم، فلا بدّ لهم إذن من أخذ العلم بذلك وقتياً ومراعاته في سعيهم إلى التّقارب".⁴

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 34-35.

² - المصدر نفسه، ص 37-38.

³ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 95، 98، 106، 115.

⁴ - المصدر نفسه، ص 117.

وتتلخّص أوجه الاختلاف بينهما في التقاط الآتيّة:

أولاً - هناك بعض العوائق انفرد بها كلٌّ منهما عن صاحبه، ففضل الله؛ انفرد بذكر العوائق العقائديّة اللاهوتيّة التي لم يهتمّ بها بورمانس كثيرًا، وهذا الأخير انفرد بذكر العوائق الحياتيّة الواقعيّة التي لم يشر إليها فضل الله إلاّ بشكلٍ عابر.

ثانيًا - في أغلب الأحيان، يسرد فضل الله العوائق متعلّقة بالجانب الإسلامي؛ أي يحمّل المسلمين مسئوليّة تلك العوائق يجعلهم سببًا وجيهًا في تكوينها، في حين يسردها بورمانس متعلّقة بالجانب المسيحي؛ أي أنّه يحمّل المسيحيين مسئوليّتها يجعلهم سببًا وجيهًا في تكوينها.

ثالثًا - حصر فضل الله هذه العوائق -غالبًا- في لبنان، بحيث يتحدّث عنها في دائرة ضيقة محصورة لا تخرج عن التّطاق العربي اللبناني، أو قصرها على المسلمين والمسيحيين المواطنين في هذا البلد، بخلاف بورمانس الذي يتحدّث عنها بصورة عامّة؛ أي لا يحددها بمكان معيّن، بل إنّها عنده تشمل المسيحيين والمسلمين أينما كانوا وحيثما حلّوا.

رابعًا - تحمّل فضل الله مسئوليّة هذه العوائق إلى أطراف خارجيّة غير إسلاميّة ولا مسيحيّة، إضافة إلى المسلمين والمسيحيين، أمّا بورمانس فإنّه يقصرها على هذين الطرفين دون سواهما، وبعبارة أخرى، يعتبر هذا الرّجل أنّ هذه المسألة مسألة داخلية لا تخرج عن الوسط المسيحي الإسلامي، بخلاف صاحبه الذي يعتبرها مسألة داخلية وخارجية في الوقت ذاته.

خامسًا - تركيز فضل الله على الجوانب السياسيّة والحضاريّة من هذه العوائق بصفة كبيرة تفوق ما سواها من الجوانب الأخرى، وتركيز بورمانس على الجوانب الدّينيّة والاجتماعيّة أكثر ممّا سواها.

سادسًا - توسّع بورمانس في معالجة هذه العوائق بشكلٍ كبير، حيث خصّص لها صفحات عديدة من بين بعض مؤلّفاته، وشرحها شرحًا معمّقًا يُوفي بالغرض المطلوب، ويُغني عن الرّجوع إليها في موضع آخر، بخلاف فضل الله الذي لم يتوسّع فيها، بل إنّ سردها بصورة مقتضبة، حيث لم يخصّص لها إلاّ بعض الأسطر والكلمات المعدودات.

سابعًا - إضافة إلى ذلك يتحدّث فضل الله عن بعض هذه العوائق بأسلوبٍ ظنيّ ممكن الوقوع أو الحدوث، بخلاف بورمانس الذي يتحدّث عنها كلّها بأسلوب تأكيدٍ يدلّ على وجودها فعلاً وحدثها أمرًا واقعًا لا محيد عنه أو لا سبيل إلى تجاهله.

ثامناً- إمكانيّة وجود هذه العوائق قبل وأثناء عمليّة التّحاور بين المسلمين والمسيحيين بالنّسبة لفضل الله الذي اعتبر أنّ الألفاظ البذيئة والأساليب البدائيّة من تلك العوائق؛ وهي لا تكون إلّا أثناء التّحاور، أمّا بالنّسبة لبورمانس فإنّها لا تكون إلّا سابقة أو متقدّمة عن الحوار بين الطّرفين.

وبعد ذلك يمكن القول: بأنّ القضاء على هذه المعوّقات من خلال البحث عن سبل معالجتها والقضاء عليها أو الحدّ من حدّتها؛ هو الذي يقود إلى حوار إسلاميّ مسيحيّ ناجح كما تريده الأطراف المتحاورّة؛ محقّقاً لأهدافه، متغلّباً على مشاكله والمشاكل التي تتخبّط فيها شعوب العالم في كثير من المناطق، مؤثّياً أكله والنتائج المنتظرة منه، وحينئذٍ يكون له آفاقٌ مستقبليةٌ مجدّدة لإيجابيات الماضي وقاضيّة على سلبياته، ضاربة في عمق الحاضر والمستقبل، لذلك يبحث الفصل الآتي من هذا البحث عن بعض هذه الآفاق ومقتضياتها من وجهة نظر كلّ من فضل الله وبورمانس.

❖ الفصل الخامس: الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي

المسيحي .

➤ تمهيد .

➤ المبحث الأول: الآفاق المستقبلية عند محمد حسين فضل الله .

- المطلب الأول: تطوير العلاقات الإسلامية المسيحية.
- المطلب الثاني: مواجهة الاستكبار العالمي.
- المطلب الثالث: تحقيق الوحدة الوطنية في لبنان.
- المطلب الرابع: دعم القضية الفلسطينية ومجابهة الاحتلال الإسرائيلي.

➤ المبحث الثاني: الآفاق المستقبلية عند موريس بورمانس .

- المطلب الأول: إنماء التعاون المسيحي الإسلامي.
- المطلب الثاني: تحقيق التقارب المسيحي الإسلامي.
- المطلب الثالث: تطوير حركة الحوار بين المسيحيين والمسلمين.
- المطلب الرابع: تجديد العلاقات المسيحية الإسلامية بعد أحداث 11 سبتمبر.

➤ المبحث الثالث: المقارنة بين الآفاق المستقبلية عند الرجلين .

- المطلب الأول: بناء علاقة إسلامية مسيحية.
- المطلب الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي بين الضرورة والتطوير.
- المطلب الثالث: بين المكاسب السياسية والمقاصد الدينية.
- المطلب الرابع: بين الأغراض القومية والمقاصد العالمية.

➤ خلاصة الفصل .

تمهيد:

عندما نعلم أنّ الآفاق في اللغة ذات معاني جمّة منها: "التّطّلع والمنتَهَى؛ أي منتهى ما تراه العين من الأرض ملتصقة بالسّماء، والإطّلاع إلى ما هو جديد، ووضع إمكانات ومجالات جديدة"¹ وأنّ المستقبل هو الزّمن الآتي بعد الزّمن الحاضر؛ فيمكن القول حينئذٍ أنّ المقصود بالآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي؛ تطّلع المسلمين والمسيحيين إلى إمكانات ومجالات جديدة من خلال تحاورهما معاً، وعليه فإنّ هذه الآفاق تتمحور حول مجموعة من القضايا والمسائل التي ينشدها الحوار الإسلامي المسيحي، ويصبو إلى معالجتها عن طريق مُدارستها وبحثها، أو يرمي إلى الوصول إليها وتحقيقها على أرض الواقع وجعلها ملموسة بعدما كانت بعيدة المنال وخارجة عن السّيطرة؛ فهي إذن بالنّسبة إليه، بمثابة المقاصد أو الأبعاد المختلفة التي تتعلّق به، على أن يصل إليها في المستقبل القريب أو البعيد وفق إستراتيجية محدّدة.

وفي هذا الفصل أحاول الكشف عن الآفاق أو تقصّيها واستقراءها من خلال نظرة كلّ من محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس إليها؛ بغية الوقوف على حقيقتها ونوعيتها عند كلّ منهما، ومن ثمّ المقارنة بينهما فيها، ثمّ الخروج بأوجه الشّبه وكذا أوجه الاختلاف حولها.

وانطلاقاً من ذلك، وتحقيقاً للمذكور أعلاه وتبنيّاً له، لا بدّ من الحديث عن النّقاط الآتية:

*الآفاق المستقبلية عند محمّد حسين فضل الله.

*الآفاق المستقبلية عند موريس بورمانس.

*المقارنة بين الآفاق المستقبلية عند الرّجلين.

وذلك للإجابة عن بعض التّساؤلات مفادها:

ما هي آفاق الحوار الإسلامي المسيحي المستقبلية عند كلّ من محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس؟، وهل هما متّفقان حولها تماماً؟، أم أنّ بينهما اختلافاً بخصوصها؟.

¹ - أحمد مختار عمر وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، مرجع سابق، مج1، ص103.

المبحث الأول: الآفاق المستقبلية عند محمد حسين فضل الله.

يرى محمد حسين فضل الله أنّ للحوار الإسلامي المسيحي آفاقاً مستقبلية يمكن استثمارها في ظلّ التطوّرات الرّاهنة، فالمسلمون والمسيحيون يمكنهم من خلال هذا الحوار أن يرسموا بعض المخطّطات، ويحقّقوا أيضاً مجموعة من الأهداف المشتركة، وذلك باكتشاف المزيد من حلقات التّواصل والارتقاء، بالرفع من مستوى العمليّة الحوارية التي شرّعوا فيها منذ زمن بعيد؛ حتّى تشهد هذه العمليّة مواكبةً فعليّة لروح العصر، خاصّة في هذا الوقت الذي كثرت فيه الخلافات والتّزاعات بين الطرفين، من أجل ذلك كلّه يمكن حصر هذه الآفاق - وفق تصوّر فضل الله - في النّقاط الآتية:

المطلب الأول: تطوير العلاقات الإسلامية المسيحية.

من المسلمّ به تاريخياً؛ أنّه قد نشأت علاقات بين المسلمين والمسيحيين في الماضي، تراوحت بين المدّ والجزر، حيث اتّصفت بالعدوان تارة وبالسّلم تارة أخرى، ولا تزال في هذا العصر كذلك، غير أنّه وعلى الرّغم من حالات السّلم التي طبعت العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، قديماً وحديثاً؛ فإنّ حالات الصّدّام والعدوان والصّراع؛ هي الطّابع الأكثر غلبةً على هذه العلاقات.

لذلك وأملاً في تحقيق علاقات أفضل يُرتجى حالياً - من الحوار الإسلامي المسيحي - "خلق مناخ ثقافيّ روحيّ للتّفاهم بين المسلمين والمسيحيين، في وعي ما هو الإسلام وما هي المسيحيّة، الذي قد يطلّ على القواعد المشتركة، سواء من خلال التّاريخ الرّسالي المشترك، أو من خلال الرّموز الرّساليّة المشتركة، أو من خلال المصالح الدّينية المشتركة في حركة الدّين في مواجهة الإلحاد العقيدويّ الذي يتمثّل بإنكار وجود الله، أو في مواجهة الإلحاد السّياسي الذي يتمثّل في سيطرة المتكبرين على المستضعفين في اقتصادهم وفي سياستهم وفي ثقافتهم"¹، الأمر الذي يوسّع من دائرة الحوار الإسلامي المسيحي، ويرفع من مكانته، في ظلّ ما يشهده العالم من موجات إحدائية وتعثّفية؛ تدعو إلى القضاء على الأديان، وتفكيك وحدة الشّعوب المتناسكة، والتّقليل من التّواصل فيما بينها، وهذه كلّها قضايا متناقضة مع مقاصد الحوار الحقيقيّة.

خصوصاً وأنّ مسألة الحوار الإسلامي المسيحي؛ هي مسألة التّفاعّل الإنساني بما تحقّقه من تواصل واندماج، فإذا انضمّ إليها العنوان الدّيني الذي يعمّق الإنسانيّة التي تفتّح على الله، فإنّ معنى ذلك أنّ قيمة الحوار هي فيما يحقّقه من حالة التّفاعّل الرّوحي والثّقافي والسّياسي في الدائرة الواسعة التي تشمل الإسلام

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص456.

والمسيحية، باعتبارهما ديانتين توحيديتين تلتقيان عند إبراهيم عليه السلام، كما أنه يضيّق الهوة بين المسلمين والمسيحيين في الكثير من المواقع.¹

وبهذا الصدد، وبعد أن يتحدّث محمّد السّمّاك عن الصّورة السّلبية التي طبعت العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة بفعل بعض العوامل؛ كالتدخل الغربي، وتزايد خوف المسيحيين العرب من واقعهم في بلدان الوطن العربي، وكذا تصاعد حركة الإسلام السياسي، وأيضًا الصّراع بين المسلمين والمسيحيين...، وغيرها من العوامل الأخرى، يقرّر أنّ المعالجة تتطلّب وعيًا أعمق ورؤية أشمل، وانفتاحًا أكبر أمام حرّيّة التعبير، ولا يتحقّق ذلك إلّا بتأصيل ثقافة الحوار الإسلامي المسيحي، وفك الارتباط الذّهني بين المسيحية العربيّة والسياسات الغربيّة، وكذلك كبح جماح الهجمة الغربيّة الاستعداديّة ضدّ الإسلام في عالم ما بعد الحرب الباردة.²

وهو من أجل ذلك - أي محمّد السّمّاك - يدعو أيضًا إلى إقامة جسر حوارى دائم ومباشر بين الإسلام والمسيحية، وليس شرطًا أن يكون هذا الحوار بين الطّرفين ثنائيًا وحسب؛ لأنّ في الإسلام مذاهب عدّة، وفي المسيحية كنائس عدّة، لذلك يتّسم هذا الحوار بتعدديّة في المنطلقات وفي الأفكار، وتتقارب المسافات الحوارية أو تتباعد المسافات الخلافية وفقًا لفقّه المتحاورين أو لهويّاتهم أو للأغراض التي يتطلّعون إليها،³ بغية تحقيق واقع أفضل، يتعايش فيه المسلمون والمسيحيون معًا في أمن وسلام، ممّا يمكنهم من ضمان مستقبل يكونان فيه يدًا واحدة على الظلم والاستكبار والعدوان.

ويقترح فضل الله في هذا المجال إنشاء مؤسسات حوارية إسلامية ومسيحية، من شأنها رعاية الحوار الإسلامي المسيحي، وتبنيّه كمشروع دراسي فكري عملي يمكن أن يحقّق الكثير بعيدًا عن الصّراعات السياسيّة، أو عن الصّراعات الدّينية التي قد تحدّث بين وقت وآخر، وتكون هذه المؤسسات جامعة لكلّ المذاهب، ومتحرّكة في جميع المواقف، ومختصّة بالشؤون الدّينية لكلّ ديانة منهما، أو من أجل القضايا الإنسانيّة العامّة في الحياة في كلّ موقع من مواقع الكون،⁴ ذلك أنّ تحويل الجهد الحوارى إلى عمل مؤسّسى، من شأنه بناء المعرفة الحقيقيّة الواقعيّة بالذّات وبالأخر، ومعرفة كهذه تقوم على التوثيق والتّقاش واللقاءات، والوصول في النهاية إلى رسم سياسة بالانفراد وبالمشاركة، فالمطلوب إذن؛ هو السير في بناء

1 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 456-457.

2 - محمّد السّمّاك: مقدّمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، مرجع سابق، ص 93-99.

3 - المرجع نفسه، ص 100.

4 - محمّد حسين فضل الله: تأملات في الحوار الإسلامي المسيحي، محاضرة سابقة، ص 201.

المؤسسة التي تتولّى تحديد الأهداف والتخطيط لمسائل الحوار،¹ حتى يمكن استثماره في تطوير العلاقات بين الطرفين، وإتقاء التعاون بينهما في كافة المجالات.

ولعل ذلك لا يتم إلا بتقديم خطوة أخرى أكثر فاعلية، وهي تدريس المسيحية في المعاهد الإسلامية العلمية، وتدريس الإسلام في المعاهد المسيحية العلمية أيضاً؛ ليفهم المسلمون ما هي المسيحية من مواقعها الفكرية، ويفهم المسيحيون ما هو الإسلام من مواقعها الفكرية كذلك؛ لأنّ الخطوة تكمن في عدم فهم كل فريق لديانة الآخر وأفكاره ومبادئه فهماً جيّداً،² الأمر الذي لا يتحقّق إلا من خلال لقاءات حوارية بين الطرفين، بغية التعريف بالديانتين وبأفكارهما وكلّ ما تعتقدانه، تماماً كما حدث في المؤتمر الإسلامي المسيحي الأوّل المنعقد ما بين 10 و15 سبتمبر عام 1974م بقربطبة الإسبانية،³ وأيضاً في المؤتمر المنعقد بين الطرفين في شهر ماي عام 1975م ببرمنغهام الإنجليزية، والذي حثّ على إنشاء مراكز لدراسة الإسلام والمسيحية في إطار العلاقات المتبادلة بينهما.⁴

وفي هذا المجال، يسعى الحوار الإسلامي المسيحي خاصّة في هذا الوقت، إلى إزالة تلك الترسبات التاريخية المعبّأة بالكثير من الحساسيات والسلبيات والأوضاع التي تجعل كلاً من المسلمين والمسيحيين عدوانياً في شعوره ضدّ الآخر؛ لأنّ هناك فترة طويلة من الزمن عاشا فيها الطرفان حالة من التنافر والتباعد والانحراف عن مواطن اللقاء، وهذا ما يحتاج إلى خلق مناخ حوارى ملائم بينهما، يستعيدان فيه الأجواء الرسالية لديانتيهما؛ الإسلام والمسيحية، ويجتمعان فيه على الكلمة السواء، ومن الممكن أيضاً انفتاحهما على درب مشترك مع بقاء كلّ الخصوصيات التي تميّز أحدهما على الآخر.⁵

لأجل هذا، وبغية ضمان مستقبل زاهرٍ للحوار بين الطرفين، يمكن بلورة منظومة جديدة لآليات هذا الحوار من خلال:⁶

أولاً - تكوين مجموعة من حكماء المسلمين والمسيحيين، تكون بمثابة صمّام الأمان لتجاوز الأزمات.

¹ - رضوان نايف السّيّد: الحوار الإسلامي المسيحي - التطوير والآفاق -، ورقة مقدّمة لأعمال المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، مكّة المكرمة، السعودية، (من 04 إلى 06 جوان 2008م)، ص 368.

² - محمّد حسين فضل الله: تأملات في الحوار الإسلامي المسيحي، محاضرة سابقة، ص 202.

³ - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 69-70.

⁴ - المرجع نفسه، ص 89-90.

⁵ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 458.

⁶ - هاني لبيب: الحوار المسيحي - الإسلامي - رؤية جديدة -، ط2، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، مصر، 1427هـ/ 2006م، ص 27-29.

ثانيًا- عدم تعرّض وسائل الإعلام للتشهير بإحدى الديانتين، والتشكيك في معتقداتها الإيمانية أو ازدرائها.

ثالثًا- وجوب العمل على إعادة صياغة العقل الجمعي، واستبعاد كلّ ما يرسخ مفهوم (الأخر) الديني، وما يترتّب عن ذلك من تداعيات.

رابعًا- عدم الانزلاق في مناهات إصدار تقارير عن الأديان أو عن الحالة الدينيّة.

خامسًا- التأكيد على عدم الانسياق وراء بعض الأخطاء الشائعة التي تغذي الذاكرة التاريخية بتصورات مريكة، ترسّم في الأذهان إطارًا مشوّشًا للعلاقات بين الإسلام والغرب.

سادسًا- الاهتمام بعلاقة كلّ طرف بالطرف الثاني؛ بغية المزيد من التعاون والتّماسك.

سابعًا- تجنّب فشل الحوار الإسلامي المسيحي؛ بسبب عدم وصوله إلى القاعدة الشعبيّة، واقتصاره على صيغة التّعاش، وليست صيغة العيش الواحد.

ثامنًا- الاجتهاد في البحث عن طرق ووسائل تُنشّط الحوار الهادئ بين الحضارتين الإسلاميّة والأوربيّة.

تاسعًا- نشر الثّرات الحوارية بين الإسلام والمسيحيّة على نطاق واسع.

وإذا ما تمّ تطبيق هذه الآليات على الحوار الإسلامي المسيحي؛ فإنّه سوف يطرّور العلاقات بين الطرفين، ويدعم مجال تعاونهما وتواصلهما، خاصّة فيما يستقبل من الزّمن الذي تتزايد فيه الدّعوة إلى صراع أو صدام الحضارات، خصوصًا بين الإسلام والغرب، والتي ما انفكّت تنفصل عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي تمّ فيها الهجوم على الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وعن مبرّرات ردود الفعل الأمريكيّة وعواقبها؛ كغزو أفغانستان والعراق، مستحضرة في كلّ ذلك معنى الصّراع الحضاري...، وهو الأمر الذي يمثّل قمة ما وصل إليه منحى الرّؤى المتبادلة بين عالم المسلمين وعالم الغرب...، وقد أصبح هذا الوضع المتفجّر منذ وقوع تلك الأحداث ساحة لاختبار مقولات صراع الحضارات والتّهديد الإسلامي للغرب والمؤامرات على الإسلام والمسلمين.¹

¹ - نادية محمود مصطفى: أولى حروب القرن الواحد والعشرين ووضع الأمة الإسلاميّة، ضمن كتاب: كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، ج2 (الحضارات حوارًا أم صدام)، ط1، مركز الدراسات الثقافيّة الإيرانيّة العربيّة، دمشق، سوريا، 1423هـ/ 2002م، ص51-53.

كما أصبح ذلك أيضاً، اختباراً لمدى رغبة أبناء الديانتين في إقامة حوارٍ بينهما من شأنه إزالة العوائق الحضارية بين الشرق والغرب، وهي القضية التي يطرحها فضل الله مؤكداً على أنّ هذا الحوار بإمكانه صناعة صورٍ إيجابية متبادلة بين الطرفين؛ لأنه يحقق انفتاح كلٍّ منهما على الآخر، وبذلك الموقف الذي كان سائداً في العصور الماضية، لا سيما عند الحديث عن بعض الأزمات العالمية التي يقودها الغرب وفي مقدمته أمريكا ضدّ العالم العربي والإسلامي، بحيث يُحْيَل أو يُصَوَّر للعرب أو للمسلمين أمام اللعبة الإعلامية؛ بأنّ القضية هي قضية المسيحيين ضدّ المسلمين.¹

كما يؤكّد الرّجل على مكانة الحوار الإسلامي المسيحي خصوصاً في الوقت الرّاهن، على أنّه هو الوسيلة الأبعد لحلّ الكثير من الخلافات وتجاوزها، وبالتالي تطوير العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، فيقول:

"إنني أتصوّر أنّ مرحلة الحوار هذه؛ هي مرحلة إيجاد المناخ الملائم للقاءٍ مسيحي إسلامي يُزيل الكثير من الحساسيات، ويفتح الكثير من المشاعر الحميمة، وأعود فأقول وأؤكد على أنّ الحوار الإسلامي المسيحي على مستوى العالم وعلى مستوى لبنان، قد استطاع أن يحصل على نتائج جيّدة، ولو على مستوى الخطاب، أو على مستوى المجاملة"²، وهذه نظرة متفائلة لمستقبل هذا الحوار، ونظرة إيجابية لمستقبل العلاقات الإسلامية المسيحية، والتي وإن كانت قد عرفت توتراً كبيراً في الأزمان الغابرة، فقد آن لها الأوان لتراجع نفسها، وتكون سلماً للتواصل والتعايش بين الطرفين؛ للوقوف في وجه المخاطر والمؤامرات السياسية التي تُحاك ضدّهما قصد التصدّي لتلاقيهما، ولا يكون ذلك إلا بالحوار الجادّ والمخلص، وعليه فيمكن القول -مع فضل الله-؛ أنّ هذا الحوار تنتظره طريقٌ شاقّة وطويلة لتحقيق كلّ الأهداف المرجوة منه مستقبلاً، ولا يتمّ له ذلك إلا إذا استطاع أولاً أن يخلق علاقة حميمة بين طرفيه الأساسيين، وفي ذلك يقول الرّجل:

"إننا نعتقد أنّ الحوار الإسلامي المسيحي على مستوى العالم كحركة إنسانية، يستطيع أن يقرب المسلم من المسيحي، والإسلام من المسيحية"³، وهي آليّة أو فكرة تغرس بذرة السّلام والمودّة بين المسلمين والمسيحيين، ممّا يجعل منهما أمتين متعايشتين مهما اختلفت الأماكن والأزمان.

¹ - نصّ المقابلة مع جريدة الديار التي أجزتها نجوى مارون مع فضل الله حول موضوع: الحوار الإسلامي المسيحي، 19/04/1992م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص359.

² - المصدر نفسه، ص458.

³ - نصّ المقابلة مع جريدة الديار التي أجزتها نجوى مارون مع فضل الله، المقابلة السابقة، ص354.

المطلب الثاني: مواجهة الاستكبار العالمي.

يشهد العالم حالة فوضى عارمة، وموجة عنف عاتية في كثير من المناطق، منذ أمدٍ بعيد، ولا يزال هذا الوضع الخطير يتطور يوماً بعد يوم، وهذا ما يفسر كثرة الحروب والنزاعات الإقليمية والدولية، وبالإضافة إلى ذلك، تعيش جملة من الشعوب ضرباً شتى من الظلم والقهر والاستضعاف؛ بسبب ما يُمارَس عليها من تسلط وعدوان من قبل الاستكبار العالمي أو الطغيان السياسي الذي تتزعمه بعض الدول الغربية ذات القوتين العسكرية والاقتصادية، من أجل السيطرة على جميع بلدان العالم وتحقيق مناطق نفوذ أوسع.

وهو الأمر الذي يتناقض وتعاليم الأديان السماوية، الحاتّة على السلام والأمن واللين والرّفق والمعاملة بالحسنى، ولو أخذنا على سبيل المثال الإسلام والمسيحية، لوجدناهما يتفقان على جملة من القيم الأخلاقية والروحانية النبيلة، مما يجعلهما معيّنين أكثر ممّا سواهما بمواجهة كلّ طغيان واستكبار مهما كان مصدره.

وفي هذا السياق، يدعو فضل الله إلى إقامة حوار إسلامي مسيحي حركي في المسألة السياسية والإنسانية والاجتماعية على مستوى العالم، يتعاون فيه الطرفان على مواجهة الإلحاد والواقع الاستكباري العالمي المضطهد للمستضعفين في الأرض، لأنّ الوقوف ضدّ هذا الاستكبار؛ هو قيمة إسلامية مسيحية حركية، سواء تظهرت بمظهر سياسي، أو بمظهر عسكري، أو بمظهر اجتماعي، أو بمظهر اقتصادي، الأمر الذي يدفع بأتباع الديانتين إلى التحوار بغية توحيد المواقف في العالم ضدّ المستكبرين، من أجل إنقاذ المستضعفين من السقوط تحت تأثير هذه الصنمية الاستكبارية التي تقود المستضعفين من خلال حاجاتهم إلى وثنية من نوع آخر، فإنقاذ حياة هؤلاء جزء من رسالة هاتين الديانتين تجعل الحياة جنة مصغرة على الأرض.¹

ويقول مبيناً اتفاقهما -أي الإسلام والمسيحية- حول هذا الشأن، انطلاقاً من جوهر رسالتهما بفعل الحوار فيما بينهما:

"وربما يؤدّي -أي الحوار الإسلامي المسيحي- إلى تعاون عملي واقعي في مواجهة عمليات الاستكبار العالمي التي تمارس الضّغط على الشعوب المستضعفة سواء كانت مسلمة أو مسيحية أو وثنية، باعتبار أنّ عنوان المسيحية في عيسى وعنوان الإسلام في محمد يمثل عنوان واقع المستضعفين الذي جاء من أجل

¹ - مقابلة جريدة النهار اللبنانية اليومية مع فضل الله حول مسائل عديدة مرتبطة بموضوع الحوار الإسلامي المسيحي، بتاريخ: 1992/12/15م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص323.

إسقاط واقع الاستكبار"¹ وهو الأمر الذي دعا الطرفين إلى عقد بعض اللقاءات الحوارية التي قرّرت كثيراً من المبادئ الحاتّة على التعاون ونبذ الاستكبار والعنف، والعودة إلى القيم الروحية في الإسلام والمسيحية، ذلك أنّ تكاثف الجهود بين الفريقين للتصدّي للطغيان السياسي، أصبح في الآونة الأخيرة ضرورة ملحة وأكيدة لما تعرفه كثيرٌ من المناطق من حالات عدم الاستقرار، ولا يكفي في مثل هذه الحالة وجود مبادئ تحثُّ على مكارم الأخلاق، بل لا بدّ من حركة حوارٍ مستمرة بين المسلمين والمسيحيين تمتاز بالتنظيم والرسمية؛ لإيجاد حلول مناسبة لكافة المشاكل المعاصرة.

فبهذا الصدد، جاء في بعض النصوص المصاغة بين المسلمين والمسيحيين في بعض المؤتمرات الحوارية:

- "يؤمن المؤتمر الإسلامي المسيحي المنعقد في بجمدون، بأنّ من أسباب الخلاف الأساسي المتغلغل في زماننا، تخلف الناس عن الاقتناع بالقيم والقوى الروحية في مختلف دياناتهم، حتى إنّنا رأينا الأمم التي هي أقلّ تأثراً بنتائج هذا التخلف وقع منها في أحيانٍ كثيرة؛ ظلم القويّ للضعيف، ورأينا أنّ الأمم القويّة قد أخفقت في الاعتراف بحقوق الأمم الضعيفة في احترام أمانيتها، وفي هذه المناسبة نعتقد نحن المؤمنون بالله تعالى وبوصاياه أنّه أصبح لزاماً علينا مجابهة تيارات الإلحاد والمادّية التي تتسرّب إلى الجماعات والأمم"².

- "إنّ البشرية اليوم تجتاز أزمة شديدة، والإنسانية تتعذّب لما يقع بين الشعوب من ظلم وتعسف واستغلال، والحياة الروحية في العالم تتعرّض لأخطار الاتجاهات المادّية والانصراف عن الدين... لأجل ذلك اجتمع مندوبون من أبناء الديانتين الكبيرتين - الإسلام والمسيحية - لاستطلاع مدى ما بينهما من إمكانيّة مشتركة للتعاون والعمل على مجابهة المتاعب والأخطار القائمة في الجيل الحاضر، وإنّ الفقر والظلم والاستغلال لحقّوا خصبة للنزاع والحروب والإلحاد..."³.

وفي ذات الشأن، حثّ لقاء كارثينيبي السويسرية المنعقد فيما بين 19 و22 أكتوبر عام 1976م، على وجوب إحلال السلام والأمن والقضاء على الظلم والعدوان والعنف، والتخفيف من حالات التوتر التي تُصيب أقطار العالم، وكان من ضمن قراراته:⁴

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص457.

² - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص15.

³ - المرجع نفسه، ص19.

⁴ - المرجع نفسه، ص109، 114-115.

- يعيش المسلمون والمسيحيون في محيطات مختلفة في العالم، فقد يكونون أقلية أو أكثرية في دول إسلامية أو علمانية؛ ديمقراطية أو توتاليتارية*، ومن الأسئلة التي قد تطرح: كم يعانون من العنف المؤسسي أو من عبء التاريخ أو البيئة الدولية أو وسائل الإعلام؟، وما هي الظروف التي يتصوّرونها من أجل تنظيم مجتمعهم وبنائه، وفقاً لتعاليم إيمانهم؟.

- يجب الاهتمام بتنظيم وفود من مسلمين ومسيحيين لزيارة المناطق التي تشهد توتراً بين الجانبين، وتحليل الحالات التي يختبرانها، ومشاركتها في آمال المصالحة بينهما.

كما جاء في بعض قرارات لقاء طرابلس الليبية المنعقد ما بين 01 و06 فيفري عام 1976م، بعد أن بين أن الإنسانية اليوم تئنّ من وطأة مظالم كثيرة، وإنّ إنسان هذا العصر ليعيش في دوامة من الفراغ والغربة الروحية، والبعد عن الطمأنينة والسعادة، ويصطلي بنار الجحيم الذي سببه الطغيان المادي على العالم، والذي أخذ يحجب جذوره عن منابع الخير والحقّ والرّحمة؛ هذه المنابع التي يمثّل الدّين مصدرها الحقيقي الأصيل:¹

- وإذا ما وُجدت ظروف عسيرة أخرى؛ كما هي الحال في الفلبين، فعلى كلا الجانبين المبادرة المشتركة لخلق المساعي الفعّالة التي تؤدّي إلى الحلول الملائمة بروح من العدل والإنصاف.

وليس هذا فحسب، إذ أنّ مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي لم تتوقّف عند هذا الحدّ في سبيل مواجهة الاستكبار العالمي، فالمسيرة لا تزال متواصلة كلّما جدّ جديدٌ، وكلّما استدعت الضّرورة ذلك، حتّى يتمّ تخفيف منابع الظلم والاستكبار والطغيان، وفي ذلك يقول فضل الله:

"إنّ هناك مزيداً من الحوار الإسلامي المسيحي في المسألة الاستكبارية كما هي في المسألة المادية والروحية في حركة العالم، ومن خلال ذلك نستطيع أن نعيد إلى العالم ثقته بالدّين؛ لأنّ العالم فقد ثقته بالدّين في الدائرة الإسلامية والدائرة المسيحية، من خلال أنّ الذين يمثّلون الدّين كانوا يمثّلون القوّة للمستكبرين وللظالمين وللطّغاة، كانوا وعّاظ السّلاطين، وكانوا الذين يحدّرون النّاس بقيم الصّبر والوعد بالجنة إذا صبروا وإذا استكانوا، وبإطاعة وليّ الأمر سواء كان ظالماً أو مستبدّاً، وما إلى ذلك من الكلمات التي يتّفق بعض

* التوتاليتارية؛ نظامٌ سياسي لدولة ما، يتميّز بالهيمنة الكليّة على الشّشاطات الفردية من خلال تبنيها أيديولوجية معيّنة، وبدأ استعمال هذا اللفظ في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين لوصف الأنظمة والحركات السلطوية التي نشأت في ذاك العقد من الزّمن، وكان نوبمان أول من توسّع في مفهوم الكليانية (ينظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج5، ص136).

¹ - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص93، 95، 100.

الناس على استخدامها في الاتجاهات السلبية فيما هي مصلحة الشعوب، كما يعرف بعض الناس أن يستخدموها في المواقع الإيجابية".¹

ومن أجل أن يقوم الحوار الإسلامي المسيحي بهذه المهمة الصعبة، يطلب فضل الله من المسلمين والمسيحيين على حدّ السواء، أن لا يكونوا أداة بيد الاستكبار العالمي والقوى السياسية، سواء أكانت إسلامية أو مسيحية، خاصة وأنّ بعض المسلمين قد أُستعملوا كأداة في مواجهة قضايا التحرر والعدالة لدى الشعوب المستضعفة، وأنّ بعض المسيحيين قد استغلّهم الغرب لتحقيق أغراضه الدنيئة، فكان الطرفان - في وقت من الأوقات - كذمية تعبت بها الأيدي الخارجية لمصلحة شخصية، وهذه مسألة يتساوى فيها المسلمون والمسيحيون.²

وإذا كان هذا الحوار يتميّز بهذه الخصلة الرفيعة، فلا شكّ أنّه أصبح أكثر من ضرورة، خاصة في عالم اليوم المليء بالنزاعات والمشاحنات والتوترات التي تحتاج إلى حلّ سلمي يعيد الحياة إلى مجاريها، ويحسن العلاقات بين المجتمعات والشعوب والسياسات، حتّى يعيش العالم في أمن وسلام، ويتخلّص من تلك الحروب التي أرهقت كاهل الجميع سواء كان ذلك على المستوى الشعبي أو الرسمي.

ذلك أنّ ضرورة الحوار - في واقع اليوم - متأكّدة في الضمائر، بغضّ النظر عن طبيعة التحدّيات التي تواجهه، وعلى الرّغم من عنفوان النظام الدّولي، وضراوة العولمة، وهيمنة القطب الواحد على السياسة الدّولية؛ لأنّ الحوار هو نداء الإنسانيّة الجماعيّة الرافضة لطغيان الرّأي الواحد، بالعمّا ما بلغت قوّة بطشه وشراسة هيمنته،³ ومهما تعالت صيحات الغطرسة في عالم اليوم، وأوغلت في الظلم والطغيان، فإنّ الحوار وخاصة الإسلامي المسيحي سيقضي عليها، أو على الأقلّ يخفّف من حدّتها وسريانها في المجتمعات والشعوب، نظرًا للتعاليم السّميحة الموجودة في الديانتين الإسلام والمسيحيّة.

وبما أنّ الوضع الرّاهن، أضحي يهدّد كيان الأمم الضّعيفة ويقضّ مضاجعها؛ بما يحمله من تفاوت وتطورّ بينها وبين الأمم المتقدّمة القويّة، فقد بات الحوار خاصّة في القرن العشرين من أكبر الضّرورات

¹ - مقابلة جريدة النهار اللبنانية اليومية مع فضل الله حول مسائل عديدة مرتبطة بموضوع الحوار الإسلامي المسيحي، مقابلة سابقة، ص 323-324.

² - مقابلة مجلّة البلاد اللبنانية الأسبوعيّة مع فضل الله، مقابلة سابقة، ص 386-387.

³ - عبد العزيز بن عثمان التويجري: الحوار المثمر بين الحضارات والثقافات، ورقة مقدّمة لأعمال المؤتمر الدّولي: شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، الجزائر (24-26 مارس 2003م)، دط، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003م، ج1، ص128.

والواجبات،¹ وبذا يتعيّن على الجميع الأخذ به كمسلك حضاري من شأنه تحطّي العقبات والمزالق التي هي بمثابة المعوّقات الرافضة للتطوّر والرّقي والازدهار.

إنّ هذه الوظيفة العالميّة والمرموقة، وتحقيق هذا البُعد الحضاري السّياسي والاجتماعي، يجعل مسألة الحوار الإسلامي المسيحي ذات المستوى العالمي؛ من المسائل الحيويّة لحركة الإنسان في تطّعه إلى المستقبل الذي يعيش واقعيّة الرّوح وروحيّة الواقع، وينفتح على كلّ قضايا الحياة من خلال الفكريّة الصّافيّة الواسعة ذات النظرة الشّاملة، وهكذا يمكن أن يُساهم هذا الحوار في قضية السّلام العالمي، خصوصًا عندما يلتقي المسلمون والمسيحيون على توحيد الأهداف والمقاصد، ويشتغلون على مدّ يد العون لكلّ المظلومين والمضطهّدين، ويتعاونون فيما بينهم على تحريّ مكامن الضّعف والانشقاق بغية علاجها، وذلك انطلاقًا من التّسيق بين الأفكار والمبادئ المشتركة، وقبل ذلك الانطلاق من جوهر روحيّة رسالتهما.²

الأمر الذي يوحى لنا؛ بأنّ للحوار الإسلامي المسيحي آفاقًا متجدّدة، ومستقبلًا كبيرًا في ظلّ التّطوّرات الرّاهنة، وما يشهده العالم من تقدّم في جميع المجالات، وأيضًا نظرًا للقضايا السّاخنة التي تتجدّد في كلّ يوم، فما تكاد تنتهي واحدة منها وتتخلّص البشريّة من أسرها، إلّا وتخلّفها واحدة أخرى، وفي ذلك أرض خصبة للتّعاون بين المسلمين والمسيحيين، وقاعدة مشتركة للتّفاهم والتّحاور فيما بينهما، بخصوص تلك القضايا التي تمثّل موضوعات جاهزة للحوار الإسلامي المسيحي؛ الذي بات في الآونة الأخيرة ذا نظرة شموليّة وإستراتيجيّة متكاملة ومُحكمة.

وتتميمًا لهذه الفكرة، يرى فضل الله أنّ الحوار يتّسع لكلّ حضارة إنسانيّة، إنّه ليس خاصًا فقط بالمسلمين والمسيحيين وحدهم، بل يشمل أيضًا حتّى غيرهما من أتباع الدّيانات الأخرى، وهو بذلك يستبعد مقولة صدام الحضارات، ويدعو إلى بديلتها؛ مقولة حوار الحضارات، وبالتالي يدعو إلى التّفاهم مع الغرب من خلال الحوار، وهذه سمة أساسيّة من ملامح شخصيته،³ وعلى الرّغم من تعثّر الحوار بفعل تكبّر النفوس وتخاذل الأيدي واستهداف دول الاستكبار والاستعمار الذين يتقارضون الثّناء والجزاء، ويصدرون القرارات الاستنسابيّة ليضعفوا وحدة الشّعوب ويشتّتوا شمل البلاد والعباد، ويتباكون على حقوق الإنسان،

¹ - شوقي أبو خليل: الحوار دائمًا وحوار مع مستشرق، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1415هـ/1995م، ص08.

² - مقابلة نجوى مارون مع فضل الله، مقابلة سابقة، ص355.

³ - عدنان السيّد حسين: داعية وحدة، صادق للهجة، صادق القصد، مؤتمر محمّد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار، مرجع سابق، ص30.

ويشاركون الإرهاب الدولي في البلدان الإسلامية والعربية، رغم ذلك كله بقي فضل الله مشدداً على أن الحوار ضرورة إسلامية وعالمية، والمفتاح لذلك امتلاك قوة العقل والعلم والعمل، فأكد بأكثر من سياق ومقام على التزود بهذه المقومات، وبين أهمية إستراتيجيتها في تكوين الإنسان المسلم القادر على التّحاور مع غيره، والتّفوق في نسج خيوط التّفاهم وبناء الثقة معه.¹

المطلب الثالث: تحقيق الوحدة الوطنية في لبنان.

من المعلوم تاريخياً وواقعياً، أن لبنان يشكّل سيفسَاء مختلطة من المذاهب والطوائف، ويشهد تعددية دينية إسلامية مسيحية على نطاقٍ واسعٍ جداً؛ فالإسلام بمعظم أطيافه ومذاهبه، والمسيحية أيضاً بمختلف أطيافها وكنائسها، كلاهما بهذا الوصف؛ يشكّلان أو يرسمان اللوحة الوطنية الحالية في هذا البلد، ولعلّ هذا الاختلاف والتنوع المتعدّد الجوانب، هو الذي يؤدي - في كثير من الحالات - إلى نشوب نزاعات وصراعات، بل وإلى قيام حربٍ أهليةٍ فيه، نظراً للحساسية المفرطة بين أبنائه الذين ينتمون إلى طوائف ومذاهب شتى.

وفي ظرفٍ كهذا؛ مشحون ببعض التوترات والمشاحنات، ومهيئاً لإثارة العواطف فيه، يمكن لمواطنيه سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، أن يعملوا على الحفاظ على وحدته وتماسكه، ولا يكون ذلك إلا بإقامة حوار إسلامي مسيحي تتحرّك فيه الشخصيتان؛ الإسلامية والمسيحية؛ اللتان تمثلان مجموع أفراد، انطلاقاً مما عاشته من أوضاعٍ معقّدة بفعل الأوضاع السياسية، التي حاولت أن تعمق الهوة بين الموقعين والموقفين، كما حاولت أن تستغلّ الكثير من نقاط الضعف هنا وهناك، لتعمل على إضعاف الإرادة التي تتحرّك نحو الآخر، ولا يزال الأمر كذلك منذ زمنٍ بعيد، كما أنّ هناك عوامل أخرى تاريخية وواقعية عملت على إيجاد حالة من الحذر والخوف والشكّ، كلّ فريق تجاه الآخر.²

وإذا كانت هذه الأوضاع قد عانى منها الشعب اللبناني طويلاً بسبب بعض الاكراهات والإملاءات الداخلية والخارجية، فقد حان الوقت لمسلمي ومسيحيي هذا البلد، أن يُصبحا مستعدّين في هذا الجوّ من الحرّيّة - المخلوقة بدافع من التعددية الدينية - للدخول في حوارٍ جدّي ومفيد، لكي يتعارفا ويعملا معاً إذا أمكن، من أجل إحداث توازن وطني وتكافؤ واقعي، وعليه يُعتبر لبنان كأنه الحصيصة التنبؤية لتاريخ طويل من القرون، وبإدارة التآلف بين هاتين الأمتين اللتين عرفتا ضروراً شتى من العلاقات السلبية وبعض

¹ - الشيخ مرسل النص: الحوار ضرورة إسلامية وإنسانية، مقال سابق، ص30.

² - مقابلة نجوى مارون مع فضل الله، مقابلة سابقة، ص355.

الصراعات والنزاعات الأليمة، ذلك أنه وعندما يتبادل الإسلام والمسيحية النظرات السلمية، ويتأهبان للتصافح، نرى أنّ هذه النتيجة قد تحققت في الموطن اللبناني المعبر عن الاندماج المتآلف بين المسلمين والمسيحيين، إنّه الابن البكر للتعايش السلمي بين الفريقين.¹

إنّ هذا التعايش بين أبناء البلد الواحد، والذي يتشارك في رسم صورته الواقعية المسلمون والمسيحيون على حدّ السواء، يدفع بهما إلى إقامة حوارٍ فيما بينهما؛ لإزالة الكثير من الأوهام التي ترسّبت وترسّخت في الذهنيات منذ القرون الوسطى، ومن خلاله يمكنهما الخروج من الزوايا الضيقة ومن الكهوف المعتمة التي عاشا فيها ردحًا من الزمن، ومن ثمّة يرتبطان بالواقع أكثر، ويكونان عمليين،² في كلّ الاتجاهات التي تحقّق لهما الوحدة الوطنية، والتعايش السلمي المشترك، والتجانس، والتآلف على مستوى جميع الأصعدة، في حدود الإمكانيات المتاحة لهما في هذا السبيل.

لذلك يدعو فضل الله اللبنانيين إلى الحوار المحصّل للتفاهم واللقاء السلمي تحقيقًا لمستقبل أفضل، فيقول في هذا الصدد:

"لا ندعو إلى تحويل لبنان إلى دولة إسلامية بالعنف، ولكننا نعتقد أنّ لبنان بلد الحرّية، ونريد للمسلمين أن يطرحوا الإسلام بطريقة حضارية، وبطريقة سلمية، كما نريد للمسيحيين أن يستفيدوا من هذه الحرّية، ليطرحوا المسيحية بأسلوبٍ حضاري، وكما نقول ذلك حتّى لغير المسلمين والمسيحيين أن يطرحوا فكرهم بشكلٍ حضاري، ليكون هناك صراعٌ بين الأفكار، وليكون هناك حوارٌ علنيّ حضاري، ليقنع الجميع بفكرٍ واحد، أو ليتفاهموا على مواقع اللقاء في فكرهم، لتكون المسألة في المستقبل للذي يستطيع أن يقنع الناس أكثر"³، وهذه دعوة صريحة للتماسك بين أبناء الوطن الواحد من خلال القيام بعملية حوارية واسعة وعلى جميع الأصعدة، حتّى يحققوا مآربهم المشتركة والمصالح التي تربط بينهم جميعًا، خدمة لهذا الوطن وتلبية لنداء الضمير المخلص الذي يفرض عليهم أن يكونوا يدًا واحدة في وجه الظلم والطغيان والمؤامرات التي تحاك للتفرقة بينهم وإسقاطهم واستغلال خيرات بلدهم، وبناء على ذلك جاءت دعوة هذا الرجل شاملة للمسلمين والمسيحيين اللبنانيين على حدّ السواء.

¹ - يواكيم مبارك: حول لبنان وفلسطين والحوار الإسلامي - المسيحي (مختارات)، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2014م، ص164-165.

² - مقابلة نجوى مارون مع فضل الله، مقابلة سابقة، ص356-357.

³ - حوار فضل الله مع الكاهن الإيطالي (برناردو تشير فيليرا)، حوار سابق، ص147.

وهذا ما حدث فعلاً وبصورة واقعية؛ إذ عُقدت عدّة لقاءات لبنانية بين المسلمين والمسيحيين، قُدر فيها مدى التماسك بالوحدة الوطنية والعلاقات السلمية بينهما، والعيش المشترك القائم على التفاهم، ومن ذلك ما جاء في نصّ بيان الندوة اللبنانية المعقّدة ببيروت في 08 تموز/جويلية 1965م¹:

- إنّ المحاضرين الثمانيّة الذين اشتركوا في سلسلة "المسيحية والإسلام في لبنان"، يشكرون للندوة اللبنانية تنظيمها هذا الحوار الحرّ الخلاق، الذي هو أفضل أسلوب لتعزيز الألفة الوطنية في بلد جمع فيه الله عائلات روحية مباركة، ويتفاءلون بما أنسوه من ارتياح الجميع لهذا التّواصل الخيّر الذي تعبّر عنه مختلف الفئات في لبنان تعبيراً حياً تتجلّى آثاره في انفتاح بعضهما على بعض، وتعاون بعضهما مع بعض في تفاهم وانسجام، ويؤكدون تلاقى الديانتين في إيمانهما بالله الواحد، وبقيامهما معاً على تعزيز قيم روحية ومبادئ خلقية مشتركة، تصون كرامة الإنسان وتعلن عن حقّه في الحياة الفضلى، وتنهض بالأرض ومن عليها في محبة وسلام ووثام.

- وإتّهم لعلّ يقين، بأنّ لبنان هو الموطن المختار لمثل هذا الحوار الإسلامي المسيحي، وبأنّه حين يجدد وعيه بتعاليم هاتين الرّسالتين؛ يُسهّم في تجديد طاقة الإنسان الروحية وصورها، وهم يرون أنّ المقترحات المعروضة في هذا المجال تؤلّف خطوة إيجابية نحو إشاعة المحبة بمفهومها الجامع، العميق والبنّاء.

وفي السّياق ذاته، اتّفق المجتمعون في ندوة برّمانا اللبنانية من 12 إلى 18 تموز/جويلية عام 1972م على أنّه:²

- "يمكن للمسيحيين والمسلمين أن يتعاونوا، وهم يتعاونون فعلاً، مع سائر مواطنيهم، على صعيد العمل والصّلاة، في بناء الوطن وتطوير الحقوق الإنسانيّة والدينيّة، وفي معركة العدالة والسّلام، يستطيعون أن يعملوا كزملاء في فرق ملتزمة لإنماء الرّيف أو حمالات مكافحة الأميّة، ويمكنهم معاً التّصدّي لمشاكل الشّبيبة الضّائعة من خلال أجوبة أكثر تفهّماً لاحتجاجاتهم، ومن خلال خدمات استشاريّة ونشاطات ترفيهيّة، فالتّعاون الواعي والمخطّط له بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم، في مثل هذه الأجواء، قد يولّد أحياناً بعض التّوتر، ولكنه قد يساهم أيضاً في التّوافق بينهم".

وإذا كان الحوار الإسلامي المسيحي هو الأساس في تنظيم العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة وتطويرها في هذا البلد، فإنّ من أهمّ قضاياها حينئذٍ؛ التّوصّل على مستوى الفكر وبالارتكاز على الدّستور الحالي، إلى

¹ - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 31، 33.

² - المرجع نفسه، ص 45، 52.

التمييز تمييزاً أكثر عدالة بين الروحاني والزمني، بين المقدس وغير المقدس، بين المدني أو السياسي والديني، بغية سكبها فيما بعد في الأفكار والعادات، وأخيراً في الأنظمة،¹ وهذا حتى يتم اللقاء بين الطرفين في أجواء صافية يسودها التفاهم والتآلف، بعيداً عن الخلافات الدينية أو الصراعات المذهبية، التي غالباً ما تشكل عقبة كؤوداً في هذا السبيل.

وانطلاقاً من هذه الفكرة، يقترح يواكيم مبارك* إنشاء مجلس إسلامي مسيحي في لبنان، لضمان احترام التمييز الشرعي ما بين الروحانيات والزمنيات من جهة، وإحلال الانسجام اللازم بينهما من جهة أخرى، ويقترح أن يتكوّن هذا المجلس من أشخاص يتصفون بالحكمة والنية الحسنة، ويجمع عليهم الرأي العام المشترك عند المسيحيين والمسلمين،² كما يدعو إلى إنشاء كلية مزدوجة للعلوم الدينية الإسلامية المسيحية، وأن يحتلّ أستاذ مسلم منبراً مختصاً بالمسيحية في الجامعة اللبنانية، وفي مقابل ذلك يحتلّ أستاذ مسيحي المنبر المختصّ بالأنظمة الإسلامية.³

وتماشياً مع هذا الطرح، يعلن سنيودس الأساقفة في جمعياته الخاصة لأجل لبنان، عن مدى التقارب الحاصل بين المسلمين والمسيحيين في هذا البلد، الأمر الذي يحقق لهم عيشاً مشتركاً نابغاً من إرادة صادقة وتعاون مخلص، لإعادة بناء البلاد، والكفّ عن الحروب الأهلية، لكونهم إخوة وطنيين هدفهم الأساسي؛ التفاهم والتوادّ والعيش المشترك، والتخلّص من جوّ العنف الذي خلّفته الصراعات المتتالية على هذه الأرض.⁴

كما جاء في وثيقة الوحدة الوطنية ضمن تنوع الأديان، الصادرة عن هذا السنيودس:

"إنّ الحوار المسيحي الإسلامي يعتمد على اقتناع اللبنانيين بأنّ بلدهم هو وطن ارتضاه أبناؤه واحداً ونهايياً، متمتعاً بنظام ديمقراطي، يعتبر الإنسان فيه أنّ حرّيته هي عطاء من الله، وتتجلى هذه الحرّية خاصة في الجهد المتواصل الذي يبذله المواطنون الواعون لفروقاتهم الثقافية من مختلف الديانات، فكلّ فرد يُساءل

¹ - يواكيم مبارك: حول لبنان وفلسطين والحوار الإسلامي - المسيحي (مختارات)، مرجع سابق، ص 167.

* الأب يواكيم مبارك علامة ومفكر لبناني، ولد يوم 16 أغسطس عام 1924م بقرية كفر صغاب، رُسم كاهناً في إحدى فترات حياته، واستقرّ في فرنسا مدة طويلة، حاز على ثلاث شهادات دكتوراه من جامعة باريس، كرس حياته ومجمل أعماله للحوار الإسلامي المسيحي، توفي سنة 1995م. (حول لبنان وفلسطين والحوار الإسلامي المسيحي - مختارات -، صفحة الغلاف الأخيرة).

² - المرجع نفسه، ص 170.

³ - المرجع نفسه، ص 176.

⁴ - كيرلس سليم بسترس: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، مرجع سابق، ج 1، ص 35-36.

الأخر، وكلّ جماعة تُساءل الأخرى، ساعين معاً، بالاستناد إلى القيم الإنسانية الثابتة، إلى تكوين حاضرٍ واحد متّصل في التاريخ ومطلّ على مستقبل واحد".¹

بعد ذلك، تنصّ هذه الوثيقة على تبين فضل الأخوة التي تجمع فرقاً هذا الحوار، وعلى كونهم قادرين أولاً على تجاوز كل الصعوبات الذهنية والانفعالية، وثانياً: تحطّي كل العثرات التاريخية، التي غالباً ما أستغلت لتفرقتهم، وما يشجّعهم على ذلك فعلاً؛ هو إرادتهم الصلبة في السير معاً من أجل بناء وطن المستقبل،² القائم على الوحدة والتآلف، واعتبار أنّ الأخوة الإنسانية هي الجامع المشترك بين مختلف الأجناس، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، أو لأيّ مذهب آخر ينتمون، لاسيما إن كان يجمعهم وطنٌ واحدٌ وبلد واحد، كما هو الحال في لبنان؛ البلد الذي يُعتبر خير مثال أو شاهد على هذه الحالة.

وبغير التآلف والانسجام بين الفريقين، لا يُمكن الاستمرار في العيش الكريم، ولا تحقيق الوحدة الوطنية التي هي أساس الاستقرار في المجتمع، ولعلّ الانسجام الذي يريده اللبنانيون فيما بينهم مهدّد من طرف رجال السياسة، وهي النقطة التي ركّز عليها فضل الله كثيراً، مؤكّداً على أنّ ما يحدث في لبنان من تفرقة وحروب أهلية وتناافر بين مواطنيه، إنّما هو نتيجة للعبة السياسية التي تُدار بأيادي خارجية، تجعل من التعايش بين أبناء هذا الوطن أمراً غير ممكن، بما تحطّط له من مؤامرات ودسائس خبيثة هدفها الوحيد؛ هو التفرقة وإحداث الفتنة، وحتى وإن كان ذلك ممكناً - أي التعايش - في مرحلة ما، فإنّ تلك المرحلة تتميز بالتحضير لحرب مستقبلية، لتكون مرحلة الهدوء مرحلة بين حربين، ولأجل ذلك يُعتبر إلغاء الطائفية السياسية نقطة البداية في توحيد اللبنانيين؛ لأنّه يجعلهم يحسّون بلبنانيتهم، بدل الشعور بالطائفية؛ بحيث يشعر الإنسان أنّ علاقته بطائفته أكبر من علاقته بوطنه، وبحيث يكون مستعداً للتآمر لمصلحة طائفته على مصلحة وطنه.³

وهذا ما يخلّف عداوة وحساسية بين أبناء الوطن الواحد؛ الذين يُرتجى منهم أن يكونوا يداً واحدة، متعاونين فيما بينهم للوقوف ضدّ أيّ تآمر خارجي يهدّد وحدتهم وتماسكهم، لذلك يدعو فضل الله المسيحيين إلى عدم الخوف من طرح الدولة الإسلامية، مبيّناً مدى التفاهم الذي يمكن جميع الأطراف من القضاء على الطائفية، فيقول:

¹ - كيرلس سليم بسترس: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، مرجع سابق، ج1، ص37.

² - المرجع نفسه، والجزء نفسه، والصّفحة نفسها.

³ - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحديّ الممنوع، مرجع سابق، ص95-96.

"لذا فإننا ندعو المسيحيين إلى أن يتفهموا معنى طرح الدولة الإسلامية، على أنه ليس طرحًا يتحداهم، ولكنه يريد أن يربطهم بمسيحيّتهم التي تفتح عن الإسلام، من خلال الكلمة السواء، ويُريد أن يُخرج المجتمع المسيحي من الذهنية الطائفية التي تلغي حتى الالتزام المسيحي لدى الإنسان المسيحي، كما يُريد أن يُخرج المجتمع المسلم من الطائفية، واعتقد أنّ المسيحية عندما تتحول إلى فكر وقيمة روحية وأخلاقية، وإلى نهج سلوكي، فإنها تستطيع أن تتجدد في نفوس المجتمع، أكثر من اللافتات الكبيرة التي تأخذ من المسيحية الاسم فقط لتجعله لافتة للعشيرة المسيحية بدلاً من الدين المسيحي".¹

وإنّ تطبيق هذه الفكرة على الأرض اللبنانية، يحقق تعايشًا بآتم معنى الكلمة بين المسلمين والمسيحيين؛ الذين يعيشون جنبًا إلى جنب في هذا البلد، ولا شك أنّ التّحاور فيما بينهما سلميًا يودّي إلى تفاهم كبير، وتقاطع في شتى مجالات الحياة، أو في المشترك الإنساني، على أساس ما يجمعهما من أخوة وطنية، لذلك فإنّ مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي في هذه المنطقة يبدو جليًا وذو نظرة استشرافية ناجحة يُمكن استثمارها في التّحسين من العلاقات الإسلامية المسيحية هناك.

المطلب الرابع: دعم القضية الفلسطينية ومجابهة الاحتلال الإسرائيلي.

إذا كانت فلسطين قد أُحتلت من طرف الكيان الصهيوني منذ فترة زمنية طويلة، ولا تزال واقعة تحت سيطرة هذا الاحتلال إلى اليوم، حيث يعاني شعبها من الظلم والاضطهاد والتّهجير والحرمان من معظم حقوقه، كما أنّ مقدّساتها تُدنّس ولا تُراعى حرمتها ولا مكانتها، وانطلاقًا من كون هذه الأرض تمثل مهدًا مشتركًا للمسلمين والمسيحيين، بما تحويه من كنائس ومساجد أثرية، وأماكن مقدّسة، وتراثٍ ديني عميق لكلّ منهما، فإنّ الدّفاع عنها وحمايتها من طرفهما؛ ضرورة لا مناص منها، وحمية لا محيد عنها، إذا ما رام الطرفان بقاءها حرّة نزيهة.

وتأسيسًا على هذا، يؤكّد محمّد حسين فضل الله على مدى ضرورة الحوار بين الفريقين؛ بغية التّحسين من وضع القضية الفلسطينية التي عرفت ولا تزال تعرف تدهورًا يوميًا بعد يوم، فيقول:

"أما الحديث عن إطلاق الحوار في القضايا الساخنة، فذلك ينطلق من كونها لا تستطيع أن تنتظر، تمامًا كالقضية الفلسطينية، فحينما تكون هذه قضية المسيحيين والمسلمين من حيث التقاء المقدّسات المسيحية والإسلامية في فلسطين، لتواجه المسألة اليهودية على أساس الحركة اليهودية العالمية، لاضطهاد المسلمين والمسيحيين معًا للسيطرة على هذه المقدّسات، وللتحرّك في خطّ الظلم الذي ترفضه هذه الرّسالات كلّها،

¹ - علي حسن سرور: العلامة فضل الله وتحدي الممنوع، مرجع سابق، ص 103.

إننا نتصوّر أنّ إدارة الحوار في هذا المجال قد يستطيع منع كثير من الأوضاع السلبية أو القلقة فيما يتعلّق بهذه القضية¹.

وهو الأمر الذي ناقشه الطرفان فعلاً في العديد من الملتقيات والندوات الحوارية المنعقدة بينهما، وكمثالٍ على ذلك، جاء في القسم الثاني من البيان الختامي لمؤتمر "القيم الروحية للديانتين المسيحية والإسلامية" المنعقد ببحمدون البنائية من 22 إلى 29 نيسان/أفريل عام 1954م، والمخصّص للأراضي المقدسة:²

- إنّنا نحن المجتمعين في المؤتمر الإسلامي المسيحي العالمي الأول، قد لمسنا لمس اليد المشكلات الخطيرة التي تكتسح المنطقة المنعقد فيها المؤتمر، نستنكر العدوان والاضطراب اللذين يمزقان الأرض المقدسة، وليس هناك مكاناً في العالم أقلّ أمنًا وسلامًا من موطن "أرض السلام"، وإنّ الأقطار المجاورة المقدسة لدى الإسلام والمسيحية يصيبها العناء وعدم الاستقرار، وحالة العرب في هذه البلاد لا تُطمئن قلوبنا، ورغم ذلك سينتصرون في النهاية لأنهم مؤمنون بالله.

- ونحن الذين شاهدنا نكبتهم، نعاهدهم أنّنا لن ننسأهم، وسنرفع أصواتنا منتصرين لهم، وسنحثّ حكوماتنا على اتّخاذ إجراءات سريعة لمساعدتهم، وسنطالب أيضًا بجعل هذه القضية على أسس من العدالة والحقّ تضمن استقرار السلام في الأرض المقدسة، حيث غلب عليها اليوم النزاع وسفك الدماء.

إنّها محاولة إسلامية مسيحية جادة ومخلصة في سبيل تحرير القضية الفلسطينية من وضعها المتأزم، وحتى وإن بقيت قرارات هذا المؤتمر وغيره ممّا يشبهه منها حبراً على ورق، فيكفي في ذلك تحسيس العالم والمجتمعات وأصحاب القرارات الحاسمة بهذه القضية وتعريف جميع هؤلاء بها، حتى يكونوا على وعي تامّ بما يحدث في هذه الأرض من مظالم وانتهاك لحقوق الإنسان ومساوئ حمة، ومن ثمّة يساندوا الشعب الفلسطيني؛ بالتصدي لإسرائيل والوقوف ضدّ مطامعها في المنطقة؛ لئلا تحرم هذا الشعب من أرضه بغير حقّ شرعي.

فالمشكلة في هذه القضية - كما يشير فضل الله - هي إسرائيل؛ التي تُعتبر مظهرًا لحركة اليهود في الاستيلاء على أرض إسلامية، بحجة أنّها الأرض التي عاشوا فيها قبل آلاف السنين، أو تلك التي وعدهم

¹ - مقابلة مجلّة البلاد اللبنانية الأسبوعية مع فضل الله، عدد: 103 و104، 24 و31 تشرين الأول 1992م، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص376.

² - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص13، 16.

بها ربهم* في التوراة، وبدءً من ذلك سوَّغوا لأنفسهم شرعية تشريد الآلاف من الناس، والإتيان بكلّ يهود العالم إلى فلسطين؛ لتصبح هذه ممنوعة عن أهلها الذين سكنوا فيها منذ مئات السنين، وهذا الواقع هو ما جعل اليهودية السياسية التي اتخذت كلمة الصهيونية كمضمون لها في حركيتها، عدوانية في الواقعين السياسي والأمني.¹

وبما أنّ المسيحيين أيضًا، ينتمون لهذه الأرض من خلال ما لهم من كنائس فيها ومقدّسات، فيتوجّب عليهم التعاون مع المسلمين في مواجهة هذا العدو الذي يريد الاستيلاء على ممتلكاتهم بل وأرضهم كلّها، وهو الأمر الذي يمكن التخطيط له من خلال ما يحدث بينهما من حوارٍ واقعي حياقي، وفي ذلك يقول فضل الله:

"إنّ التخطيط للتوحد أو للتكامل، أو للتنسيق في قضايا الظلم والعدل في المنطقة والعالم بين المسيحية والإسلام في حركة المسيحيين والمسلمين؛ هو الذي يجعل من اللقاء مسألة حياة في وعي الوجدان وفي عمق الروح، وفي امتداد الواقع، بدرجة أقوى من كلّ حوار؛ لأنّ الحوار يمثّل كلمات في الفكر وفي الهواء الطلق أو في العُرف المغلقة، بينما اللقاء في الواقع الحيّ؛ روحًا تفتح على روح، ودما يمتزج بدم، وحياة تستمدّ حيويتها من حركة الحياة في الواقع، ونحن نعرف أنّ ما يجمعه الله في مسئولية الجهاد، وفي روحية القيمة لا تفرقه الظروف الطارئة".²

ولأنّ مشكلة القضية الفلسطينية مع إسرائيل هي جزء من الصراع العربي الإسرائيلي؛ فقد تطوّرت الجهود الإسلامية المسيحية، وتكاثفت في محاولات عديدة لإيجاد حلٍّ سلمي لهذا النزاع، وباستقراء تلك الجهود نجد أنها تتمحور حول:³

أولاً - مواجهة إسرائيل، وإدانة الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية.

* يستند اليهود للتأكيد على هذا الأمر، إلى نصوص تورانية عديدة منها:

- قول الرب لإبراهيم: [لنسلك أهب هذه الأرض] (تكوين: 12 / 07).

- وقوله لإسحاق: [فأعطي لك ولنسلك جميع هذه البلاد، وأفي باليمين التي حلفتها لإبراهيم أبيك] (تكوين: 26 / 03).

- وقوله ليعقوب: [الأرض التي وهبتها لإبراهيم وإسحاق أهبها لك ولنسلك من بعدك] (تكوين: 35 / 12).

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 32-33.

² - المصدر نفسه، ص 99.

³ - سامر رضوان أبو رمان: الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي نموذجًا -، مرجع سابق، ص 140-

ثانيًا - مواجهة الصهيونية وسياساتها التوسعية وغير المشروعة.

ثالثًا - إدانة الاعتداءات على الشعب الفلسطيني، وتأكيد الحقوق الوطنية والإنسانية له.

رابعًا - إدانة الاعتداءات على المقدسات الإسلامية والمسيحية.

خامسًا - الدعوة إلى إيجاد دولة للفلسطينيين، وتحرير الأراضي المحتلة، وتأييد المقاومة البطولية للعدوان الإسرائيلي، وخاصة الانتفاضة؛ ليتحقق النصر والتحرير.

سادسًا - تأييد منظمة التحرير الفلسطينية*، واعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

سابعًا - التحذير من استغلال الحوار اليهودي المسيحي من أجل التهويد في فلسطين، ولمصلحة إسرائيل.

ثامنًا - إدانة الهجرة السوفياتية لإسرائيل.

تاسعًا - رفض تبني أي مشروع للسلام يخرج عن الثوابت الفلسطينية والشرعية الدولية.

عاشرًا - انتقاد الولايات المتحدة لموقفها ضد تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين.

وفي هذه المسألة يفرق فضل الله بين الغرب والمسيحية؛ فبيّن أنّ الغرب ومن خلال سياسته، ساعد على تأزم الوضع في فلسطين، بما يقدمه من دعم لإسرائيل، التي تقوم بمظالم واضطهادات عديدة ضدّ الشعب الفلسطيني، ويدعو إلى عدم تحميل المسيحية ما يقوم به الغرب، إذ أنّ هناك مسيحيين -على حدّ قوله- جيّدين في تفكيرهم في القضايا الإنسانية على خطّ السيّد المسيح عليه السلام، فهؤلاء مرّحّب بهم جدًّا، نظرًا للدور الذي يقومون به تجاه تجسيد الأفكار المسيحية في المسألة الفلسطينية.¹

وإذا كان هناك إجماع إسلامي مسيحي؛ فردي وجماعي، رسمي وغير رسمي على عدم شرعية التّحاور مع اليهود باعتبارهم هم المتسبّبون في مأساة الشعب الفلسطيني، والقضاء على آماله وطموحاته، بالإضافة إلى

* منظمة التحرير الفلسطينية (م.ت.ف)؛ منظمة سياسية شبه عسكرية، معترف بها في الأمم المتحدة والجامعة العربية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني، تأسست عام 1964م، وتضمّ حركة فتح والجهة الشعبية لتحرير فلسطين، بالإضافة إلى فصائل أخرى، ماعدا حركة حماس وحركة الجهاد الإسلامي... (موسوعة السياسة، ج6، ص344).

¹ - نصّ الحوار الذي دار بين فضل الله والقسيس الهولندي (فان دار بيل أندرو)، ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص156-157.

أن العيش المشترك مع هؤلاء غير ممكن، بل إنّه صعبٌ للغاية نظرًا للرفعة وعلو المكانة التي يشعرون بها؛ لذلك استتكف المسلمون والمسيحيون على حدّ السواء على إشراك اليهود معهم في الحوارات التي تجمع بينهما انطلاقًا من المسألة السياسيّة خصوصًا،¹ وإنّ المستقرى لتاريخ الحوار بين أتباع الأديان، يستخلص دون أدنى جهد، أنّ هذا الحوار في أغلبه يدور فقط بين المسلمين والمسيحيين؛ أي أنّ الحوار الإسلامي المسيحي هو الشكل الغالب على جميع الأشكال الأخرى المميّمة لهذا النوع من الحوار، ولعلّ ذلك يعود إلى أسباب كثيرة، منها على سبيل المثال: التّحاور بين المسلمين والمسيحيين في الأماكن والأفكار، وأيضًا الاشتراك في بعض المهموم والمسائل والقضايا المستدعية لمناقشتها عن طريق الحوار الهادئ والفعال.

فإنّ فضل الله - في هذا الصّدّد - يفرّق تفريقًا بيّنًا بين إسرائيل واليهود، فبينما لا يمكن التّحاور - في نظره - مع إسرائيل باعتبارها منتهكة لحقّ الشعب الفلسطيني، فإنّه يجوز التّحاور مع اليهود لكونهم أصحاب ديانة سماويّة كالمسيحيّة والإسلام، وفي ذلك يقول:

"فلنعمل على أن يرجع الفلسطينيين إلى فلسطين، ويتحاوروا مع اليهود الموجودين في فلسطين، في طبيعة الحُكم الذي يتحرّكون فيه...، لو كان السيّد المسيح موجودًا الآن، لما وافق على دولة إسرائيل، وإنّي أحبّ أن أوّكد لكم من جديد، أنّنا مستعدّون للحوار مع اليهود بصفتهم اليهوديّة فيما هي مفاهيم التّوراة، وفيما هي مفاهيم اليهوديّة التّوحيدية، كما ندخل في حوار مع المسيحيين".²

وفي السّياق ذاته، يؤكّد وبشدة، على أنّ مشكلة العرب ليست مع اليهود من خلال يهوديتهم، أو لمجرّد كونهم ينتمون لهذه الديانة، إنّما المشكلة مع إسرائيل التي اغتصبت الفلسطينيين أرضهم، ودنّست مقدّساتهم، وقتلتهم شرّ قتلّة، ونكّلت بهم وشرّدتهم أيّما تشريد؛ بغية تجميع جميع اليهود الموجودين في العالم في هذه الأرض بحجّة الحقّ التاريخي.³

* يعتقد اليهود أنّهم شعب الله المختار، وأنّهم أحقّ من غيرهم في السّيادة والرّعامة والتّبوة؛ فهم يزعمون أنّ الله اصطفاهم من بقية الشعوب، حيث يعتقدون أنّ هذا الاختيار هو برنامج إلهي فيهم، فيعاقب الله الأمم الأخرى وهم يبقون وحدهم في آخر الزّمان متسلّطين على رقاب العالم، ويسمّون أنفسهم؛ الشعب الأزلي والشعب الأبدي والشعب المقدّس، ويسمّون غيرهم بالأغيار أو الجوييم الذين هم عندهم في مرتبة الحيوان إلا أنّ الله خلقهم في صورة البشر لخدمة اليهود؛ إذ أنّ اليهودي عند الله هو أفضل حتّى من الملائكة... (ينظر: عدنان عبد الرزّاق الزبيعي: قراءات معاصرة في العقيدة اليهوديّة، ط1، دار التفائس، عمان، الأردن، دار الفجر، بغداد، العراق، 1432هـ/ 2011م، ص157، 194).

¹ - محمّد سليم العوا: لماذا لا نحاوّر اليهود، مقال سابق، ص99-104.

² - نصّ حوار فضل الله مع القسيس الهولندي (فان دار بيل أندرو)، نصّ سابق، ص160.

³ - التّصّ نفسه، ص159.

ويضيف قائلاً:

"من الطبيعي جداً أننا نشعر جميعاً بأنّ إسرائيل كوجود سياسي عنصري في المنطقة؛ هو سرّ الكثير من المشاكل التي حدثت في المنطقة؛ لأنّ اليهود الذين كانوا أقلية لا تُذكر في فلسطين، جاؤوا وأخرجوا شعباً بكامله من مسيحيين ومسلمين حتّى يخلّوا مكانه، ويعملوا على التوسّع من أجل الإمبراطورية اليهودية في المنطقة"¹، ممّا يمنح الشعب الأصلي من التمتع بكامل حقوقهم، بل ويحرمهم من أرضهم التي قطنوها منذ آلاف السنين وعاشوا فيها أماداً طويلة من الزمن، فكيف إذن -والحال هذه- أن تُعتصب منهم هذه الأرض بغير حقّ إلاّ الطمع والتعدّي على ممتلكات الغير، الأمر الذي تستهجنه جميع الرّسالات السماوية وخاصة المسيحية والإسلام.

لذلك فإنّ المسلمين والمسيحيين وبغضّ النظر عن كونهم ينتمون لهذا البلد، الواجب عليهم -في نظر فضل الله- أن ينطلقوا معاً تجاه هذه القضية وما شابهها من قضايا أخرى في العالم، من أجل أن يدرسوا عمق الآلام الحقيقية للإنسان، ولا يدرسوا عنصر الألم في جانب واحد، بل من جوانب متعدّدة التزاماً بالموضوعية، وتحقيقاً للتخفيف من معاناة كثير من الأفراد والمجتمعات،² التي تقع تحت نير الاستعمار الغاشم والقوى الطاغية الظالمة المتعدّية على حقوق الشعوب المستضعفة، سواء تمثّلت تلك الحقوق في الأنفس أو المقدّسات أو غير ذلك ممّا لا ينبغي المساس به؛ لأنّه حقّ شخصي لا يمكن التنازل عنه بأيّ حال من الأحوال.

ومهما يكن من أمر، فإنّ القضية الفلسطينية وما تستدعيه من التعجيل لأجل إيجاد حلّ سلمي لها؛ قضية شغلت بالّ المسلمين والمسيحيين منذ زمن بعيد، من خلال حواراتهم ونقاشاتهم، وهو الأمر الذي يوسّع من دائرة الحوار الإسلامي المسيحي، ويزيد من شأنه ومكانته، وذلك بنقله من مجاله الديني الثقافي إلى المجال التاريخي السياسي، ما دام أنّه موصولاً بالقضايا السياسية الرّاهنة، وخاصة القضية الفلسطينية، وعن مدى هذه الشمولية يقول فضل الله:

"وأصوّر أننا عندما نقوم بحوار إسلامي مسيحي، علينا أن لا نجعله يقتصر على اللاهوت، وإمّا لا بدّ أن يتحرّك أيضاً في المسألة الاجتماعية من وجهة نظر الإسلام والمسيحية، وفي المسألة الاقتصادية من وجهة

¹ - نصّ حوار فضل الله مع الكاهن الإيطالي (برنارد تسير فليرا)، نصّ سابق، ص 144.

² - نصّ حوار فضل الله مع القسيس الهولندي (فان دار بيل أندرو)، نصّ سابق، ص 154.

نظر الإسلام والمسيحية، وفي المسألة السياسية من وجهة نظر الإسلام والمسيحية، ونظرتنا إلى الإنسان، وإلى الحياة، وإلى كلِّ الواقع".¹

لذلك، يبقى دعم القضية الفلسطينية من أهم أولويات المسلمين والمسيحيين العرب خاصة، بحكم علاقتهم بأرض فلسطين ومقدساتها، وأيضاً بحكم علاقتهم بإخوانهم العرب الذين يعيشون على هذه الأرض في ظلم واضطهاد مستمرين، وهذا التحدي الذي يخوضونه ضد الاحتلال الإسرائيلي الصهيوني، بإمكانه التسريع من وتيرة اللقاءات الودية فيما بينهم، مما يجعل للحوار الإسلامي المسيحي آفاقاً مستقبلية في حدود هذه القضية وتطوراتها، ولا شك أن هذا الحوار من شأنه تحقيق كلِّ ما يصبو إليه الطرفان من آمال وأهداف وخاصة منها ما يتعلق بالإنسانية والسلام العالمي والقضاء على الصراعات الخارجية والفتن الداخلية، حيث أن "كلِّ المجتمعات تبحث عن العدل والسلام في إطار ما يسمّى بحوار الحياة؛ وهو يعني الحياة مع الآخر والاهتمام بقضاياها وتفهم خلفياته والاعتراف بتمايزاته واحترام قيمه ومبادئه"² وهذا ما يتوخاه الطرفان تجاه فلسطين وشعبها.

*إيماناً منه بضرورة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وانطلاقاً من كون هذا الحوار يمتلك أهمية كبيرة، ويمتاز برؤية مستقبلية شاملة، يقرّر فضل الله بأنّ هذا الأخير؛ أي الحوار الإسلامي المسيحي، ينتظره مستقبلٌ زاهر بما له من آفاق وأبعاد متعدّدة في الوقت الراهن، واحتكاماً للقضايا المشتركة التي تجمع بين طرفيه، خصوصاً في المنطقة العربية التي يمكن من خلالها استثمار العلاقات الإسلامية المسيحية، في مجال التعاون والتّصدي للأزمات والمخاطر الداخلية والخارجية؛ بغية إحداث نظرة تفاعلية - قائمة على السّلم والمصادقية - لعالم المستقبل، ولمعرفة ما يختلف عنه أو يوافق فيه محمّد حسين فضل الله موريس بورمانس بخصوص هذا الشأن، تقتضي ممّا المنهجية العلمية والموضوعية معرفة الآفاق المستقبلية عند هذا الأخير، الأمر الذي سأبحثه في المبحث الموالي.

¹ - نصّ حوار فضل الله مع القسيس الهولندي (فان دار بيل أندرو)، نصّ سابق، ص 157.

² - مريم آيت أحمد: جدلية الحوار - قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر -، مرجع سابق، ص 146.

المبحث الثاني: الآفاق المستقبلية عند موريس بورمانس.

في هذا المبحث سأستعرض الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي كما يراها بورمانس، ولا شك أن هذا الأمر يتطلب الحديث عن بعض القضايا التي تشكل رافداً أساسياً لهذه العملية الفكرية الإسلامية المسيحية، خاصة وأن الظروف الحالية تحتم على الطرفين التعاون والتّحاور والنّقاش حولها، ولأنّ الحوار بين المسلمين والمسيحيين بات ذا أهمية بالغة وأصبحت له مكانة كبرى في الوقت الآتي، بما تنتظره من مسئولية واقعة على عاتقه، فلا ريب - والحال هذه- أن له آفاقاً ومستقبلاً وآمالاً يصبو إلى تحقيقها والوصول إليها، أو معالجتها معالجة فكرية موضوعية، وهذا ما سأحدّث عنه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إنماء التعاون المسيحي الإسلامي.

في عالم -كعالم اليوم- مليء بالأخطار والمشاكل، ومهدّد بالانشقاقات والصّراعات، وتخلّله الحروب الإثنية والعرقية والأهلية والإقليمية وحتى العالمية، ويشهد حالة من التوتّر وعدم الانسجام بين كثير من الشعوب وفي مختلف المناطق، يتوجّب على بني البشر بما يجمعهم من أخوة إنسانية وروح تعاطفية تجاه الظلم والاستبداد؛ التّعاون فيما بينهم، وجعل اليد في اليد بغية الحدّ ممّا سبق وصفه.

ويتأكّد هذا الأمر، عندما تكون هناك رابطة -مهما كان نوعها- تربط بين مجتمعين أو أمتين فأكثر، وإذا أخذنا -مثلاً- أتباع الديانتين المسيحية والإسلام باعتبارهم يشتركون في جملة من الأمور، وتربطهم عدّة روابط، كما تجمعهم مجموعة من القيم والمناسبات، سنجد أنّ إمكانيّة التّعاون فيما بينهم ممكنة الحدوث جدّاً، بل إنّها قد تكون من ضرورات الحياة ومقاصدها، وهو الأمر الذي لا يتمّ إلا من خلال الحوار الفعّال، وفي هذا يقول بورمانس:

"...فعلى المتحاورين أن يوضّحوا للجميع حقيقة المصدر الأوّل والآخر لكرامة الإنسان، وكيف تُخدم تلك الكرامة، ومن هم الأحقّ بهذه الخدمة، وكذلك يطلب الحوار منهم أن يجتهدوا معاً للتّقدّم والازدهار في المجتمع البشري، ضامنين للزّواج والأسرة كرامتهما، وللفنون والثّقافة أهمّيتهما، وللتّوازن الاقتصادي والاجتماعي تأثيره في الانسجام بين الجماعات السياسيّة، وأخيراً للشّعب والأُمم ائتلافها فاتّحادها ضمن منظّمة دولية واحدة".¹

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص166-167.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأنّ المبتغى الأساسي للحوار الإسلامي المسيحي؛ هو تقوية أواصر التفاهم والتعاون فيما بين الطرفين المتحاورين، والجري على قدم وساق من أجل الوصول إلى تحقيق جملة من الأهداف المتنوعة والمختلفة، والتي تجمعها خدمة الإنسانية من وجوه عديدة، وتحقيق أنماط متوافقة من العيش المشترك، ولذلك فـ "إنّ المسيحيين والمسلمين جميعاً مدعوون إلى المشاركة في هذا التعاون اليومي بأنواعه، ولهم فيه مهمة يضطلعون بها؛ لأنهم يمثلون جميعاً جزءاً لا يُستهان به من الاختبار البشري والعمل الدنيوي، وفي الواقع ما يدفع المسيحيين والمسلمين إلى مثل هذا الالتزام، لخدمة إخوانهم؛ إنما هو إيمانهم بالله، إذ لكلّ إنسان صلاتٌ قويةٌ بالله، فالمؤمنون مدعوون بعملهم عينه إلى كشف ذواتهم لإخوانهم في البشرية، لأنّ عملهم لا يخلو من تشابه خفيّ مع ما يفعل الله نفسه".¹

وتنظيراً لهذا التعاون، أبرزت مجموعة من المؤتمرات الحوارية، وجوه التآلف والتآزر بين الفريقين، ممّا يمكن اختصاره في النقاط الآتية:²

أولاً - إنشاء الهيئات والمنظمات الداعية إلى التعاون بين المسلمين والمسيحيين في اندونيسيا وماليزيا والفلبين وسنغافورة، بالإضافة إلى عقد المؤتمرات بغية اكتشاف أفضل مخطّط للتعاون على جميع الأصعدة التخطيطية والتنفيذية من أجل تلبية حاجات الأفراد والمجتمعات هناك.

ثانياً - تحرير الإنسان من العبودية عدا العبودية لله، والعمل على تحرير المجتمع من مختلف أشكال الصراعات والتباينات التي تُهدر طاقاته وتمنعه من بلوغ هدفه.

ثالثاً - الاتفاق والتعاون على وضع كتب ومختارات عن الإسلام والمسيحية، لتستفيد منها مؤسسات التربية الدينية الإسلامية والمسيحية، ويجب أن يُصبح من الطبيعي دعوة محاضرين مسلمين إلى مؤسسات مسيحية ليشاركوا في تلقين الإسلام، والعكس بالعكس، من أجل تبادل التجارب العلمية والخبرات المعرفية.

رابعاً - اقتراح برامج مستقبلية فعّالة، تُقسّم على عدّة مراحل متنوّعة المشاريع والأهداف، في فترات زمنية مختلفة، قصد تطوير العلاقات بين الطرفين، وإقامة مشاريع تعاون بينهما في مختلف المجالات والأصعدة، وذلك باستخدام شتى الوسائل والأساليب المساعدة على تحقيق هذا المبتغى.

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص167.

² - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص81-82، 122، 127، 132-134.

ولا شك أنّ هذه القرارات التي صيغت في عدّة مؤتمرات إسلامية مسيحية؛ تنبئ بدور الحوار الإسلامي المسيحي في مساعدة الطرفين على الالتقاء والتّحاور من أجل التّعاون وتكاثف الجهود، للوصول إلى نتائج ملموسة وواقعية، يمكن استثمارها على أرض الواقع؛ بغية التّحسين من الأوضاع المتدهورة التي يشهدها أغلب سكّان المعمورة.

بهذا الصّد، وتدعيمًا لموقف الحوار الإيجابي من العلاقات الإنسانيّة؛ أعطى البابا يوحنا بولس الثّاني للعالم نصًّا رائعًا حول الحوار بين الثقافات لبناء حضارة الحبّ والسّلام، وقد كان هذا الرّجل يحلم بألف عام من السّلام والعدالة والمصالحة لجميع أبناء الإنسانيّة، ولأجل ذلك وتحقيقًا لمبتغاه هذا؛ زار العديد من المناطق والدّول العربيّة والإسلاميّة؛ كسيناء والقاهرة وعمان والقدس وسوريا وكازخستان وأرمينيا...، ناقلاً معه رسالة السّلام الذي لا يمكن أن يتحقّق بغير العدالة، وحثًّا الجميع على ضرورة الحوار في بناء الأخوة الإنسانيّة وإقامة التّعاون فيما بينها.¹

وفي الجهة المقابلة، وفي الثّالث عشر من أكتوبر من عام 2007م؛ أرسلت مجموعة من علماء المسلمين، والتي زادت عن 138 شخصيّة، برسالة إلى البابا بندكتوس السّادس عشر وغيره من الرّعاة المسيحيين، تحت عنوان (الكلمة السّواء) أو (الكلمة المشتركة بيننا وبينكم)، دعوهم فيها إلى العمل معًا على استكشاف المبادئ الأساسيّة المشتركة بين الدّيانتين، والتي اختصروها في عناصر ثلاثة؛ على غرار الوصيّة بتوحيد الله تعالى، ومحبّته، ومحبة الجار، وهي النّتيجة المشتركة بين الإسلام والمسيحيّة، الأمر الذي يحتم على جميع الأطراف العمل معًا لبناء السّلام والوئام في العالم،² وهذه بادرة محمودة في سبيل تحقيق التّعاون والالتفاف والتّآزر بين المسلمين والمسيحيين، الذين تقع على عاتقهم مسؤوليات كبرى تجاه ما يحدث في العالم من مآسي ومظالم، وحالات من الفقر والجوع والمرض والجهل التي تضرب في مناطق شتّى، كما أنّها لفترة طيّبة تحثّ الطرفين على المضيّ قُدّمًا في سلوك هذا النهج الإنسانيّ التّبيل.

"فهم إذن، وعند قيامهم بهذا العمل معًا، يستطيعون أيضًا أن يحدّدوا اليوم الشّهادة التي عليهم تأديتها عن الله نفسه، ويعرضوا على رفقاء طريقهم سبيلًا جديدًا لاستطلاع سرّ الله وحقيقته، وفي الواقع (إذا استبقوا الخيرات) في خدمة الشّباب والأطفال من كلّ الأعمار، كما في خدمة المعوّقين والمرضى والمحتضرين،

¹ - Maurice Borrmans: **Dialoguer, Encore Et Toujours. Avec Les Musulmans.** Théologiques, Faculté De Théologie ET De Sciences Des Religions, Universit De Montréal, Volume 19, Numéro 02, 2011, p19-20.

² - Maurice Borrmans: **Dialoguer, Encore Et Toujours. Avec Les Musulmans.** Article Précédent, p25.

ينظر أيضًا: توماس ميشيل اليسوعي: بناء ثقافة الحوار، مرجع سابق، ص 171-172.

وإذا رفضوا الحروب والاختبارات القاتلة للناس؛ فلأن الحياة عندهم نعمة من نعم الله، ولأنهم يؤمنون بالله الحي الذي يجذب الحياة، ويريد أن يعطي كل ثمارها".¹

وانطلاقاً من تحديد مجموعة من الأسئلة المشتركة بين الفريقين؛ تبحث عن كيفية بناء مجتمع إنساني يكون بالفعل في خدمة الإنسان كما يريد الله، وكذا الطريقة التي تضمن نظاماً للقيم لا يكون متروكاً لمجرد اختبارات اعتبارية وحيالية ولشهوات بلا جامع، يمكن لهما معاً وبالتعاون مع كل البشر ذوي الإرادة الطيبة ومن خلال الحوار الفعال؛ بناء مجتمع سويّ وخدمته، بحيث لا يُقصي أحداً ولا يُهمشه ولا يُجري تمييزاً ضده، بل يضع الجميع أمام اقتضات ملموسة، وذلك بالخروج عن الضروب المختلفة للحيتو، والدعوة إلى الاختلاط والتعايش، ثم التشجيع على اللقاءات العلمية الخاصة بالدراسات والأبحاث والتّشر، والالتفاف حول القضايا التي تشكّل أرضاً للقاء والبحث والعمل المشترك؛ كقضايا الأخلاق الاجتماعية، والأخلاق الطيبة، والأخلاق المهنية.²

وإنّ كل ذلك ليس بمتأتّ إلا من خلال حوار صادق قائم على أسس موضوعية ونزيهة، ومستند إلى إرادة قوية ورغبة خالصة في تشييد جسور التعاون والصداقة بين المسلمين والمسيحيين الرّاعين فعلاً في إقامة علاقة وطيدة، والسّاعين إلى حلّ كل المشاكل التي تتخبّط البشرية في شراكها، بدافع ما يجدونه في ديانتيهما من مكارم ومبادئ نبيلة.

فإذا ما شيّد الطرفان بالحوار سبيلاً لحلّ المنازعات، وعملوا على تشييد مجتمع أكثر أحوّة، ومن ثمّ تعدّدية على الصّعيدين الوطني والدّولي، فيمكن أن يحدث السّلام المنشود والوحدة المنتظرة، اللذان هما في نظرهما نعمة من أنعم الله، وبهذا يتمكنّ المسيحيون والمسلمون المتآلفون في العمل من أن يشهدوا معاً اليوم، لِمَا للخليقة الحاضرة من قيمة، ولكرامة الإنسان الحقيقيّة، ولعظمة الله السّامية، أو ليست مشاركة كلّ منهما في أشكال هذا التّعاون الإنساني الصّوروي؛ هي في الوقت عينه اقتداءً بشريّاً بفعل الله، وإظهاراً جزئياً على عيون الناس أجمعين؟³

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص167.

² - كريستيان فان نسين: مسيحيون ومسلمون.. إخوة أمام الله، مرجع سابق، ص185-186.

³ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، المقال السّابق، ص168.

بلى، إن الحوار القائم بينهما، ينطوي في ذاته على غايته النبيلة؛ إذ أنه يُعنى بإنماء الكيان الإنساني الفردي والجماعي، وطالما أن الإيمان فطرة في الإنسان يجري التعبير عنه في قوالب شتى، وأن التنوع الديني سنة تشمل واقع البشر برمته، فإن الحوار الديني يضحى حوارًا بشريًا في قضايا هذا الإيمان وتعاييره المتنوعة، وهو حوارٌ يستقي ضرورته من المزمى السامي الذي ينزع إليه، ألا وهو الإسهام في تكوين الإنسان وإبلاغه ملء القامة البشرية التي انعقد عليها كيانه الأصلي، فإذا كانت الحياة الاجتماعية على تباين صيغها، هي في عُرف المجتمع؛ الطريق التي يسلكها الإنسان من أجل البلوغ إلى نُضج كيانه، فإن الحوار هو عماد هذه الحياة الاجتماعية وسبيلها الوحيد،¹ الأمر الذي يتطلب العناية به - أي الحوار - كبديلٍ عن الصراعات والنزاعات والصدمات، وتلك حتمية يفرضها الواقع الراهن للعالم، المجسد بكلّ حيثياته وتفصيله السياسية والاجتماعية والثقافية، مما يستدعي تكاثف جهود الطرفين الإسلامي والمسيحي، لدراستها ومناقشتها، من خلال الحوار فيما بينهما، وفي ذلك يقول بورمانس:

"إن ظروف العالم الرهنة، سواء أكانت سياسية أم ثقافية، جعلت تلاقي المسلمين والمسيحيين يتم على قدم المساواة، فأخذت العقليات تتغير وتتطهر، واتخذ تعاملهم في كثير من المجتمعات، صيغة التآخي والتكاتف والتعاون...، ولما كانت تحديات العالم المعاصر تستهدف المؤمنين في كلّ الديانات، أصبح العمل المشترك بين المسيحيين والمسلمين، بمساهمة كلّ ذوي الإرادة الصالحة، ضرورة ملحة من أجل بناء عالم يكون الإنسان فيه أكثر إنسانية...، كلّ هذه الظروف جعلت الحوار المسيحي الإسلامي مسئولية جسيمة على عاتق المسلمين والمسيحيين معًا"،² بما ينتظره من مستقبل زاهرٍ ومليء بالفرص والتحديات بل والتصدّي لكلّ المخاطر والمشاكل الموجودة في عالم اليوم، مما يدفع بالطرفين إلى الاستناد؛ كلٌّ منهما للآخر، في سبيل تذليل الصعوبات ومواجهة المعضلات ومواكبة التطور الراهن في شتى المجالات، وإن كان هذا الأمر لا يحصل إلا بالرغبة الصادقة، والمدارسة الموضوعية العلمية ذات الشكل المنظم والوتيرة المتسارعة في عقد المؤتمرات والتدوات الحوارية فيما بينهما.

¹ - مشير باسيل عون: الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص 32-33.

² - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 168.

المطلب الثاني: تحقيق التقارب المسيحي الإسلامي.

إنّ هذه القضية؛ أي قضية التقارب المسيحي الإسلامي، أو بعبارة أدقّ: التقريب بين المسيحيين والمسلمين دينياً - بالأخص - وثقافياً وفكرياً؛ هي جزء لا يتجزأ من قضية عامة، ظهرت قديماً ولا يزال لها مروجون في العصر الحديث؛ إنّها دعوة التقريب بين الأديان، وتمثّل هذه الدعوة معظم المحاولات العالمية والإقليمية والمحلية لإيجاد تواصل وبناء علاقات بين مختلف الأديان والملل،¹ كما أنّها تعدّ من الأفكار الخطيرة التي تستهدف الإسلام في مبادئه وقواعده الثابتة في هذا العصر، وتأتي الدعوة إلى هذه الفكرة تحت أسماء براقية لتستترّ بها وبرائها، أو تحت عباءة مصطلحات مغرضة؛ ك: زمالة الأديان، وحدة الأديان، الدين الإبراهيمي، الإخاء الديني، حوار الأديان، التعايش بين أتباع الأديان...²

وبناء على ذلك يسعى الحوار الإسلامي المسيحي إلى إحداث تقارب بين الطرفين، وذلك بإثارة نقاط التلاقي التي يمكن من خلالها التأكيد على هذه القرابة بينهما وخاصة من الناحية الدينية، وفي ذلك يقول بورمانس:

"...إلا أنّ المراقبين والمشاركين التزيهين يتمنون أن تتركز لقاءات الحوار -أيّاً كان نوعها وأيّة كانت أهميتها- على الصلاة والدعاء والتضرّع، وألا تستغني عن الصمت والمناجاة والتأمل، بحيث يتسنى للمتحوّرين أن يُصغوا إلى كلام الله أولاً، ويقبلوا إلهاماته فيتمكّنوا من ثمّ أن يُصغي بعضهم إلى بعض بروح التفهم... ذلك هو السبيل الأوحى للتأخي في الله والسير نحو أخوة شاملة بين البشر".³

ويقول أيضاً:

"كما يبدو لي أنّ المحاورين المسلمين يجب عليهم أن يحجّروا الذّهنيات المتأخّرة التي ترى في اقتراحات الحوار من طرف المسيحيين تطبيق مؤامرة، أو تأمرًا في سبيل تنصير المسلمين، فليأت الجميع، سواء المسلمون أم المسيحيون على (كلمة سواء) أو (كلمة جامعة)، محترمين صفاء النيات وشجاعة الالتزام؛ لأنّ الحوار الحقيقي يطلب من الطرفين أن يستعدّوا للتحوّل؛ تحوّل مع الذات، وتحوّل في فهم الآخر، فمسئولية المثقفين في علم اللاهوت أو الكلام والتفسير، تتطلّب منهم الجرأة المعتدلة حتّى يتمكّنوا من إعادة النظر في

¹ - أحمد القاضي بن عبد الرحمن: دعوة التقريب بين الأديان -دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية-، مرجع سابق، ص1، ص335.

² - جود أحمد بن عبد الله: علم الملل ومناهج العلماء فيه، ط1، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، 1425هـ/2005م، ص366.

³ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص169.

استعمال الأساليب الجديدة في دراسة النصوص المؤسسة للعقائد المختلفة...؛ لأنّ المقصد الأخير للحوار هو الإثراء المتبادل في التقرب من الله، واختبار عطايه السامية مهما كانت تعريفاتها اللاهوتية".¹

ونلمس في كلا الفقرتين السابقتين؛ دعوة صريحة إلى التقارب المسيحي الإسلامي من خلال الحوار، وليس بورمانس بدعاً من القول أو الرأي حينما دعا أو أشار إلى هذه الفكرة، ذلك أنّ الرأي الغالب في الفكر المسيحي يدعو إليها أيضاً منذ أمد بعيد، إيماناً منه باستقطاب المسلمين إلى دائرته وفكره ومبادئه، خصوصاً وأنّ من يجري الحوار معه؛ هم النخبة من المفكرين والعلماء المنتسبين للإسلام، الأمر الذي يزيد من نجاح هذا المخطط والتمكين له في الواقع المعاش.

فعندما نستقري الكتابات المسيحية في هذا المجال، نجدتها تحتّ على هذه الفكرة وتدعو إليها، وتحاول جاهدة إقارها في النفوس، وهذا ما نجده مثلاً عند جورج خضر* الذي أكد على وجود روحية وجدانية تنبع من إيمان واحد لدى الجماعتين الإسلامية والمسيحية، وأنّ كلّ واحدة منهما ترتبط بالله بتجلّ له هو يعرفه، وهو يهب نعمته لها بلا حساب، ممّا يبني عليه اعتراف متبادل بين الطرفين في الحياة والحريّة؛ لأنّهما يسعيان إلى ملكوت الله وإلى سيادته على كلّ مرافق الوجود بالحريّة الكاملة للإنسان.²

وتأكيداً لهذه الفكرة، يعقّب قائلاً:

"نحن نريد أمة المسلمين والكنيسة في ممارسة أخوة حقّ، بحيث يشعر أحدنا أنّه يبيت عند الآخر كأنّه عند أهله، هذا في المصطلح المسيحي؛ جانب من جوانب المسيح الكوني، هذه وحدة لا تلغي وحدة، كلّ منا مع ذويه إذ يسير إلى الله أو فيه بكلّ ما أعطي من رياضات روحية حتّى في ذروة الارتفاع، هذا تيمّم دائم بالروح إنّ لم يكن تيمّمًا بالدم على طريقة الحلاج، هذه وحدة الشهود الإلهيين في مصلوبية الحبّ، أن ترى مسيحياً، حضرة الرّبّ المبارك حالة في المسلم في ركعته وصومه وتهجّده، في هذا الإسلام المذهل لمشية الله،

¹ - موريس بورمانس: ملاحظاتي الشخصية بعد الإطلاع على ما جاء به الأستاذ الدكتور احميدة التيفر من اعتبارات وتأملات في مصير الأديان وحوارها فيما بينها وبالخصوص بين المسلمين والمسيحيين، ضمن كتاب: مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي، مصدر سابق، ص 229-230.

* المطران جورج خضر ذو جنسية لبنانية، ولد عام 1923م، وترعرع وتعلّم في طرابلس، حصل على إجازة في الحقوق من جامعة القديس يوسف عام 1944م، ومارس المحاماة، ثمّ التحق بباريس ليدرس اللاهوت بمعهد القديس سرجيوس والذي تخرّج فيه عام 1952م، وفي ذات العام رسّم راهباً، ثمّ كاهناً عام 1954م، ثمّ مطراناً على جبل لبنان عام 1970م. (غسان الشامي: المطران جورج خضر - مطران جبل لبنان للزوم الأرثوذكس، موقع الميادين: www.almayadeen.net)

² - جورج خضر: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، مرجع سابق، ج 2، ص 84-85.

وفي دوام الطاعات...، هذا ما أتوقعه من موقف التّحاضر الذي أكون عليه إذا أنا فكّرت بالمسلمين وفكّروا هم بي".¹

وبهذا الصّدّد، قامت جمعيّة الإخاء الدّيني والتي تضمّ جمعاً من المسلمين والمسيحيين بصياغة دعاء مشترك إسلامي مسيحي، كما أشرت إلى ذلك سابقاً،² ويعدّ هذا الأمر من أبرز مظاهر المحاولات التّقريبية بين الطّرفين، كما أنّه وفي العصر الحديث اتّخذ المسيحيون من الحوار مطيّة لتوصّلهم إلى هذه الغاية، فقد جاء في البيان الصّادر عن مجلس الكنائس العالمي*:

"أنّ الحوار لا بدّ أن يثير مشكلة المساهمة في الاحتفالات الدّينية، فإنّ تقارب المجتمعات الإنسانيّة لا يكون إلّا بتوحيد الطّقوس والعبادة والتّأمّل، والحوار يفسح المجال لتقديم الاحترام لشعائر الجيران في المجتمع، وتتوسّع الأمور أحياناً فتقبل دعوات الزّيارة كضيوف ومراقبين في الطّقوس العائليّة والاجتماعيّة والمواظب والاحتفالات، وتهيئ هذه المناسبات فرصاً ممتازة لزيادة الفهم المتبادل بين الجيران، والزّيارات المنزليّة في الأعياد، في نهاية المطاف القضية الصّعبة والمهمّة جدّاً؛ هي المشاركة الكاملة في صلاة أو عبادة أو تأملات مشتركة، وهذه إحدى مجالات الحوار التي هي أكثر الأمور جدلاً، أو أكثرها حاجة للاستكشاف الواسع، وسواء حدث هذا أم لا، فإنّ المشاركين في الحوار يرغبون أن يوجّهوا القضايا الرّاهنة باهتمام وحساسيّة بالتّسبب للإخلاص المتبادل، وهم يدركون تماماً دلائل ومقاصد ما يفعلون".³

ودعماً لهذه الفكرة، وتطبيقاً لها واقعياً، اقترح أحد المتحاورين في أحد الملتقيات؛ أن تبدأ الجلسات بقراءة أدعية مختلطة مأخوذة من القرآن الكريم ومزامير داوود، واقترح آخر سبع شهادات؛ بعضها إسلامي مثل: (لا إله إلّا الله محمد رسول الله)، وبعضها مسيحي مثل: (المسيح روح الله وكلمة الله)، وقد صاغ صاحب هذا الاقتراح بعبارة مقبولة للطّرفين، إذ أخذت كلّ شهادة على حده، ولكنّ قبول الاقتراح

¹ - جورج خضر: أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، مرجع سابق، ج2، ص85.

² - ينظر: ص140-141 من البحث.

* مجلس الكنائس العالمي؛ هو هيئة دينية مسيحية دولية متعدّدة الطوائف، تضمّ تقريباً كل الكنائس الأرثوذكسيّة والبروتستانتية غير التابعة لسلطة البابا في الكنيسة الرّومانية، مقرّها الرئيسي في جنيف، تمّ تأسيس هذا المجلس بصفة رسمية عام 1948م في أمستردام، وهو يضمّ اليوم 252 كنيسة تمثّل 83 بلداً، وحوالي 400 مليون مسيحي، وله مكاتب تمثله في جميع أنحاء العالم عبر مجالس إقليمية ومحليّة، ويعمل على توفير ثلاثة محاور هي: محور الإغاثة، ومحور الالتزام الاجتماعي، ومحور مساعدة دول العالم الثالث. (موسوعة السياسة، ج06، ص49-50).

³ - أحمد بن عبد الرّحمان القاضي: دعوة التّقريب بين الأديان -دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلاميّة-، مرجع سابق، مج2، ص474-475.

كان يعني العدول عن الشهادة الإسلامية المقصورة على عنصرين، إلى شهادة أخرى ليست من نصوص الإسلام ولا من نصوص المسيحية.¹

ويبدو واضحًا، من صيغ بعض الدبيجات التي تُوضع كمقدمة افتتاحية للمؤتمرات الحوارية الإسلامية المسيحية؛ أنّها ذات صياغة مسيحية، بما تدعو إليه من تقريب بين الطرفين من ناحية دينية وثقافية وفكرية، ذلك أنّها تتكلم عن الفريقين وكأنّهما ينتميان إلى ديانة واحدة،² ولو أخذنا مثالاً على ذلك، لاستندنا إلى ما جاء في بيان لقاء هونغ كونغ المنعقد فيما بين 04 و10 كانون الثاني/جانفي من عام 1974م، حيث قرّر المجتمعون قائلين:³

"نحن المسلمون والمسيحيين المجتمعين في هونغ كونغ، نوّكد أنّ إيمان ديانتينا؛ إذا فهم على حقيقته، يحثنا لإنشاء علاقة محبة بيننا من جهة، ومع باقي الكائنات البشرية من جهة أخرى، والأساس الدافع لعلاقة المحبة هذه يتجذّر في الإله الواحد الأحد ذاته الذي خلق جميع الكائنات البشرية، إخوة وأخوات، فالمسلمون والمسيحيون جميعًا، يشدّدون على المحبة والرّحمة الإلهية، وهذا انطلاقًا من رسالتهما التابعتين من الله الرّحيم؛ الذي يُحِبُّ ويُحَبُّ".

كما أنّ من جهة أخرى، وترسيخًا لهذه الفكرة أيضًا، وانطلاقًا من تصوّر الكنيسة الكاثوليكية للوحدانية بجميع اتجاهاتها ومنابعها، يُعتقد أنّ الإسلام لا يمكنه إلا أن يكون منضويًا إلى المسيحية انضواء الفرع إلى الأصل، والجزء إلى الكلّ، والبذرة إلى الثّرة، والعُصن إلى الكرمة، ومن ثمّ تعترف الكنيسة الكاثوليكية بالدين الإسلامي اعتراف الاحتواء والإكمال والاحتتام، فهي لا تقصيه من دائرة الوحي الإلهي، ولو أنّها مازالت تنظر إلى الوحي القرآني نظرتها إلى حقل خصب، انغرست فيه غير بذرة من بذار الحقّ والخير والصّلاح.⁴

وإذا كان هذا القرار نابغًا من إيمان الكنيسة الكاثوليكية بضرورة الحوار مع المسلمين، كونهم أصحاب رسالة سماوية كالمسيحية، فإنّ بورمانس يقرّر أنّ الحوار بين الطرفين لا بدّ من أن يتصدّى على نحو جدّي لمواطن التّقارب الممكن في القيم الرّوحية والدينية، لأنّه قد يكون من دواعي الأسف أن يقتصر اللقاء

¹ - عز الدين إبراهيم: بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامي المسيحي ما الجدوى وما المستقبل؟، بحث مقدّم لمؤتمر مكّة المكرمة الثالث: العلاقات الدّولية بين الإسلام والحضارة المعاصرة، رابطة العالم الإسلامي، مكّة المكرمة، السعودية، (01-03 فيفري 2003م)، ص188.

² - ينظر: جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص19، 29، 43، 57، 69... .

³ - المرجع نفسه، ص73، 76.

⁴ - مشير باسيل عون: الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام، مرجع سابق، ص104.

والمشاركة بين المؤمنين على القيم الدنيوية وحدها، فهناك قيمٌ أسمى ترتبط بها مسيرة المؤمنين الروحية، وفيها يكتشف الطرفان أنّ بينهم أمورًا كثيرة يتقاسمونها على صعيد اختبارهم الديني، فإذا بلغ إيمان كل واحد إلى هذا الحدّ، استطاع عندئذ أن يتطهر بقوة، ويتعمق بصدق، بمقدار ما يلاقي إيمان الآخر (في الحقيقة)، وعندئذ يرتفعان إلى صعيد (التنافس الروحي) الأسمى، الذي لا يسعه إلا أن يزيد من تقاربهم، وليس من المحذور عليهم، في أمانة كلّ منهم للتراث الديني الحيّ الذي يغذّيه؛ أن يبلغ إلى رجاء مشترك، ألا وهو أن يروا الله بيّن لهم أخيرًا مواطن التقارب الروحي التي تنتظرهم.¹

فالحوار الإسلامي المسيحي -بناء على ما سبق ذكره- تنتظره مهمة جليلة وصعبة في الآن نفسه؛ وهي التقريب بين المسيحيين والمسلمين، وهي المهمة التي يبني عليها مستقبله، بمعنى أنّ الاستثمار في هذه القضية، من شأنه تطوير مسيرة هذا الحوار في المستقبل، أو أنّه -أي الحوار الإسلامي المسيحي- ومن خلال ما يقوم به من دور فعّال تجاه هذه القضية، يمكنه أن يستقطب كثيرًا من التيارات الفكرية المنضوية أو الداعية إلى فكرة التقارب الإسلامي المسيحي، ويمكن أن يتحقّق ذلك على المستويات الأربعة للحوار:²

أولاً - حوار القلوب؛ المبني على السخاء والرحمة والمحبة، وفيه يستطيع الفريقان المشاركة أو التحوار كإخوان.

ثانيًا - حوار الحياة؛ المبني على الشجاعة والإقدام والجرأة، إذ يبذل الطرفان جهودهما في سبيل تعزيز القيم الإنسانية التي ليس لها من ضامن سوى الله وحده.

ثالثًا - حوار الكلام الجريء؛ الذي يعبر عن الله وعن الإنسان في الآن ذاته.

رابعًا - حوار الصمت؛ الذي يتكلّم فيه الله مباشرة في قلب كل واحد من المتحاورين، وهذا هو الحوار الحقيقي؛ لأنّه في صمت الإيمان وحده يستطيع المؤمن أن يستشف حقيقة مصير أخيه الأبدي.

وهذه دعوة صريحة إلى تحقيق التقارب بين المسيحيين والمسلمين عن طريق الحوار فيما بينهما؛ لأنّه بات الأسلوب الأنجع لنماء مثل هذه الأفكار، خاصّة وأنّ الأساليب العدوانية لم تعد تجد نفعًا في سبيل هذا الشأن؛ أي إخضاع الآخر لمنظومة الأنا الفكرية والثقافية والأيدولوجية، وقد أدركت الكنيسة الكاثوليكية هذه الحقيقة في العصر الحديث، فسارعت إلى عقد المجمع الفاتيكاني الثاني، والذي من خلاله تعيّن نظرهما إلى أصحاب الديانات الأخرى وخاصّة المسلمين؛ فدعت إلى ضرورة الحوار مع هؤلاء، بغية تقريبهم إليها

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص181.

² - المقال نفسه، ص182.

وجلبهم سلمياً إلى التعاون معها في شتى المجالات، فنشأ الحوار الإسلامي المسيحي في رحم هذه الفكرة، ولا شك أن آفاقه المستقبلية كذلك مبنية على أساسها في نظر المفكرين المسيحيين.

المطلب الثالث: تطوير حركة الحوار بين المسيحيين والمسلمين.

الحوار الإسلامي المسيحي، ليس هو فقط، مجرد لقاءات عابرة تُعقد هنا وهناك، بل هو في حقيقة أمره؛ تاريخ طويل من العلاقات بين أتباع الديانتين المسيحية والإسلام، نظراً لما يحققه من أهداف مستقبلية، ولما تعقد عليه من آمال وآفاق في شتى المجالات، لذلك فإن الاعتناء به ومسايرته بالحسنى للتحسين من مستواه، بات أمراً مطلوباً في العصر الآتي، من قبل طرفيه؛ المسلمين والمسيحيين سواء بسواء.

وبما أن هذا الحوار يحتل تلك المكانة الموصوفة آنفاً، وطمعاً في تطويره أكثر حتى يواكب روح العصر وتطورات الحياة الإنسانية، فكر أربابه بعقد صيغتين من اللقاءات؛ هما:¹

أولاً- عقد مؤتمرات شعبية، تشترك فيها جماهير المؤمنين من الجانبين، فيتركز النقاش على موضوع واحد؛ واضح وملموس، يكون قابلاً للتنفيذ في الواقع اليومي (التعارف والتعاون في مجالات الخير التي تهم كل المؤمنين المخلصين)، وذلك في سبيل توعية الضمائر وتعبئة الجهود، بحيث يزداد الرأي العام عند الطرفين وعياً وعملاً في إطار المعتقدات والقيم المشتركة.

ثانياً- تنظيم ندوات مقصورة على فئات من المختصين بعلم التاريخ والتفسير واللاهوت والكلام... بحيث يتسنى لهم، بفضل معارفهم المتكاملة، أن يوضحوا ما هي مواطن التقارب النسبي بين المعتقدات والمشاعر الدينية، وما هي نقاط التمايز الحقيقي -حتى فيما يتعلق بالقضايا المشتركة أو المتشابهة- في مسيرة المؤمنين نحو حقيقة ربهم؛ وهو الله محب البشر.

بالإضافة إلى ذلك، يجب على الطرفين أن يؤمنوا بفاعلية هذا الحوار ومدى صدقه في التذليل من المشاكل والصعوبات، وإذا ما اعتبرنا أن الطرف المسيحي قد قطع في ذلك شوطاً كبيراً بما أنه المنظر الفعلي للحوار الإسلامي المسيحي في صيغته الحديثة، فإن واقع الأمر يفرض تفهم المسلمين أن هذا الحوار هو منعطف جديد وجددي في حياة المسيحية، ومثل هذا المنعطف لا يمكن أن يستقر بشكلٍ دفعي، بل هو انتقال مرحلي يستلزم كأي تجربة انعطافية مرارات وإيجابيات لا بد من حصولها، لتستكمل الصورة وضوحها البين، ومن باب أن رب ضارة نافعة، فإن ما حصل يقضي أن يتحمل المسلمون أيضاً مسئولية دفع الحوار

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 169.

للأمام، وأن يكونوا فيه في موقع الفاعل لا المفعول، وأن يتفهموا حقيقته وحقيقة البيئة الغربية التي تحتضنه، وأن يساهموا بتبديد ما يمكن أن يعكّر من صفوه، وأن يساعدوا المسيحية ورجالها على تحقيق أهدافه المعرفية والحياتية¹، حتى لا تكون المحاولة أحادية الجانب؛ لأن ذلك لا يؤدي إلى نجاح هذه العملية التي تتطلب تكاتف جميع الجهود، خاصة وأنها منوطة بحضور مسلمين ومسيحيين واجتماعهم على طاولة واحدة للتقاش حول بعض المسائل أو تدارسها، ولا ريب أن التعاون في هذا الصدد يُعدُّ مساهمة فعّالة في تحسين مستوى هذه العملية.

وذلك هو ما حصل فعلاً في بعض اللقاءات المنعقدة بين الطرفين، والتي ناقشت مسألة الحوار الإسلامي المسيحي، وقدّمت بعض الحلول والمقترحات في سبيل إنجاحها وتطويرها، ك:²

أولاً - ضرورة الحوار بين المسيحيين والمسلمين، والتوسّع فيه على أصعدة مختلفة؛ لأنه يحمل على تأمين الاحترام المتبادل وتعزيز التفاهم.

ثانياً - عدم حصر المحادثات والتعاون في فريق المتخصّصين، بل يجب ممارسة الحوار في الجماعات المختلفة لتعميم الفائدة وتحقيق أهداف أكثر.

ثالثاً - وجود اهتمامات مشتركة ووعي متزايد بحاجة كل طرف للآخر؛ بغية إنماء الحوار وتطويره، بالتركيز على الالتزامات المشتركة، والبحث عن الحقيقة معاً، وتبادل الأفكار والمشاعر التي تؤدي إلى التعرف العميق، بالإضافة إلى حث الحكومات والجماعات على تشجيع العملية الحوارية، والتعاون فيما بين طرفيه.

رابعاً - خلق جوّ جديد من الثقة المتبادلة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، وذلك بالعمل على إزالة الرؤاسب والعقد المختلفة عن فترات التباعد والحصام والاستعمار؛ بغية مدّ جسور من التفاهم والتعاون بين معتنقي الديانتين.

خامساً - ضرورة التهيئة الدائمة للحوار وتشجيعها على جميع الأصعدة الممكنة داخل كل جماعة دينية، ويمكن أن تمثل الهيئات المسيحية والإسلامية الدولية والإقليمية والمحلية، مع الأشخاص ذوي الكفاءة، دوراً مهماً في تنظيم هذه الهيئة ودعمها.

¹ - شفيق جرادي: تحديات الحوار الإسلامي المسيحي في ضوء التطورات الاجتماعية والسياسية، ضمن كتاب: دوافع الحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 عامًا، مرجع سابق، ص 78-79.

² - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 37، 49، 61، 95، 111.

كما يجب على الحوار الإسلامي المسيحي -وفقاً لرأي بعض اللاهوتيين الكاثوليك- أن يتحاشى الوقوع في اغرائين؛ يتجلى أولهما في محاولة تضيق مجالات الحوار، بحيث تقتصر على المصالح السياسية والأيدولوجية، بينما يتم تجاهل الحوار في ميدان القيم الإنسانية العميقة من جهة أخرى، ويتجلى ثانيهما في توجيه الحوار للوصول إلى العموميات والخيارات المتعددة لنظرية التقارب؛ الساعية إلى الحل الوسط في مجال القيم الروحية، من أجل أهداف دنيوية ومصالح آتية، من شأنها أن تؤدي إلى المزج والتلفيق بين القيم الدنيوية والدنيوية، ويمكن أن تُفضي في نهاية المطاف إلى ألوان وأشكال جديدة من التسلفية والتزمتية، ونزاعات الهيمنة والسيطرة؛¹ لأن كل ذلك يفقد الحوار معناه ورونقه وكذا مكانته، وبالتالي لا يحقق الأهداف المرجوة منه، والتي طالما عُقدت المؤتمرات والتدوات بين الطرفين لأجلها، وهذا ما يعدُّ أمراً سلبياً في هذا الشأن.

ويتطلب هذا الأمر كذلك، نوعاً خاصاً من اللقاءات، يشترك فيها مؤمنون من كلا الديانتين الكبيرتين، تحوهم رغبة في التعبير عن إيمانهم الأصيل وتجربتهم الدينية، ويدفعهم شوق إلى الاستفادة مما لدى الطرف المقابل من إخلاص في الإيمان، وصدق في ممارسة الدين، ووفاء لسننه وقواعده، وهكذا نشأت في السنوات الأخيرة لقاءات مزدوجة الانتماء الديني، ركزت اهتمامها على الضمير الديني في علاقته مع الله من جهة، ومع البشر من جهة أخرى، وكثيراً ما تمت هذه اللقاءات بمبادرة أشخاص لا يتمتعون بصفة رسمية، أو من قبل بعض الجمعيات والهيئات الخاصة، قبل أن تشارك فيها هيئتان رسميتان أسستهما كلٌّ من الكنيسة الكاثوليكية ومجلس الكنائس العالمي، هما: الأمانة السرّية الخاصة بشؤون الحوار مع الديانات غير المسيحية، واللجنة الفرعية للحوار مع أصحاب المعتقدات والأيدولوجيات المعاصرة.²

ولا شك أنّ انبثاق هاتان الهيئتان من قبل مؤسستين مسيحتين رئيسيتين؛ يدعم العملية الحوارية بصفة عامّة، وبين المسيحيين والمسلمين بصفة خاصّة، وهذا ما انعكس إيجاباً على وتيرة الحوار الإسلامي المسيحي الذي شهد عقد العديد من المؤتمرات والتدوات بشكل متسارع ومستمرّ، منذ تبنّيه من طرف الكنيسة الكاثوليكية على وجه الخصوص.

ثمّ إنّ -ومن أجل بناء ثقافة حوارية إسلامية مسيحية- لابدّ من تجاوز أعباء التاريخ؛ لأنّها من أصعب العقبات التي ينبغي التغلب عليها، كما أنّ ذلك هو أحد أهمّ الثمار المأمولة من الحوار، وببذل الكثير من

¹ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، مرجع سابق، ص 161.

² - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 139-140.

الجهد المشترك، يمكن للطرفين العيش والعمل معًا، تأكيدًا على عدم البقاء أسرى للماضي الأليم، ولا يتم ذلك إلا من خلال تحقيق إرادة الله في الحب والاحترام والقبول المتبادل، والاجتماع على الكلمة السواء، كما يتطلب الصبر الجميل؛ لأن ثقافة الحوار تتقدم ببطء استنادًا إلى الدراسة والتخطيط.¹

ومن عوامل نجاح الحوار الإسلامي المسيحي:²

أولاً - إعداد المحاورين واختيار مواضيع الحوار.

ثانيًا - إنشاء المؤسسات الحوارية وإصدار المجلات والدوريات في هذا الشأن.

ثالثًا - تجنب المواضيع اللاهوتية العقائدية والنزول بالحوار إلى الجماهير.

وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات والاحتياطات المذكورة سابقًا في سبيل التحسين من مستوى الحوار الإسلامي المسيحي، إلا أن بورمانس يأخذ عليه:³

أولاً - بقاءه - في أسلوبه وصيغته - رسميًا وسطحيًا، وكذا تقوقعه في عهد الطفولة؛ بسبب حصيلته الضئيلة والجزئية.

ثانيًا - هزلة بعض لقاءاته بسبب الارتجال وعدم وضوح الرؤية في أعمالها وتوصياتها.

ثالثًا - تعثره ومحدودية نزاهة المتحاورين؛ بفعل الأفكار والأحكام المسبقة لدى الطرفين.

رابعًا - الجهل المتبادل بين طرفيه، مما يؤدي إلى إضعافه وعدم تأدية دوره كما ينبغي.

خامسًا - احتياجه إلى لغة مشتركة، وطروحات واضحة، وأسلوب جديد.

إلا أن هذا لا يعني أنه لم يحقق مأموله أو مقاصده، أو أنه ليس بعملية منتظمة، بل إنه وعلى العكس من ذلك قدم ولا يزال يقدم الكثير، ويسهم في إثراء كثير من المسائل والقضايا المهمة والساخنة، وفي ذلك يقول بورمانس:

¹ - توماس ميشيل اليسوعي: بناء ثقافة الحوار، مرجع سابق، ص 30-31.

² - إسماعيل عريف: الأبعاد الدينية والسياسية للحوار الإسلامي المسيحي - دراسة تحليلية نقدية في ظل الحوار الهادف والمثمر - مرجع سابق، ص 228.

³ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 167-169.

"ومع ذلك لابد لنا من القول: إنّ الفائدة الأولى من هذه اللقاءات؛ هي أنّها أتاحت للمسلمين والمسيحيين أن يتلاقوا ويجتمعوا على مائدة واحدة، ويبحثوا ويتدارسوا معاً، وذلك شيء جديد ومهم جداً، إذ أنّ ممارسة الحوار الحيّ كشفت لهم مقتضيات الحوار الحقّ ومقاصده وأبعاده، والحوار الحقّ يتطلّب من كلا الطرفين جهداً للاعتراف بأنّ لكلّ طرف حقّه في أن يكون متميّزاً ومختلفاً، وأن ينمو ويتطور في شخصيته الدينيّة وفق مبادئ دينه الخاصّ وما يفرضه من سلوك"¹، وهذا ما يزيد من عمق العلاقات بين الطرفين، كما يقويّ بينهما روابط التفاهم والتعاون والتلاقي والانسجام، الأمر الذي يمكن من خلاله مواصلة مسيرة التّرابط والانسجام في مختلف المجالات.

وإذا كان هذا المقصد لا يتمّ إلاّ من خلال الحوار، فإنّ هذا الأخير ذاته لا يزال في حاجة إلى تنظيم أكثر، ومراعاة أكبر من طرف القائمين عليه من أتباع كلا الديانتين، بمعنى أنّ الملتقيات الحوارية التي تُعقد بين الطرفين لمدرسة الكثير من القضايا، الأولى بها تدارس وضع الحوار الإسلامي المسيحي، والمآل الذي وصل إليه حالياً؛ بغية تطويره وجعله منسجماً مع تطوّرات العصر، فيجد الحوار في ذاته آفاقاً واسعة ومستقبلاً كبيراً؛ لأنّ ذلك يحتاج إلى مراعاة الكثير من المسائل؛ كمواضيع الحوار وأمكنته وأزمته وأطرافه، وكذا أهدافه ومقاصده وأبعاده، خاصّة وأنّه يجمع بين أتباع ديانتين كبيرتين، فهو كما قرّرت ذلك سابقاً؛ جزء لا يتجزأ من تاريخ العلاقات فيما بينهما.

المطلب الرابع: تجديد العلاقات المسيحية الإسلامية بعد أحداث 11 سبتمبر.

في يوم 11 سبتمبر 2001م، شهد العالم أعمالاً إرهابية استهدفت الولايات المتحدة الأمريكية في أهمّ معالمها، وراح ضحية هذا الهجوم العديد من الأشخاص والأفراد الأبرياء، وتعدّ هذه الأعمال ضربة قاصمة في وجه أكبر قوّة عسكرية وسياسية في العالم، "فاكتشفت الدولة العظمى الوحيدة في العالم أنّها بالإضافة إلى خسارتها لمعركة أمنية معلوماتية استخباراتية، بل وحتىّ عسكريّة في أحد أشكالها، أمام خصم أو عدوّ كان يبدو شديد البساطة، بل ويفتقر إلى شروط التحدّي بين الخصوم المتكافئة، إنّها تخسر هذه المعركة أيضاً أمام أنظار العالم أجمع وبالطريقة الحيّة المباشرة، وبالصوت والصورة كاملة، وعلى يد من ظلت تعدّه لعقود رمزاً للتخلّف والجهل والرجعية، وهو ما كانت تصوّره لشعبها عبر شاشات التّلفزة والسينما في هوليوود وغيرها، بل وحتىّ في قصص الأطفال التربوية، ناهيك عمّا كانت تروّج له عبر صفحات جرائدها اليومية

¹ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 167-168.

ومجالاتها الأسبوعية، وتحقيقاتها ودراساتها الأكاديمية".¹

وطبعًا وعن طريق بعض الدول الإسلامية؛ أتهم الإسلام ككلّ واعتبر مسئولاً على هذه الحالة المزريّة التي آل إليها أعلى قطب في العالم، فوجد المعرضون والدّاعون لصدام الحضارات مرتعًا خصبًا لتغذية نظريتهم القاضية بتضارب الحضارات وصراعها وتصادمها فيما بينها، وبخاصّة الحضارتين الغربيّة والإسلاميّة، "فكانت هذه الأحداث هي الدّافع الظّاهري لتطبيق هذه التّظريّة، وهؤلاء يقولون إنّ منطلقهم الأساسي في صدام الحضارات؛ هو مصلحة أمريكا العليا، سواء في الحاضر أم في المستقبل، وهم يرون أنّ الإسلام السياسي هو العدو الجديد للإنسانيّة والديمقراطيّة، وأنّ الصّدام لا مفرّ منه...".²

فعلى هذا الوصف، وانطلاقًا من هذا الواقع المتأزم، تكون العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة أو بالأحرى الغربيّة قد تأزمت وبلغت أوج تشنّجها، وزاد التّوتر فيما بين الفريقين، بل واتّسعت الهوة بينهما أكثر من السّابق، بفعل هذه الهجمات العدوانيّة التي تمّت على مرأى من العالم أجمع، وقد تبع ذلك الكثير من الأحداث التي زادت الوضع سوءً؛ كغزو أفغانستان والعراق؛ كردّ فعل على هذه الهجمات، وكلّ هذا يستدعي من الفاعلين سواء من المسلمين أو المسيحيين استدراك الأمر، والعودة بالعلاقات بينهما كما كانت في كثير من الأوقات، ولا يمكن أن يتمّ ذلك إلّا عن طريق الحوار فيما بينهما؛ ممّا يُلقني على عاتق الحوار الإسلامي المسيحي مسؤوليّة كبيرة من أجل تحسين الوضع.

وبهذا الصّدّد، وبالذّات عندما أعلنت الأمم المتّحدة واليونسكو من سنة 2001م عامًا للحوار بين الثقافات، رَسَم البابا يوحنا بولس الثّاني لوحة للسلام بمناسبة اليوم العالمي للسلام، وذلك في رسالة له بخصوص الحوار بين الثقافات والحضارات، ودعا المسيحيين للصّوم من أجل السّلام مع المسلمين في 14 ديسمبر 2001م في نهاية شهر رمضان، وبعد وفاته، واصل خليفته البابا بنديكت السادس عشر الانفتاح على الحوار مع المسلمين، وقد عقد لأجل ذلك مؤتمرًا في جامعة ريغنسبورغ بتاريخ 12 سبتمبر 2006م، يبحث في دور الحوار الإسلامي المسيحي في حلّ التّناقضات والعلاقات السّلبية بين الطّرفين، مؤكّدًا في خطابه على أنّ الواقع المعاش آنذاك يفرض على جميع الأطراف إقامة حوار حقيقي بين الأديان والثقافات للتغلّب على كلّ التّوترات معًا، كما أكّد على سعي سابقه (البابا يوحنا بولس الثّاني) في تجديد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين، والتي لا يمكن أن تنمو إلّا بالحوار الصّادق والمحترم، ثمّ أكّد هذا المبتغى أو المقصد

¹ - محمّد صادق الحسيني: العالم بعد 11 سبتمبر بحروف غير أمريكيّة، ضمن كتاب: كيف نواصل مشروع حوار الحضارات، مرجع سابق، ج2، ص144.

² - إكرام لمعي: المسيحيّة الإنجيليّة (البروتستانتية) والموقف من الآخر، مقال سابق، ص172-173.

برحلة إلى الأراضي المقدسة من 08 إلى 15 ماي 2009م، مساهمة منه في تحسين الوضع وإعادة العلاقات الحميمة بين الطرفين.¹

كما دعا المسلمين والمسيحيين للعمل معاً من أجل التأكيد على قيم الاحترام المتبادل والتضامن والسلام وقُدسية الحياة البشرية، وشجّع الطرفين على البحث عن أسس مشتركة للتفاهم، يمكن من خلالها للطائفتين المؤمنتين تجاوز الصراعات الثقافية للتغلب على قوّة الأيديولوجيات الهدامة،² واستجابة لهذه التّداءات المسيحية الصّادرة من قبل بعض باباوات الكنيسة الكاثوليكية، بادر بعض علماء المسلمين إلى الفكرة ذاتها للغرض ذاته كما أشرت إلى ذلك سابقاً.³

كما نصّت الندوة الأولى للمنتدى الكاثوليكي الإسلامي المسيحي بروما والمنعقدة ما بين 04 و06 تشرين الثاني/نوفمبر 2008م، والتي شاركت فيها 24 شخصيّة مع 05 مستشارين عن كلّ ديانة، وكانت مخصّصة للحديث عن الأسس العقديّة والرّوحية وكذا الكرامة الإنسانيّة والاحترام المتبادل؛ على أنّ التنوّع في الثقافات والحضارات واللغات والأجناس والشّعوب والأديان يشكّل ثروة حقيقية للعالم، ولذلك يجب ألاّ يصبح أبداً سبب توتر وصراع ونزاع، وأنّ على الكاثوليك والمسلمين أن يكونوا أدوات محبّة وتناغم بين المؤمنين، من أجل البشريّة جمعاء؛ بنبذ القمع والعُنف والإرهاب المرتكب باسم الدّين، ودعم مبدأ العدالة للجميع، كما اتّفق الطّرفان المشاركان في هذه الندوة على اكتشاف إمكانيّة تشكيل لجنة كاثوليكية إسلامية دائمة تُعنى بتنسيق الرّدود على الصّراعات وحالات الطّوارئ الأخرى،⁴ كلّ ذلك ابتغاء المحافظة على الأمن والسلام والحرّيّة الإنسانيّة.

ويُعتبر هذا القرار بجميع مقترحاته نقطة من الأهميّة بمكان في مجال تجديد العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة، بعد العديد من التّوترات التي عرفها الطّرفان وخاصّة بعد أحداث 11 سبتمبر الأخيرة، لاسيما وأنّ العالم كان على وشك الإيمان بنظرية صدام الحضارات والتّسليم بها، ومن ثمّة الإقرار بحتميّة الصّراع بين الحضارتين الإسلاميّة والغربيّة، فكانت هذه الندوة وغيرها من الندوات والمؤتمرات الإسلاميّة المسيحيّة ذات رؤية جديدة مبنية على السلام والحوار.

¹ – Maurice Borrmans: *Dialoguer, Encore Et Toujours, Avec Les Musulmans*, Article Précédent, p21.

² – توماس ميشيل اليسوعي: *بناء ثقافة الحوار*، مرجع سابق، ص196.

³ – ينظر: ص315 من البحث.

⁴ – توماس ميشيل اليسوعي: *بناء ثقافة الحوار*، مرجع سابق، ص227، 230.

وحتى يؤدي هذا الحوار أكله، ويكون ذا مستقبل حيوي في بناء علاقة إسلامية مسيحية متينة، يقترح يوسف الحسن ما يلي:¹

أولاً - تشوّف المستقبل المشترك، حيث العلاقة بين الغرب والمسلمين علاقة عضوية متداخلة ماضياً وحاضراً، وينبغي العمل على تطويرها للأفضل في المستقبل.

ثانياً - الحاجة للتفكير في إنشاء مؤسسات حوارية إسلامية مسيحية، على صعيد الدين والتعليم الديني المشترك، وعلى صعيد مؤسسات المجتمع المدني بكل أطرافها.

ثالثاً - قراءة التاريخ بنظرة "التاريخ الحاضر"، وليس بنظرة "التاريخ العبد".

رابعاً - مناقشة قضايا العدل الاجتماعي، والحرب والسلام القائم على العدل، والتكافل الاجتماعي، وحرّيات الشعوب، والطغيان، ودور الدين في مستقبل البشرية، وبناء الجهد لصياغة فهم اجتماعي لحقوق الإنسان.

خامساً - فهم البعد الديني في الصّراعات بين الأمم وفي داخلها، والعمل معاً لمساعدة المجتمعات للوقاية من استخدام الدين كسلاح في هذه الصّراعات.

سادساً - توجيه المؤسسات الدينية صوب التعاون والحوار الحق والتسابق في الخيرات على كافة الأصعدة.

سابعاً - العمل على وقف كل أنواع التجريح والعنف العنصري والمذهبي الذي يطعن في الآخرين ورسالاتهم ومقدساتهم.

فهذه المقترحات وغيرها، إذا ما طبقت على الوجه الصحيح لها، يمكنها بعث علاقة جديدة بين المسلمين والمسيحيين وتطويرها إلى ما هو أفضل، وتحقيق مزيد من التعاون في كافة المجالات، وعلى مختلف الأصعدة، بالإضافة إلى إحلال التفاهم والعيش المشترك الذي يتساوى فيه الجميع في الحقوق والواجبات، الأمر الذي لا يحدث إلا بالانسجام التام بين أفراد المجتمع، خصوصاً بعد سلسلة الأحداث المساوية بين الفريقين.

ولقد اتخذت مسألة الحوار الإسلامي المسيحي بعد 11 سبتمبر 2001م والانعكاسات المساوية لهذا الحدث؛ بعداً جديداً، إذ كان ولا بدّ ونظراً لهذه التطورات التاريخية والسياسية؛ أن يُصبح الحوار أكثر أهمية

¹ - يوسف الحسن: الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتحديات -، مرجع سابق، ص 71-72.

وأعظم من ضرورة، من أجل تأمل الظروف الحالية والمستقبلية للعيش معاً في أمن وسلام دولياً وإقليمياً وحتى وطنياً، وهذا ما يدعو بدوره إلى تخفيف حدة التوتر السائد بين الطرفين الإسلامي والمسيحي، وسدّ الفجوات والتّغور بينهما ثقافياً وفكرياً وسياسياً، ولا يكون ذلك إلاّ بالقضاء على الأعمال الإرهابية والحربية وكذا أعمال العنف؛ لأنّ كلّ ذلك يخلف عواقب وخيمة وخطيرة على المجتمعين.¹

من أجل ذلك، ودعماً لدور الحوار الإسلامي المسيحي بعد تلك الأحداث في إعادة المياه إلى مجاريها بين المسلمين والمسيحيين؛ تمّ اتّخاذ نوعين من المبادرات:²

أولاً - المبادرات المؤسسية أو العالمية، وإقامة منتديات الحوار التي تشمل قادة المجتمع والمتقّفين على المستوى الوطني والدولي، والتي يتمّ فيها دعم الحوار والعيش المشترك، عن طريق الإعلان المشترك والاتّفاقات والموائد المستديرة والنشريات والدوريات، ونشر كلّ ذلك على نطاق واسع، بعدما تصدر عن مختلف الرّعاء الدينيين والمتقّفين من كلا الديانتين.

ثانياً - القضاء على المشكلات المحليّة والوطنية والدولية، ومحاولة التخفيف من حالات التوتر والاختلافات الناجمة عن التّفاعلات اليومية بين المسلمين والمسيحيين، وذلك بتسويتها في الميدان من خلال الحوار اليومي، باستخدام بعض الحلول المستوحاة من المثل العليا؛ كالتسامح والاستماع إلى الطرف الآخر، وغير ذلك من الأمور التي من شأنها حمل الطرفين على التّفاؤل في بناء علاقات حميمة قائمة على التسامح والمحبة والسّلام.

ومواجهة للوضع المدمر والخطير، وإحلالاً للأمن والسّلام والعدل والعدالة؛ تمّ في عام 2006م إنشاء مجموعة صغيرة، مهمتها الحوار والبحث من أجل مواجهة وجهات النظر وتحليلها وفقاً للتعاليم الدينية، وذلك بإعادة قراءة نافذة للتقاليد الدينية، والدور الذي يلعبه الدين في بناء علاقات متينة، وبناء على ذلك يكون من المهمّ تحليل الدور الرئيسي الذي تلعبه الديانتان المسيحية والإسلام في المواجهة العنيفة في كثير من الأحيان بين العالمين الغربي والإسلامي، وذلك بغية البحث عن العلاقة السلمية، على أساس رؤية أكثر موضوعية للآخر، وبالتالي حصول منظور جديد والقضاء على جميع الأوهام التي ساءت خلال أزيد من أربعة عشر قرناً، وهذا ما يؤدي إلى مزيد من التّفاهم المتبادل، وتعميق الحوار الذي من شأنه محو كلّ صورة سلبية راسخة في ذهن كلّ طرف تجاه الطرف الآخر، ممّا يُنتج سلاماً شاملاً وتجنّباً للحرب، فكان عام

¹ - Jean Sébastien Viard: **Le Dialogue Islamo-Chrétien**. Théologiques, Volume 19, Numéro 02, p07.

² - **Le même article**, p08.

2008م هو العام الأوربي للحوار بين الثقافات؛ بغية الصيرورة نحو عالم أفضل، عن طريق سلوك مسارات أنجع وأفضل.¹

وفي هذا الصدد، يدعو بورمانس -أملاً في مستقبل أفضل للعلاقات الإسلامية المسيحية- شخصيات كثيرة إسلامية ومسيحية؛ على غرار محمد الطالبي ومحمد أركون وحميدة التيفر ومحمد حبيب الحبابي ولويس ماسينيون وجان محمد عبد الجليل ولويس غاردييه وجورج قنواقي ويواكيم مبارك، إلى الحوار والتعاون والعمل معاً لبناء مشروع سلميّ قائم على التفاهم والانسجام، مذكراً إياهم بما كانت تجمعه بهم من أواصر علمية وثقافية ودينية في سبيل بناء علاقات متينة بين الفريقين؛ لأن هؤلاء في نظره هم أرباب الحوار الإسلامي المسيحي، ثم يتساءل عن مصدر كثير من الأحداث الأليمة التي حدثت في العصر الحديث، معقّباً على ذلك بما بذله من جهد من خلال مؤلفاته بغية تحسين الأوضاع بين الطرفين، داعياً في الوقت ذاته إلى الصلاة معاً تذكراً للدعاء المشترك أو الصلاة المشتركة التي دعا إليها البابا يوحنا بولس الثاني في الدار البيضاء في 19 أوت من عام 1985م.²

*من خلال ما مرّ معنا آنفاً في هذا المبحث؛ نستنتج أن موريس بورمانس هو الآخر يتصوّر مستقبلاً باهراً للحوار الإسلامي المسيحي خصوصاً في صياغة علاقة إسلامية مسيحية متينة، وهذا هو الهدف المنشود في صورته الحقيقية من إقامة لقاءات وندوات حوارية بين المسلمين والمسيحيين، وحينها لا يتوقف الحوار بينهما على مجرد معالجة بعض المواضيع الآتية، وإنما ينبغي أن تكون له نظرة مستقبلية متعددة الأوجه والمضامين، وإذا كان فضل الله هو الآخر له ذات الفكرة كما أشرتُ إلى ذلك في المبحث السابق، فهل -والحال هذه- يتفق مع بورمانس حولها؟، أم أن بين الرجلين اختلافاً في هذا المجال؟، وهذا ما سنعرفه في المبحث الموالي.

¹ - L' image De L' autre: **Chrétiens et Musulmans. Acteurs De Réconciliation Pour Un Projet Politique.** 2008, p09-10.

² - Maurice Borrmans: **Le Dialogue entre chrétiens et musulmans serait-il devenu plus que jamais difficile, voir même impossible?**. Conférence. <https://www.mafrwestafrica.net>. Date de navigation: 03/11/2018m. 11: 20.

وينظر كذلك:

Maurice Borrmans: **in memoriam youakim moubarac**, islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 21, 1995, p01-05.

المبحث الثالث: المقارنة بين الآفاق المستقبلية عند الرجلين.

أُثبت في المبحثين السابقين من هذا الفصل على ذكر آفاق الحوار الإسلامي المسيحي المستقبلية عند كلٍّ من فضل الله وبورمانس، لأُقارن بينهما في هذا المجال في هذا المبحث، وذلك ببيان أوجه الشبه وكذا أوجه الاختلاف، بغية الوقوف على مدى تفاوتهما أو تطابقيهما في تصوّراتهما لهذه الآفاق، وأيضاً لاستكشاف مدى نجاح الحوار بين المسلمين والمسيحيين - في نظرهما - في استنطاق الواقع المستقبلي ومعالجته للقضايا الآتية، ويمكن الحديث عن ذلك كلّ من خلال:

المطلب الأول: بناء علاقة إسلامية مسيحية.

إنّ بناء علاقة إسلامية مسيحية متينة وصادقة، قائمة على التفاهم والتّصالح والعفو عمّا سلف من مظالم وأحداث أليمة عاشها الطّرفان معاً، وجنّياً مخازيها وسلبياتها على مرّ سنين عديدة وأزمنة مديدة في مختلف بقاع العالم؛ هو مطلبٌ أساسيٌّ وضرورة واقعية لاستمرار العيش المشترك بينهما، ولرعاية مصالحهما في بعض المناطق والأقطار، وحتى يتأتّى لهما ذلك، جرت بينهما العديد من اللّقاءات الحوارية قديماً وحديثاً، حيث يستكشف المطّلع على قرارات هذه اللّقاءات وبياناتها الحثامية على حقيقة أنّ المغزى منها هو تطوير العلاقات بين الفريقين المتحاورين وتحسينها، والدمج فيما بينهما تحقيقاً للتّعاون والمصالح المشتركة.

وهو الأمر الذي اتّفق عليه الرّجلان؛ حيث بيّنا وبوضوح لا يتسرّب إليه أدنى شكّ، مدى مساهمة الحوار في صناعة علاقة إسلامية مسيحية قويّة، وتطلّعه إلى تحقيق التّعاون فيما بين الطّرفين في شتى المجالات، ونصّاً في سبيل ذلك على أهميّة هذا الحوار وضرورته وضرورة توسيع آفاقه، وإعادة النّظر في كثير من الخِلافات التي حدثت بين الطّرفين في السنين الماضية، وتداركها من خلال التّفاهم والتّصالح والحوار.¹

ولا شكّ أنّ هذه الغاية النبيلة لها أبعادها الإنسانيّة والاجتماعيّة، ولو أخذنا على سبيل المثال؛ تعاون الطّرفين في بناء الكرامة الإنسانيّة، باعتبار أنّ الإنسان هو المخلوق المكرّم من قِبَل الله، لوجدنا أنّ كلا الدّيانتين قد أكّدتا على أنّ التّضامن مع الإنسان في الطّروف الصّعبة، والوقوف إلى جانبه، والتّفريج عن

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 456-458، وموريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص 166-167، وتوجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 168، وينظر أيضاً:

Maurice Pormans: le séminaire du dialogue islamo-chrétien de tripoli libye 01-06 février 1976, islamochristiana, pontificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 02, 1976, p135-163.

كربه، وقضاء حوائجه، إنّما يكون امتثالاً لأمر الله تعالى، الذي أبلغ بأنّ ذلك إنّما هو تقرُّبٌ إليه، وممارسة للفضائل التي يحضُّ عليها الدّين.¹

لذلك حثّت بعض المؤتمرات المنعقدة بين الطرفين على ضرورة الارتقاء بالإنسانية وتخليصها من ويلات الحروب والنزاعات تحقيقاً للاندماج وتطوير العلاقة بين الشعوب في شتى بقاع العالم، وخاصة تلك الشعوب الممتنّية لإحدى الديانتين الإسلام أو المسيحية، فمن ذلك وبهذا الخصوص، نصّ لقاء "لاغون" الغائبة المنعقد ما بين 17 و21 تموز/جويلية من عام 1974م، على بعض البنود التي تحثُّ على التعاون بين الطرفين، وتدعوها إلى نسج علاقة وطيدة فيما بينهما، وذلك بالصيغة الآتية:²

- الآن وقد أصبح الكثير من المسيحيين والمسلمين يعيشون في مجتمع واحد، حيث يتلاقون في إطار الأسرة والعمل، وغالبًا ما يتشاركون في اختيار حياتي واحد، ضمن جماعة لا تربطهم بصلات اجتماعية وحسب، بل بصلات قرابة وصدقة، هذه الصّلات تؤدّي بهم إلى التعاون الحياتي، وإلى علاقات وطيدة في المناسبات المؤلمة؛ كالمآثم والكوارث: الأوبئة والمجاعة والجفاف والفيضانات، وكذلك في مناسبات أخفّ وطأة من سواها، لكن ليس أقلّ تعبيراً؛ مثل حفلات الزواج والقيام بالأسرار الدّينية وحفلات أخرى مدنيّة.

- كلّ هذا يجعل المسلمين والمسيحيين يتخطّون الانطواء على جماعتهم ومصالحهم، ليلتقوا بروحية المشاركة والتعاون، وانطلاقاً من ذلك يمكن أن يخطوا معاً خطوات عمليّة متعدّدة.

إنّ هذين البُندين اللذين قُرّرا في هذا المؤتمر الإسلامي المسيحي، يعتبران مجرد مثال على كثير من البنود التي صيغت بهذا الشّأن؛ بغية الرّفع من مستوى العلاقة التي تربط المسلمين بالمسيحيين معاً، خصوصاً في ظلّ التطوّرات الرّاهنة التي طغت عليها المادّيّة والمنافع الشّخصيّة، وهذا ما ركّز عليه الرّجلان كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

واستناداً إلى هذا الموقف، يتحدّث فضل الله عن قضيّة مهمّة يلتقي فيها المسلمون والمسيحيون معاً، وتظهر من خلالها صورة التعاون بينهما؛ تلك هي قضيّة الاستكبار العالمي والطّغيان السّياسي، التي تعتبر من تحدّيات الحوار الإسلامي المسيحي، حيث يدعو الرّجل الفريقين إلى إقامة حوار جدّي فيما بينهما، من أجل مواجهة الإلحاد والاستكبار والمادّيّة التي تقف كلّها أمام المستضعفين وتمنعهم من العيش بسلام؛ لأنّ

¹ - أسعد السحمراني: التضامن والتكافل الإنساني في مواجهة كوارث الحروب من منظور ديني، بحث مقدّم لمؤتمر الدوحة السابع للحوار بين الأديان (من 01 إلى 02 ذو القعدة 1430هـ/ 20 و21 أكتوبر 2009م)، الدوحة، قطر، ص02.

² - جوليت حداد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص55، 59.

هذا الحوار بإمكانه الوقوف ضدّ هذه الحركة المستعدّية، انطلاقاً من فحوى رسالة كلّ منهما، والرّامية إلى إقامة العدل والمساواة ونبذ العنف والظلام والطّغيان.¹

وإذا كان الوضع يقتضي التّعاون وتكاتف الجهود، فإنّه لم تعد هناك حاجة إلى أن تواجه الأديان بعضها بعضاً، وإنّما الأمر يتطلّب أن تكون الأديان كلّها في جبهة واحدة ضدّ كلّ هذه التّيّارات المادّية الملحدة، التي اتخذت أشكالاً ومبرّرات مختلفة، ومن هنا تأتي ضرورة الحوار الإسلامي المسيحي اليوم أكثر من أيّ وقت مضى، ذلك أنّ التّعالم الدّينيّة للإسلام والمسيحيّة مُلزّمة ببعث قيم الإيمان بالله وإعادة الاعتبار للدّين، وهذا ما يضاعف من مسؤوليّة المسلمين والمسيحيين معاً،² من أجل مجابهة كلّ المخاطر المحيطة بالعالم وبالإنسانيّة جمعاء.

كما يستعرض بورمانس في هذا الصّدّد، إبرازاً لدور الحوار الإسلامي المسيحي في دعم التّعاون بين الطّرفين؛ أهمّ المواضيع التي تُخدم هذه المسألة، ك:³

أولاً- الموقف المسيحي الإسلامي من قضيّة حقوق الإنسان والسّلام العالمي.

ثانياً- الضّمير الإسلامي والمسيحي تجاه تحديات وسائل التّنميّة.

ثالثاً- كيف يمكن للمسيحيين والمسلمين من مجتمع واحد، أن يتعايشوا ويتفاهموا ويتعاونوا في بلدان جنوب شرق آسيا.

رابعاً- المبادئ الواجب احترامها من أجل تعارف وتعاون أكثر فاعليّة بين الطّرفين.

خامساً- إمكانيّة التّعاون المشترك في شتى مشاريع الإغاثة والتّنميّة.

سادساً- مشاركة المؤمنين من المسلمين والمسيحيين في إحلال الصّدّاقة والوثام بين الشّعوب.

غير أنّ ما يميّز بورمانس عن فضل الله في هذا المجال؛ هو حديثه عن مسار الحوار الإسلامي المسيحي بعد أحدث 11 سبتمبر 2001م، وتصوّره لرمزيّة العلاقة بين الطّرفين بعد هذه الأحداث، إذ بيّن مدى

¹ - مقابلة جريدة التّهار اللبنايّة اليوميّة لفضل الله حول مسائل عديدة متعلّقة بموضوع الحوار الإسلامي المسيحي، مقابلة سابقة، ص323.

² - مسعود حايفي: حوار الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي أنموذجاً-، مرجع سابق، ص237.

³ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص165-166.

مساهمتها؛ أي المسلمون والمسيحيون في محاولة تجديد العلاقات وتوطيدها، وذلك بالزيارات والرّسائل المتبادلة وتليين موقف كلّ منهما تجاه الآخر،¹ وقد ينتج عن هذا الموقف المتبادل بين الطرفين علاقات صداقة متينة وقوية، تُعزز في البداية أواصر المحبة والموّدة بينهما، ثم إنّ بإمكانها أن تكون سبباً في نسيان أو تجاوز عداوات الماضي التي طالما أرقتهما وأحدثت لهما آلاماً نفسية عميقة ومتجدّرة في صدورهم؛ ممّا قد يؤدّي في كثير من الحالات إلى عدم الاستقرار والعيش الكريم.

وبهذا الصّدّد، وبالضّبط في الولايات المتّحدة وأوربّا؛ أصدر المسلمون والمسيحيون بيانات مشتركة لإدانة تلك الهجمات، وأعربوا عن تعاطفهم مع الضّحايا وعائلاتهم، وشاركوا في الدّعاء والصّلاة من أجلهم، وساهموا في التبرّع بالدم للجرحي، وحذّروا من عقليّة الانتقام والأخذ بالثأر،² ممّا يدلّ على سعي كلّ منهما إلى التّصالح مع الآخر والتّفاهم معه من أجل الاستمراريّة والبقاء والتّموّ والازدهار؛ خدمة للإنسان والمجتمع والبشريّة جمعاء، خاصّة في ظلّ هذه الظّروف الحاليّة التي يشهدها العالم والتي يغلب عليها التوتّر والتّعصّب وتعمرها حالات من الفوضى والصّراعات بين الأمم والشّعوب.

وإذا كانت تلك الهجمات الإرهابيّة قد أثارت أسئلة جوهريّة أمام البشريّة في العصر الحديث؛ أسئلة كانت الأديان عادة ما تصوغ ملامح تصوّراتها، فإنّه -والحال هذه- يتوجّب على المسلمين والمسيحيين الاشتراك في حوارٍ جدّي وعميق، إذا ما أرادا تقديم مساهمة حقيقيّة في الإجابة عن هذه التّساؤلات التي أثارها أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر،³ أملاً في أن تبقى العلاقة بينهما علاقة متينة مبنية على الثّقة والاحترام المتبادلين، ولا يكون ذلك إلاّ بالعمل معاً على إشاعة السّلام والموّدة في شتّى ربوع العالم، وخاصّة في المناطق التي يعيش فيها الطّرفان كجيران أو إخوة في المواطنة والعرق، وقد حدث هذا مراراً وتكراراً بصورة فعليّة، إلاّ أنّه لا يزال يحتاج إلى إعادة محاولات جديدة من شأنها إرواء العلاقات بينهما بشكلٍ مستمرّ؛ كي تنمو وتثمر في جوّ يسمح لها بذلك.

¹ - Maurice Borrmans: **Dialoguer, Encore Et Toujours, Avec Les Musulmans**. Article Précédent, p19-21.

² - توماس ميشيل اليسوعي: **بناء ثقافة الحوار**، مرجع سابق، ص150.

³ - المرجع نفسه، ص157.

المطلب الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي بين الضرورة والتطوير.

إذا كان الحوار الإسلامي المسيحي هو العملية التي تقوّي من الرابطة بين المسلمين والمسيحيين وتكوين علاقة قوية بينهما، كما تُساهم في إحلال السلام والتفاهم والتّصالح والتّسامح بينهما، وغير ذلك من المفاهيم السّلمية، وترمي إلى تحقيق أغراضٍ مادّية ومعنوية، بالإضافة إلى كثير من المقاصد الأخرى، فجديراً بها أن تلقى قبولاً في الأوساط الإسلاميّة والمسيحيّة على السّواء، وخليقاً بأصحاب النّفوذ في كلا الدّيانتين رعايتها وتهيئة الجوّ الملائم لها، حتّى يكون مستقبلها زاهراً فيما يستقبل من زمن، إذ أنّ ضرورتها تزداد يوماً بعد يوم، نظراً لتطوّر الأحداث في العالمين الإسلامي والمسيحي بصفة خاصّة، والعالم كلّ بصفة أعمّ، وهو الأمر الذي اتّفق عليه الرّجلان.

فبالنسبة لفضل الله، فإنّه يدعو في هذا الصّدّد إلى مأسسة الحوار الإسلامي المسيحي؛ أي رعايته في مؤسّسات إسلامية مسيحية حوارية تقوم على تبنّيه وتنظيم شؤونه بطريقة منظمّة، وكمشروع عملي يمكنه تحقيق الكثير من الأهداف المستقبلية الخاصّة والعامة، مع ضرورة اشتراك جميع المذاهب المنتمّة للدّيانتين بالمشاركة في هذه المؤسّسات،¹ ممّا يؤدّي به إلى تحقيق آفاقٍ مستقبلية معتبرة، إذ أنّ مسألة تنظيمه وتقنينه تجعل منه قضية أساسية لها أسبابها ومبرراتها ورجالاتها وموضوعاتها وأهدافها، على أن يتمّ تدوين أعماله ومقرراته في نشرات ودوريات خاصّة به.

وهو الأمر الذي يقرّه بورمانس، وذلك حينما يتحدّث عن بعض المؤسّسات الحوارية وخاصّة معهد الدّراسات الإسلاميّة المسيحية التابع لجامعة القديس يوسف ببيروت، والذي أصدر عدّة كتب ومجلاّت بهذا الصّدّد، منها:²

- البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (1954-1995م / 1373-1415هـ)، نصوص أصليّة وترجمتها الفرنسية (1997م).

- البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة (1995-2001م / 1415-1422هـ)، تسبقها تكملة (1992-1995م / 1413-1415هـ).

¹ - محمّد حسين فضل الله: تأملات في الحوار الإسلامي - المسيحي، محاضرة سابقة، ص201.

² - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص142.

وأيضاً المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بروما، الذي أصدر مجلة دراسات عربية (Etudes Arabes)، وكذا مجلة دراسات إسلامية مسيحية (Islam Christiana)، حيث تجمع الأولى نصوصاً وأعمالاً مختارة حول أهم الموضوعات التي هي محور النقاش بين المفكرين العرب والمسلمين، وتهتم الثانية بالمقالات المتعلقة بالحوار بين المسلمين والمسيحيين، وكل المسائل المتعلقة به، هذا بالإضافة إلى تزويد المعهد خريجه الناطقين بالإنجليزية بنشرة شهرية بسيطة بعنوان: (لقاء في سبيل التفاهم) تتناول جميع المواد النافعة للحوار الثقافي والروحي بين الطرفين، كما أصدر المعهد سلسلة خاصة من كتب تمهيدية تؤهل الطلاب إلى تفهم الإسلام وتعاليمه بروح الاحترام والحوار؛ لأنه أُسس لإعداد بعض المسيحيين كي يكونوا في خدمة اللقاء الإيجابي والإثراء الروحي بين أتباع الديانتين من المؤمنين المخلصين.¹

وقماشياً مع هذا الطرح، يمكن رصد بعض المؤسسات الإسلامية والمسيحية المعنية بالحوار بين الطرفين، والتي نذكر منها:²

- الكنيسة الكاثوليكية (الفاتيكان) بروما الإيطالية.

- مجلس الكنائس العالمي بجنيف السويسرية.

- مؤسسة آل البيت بعمان الأردنية.

- المجمع البابوي للحوار بين الأديان التابع للفاتيكان.

- مركز التفاهم الإسلامي المسيحي بواشنطن الأمريكية.

- مركز دراسة الإسلام والعلاقات الإسلامية المسيحية بستراسبورغ الفرنسية.

- المعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بالفاتيكان.

- معهد الدراسات الإسلامية المسيحية ببيروت اللبنانية.

- الهيئة الإسلامية اللبنانية للحوار ببيروت اللبنانية.

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص184-189.

² - أحمد بن عبد الرحمن القاضي: دعوة التقريب بين الأديان -دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية-، مرجع سابق، مج4، ص1714-1718.

- مركز الأبحاث في الحوار المسيحي الإسلامي بحريصا اللبناية.

كما يدعو بورمانس في سبيل تأكيده على تطوير الحوار الإسلامي المسيحي إلى عقد لقاءات شعبية عامة، ولقاءات أخرى مختصة لا يحضرها إلا المختصون في بعض العلوم؛¹ إنجاحًا لهذه العملية على كافة المستويات، وتعميمها على كل الأوساط الشعبية والتجوية؛ تحقيقًا لنشوء علاقات أفضل وأرقى بين المسلمين والمسيحيين، وفتحًا لمجال التّحاور في شتى المواضيع والمجالات، ولا شك أنّ هذا يؤدي إلى توسيع دائرة الأهداف والمقاصد أيضًا.

وفي وثيقة صادرة عن مجلس الكنائس العالمي عام 1979م، حُدّدت المبادئ العامة للحوار مع أهل الأديان الحية بصفة عامة، والمسلمين منهم بصفة خاصة، كانت على النحو الآتي:²

أولاً- على الكنائس إيجاد السبيل لتمكين الجماعات المسيحية من الدخول في حوار مع جيرانها من المؤمنين بديانات وعقائد مختلفة.

ثانيًا- يجب الإعداد للحوار معًا.

ثالثًا- على المشاركين في الحوار أن يأخذوا بعين الاعتبار الموروث الديني والثقافي والتنوع العقدي الخاص بكلّ منهم.

رابعًا- عليهم -أيضًا- أن يتمتعوا بحرية التعريف عن أنفسهم.

خامسًا- على الحوار أن يحرك الجهود الثقافية في المجتمع.

سادسًا- يكون الحوار مهمًا للغاية عندما يجعل المتحاورون من حياتهم جزء منه.

سابعًا- يتحتم متابعة الحوار من خلال مؤسسات مشتركة في المجتمع.

ثامنًا- على المشاركين في الحوار التنبه لالتزاماتهم العقدية.

تاسعًا- عليهم -أيضًا- التنبه لالتزاماتهم الثقافية.

عاشرًا- على الحوار إثارة مسألة المشاركة في الاحتفالات؛ كالتقوس والعبادة والتأمل.

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 169.

² - محمد السّمّاك: مقدّمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، مرجع سابق، ص 16-17.

حادي عشر- يتحتم التخطيط للحوار وتنفيذه بصورة جماعية عندما يكون ذلك ممكناً.

ثاني عشر- يتطلب التخطيط للحوار وضع أسس عامة له؛ محلية وإقليمية.

ثالث عشر- يمكن دعم الحوار من خلال المشاركة الانتقائية في اللقاءات والمنظمات المتعددة الأديان.

ولا شك أنّ تطبيق هذه المبادئ بحذافيرها أو بالشكل المطلوب من قبل المسلمين والمسيحيين، من شأنه أن يؤدي إلى نجاح العملية الحوارية بين الطرفين، وضمان مستقبل زاهر للحوار الإسلامي المسيحي الذي كثيراً ما تقف في مسيرته العديد من العقبات، لكن عندما تكون هناك رغبة في إقامته إسلامياً ومسيحياً، فسوف يتحدّى جميع تلك الصعوبات التي قد تعترضه في أيّ مرحلة من مراحلها، وبالتالي فالضرورة تدعو إلى عقد لقاءات حوارية بين الطرفين، من أجل الاستمرارية في مسيرة هذا الحوار ودراسة مسائله وتحديد آفاقه وطموحاته ومستقبله في ظلّ التطوّرات الراهنة.

بهذا الصدد، عُقد لقاء إسلامي مسيحي بيروت ما بين 03 و06 تشرين الثاني/نوفمبر 1980م بعنوان: (مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي)، وقد ضمّ هذا اللقاء 35 مشاركاً، كانت مهمّتهم التفكير في مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي انطلاقاً من الاختبارات الماضية، وفي ضوء متطلبات الحاضر، واتّخذ هذا الموضوع أهمية خاصة في الظروف المساوية التي تمّ فيها هذا التفكير، كما تمّ فيه تقسيم المراحل التي مرّ بها هذا النوع من الحوار في السنين الخمس عشرة الأخيرة، كما تمّ فيه التعبير عن ذلك القرار المشترك الذي نوه بالرغم من قصره -العائد إلى خطورة الساعة- بالشعور المتزايد بأهمية الحوار وبال الحاجة إلى مواصلة الجهود المبذولة.¹

إضافة إلى ذلك، يبيّن سعود المولى في كتابه: (الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة-) وخصوصاً في الباب الثالث منه؛ مسيرة الحوار بين المسلمين والمسيحيين في القرن العشرين، والجهود المبذولة من كلا الطرفين في تطويره وترقيته باعتباره قضية هذا العصر المتأزم، فيذكر المؤسسات الإسلامية والمسيحية المعدّة له، وأيضاً مبادرات الفريقين في سبيله، وبعض المراحل التي مرّ بها، والموضوعات التي عاجلها في هذه الفترة، وما ينتظره من آفاق مستقبلية يمكنه مواكبتها، خصوصاً العلاقات الإسلامية المسيحية؛ التي يُرتجى منه التمكين لها في الواقع الحالي، ولا يتمّ ذلك إلاّ بإحداث توازن في المبادرات الحوارية من دون الهيمنة الواحدة عليه.²

¹ - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص 140.

² - سعود المولى: الحوار الإسلامي المسيحي - ضرورة المغامرة-، مرجع سابق، ص 125 وما بعدها.

والواجب على المتحاورين من الطرفين أن يساهموا في نشر روح الحوار في الأوساط الشعبية، كي لا يكون هذا الحوار مقتصرًا على فئة معينة، بل يصبح قضية عامة ويشكل ذهنية المجتمع ككل، وفي ذلك يقول فضل الله متحدثًا عن مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي:

"على دعاة الحوار الاندفاع إلى الواقع الشعبي من أجل أن يجعلوا الحوار ذهنية المجتمع كله من مسلمين ومسيحيين، وعند ذلك لن يستطيع الذين يعطلون الحوار أن يصلوا إلى ما يريدون، إن تحويل النهج الحوارى إلى ذهنية شعبية عامة قد يقربنا كثيرًا من تجاوز الضغوط التي تطل أرض الحوار في هذا البلد أو ذاك"¹، وإذا ما تمّ الاعتناء بالحوار بهذا الشكل وأشرك فيه الجميع؛ أتى أكله والثمار المرجوة منه، "فالحوار الإسلامي المسيحي إذا أراد أن يتأصل ويتجدد، عليه أن يعمل لتوسيع حجم المشاركة لتشمل الجماهير المؤمنة، وأن ينقل طروحاته النظرية إلى مجال الواقع التطبيقي الميداني"²، فلا يمكن أن تبقى مقرراته المسطرة في ندواته وملتقيات، حبرًا على ورق دونما تفعيل أو تشغيل، إنما يجب استثمارها واقعياً لحلّ بعض المشكلات القائمة هنا وهناك، تطويراً لمستقبله وتنمية لآفاقه في شتى المجالات.

وفعلاً، أوجد هذا الحوار بعد تجدد في العقود الأخيرة جوًّا من التفاوض وحسن التفاهم، والتشجيع على التعاون المشترك، من أجل محاربة الأوضاع التي تستنكرها الديانتان في الفكر الثقافي والسلوكيات الاجتماعية والسياسية، كما ساعد على إنشاء مودّات فردية بين المثقفين من أتباع الديانتين، يمكن أن تساعد على مزيد من التفاهم وإشاعة المودّة والسلام العادل في العالم، لذلك بدا للطرفين أنّ الحوار قضية تستدعي بذل الجهد الكبير والكثير، خاصة في الظروف الراهنة، حيث تتعاظم التحديات التي تواجه الإنسانية، وتشتدّ المشكلات التي تترصد العلاقات بين المسلمين والمسيحيين،³ وإذن، ومن خلال ما سبق ذكره؛ فإنّ ضرورة الحوار الإسلامي المسيحي ومدى استمراريته رغم التحديات التي تواجهه والتي يسعى هو لمقاومتها والتصدّي لها، وكذلك البحث عن سبل فعّالة لتطويره مستقبلياً عن طريق ما يُقام من لقاءات متعدّدة إسلامية مسيحية؛ هذه القضية هي وجه من أوجه الشبه في الآفاق المستقبلية لهذا الحوار بين محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس.

¹ - مقابلة مجلة العهد اللبنانية الأسبوعية لمحمد حسين فضل الله، مقابلة سابقة، عدد 389، ص 417.

² - نعيمة إدريس: الحوار المسيحي الإسلامي بين المصادقية والتشكيك - دراسة مقارنة موازنة-، ط 1، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 1432هـ / 2011م، ص 40.

³ - يوسف الحسن: الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتحديات-، مرجع سابق، ص 47.

المطلب الثالث: بين المكاسب السياسية والمقاصد الدينية.

إذا كان بناء علاقة متينة بين المسلمين والمسيحيين وكذا الاعتراف بالحوار الإسلامي المسيحي، من المقاصد المشتركة لمستقبل الحوار الإسلامي المسيحي عند كل من محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس، فإن الأمر -هاهنا- يختلف، بحيث يركّز الأول على المكاسب السياسية على أنها تمثل أفقاً مستقبلياً لهذا الحوار، وبالمقابل يركّز الثاني على المقاصد الدينية كونها الأفق الأكثر فاعلية بخصوص هذا الشأن، وهذه نقطة فارقة بين الرجلين في تحديد بعض المسائل والقضايا المتعلقة بمستقبل الحوار الإسلامي المسيحي.

وبيان ذلك، يرى فضل الله أنّ الوحدة الوطنية بين المسلمين والمسيحيين المنتمين لوطن واحد ويعيشون تحت سقف بلاد واحدة، هي من أهمّ التقاط أو المكاسب التي تتولّد عن طريق الحوار والتفاهم والتعاون والعيش المشترك، وفي هذا المقام يدعو الطّرفين إلى المحافظة على وحدة الوطن وتماسكه وصدّ العدوان عنه، ولا يكون ذلك إلا بالتعاون الفعّال والإرادة الصادقة النابعة من الصّمائر الإسلامية والمسيحية، وإقامة حوار جادّ يزيل كثيراً من الرّواسب الفكرية الجامدة، قصد الاشتراك في بناء دولة قويّة، والارتباط بالواقع العملي الذي يجرّهما من تلك الأفكار السّلبية.¹

وإذا كان هذا الرجل يركّز على الحالة اللبنانية في هذا المجال، فإنّه لا يعدّ بدعاً من الرّأي أو الفكر، إذ أنّ هناك صرخات أخرى تدعو إلى القضية ذاتها، في بعدها السياسي الواقعي، وبخصوص هذا الشأن يقول عبّاس الحلبي*:

"إننا في منطقة تغلي بالتوترات الدينية والمذهبية والطائفية، ولبنان ليس بمنأى عنها إذا ما أضفنا إلى تأثير الخارج ظروف الدّاخل بجميع تناقضاته ومشكلاته المستعصية التي كثيراً ما تلبس لبوس الدين والطائفة، فيتحوّل الصّراع من وجهته السياسية إلى وجهته الطائفية المقيتة، ولعلّ أهمّ قيمة إنسانية تجمع اللبنانيين هي قيمة العيش الواحد، القائمة على حقّ الآخر في اعتقاده، وتعزيز الأسس الدينية للعيش الواحد في وطن واحد، كما أنّ تأكيد قيمة العدل المطلقة التي تلزم المتدينين من مسلمين ومسيحيين، بالانتصار للمظلومين

¹ - مقابلة نجوى مارون مع فضل الله، مقابلة سابقة، ص 355-357.

* عبّاس الحلبي ذو جنسيّ لبنانية، شغل العديد من المناصب البارزة في لبنان، أستاذ محاضر في جامعة القديس يوسف، ونائب رئيس اللجنة الوطنية للأونسكو، له مقالات ودراسات فكرية ووطنية عامة منشورة، منها كتاب: الحوار والمصالحة والسلم الأهلي، وكتاب: الدروز؛ العيش مع المستقبل... (ينظر: موقع الاقتصادي، قسم: من هم، دليل الشخصيات العربية <https://aliqtisadi.com>).

والمضطهدين والمهمشين بغض النظر عن دينهم، وبغض النظر عن الانتماء الديني لمن يمارس عليهم الظلم والاضطهاد، من شأن ذلك أن يساهم في توثيق عرى التسيح الوطني وتعزيز العيش الواحد".¹

ولا تعتبر المسألة البنائية هي وحدها فقط ذات المنحى السياسي في أبعاد الحوار الإسلامي المسيحي، بل إن فضل الله يتحدّث بهذا الخصوص على مسألة سياسية أخرى لا تقل أهمية عن الأولى؛ إنها القضية الفلسطينية التي يتوجّب على المسلمين والمسيحيين - كلاهما - الاهتمام بها ومناصرتها، ومحاولة تخلص مقدّساتها من المستعمر الإسرائيلي الغاشم الذي مازال - حتى يومنا هذا - يظأ برجله تلك الأرض المقدّسة بما تحويه من أماكن دينية تراثية إسلامية ومسيحية، الأمر الذي يتطلّب من الحوار الجادّ بين الطرفين؛ النظر فيها وتشخيص حالتها، بغية الخروج بقرارات واقتراحات مساندة لها، ومندّدة بجرائم العدو المعتدي، وبذلك تحسيس الرأى العام إقليمياً ودولياً بهذه القضية الساخنة؛ قضية المسلمين والمسيحيين جميعاً.²

كما يندرج في البعد السياسي للحوار الإسلامي المسيحي؛ مسألة مواجهة الاستكبار العالمي والطغيان السياسي الذي تفرضه القوى الكبرى على الدول والشعوب المستضعفة، ممّا يستدعي ضرورة تدخّل المسلمين والمسيحيين استناداً إلى تعاليم ديانتيهما، بشكل استمراري كمحاولة منهم لإيجاد حلول لهذه القضية المستعصية، وذلك بإحلال العدل ونشر قيم المحبة والسلام والأمن بين جميع الشعوب، وخاصة المستضعفة منها، من أجل إعادة الثقة بالدين؛ لأنّ هذه الثقة قد فُقدت قيمتها خاصّة في الدائرتين الإسلامية والمسيحية.³

ولا شك أنّ دور الحوار - على وجه العموم - في تحقيق المكاسب السياسية؛ أمرٌ لا مراء فيه ولا جدال، حيث أنّه - أي الحوار - أصبح يجري وفقاً لخدمة المصالح السياسية، وخاصّة تلك المصالح المتعلقة بالجانب الغربي، فقد بات من الواضح أنّه يجري بلسان الغرب، وأنّ أجندته - في أغلب الأحوال - تُصاغ بحسب ضغوط الدوافع والمصالح السياسية، وهذا معناه أنّ الحوار لم يعد يجري بغرض الفهم المتبادل، بقدر ما يجري بغرض تأمين المصالح، وتحقيق المكاسب السياسية، وهذا ما أدّى إلى اختلاط الدين بالسياسة؛ إذ صار مألوفاً أن يتحدّث رجل الدين أو العالم الديني في قضايا الأمن والعلاقات الدولية وهو خبيرٌ بها، ويتحدّث

¹ - عباس الحلبي: حوار الأديان وبناء الدولة، مرجع سابق، ص 50-51.

² - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 32-33، 99، 376.

³ - المصدر نفسه، ص 324، 386-387.

رجال السياسة في أصول أديان وتراث وتقاليد لا يعرفون عنها الكثير، وصار عاديًا رؤية مشاركين في الحوار يمثلون جهات وأجهزة استخباريّة، لا تمتُّ بصلّة إلى الدّين أو الثّقافة الدّينيّة.¹

كما يرى محمّد أركون أنّ الحوار بين الأديان، لم يكن ممكنًا إلاّ بعدما زالت الحروب والعداوات بين الشعوب، فيقول:

"لم يصبح الحوار بين الأديان ممكنًا، إلاّ بعد الحرب العالميّة الثانيّة، وحروب التّحرير الوطنيّة، وانبثاق الدّول المستقلّة بعد نهاية الاستعمار، والسّبب هو أنّ الكنائس المسيحيّة المتحالفة مع الإدارة الاستعماريّة، كانت تعمل من أجل تحويل الآسيويين والأفارقة عن دينهم، لكي يعتنقوا الدّين المسيحي، تمامًا كما فعلت من قبل بالنّسبة للقارة الأمريكيّة بعد عام 1492م".²

ومن هنا يتبيّن لنا، بعد هذه الفقرات والآراء؛ أنّ المكسب السياسيّ بمختلف اتّجاهاته ومكوّناته، من أهمّ المكاسب التي يسعى الحوار بصفة عامّة، والإسلامي المسيحي منه على وجه الخصوص، إلى تحقيقها؛ إذ هي تشكّل رافدًا أساسيًا لمستقبله في الزّمنين الحاضر والآتي، ولعلّ قراءة سريعة في بعض اللقاءات التي عُقدت بين الطّرفين خلال النّصف الثّاني من القرن العشرين -عصر التّوترات والأزمات السياسيّة- تبين لنا مدى استهداف الحوار بين المسلمين والمسيحيين للقضايا السياسيّة الساخنة والمتنوّعة، وكمثال على ذلك نذكر:³

- استهجان المشاكل السياسيّة الخطيرة التي تكتسح منطقة الشّرق الأوسط، واستنكار العدوان والاضطراب الحاصل فيها، والتّأمّل لأجل العناء وعدم الاستقرار والحالة المزريّة التي يمرّ بها أهلها من لجوء وطرده وحرمان وتشرد... .

- القيام بعمل دؤوب إسلامي مسيحي في سبيل العدالة والسّلام، وشجب جميع أنواع التّفرقة، وتكثيف الجهود لتحقيق الكرامة الإنسانيّة.

¹ - جميل مطر: حوار الحضارات... السياسيّ أوّلًا، مجلّة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، بيروت، لبنان، العدد: 325، مارس 2006م، ص 57-58.

² - محمّد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل -نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي-، ط1، دار الساقي، بيروت، لبنان، 1999م، ص 248.

³ - جوليت حدّاد: البيانات المسيحيّة الإسلاميّة المشتركة، مرجع سابق، ص 16، 43، 65، 78.

- توعية الجميع حول المصلحة الكبرى لدى الديانتين الإسلامية والمسيحية في توطيد السلام، ضمن عالم أنهكته الحروب، وجرحته العدائية، كما يجب إبراز الدعوة التي لا تنفك الديانتان تطلقانها من أجل المحبة والتسامح والخير والحق والعدالة ولاسيما تجاه الفقراء والمحرومين.

- اعتبار التوافق السياسي، شأن هام لكلا الجماعتين، إذ أنّ جميع التطلّعات والأمنيات الإنسانية، يمكن تحقيقها بطريقة أفضل في جوّ من السلام والنظام، ولكن مثل هذا الجوّ لا يتمّ البلوغ إليه إلا في إطار سياسي وقانوني يؤمن بالحريّة والتفاعل الإيجابي بين الجماعات الدينيّة، والتنبؤ به على الدور الإيجابي الذي بإمكان الحكومات أن تقوم به لأجل تقليص التآزّمت والتوتّرات والصّراعات بين الجماعات الدينيّة والطائفية.

وتأسيساً على هذه المقرّرات وغيرها، يفترض فضل الله للحوار الإسلامي المسيحي آفاقاً سياسية من شأنها توسيع أبعاده وتنويع مقاصده وتمديد اتجاهاته، وهي النقطة التي يختلف فيها عن بورمانس؛ إذ أنّ هذا الأخير يركّز في هذا الصّدّد على الأبعاد الدينيّة، وعلى رأسها التقارب الإسلامي المسيحي، فقد أكّد على أنّ الحوار بين الطرفين من شأنه أن يضعف الهوة بينهما من الناحية الدينيّة، ويجعلهما أكثر انسجاماً واندماجاً؛ بحيث يمكنهما معاً أن يقوموا ببعض المراسم معاً كإقامة بعض الصلوات وتلاوة مجموعة من الأدعية بصيغة مشتركة، كما يخضعون لإرادة الله بطريقة واحدة تمهيداً للتآخي في الله وتحقيقاً لبشريّة متّحدة، كما أنّ الحوار عنده من مقاصده تحوّل المحاور عن ذاته واندماجه في ذات الطرف الآخر تقريباً للأفكار والمبادئ والآراء.¹

ولا يبدو هذا الأمر غريباً، حينما نعلم أنّ الحوار -بصفة عامّة- يرمي إلى تحقيق بعض الأغراض الدينيّة، أو يُتبع منه الوصول إلى جملة من المقاصد ذات البعد الديني والمنحى الأيديولوجي أيّاً كان نوعها أو شكلها؛ وتلك هي المقاصد الدينيّة التي تتملّ محوراً مهمّاً من محاور الحوار، وتحتلّ مكانة بارزة في مقدّمة المطالب التي تُرتجى من عمليّة التّحاور، ويأتي على رأس هذه المقاصد والمرامي التّبشير الذي يمكن أن يكون مدخلاً لدعوة التّقريب بين الأديان، وفي ذلك يقول يوحنا بولس الثاني في (رسالة الفادي):

"إنّ الحوار بين الديانات يشكّل جزء من رسالة الكنيسة التّبشيريّة؛ فهو باعتباره طريقة ووسيلة لمعرفة وإغناء متبادلين، لا يتعارض مع الرّسالة إلى الأمم، إنّه بالعكس، مرتبطٌ بها بنوع خاصّ، وهو تعبيرٌ عنها؛ لأنّ هذه

¹ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 169، وملاحظات الشخصية بعد الاطلاع على ما جاء به الأستاذ الدكتور احميدة التّيفر من اعتبارات وتأمّلات في مصير الأديان وحوارها فيما بينها وبالخصوص بين المسلمين والمسيحيين، مقال سابق، ص 229-230.

الرسالة موجّهة إلى أناسٍ لا يعرفون المسيح ولا إنجيله*، وهم في أكثرتهم السّاحقة ينتمون إلى ديانات أخرى، إنّ الله يدعو إليه كلّ الشّعوب، وفي المسيح يريد أن يشركهم في ملء وحيه ومحبته...¹.

وتخصيصاً لهذه الفكرة، وإسقاطاً لها على الحوار الإسلامي المسيحي بالذات، يقول فضل الله:

"وعلى وجه الخصوص يملك الحوار الإسلامي المسيحي جانباً لاهوتياً يتمحور حول قضايا العقيدة في الله والتبوة والإنجيل والقرآن، وما يتصل بذلك من مفردات ذات دلالة دينية؛ فيهدف الحوار إلى التبشير الذي يمثل العنوان العام للمسيحية في امتدادها، كما يهدف إلى التبليغ الذي يمثل الحركة الإسلامية في الدعوة لإدخال الناس في الإسلام"².

ويُفهم من هذا القول؛ أنّ هذه الفكرة متبادلة بين كلا الجانبين؛ أي أنّ المسلمين لهم أهدافهم ومقاصدهم الدينية، والمسيحيين كذلك لهم أهدافهم ومقاصدهم الدينية، وهو الأمر المعبر عنه بالأبعاد الدينية للحوار الإسلامي المسيحي،³ وبناء على هذا وتأسيساً عليه، وباستقراء سريع لبعض اللقاءات التي عُقدت بين الطرفين، نلمح بوضوح المكاسب الدينية طافحة على السّاحة الحوارية، ويمكن الإشارة إلى ذلك -تمثيلاً- في النقاط الآتية:⁴

- وجود ميدان فسيح للتعاون بين الطرفين؛ إذ أنّ كلّاً منهما يؤمن بالله، كما يتمسكون بعقائدهم الخاصة، ويعملون جاهدين على إيصال تعاليم ديانتيهما للأجيال الناشئة، ويبحثون بضرورة عاجلة للتعرف على طرق التآزر بين صفوفهما.

- تنشئة وتشجيع التفكير اللاهوتي حول المسائل الأساسية التي تمسّ الإيمان والتّعليم الأخلاقي في كلا الديانتين.

- الرّغبة في تجنّب الوقوع في أيّ التباس أو خلط عقائدي قد ينتج من محاولات الصّلاة المشتركة، وإمكان طلب البركة من الله على الأعمال المشتركة، والإصغاء إلى تعاليم الكتب المقدّسة.

* الحقيقة أنّ إنجيل المسيح الأصلي مفقود، وما هو موجود اليوم إنّما هو مجموعة من الأناجيل الأخرى المنسوبة لمؤلّفيها؛ متى ومرقس ولوقا ويوحنا.

1 - توماس ميشيل اليسوعي: بناء ثقافة الحوار، مرجع سابق، ص224.

2 - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص01.

3 - إسماعيل عريف: الأبعاد الدينية والسياسية للحوار الإسلامي المسيحي -دراسة تحليلية نقدية في ظلّ الحوار الهادف والمثمر-، مرجع سابق، ص50.

4 - جوليت حدّاد: البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة، مرجع سابق، ص15، 128، 132، 137، 157.

- إمكانية الممارسة الدينية لدى العمال والموظفين (أي الصلوات والأعياد الدينية والصوم والمأكولات الشرعية والحج...) المتعلقة بتفهم أصحاب الأعمال، إذ أنه من الضروري الوفاء بالوعود إزاءها.
- إن رسالة الديانتين المسيحية والإسلام، يمكن صياغتها في تعليم موجّه إلى المخلوقات البشرية، فتساهم في تطويرها الروحي.

فهذه بعض الأغراض الدينية التي نصّ عليها الحوار الإسلامي المسيحي، والتي ركّز بورمانس على جزء منها؛ متمثلاً في التقارب بين المسيحيين والمسلمين، في حين ركّز فضل الله على الأغراض السياسية المذكورة سابقاً، ويعدّ هذا الأمر من أوجه الاختلاف بينهما بخصوص هذا الشأن، وليس معنى ذلك أنّهما يهملان المقاصد الأخرى للحوار، بل إنّ حديثنا عنهما فقط انصبّ حول النظرة الغالبة والمهيمنة لدى كلّ واحد منهما.

المطلب الرابع: بين الأغراض القومية والمقاصد العالية.

بين الدّعوة إلى القومية العربية والتأسيس للعالمية المسكونية، عند استنطاقنا لمستقبل الحوار الإسلامي المسيحي والبحث عن آفاقه، نجد تبايناً واضحاً بين محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس؛ حيث يدعو الأوّل الحوار بين المسلمين والمسيحيين إلى خدمة الأغراض القومية والمكاسب العربية بوجه خاصّ، ويدعو الثاني الحوار ذاته إلى تحقيق نظرة شمولية عامّة تشمل العالم أجمع، وذلك هو وجه الاختلاف الآخر الحاصل بينهما في هذا الشأن.

فإذا ما بدأنا مع فصل الله ونظراته الجزئية لمستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، فإنّه يمكننا حصر هذه النظرة في قضيتين؛ فأما القضية الأولى؛ فهي القضية اللبنانية، والتي يبدو أنّ الحوار الإسلامي المسيحي مكرّس لها بشكل كبير، إذ أنّ هذا الحوار القائم بين الطرفين يبدو وكأنّه محصورٌ في الدائرة اللبنانية فقط؛ أي بين المسلمين والمسيحيين المقيمين بهذا البلد، ولذلك فإنّ ثمراته ونتائجه ومستقبله أيضاً لا يخرج عن خدمة مواطني هذه الدولة، وتحقيق وطنيتهم، وتصديدهم لمحاولات التفرقة الخارجية، وكلّ ما من شأنه إضعاف علاقاتهم القويّة سياسياً واجتماعياً ودينيّاً وثقافياً، وأيضاً استشراق المستقبل لهذه العلاقة من أجل بنائها على أسس متينة وقويّة وصادقة، ولا يكون ذلك إلاّ بتعاون المسلمين والمسيحيين جميعاً باعتبارهم ذوي جنسية لبنانية.¹

¹ - محمد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 63-79، 355-357.

ويؤيد فضل الله في ذات الفكرة؛ ثلّة من العلماء والمفكرين مسلمين ومسيحيين، على غرار محمد السّمّاك في كتابه: "مقدّمة على الحوار الإسلامي المسيحي"، ويواكيم مبارك في كتابه: "حول لبنان وفلسطين والحوار الإسلامي المسيحي - مختارات"، وكيرلس سليم بسترس* وجورج خضر في كتابهما: "أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك"، وعبّاس الحلبي في كتابه: "حوار الأديان وبناء الدولة"، وكتابه أيضًا: "الحوار بين الأديان - الحالة العربيّة والنموذج اللبناني"؛ فهؤلاء جميعًا وغيرهم حدّوا حدو فضل الله في تقرير أنّ مسألة الحوار الإسلامي المسيحي هي مسألة لبنانيّة بالدرجة الأولى، نظرًا للحاجة الماسّة في هذا البلد لتحاوّر مواطنيه المسلمين والمسيحيين معًا؛ لتطوير العلاقات فيما بينهما، والتّعايش جنبًا إلى جنب دونما أيّة مشاكل أو عراقيل.

كما يؤيد الرّجل -أي فضل الله- في هذا الشّأن - بعض المؤتمرات التي أُقيمت على التّراب اللبناني، والتي كانت قراراتها تصبّ في صالح مواطنيه، إذ كانت تُطلعهم على المشتركات الكائنة بينهم، وتحتّمهم على التّآلف والتّآزر والتّعاون، كما هو الحال بالنّسبة لمؤتمر "القيم الروحيّة للديانتين المسيحيّة والإسلاميّة" المنعقد في بجمدون فيما بين 22 و29 نيسان/أفريل من عام 1954م، وكذلك اللقاء المنعقد بالمنطقة نفسها فيما بين 15 و18 جوان من عام 1956م حول "مواصلة العمل للتواصل الإسلامي المسيحي"، وأيضًا الندوة اللبنانيّة المسيحيّة الإسلاميّة المنعقدة في بيروت يوم 08 تموز/جويلية من عام 1965م، وكذلك الندوة المنعقدة في برّمانا حول "الانفتاح والتّعاون لإزالة التّعبّس وسوء التّفاهم" فيما بين 12 و18 تموز/جويلية من عام 1972م¹، وغير ذلك من المؤتمرات والندوات الإسلاميّة المسيحيّة الباحثة في شأن العلاقات بين الطّرفين في هذا البلد.

وأما القضية الثّانيّة؛ فهي القضية الفلسطينيّة، إذ أنّ الواجب يقتضي من المسلمين والمسيحيين العرب مُناصرتها، باعتبارهم عربيًا ينتمون لقوميّة واحدة، وأيضًا لاحتوائها على مقدّسات وآثار دينيّة لكلّ أمة منهما، كما تحتمّ عليهم الضّرورة الواقعيّة والمظاهر الأليمة التي يعاني منها الشّعب الفلسطيني؛ الوقوف مع هذه القضية وفي خطّها، ومواجهة العدو الإسرائيلي الذي يستبيح أرضها منذ منتصف القرن العشرين وإلى اليوم، ولا يكون ذلك إلا بتكاتف الجهود، وتخصيص الحوار الإسلامي المسيحي وتكريسه لها، فتحاوّر الطّرفين معًا في سبيلها، وإثارتها في بعض اللقاءات المنعقدة بينهما، من شأنه أن يدعمها ويقدم لها يد

* المطران كيرلس سليم بسترس ذو جنسيّة لبنانيّة؛ هو مطران أبرشيّة بعلبك منذ سنة 1988م، ورئيس أساقفتها وتوابعها للروم الملكيين الكاثوليك، وأحد رواد الحوار الإسلامي المسيحي في لبنان، له العديد من الكتب والمقالات في هذا الشّأن. (أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، ج1، صفحة الغلاف الأخيرة).

¹ - جوليت حدّاد: البيانات المسيحيّة الإسلاميّة المشتركة، مرجع سابق، ص13، 23، 31، 45.

العون، ويقف في أطماع الكيان الصهيوني الذي يريد أن يستولي على مقدّساتها، الأمر الذي يزيد من تماسك المسلمين والمسيحيين في مواجهته واسترجاع مقدّساتهم وكرامتهم، وعليه فإنّ اجتماعهما للتخطيط لهذا الوضع يعتبر من اللقاءات الحيّة المتّصلة بواقع الحياة، ما دام أنّه متعلّق بقضيّة ساخنة كهذه القضيّة.¹

من أجل ذلك، وتحقيقاً لهذه الفكرة، عُقد في بيروت في شهر حزيران/جوان من عام 1996م بين الطرفين مؤتمرٌ بعنوان: "مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس"؛ تدارساً فيه مكانة القدس في الفكرين الإسلامي والمسيحي، وأصالة الشعب الفلسطيني، ومدى الضغوطات التي يتعرّض لها والآلام التي يعاني منها بفعل العدو الإسرائيلي، وكذا أهميّة المقدّسات الموجودة هناك عند كلّ منهما، ومسألة السّلام...، ثمّ قرّروا ما يلي:²

أولاً - دعوة مسلمي ومسيحيي العالم أجمع للوقوف على جانب الحقوق الفلسطينية المشروعة.

ثانياً - دعوة المؤسسات الدينيّة المسيحيّة والإسلاميّة إلى أن يكون تحرير القدس هو شغلها الشاغل، فتصرف كلّ جهودها إلى أن يزهد الباطل وينتصر الحقّ.

ثالثاً - دعوة دول العالم والأمم المتّحدة وهيئاتها والمنظّمات غير الحكوميّة إلى مؤازرة المؤسسات الفلسطينية في القدس؛ لتطوير البنية التحتيّة وتوفير الدّعم لها.

رابعاً - دعوة الدّول العربيّة والسّلطة الوطنيّة الفلسطينيّة إلى توحيد موقفها من قضيّة القدس.

خامساً - دعوة إسرائيل للكفّ عن جرائمها وإجراءاتها التعسّفيّة تجاه أبناء الشعب الفلسطيني.

سادساً - عدم اعتراف المسلمين والمسيحيين بشرعيّة أيّة ممثليّة أجنبيّة أو بعثة دبلوماسية لدى إسرائيل تتخذ من القدس مقراً لها، واعتبار ذلك عملاً عدائيّاً ضدّ العرب مسلمين ومسيحيين على السّواء.

سابعاً - اتّحاد الطرفين في مدّ يد العون لفلسطين وأبنائها حتّى يستعيدوا حرّيتهم ومقدّساتهم.

ثامناً - العمل معاً على أن تكون القدس مدينة مصالحة وعدل وسلام للجميع.

¹ - محمّد حسين فضل الله: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص99، 376.

² - محمّد السّمّاك: مقدّمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، مرجع سابق، ص21-24.

أما بورمانس، فإنه وعند حديثه عن مستقبل الحوار الإسلامي المسيحي، لم يحصر ذلك في مسألة معينة كما لم يُوقفه على قُطر محدود، ثم إنه لم يخصّصه باتجاه واحد، بل إنه ترك الأمر على عمومته وأثر شموليته، ومعنى ذلك أنّ كلّ مسلمي ومسيحيي العالم دون استثناء معنيون بما يحقّقه الحوار من مقاصد وما يتوق إليه من آفاق مستقبلية، فسواء تعلّق الأمر بالتعاون وإنماء العلاقات الإسلامية المسيحية، أو بالتقارب بين الطرفين، أو تطوير حركة الحوار الإسلامي المسيحي، فإنّ كلّ ذلك لا يجب أن يكون محصوراً في مكان واحد من العالم، أو مقتصرًا على طائفة واحدة من الطوائف البشرية، ولا متمحورًا حول أيديولوجية واحدة كذلك، وهذا انطلاقًا من فكرة أنّ هذا الحوار يخصّ جميع المسلمين والمسيحيين المتواجدين في العالم؛ إذ أنّ من حقّ كلّ فردٍ منهم أن يُشارك فيه، وأنّ عوائده أو نتائجه سواء كانت سلبية أو إيجابية تعود عليهم جميعًا أيضًا.¹

غير أنّه وباعتباره كاثوليكيًا، فإنّه يركّز على دور الكنيسة الكاثوليكية وآبائها الفعّال في إثارة الحوار مع المسلمين، وذلك في الكثير من التّماذج التي عرضها في هذا الشّأن، خاصّة عندما يتحدّث عن علاقة الباباوات بالعالم الإسلامي، وعلاقة المسلمين بهم أيضًا،² ومع ذلك فإنّه لا يقصي الكنائس الأخرى من تمثيل الحوار المسيحي الإسلامي،³ كما يعتقد أنّ جميع الطوائف من المسيحيين والمسلمين معنيون بالحوار معًا كلّهم.⁴

وحثّ لو اعتبرنا أنّ الكنيسة الكاثوليكية هي التي رعت مسألة الحوار مع المسلمين انطلاقًا من كونها دعت إلى ذلك وشجّعت عليه وكانت لها اليد الطّولى فيه، وهي النّقطة التي أثارها أليكسي جورافسكي* في كتابه: "الإسلام والمسيحية من التنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم"، والتي خصّص لها الفصل السادس

¹ - موريس بورمانس: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، مقال سابق، ص166-167، 181-182، وتوجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص168-169. ينظر أيضًا:

Maurice Borrmans: *Dialoguer. Encore Et Toujours. Avec Les Musulmans*. Article Précédent, p19-21.

² - *Le meme article*, p19-21.

ينظر أيضًا: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التّفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، المقال السّابق، ص140.

³ - المقال نفسه، ص140-141.

⁴ - موريس بورمانس: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، المصدر السّابق، ص28-41.

* أليكسي جورافسكي؛ متخصص في تاريخ العلاقات الحضارية بين الشعوب والقارات والثّقافات، يعمل في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الرّوسية، أصدر عدّة دراسات في قضايا العلاقات الثّقافية والحضارية بين الأديان والشّعوب ولاسيما بين ثقافتنا الشّرق والغرب، وكذلك حول التّصورات الفكرية الدّينية بين الثّقافتين العربيّة الإسلاميّة والأوروبيّة المسيحية. (الإسلام والمسيحية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 215، ص205).

بأكمله من هذا الكتاب، وهو الفصل المعنون بـ: "الرؤية الكاثوليكية المعاصرة لمسألة الحوار مع الإسلام"؛ إذ تحدّث فيه عن مخططات هذه الكنيسة وإستراتيجيتها في سبيل هذا الحوار خاصة بعد عقد المجمع الفاتيكاني الثاني (1962-1965م)؛ والذي نصّ صراحة على ضرورة الحوار مع المسلمين، وإعادة النظر معهم في كثير من القضايا... إلى غير ذلك من التحوّلات الجوهرية التي مسّت الكنيسة بهذا الخصوص.¹

فإنّ ذلك لا يعني أنّ الحوار الإسلامي المسيحي - في جانبه المسيحي - مقصوراً عليها، أو على باباواتها والمهتمين إليها وحسب، بل إنّه يعتبر مسألة عالمية وقضية مسكوتية ذات أبعادٍ شاملة، وهذا ما يُستشفُّ من التعريفات التي ترجمت له، والتي تحدّثت عنه بروحٍ من التّكامل والشّمول لا بنظرة جزئية ضيقة، ذلك أنّي أوردت سابقاً بعض المفاهيم ذات الرؤية التّكاملية بخصوصه،² ومنها تعريف يوسف الحسن للحوار الإسلامي المسيحي؛ حيث يرى هذا الرّجل - من خلال هذا المفهوم - أنّ أتباع الديانتين كلّهم معنيون بتبادل الأفكار والآراء في جميع المجالات والاتّجاهات،³ من دون تخصيص لطائفة ما أو استثناءها، أو التّفريق بين مجالٍ ومجال، وما دام أنّه بهذا الشّكل - أي الحوار الإسلامي المسيحي - فلا شكّ أنّ أبعاده وآفاقه المستقبلية تكون كذلك غير محدودة ولا محصورة أو مقصورة على نمطٍ معيّن.

ويستدلّ بورمانس على هذا الرّأي بعرض لقاءات إسلامية مسيحية انعقدت في أقطارٍ مختلفة من العالم؛ ك: جنيف وروما وبرّمانا وأكرا وقرطبة والقاهرة وتونس وهونغ كونغ وطرابلس وبيروت، تمّ فيها معالجة قضايا تخصّ الطرفين معاً أينما كانوا وحيثما وُجدوا، دونما تحديد لفطرٍ دون فطرٍ أو طائفة دون طائفة أو قضية دون قضية.⁴

فهكذا يجب أن يشمل الحوار بين المسلمين والمسيحيين كلّ المستويات والمساحات والتّجارب الإنسانيّة في العالمين الإسلامي والمسيحي، ولعلّ أبرزها:⁵

أولاً - حوار المفاهيم حول القيم الروحية والأخلاقية.

ثانياً - حوار الدنيويات؛ بإقامة شبكة واسعة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في سائر الحقول العلمية للحياة، حيث تتعاون فيها المصالح وتتكامل.

¹ - أليكسي جورافسكي: الإسلام والمسيحية من التنافس والتّصادم إلى الحوار والتّفاهم، مرجع سابق، ص 129-163.

² - ينظر: ص 16-18 من البحث.

³ - يوسف الحسن: الحوار الإسلامي المسيحي - الفُرص والتّحدّيات -، مرجع سابق، ص 13.

⁴ - موريس بورمانس: توجهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، مصدر سابق، ص 164-167.

⁵ - سهيل فرج وأليغ كولوبوف: حوار الحضارات - المعنى، الأفكار، التّقنيات -، مرجع سابق، ص 15.

ثالثاً- حوار المساجلة والتّقاش أو المناقشة الديمقراطيّة من أجل تنشيط الرّوح العقلائيّة التّقديّة البناءة للذّات وللآخر.

رابعاً- حوار التّجارب؛ أي إخضاع التّجارب الإيجابيّة والسّلبيّة للمقاربة السّوسيوولوجيّة بهدف التّطوير الإيجابي والكشف المتواصل من أجل تلمّس حقائق الوجود والواقع، فالضرورة الحياتيّة تقتضي القبول بأمانة بالجذور التّاريخيّة للخلافات والاعتراف بالأخطاء، وهذه خطوة مهمّة من أجل التّسام الجراح التّاريخيّة وإرساء الثّقة بالحاضر والمستقبل.

وبناء على ما سبق ذكره في هذا المطلب، يمكنني القول بأنّ:

بين الأهداف القوميّة والمقاصد العالميّة؛ هوة كبيرة بالنّسبة لمستقبل الحوار الإسلامي المسيحي في نظر الرّجلين، ويُعتبر هذا الأمر نقطة اختلاف بينهما بخصوص هذه المسألة، ذلك أنّ كلّاً منهما ينطلق من مسلمات يؤمن بها ويدعو إليها، وقد قرّرت من قبل أنّ فضل الله نشأ متأثراً بمحيطه اللبناني والعربي بصفة عامّة، أمّا بورمانس وعلى الرّغم من كونه كاثوليكيّاً في انتمائه المسيحي، إلاّ أنّه لا يستند على ذلك بصفة كليّة، ممّا يُعلّب عليه طابع العالميّة في مسألة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، وهذا ما رأيته في تحديده للآفاق المستقبلية لهذا الحوار.

*في هذا المبحث الذي خصّصته للمقارنة بين الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي عند محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس، تبين لي من خلال إجراء هذه المقارنة؛ أنّ هناك أوجه شبه كما أنّ هناك أوجه اختلاف بين الرّجلين بهذا الصّد، وهذا راجع إلى فكر ونظر كلّ منهما لهذه الآفاق، فعلى أساس هذه النّظرة تحدّد جملة من المسائل التي تعتبر هي الآفاق المستقبلية لهذه المسألة، وإنّ كان معظمها أو جلّها - إن لم أقلّ كلّها- يصبّ في مجال تحسين العلاقات الإسلاميّة المسيحيّة وتطويرها في الحاضر والمستقبل.

خلاصة الفصل:

لقد خصّصت هذا الفصل الأخير من هذا البحث لمسألة الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي عند كلٍّ من محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس، وذلك من أجل المقارنة بينهما في هذا الشأن، إذ تبين لي بعد ما عرضته من مباحث ومطالب؛ أنّ الآفاق المستقبلية عند الرجل الأول تتلخّص في:

أولاً - تطوير العلاقات الإسلامية المسيحية. ثانياً - مواجهة الاستكبار العالمي.

ثالثاً - مساندة الوحدة الوطنية في لبنان. رابعاً - دعم القضية الفلسطينية ومواجهة الاحتلال الإسرائيلي.

أمّا موريس بورمانس فيحصرها في:

أولاً - إنماء التعاون الإسلامي المسيحي. ثانياً - تحقيق التقارب المسيحي الإسلامي.

ثالثاً - تجديد العلاقات المسيحية الإسلامية بعد 11 سبتمبر 2001م.

رابعاً - تطوير حركة الحوار بين المسيحيين والمسلمين.

وبعد إجراء مقارنة بينهما في هذا الصدد، يمكن استخراج أوجه الشبه، والتي أختصرها في النقاط الآتية:

أولاً - اتّفاق الرجلين على وجود آفاق مستقبلية إسلامية ومسيحية ومشاركة للحوار الإسلامي المسيحي.

ثانياً - اتّفاقهما أيضاً، على أنّ الجزء الأكبر من هذه الآفاق موجّهة إلى بناء علاقات إسلامية مسيحية متينة؛ بمعنى أنّ الرّؤى المستقبلية المبنية على هذا الحوار يُرتجى منها تحقيق التعاون بين الطرفين في شتى المجالات، والتّصدي لكلّ ما من شأنه إضعاف التّواصل فيما بينهما، لكيّ تسود النظرة التّفاؤلية ذات المنحى الإيجابي.

ثالثاً - اتّفاقهما كذلك، على ضرورة الحوار الإسلامي المسيحي خصوصاً في الوقت الرّاهن، والدّعوة إلى المحافظة على استمراريته، بل وتطويره في المستقبل لمواكبة روح العصر، ومواجهة الأخطار المحدقة بالإنسانية واتّخاذ التدابير اللازمة، وتجديد موضوعاته وأهدافه ومقاصده، وتفعيله بشتى الوسائل والأساليب، باعتباره الجسر الموصل بين الحضارتين العربية الإسلامية والغربية المسيحية.

كما يمكن رصد أوجه الاختلاف وحصرها في:

أولاً - تركيز فضل الله في تحديده للآفاق المستقبلية الخاصة بالحوار الإسلامي المسيحي على الجانب السياسي، أو بالأحرى الأبعاد السياسية؛ المتمثلة في معالجة بعض القضايا الساخنة في الواقع السياسي العالمي أو الإقليمي، في حين يركّز بورمانس على الجانب الديني؛ أي الأبعاد الدينية، والمتمثلة في تحقيق التقارب بين المسيحيين والمسلمين على مستوى الطقوس والعبادات وغيرها، وذلك بالإقدام على بعض التنازلات من كلا الطرفين، والحقيقة أنّ هذا الأمر هو مقصد مسيحي عام من مقاصد الحوار بينهم وبين المسلمين.

ثانياً - اهتمام فضل الله بالقضايا القومية العربية من خلال الدعوة إلى معالجتها ومناصرتها، وإيجاد حلول سلمية لها عن طريق الحوار الإسلامي المسيحي، وهذا ما يعني تحديدها كآفاق مستقبلية له، الأمر الذي نستنتج من خلاله أنّ هذه النظرة هي نظرة جزئية محدودة، أمّا بورمانس فإنه يمتلك نظرة عالمية كليّة، باعتبار أنّه يتحدّث عن هذه الآفاق بنوع من العموم؛ أي أنّه لا يحصرها في نطاقٍ معيّن، كما لا يجعلها مقصورة على إقليم محدّد، بل يجعل منها قضية عالمية، تخدم المسلمين والمسيحيين في شتى أنحاء العالم.

ثالثاً - اهتمام بورمانس بالعلاقات الإسلامية المسيحية في ثوبها الجديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واقتصار فضل الله على الاهتمام بها بقدر ما يخدم الدولة اللبنانية والقضايا الداخلية.



اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ
وَالصَّلٰوةِ
وَالسَّلَامِ
عَلٰى رَسُوْلِهِ
الْعَظِيْمِ
اَلْمُرْسَلِ
اَلْمَكْرَمِ
اَلْمُرْسَلِ
اَلْمَكْرَمِ
اَلْمُرْسَلِ
اَلْمَكْرَمِ

مركز الأمل
عن القادر
لعلوم الإسلامية

تتويجًا لما ورد في فصول هذا البحث ومباحثه ومطالبه، وختامًا للأفكار والمعلومات الخاصة بموضوعه والمعارف المتعلقة به، وتأسيسًا على ما سلف ذكره حياله، واحتكامًا إلى أسس المنهجية العلمية؛ يقتضي منّا الحال إبراز أهمّ النتائج الملخصة للفقرات والنصوص السالفة الذكر، المتوصّل لها والتي خلّصت إليها من خلال البحث في هذا الموضوع، بحيث يمكن التعبير عنها أو صياغتها موجزة في السطور الآتية:

* تُعتبر مسألة الحوار الإسلامي المسيحي؛ حركة فكرية ودينية وحضارية وثقافية، وعلمية معرفية، بدأت بوادئها تظهر للوجود منذ ظهور الدين الإسلامي، ومنذ ذلك الحين وهي تتطور تدريجيًا، إلى حين تبلورها كحركة مكتملة في الوقت الحالي، لها أفكارها ومبادئها وموضوعاتها الخاصة بها، وكذا أبعادها وأهدافها ومقاصدها ودوافعها...، وباتت تشهد حيوية كبيرة آتية في ظل التطورات والتغيرات الدولية والعالمية الراهنة؛ إذ أنّها البديل المطروح أو القائم في وجه فكرة صراع أو صدام الحضارات والثقافات، كلّ ذلك بشكل انفرادي استقلالي يمنحها - أي لهذه الحركة - حرّيتها وعدم تبعيتها لأيّة حركة أخرى.

* محمد حسين فضل الله وموريس بورمانس؛ الرّجلان اللذان نبحت في هذه القضية - أي قضية الحوار بين المسلمين والمسيحيين - من خلالهما بقالب مقارن، وعلى الرّغم من كونهما مختلفين دينيًا وجغرافيًا؛ حيث أنّ الأوّل ينتمي إلى الدين الإسلامي على المذهب الشيعي، كما أنّه عاش بين العراق ولبنان؛ أي في منطقة الشرق الأوسط العربيّة، وأنّ الثاني ينتمي إلى الديانة المسيحية على مذهب الكاثوليك، وعاش بين فرنسا وإيطاليا والجزائر وتونس؛ أي بين ضفتيّ البحر الأبيض المتوسط الشماليّة والجنوبيّة، فإنّهما - رغم ذلك كلّ - متشابهان إلى حدّ بعيد في التّشعّبة الدّينيّة والتّربيّة الرّوحيّة، كلّ منهما حسب انتمائه الدّيني وتقليده العقائدي، فكانا كلاهما - بهذا الوصف - رجلين أو عالمين دين بارزين في بيئتهما والوسطين المحيطين بهما، وهما معروفان - من النّاحيتين العلميّة والمعرفيّة - بالجدّ والاجتهاد والحيويّة والتّمكّن، وإضافة إلى كونهما مُتعاصرين مُتتميين إلى عصر واحد أو الفترة الرّمزيّة ذاتها تقريبًا، اهتمّا اهتمامًا بالغًا بالعلاقات الإنسانيّة وخاصة منها الإسلاميّة المسيحيّة؛ حيث كانت لهما في هذا السبيل كتابات وممارسات.

* الاطّلاع الواسع على ثقافة الآخر وحضارته؛ الدّينيّة والفكرية والاجتماعيّة والسياسيّة، على اعتبار أنّ الرّجلين كلاهما عاشا في بيئتين مختلفتين دينيًا وأيديولوجيًا؛ إحداهما مسلمة والأخرى مسيحيّة، ممّا سهّل عليهما التّواصل المباشر مع ثقافة الآخر المخالف في الدّين والمعتقد والتقاليد، وهو الأمر نفسه الذي حرّضهما أو - على الأقل - ساهم في اهتمامهما بالمسألة الحوارية بين المسلمين والمسيحيين، مع ضرورة تسجيل نقطة مهمّة - هاهنا - تتمثّل في كون بورمانس - في حدود معرفتنا - هو الأكثر اتّصالًا واطّلاعًا على التّراث الآخر، كونه قام ببعض الدّراسات الأكاديميّة في هذا المجال.

* من خلال المقارنة الحاصلة في مسألة الحوار الإسلامي المسيحي بين الرّجلين، يمكن صياغة أوجه الشّبه بينهما حولها في:

• وجود حركة فكرية ثقافية دينية، قائمة بذاتها بين المسلمين والمسيحيين لها أجدياتها وخصوصياتها وكلّ ما يتعلّق بها، إنّما تلك الحركة المتمثلة في مسألة أو قضية الحوار الإسلامي المسيحي بكلّ حيثياتها وأبعادها.

• الاهتمام البالغ والواضح بهذه المسألة، سواء كان ذلك من ناحية الكتابة؛ حيث أنّ لكلّ منهما كتابات عديدة ومعتبرة في هذا الشأن، حاول من خلالها التّنظير للحوار بين المسلمين والمسيحيين من مختلف النّواحي؛ ليؤيّد ثماره المرجوة منه بالشّكل المطلوب، أو كما هو مخطّط له مسبقاً، أو من حيث الممارسة الفعلية والمباشرة، بما شهده الرّجلان من محاورات ثنائية مع غيرهما من الأطراف الأخرى، أو مشاركات عديدة في بعض الندوات والمؤتمرات الحوارية بصفة كبيرة.

• أهميّة الحوار الإسلامي المسيحي في الفكرين الإسلامي والمسيحي، أو لدى المسلمين والمسيحيين، والتأكيد على ضرورته في عالم اليوم؛ نظراً لما يحدثه هذا الحوار من تفاهم وتسامح وتقارب وائتلاف خصوصاً بين أتباع الديانتين؛ ممّا يؤدّي بالضرورة إلى العيش المشترك المعروف بحوار الحياة القائم بشكل مستمرّ بين الطّرفين، وبالمقابل القضاء على الصّراعات والنزاعات والصّدّامات والحروب، سواء كان ذلك على الصّعيد الدّاخلي أو الخارجى، والحدّ من تفاقم كثير من الأخطار والمشكلات الآتية التي تتخبّط فيها بعض الشّعوب والأمم، وذلك ما لا يتمّ إلّا بالدراسة والبحث والتّمحيص بطريقة مشتركة، ثمّ إصدار القرارات اللازمة وتوجيهها حسب الشّكل المطلوب.

• وجود تشكيلات جزئية لهذا الحوار؛ بعضها يتّصل به اتّصالاً مباشراً، وبعضها يتّصل به بطريقة غير مباشرة، إلّا أنّه يتعلّق به تعلقاً كبيراً، وعلى العموم يمكن إحصاء ذلك - كما تطرّقت له في هذا البحث - في:

* منطلقات حوارية أو قبلية مؤسّسة للتّحاور بين المسلمين والمسيحيين، بعضها ذو بنية إسلامية، وبعضها ذو بنية مسيحية، وأمّا البعض الآخر فهو ذو بنية مشتركة بين الطّرفين؛ بمعنى أنّه إسلامي ومسيحي في ذات الوقت، يمكن من خلالها جميعاً وبناء عليها كلّها واستناداً لمقتضياتها؛ انطلاق الفريقين في تأسيس حوار جادّ ومتين، ومبني على دعائم وأسس قويّة وصلبة، ومن الأمور الجزئية المتفق حولها هاهنا:

- التّمجيد القرآني للمسيح عليه السّلام وأسرته.

- كون القيم الروحية والأخلاقية، إحدى مكونات هذه المنطلقات.
- الاعتراف بالآخر المتبادل بين المسلمين والمسيحيين، وكذا احترام الإنسان لأخيه الإنسان في إنسانيته، هو كذلك مكوّن أساسي لمنطلقات الحوار الإسلامي المسيحي.
- * ضوابط أو شروط في المفهوم والمتحاورين والموضوعات والأماكن والأزمنة، وغير ذلك مما يتعلّق بهذا الحوار، يجب مراعاتها والاحتكام إليها والالتزام بمحدّداتها قبل وأثناء بدء عملية التّحاور؛ للرفع من مستوى هذا الحوار والعناية به أكثر، ويبرز الاتّفاق حول ذلك في:
- إعطاء مفهوم للحوار الإسلامي المسيحي؛ الذي هو جزء من التّعايش بين الطّرفين، وذلك بوجود ما يُعرف بـ: (حوار الحياة)، أو ما يسمّى بـ: (الحوار العفوي).
- وجود قيم أدبيّة وحضاريّة، هي من ضمن شروط الحوار الإسلامي المسيحي، والواجب على أربابه أو مُسيّريه التّقيّد بها.
- الحديث حول موضوعات الحوار والأطراف المتحاورة وغيرها، ووضع بعض الشّروط لكلّ مسألة من هذه المسائل.
- * معوّقات أو مثبّطات حوارية، بإمكانها عندما تكون حاضرة واقعيًا، أو في حال تذكّرها والاستئناس بها؛ أن تعرقل مسيرة الحوار بين المسلمين والمسيحيين، هذا إن لم تمنع قيامه من الأساس، ومن التّقاط المشتركة بين الرّجلين في هذا المجال:
- إلقاء المسؤولية الكبرى على المسلمين والمسيحيين معًا، كونهما الطّرفين المتسبّبين في إنشاء هذه العوائق وصياغتها؛ بمعنى أنّ هناك عوائق مشتركة - من حيث النّشأة والتّكوين - بينهما، ساهم كلٌّ منهما في إيجادها، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.
- الاشتراك في ذكر بعض العوائق من حيث القالب الكلّي والشّكل العام الخارجيّ؛ كالعوائق الحضاريّة التّقافيّة، والعوائق التّاريخيّة السّياسيّة.
- اقتراح بعض الحلول الممكنة لهذه العوائق؛ بغية التّصدّي لها، وإزالتها من أذهان أتباع الدّيانتين قد الإمكان، أو - على الأقل - محاولة التّخفيف من حدّتها وضراوتها، والدّعوة للمسارعة في ذلك.

* آفاق مستقبلية، يمكن للحوار الإسلامي المسيحي من خلالها؛ توسيع مداركه، والتطلع إلى مستقبلٍ زاهر في خضم الأحداث المتطورة التي يشهدها العالم، وهي عبارة عن قضايا أو مسائل يُتوخى من هذا الحوار معالجتها، وتقديم حلول عاجلة لها، واحتوائها دينياً للتبصر في أمرها، ومن ثمّة الاعتناء بها كما يجب، لذلك فإنّها -أي هذه القضايا-؛ هي أبعادٌ له تساهم في جعله حركة عالمية مستقلة، بما تحقّقه له من انفتاح على معظم المجالات الحياتية الإنسانية والاجتماعية، ومن جملة الأمور المتفق حولها بهذا الصدد:

- بناء علاقة إسلامية مسيحية قوية ومتينة؛ هي النقطة الأكثر حضوراً في هذه الآفاق؛ بمعنى أنّ الرّؤى المستقبلية المبنية على هذا الحوار، يُرتجى منها تحقيق الالتئام والتوافق والتعاون بين الفريقين، والتصدي لمحاولات الهدم والتفريق وإضعاف التواصل فيما بينهما.

- ضرورة الحوار الإسلامي المسيحي خصوصاً في العصر الحالي، والدعوة إلى رعايته وحسن الاعتناء به من أجل استمراريته، وكذا وجوب تطويره والرفع من مستواه لمواكبة التطوّرات الرّاهنة، وذلك باحتوائه في مؤسّسات حوارية، وتحديد موضوعاته وأهدافه ومقاصد وأبعاده؛ بغية مواجهة الأخطار المحدقة بالإنسانية، والقضاء عليها باتخاذ التدابير اللازمة لذلك، ممّا يجعل هذه العملية ذات منحنى محلي وإقليمي وعالمي.

* أمّا أوجه الاختلاف أو الافتراق، والحاصلة كذلك من خلال المقارنة بين الرجلين في المسألة ذاتها، فيمكن صياغتها في النقاط الآتية:

• في مسألة المنطلقات، كان الاختلاف في:

* نوعية الخطاب واتّجاهه؛ حيث أنّ خطاب فضل الله موجّه بالدرجة الأولى إلى المسلمين كونه مسلماً، وإن كان أحياناً لا يتقيّد بذلك، بل يتعدّاه إلى مخاطبة الجميع سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين؛ لحتّهم على اكتشاف نقاط التقاطع فيما بينهم من أجل الاستمرارية في التعايش وحوار الحياة، أمّا بورمانس فإنّ خطابه كان موجّهاً إلى المسيحيين بالكلية؛ إذ خاطبهم مبيّناً لهم مدى تشاركهم مع المسلمين في كثير من النقاط المهمة، سالكاً في ذلك مسلك المقارنة للتأكيد على أنّ ما يوجد في الإسلام تقرب منه المسيحية أيضاً، ولو كان ذلك بصورة مختلفة نوعاً ما.

* طبيعة المنطلقات؛ حيث وبهذا الصدد، زواج فضل الله بين الديني والسياسي مع إعطاء نموذج يتمثّل في التجربة اللبنانية التي يجسدها الطّرفان على أرض هذا الوطن، أمّا بورمانس فقد اقتصر على الأمور الدينية البحتة، ربّما لكونها -في نظره- كفيلة بتحقيق المقصود؛ وهو التّحاور بين الفريقين الإسلامي والمسيحي.

* الصياغة والوصف؛ بمعنى أنّ فضل الله تكلم عن هذه المنطلقات بصورة مختصرة نوعاً ما، فيما عدا مسألتي التبجيل القرآني للمسيح عليه السلام والحالة اللبناية؛ اللتين فصل فيهما تفصيلاً معتبراً، كما يغلب عليه في هذا الباب عدم الترتيب وفقدان الانضباط عمومًا، أمّا بورمانس فقد تحدّث عنها بنوع من التفصيل والإطناب بطريقة منظّمة مرتّبة.

• وفي مسألة الضوابط، كان الاختلاف في:

* بالنسبة لمفهوم الحوار الإسلامي المسيحي، أورده فضل الله بطريقة مباشرة، من خلال الحديث عن نوعيه والتعريف بكلّ نوع منهما، أمّا بورمانس فقد تحدّث عنه في عموم السياق بطريقة غير مباشرة، حيث طرقه من خلال أبعاده وخلفياته، كما أنّ فضل وتبعًا لهذا المفهوم، لا يرى إشكالاً في توظيف هذا الحوار في مجالي الدعوة والتبشير، الأمر الذي يرفضه بورمانس رفضاً كلياً من خلال أو بناء على ظاهر كلامه.

* بالنسبة لهويّة المتحاورين؛ طرقها فضل الله من جانب أدبي أخلاقي، وذلك بصياغته لبعض الشروط والأخلاقيات، وأمّا بورمانس فإنّه بهذا الصدد تطرّق لبنية هؤلاء المتحاورين وانتماءاتهم المذهبية، وانطلاقاً من هذا، فإنّ الأوّل يحدّد الأطراف المتحاورين في ثلثة من الأفراد المتخصّصين الذين بإمكانهم إجراء عمليّة التّحاور دون سواهم، في حين أنّ الثاني لا يستثني أحداً من هذه العمليّة؛ فالكلّ - في نظره - بإمكانهم الدخول في حوار مع الأطراف الأخرى.

* بالنسبة لثلاثيّة الحوار؛ الموضوع والزّمان والمكان، اهتم فضل الله بالشقّ الأوّل منها والمتمثّل في الموضوع، حيث يرى أنّه لا محرّمات ولا مقدّسات في الحوار؛ بمعنى أنّ كلّ شيء أو موضوع قابل للحوار أو التّحاور حوله وفيه، واهتم بورمانس بقضيّتي الزّمان والمكان؛ فبيّن أنّ هناك أزمّة مخصوصة من الأفضل تحريها عند إرادة التّحاور، كما أنّ كلّ مكان يمكن أن يكون مقراً لذلك.

* بالنسبة للعموم والخصوص، كان حديث فضل الله عن هذه الضوابط بشكل عام؛ أي بصورة تشمل كلّ أنواع الحوار ومستوياته، وليست خاصّة فقط بالحوار الإسلامي المسيحي، بخلاف بورمانس الذي تحدّث عنها بشكل خاصّ به فقط؛ أي بالحوار الإسلامي المسيحي

* يمكن أيضاً ملاحظة، أنّ فضل الله في هذا المجال، كان أكثر صرامة وانضباطاً، وذلك بوضعه لشروط كثيرة ودقيقة، بخلاف بورمانس الذي كان ليّناً عند تناوله لها؛ بحيث لم يتشدّد كثيراً في صياغتها.

• وفي مسألة المعوّقات، كان الاختلاف في:

* انفراد كلّ من الرّجلين ببعض العوائق؛ بمعنى أنّ هناك بعضًا منها قد نجده عند واحدٍ منهما دون الآخر، كما هو الشّأن بالنسبة للعوائق اللاهوتيّة العقائديّة التي انفراد فضل الله بذكرها، والعوائق الحياتيّة الواقعيّة التي انفراد بورمانس بذكرها.

* في أغلب الأحيان، يسرد فضل الله العوائق متعلّقة بالجانب الإسلامي؛ أي تحميل المسلمين مسؤوليتها يجعلهم سببًا في إيجادها، في حين يسردها بورمانس متعلّقة بالجانب المسيحي؛ أي تحميل المسيحيين مسؤوليتها يجعلهم سببًا في إيجادها.

* حصر فضل الله العوائق -غالبًا- في لبنان؛ أي قصرها على هذا البلد ومواطنيه، بخلاف بورمانس الذي يتحدّث عنها بصفة عامّة، دونما تحديدها ببلد محدّد أو منطقة معيّنة.

* نسبة فضل الله مسؤوليّة هذه العوائق إلى أطراف خارجيّة غير إسلاميّة ولا مسيحيّة إضافة إلى المسلمين والمسيحيين؛ بمعنى أنّ هذه المسألة قد تكون داخليّة أو خارجيّة، في حين يفتصرها بورمانس على هذين الطرفين الأخيرين؛ بمعنى أنّ هذه المسألة لا تكون إلاّ داخليّة.

* تركيز فضل الله على العوائق السياسيّة والحضاريّة بصفة ملحوظة، وتركيز بورمانس على العوائق التاريخيّة والدينيّة والاجتماعيّة.

* توسّع بورمانس في معالجة هذه العوائق بشكل معتبر؛ حيث خصّص لها صفحات عديدة من بعض مؤلّفاته، وشرحها شرحًا معمّقًا يوفّي بالغرض المطلوب، ويغني عن الرّجوع إليها في موضع آخر، بخلاف فضل الله الذي اختصرها اختصارًا شديدًا لا يفي بالغرض المقصود.

* حديث فضل الله عن بعض هذه العوائق بأسلوبٍ ظنيّ ممكن الوقوع، وتبيين إمكانيّة وجودها -أي العوائق- قبل وأثناء عمليّة التّحاور، بخلاف بورمانس الذي تحدّث عنها كلّها بأسلوب قطعيّ تأكيديّ متحقّق الحدوث فعلاً وأمرًا واقعيًا، مع أنّها -أي العوائق- لا تكون إلاّ سابقة أو متقدّمة عن عمليّة التّحاور.

• وفي مسألة الآفاق المستقبلية، كان الاختلاف في:

* تركيز فضل الله على الجانب السياسي، أو الأبعاد السياسيّة المتمثّلة في معالجة بعض القضايا الساخنة في الواقع السياسي العالمي أو الإقليمي، في حين يركّز بورمانس على الجانب الديني، أو الأبعاد الدينيّة المتمثّلة

في تحقيق التقارب المسيحي الإسلامي على المستوى الديني بشقّي تشكّلاته وصوره.

* اهتمام فضل الله بالقضايا القوميّة العربيّة الداخليّة، من خلال دعوته إلى معالجتها أو النّظر فيها عن طريق هذا الحوار، أمّا بورمانس فإنّه يتحدّث عن هذه الآفاق مرتبطة بقضايا عامّة داخليّة وخارجيّة وعلى كافّة المستويات.

* إهتمام بورمانس بالعلاقات الإسلاميّة المسيحيّة في ثوبها الجديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، واقتصار فضل الله على الاهتمام بها بقدر ما يخدم الدّولة اللبنانيّة والقضايا الداخليّة فحسب.

* وعمومًا يمكن في إثبات التفريق بين محمّد حسين فضل الله وموريس بورمانس حول قضيّة الحوار الإسلامي المسيحي، القول:

إنّ هذه القضية في نظر فضل الله؛ هي قضيّة جزئيّة محلّيّة - في أغلب الأحيان -؛ ذلك أنّه تحدّث عنها في الإطار اللبناني، وفي أحسن الأحوال لا يُخرجها عن النّطاق العربي، وكأّمّا محصورة عنده في هذا الحيّز لا تحيد عنه بأيّ حال من الأحوال، كما نلمس في حديثه عنها الميلان إلى الجانب السياسي بدرجة كبيرة، وذلك بالتركيز على الأبعاد السياسيّة لها أكثر من الأبعاد الأخرى التي أشار إليها بنظرة عابرة، وفي كلّ ذلك لا يبدو الرّجل عميقًا في إثارته لهذه القضية؛ حينما تناولها بنوع من السّطحيّة والعموم رغم اهتمامه بها، وإلى جانب هذا غلب على أسلوبه في التعبير عنها؛ الفوضىّة المعرفيّة، والاختصار الشّديد والمقتضب في كثير من مسائلها، إلّا أنّ الوصف الأكثر التصاقًا بها عنده؛ هو تغليب الرّؤية الإسلاميّة في حديثه عنها، وتناوله لها بصياغة أو أسلوب إسلامي، باعتباره فردًا مسلمًا، أمّا هي - أيّ قضيّة الحوار الإسلامي المسيحي - في نظر بورمانس، فإنّها قضيّة عالميّة دوليّة لا تختصّ أو لا تقتصر على بلد أو منطقة معيّنة، بل إنّها شاملة لجميع الأقطار والأمصار المحتويّة على مسلمين ومسيحيين، كما أنّه في تناوله لها يميل أكثر إلى الجانب الديني الرّوحي، وذلك بالتركيز على الأبعاد الدينيّة الرّوحيّة، وفي جميع ذلك يبدو الرّجل عميقًا في إثارته لهذه القضية؛ حيث تناولها بنوع من العمق والتركيز والتّخصيص، كما غلب على أسلوبه فيها التّرتيب والتنظيم المعرفي والعلمي، والشّرح الموسّع والمستفيض لأغلب مسائلها، والوصف الأكثر ملازمة لها عنده؛ هو الحديث عنها وتناولها من خلال رؤية مسيحيّة، وصياغتها بأسلوب مسيحيّ باعتباره فردًا مسيحيًا.

* لكنّه، ومهما يكن من أمر، وعلى الرّغم من جميع هذه الاختلافات والفروقات المذكورة آنفًا، فإنّه ومن خلالها يمكن صياغة حوار إسلامي مسيحي ناجح وفعال ومثمر، وذلك بالجمع بين رأيي الرّجلين، أو بالأحرى بين الرّؤيتين الإسلاميّة والمسيحيّة لبلورة هذا الحوار، وذلك بالقول:

إنّ الحوار الإسلامي المسيحي النّاجح والفعل والمثمر؛ هو ذلك الحوار الذي يكون مؤصلاً من جميع نواحيه، مبنياً على أُسس وقواعد متينة وصلبة، مهتمّاً بالقضايا الواقعيّة الحسّاسة، ملبّياً حاجيات الإنسان سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، محتويّاً لكلّ المشاكل التي تؤزّق الإنسانيّة، ولا يمكن له ذلك، بل ولا يتأتّى له بطريقة سلسلة، ما لم يكن وفق الرّؤية الثنائيّة؛ أي رؤية كلّ من فضل الله وبورمانس، منطلقاً من منطلقات إسلاميّة ومسيحيّة أو إسلاميّة مسيحيّة في الآن نفسه، ومحدّداً بجملة من الضوابط أو الشّروط المحكمة الضابطة له، والمحدّدة لمسائله وقضاياه؛ فيعالج جميع المواضيع، ولا يقصي أحداً من المشاركة فيه، كما يختار الأزمنة المناسبة له، ويعمّم على كلّ الأماكن، ويكون مؤسساً على ثقافة واسعة، ومحتويّاً داخل مؤسّسات أو هيئات إقليميّة وعالميّة، وحاليّاً من جميع المعوّقات التي قد تقف في طريقه وتعترض مسيرته، وذلك بإزالتها والتغلّب عليها نهائياً، ومتشوّفاً لمستقبلٍ أرقى وأفضل، وذلك بالتّطلع إلى آفاقٍ أوسع وأعمق وأشمل؛ وتلك هي النظرة الإسلاميّة المسيحيّة للحوار بين المسلمين والمسيحيين على طريقة محمّد حسين فضل الله ذي الدّيانة الإسلاميّة وموريس بورمانس ذي الدّيانة المسيحيّة.

وفي ختّمي لهذه الخاتمة، أمل أن أكون قد ألمتُ بهذا الموضوع استقراءً ومبحثاً ودراسة؛ إلماً بما يفني بالمقصود، ويرقى لما هو من العلوم والمعارف معهود، ووفّيته حقّه من الجمع والتّحليل والتّركيب، فهذا ما سنح به الحال وجاد به الخاطر، وإني إذ أقرُّ ذلك لا أخلو من التّقصير وإن كان الأمل يسعى منه إلى التّحبير، إذ أنّ الكمال لله وحده سبحانه وتعالى، ولا أملكُ إلّا أن أقول: ما كان في هذا العمل من محاسن وإيجابيات ومفاوز فمن الله وحده بفضله وتوفيقه وكرمه وجوده وامتنانه، وما كان فيه من سهوٍ أو نقصٍ أو سلبيات أو مساوئ فمّي ومن الشّيطان، أعوذ بالله منه ومن خزيه وخذلانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الملاحق

أولاً - ملاحق خاصة بمحمد حسين فضل الله.

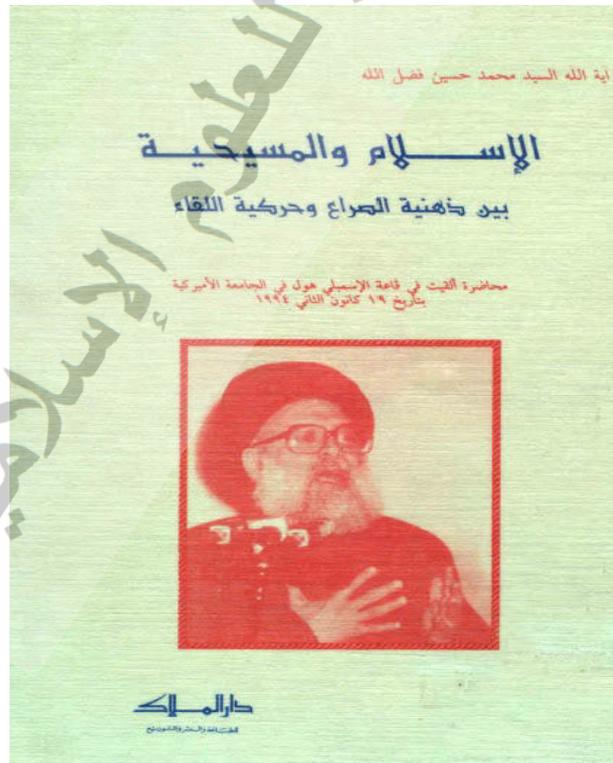
ثانياً - ملاحق خاصة بموريس بورمانس.

أولاً- ملاحق خاصة بمحمد حسين فضل الله:

الملحق رقم 01: الصورة الشخصية لمحمد حسين فضل الله.



الملحق رقم 02: بعض مؤلفات محمد حسين فضل الله حول مسألة الحوار الإسلامي المسيحي.



الملحق رقم 03: بعض صور محمد حسين فضل الله في ملتقيات الحوار



الملحق رقم 03: نصّ الحوار الذي جرى بين فضل الله وثلاث شخصيات من الطائفة البروتستانتية.

يبدو أنّ دعوات الحوار الإسلامي - المسيحي التي يُطلقها العلامة السيّد محمّد حسين فضل الله، بدأت تتجسّد شيئاً فشيئاً، على الأقلّ في دارته في حارة حريك ببيروت، وهو بعد حوار مع الأب الإيطالي (برناردو تشرفلير)، والأب الهولندي (أندرو) قام حوار بينه وبين ثلاث شخصيات مسيحية من الطائفة البروتستانتية:

- المشرف العام في مؤسّسة "الرؤيا العالمية" الأمريكي طوم غوتمان.
- القسيس الهولندي هرمان من مؤسّسة "الأبواب المفتوحة".
- أستاذ اللاهوت ليندل بولينغ.

تطرّق الحوار إلى مواضيع دينية ولاهوتية في علاقات الرّسالات السّماوية بعضها ببعض، إضافة إلى بعض المواضيع السياسيّة التي لا تبتعد عن الجانب الدّيني.

وهذا نصّ الحوار:

فضل الله: نحن نرحّب بكم ونشكركم على زيارتكم، لأنّ فرصة اللّقاء للحوار والتّعارف هي فرصة إنسانيّة إلهيّة.

هرمان: جئنا إلى هنا كبعثة صغيرة، ونحن نتابع دعوتك للمسيحيين في البلاد الأخرى أن يأتوا ويفتحوا باب الحوار معك، ومجموعتنا زارت لبنان سابقاً وكان عندنا مؤتمر في قبرص، وناقشنا عدم وجود الوحدة بعضنا مع بعض وناقشنا أيضاً القضايا الاقتصاديّة والاجتماعيّة في المنطقة، خاصّة معاناة الكثير من النّاس، والسيّد (بولينغ) الموجود معنا الآن؛ هو أستاذ كان يدرّس في المدارس في فلسطين وأثناء وجوده هناك حصلت لقاءات وحوارات بين مسيحيين ومسيحيين، ومسيحيين ومسلمين.

بولينغ: الذي ظهر لي بصفة أنّي إنسان مسيحي أنه لا بدّ من وجود حوار بين المسلمين والمسيحيين، ولسوء الحظّ أنّ النّاس في الغرب يبحثون عن عدوّ جديد خاصّة بعد انهيار الإمبراطوريّة السّوفياتيّة، وللأسف الشديد هناك مجموعة من المسيحيين في بلدنا تحاول أن تجعل من الإسلام "الإمبراطوريّة الشّريرة الجديدة"، ونحن كمجموعة مسيحية مؤمنة نرفض هذه المسألة ونسعى إلى أن يحصل حوار لنعيش في عدالة ومساواة، وخاصّة أنّنا نعبد إلهاً واحداً.

محبة المسيحية ورحمة الإسلام:

فضل الله: نرحب بهذه الروح التي نعتقد أنها روح السيد المسيح (ع) كما هي روح النبي محمد (ص)، نحن نعتقد أننا جميعاً - كعباد الله - يمكن أن نتوحد في الله حتى لو اختلفنا في تفاصيل تصوّرنا، وإذا كانت المسيحية تقول "الله محبة" فالمسلمون يقولون "الله الرحمن الرحيم" وكما أن المحبة تعمل على أن تحلّ قضايا الإنسان برفق بعيداً عن العنف، فالرحمة تقتضي أن لا يقسو الإنسان على الإنسان بل يحاول أن يحلّ المشاكل باللين والرفق. نحن نعتقد أن الأديان فتحت لنا طريق السلام ولكننا نحن خلقنا الحواجز في ما بيننا باسم الأديان.

في بعض نصوص القرآن الكريم خطاب الله لأهل الكتاب من اليهود والنصارى معاً: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ (آل عمران: 64) تعالوا إلى الكلمة الواحدة التي نقف نحن وإياكم فيها على أرض واحدة ونفكر في أفق واحد، وهذا الكلمة السواء تتلخص في مبدئين:

المبدأ الأول: أن لا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، أن نؤمن بالله الواحد الذي لا شريك له.

والمبدأ الثاني: أن لا يكون الإنسان إلهاً يطلب من الناس أن يخضعوا له وأن يتعبّدوا له بعيداً عن الله، القرآن الكريم يطلب من المسلمين أن يحاوروا أهل الكتاب، ويقول لهم إن عليكم عندما تحاوروهم أن تحاوروهم بالطريقة الأحسن وبالحوّ الأحسن، أن تختاروا أفضل الوسائل التي تحترم إنسانيتهم وفكرهم، هذا إذا كانوا يقبلون الحوار ويريدون أن يحلّوا المشاكل بالحوار.

أما إذا كانوا يريدون أن يفرضوا عليكم العنف فعليكم العنف أن تدافعوا عن أنفسكم، والقرآن يعلم المسلمين: إنكم قولوا لأهل الكتاب: إننا نؤمن بالذي أنزل إلينا من الكتاب، والذي أنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ومنقادون إلى الله، وركّز على وحدة الوحي في ما أنزل إلينا وما أنزل إليهم وعلى وحدة الإله.

هناك نقطة في الإسلام وهي: إن الإسلام لا يحمل أية عقدة ضدّ أيّ دين، وضدّ أيّ مقدّسات لأيّ دين، نحن نؤمن بموسى (ع)، ونؤمن بالتّوراة، موسى نبيّ الله والتّوراة كتاب الله، ونؤمن بعيسى نبيّ الله وبالإنجيل كتاب الله، كما نؤمن بمحمد نبيّ الله وبالقرآن كتاب الله، شعار القرآن ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ (البقرة: 285)، فالقرآن يتحدّث عن بعض ما في التّوراة وبعض ما في الإنجيل؛ لذلك فالمسلمون لا يمكن أن يكونوا أعداءً للمسيحيين، في القرآن الكريم يقول ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ إِنَّكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيَسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ (المائدة: 82)، إِنَّ مِنْهُمْ رَجَالًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَيَخْلَصُونَ لِلَّهِ وَأَلَهُمْ مَتَاضَعُونَ طَيِّبُونَ، ولذلك فنحن نعتقد أَنَّ الطَّرِيقَ مفتوح للحوار الإسلامي - المسيحي وللعيش الإسلامي - المسيحي، لا للحوار فحسب.

الصِّراع ليس دينيًّا:

نحن نلاحظ مثلًا، منذ أن جاء الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا كان هناك مسيحيون ويهود في البلاد العربيَّة والمسلمون تعايشوا مع اليهود ومع النَّصارى ولذلك نجد أن معابد اليهود، ومعابد النَّصارى لا تزال موجودة في البلاد الإسلاميَّة، ولا يزال مواطنون يهود ونصارى موجودين في قلب البلاد الإسلاميَّة كلِّها، وإذا حدثت هناك مشاكل بين المسلمين واليهود أو النَّصارى، طبعًا قبل ولادة إسرائيل، فإنَّ هذه المشاكل كانت تحدث بين المسلمين أنفسهم بل ربَّما بين المسيحيين أنفسهم، فليست المشاكل دينيَّة؛ لأنَّ المسلمين لا يضطهدون المسيحيين أو يضطهدون اليهود. إنَّنا نلاحظ مثلًا عكس ذلك عندما سيطر المسيحيون على الأندلس لم يبق مسلم واحد، بينما حتَّى الآن، حتَّى بعد وجود إسرائيل، هناك يهود في سوريا واليمن وإيران وفي كثير من بلدان العالم الإسلامي. وإذا كان الغرب يبحث عن عدوَّ جديد فنحن كمسلمين نبحث عن صديق جديد في العالم، لسنا ضدَّ الشَّعب الأمريكي فلنا أصدقاء كثيرين في الشَّعب الأمريكي، ولسنا ضدَّ الشُّعوب الأوربيَّة. لكننا نعارض الإدارة الأمريكيَّة كما يعارضها بعض الشَّعب الأمريكي، إنَّ معركة الرِّئاسة في أمريكا الآن تحمّل الرِّئيس (بوش) مسئوليَّة ضعف الاقتصاد الأمريكي، ونحن نحمله مسئوليَّة ضعف الاقتصاد العربي، إذن نحن نتفق مع الأمريكيين في المعارضة وإن كان هناك اختلاف في الموقع، فلماذا نُعتَبَر أعداء لأمريكا لمجرّد معارضتنا للإدارة الأمريكيَّة فالأمريكيون أنفسهم يعارضونها!.

إنَّ هناك مصالح متبادلة بيننا وبين الغرب ونعتقد أننا عندما نحرك هذه المصالح على أساس متوازن يحفظ للشُّعوب حقوقها فليس هناك مشكلة، ولذلك ليست المشاكل السياسيَّة الموجودة بيننا وبين الغرب هي المشاكل بين المسلمين والمسيحيين لأنَّ الغرب يتحرَّك من موقع علماني لا من موقع مسيحي في سياسته، ولذلك نحن مستعدون أن نتعاون مع المسيحيين الغربيين في أمريكا وأوربنا وفي كلِّ أنحاء العالم، نتعاون ونتحاور في سبيل أن لا يضغط المستكبرون على المستضعفين في كلِّ العالم.

نحن نتساءل: لو كان السيِّد المسيح موجودًا فهل يكون مع أصحاب الشُّركات الاحتكاريَّة الكبرى؟، أو مع النَّاس العمَّال والفلاحين والمستضعفين في أمريكا اللاتينيَّة وفي إفريقيا والشرق الأوسط؟.

في خطِّ السيّد المسيح:

بولينغ: ليس هناك جواب عن هذا السؤال لأنّ المسألة واضحة.

فضل الله: علينا أن نجيب بحركتنا تجاه السيّد المسيح كما هي رسالة التّبيّ محمّد (ص)، إنّ السيّد المسيح طرد اللّصوص من الهيكل؛ وعلينا أن نطرد اللّصوص من هيكل الله وهو الكون كلّهُ، لأنّنا نعتبر الكون يمثّل السّاحة التي نعبد الله فيها بكلّ أعمالنا، الكنيسة ليست هي المكان التي نحاصر فيها عبادة الله، بل إنّ الكون كلّهُ هو المكان الذي نتطلّع فيه إلى الله في رحابته، لذلك نحن نقول للمسيحيين في العالم ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: 64)، وحدثنا أمام الله، وحدثنا في الإنسانيّة.

غوثمان: هل يمكننا أن نسأل حول ما يُطرح الآن عن كينيّة التعاون وإمكانه؟.

فضل الله: يمكن أن تأخذوا حرّيتكم في السؤال.

غوثمان: يبدو لنا أنّ العالم أو المجتمع المتحضّر اليوم الذي أصبح غارقاً في العلم والصّناعة فقدّ القيم الإنسانيّة القيّمة، ونحن نسمع أنّ أذهان المسلمين مشغولة بهذه المسألة، ونحن -كمسيحيين- كذلك، لذا: يجب أن نقف صفاً واحداً ضدّ الفقر والسرقة والحرب وضدّ كلّ الأعمال السيّئة.

فضل الله: نحن نتفق معكم على هذا الأساس، ولكن هذا يحتاج أولاً إلى حملة إنسانيّة رساليّة رويّة تحاول أن تُرجع النّاس إلى قيم الرّسالات السّماويّة التي هي قيم الله. نحن نعتقد أنّ الله أرسل أنبياءه وأنزل كتبه إلى النّاس من أجل أن يعالج هذه المشاكل، وكانت بداية هذه المعالجة أن يربط الأنبياء النّاس بالله ليشعروا بالقيم المطلقة التي لا تحدّها حدود مادّيّة، لذلك: نجد أنّ الرّسالات السّماويّة عندما انطلقت خاطبت كلّ النّاس (يا أيّها النّاس) (يا عباد الله).

وعندما نلتقي بالله نشعر أنّ علينا أن نضحّي ببعض غرائزنا المادّيّة تجاه الله، عندما أفكّر في الله فإنّ التّفكير في الله يمنعني أن أسرق لأنّ الله يقول لي: إذا سرقت فأنا أغضب منك وأنا أعاقبك وهكذا عندما أفكّر في السرقة لأني محتاج إليها وأفكّر في الله، الله هو يرزق النّاس كلّهم ويمكن أن يرزقني الله بطريقة أخرى غير السرقة.

لذلك أنا أفكر أنّ مشكلة المسيحية في الغرب تكمن في أنّها ابتعدت عن التّعبئة الرّوحية التي تفتح قلب الإنسان على الله بشكل كبير.

غوتمان: هذا الشّيء الذي تقوله نحن موافقون عليه وهذا مهمّ، وفي لقائنا الأخير في قبرص، كان الحوار بيننا - كمسيحيين - عن هذه المسألة: إنّ كيف يمكن أن نرجع وأن نجدّد مسيحيتنا.

بولينغ: يشرفنا معرفتك العميقة بديننا وكتاباتك تخاطب قلوبنا، ونحن جزء من مجموعة جئنا إلى الشّرق الأوسط لنسمع وليس لتكلم فقط، حتّى نعرف ما هي اهتماماتكم، من أجل ذلك يهّمنا أن نعرف من خلال قوّة الإقناع حتّى نبّلع أصدقاءنا الذين لا يعرفون ماذا يجري في الشّرق الأوسط، خاصّة في الكنائس المسيحية.

معرفتنا بالمسيحية واليهودية جزء من إسلامنا:

فضل الله: في الواقع إنني أحبّ أن أوكد لكم بأننا نعتبر معرفتنا بالمسيحية كما باليهودية هي جزء من معرفتنا الإسلامية؛ حيث نؤمن بأنّ عيسى نبيّنا وموسى نبيّنا، ونقدّس العذراء مريم كما نقدّس السيّدة فاطمة الزّهراء بنت النّبيّ محمّد.

نحن نعتقد أنّ العذراء مريم هي سيّدة نساء العالمين، لذلك لا نشعر بالغرابة مع المسيحية لأنّ مقدّساتها هي مقدّساتنا، لذلك قلنا للكثير من المسيحيين في الكنيسة الكاثوليكية والشرقية الأرثوذكسية، قلنا لهم تعالوا إلى أن نرجع الناس جميعاً إلى الله، لأنّ الناس ابتعدوا عن الكنيسة كما ابتعدوا عن المسجد، أصبحت الكنيسة موقعاً رسمياً للمسيحي لا موقعاً روحياً، يذهب إليها في حالة الزّواج وفي حالة الوفاة.

نحن بحاجة إلى أن نعطي الإنسان الفرصة ليتعرّف على الله، ليتعرّف على الإنسان والحياة من خلال الله.

نحن لا نؤمن بالعنف في العلاقات الإنسانية، ففي القرآن الكريم هناك آية تقول ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: 34)؛ أي: أنّك إذا أردت أن تحلّ مشكلة ودار الأمر بين أن تحلّها بالعنف وبين أن تحلّها بالرّفق فعليك أن تحلّها بالرّفق حتّى تجعل عدوك صديقاً، فالقرآن يعلمنا أن نحول أعداءنا إلى أصدقاء.

هناك نقطة يمكن أن تُثار دائماً في الغرب في كلِّ المواقع، وهي قضية موقفنا من إسرائيل لأنَّ بعض النَّاس يفسِّرها أنَّها تتمثَّل عقدة ضدَّ السَّامية، وبعض النَّاس يفسِّرها أنَّها عقدة دينية ضدَّ اليهودية كدين، ولكن القضية ليست كذلك، لأنَّ مسألة العقدة ضدَّ السَّامية لا معنى لها، لأننا ساميون كما هم اليهود ساميون، ونحن نعتبر أنَّه ليس كلَّ اليهود ساميين كما ليس كلَّ المسلمين ساميين، ولكن كلَّ العرب ساميون فكيف يمكن أن نكون ضدَّ السَّامية.

غوتمان (مقاطعاً): نحن نريد أن نسمع وجهة نظرك حول التَّعاون والحوار، فهل تعتقد أنَّه يجب أن يكون هناك لجان بين المسلمين والمسيحيين لمساعدة الفقراء والمحتاجين.

فضل الله: أعتقد أنَّ هذه يمكن أن تفتح أفقاً يُلغي بعض الحواجز ولكنَّها ليست كلَّ شيء.

بولينغ: نحن نشكرك على محاربتك للعنف، خاصَّة أنَّ الإسلام والمسيحية يرفضان العنف، كما أننا من الدَّاعين لحماية الشَّعب الفلسطيني، وزرنا بيت لحم وساحور ورام الله والتقينا بقيادة فلسطينيين من بينهم زعيم جماعة الإخوان المسلمين في الضَّفة الغربيَّة، وهناك رغبة كبيرة لدى الفلسطينيين ولدى بعض الإسرائيليين -وليس جميعهم- أن يحلَّ السَّلام بينهم، وتنتهي هذه المشكلة، فما هي أفكارك لحلَّ هذه المشكلة؟.

لا نوافق على الظلم:

فضل الله: أتصوِّر أنَّ المشكلة هناك، لها خطَّان في التَّفكير، الخطَّ الأوَّل: خطَّ اليهود في فلسطين بشكل عام، هل معنى "الحقَّ التاريخي" أن نطرد شعباً بكامله ليأتي شعب آخر؟ إنَّ الواقع الذي يعيش داخل فلسطين هو أنَّ أكثر الفلسطينيين أكانوا مسلمين أو مسيحيين صاروا خارج فلسطين وجاء اليهود من أقصى العالم ليسكنوا في مساكن الفلسطينيين.

لذلك نعتبر أنَّ هذا الوجود ليس إنسانياً، أن أفكر أنَّ لي حقاً في هذا البلد قبل ألفي سنة يُبيح لي أن أطرد أهل هذا البلد وأنَّ أحلَّ مكانهم، إنَّ هذا أمر ليس إنسانياً. اليهود يفكِّرون الآن أن يأتوا بكلَّ يهود العالم إلى فلسطين، ويطلب اليهود المساعدات من أمريكا وأوربَّا ليستطيعوا إسكان اليهود القادمين من الاتحاد السَّوفياتي وغيره، ولكنَّهم لا يوافقون على عودة الفلسطينيين أصحاب الأرض إلى داخل فلسطين.

ونحن نجد أنّ الرّأي العامّ الغربي لا يتعاطف مع عودة الفلسطينيين إلى داخل فلسطين، اليهود الذين يسكنون الآن في يافا وحيفا وصفد يسكنون في بيوت الفلسطينيين، لذلك فالمشكلة ليست مشكلة الضّفة الغربيّة وغزّة فقط، وإّما المشكلة هي مشكلة كلّ الفلسطينيين في كلّ فلسطين.

هذا إذا أردنا أن نفكر مسيحياً أو إسلامياً، لأنّ السيّد المسيح لو كان موجوداً لما وافق على هذا الظلم الذي يظلم فيه الإنسان أخاه الإنسان.

نحن نقول: لو أنّ المسلمين فعلوا مع مسلمين آخرين هذا الشّيء لقلنا لهم: اخرجوا من هذه الأرض التي أخذتموها من المسلمين الآخرين.

في لبنان عندما هجر بعض المسيحيين من بلادهم، طالبنا بعودتهم ولا زلنا نطالب بعودة المسيحيين إلى أرضهم التي يسكنها المسلمون كما نطالب بعودة المسلمين إلى أرضهم التي يسكنها المسيحيون، نحن نخشى أن يكون الشعب الأمريكي يفكر: أنّه كما للأوروبيين الحقّ في طرد الهنود الحمر وكانوا مكائهم، إنّ لليهود الحقّ أيضاً أن يطردوا "الهنود الحمر العرب" ويسكنوا مكائهم، أخشى أن تكون العقليّة تنطلق من هذا الواقع الأمريكي.

نحن نعتقد أنّه إذا لم تُحلّ مشكلة الفلسطينيين خارج فلسطين، فمن الصّعب أن يُغلّق ملفّ الصّراع بين العرب وبين اليهود لأنّ الفلسطينيين سوف يكونون تماماً كما كان اليهود، اليهود كانوا يذكرون بعضهم بعضاً قبل مئات السنين إنّ الفلسطينيين أخذوا أولادهم، وفي هذا الإطار فسيفكر الفلسطينيون أيضاً مع أولادهم أنّ اليهود أخذوا أرضكم، ولذلك نعتقد أنّ الحديث عن عودة الفلسطينيين إلى داخل فلسطين بأجمعهم يمكن أن يكون حديثاً واقعياً مع اليهود.

لا نريد أن نتحدّث بلغة التعصّب والتّطرف، ولكن نتحدّث بحقّ الإنسان في العودة إلى أرضه التي طرد منها أيّاً كان هذا الإنسان.

غوتمان: نحن يا سماحة السيّد مجموعة، كلّ واحد أتى من مؤسسة ولكن تحت عنوان واحد، الأخ (هرمان) من عند الأب اندرو (أب هولندي)، والسيّد (بولينغ) من خلال ثلاثين سنة في التدريس وارتباطات بمؤسّسات حكوميّة ومساعدات، والسيّد (طوم) من قبل مؤسسة لرعاية الشّؤون والمساعدات تُعتبر السّادسة بين المؤسّسات، وهذه المسائل نحن نخبرها ولكن هناك بعضها في الغرب بدأ يتحوّل، وهذا التزامنا بحسب الكتاب الذي نؤمن به ونسير عليه.

فضل الله: نرحب بهذه المبادرات وبهذا الاتجاه في فهم القضايا الإنسانية للمستضعفين، ونحن مستعدون للتعاون معكم في هذا الخط.

بولينغ: نقترح أن نلتقي مستقبلاً ونحمل معنا مقترحات عملية مكتوبة من أجل التعاون في مختلف المجالات. فضل الله: أنا مستعدّ لدراسة هذه الأمور دراسة عملية.

هرمان: نسمع عن خدماتك، ونتمنى أن نرى الأشياء الموجودة على الأرض من مؤسسات، لأنّ خدماتك الإنسانية كثيرة.

فضل الله: ندعوكم لزيارة ما يمكن زيارته من المؤسسات الإنسانية، وكما قلنا نحن منفتحون على كلّ ما تؤمن به المسيحية والإسلام من خدمة الإنسان، كلّ الإنسان.

غوثمان: أحبّ أن أعبر عن محبّتنا لك وعن اهتمامنا بكتاباتك ومنشوراتك.

فضل الله: شعارنا مع كلّ أصدقائنا: إنّ العقل مفتوح للحوار، والقلب مفتوح للمحبّة، والبيت مفتوح للقاء، والعمل مفتوح للتعاون.

(المصدر: جريدة النهار اللبنانية، يوم الأربعاء 25 ربيع الثاني 1413هـ/ 21 تشرين الأول 1992م،

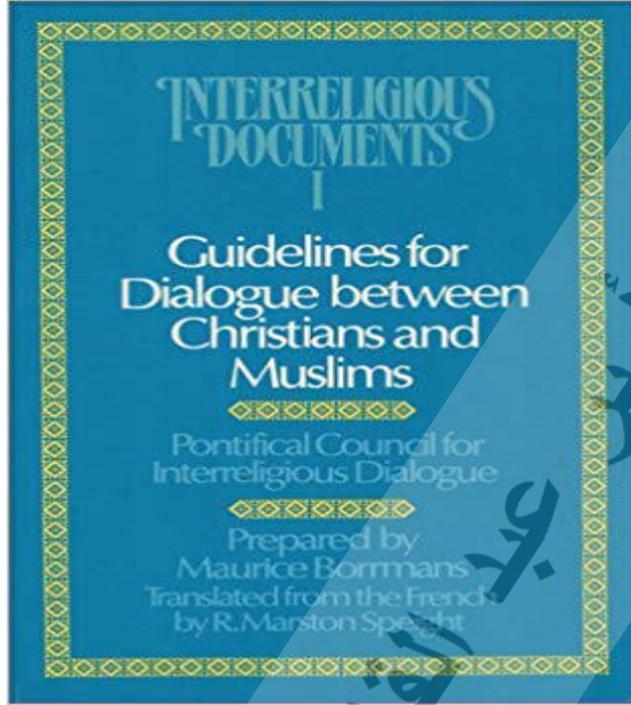
ضمن كتاب: في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مصدر سابق، ص 132-140).

ثانيًا - ملاحق خاصة بموريس بورمانس:

الملحق رقم 05: الصورة الشخصية لموريس بورمانس.



الملحق رقم 06: بعض مؤلفات موريس بورمانس حول مسألة الحوار الإسلامي المسيحي.

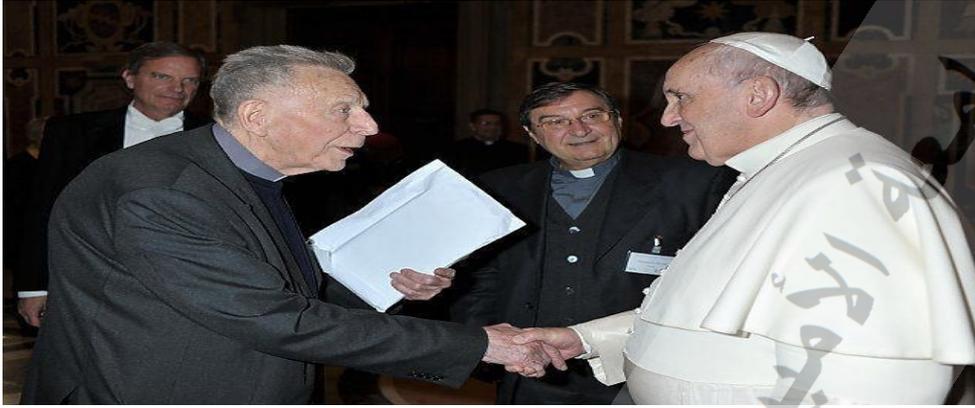


(كتاب: توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين)



(في هذا الكتاب المشترك يوجد مقال لموريس بورمانس بعنوان: هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، وتعقيب بعنوان: ملاحظات الشخصية بعد الاطلاع على ما جاء به الأستاذ الدكتور أحمد النيفر من اعتبارات وتأمّلات في مصير الأديان وحوارها فيما بينها وبالخصوص بين المسلمين والمسيحيين).

الملحق رقم 07: بعض صور بورمانس المعبرة عن الحوار والتسامح.



موريس بورمانس مع البابا فرنسيس بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس جمعية الآباء البيض، بتاريخ 24 يناير 2015م.



"أنا رجل سلام ومصالحة"، مقولة موريس بورمانس في مقابلة مع "سافيرنيوز" في مايو 2016م.



فيديو لموريس بورمانس حول موضوع الحوار الإسلامي المسيحي تم نشره يوم 2017/03/28 بقناة KTOTV المسيحية،

ويظهر هنا في المقعد الثالث على يمين هذه الصورة.

Le dialogue entre chrétiens et musulmans serait-il devenu plus que jamais difficile, voire même impossible ?

Ce qui se passe partout dans le monde depuis le 11 septembre 2001, et plus spécialement en France, devrait nous faire réfléchir sur les conditions actuelles du « vivre ensemble » pour les chrétiens, les juifs et les musulmans. Comment l'observateur impartial pourrait-il évaluer les chances qu'a encore un dialogue en vérité et en charité entre disciples de Jésus et fidèles du Coran, alors que ne manquent ni crispations ni conflits, ni malentendus ni incompréhensions, ni islamophobie ni christianophobie? Mais soyons concrets et prenons un cas de figure, emblématique sinon significatif. Le 13 octobre 2007, 138 personnalités musulmanes de toutes sensibilités ont adressé une Lettre ouverte à tous les chefs ou responsables des communautés chrétiennes du monde entier: du jamais vu ! C'était un événement des plus prometteurs pour l'avenir du dialogue islamo-chrétien. Qui plus est cette Lettre, s'inspirant d'un verset coranique « Venez-en à une parole commune entre nous et vous » (3, 64), rappelait à juste titre que le véritable monothéisme consiste à aimer Dieu et à aimer son prochain. Elle reprenait une autre Lettre, ouverte elle aussi, du 15 octobre 2006, de 38 personnalités musulmanes, qui l'avaient adressée à Benoît XVI et lui faisaient savoir ce qu'ils pensaient de sa conférence de Ratisbonne. A bien lire le texte de la Lettre des 138, on ne pouvait pas ne pas se poser bien des questions, encourageantes ou décourageantes. L'amour du prochain, en français, signifie aimer tous nos frères et sœurs en humanité, les fils et filles d'Adam : c'est clair. Le texte arabe disait : l'amour du prochain (jâr) ou de qui est proche (qarîb), ce qui n'est pas tout à fait la même chose ! Mais enfin l'interprétation pouvait rejoindre celle du texte français ou anglais. On sait qu'après cet événement, les susdites 138 personnalités acceptèrent l'invitation à un forum catholique-islamique à Rome : en 2008, 25 musulmans et 25 chrétiens s'y retrouvèrent donc, hôtes du Conseil Pontifical pour le Dialogue Interreligieux (CPDI), en vue de réfléchir sur la Lettre et d'en mieux comprendre les implications. Or voici que les invités musulmans, bien qu'hôtes accueillis avec respect à Rome, exigèrent qu'il n'y ait pas de bouteilles de vin à la table dressée pour les recevoir, privant ainsi les

chrétiens de leur liberté d'en boire, alors qu'ils se trouvaient chez eux à Rome. Ils se sentirent par-là vraiment « mal aimés », aux dires d'un des participants ! Pourquoi imposer à l'hôte qui me reçoit mes propres réglementations en matière de boisson ? Où y trouver, concrètement, cet amour du prochain dont se vantait la susdite Lettre ? Incohérence incompréhensible, auto-marginalisation, qui rend toute commensalité impossible. Libre est le musulman de considérer des boissons et des viandes *ḥarâmpour* lui, mais ne devrait-il pas respecter le chrétien pour qui toutes les créatures voulues par Dieu sont bonnes (*ḥalâl*) comme il est, lui, le Seigneur, le bien absolu ? Et pourquoi « faire des histoires » du même genre, à propos des interdits similaires quant aux viandes *halâl* en droit, mais devenues *ḥarâm*, quand l'animal n'a pas été mis à mort « à la musulmane ». Faut-il faire observer que ces exigences musulmanes imposées aux chrétiens à Rome ne sont pas une exception : telle est la pratique courante lors des visites officielles des chefs d'Etats islamiques à l'Elysée, en France, quand ce n'est pas ailleurs ! Que peuvent bien en penser les opinions publiques qui attendent de tout dialogue qu'on y applique le principe de parité ?

Depuis plus de 50 ans je m'emploie à aider chrétiens et musulmans à se respecter dans leur diversité, à se comprendre de mieux en mieux, à « se devancer mutuellement dans les œuvres de bien » (5, 48 : *fastabiqû l-khayrat*), à s'estimer dans leur approche diversifiée du mystère du Dieu créateur « qui aime les hommes ». Mais paradoxalement, à la susdite rencontre de Rome, ce sont les partenaires musulmans qui n'ont pas respecté ni estimé la liberté dont jouissent les chrétiens en matière alimentaire. Qui plus est, si tous furent d'accord sur le double amour de Dieu et du prochain comme définition de leur monothéisme, il a fallu que ce soit les chrétiens à dire qu'un tel amour suppose qu'auparavant soit reconnu l'amour que Dieu lui-même porte envers toutes ses créatures. Dieu nous a aimés le premier et il nous a démontré son amour de mille manières : la réponse du croyant ne peut être qu'un amour humain qui répond alors à un amour divin. Comment donc réaliser amicalement ce double idéal de l'amour en toutes nos rencontres comme dans notre désir de « vivre ensemble » en des sociétés où régnerait « la paix de Dieu » ? Il y a plus de cinquante ans, la Déclaration du Concile Vatican II sur les Relations de l'Eglise avec les religions non chrétiennes (*Nostra Aetate*) confirmait le désir qu'avaient exprimé les chrétiens, au cours des

siècles, de dialoguer avec les musulmans tout comme ceux-ci se voyaient invités par le Coran à « ne discuter avec les Gens du Livre que de la manière la plus courtoise » (29, 46). Certes, on était bien conscient, de part et d'autre, des limites et des difficultés qu'un tel dialogue renouvelé se devait de prendre en considération. De leur côté donc, au nom du Secrétariat créé à la Pentecôte 1964, Louis Gardet, Joseph Cuoq et Jean-Mohamed Abd-el-Jalil s'employèrent à fournir, dès 1969, des Orientations pour un dialogue entre chrétiens et musulmans dont les six chapitres tentaient d'en préciser les modestes ambitions et les obstacles à surmonter : L'attitude du chrétien dans le dialogue, Connaître les valeurs de l'islam, Les divers interlocuteurs musulmans, Comment se disposer au dialogue ?, Perspectives du dialogue islamo-chrétien, Spiritualité du chrétien engagé dans le dialogue. Ce faisant, ils entendaient bien y dire ce qui « se passait en eux quand ils dialoguaient ».

La pratique même du dialogue rappela bien vite aux uns et aux autres que ce n'était pas là chose facile : tout un passé de polémiques réciproques et d'œuvres apologétiques était à purifier et à réinterpréter, les difficultés du moment et ses implications politiques exigeaient que l'on fixe au dialogue des buts bien définis et une méthode qui satisfasse les deux parties. C'est pourquoi, près de dix ans après, une réédition des Orientations fut réalisée en 1981 par Ary Roest Crolius et moi-même, après consultation de Mohamed Talbi, qui tentait de tenir compte des expériences vécues par ceux qui avaient pratiqué le dialogue. Qu'il nous soit permis d'en rappeler ici les grandes lignes, car elles s'avèrent toujours aussi valables. Le ch. I précisait quels sont les interlocuteurs du dialogue, à savoir les chrétiens en leur foi commune dans la diversité de leurs églises et communautés et les musulmans dans leur unité de credo et les particularités de leurs écoles ou traditions. Le ch. II décrivait les lieux et les voies du dialogue : ces lieux et leurs moments, ces voies et leurs chemins, le chrétien et la foi des autres, le dialogue en présence de Dieu. Le ch. III, commentant le texte même du document conciliaire, invitait les chrétiens à reconnaître les valeurs de l'autre : soumission à Dieu, méditation d'un Livre, imitation d'un modèle prophétique, solidarité d'une communauté de croyants, attestation de la transcendance de Dieu, adoration sincère par un culte dépouillé, obéissance et fidélité aux prescriptions de la Loi, dépassements ascétiques et mystiques. Le ch. IV demandait de tenir compte des

obstacles actuels. Que les deux parties aient le courage de reconnaître et d'oublier les injustices du passé. Que les chrétiens se libèrent aussi de leurs préjugés les plus notables, car il n'est pas vrai, comme certains l'affirment, que l'islam soit essentiellement fanatisme, juridisme, laxisme, fanatisme, immobilisme ou religion de crainte. Qu'ils sachent aussi ce que leur interlocuteur musulman pense du christianisme : les Ecritures des chrétiens seraient falsifiées, les mystères chrétiens seraient inacceptables, ou du moins inutiles, le monothéisme chrétien ne serait pas des plus purs, l'Eglise ne serait qu'une puissance temporelle, les chrétiens auraient été infidèles au message de Jésus. D'autant plus qu'ils ne doivent pas oublier les obstacles qui demeurent, à savoir celui des prescriptions alimentaires et vestimentaires, celui des ménages mixtes et de leurs effets juridiques, celui du devoir d'apostolat à ne pas confondre avec le prosélytisme, et celui de l'immunité ou protection des minorités religieuses non musulmanes. Le ch. V rappelait à tous quelles sont les collaborations humaines nécessaires, afin qu'ils soient les fidèles serviteurs du bien commun au nom d'une éthique partagée qui corresponde enfin à la Déclaration Universelle des Droits de l'Homme de 1948 : l'accomplissement du monde, le service des hommes, l'aménagement de la cité et l'imitation humaine de l'action divine. Ce qui permettait au ch. VI d'envisager les convergences religieuses possibles pour tous : le mystère de Dieu, le don de la Parole, le rôle des Prophètes, la présence des Communautés, les secrets de la Prière et les voies de la Sainteté.

Ces Orientations, telles qu'elles furent formulées en 1981, sont toujours valables, car presque tout y a été dit des difficultés et obstacles qu'affronte tout dialogue islamo-chrétien : ceux et celles qui l'ont pratiqué ou le vivent encore s'y reconnaîtront volontiers. Un certain idéal y est brossé qui ne pourrait être atteint qu'après expériences et épreuves, et non sans un constant effort pour se comprendre les uns les autres et s'estimer réciproquement au-delà des déceptions et des souffrances. Les catholiques peuvent trouver dans les documents du magistère ce qui vient les éclairer et les conforter en tout réalisme existentiel et toute exigence évangélique. Qu'il suffise citer ici, outre les exhortations et les encycliques des papes successifs, l'Attitude de l'Eglise catholiques devant les croyants des autres religions (10 mai 1984), puis Dialogue et annonce : réflexions et orientations concernant le dialogue interreligieux et l'Annonce de

l'Évangile (19 mai 1991), suivi du document de la Commission théologique internationale, Le christianisme et les religions (octobre 1996) et enfin celui de la Congrégation pour la Doctrine de la Foi, Dominus Jesus (6 août 2000). Il n'en reste pas moins vrai qu'au cœur même du dialogue avec les musulmans, et c'est le plus gros obstacle, il y a cette conviction que le véritable christianisme est celui que décrit et suppose le Coran : un pur monothéisme dont Jésus est le simple prophète. Le fait est là : le Coran est polémique avec les chrétiens. Comment résoudre le problème ? En demandant au partenaire musulman d'accepter phénoménologiquement que ce qui lui rend l'amitié du chrétien des plus appréciables par lui, c'est justement ce christianisme tel qui est vécu par lui-même et toute sa communauté, en conformité avec sa tradition. Par suite, l'idéal serait, comme l'ont souhaité beaucoup d'hommes et de femmes de dialogue, « que le chrétien présente et explique à ses frères ce qu'est le véritable islam de manière que tout musulman reconnaisse qu'il en est bien ainsi et que tout musulman présente le christianisme à ses coreligionnaires de manière que le chrétien s'y reconnaisse parfaitement. Bien des questions seraient à se poser aux uns et aux autres. Comment nommons-nous l'autre ? Infidèle, mécréant, associationniste ? Quelle image donnons-nous de notre foi, de notre pratique religieuse, si bien que cela vient conforter et renforcer les préjugés que l'autre s'en fait ? Pourquoi tellement insister sur le jeûne corporel, sur la pureté préalable à la prière, sur les rites du pèlerinage, et autres manifestations identitaires (alimentaires, vestimentaire) ? Un hadîth bien connu ne dit-il pas que « Les actes ne valent que par leurs intentions » ? L'éthique islamique reconnaît aussi que parfois « nécessité fait loi » et qu'à vivre en situation de diaspora (aqalliyya dîniyya) le musulman peut réinterpréter son échelle du ḥarâm et du ḥalâl. Religion de l'extérieur ou de l'intérieur ? Cause perdue ou à gagner ? La Lettre des 138, évoquée plus haut, disait que chrétiens et musulmans représentent la majorité des humains et sont donc obligés à dialoguer entre eux et qu'il s'agit de « Ne pas perdre nos âmes ! ». Qui ne voit qu'il y a large place pour des discours réformistes ? Qu'en est-il aujourd'hui des oecuménismes intra- ou extra-religieux : islam et christianisme ? Comment sortir de nos crispations, de nos malentendus, de nos préjugés ? Le dialogue islamo-chrétien serait-il, lui aussi, condamné à connaître le mythe de Sisyphe ? On y recommencerait toujours au point zéro ou à la « case départ » ?

Les chrétiens ont trop vite cru qu'avec la Déclaration du Concile Vatican II sur les relations de l'Eglise avec les religions non chrétiennes, une ère de dialogue de plus en plus fructueux s'ouvrait à tous, mais non sans réticences et méfiances et même refus de certaines institutions : seuls des musulmans courageux s'y aventurèrent, alors que l'Islam mondial, avec la fin de la guerre froide, connaissait un réveil (sahwa) islamique qui annonçait une nouvelle islamisation de leurs sociétés. Et d'abord que veulent dire les mots islâm, religion, sharî'a, fitra, etc... ? Le réformisme de 'Abduh du XIXème siècle finissant et des premières décennies du XXème, n'ayant pas tenu ses promesses, on vit alors l'émergence généralisée d'un fondamentalisme islamique avec son transfert ou son détournement de transcendance absolutisée en faveur du seul islam en son interprétation la plus littéraliste et donc identitaire. Le tunisien Hamadi Redissi a pu sous-titrer son livre sur le pacte du Najdj d'alliance entre les Saoudites et les Etats Unis Comment une secte est-elle devenue l'orthodoxie se réclamant d'un wahhabisme de stricte observance qui reprend les thèses d'Ibn Taymiyya, chantre d'une théologie fondamentaliste au XIIIème siècle.

Oui, plus que jamais, « Venons-en donc à une parole commune entre nous et vous »! J'en appelle à l'historien tunisien Muhammad Talbi et à ses collaborations de plus de 20 ans à ma revue Islamochristiana, la revue du PISAI, au penseur franco-algérien Muhammad Arkoun et à notre publication commune, Islam, religion et société, au théologien tunisien Hmida Ennaïfer avec lequel j'ai publié à Beyrouth et Damas Mustaqbal al-hiwâr bayn al-muslimîn wa-l-masîhiyyîn, au philosophe marocain Muhammad Lahbib Lahbabi dont j'ai traduit certains textes personalistes et tant d'autres encore comme j'en appelle aussi à Louis Massignon qui nous a fait savoir que l'islam a aussi des mystiques comme Husayn al-Hallâj, à Jean-Muhammad Abd-el-Jalil qui nous a fait connaître les Aspects intérieurs de l'islam, à Louis Gardet qui nous a enseigné les richesses de la philosophie et de la théologie islamiques, au dominicain égyptien Georges Anawati parfait connaisseur d'Avicenne, à qui nous devons les textes de dialogue du Concile Vatican II, au prêtre libanais Youakim Moubarac qui s'est tellement dépensé pour Jérusalem et les Palestiniens ainsi que pour les Maronites et autres chrétiens arabes du Moyen Orient et tant d'autres également. Et comment ne pas évoquer ici le visage de Christian de Chergé, le prier des trappistes de Tibhirine, et de ses frères

cisterciens, victimes des conflits fratricides d'Algérie, lui qui fut mon fidèle disciple après avoir étudié à Rome pendant deux ans et dont le testament, si riche du seul point de vue chrétien, pourrait être partagé par des musulmans comme le professeur Moqrani de Rome s'agissant alors de la mort d'un prêtre irakien à Mossoul. Et puis comment ne pas penser à la difficile situation dialogique de la France ? Que dire des victimes des massacres de Charlie Hebdo et du Bataclan parisien, sans oublier le Père Hamel, égorgé en son église au cri d'Allâh akbar ? Et que peut encore dire la parole « dialogue » en Egypte quand on y pleure les dizaines de victimes des églises de Tanta et d'Alexandrie du dimanche des Rameaux ? Comment surmonter les peurs et les angoisses, refuser les amalgames et les généralisations et « raison garder » dans le contexte français lui-même ? D'où, récemment publié au Cerf, de Paris, ces « Misère(s) de l'islam de France » de Didier Leschi, haut fonctionnaire, auteur avec Régis Debray de La Laïcité au quotidien, guide pratique (Gallimard, 2016), avec tous ses « niveaux de misère » qui sont autant d'obstacles au véritable dialogue, car ils démontrent qu'il y a inadéquation à la modernité. En effet, pourquoi faudrait-il réduire la religion à des observances alimentaires et à des pratiques vestimentaires (pensons aux diverses manières d'être voilée pour la femme : le Coran n'en dit rien !) ou à des comportements difficilement acceptables (prières collectives sur la voie publique sans permission préalable ou appel à la prière qui est aussi affirmation publique de la foi islamique) ? Que peut-il alors se passer dans la pensée des chrétiens de dialogue ?

Mes livres témoignent de cet effort constant pour que les chrétiens fassent tout le chemin ou presque pour cela : Orientations pour un dialogue entre chrétiens et musulmans (1981), Dialogue islamo-chrétien à temps et contretemps (2002), Pour comprendre les musulmans (2010), Dialoguer avec les musulmans : une cause perdue ou une cause à gagner ? (2011), Chrétiens et musulmans, proches et lointains (2015). Pourquoi y a-t-il si peu de correspondance de la part des musulmans ? Les difficultés du vivre ensemble ? Elles sont sans nombre et vont même se multipliant. Ces dernières décennies, des chrétiens sont la cible privilégiée d'attentats entraînant de nombreuses victimes. Les récents événements de Tanta et d'Alexandrie en sont la preuve toute récente. Benoît XVI avait déjà dénoncé, en son temps, ce qui était arrivé à la sortie de certaines églises de Bagdad

et d'Alexandrie. Bien sûr, de très nombreux musulmans nous disent que ce n'est pas là le véritable Islam, mais alors pourquoi les auteurs de tels crimes (qu'il s'agisse des moines de Tibhirine ou du Père Hamel, en son église paroissiale) signent-ils leur forfait d'un Allâhu akbar qui est tout de même une formulation expressément musulmane : apprise dans les manuels de catéchèse islamique et répétée par tant de musulmans pieux, pourquoi devient-elle comme « la signature » officielle de l'Etat dit islamique de Daesh quand il impose à nouveau le statut de dhimmî aux arabes chrétiens de Mossoul ? Il faut d'autant plus se réjouir qu'à pratiquer honnêtement leur dialogue, beaucoup d'autres musulmans et de nombreux chrétiens sont quotidiennement invités à renouveler leur regard sur « l'autre » et même à lui attribuer une place positive dans l'histoire religieuse de l'humanité.

Serait-il encore possible de prier ensemble aujourd'hui, comme nous y invitait Jean Paul II à Casablanca, le 19 août 1985. Bien volontiers, de nombreux Marocains en avaient fait leur invocation et les femmes et hommes de dialogue pourraient encore la réciter aujourd'hui, car c'est « la prière qui doit être ce qui se passe (d'abord) en nous quand nous dialoguons » : O Dieu, Tu es notre Créateur, Tu es bon et Ta miséricorde est sans limite. A Toi la louange de toute créature. O Dieu, Tu as donné aux hommes que nous sommes une loi intérieure dont nous devons vivre. Faire Ta volonté, c'est accomplir notre tâche. Suivre Tes voies, c'est connaître la paix de l'âme. A Toi, nous offrons notre obéissance. Guide-nous en toutes les démarches que nous entreprenons sur terre. Affranchis-nous des penchants mauvais qui détournent notre cœur de Ta volonté. Ne permets pas qu'en invoquant Ton Nom, nous venions à justifier les désordres humains. O Dieu, Tu es l'Unique. A Toi va notre adoration. Ne permets pas que nous nous éloignons de Toi. O Dieu, juge de tous les hommes, aide-nous à faire partie de Tes élus au dernier jour. O Dieu, auteur de la justice et de la paix, accorde-nous la joie véritable et l'amour authentique, ainsi qu'une fraternité durable entre les peuples. Comble-nous de Tes dons à tout jamais. Amen !

مقال لموريس بورمانس حول الحوار بين المسيحيين والمسلمين يتساءل فيه الرجل عن مدى صعوبة الالتقاء بين الطرفين في سبيل الحوار، ويحاول من خلاله معالجة التوتر الحاصل بينهما وذليل الصعوبات والفوارق، أملاً في تحقيق التقارب والتفاهم.

(<http://www.mafrwestafrica.net/dialogue-interreligieux/1482-conference-maurice-borrmans>)

قائمة المصادر والمراجع

مكتبة الأئمة
عبد القادر العظم
الاسلامية

❖ المصادر والمراجع باللغة العربية:

أولاً- الكتب المقدّسة:

- 1- القرآن الكريم برواية حفص، مصحف المدينة المنورة للنشر الحاسوبي، الإصدار الأوّل 1426هـ.
- 2- الكتاب المقدّس، ط1، دار الكتاب المقدّس في الشرق الأوسط، 1997م.

ثانياً- الكتب العامّة:

حرف الهمزة

- الأب، يوتا:
- 3- تيس عزازيل في مكة، دط، دم، دت.
- أحمد آيت، مريم:
- 4- جدليّة الحوار -قراءة في الخطاب الإسلامي المعاصر-، ط1، منشورات مجلّة علوم التربيّة، العدد24، 2011م.
- إدريس، نعيمة:
- 5- الحوار المسيحي الإسلامي بين المصدّاقية والتشكيك -دراسة مقارنة موازنة-، ط1، مؤسّسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، 1432هـ / 2011م.
- أركون، محمّد:
- 6- الفكر الإسلامي -نقد واجتهاد-، ترجمة: هاشم صالح، ط6، دار السّاقبي، بيروت، لبنان، 2012م.
- 7- الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل -نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي-، ط1، دار السّاقبي، بيروت، لبنان، 1999م.

■ أرمسترونغ، كارين:

8- الإسلام في مرآة الغرب - محاولة جديدة في فهم الإسلام-، ط21، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2002م.

■ الأشقر، عمر سليمان:

9- الرسائل والرسالات، ط1، دار التفائس، عمان، الأردن، دار السلام، القاهرة، مصر، 1426هـ/2005م.

10- العقيدة في الله، ط12، دار التفائس، عمان، الأردن، 1419هـ/1999م.

11- قصص التوراة والإنجيل في ضوء القرآن والسنة، ط1، دار التفائس، عمان، الأردن، 1432هـ/2011م.

■ أمجوض آيت، عبد الحلیم:

12- حوار الأديان - نشأته وأصوله وتطوره-، ط1، دار الأمان، الرباط، المغرب، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1433هـ/2012م.

■ أمين، أحمد:

13- ضحى الإسلام، دط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م، ج1.

حرف الباء

■ باقر، أحمد والمبارك، عبد الله:

14- الحروب الصليبية، دط، مجلة الهجرة، نيويورك، 1402هـ/1981م.

■ البخاري، محمد بن إسماعيل:

15- صحيح البخاري، ط1، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.

■ بخوش، عبد القادر:

16- ماهية المسيح بين الإنجيل والقرآن، ط1، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، 2008م.

■ البدرى، محمد عبد الله المهدي:

17- القرآن الكريم -تاريخه وعلومه-، ط1، دار القلم، دبي، 1404هـ / 1984م.

■ برهامي، ياسر:

18- المنّة شرح اعتقاد أهل السنّة -توحيد، إتباع، تزكية-، ضمن كتاب: المجموعة الذهبية في

المسائل العقديّة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 2011م، ج1.

■ بروكلمان، كارل:

19- تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ترجمة: أمين فارس ومنير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، بيروت،

لبنان، 1968م.

■ بسترس، كيرلس سليم:

20- أفكار وآراء في الحوار المسيحي الإسلامي والعيش المشترك، دط، المكتبة البولسيّة، جونية،

لبنان، 1999م، ج1.

■ بمنصور، عادل:

21- الرّهينة المسيحيّة والتصوّف الإسلامي، ط1، صفحات للدراسات والتّشر، دمشق، سوريا،

2016م.

■ البنّا، حسن:

22- رسالة العقائد، دط، دم، دت.

■ بورمانس، موريس:

23 - توجيهات في سبيل الحوار بين المسيحيين والمسلمين، ترجمة: يوحنا منصور، ط1، منشورات المكتبة البولسيّة، بيروت، لبنان، 1986م.

■ البوطي، محمد سعيد رمضان:

24 - فقه السيرة النبويّة مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط10، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1411هـ / 1991م.

حرف التاء

■ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى:

25 - الجامع الكبير، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996م.

■ التّويجري، عبد العزيز بن عثمان:

26 - الحوار من أجل التعايش، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1419هـ / 1998م.

■ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم:

27 - الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، تحقيق: علي بن حسن بن ناصر وعبد العزيز العسكر وحمدان بن محمد الحمدان، ط2، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 1419هـ / 1999م، مج3.

حرف الجيم

■ الجبالي، خالد حسن حمد:

28 - الزّواج المُختلط بين المسلمين والإسبان من الفتح الإسلامي للأندلس وحتى سقوط الخلافة (92-422هـ)، دط، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دت.

- جراي، جيمس:
29- الخلاص من الألف إلى الياء، تعريب: مراد عزيز، دط، دار الخلاص، 1975م.
- الجزائري، أبو بكر جابر:
30- أيسر التفاسير لكلام العليّ القدير، ط3، راسم للدعاية والإعلان، السعودية، 1410هـ/
1990م، مج3.
- جستنيّه، بسمة أحمد:
31- تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ -أسبابه ونتائجه-، ط1، دار القلم، دمشق،
سوريا، 1420هـ / 2000م.
- جعفر، محمد كمال إبراهيم:
32- التصوّف طريقاً وتجربةً ومذهباً، دط، دار الكتب الجامعية، 1970م.
- جعيط، هشام:
33- أوربا والإسلام، دط، دار الحقيقة، بيروت، لبنان، 1993م.
- الجمال، شوقي وإبراهيم عبد الله:
34- تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط1، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1408هـ / 1987م.
- جنيبير، شارل:
35- المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، دط، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان،
د.ت.
- جورافسكي، أليكسي:
36- الإسلام والمسيحية من التنافس والتصادم إلى الحوار والتفاهم، ترجمة: خلف محمد الجراد،
ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1425هـ / 2005م.

حرف الحاء

- الحاج، محمد أحمد:
37- النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ط1، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية، بيروت، لبنان،
1413هـ / 1992م.

- حداد، جوليت:
38- البيانات المسيحية الإسلامية المشتركة من 1954م/1373هـ إلى 1992م/1412هـ -
نصوص مختارة-، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1995م.
- حداد، لطفي:
39- الإسلام بعيون مسيحية، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، 1425هـ/ 2004م.
- الحريري، أبو موسى:
40- قسّ ونبيّ - بحث في نشأة الإسلام-، دط، دم، 1979م.
- الحسن، يوسف:
41- الحوار الإسلامي المسيحي - الفرص والتحديات-، ط1، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 1997م.
- الخلي، عباس:
42- حوار الأديان وبناء الدولة، ط1، دار النهار، بيروت، لبنان، 2009م.
- الحلو، وضاح يوسف والفقير، إسماعيل:
43- أسئلة وردود من القلب مع العلامة السيد محمد حسين فضل الله، ط4، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1424هـ/ 2004م.
- حمية، سهام:
44- المرأة في الفكر الفلسفي الاجتماعي الإسلامي - دراسة في فكر السيد محمد حسين فضل الله-، دط، دار الملاك، بيروت، لبنان، 2004م.
- بن حميد، صالح بن عبد الله:
45- أصول الحوار وآدابه في الإسلام، ط1، دار المنار للنشر والتوزيع، جدة، السعودية، 1415هـ/ 1994م.
- حوّى، سعيد:
46- الإسلام، ط4، دار السلام، القاهرة، مصر، 1421هـ/ 2001م.
- أبو حيان الأندلسي، أثير الدين:
47- تفسير البحر المحيط، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دت، ج2.

حرف الخاء

- خالدي، مصطفى وفروخ، عمر:
48- التبشير والاستعمار في البلاد العربيّة، ط3، منشورات المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت، لبنان، 1986م.
- الخطيب، عبد الكريم:
49- الإسلام في مواجهة الماديين والملحدّين، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1973م.
- 50- المسيح في القرآن والتّوراة والإنجيل، ط1، دار الكتب الحديثة، 1385هـ / 1966م.
- أبو خليل، شوقي:
51- الإسلام في قفص الاتّهام، ط5، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1402هـ / 1982م.
- 52- التّسامح في الإسلام (المبدأ والتّطبيق)، ط3، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1419هـ / 1998م.
- 53- الحوار دائماً وحوار مع مستشرق، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1415هـ / 1995م.

حرف الدال

- الدّبّاغ، مصطفى:
54- الإسلام فوبيا islamophobia - عقدة الخوف من الإسلام-، ط2، دار الفرقان، عمان، 1422هـ / 2001م.
- الدّجاني، زاهية:
55- المفهوم القرآني والتّوراتي عن موسى (ع) وفرعون -مقارنة عقائديّة-، ط1، دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة، بيروت، لبنان، 1418هـ / 1998م.
- درويش، عادل:
56- الكنيسة أسرارها وطقوسها، ط1، دار بلال بن رباح، دار ابن حزم، القاهرة، مصر، 1433هـ / 2012م.

حرف الرّاء

- الرازبي، فخر الدين:
- 57- تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ/1981م، ج28.
- الريبي، عدنان عبد الرزاق:
- 58- قراءات معاصرة في العقيدة اليهودية، ط1، دار النفائس، عمان، الأردن، دار الفجر، بغداد، العراق، 1432هـ/2011م.
- رستم، سعد:
- 59- التوحيد في الأناجيل الأربعة وفي رسائل القديسين بولس ويوحنا، ط1، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2007م.
- 60- الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم -دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية-، ط2، دار الأوائل، دمشق، سوريا، 2005م.
- أبو رمان، سامر رضوان:
- 61- الأبعاد السياسية للحوار بين الأديان -الحوار الإسلامي المسيحي نموذجًا-، ط2، عالم الكتب الحديث، الأردن، 1426هـ/2005م.
- رينان، أرنست:
- 62- محاورات رينان الفلسفية، ترجمة: علي أدهم، ط2، مطبعة دار الكتب، مصر، 1998م.

حرف الزاي

- زقزوق، محمود حمدي:
- 63- الإسلام وقضايا الحوار، دط، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر، 1423هـ/2002م.
- أبو زهرة، محمد:
- 64- محاضرات في النصرانية، ط4، المؤسسة العامة للإدارات والبحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية، 1404هـ.

- زيدان، جرجي:
65- تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، دط، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دت، ج2.
- أبو زيد، بكر بن عبد الله:
66- الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان، ط1، دار العاصمة، الرياض، السعودية، 1417هـ.
- الزّين، حسن:
67- أهل الكتاب في المجتمع الإسلامي -أضواء على الأوضاع الاجتماعية والقانونية-، ط1، بيروت، لبنان، 1402هـ / 1982م.
- الزّين، محمد فاروق:
68- المسيحية والإسلام والاستشراق، ط2، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دارالفكر، دمشق، سوريا، 1422هـ / 2002م.

حرف السين

- سابق، السيّد:
69- فقه السنّة، ط21، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، مصر، 1420هـ / 1999م، ج2.
- سالم، غسان سليم:
70- محاوّر الالتقاء ومحاوّر الافتراق بين المسيحية والإسلام، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 2004م.
- السّحمراني، أسعد:
71- ترجمان الأديان، ط1، دار التفائس، بيروت، لبنان، 1430هـ / 2009م.
- سرور، علي حسن:
72- العلامة فضل الله وتحديّ الممنوع، ط2، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1424هـ / 2004م.
- سعد الدّين، محمد منير:
73- العيش المشترك الإسلامي المسيحي في ظلّ الدولة الإسلامية -شهادة من التاريخ-، دط، المكتبة البولسيّة، جونية، لبنان، 2001م.

- سعد الله، أبو القاسم:
- 74- تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دت، ج6.
- السقا، أحمد حجازي:
- 75- الله وصفاته في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط2، مكتبة التآفة، الجيزة، مصر، 2006م.
- سكرية، منى:
- 76- السيد محمد حسين فضل الله عن سنوات ومواقف وشخصيات - هكذا تحدّث... هكذا قال-، ط2، المركز الإسلامي الثقافي، لبنان، دت.
- السّمك، محمّد:
- 77- الفاتيكان والعلاقات مع الإسلام، دط، دار التفائس، بيروت، لبنان، دت.
- 78- مقدّمة إلى الحوار الإسلامي - المسيحي، ط1، دار التفائس، بيروت، لبنان، 1418هـ/
- 1998م.
- السمان، محمّد عبد الله:
- 79- محنة الأقليات المسلمة في العالم، دط، الأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية، مصر،
- دت.
- سوزن، ريتشارد:
- 80- صورة الإسلام في أوربّا في القرون الوسطى، ترجمة: رضوان السيّد، ط2، دار المدار الإسلامي،
- بيروت، لبنان، 2006م.

حرف الشّين

- الشال، محمود التّبوي:
- 81- السّلام رسالة السّماء، ط1، دار الفكر العربي، 1978م.
- الشّامي، حسين بركة:
- 82- المرجعية الدّينية من الذات إلى المؤسسة، ط1، دار السّلام، لندن، بريطانيا، 1419هـ/
- 1999م.
- شاهين، أحمد عبد الهادي:
- 83- الحوار بين الأديان تعيش لا تقارب، ط1، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1424هـ/ 2003م.

- شاهين، ثريّا:
84- دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ترجمة: محمد حرب، ط1، دار المنارة، جدة، السعودية، 1418هـ/1997م.
- الشّرفي، عبد المجيد:
85- الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرابع هـ/العاشر م، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- شرقاوي، جمال الدين:
86- قضايا مثيرة في المسيحية والإسلام، ط1، مكتبة التّافذة، الجيزة، مصر، 2006م.
- شفيق، حمدي:
87- الإسلام والآخر -الحوار هو الحلّ-، دط، دم، دت.
- شلبي، أحمد:
88- الإسلام، دط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1961م.
- 89- المسيحية، ط10، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، 1998م.
- شلبي، رؤوف:
90- أضواء على المسيحية -دراسات في أصول المسيحية-، دط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1975م.
- 91- المسيحية الرابعة، دط، مكتبة الأزهر، 1980م.
- شلبي، عبد الجليل:
92- معركة التبشير والإسلام -حركات التبشير والإسلام في آسيا وإفريقيا وأوروبا-، ط1، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، مصر، 1499هـ/1989م.
- الشّهستاني، محمد بن عبد الكريم:
93- الملل والنحل، ضبط وتعليق: كسرى صالح العلي، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1432هـ/2011م.

حرف الصاد

- أبو صالح، إسماعيل خليل:
94- السيّد محمد حسين فضل الله شاعرًا، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1424هـ/2003م.

- صالح، محمد عثمان:
- 95- النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير - دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات -، ط1، مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، السعودية، 1410هـ / 1989م.
- صبحي، أحمد محمود:
- 96- التصوّف إيجابياته وسلبياته، دط، دار المعارف، القاهرة، مصر، دت.
- الصواف، محمد محمود:
- 97- القرآن - أنواره، آثاره، أوصافه، فضائله، خصائصه، تفسيره، ختمه-، ط5، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1407هـ / 1987م.

حرف الطاء

- طعيمة، صابر:
- 98- الإسلام والآخر - دراسة عن وضعيّة غير المسلمين في مجتمعات المسلمين -، ط1، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، السعودية، 1428هـ / 2007م.
- طنطاوي، محمد سيّد:
- 99- أدب الحوار في الإسلام، دط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1997م.
- طويلة، عبد الوهّاب عبد السلام:
- 100- بشارات الأنبياء بمحمد صلى الله عليه وسلم، ط2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1425هـ / 2005م.

حرف العين

- العارف، عارف:
- 101- المفصل في تاريخ القدس، ط5، مطبعة المعارف، القدس، فلسطين، 1999م، ج1.
- عاصي، إيمان خالد:

- 102- محمد والمسيح عليهما السلام يتصافحان، دط، دار المحبة، دمشق، سورية، دار آية، بيروت، لبنان، دت.
- عبد الرحمن، طه:
- 103- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م.
- عبد السلام، جعفر والسنايح، أحمد:
- 104- المسلمون والآخرون - أسس لتبادل الحوار والتعايش السلمي -، دط، رابطة الجامعات الإسلامية، القاهرة، مصر، 1427هـ / 2006م.
- عبد العزيز، زينب:
- 105- الفايكان والإسلام، ط2، القدس للنشر والإعلان والتوزيع، القاهرة، مصر، 1421هـ / 2001م.
- عبد المسيح، حنيف:
- 106- بدعة الرهينة، ط1، دم، 2009م.
- عبد المنعم، فؤاد:
- 107- أبحاث في الشرائع اليهودية والتصرانية والإسلام، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 1414هـ / 1994م.
- بن عبد الله، جود أحمد:
- 108- علم الملل ومناهج العلماء فيه، ط1، دار الفضيلة، الرياض، السعودية، 1425هـ / 2005م.
- عبد الوهاب، لواء أحمد:
- 109- الإسلام والأديان الأخرى - نقاط الاتفاق والاختلاف -، دط، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر، دت.
- 110- النبوّة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، ط2، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، 1413هـ / 1992م.
- عجك، بسام داود:
- 111- الحوار الإسلامي المسيحي - المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، ط1، دار قتيبة، سوريا، 1418هـ / 1998م.

- عجبية، أحمد علي:
112- أثر الكنيسة على الفكر الأوربي، ط1، دار الآفاق العربيّة، القاهرة، مصر، 2004م.
- عزیز، عبد الغفّار:
113- الدّین والسیاسة فی الأديان الثلاثة، دط، دار الحقيقة للإعلام الدّولي، القاهرة، مصر، 1409هـ / 1989م.
- عطیة، عبد الرّحمن:
114- المسلمون والنّصارى - التّعاون من منظور إسلامي-، ط1، دار الأوزاعي، بيروت، لبنان، 1420هـ / 2000م.
- عفيفي، أبو العلاء:
115- التّصوّف - الثّورة الرّوحيّة فی الإسلام-، دط، دار الشّعب، بيروت، لبنان، دت.
- العلیان، عبد الله علي:
116- حوار الحضارات فی القرن الحادي والعشرين - رؤية إسلامیة للحوار-، ط1، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر، بيروت، لبنان، 2004م.
- عمارة، محمّد:
117- الإسلام فی عيون غربيّة بين افتراء الجهلاء .. وإنصاف العلماء، ط1، دار الشّروق، القاهرة، مصر، 1425هـ / 2005م.
- 118- الإسلام والأقليات - الماضي.. والحاضر.. والمستقبل-، ط1، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1423هـ / 2003م.
- 119- أكذوبة الاضطهاد الدّيني فی مصر، دط، المجلس الأعلى للشّؤون الإسلاميّة، القاهرة، مصر، 1421هـ / 2000م.
- 120- هذا هو الإسلام، ط1، مكتبة الشّروق الدّوليّة، القاهرة، مصر، 1426هـ / 2005م، ج1(الدّين والحضارة، عوامل امتياز الإسلام، شهادة غربيّة).
- عوض، محمّد مؤنس:
121- الحروب الصّليبيّة - دراسات تاريخیة ونقدیّة-، ط1، دار الشّروق، عمان، الأردن، 1999م.
- عون، مشير باسيل:
122- الأسس اللاهوتيّة فی بناء حوار المسيحيّة والإسلام، ط1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2003م.

حرف الغين

■ غليون، برهان:

123- المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات، ط3، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2012م.

حرف الفاء

■ الفاضلي، داود علي:

124- أصول المسيحية كما يصورها القرآن الكريم، دط، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، 1393هـ/1973م.

■ فان نسين، كريستيان:

125- مسيحيون ومسلمون.. إخوة أمام الله، ترجمة: أنور مغيث، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، 2006م.

■ فرج، سهيل وكولوبوف، أليغ:

126- حوار الحضارات-المعنى، الأفكار، التقنيات-، ط2، دار علماء الدين، دمشق، سوريا، 2010م.

■ فضل الله، محمد حسين:

127- أحاديث في قضايا الاختلاف والوحدة، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م.

128- الإسلام والمسيحية بين ذهنية الصراع وحركية اللقاء، دط، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م.

129- الإسلاميون والتحديات المعاصرة، إعداد: سليم الحسني، ط2، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م.

130- اتجاهات وأعلام-حوارات فكرية في شؤون المرجعية والحركة الإسلامية-، دط، دار الملاك، بيروت، لبنان، دت.

131- الحركة الإسلامية ما لها وما عليها، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1425هـ/2004م.

132- حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، ط2، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م.

- 133- الحوار بلا شروط -تمرد على ثقافة الخوف-، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م.
- 134- الحوار في القرآن -قواعده، أساليبه، معطياته-، ط5، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م.
- 135- في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م.
- الفيفي، موسى بن يحيى:
- 136- الحوار -أصوله وآدابه وكيف نرتي أبناءنا عليه؟-، دط، دار الخصري للنشر، المدينة المنورة، السعودية، 1427هـ.

حرف القاف

- قاسم، عبد الستار:
- 137- إبراهيم والميثاق مع بني إسرائيل في التوراة والإنجيل والقرآن، ط2، الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية (PASSIA)، القدس، 1994م.
- قاسم، عبده قاسم:
- 138- ماهية الحروب الصليبية، دط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1993م.
- القاضي، أحمد بن عبد الرحمن:
- 139- دعوة التقريب بين الأديان -دراسة نقدية في ضوء العقيدة الإسلامية-، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1422هـ، مج4.
- القرضاوي، يوسف:
- 140- الدين والسياسة -تأصيل وردّ شبهات-، دط، المجلس الأوربي للإفتاء والبحوث، دبلن، 2007م.
- قعدان، زيدان عبد الفتاح:
- 141- آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دط، دار البشير، الأردن، 2005م.
- قنواقي، جورج شحاتة:
- 142- المسيحية والحضارة العربية، ط2، دار الثقافة، مصر، 1992م.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد:

143- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط4، المكتبة القيمية، 1407هـ.

حرف الكاف

- كارليل، توماس:
- 144- محمد المثل الأعلى، تعريب: محمد السباعي، ط1، مكتبة النافذة، الجيزة، مصر، 2008.
- الكتّاني، محمد:
- 145- ثقافة الحوار في الإسلام من التأسيس إلى التأصيل، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، 1428هـ/ 2007م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل:
- 146- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، 1420هـ/ 1999م، ج2، ج3، ج6.
- كونج، هانس وإس. جوزيف فان:
- 147- التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام، تحليل: محمد الشاهد، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1414هـ/ 1994م.

حرف اللام

- لبيب، هاني:
- 148- الحوار المسيحي - الإسلامي - رؤية جديدة-، ط2، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، 1427هـ/ 2006م.
- اللافي، محمد الفاضل بن علي:
- 149- تأصيل الحوار الديني -تأصيل المصطلحات وتحديد الضوابط الشرعية مع مثال تطبيقي (السودان أنموذجًا)-، ط1، دار الكلمة، المنصورة، مصر، 1425هـ/ 2004م.

■ لويس، برنارد وسعيد، إدوارد:

150- الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية من وجهة نظر أمريكية، ط1، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1414هـ / 1994م.

حرف الميم

■ ماكي، هيم:

151- بولس وتحريف المسيحية، ترجمة: عزمي الزّين، دط، منشورات المعهد الدّولي للدراسات الإنسانية، دت.

■ مبارك، يواكيم:

152- حول لبنان وفلسطين والحوار الإسلامي - المسيحي (مختارات)، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2014م.

153- المجمع الفاتيكاني الثاني - دساتير، قرارات، بيانات -، ط1، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان، 1992م.

■ محمد عبد السلام محمد:

154- دراسات في القرآن الكريم من التفسير الموضوعي، ط2، مكتبة الفلاح، الكويت، دت.

■ مرجان، محمد مجدي:

155- الله واحد أم ثلاث، ط2، مكتبة النّافذة، الجيزة، مصر، 2004م.

■ مرقص، بول:

156- الزّواج المدني في لبنان - دراسة وآلية في ضوء استتلاف الدّولة عن سنّ قانون مدني للأحوال الشخصية -، دط، الهيئة اللّبنانية للحقوق المدنية، دت.

■ المسير، محمد سيّد أحمد:

157- أصول التصرّانية في الميزان، دط، القاهرة، مصر، 1998م.

■ المطوي، محمد العروسي:

158- الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1982م.

- ملا زادة عقيل سعيد:
159- الحوار قيمة حضارية -دراسة تأصيلية لمنهجية الحوار في الإسلام-، ط1، دار التفائس، عمان، الأردن، 1430هـ / 2010م.
- مهدي، علي رفعت:
160- الاتجاه الروحي في شعر السيد محمد حسين فضل الله، ط1، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1425هـ / 2004م.
- الموحي، عبد الرزاق رحيم صلال:
161- العبادات في الأديان السماوية -اليهودية، المسيحية، الإسلام-، ط1، الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق، سوريا، 2001م.
- 162- المؤسسة المرجعية -انجازات وآمال-، ط4، دم، 1432هـ / 2012م.
- المبالي، محمد جودة:
163- الفكر السياسي عند السيد محمد حسين فضل الله، ط1، مركز ابن إدريس الحلبي للتنمية الفقهية والثقافية، النجف، العراق، شركة السلام، بيروت، لبنان، 2011م.
- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة:
164- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة -صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي-، ط7، دار القلم، دمشق، سوريا، 1425هـ / 2004م.
- ميرقان، صابرنا:
165- حركة الإصلاح الشيعي -علماء جبل عامل وأدباؤه من نهاية الدولة العثمانية إلى بداية استقلال لبنان-، ترجمة: هيثم الأمين، ط2، دار النهار، بيروت، لبنان، 2008م.
- مينوا، جورج:
166- الكنيسة والعلم -تاريخ الصراع بين العقل الديني والعقل العلمي-، ترجمة: موريس جلال، ط1، المؤسسة العربية للتحديث الفكري، دار الأهالي، دمشق، سوريا، 2005م، ج1.

■ التدوي، السيّد سليمان:

168- الرسالة المحمّديّة - ثمان محاضرات في السيرة النبويّة ورسالة الإسلام-، دط، دار الفتح، القاهرة، مصر، 1372هـ.

■ نوفل، أفندي نوفل:

169- كتاب سوسنة سليمان في أصول العقائد والأديان، دط، بيروت، لبنان، 1876م.

حرف الهاء

■ هارت، مايكل:

170- الخالدون مائة أعظمهم محمّد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، دط، المكتب المصري الحديث، دت.

■ ابن هشام، عبد الملك:

171- السيرة النبويّة، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1430هـ / 2009م.

■ هنتجتون، صموئيل وإ. هاريزون لورانس:

172- الثقافات وقيم التّقدّم، ترجمة: شوقي جلال، ط2، مطابع مصر للطّيران، القاهرة، مصر، 2009م.

173- صدام الحضارات - إعادة صنع النّظام العالمي-، ترجمة: طلعت الشّايب، ط2، دار سطور، 1999م.

حرف الواو

■ وات، مونتهجمري:

174- الإسلام والمسيحيّة في العالم المعاصر، ترجمة: عبد الرّحمن عبد الله الشّيخ، دط، مطابع الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، مصر، 1998م.

■ وصفي، الحاج محمّد:

175- الارتباط الزّمني والعقائدي بين الأنبياء والرّسل، ط1، دار الجفّان والجاي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1418هـ / 1997م.

حرف الياء

■ اليسوعي، توماس ميشيل:

176 - بناء ثقافة الحوار، ترجمة: ناصر محمد يحيى ضميرية، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1431هـ/2010م.

■ اليعقوبي، محمد:

177 - المرجعية الدينية ومهمات الواقع الإسلامي، ط1، دار الصادقين للنشر والتوزيع، 1435هـ/2014م.

ثالثاً - الموسوعات والمعاجم والقواميس:

حرف الباء

■ بدوي، عبد الرحمن:

178 - موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1993م.

■ البعليكي، منير:

179 - معجم أعلام المورد - موسوعة تراجم لأشهر الأعلام الغرب والأجانب القدامى والمحدثين مستقاة من موسوعة المورد-، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1992م.

حرف الحاء

■ حسن، مرضي حسن وآخرون:

180 - موسوعة أكسفورد العربية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1419هـ/1999م، مج5.

■ الحموي، ياقوت:

181 - معجم البلدان، دط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م.

حرف الراء

▪ الزّازي، محمّد بن أبي بكر:

182 - مختار الصحاح، دط، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ / 1981م.

حرف الزّاي

▪ زكار، سهيل:

183 - الموسوعة الشّاملة في تاريخ الحروب الصّليبيّة، دط، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1416هـ / 1995م، ج 3.

حرف السّين

▪ السّحمراني، أسعد وآخرون:

184 - موسوعة الأديان (الميسرة)، ط5، دار النَّفائس، بيروت، لبنان، 1432هـ / 2011م.

حرف الصّاد

▪ صلواتي، ياسين:

185 - الموسوعة العربيّة الميسرة والموسّعة، ج8.

حرف الطّاء

▪ ط، ب مفرج وآخرون:

186 - موسوعة عالم الأديان، ط2، NOBILIS، بيروت، لبنان، دت، ج19.

حرف العين

▪ عبد الباقي، محمّد فؤاد:

187 - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دط، مطبعة دار الكتب المصريّة، القاهرة، مصر، دت.

- عبد الملك، بطرس وآخرون:
188- قاموس الكتاب المقدس، ط10، دار الثقافة، القاهرة، مصر، 1995م.
- عمر، أحمد مختار وآخرون:
189- معجم اللغة العربية المعاصرة، ط1، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1429هـ / 2008م.

حرف الفاء

- ابن فارس، أحمد:
190- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دط، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1399هـ / 1997م، ج2، ج3.
- فضل الله، محمد حسين:
191- موسوعة التدوة - سلسلة ندوات الحوار الأسبوعية بدمشق-، ط5، دار الملاك، بيروت، لبنان، 1418هـ / 1998م، ج2.
- الفيروز آبادي، مجد الدين:
192- القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث بإشراف نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، 1426هـ / 2005م.

حرف الكاف

- الكيالي، عبد الوهاب:
193- موسوعة السياسة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1994م، ج3.

حرف الميم

- مشرقي، مكرم:
194- جمان من فضة - قاموس أعلام الكتاب المقدس-، ط1، دم، 2000م.

- معلوف، لويس:
195- المنجد في اللغة والأدب والعلوم، ط19، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، دت.
- مكتب التبيان بإشراف حسن عبد الحفيظ أبو الخير:
196- الموسوعة المفصلة في الفرق والأديان والملل والمذاهب والحركات القديمة والمعاصرة، ط1، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر، 1432هـ / 2011م، ج1، ج2.
- ملطي، تادرس يعقوب:
197- قاموس المصطلحات الكنسية، دط، دم، دت.
- ابن منظور، جمال الدين:
198- لسان العرب، دط، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1431هـ / 2010م، ج05.
- 199- الموسوعة العربية، ط1، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، سوريا، دت، مج8.
- 200- الموسوعة العربية العالمية، دط، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1419هـ / 1999م، ج20، ج22.

حرف النون

- الندوة العالمية للشباب بإشراف مانع بن حماد الجهني:
201- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط5، دار الندوة العالمية، الرياض، السعودية، 1424هـ / 2003م، مج2.

حرف الواو

- وليم، وهبه بباوي وآخرون:
202- دائرة المعارف الكتابية، دط، دار الثقافة، القاهرة، مصر، دت، مج08.

رابعاً- الرسائل الجامعية والبحوث والمقالات والنصوص الأكاديمية

حرف الهمزة

■ إبراهيم، عزّ الدين:

203- بعد أربعين سنة من الحوار الإسلامي المسيحي ما الجدوى وما المستقبل؟، بحث مقدّم لمؤتمر مكة المكرمة الثالث: "العلاقات الدولية بين الإسلام والحضارة المعاصرة"، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، (01-03 فيفري 2003م).

■ أوغلو، علي باردق:

204- الحوار والتسامح، ورقة مقدّمة لأعمال المؤتمر السادس عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: "التسامح في الحضارة الإسلامية"، دط، القاهرة، مصر، 1425هـ/ 2004م، ج5.

حرف الباء

■ بسترس، كيرلس سليم:

205- المشتركات بين السنة والشيعية أكثر بكثير ممّا يختلفون عليه، ضمن كتاب: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار"، المؤتمر السنوي الأول 1434هـ/ 2013م، ط1، المركز الإسلامي الثقافي، حارة حريك، لبنان، 1435/ 2014م.

■ بورمانس، موريس:

206- الأسس المشتركة بين الديانتين في المعتقدات ومواطن الالتقاء في ميادين الحياة، بحث مقدّم لندوة: "الحوار الإسلامي المسيحي" بطرابلس من 02 إلى 06 صفر 1396هـ/ 01-05 فبراير 1976م، دط، مكتب الإعلام والبحوث والنشر في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، دت.

207- ملاحظاتي الشخصية بعد الاطلاع على ما جاء به الأستاذ الدكتور حميدة النيفر من اعتبارات وتأمّلات في مصير الأديان وحوارها فيما بينها وبالخصوص بين المسلمين والمسيحيين، ضمن كتاب: "مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي"، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1426هـ/ 2005م.

208- هل للحوار بين المسيحيين والمسلمين أبعاد جديدة في سبيل التفاهم والتّصالح فيما بينهم؟، ضمن كتاب: "مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي".

حرف التاء

- تركستاني، أحمد بن سيف الدين:
209- الحوار مع أصحاب الأديان - مشروعيته وشروطه وآدابه-، ورقة مقدمة للجنة العلمية للمؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، 1425هـ / 2004م.
- التويجري، عبد العزيز بن عثمان:
210- الحوار المثمر بين الحضارات والثقافات، ورقة مقدمة لأعمال المؤتمر الدولي: "شروط الحوار المثمر بين الثقافات والحضارات، الجزائر (24-26 مارس 2003م)، دط، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003م، ج 1.

حرف الجيم

- جرادي، شفيق:
211- تحديات الحوار الإسلامي المسيحي في ضوء التطورات الاجتماعية والسياسية، ضمن كتاب: "واقع الحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور أربعين عامًا على صدور بيان المجمع الفاتيكاني الثاني في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية"، ط 1، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2007م.

حرف الحاء

- حايبي، مسعود:
212- حوار الأديان - الحوار الإسلامي المسيحي أنموذجًا-، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1428هـ / 2007م.
- حسين، عدنان السيد:
213- داعية وحدة، صادق اللهجة، صادق القصد، ضمن كتاب: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار".

■ الحسيني، محمد صادق:

214- العالم بعد 11 سبتمبر بحروف غير أمريكية، ضمن كتاب: "كيف نواصل مشروع حوار الحضارات"، ط1، مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية، دمشق، سوريا، 1423هـ/ 2002م، ج2(الحضارات حوار أم صدام؟).

حرف الدال

■ الدجاني، أحمد صدقي:

215- المواطنة في المجتمع المعاصر، ورقة مقدمة لأعمال اللقاء الإسلامي - المسيحي: "المسلمون والمسيحيون في المجتمع المعاصر - صورة الآخر ومعنى المواطنة"، 21-23 رجب 1419هـ/ 10-12 نوفمبر 1998م.

■ الدسوقي، حسنين رمضان مصطفى:

216- جهود علماء المسلمين في نقد الكتاب المقدس من القرن الثامن الهجري إلى العصر الحاضر "عرض ونقد"، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة، جامعة الأزهر، المنصورة، 1424هـ/ 2004م.

■ دهيني، محمد عباس:

217- المرجعية الرشيدة - جولة في حياة السيد فضل الله وأعماله الفكرية والسياسية الخيرية-.

حرف الراء

■ أبو رمان، سامر راضوان:

218- محطات سابقة في حوار الأديان - الطبيعة السياسية للحوار الإسلامي المسيحي -، ضمن كتاب: "حوار الأديان مراجعة وتقويم"، مركز الدراسات الحضارية وحوار الثقافات، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2010م، ط1، دار السلام، القاهرة، مصر، 1432هـ/ 2011م.

حرف الزاي

■ زمزمي، يحيى بن محمد حسين بن أحمد:

219- آداب الحوار في ضوء الكتاب والسنة، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم الكتاب والسنة، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1413هـ.

حرف السين

■ السحمراني، أسعد:

220- التضامن والتكافل الإنساني في مواجهة كوارث الحروب من منظور ديني، بحث مقدّم لمؤتمر الدوحة السابع لحوار الأديان (من 01 إلى 02 ذو القعدة 1430هـ/ 20 و 21 أكتوبر 2009م)، الدوحة، قطر.

■ السحيم، محمد بن عبد الله:

221- الحوار النصراني الإسلامي - تاريخه وأهدافه وغاياته والموقف الشرعي منه-، بحث مقدّم إلى ندوة: "الحوار مع الآخر في الفكر الإسلامي"، كلية الشريعة، جامعة الشارقة، الإمارات العربية، 28-30 ربيع الثاني 1428هـ/ 16-18 أبريل 2007م، دط، دم، 2009م.

■ السقار، منقذ بن محمود:

222- الحوار مع أتباع الأديان (مشروعيته وآدابه).

■ سلامة، أشرف إبراهيم عليان:

223- العقائد النصرانية في القرآن الكريم -دراسة تحليلية-، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1429هـ/ 2008م.

■ سلامة، صابر حماد عتيق:

224- الجمود الفكري وعلاقته بالتفاؤل والتشاؤم والاتجاه نحو التحديث لدى طلبة الجامعات بمحافظات غزة، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 1438هـ/ 2017م.

■ السّمك، محمد:

225- شيدّ جسور المحبة والمعرفة بين المسلمين والمسيحيين، ضمن كتاب: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار".

- السّيّد، رضوان:
226- القرآن الكريم والدين الواحد وملة إبراهيم، مجلّة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينيّة، مسقط، سلطنة عمان، العدد 31، السنّة التاسعة، 1432هـ / 2011م.
- السّيّد، رضوان نايف:
227- الحوار الإسلامي المسيحي - التطوير والآفاق -، ورقة مقدّمة لأعمال المؤتمر الإسلامي العالمي للحوار، مكّة المكرّمة، السّعوديّة (من 04 إلى 06 جوان).

حرف الشين

- الشّامي، غسان:
228- المطران جورج خضر - مطران جبل لبنان للروم الأرثوذكس -، موقع الميادين (www.almayadeen.net).
- الشّاهد، محمّد:
229- أوجه الاتّفاق والاختلاف بين المسيحيّة والإسلام، بحث مقدّم لندوة الحوار المنظّمة في مدينة جومر سباخ بألمانيا في ماي 1979م، ضمن كتاب: "التّوحيد والتّبوّة والقرآن في حوار المسيحيّة والإسلام".
- الشّهال، نُهلة:
230- أصل الدين سعادة ورفاهيّة أمان للإنسان، ضمن كتاب: "محمّد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار".
- الشّيباني، ناصر محمّد:
231- الإسلام وحوار الأديان، ورقة مقدّمة لأعمال المؤتمر التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة: "مشكلات العالم الإسلامي وعلاجها في ظلّ العولمة - الأبعاد الاجتماعيّة والثّقافيّة -"، دط، القاهرة، مصر، 1428هـ / 2007م، ج8.

حرف الصاد

■ صيام، سها محمد عيسى:

232- المرجع الديني محمد حسين فضل الله وموقفه من قضايا العقيدة، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، 1436هـ/ 2015م.

حرف الضاد

■ ضمرة، معن محمود عثمان:

233- الحوار في القرآن الكريم، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم أصول الدين، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2005م.

حرف الشين

■ عبد المنعم، عثمان:

234- تقرّيب كتاب: "تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ أسبابه ونتائجه".

■ عريف، إسماعيل:

235- الأبعاد الدينية والسياسية للحوار الإسلامي المسيحي -دراسة تحليلية نقدية في ظل الحوار الهادف والمثمر-، (رسالة ماجستير مخطوطة)، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، 1434هـ/ 2013م.

236- التقدّم القرني للعقائد الدينية المخالفة للإسلام "العقائد المسيحية أنموذجاً"، مجلة البحوث والدراسات، جامعة الشهيد حمّو لخضر، الوادي، الجزائر، العدد 23، ربيع الثاني 1438هـ/ جانفي 2017م.

- العوا، محمد سليم:
237- السيد فضل الله وحدويًا - خصوصية عقل ومعالم منهج -، محاضرة أقيمت في المركز الإسلامي الثقافي، مجمع مسجد الإمامين الحسينين بتاريخ: 29 سبتمبر 2010م، ضمن كتاب: "شهادات - قراءات في فكر الفقيه المجدد المرجع محمد حسين فضل الله (رضي) -"، دط، دم، دت.
238- لماذا لا نحاوّر اليهود؟، ضمن كتاب: "حوار الأديان مراجعة وتقويم".
■ عيسى، محمد محمد:
239- الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي، بحث مقدّم إلى ندوة كلية الشريعة والقانون، جامعة الشارقة، الإمارات.

حرف الفاء

- فضل الله، جعفر:
240- الحرية الفكرية للحوار، ضمن كتاب: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار".
■ فضل الله، علي:
241- الكلمة الافتتاحية، ضمن كتاب: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار".
■ فضل الله، محمد حسين:
242- تأملات في الحوار الإسلامي المسيحي، محاضرة أقيمت في قاعة "الوست هول" بالجامعة الأمريكية في بيروت بتاريخ: 22/12/1987م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
243- السيد المسيح - قراءة في المعالم والمواقف -، محاضرة أقيمت في قاعة "الاسامبلي هول" بالجامعة الأمريكية في بيروت بتاريخ: 22/12/1992م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
244- مقابلة أجراها الأستاذ سركيس نعوم مع محمد حسين فضل الله بخصوص الحوار الإسلامي المسيحي والموضوعات المتصلة به، جريدة النهار اللبنانية اليومية: 25/12/1991م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
245- مقابلة مجلة العهد الأسبوعية مع محمد حسين فضل الله: 08/01/1993م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
246- مقابلة مجلة العهد الأسبوعية مع محمد حسين فضل الله: 20/12/1992م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".

- 247- مقابلة جريدة النهار اللبنانية اليومية مع فضل الله حول مسائل عديدة مرتبطة بموضوع الحوار الإسلامي المسيحي، بتاريخ: 15/12/1992م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
- 248- مقابلة مجلة البلاد اللبنانية الأسبوعية مع فضل الله، عدد 103 و104، 24 و31 تشرين الأول 1992م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
- 249- المقابلة مع جريدة الديار التي أجرتها نجوى مارون مع فضل الله حول موضوع الحوار الإسلامي المسيحي، 19/04/1992م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
- 250- نصّ الحوار الذي دار بين محمّد حسين فضل الله والقسيس الهولندي (فان دار بيل أندرو)، جريدة النهار اللبنانية، 31/03/1992م، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".
- 251- نصّ الحوار الذي دار بين محمّد حسين فضل الله والكاهن الإيطالي (برناردو تشيرفليرا)، ضمن كتاب: "في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي".

حرف الكاف

- الكندي، وفاء كاظم ماضي وحبيب، مروة سليم:
- 252- السيّد محمّد حسين فضل الله -حياته ومواقفه من القضية اللبنانية-، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مج4، عدد03.

حرف اللام

- المعني، إكرام:
- 253- المسيحية الإنجيلية (البروتستانتية)، والموقف من الآخر، ضمن كتاب: "مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية"، ط1، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1492هـ/2008م.
- ليونارد، دوغلاس:
- 254- التعددية الدينية والثقافية وإمكانية التفاهم والانقسام (التجربة الأمريكية)، مجلة التفاهم، العدد31.

حرف الميم

- الماص، بدر:
- 255- الحوار الإسلامي مع الآخرين - الأهداف، المبادئ، التاريخ-، بحث مقدّم لوقائع المؤتمر العام التاسع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: "مشكلات العالم الإسلامي وعلاجها في ظلّ العولمة - الأبعاد الاجتماعية والثقافية -"، القاهرة، مصر، 27-30 مارس 2007م.
- محمد شيخ، أحمد محمد:
- 256- القيم الأخلاقية لرعاية حقوق الإنسان في ضوء السيرة النبوية والمقاصد الشرعية، ورقة مقدّمة للمؤتمر الدولي للسيرة النبوية الشريفة، صفر 1434هـ/ جانفي 2013م.
- مرزوق، عبد الصبور:
- 257- الإسلام، ضمن: "الموسوعة الإسلامية العامة"، إشراف: محمود حمدي زقزوق، دط، القاهرة، مصر، 1424هـ/ 2003م.
- مصطفى، نادية محمود:
- 258- أولى حروب القرن الواحد والعشرين ووضع الأمة الإسلامية، ضمن كتاب: "كيف نواصل مشروع حوار الحضارات؟"، ج 1 (الحضارات حوار أم صدام؟).
- مطر، جميل:
- 259- حوار الحضارات... السياسي أولاً، مجلّة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، العدد 325، مارس 2006م.
- المعقل، بدر الدين بن محمد طراد:
- 260- جهود علماء المسلمين في الردّ على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى، (رسالة دكتوراه مخطوطة)، قسم العقيدة، كليّة الدّعوة وأصول الدّين، جامعة أمّ القرى، السّعودية، 1425هـ.

حرف النون

- نسبن، كريستيان فان:
- 261- مفهوم الآخر في الرؤية المسيحية، ضمن كتاب: "مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية".

- النّصر، مرسل:
262- الحوار ضرورة إسلامية وإنسانية، ضمن كتاب: "محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار".
- النيفر، احميدة:
263- الحوار الإسلامي - المسيحي من أجل خطاب ديني معاصر، ضمن كتاب: "مستقبل الحوار الإسلامي - المسيحي".

حرف الياء

- اليسوعي، سليم دكاش:
264- وثيقة عمرها من عمر الشباب، ضمن كتاب: "واقع الحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 عامًا على صدور بيان المجمع الفاتيكاني الثاني في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية".
- اليسوعي، صلاح أبو جوده:
265- واقع الحوار الإسلامي المسيحي عشية المجمع الفاتيكاني الثاني، ضمن كتاب: "واقع الحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 عامًا على صدور بيان المجمع الفاتيكاني الثاني في علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية".
- يويو، عبد الحميد:
266- المسلمون وغيرهم.. العقبات الإستراتيجية، ضمن كتاب: "الإسلام والغرب - نحو عالم أفضل"، ط1، مركز الجزيرة للدراسات، الدوحة، قطر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، 1428هـ / 2007م.

❖ المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

Premiers- livres:

(A)

- Abd Elwahab، Ahmed:
267- **Dialogue Transtescuel Entre Le Christianisme Et L'islam.** Centre
Ali، Mostafa Mohamed:

268- **Jésus-Christ Dans Le Coran De La Naissance Au Retour**, Paris, 2013.

- Avi Lari, Seyyed Mojtaba Mous:

269- **L' islam Et La Civilisation Occidentale**, Traduit Par: Bnikjou, Et M. Ar vondi, é diteur: Nahid chahbazi, 2009.

(B)

- Bormans, Maurice:

270- **jésus et les musulmans d'aujourd'hui**, desclée, paris, 2005.

(F)

- Foustodi, Walid:

271- **Jésus Dans Le Coran**, Editions Persée, 2015.

(G)

- Grignani, Rvan:

272- **L'occident Face à L'islam Militant De La Perception Du Conflit Ausc Movens De Résistance**.

(L)

- L' ianage, De L' autre:

273- **Chrétiens et Musulmans. Acteurs De Réconciliation Pour Un Projet Politique**, 2008.

(S)

Abou Salih, Khalid:

274- Le Prophète Muhamed Dans La Thora et L' évangile, Traduction Et Adaptation: Abu Hamza Al- Germany, 1ère édition, Madar Al watan, 1429/2008, Saoudia Arabia.

Deuxième- articles et recherches:

(A)

▪ Aveline, Jean-Marc:

275- Chercheur infatigable, travailleur acharné, professeur exigeant, homme de prière, <http://sri.wp.catholique.fr/2017/12/26/pere-maurice-bormans-1925-2017-un-homme-de-dialogue/>, DatePublication: février2017, Date De Navigatio: 03/08/2018.

(B)

▪ Balle, Nicolas:

276- Maurice Bormans, Prof Du Moine De Tibhirine Christian De Chergé, est mort, <https://www.leprogres.fr/rhone-69/2017/12/27/maurice-bormans-prof-de-christian-de-charge-moine-de-tibhirine>, Date Publication: 27/12/2017, Date De Navigatio: 03/08/2018.

▪ Bormans, Maurice :

277- ÀRatisbonne, un malentendu regrettable, <https://www.la-croix.com/Religion/Pape/P-Maurice-Bormans-A-Ratisbonne-malentendu-regrettable-2016-09-13-1200788642#>, Date Publication: 13/09/2016, Date De Navigatio: 20/09/2018.

278- **Dialoguer, Encore Et Toujours, Avec Les Musulmans,** Théologiques, Faculté De Théologie ET De Sciences Des Religions, Universit De Montréal, Volume 19, Numéro 02, 2011.

279- **chrétiens et musulmans ont-ilsquelque chose à dire ou à faire ensemble dans le mode d'aujourd'hut,** islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 04.1978.

280- **i'islam et lapaix,** islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 13. 1987.

281- **in memoriam youakim moubarac,** islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 21, 1995.

282- **le séminaire du dialogue islamo-chrétien de tripoli libye 01-06 février 1976,** islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 02, 1976.

283- **la 2^{ème} rencontre islamo-crétienne du tunis,** islamochristiana, ponetificio istituto di studi arabi e d'islamistica, rome, italie, nombre: 05, 1979.

284- **Le Dialogue entre chrétiens et musulmans serait-ildevenu plus que jamais difficile. voir même impossible?.** Conférence. <https://www.mafrwestafrica.net>. Date de navigation: 03/11/2018m. 11: 20.

285- **un cheminement de dialogue.** [http:// peresblancs.org/ mauriceborrmans.htm](http://peresblancs.org/mauriceborrmans.htm). Date Publication: février 2017, Date De Navigatio: 10/08/2018.

(D)

▪ Demeerseman, Gérard:

286- **Maurice Borrmans, 1925-2017.** www.peresblancs.org/biographie_de_Maurice-Borrmans.pdf. Date Publication: 20/02/2018, Date De Navigatio

▪ Diego, Sarrió Cucarella:

287- **Père Maurice Borrmans, savant, prêtre-missionnaire et homme,** [http:// sri.wp.catholique.fr /2017/12/26/pere-maurice-borrmans-1925-2017-un-homme-de-dialogue/](http://sri.wp.catholique.fr/2017/12/26/pere-maurice-borrmans-1925-2017-un-homme-de-dialogue/),DatePublication: février2017, Date De Navigatio: 03/08/2018.

(H)

- Ennaifer, Hmida:

288- Un fervent artisan du dialogue islamo-chrétien, <http://sri.wp.catholique.fr/2017/12/26/pere-maurice-bormans-1925-2017-un-homme-de-dialogue/>, DatePublication: février2017, Date De Navigatio: 03/08/2018.

- Huê Trinh , Nguyễn:

289- Le père Maurice Bormans, islamologue et chantre du dialogue islamo-chrétien, s'est éteint, https://www.saphirnews.com/Le-pere-Maurice-Bormans-islamologue-et-chantre-du-dialogue-islamo-chretien-s-est-eteint_a24800.html, Date Publication: 28/12/2017, Date De Navigatio: 03/09/2018.

(L)

290- le père maurice bormans raconte une vie, <https://www.mafrwestafrica.net/temoignages/1784-deces-du-pere-maurice-bormans>, Date De Navigatio: 30/08/2018.

(M)

- M.afr. Et Diego Sarrio:

291- le p. maurice bormans (père blanc) docteur honoris causa de l'université pontificale urbanienne. Date Publication: 28/03/2017, Date De Navigatio: 15/08/2018.

- Malazc, Marie:

292- **Le père Maurice Borrmans, figure du dialogue islamo-chrétien, est mort,** <https://www.la-croix.com/Religion/Catholicisme/France/Le-pere-Maurice-Borrmans-figure-dialogue-islamo-chretien-mort-2017-12-27-1200902232>, Date Publication: 27/12/2017, Date De Navigatio: 22/08/2018.

(v)

- Viard, Jean Sébastien:

293- **Le Dialogue Islamo-Chrétien.** Théologiques. Volume 19, Numéro 02.

الفهارس :

أولاً- فهرس آيات القرآن الكريم.

ثانياً- فهرس فقرات الكتاب المقدس.

ثالثاً- فهرس المؤتمرات والندوات الحوارية.

رابعاً- فهرس المحتويات.

أولاً - فهرس آيات القرآن الكريم

الصفحة	رقمها	طرف الآية	اسم السورة
28	62	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾	البقرة
254	75	﴿ أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ ﴾	
96 ، 28 ، 12	113	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَى ﴾	
09	133-132	﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾	
113	136	﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ ﴾	
109	153	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾	
259	173	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ ﴾	
101	208	﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا ﴾	
107	19	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلِيسَلُّمٌ ﴾	
89	35	﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ ﴾	
89	37	﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾	
89	42	﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ ﴾	
90	46-45	﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرِيمُ ﴾	
91	49-48	﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾	
92	49	﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾	
93	53-52	﴿ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ ﴾	
، 42 ، 25 ، 15 ، 96 ، 100 ، 104	64-59	﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ ﴾	
107 ، 28 ، 09	67	﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾	
235	159	﴿ فِيمَا رَحِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ ﴾	
254	46	﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾	الذمياء
66	59	﴿ فَإِن نَّزَعْنَاهُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ ﴾	

93, 92, 31	158-157	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ﴾	أداة
28, 12	14	﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُهُ ﴾	
215	17	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ﴾	
30	46	﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى ﴾	
30	47	﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا ﴾	
22	48	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾	
28	69	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾	
215, 92, 30	72	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ﴾	
214, 30	74-73	﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ ﴾	
92, 31	75	﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا ﴾	
29, 20, 12, 183, 96	85-82	﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً ﴾	
259	91-90	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَمْرُ ﴾	
92	115-112	﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَعْيسَى ابْنُ ﴾	
93	118-116	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾	
112	42	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾	الأفعال
129	152-151	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي كُفْرًا ﴾	
225	23-19	﴿ وَيَتَّكِدُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَرَوْجِكَ ﴾	الأسماء
10	65	﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ ﴾	
10	73	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ ﴾	
10	85	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ ﴾	
118	157	﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾	
108, 107	172	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي ءَادَمَ ﴾	
101	61	﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا ﴾	الأنفال
92	30	﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ .. ﴾	التوبة
09	72	﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾	يونس

09	84	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُقَوْمُ إِن كُنْتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ ﴾	
108	88	﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾	هـ
125-124	36	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا ﴾	الذم
109	103	﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾	
114	122-120	﴿ إِنَّ إِيْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ ﴾	
235 ، 26	125	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ ﴾	
94	70	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَهُمْ ﴾	الإسراء
110	88	﴿ قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ ﴾	مريم
112	16	﴿ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ ﴾	
89	19-17	﴿ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا ﴾	
89	28-27	﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا ﴾	
225	122-117	﴿ فقلْنَا يَتَّعَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ ﴾	طه
124	25	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ ﴾	الأنبياء
10	107	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾	
28	17	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴾	الحج
168	49	﴿ قُلْ فَاتُوا بِي كِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾	القصر
30	55-52	﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ ﴾	
235 ، 25 ، 15	46	﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَاطِنِ ﴾	العنكبوت
95	22	﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	الزّور
226	33	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَخَشُوا ﴾	لقمان
-166 ، 157 167	24	﴿ وَإِنَّا أَوْلِيَآكُمْ لَعَلَىٰ هُدَىٰ أَوْ فِي ﴾	سجدة
10	28	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾	
225	18	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	
112	24	﴿ وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾	فاطر
09	29	﴿ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾	الزّمر

226	46	﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ... ﴾	فطنت
108	11	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ... ﴾	الشورى
22	13	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ... ﴾	
270	64	﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ... ﴾	الزخرف
172، 95، 188	13	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى... ﴾	العجرات
31	39-38	﴿ أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾... ﴾	النجم
122، 29، 116	27	﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا... ﴾	الحديد
115	04	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ... ﴾	الممتحنة
132، 91	06	﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَدَّبُّ بِإِسْرَائِيلَ... ﴾	الطه
28، 12	14	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ... ﴾	
90	11	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا... ﴾	التحرير
90	12	﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتَ فَرْجَهَا... ﴾	
03	14	﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾... ﴾	الانشقاق
108	04-01	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾... ﴾	الإخلاص

ثانياً - فهرس فقرات الكتاب المقدس

الصفحة	العدد	الإصحاح	طرف الفقرة	اسم السفر
العهد القديم				
308	07	12	[لنسلِك أهب هذه الأرض.....]	التكوين
308	03	26	[فأعطي لك ولنسلِك جميع.....]	
308	12	35	[الأرض التي وهبتها لإبراهيم.....]	
العهد الجديد				
223-222	10	04	[ابتعد عني يا شيطان؛ لأنّ.....]	متى
34	09	05	[طوبى لصانعي السلام فإنهم.....]	
91	17	05	[لا تظنّوا أنّي جئت لأنقض.....]	
101	40-38	05	[وسمعت أنّه قيل.....]	
101, 34	44-43	05	[سمعت أنّه قيل.....]	
32	08	08	[ولمّا نزل يسوع من الجبل.....]	
32	09	09	[وسار يسوع من هناك.....]	
128	20-19	15	[لأنّ من القلب تخرج أفكار.....]	
91	24	15	[لم أرسل إياي إلى خراف.....]	
222	20-19	28	[فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم.....]	
32	13-05	07	[فسأله التلاميذ ومعلمو.....]	لوقا
32	30-25	07	[وما إن سمعت به امرأة.....]	
128	19	10	[أنت تعرف الوصايا لا تزن.....]	
223, 125	32-22	12	[آية وصيّة هي أول الكلّ.....]	
222	35	01	[الروح القدس يحلّ عليك.....]	لوقا

32	21-18	09	[وكان يسوع مرّة يصلي.....]	
33	17-15	14	[وإذا كنتم تحبوني عملتم.....]	الرسالة
33	08-07	16	[صدقوني من الخير لكم أن.....]	
270 ، 125	03-01	17	[تكلم يسوع بهذا ورفع.....]	
13	26	11	[ودعني التلاميذ مسيحين.....]	الأعمال الرسالة
224	08-06	05	[مات المسيح من أجل الخاطئين.....]	الرسالة
224	20-13	05	[من أجل ذلك كأنما بإنسان.....]	
224	32	08	[الله الذي ما يجلب أبنته.....]	
259	14	14	[وأنا عالم ومتيقن في الرب.....]	
259	13-12	06	[كل الأشياء تحل لي.....]	كورنثوس الأولى
259	15	01	[كل شيء طاهر للأطهار.....]	تيطس
222	07	05	[والذين يشهدون في السماء.....]	يوحنا الأولى

ثالثاً - فهرس المؤتمرات والندوات الحوارية.

الصفحة	التاريخ	اسم المؤتمر أو الندوة ومكان انعقاد
226	325م	مجمع نيقية /نيقية
226	381م	مجمع القسطنطينية الأول/ القسطنطينية
226	431	مجمع أفسس الأول /أفسس
226	451	مجمع خلقيدونية / خلقيدونية
44 ، 135 ، 307 ، 348	من 22 إلى 29 نيسان/أفريل 1954م	مؤتمر بحدود /لبنان
281	شباط/فيفري 1955م	مؤتمر لجنة التعاون الإسلامي المسيحي
348	من 15 إلى 18 حزيران/جوان 1956م	مؤتمر بحدود /لبنان
34 ، 37 ، 43 ، 127 ، 137 ، 144 ، 179 ، 280 ، 350 ، 351 ،	من 1962 إلى 1965م	المجمع الفاتيكاني الثاني /روما-إيطاليا
303 ، 348	08 تموز/جويلية 1965م	الندوة اللبنانية /بيروت-لبنان
140 ، 277 ، 303 ، 348	من 12 إلى 18 تموز/جويلية 1972م	مؤتمر برمانا /لبنان
44 ، 277 ، 321	من 04 إلى 10 كانون الثاني/جانفي 1974م	مؤتمر هونغ كونغ /الصين
44 ، 137 ، 334	من 17 إلى 21 تموز/جويلية 1974م	مؤتمر لاغون /غانا
145 ، 277 ، 293	من 10 إلى 15 أيلول/سبتمبر 1974م	مؤتمر قرطبة الثاني /اسبانيا
146 ، 293	أيار/ماي 1975م	مؤتمر برمنغهام /بريطانيا
80 ، 277 ، 298	من 01 إلى 06 شباط/فيفري	مؤتمر طرابلس /ليبيا
44	من 26 حزيران/جوان إلى 01 تموز/جويلية 1976م	مؤتمر شامبزي /سويسرا
44 ، 297	من 19 إلى 22 تشرين الأول/أكتوبر 1976م	مؤتمر كارتنبي /سويسرا
134	آذار/مارس 1977م	مؤتمر قرطبة الثاني /اسبانيا
138	من 09 إلى 11 تشرين الأول/أكتوبر 1978م	مؤتمر نيودلهي /الهند
44 ، 340	من 03 إلى 06 نوفمبر 1980م	مؤتمر بيروت /لبنان
332	19 آب/أوت 1985م	الصلاة المشتركة /الدار البيضاء-المغرب
44 ، 270	من 28 إلى 30 سبتمبر 1985م	مؤتمر عمان /عمان
44	من 04 إلى 08 نيسان/أفريل 1991م	مؤتمر إبادان /نيجيريا

349	حزيران/جوان 1996م	مؤتمر بيروت /لبنان
328	12 أيلول/سبتمبر 2006م	مؤتمر ريغنسبورغ /ألمانيا
329	من 04 إلى 06 تشرين الثاني/نوفمبر 2008م	ندوة المنتدى الكاثوليكي الأول
261	16 شباط/فيفري 2010م	ندوة الزواج المختلط /بيروت/لبنان
66	2013م	مؤتمر محمد حسين فضل الله رائد الوحدة والحوار /لبنان

الإمام عبد القادر للعظوم الإسلامية

مراجعا - فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٤	الواجهة
٤	البسمة
٤	الآية
٤	مقتطفان حول الحوار الإسلامي المسيحي لفضل الله وبورمانس
٤	الإهداء
٤	شكر وعرفان
أ- ف	المقدمة
١١	التعريف بالموضوع
١١	أهمية الموضوع
١١	إشكالية البحث
١١	أسباب اختيار الموضوع
١١	أهداف الدراسة
١١	الدراسات السابقة
١١	وصف لأهم المصادر والمراجع المعتمدة

١	الصّعوبات
١	المنهج المتّبع
٣	هيكل البحث
<u>01 - 85</u>	الفصل الأوّل: مدخل مفاهيمي تراجمي
<u>02</u>	تمهيد
<u>03</u>	المبحث الأوّل: ماهيّة الحوار الإسلامي المسيحي
<u>03</u>	المطلب الأوّل: الحوار الإسلامي المسيحي، الدلالات الاصطلاحية وأبعاد المفهوم
<u>03</u>	أولاً- تعريف الحوار
<u>03</u>	1- المعنى اللّغوي
<u>04</u>	2- المعنى الاصطلاحي
<u>07</u>	أ- مرتبة الحوار أو النّظرية العرّضية الحوارية
<u>07</u>	ب- مرتبة المحاورّة أو النّظرية الاعتراضية الحوارية
<u>08</u>	ج- مرتبة التّحاور أو النّظرية التّعاضية الحوارية
<u>08</u>	ثانياً- تعريف الإسلام
<u>08</u>	1- المعنى اللّغوي
<u>09</u>	2- المعنى الاصطلاحي
<u>10</u>	ثالثاً- تعريف المسيحية

<u>10</u>	1- المعنى اللغوي
<u>11</u>	2- المعنى الاصطلاحي
<u>16</u>	رابعاً- المعنى الإجمالي للحوار الإسلامي المسيحي
<u>22</u>	المطلب الثاني: منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي ودوافعه
<u>22</u>	أولاً- المنطلقات
<u>22</u>	1- القاعدة الدينية
<u>23</u>	2- القاعدة السياسية
<u>24</u>	ثانياً- الدوافع
<u>24</u>	1- دوافع المسلمين للحوار مع المسيحيين
<u>25</u>	أ- مشروعية الحوار في الإسلام
<u>27</u>	ب- الحضور المسيحي في القرآن بين التمجيد والتّنديد
<u>28</u>	ب- أ- الإقرار بوجود الكيان الديني النصراني (المسيحي)
<u>29</u>	ب- ب- تبجيل المسيح عليه السلام وأسرته
<u>29</u>	ب- ج- المؤمنون المخلصون أو أتباع المسيح في القرآن
<u>30</u>	ب- د- الإنجيل في القرآن
<u>30</u>	ب- ه- نقد العقائد المسيحية
<u>31</u>	2- دوافع المسيحيين للحوار مع المسلمين

<u>31</u>	أ- الإنجيل وقيم التّواصل والتّسامح
<u>31</u>	أ- أ- ممارسة المسيح للحوار
<u>33</u>	أ- ب- بشارات الأنجيل بالنّبوءة المحمّديّة
<u>34</u>	أ- ج- السّلام وحسن المعاملة
<u>34</u>	ب- المجمع الفاتيكاني الثّاني (1962-1965م) والانفتاح على الديانات الأخرى
<u>35</u>	ب- أ- الدساتير العقائديّة والرّعائيّة
<u>36</u>	ب- ب- القرارات المسلكيّة
<u>36</u>	ب- ج- التّصريحات
<u>38</u>	3- الدّافع المُشترك أو التّجاور والتّعايش والتّقارب
<u>41</u>	المطلب الثّالث: مسيرة الحوار الإسلامي المسيحي، النّشأة والتّطوّر
<u>46</u>	المطلب الرّابع: مواضيع الحوار الإسلامي المسيحي وأهدافه
<u>46</u>	أولاً- المواضيع
<u>47</u>	1- المرحلة الأولى
<u>47</u>	2- المرحلة الثّانيّة
<u>47</u>	ثانيّاً- الأهداف
<u>48</u>	1- الأهداف الخاصّة بالطّرف الإسلامي
<u>48</u>	2- الأهداف الخاصّة بالطّرف المسيحي

<u>48</u>	3- الأهداف المشتركة بين الطرفين
<u>50</u>	المبحث الثاني: ترجمة محمد حسين فضل الله
<u>50</u>	المطلب الأول: نسبه ومولده ونشأته
<u>50</u>	أولاً- النسب
<u>51</u>	ثانياً- المولد
<u>52</u>	ثالثاً- النشأة
<u>56</u>	المطلب الثاني: مساره العلمي والفكري
<u>56</u>	أولاً- المسار العلمي
<u>59</u>	ثانياً- المسار الفكري
<u>62</u>	المطلب الثالث: وفاته وآثاره
<u>62</u>	أولاً- الوفاة
<u>64</u>	ثانياً- الآثار
<u>64</u>	1- المؤلفات
<u>65</u>	2- المؤسسات والمراكز والجمعيات
<u>66</u>	المطلب الرابع: فضل الله وثقافة الحوار والانفتاح والوحدة
<u>70</u>	المبحث الثالث: ترجمة موريس بورمانس
<u>70</u>	المطلب الأول: مولده ونشأته

<u>74</u>	المطلب الثاني: المسار المهني والفكري
<u>77</u>	المطلب الثالث: وفاته وآثاره
<u>77</u>	أولاً- الوفاة
<u>79</u>	ثانياً- الآثار
<u>81</u>	المطلب الرابع: بورمانس وقضية الحوار الإسلامي المسيحي
<u>85</u>	خلاصة الفصل
<u>149-86</u>	الفصل الثاني: منطلقات الحوار الإسلامي المسيحي أو المؤسسات القبلية للتّحاور
<u>87</u>	تمهيد
<u>88</u>	المبحث الأول: المنطلقات عند محمد حسين فضل الله
<u>88</u>	المطلب الأول: الاحتفاء القرآني بالمسيح عليه السلام
<u>89</u>	أولاً- الأسرة الكريمة والمولد المبارك
<u>91</u>	ثانياً- الشخصية الفذة
<u>93</u>	ثالثاً- الرفقة الصالحة
<u>93</u>	رابعاً- مشهد يوم القيامة
<u>94</u>	المطلب الثاني: الاعتراف المتبادل بالآخر واحترام إنسانيته
<u>99</u>	المطلب الثالث: القيم الروحية والأخلاقية المشتركة
<u>103</u>	المطلب الرابع: المواطنة والعيش المشترك، التجربة اللبنانية مثالاً

<u>107</u>	المبحث الثاني: المنطلقات عند موريس بورمانس
<u>107</u>	المطلب الأول: حقيقة الإسلام والقرآن
<u>112</u>	المطلب الثاني: الأسوة النبوية والتكامل الرسالي
<u>120</u>	المطلب الثالث: المسعى الزهدي الصوفي
<u>124</u>	المطلب الرابع: الأسس المشتركة بين الديانتين ومواطن الالتقاء
<u>124</u>	أولاً- الحضرة الإلهية
<u>126</u>	ثانياً- العبادة
<u>128</u>	ثالثاً- القيم الروحية والأخلاقية
<u>131</u>	المبحث الثالث: المقارنة بين المنطلقات عند الرجلين
<u>131</u>	المطلب الأول: تمجيد الأنبياء
<u>135</u>	المطلب الثاني: القيم المشتركة بين الإسلام والمسيحية
<u>142</u>	المطلب الثالث: الاعتراف المتبادل والإيمان بالتعددية
<u>147</u>	خلاصة الفصل
<u>211-150</u>	الفصل الثالث: ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي
<u>151</u>	تمهيد
<u>152</u>	المبحث الأول: الضوابط عند محمد حسين فضل الله
<u>152</u>	المطلب الأول: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي

<u>156</u>	المطلب الثاني: أهلية المتحاورين
<u>159</u>	المطلب الثالث: استنطاق كافة المواضيع ومناقشتها
<u>163</u>	المطلب الرابع: الفاعلية في الحوار
<u>166</u>	المطلب الخامس: الابتعاد عن الذاتية وتجذب الانفعالية
<u>166</u>	أولاً- الابتعاد عن الذاتية
<u>168</u>	ثانياً- تجذب الانفعالية
<u>171</u>	المبحث الثاني: الضوابط عند مورييس بورمانس
<u>171</u>	المطلب الأول: تحديد مفهوم الحوار الإسلامي المسيحي
<u>174</u>	المطلب الثاني: هوية المتحاورين
<u>175</u>	أولاً- الطرف الأول؛ المسيحيون، كنائسهم وجماعاتهم
<u>175</u>	1- الأرثوذكس (Eastern Orthodox Church)
<u>176</u>	2- الكاثوليك (Roman Catholik Church)
<u>176</u>	3- البروتستانت (Protestant)
<u>177</u>	ثانياً- الطرف الثاني؛ المسلمون وطوائفهم
<u>177</u>	1- تصنيف عرقي أو جنسي وجغرافي
<u>178</u>	2- تصنيف عقائدي مذهبي
<u>178</u>	3- تصنيف فكري ثقافي

180	المطلب الثالث: المجالس الحوارية وأولوية المكان والزمان
183	المطلب الرابع: استدعاء الأبعاد الدينية المشتركة
184	أولاً- التّحاور في حضرة الله وكنفه
185	ثانياً- التّوبة إلى الله ومصالحة الآخر
186	ثالثاً- السّعي إلى الشّهادة أو الاعتراف المتبادل
187	رابعاً- القيام بالمستحيل وتبني المخاطر
188	المطلب الخامس: استحضار المناهج والسّبل الفعّالة
188	أولاً- قبول الواحد للآخر
190	ثانياً- التّفاهم
191	ثالثاً- العيش المشترك
193	المبحث الثالث: المقارنة بين الضّوابط عند الرّجلين
193	المطلب الأوّل: المقارنة من حيث المفهوم
197	المطلب الثاني: طبيعة المتحاورين بين هويّة البنية وحتمية الشّروط
201	المطلب الثالث: ثلاثيّة الحوار؛ الموضوع، الزّمان والمكان
204	المطلب الرابع: معايشة الحوار بين الجدّيّة والتّدبّن
206	المطلب الخامس: القيم الأدبيّة والحضاريّة
209	خلاصة الفصل

288-212	الفصل الرابع: معوقات الحوار الإسلامي المسيحي أو المُنبطات الحوارية
213	تمهيد
214	المبحث الأول: المعوقات عند محمد حسين فضل الله
214	المطلب الأول: الانطباع التكفيري المتبادل أو الترشق بالهرطقة
220	المطلب الثاني: طبيعة المعتقدات والتشريعات
220	أولاً- طبيعة المعتقدات
226	ثانياً- طبيعة التشريعات
228	المطلب الثالث: الدولة الإسلامية في لبنان
233	المطلب الرابع: الانغلاق الفكري والأساليب البدائية
233	أولاً- الانغلاق الفكري
234	ثانياً- الأساليب البدائية
237	المطلب الخامس: الأطراف الخارجية أو العائق الأجنبي
241	المبحث الثاني: المعوقات عند موريس بورمانس
241	المطلب الأول: مظالم الماضي أو الصدمات القديمة
241	أولاً- التصادم التاريخي السياسي أو العسكري
244	ثانياً- التصادم الثقافي الديني
247	المطلب الثاني: الرؤية المسيحية التقليدية للإسلام

<u>253</u>	المطلب الثالث: الرؤبة الإسلامية التقليدية للمسيحية
<u>258</u>	المطلب الرابع: المعوقات الحياتية المعاصرة
<u>266</u>	المبحث الثالث: المقارنة بين المعوقات عند الرجلين
<u>266</u>	المطلب الأول: العوائق العقائدية اللاهوتية
<u>272</u>	المطلب الثاني: العوائق الحضارية الثقافية
<u>278</u>	المطلب الثالث: العوائق التاريخية السياسية
<u>281</u>	المطلب الرابع: العوائق الحياتية الواقعية (المعاصرة)
<u>285</u>	خلاصة الفصل
<u>354-289</u>	الفصل الخامس: الآفاق المستقبلية للحوار الإسلامي المسيحي
<u>290</u>	تمهيد
<u>291</u>	المبحث الأول: الآفاق المستقبلية عند محمد حسين فضل الله
<u>291</u>	المطلب الأول: تطوير العلاقات الإسلامية المسيحية
<u>296</u>	المطلب الثاني: مواجهة الاستكبار العالمي
<u>301</u>	المطلب الثالث: تحقيق الوحدة الوطنية في لبنان
<u>306</u>	المطلب الرابع: دعم القضية الفلسطينية ومجابهة الاحتلال الإسرائيلي
<u>313</u>	المبحث الثاني: الآفاق المستقبلية عند موريس بورمانس
<u>313</u>	المطلب الأول: إنماء التعاون المسيحي الإسلامي

<u>318</u>	المطلب الثاني: تحقيق التقارب المسيحي الإسلامي
<u>323</u>	المطلب الثالث: تطوير حركة الحوار بين المسيحيين والمسلمين
<u>327</u>	المطلب الرابع: تجديد العلاقات المسيحية الإسلامية بعد أحداث 11 سبتمبر
<u>333</u>	المبحث الثالث: المقارنة بين الآفاق المستقبلية عند الرجلين
<u>333</u>	المطلب الأول: بناء علاقة إسلامية مسيحية
<u>337</u>	المطلب الثاني: الحوار الإسلامي المسيحي بين الضرورة والتطوير
<u>342</u>	المطلب الثالث: بين المكاسب السياسية والمقاصد الدينية
<u>347</u>	المطلب الرابع: بين الأغراض القومية والمقاصد العالمية
<u>353</u>	خلاصة الفصل
<u>355</u>	الخاتمة
<u>364</u>	الملاحق
<u>365</u>	أولاً- ملاحق خاصة بمحمد حسين فضل الله
<u>376</u>	ثانياً- ملاحق خاصة بموريس بورمانس
<u>387</u>	قائمة المصادر والمراجع
<u>388</u>	المصادر والمراجع باللغة العربية
<u>421</u>	المصادر والمراجع باللغة الأجنبية

<u>427</u>	الفهرس
<u>428</u>	أولاً- فهرس آيات القرآن الكريم
<u>432</u>	ثانياً- فهرس فقرات الكتاب المقدس
<u>434</u>	ثالثاً- فهرس المؤتمرات والندوات الحوارية
<u>436</u>	رابعاً- فهرس المحتويات

عبد القادر للعلوم الإسلامية

تم بحمد الله

جامعة الأمير عيسى بن عبدالعزيز
الاسلامية
العلوم
الاسلامية

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Emir Abdelkader University of Islamic Sciences -Constantine-

Serial Number.....

Registration number.....



Faculty of Fudamentals of Religion

Department of Creed and
Comparative Religions

Thesis Title

The Islamic-Christian Dialogue Between Muhammad Hussein Fadl-Allāh and Maurice Borrmans

-A comparative study-

Thesis Introduction to a Certificate Doctor of Science In Islamic sciences
- religion comparison specialty-

student preparation:
ismail arif

Supervised by Professor:
Taybat Lmir

Discussion Committee:

First and Family Name	Academic Degree	University	Description
			Chairman
Prof. Taybat Lmir	Professor	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences -Constantine-	Supervisor
			A discussion member

Academic Year: 1439-1440H/ 2018-2019M

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research
Emir Abdelkader University of Islamic Sciences –Constantine–

Serial Number.....

Registration number.....



Faculty of Fundamentals of Religio
Department of Creed and
Comparative Religions

Thesis Title.

**The Islamic-Christian Dialogue Between Muhammad
Hussein Fadl-Allāh and Maurice Borrmans**

-A comparative study-

**Thesis Introduction to a Certificate Doctor of Science In Islamic sciences
-religion Dialogue speciality-**

student preparation:
ismail arif

Supervised by Professor:
Taybat Lmir

Discussion Committee:

First and Family Name	Academic Degree	University	Description
Prof. Mohamed Boudaban	Professor	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences –Constantine–	Chairman
Prof. Taybat Lmir	Professor	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences –Constantine–	Supervisor
D. Shahnaz Somaya Ben Al-Muwaffaq	Professor –A–	Emir Abdelkader University of Islamic Sciences –Constantine–	A discussion member
Prof. Naaima Dris	Professor	Asia Jabar High School Of Teachers – Constantine –	A discussion member
Prof. Al-Arbi Ben Al-sheikh	Professor	Batna University 1 Hadj Lakhdar –BATNA–	A discussion member
D. Abd Alwahhab Alaamriu	Professor –A–	Larbi Ben M'hidi University –Oum El Bouaghi	A discussion member

Academic Year: 1441–1442H/2020–2021M